BOBST LIBRARY
3 1142 02771 6136

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

(فهرست الجزء السابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة	
٢	تأويل قوله لتجدن أشد الناس عداوة الآية و بيان ما حصل من اسلام وفد نصارى نجران ووفد الحبشة وأن ذلك مما قيل انه من أسباب النزول
٤	بيان الشاهد على أن رهبانا جمع راهب و يكون للواحد
٤	تأويل قوله واذا سمعوا الآية و بيان معنى مسألتهم أن يكتبوا مع الشاهدين
٦	بيان معنى طمع القوم أن يدخلهم ربهم مع القوم الصالحين
٦	بيان ما نهى الله عنه من تعدى حدوده الذى منه أن يمنع الانسان نفسه من الملاذ كما فعل الرهبان بأنفسهم
١٠	بيان أن الأيمان يكون فيها الغو ويكون فيها معقد وأن المؤاخذ به المعقد
١١	بيان أن كفارة اليمين تكون على ما عقد من الأيمان
١٢	بيان أن كفارة اليمين تكون من أعدل ما يطعم
١٣	بيان مبلغ ما يخرج فى كفارة اليمين والخلاف فيه
١٨	بيان معنى التحرير فى الاصل والشاهد عليه
١٨	بيان أن الرقبة المحررة فى كفارة اليمين تجزئ من أى صنف كان صغيرا أو كبيرا
١٩	بيان أن العلماء مجمعون على أنه يجوز للموسر التكفير بغير الاعتاق
١٩	بيان العجز الذى يجوز التكفير بالصوم
٢١	بيان ما نزل من الايات فى الخمر وذكر سبب تحريمها
٢٧	بيان أن جزاء الصيد واجب على العامد والمخطئ

صحيفة	
٣١	بيان أن الدراهم لا تجزئ فى جزاء الصيد
٣٥	بيان أن المرء مخير فى جزاء الصيد بين الخصال التى فى الآية
٣٩	بيان معنى العود الذى يستوجب الانتقام من الله
٤٤	بيان أن الطافى على وجه البحر من حيوانه حلال
٤٦	بيان أن المحرم يجوز له الاكل من لحم صيد صاده الحلال لا لأجله
٥٠	بيان ما كانت العرب تفعله اذا أرادت الحج
٥٦	بيان أول من غير عهد ابراهيم من العرب ومعنى البحيرة والسائبة
٦٥	بيان أن الانسان يلزمه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يضره بعد ذلك تمادى المأمور فى الضلال
٦٧	بيان أن الموصى فى الغربة اذا لم يحضره مسلمان يجوز له أن يشهد يهوديين أو نصرانيين
٧٤	بيان أنه لا خلاف بين أهل العلم أن القول لمنكر الوصية اذا لم تكن بينة
٨١	بيان أن قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم منسوخ الحكم وسوق الدليل لذلك
٨٦	بيان الخلاف فى أن المائدة نزلت أم لا وما هى
٩٢	(تفسير سورة الانعام) و بيان أن فاتحتها فاتحة التوراة
٩٤	بيان أن الاجل المسمى فى قول الله وأجل مسمى عنده هو أجل البعث وسوق الدليل على ذلك
٩٩	بيان ما ورد فى سعة رحمة الله
١٠٤	بيان أن من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى

2993 : 1-10

صحيفة	
١٠٩	بيان ما كانت تفعله المشركون من نهى الناس عن اتباع رسول الله وبعدهم أنفسهم عنه
١١٤	بيان أن الانسان يستقبله عمله بعد موته فى صورة حسنة أو قبيحة
١١٨	بيان الرد على من ذهب الى وجوب الصلاح والأصلح
١٢٠	بيان أن كل دابة وكل طائر محشور الى الله بالفناء ومحشور اليه بالجمع يوم القيامة
١٢٤	بيان أن العبد اذا أعطى ما سأل وهو عاص يكون مستدرجا به
١٢٨	ذكر ما كانت تقوله المشركون لرسول الله فى حق ضعفاء المؤمنين
١٣٣	ذكر ما أمر الله رسوله أن يقوله لمن كان تائبا
١٣٩	بيان أن لملك الموت أعوانا يعالجون اخراج النفس وهو يقبضها وماله من القوة التى وهبها
١٤٣	بيان ما سأله النبى لامته فأعطى بعضه ومنع بعضه
١٤٦	بيان أنه يكون فى هذه الامة قذف ومسخ وخسف
١٥٩	بيان أن لأبى ابراهيم اسمين
١٦٨	بيان أن الشرك ظلم
١٧٢	بيان أن يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم
١٧٢	بيان نسب ادريس
١٧٧	ذكر ما قالته اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٤	بيان ما يكون يوم القيامة من شدة الاحوال
١٩٠	بيان المستقر والمستودع
١٩٩	بيان ما استدل به منكر والرؤية وبيان فساده
٢٠٠	بيان ما طلبته قريش من رسول الله من المعجزات

﴿ تم فهرست الجزء السابع من تفسير ابن جرير ﴾

(فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء السابع من تفسير ابن جرير)

صحيفة	
٢	تفسير قوله تعالى لتجدن أشد الناس الآيات وبيان القرا آت والوقوف
٦	ذكر ما قالته اليعقوبية من النصارى وبيان فساده
١٥	ذكر هجرة المسلمين الى الحبشة وما تم لهم مع النجاشى
١٨	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا الآيات وبيان القرا آت والوقوف
٢٢	بيان أن الرهبانية تستوجب ضعف الاعضاء الرئيسة وتقل التأمل
٢٤	بيان كفارة اليمين واختلاف الائمة فيها
٢٩	ذكر بعض ما كان يحدث من الخمرة قبل تحريمها
٣٨	بيان المثل الذى يجب فى قتل الصيد واختلاف الائمة فيه وطرف من أحكام الصيد
٤٥	بيان ما يصاد من البحر
٥٠	تأويل تلك الآيات
٥٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا الآيات وبيان القرا آت والوقوف
٦٢	بيان ما كانت العرب تفعله من البحيرة والسائبة
٦٥	بيان ما يتعلق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر
٨١	بيان المائدة التى سألها عيسى عليه السلام
٨٧	تأويل تلك الآيات
٩٢	(تفسير سورة الانعام) وبيان القرا آت والوقوف
١٠٠	بيان أنه لا يلزم من استحباب المكان الافتقار اليه وسوق دلائل على من نفى ذلك
١٠٨	تأويل تلك الآيات
١١٠	تفسير قوله قل لمن ما فى السموات الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١١٧	بيان الوجوه التى عارض بها من لم يثبت الفوقية لله والتكلم معه فيها وهو من أبحاث المؤلف التى انفرد بها
١٢٠	بيان أنه هل يجوز اطلاق الشئ على الله أم لا وسوق أدلة القولين
١٢٥	بيان أن الكفار هل يجوز منهم الكذب يوم القيامة أم لا والدليل لكلا القولين
١٢٥	تأويل تلك الآيات
١٢٦	تفسير قوله ومنهم من يستمع اليك الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١٢٩	بيان شبه المعتزلة فى أنه تعالى لا يصرف عن الايمان وبيان فسادها
١٣٢	بيان السبب فى كون الاقرار بالحق فى غير دار التكليف لا ينفع
١٣٥	بيان شهادة الفطرة لحساسة اللذات الجسمانية
١٣٨	تأويل تلك الآيات
١٣٩	تفسير قوله وما من دابة فى الارض الآيات وذكر القرا آت والوقوف
١٤٢	بيان أن البهائم والطيور تحشر وما قالته المعتزلة فى حشرها
١٤٩	تأويل تلك الآيات
١٥٠	تفسير قوله وأنذر به الذين يخافون الآيات وذكر القرا آت والوقوف
١٥٥	بيان ما استدلت به المعتزلة على القول بالايجاب ورده
١٥٩	تأويل تلك الآيات

صحيفة	
١٦١	تفسير قوله وهو القاهر الآيات وذكر القراآت والوقوف
١٦٣	بيان أن بعض النفوس مختلفة بجواهرها
١٦٩	تأويل تلك الآيات
١٧٠	تفسير قوله واذ قال ابراهيم لابيه الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٧١	بيان اسم أبي ابراهيم وما قيل فيه
١٧٥	بيان قصة ولادة ابراهيم ووضعه في الغار
١٨٠	تأويل تلك الآيات
١٨١	تفسير قوله ووهبنا له اسحق الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٨٤	بيان أنه تعالى خلق قوما للايمان وقوما لغيره
١٨٥	تأويل تلك الآيات وتفسير قوله وما قدروا الله الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٨٩	بيان الاحكام المستنبطة من آية وما قدروا الله
١٩٤	بيان أن النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد لأمرين
١٩٥	بيان بعض ما في خلق الشجر من العجائب
٢٠٢	بيان أن المجوس يسمون زنادقة وبيان أصل هذا الاسم
٢٠٤	تأويل تلك الآيات
٢٠٧	تفسير قوله بديع السموات الآيات وبيان القراآت والوقوف
٢٠٩	بيان الأدلة على الوحدانية
٢١٠	بيان الادلة على جواز الرؤية وشبه من نفاها
٢١٤	تأويل تلك الآيات

﴿ تم فهرست الجزء السابع من تفسير النيسابوري ﴾

al-Tabari
FD 111.05
Min kitāb jamiʿ al-bayan
008
V.7-9
AZROU SMNRIBATHRECS
Near East
BP
130
.4
.T28
V.7-9
c.1

الجـــزء السابع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٧ هجريه

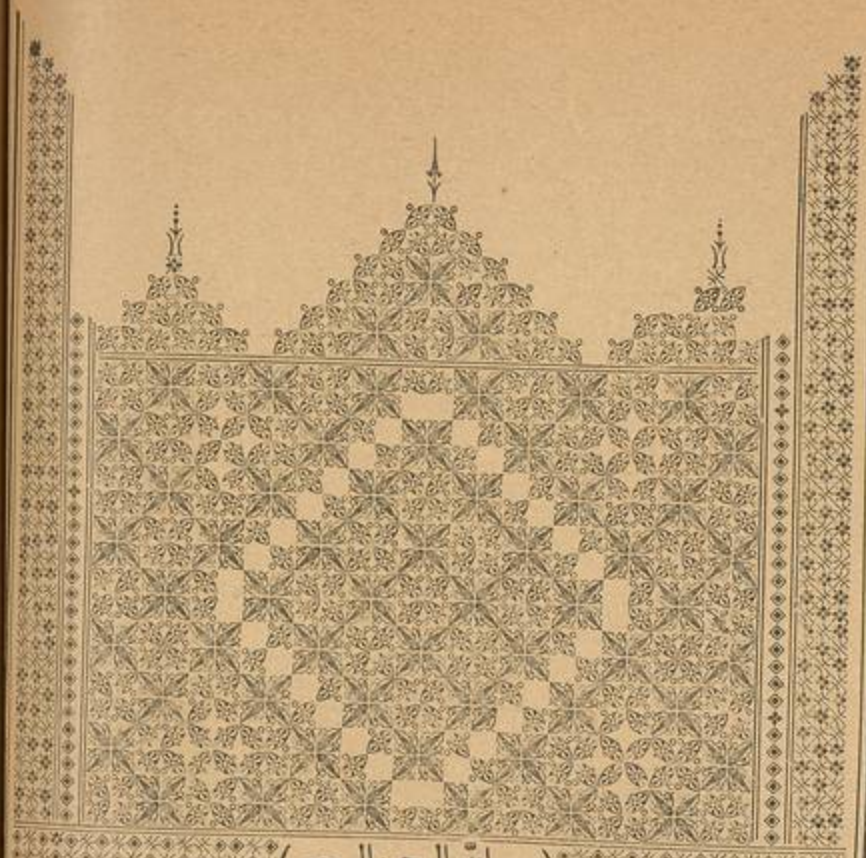

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتجدن يا محمد أشد الناس عداوة للذين صدّوك واتبعوك وصدّقوا بما جئتهم به من أهل الاسلام اليهود والذين أشركوا يعنى عبدة الاوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا يقول ولتجدن أقرب الناس مودة ومحبة والمودة المفعلة من قول الرجل وددت كذا أوده وداً وودا ومودة اذا أحببته للذين آمنوا يقول للذين صدّقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق واتباعه والاذعان به وقيل ان هذه الآية والتى بعدها نزلت فى نفر قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى الحبشة فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير قال بعث النجاشى وفدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا قال فأنزل الله تعالى فيهم لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا الى آخر الآية قال فرجعوا الى النجاشى فاخبروه فأسلم النجاشى فلم يزل مسلما حتى مات قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والنجاشى

ثم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم)

القراآت أن لا تكون بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف غير سهل وحفص وأبى بكر وحماد الباقون بالنصب الوقوف رسلا ط أنفسهم لا لأن عامل كلما قوله كذبوا يقتلون ○ كثير منهم ط بما يعملون ○ ابن مريم ط وربكم ط النار ط من أنصار ○ ثلاثة لا لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار واحد ط أليم ○ ويستغفرونه ط والوصل أيضا حسن بناء على أن الواو للحال أى هلا يستغفرونه وهو غفور رحيم ○ رسول ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف الرسل ط لأن الواو للاستئناف لا للعطف صديقة ط لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير فى كانا مثنى الطعام ط يؤفكون ○ ولا نفعا ط والوصل يحسن على أن الواو للحال أى

الله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قال هم الوفد الذين جاؤا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه الى النجاشي ملك الحبشة فلما بلغ ذلك المشركين بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فقالوا انه خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها زعم أنه نبي وانه بعث اليك رهطه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم قال ان جاؤني نظرت فيما يقولون فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقاموا بباب النجاشي فقالوا أتأذن لأولياء الله فقال ائذن لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال له الرهط من المشركين ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم ما منعكم أن تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة قال لهم ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه قال يقول هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها الى مريم وروح منه ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فأخذ عودا من الارض فقال ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم فقدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم قال لهم هل تعرفون شيأ مما أنزل عليكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرؤا وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفت كل ما قرؤا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق قال الله تعالى ذكره ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآية حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الآية قال بعث النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا من الحبشة سبعة قسيسين وخمسة رهبانا ينظرون اليه ويسألونه فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بكوا وآمنوا فأنزل الله عليهم وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين فآمنوا ثم رجعوا الى النجاشي فهاجر النجاشي معهم فمات في الطريق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون واستغفروا له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء في قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الآية هم ناس من الحبشة آمنوا اذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين * وقال آخرون بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الايمان فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا فقرأ حتى بلغ فاكتبنا مع الشاهدين أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى يؤمنون به وينتهون اليه فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم صدقوا به وآمنوا به وعرفوا الذي جاء به أنه الحق فأثنى عليهم ما تسمعون والصواب من ذلك من القول عندي أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا انا نصارى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وجدهم أقرب الناس وداد الأهل الايمان بالله ورسوله ولم يسم لنا أسماءهم وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الاسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق ولم يستكبروا عنه وأما قوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فانه يقول قربت مودة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين من أجل أن

يعبدون مالا ينفع ولا يضر والحال أن الله يسمع دعاء المضطر ويعلم رجاء المعتر العليم ○ السبيل ○ ابن مريم ط يعتدون ○ فعلوه ط يفعلون ○ كفروا ط خالدون ○ فاسقون ○ أشركوا ج لطول الكلام والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى ط لا يستكبرون ○ من الحق ج لاحتمال ما يتلوه الحال والاستئناف الشاهدين ○ من الحق لا لأن الواو بعده للحال الصالحين ○ خالدين فيها ط المحسنين ○ الجحيم ○ ﴿التفسير﴾ افتتح الله تعالى السورة بقوله أوفوا بالعقود وانجر الكلام الى ما انجر والآن عاد الى ما بدأ به والمقصود بيان عتو بني اسرائيل وشدة تمردهم أي أخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال (وأرسلنا اليهم رسلا) لتعريف الشرائع والاحكام قال في الكشاف (كلما جاءهم رسول) الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف أي رسول منهم وأقول الأصوب جعلها جملة مستأنفة جوابا لسائل يسأل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا أما جواب الشرط فاختار في الكشاف أنه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن يقال ان أكرمت أخاك أكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه أو عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا وأقول

أما أن التركيب المذكور غير مستحسن فعين النزاع وأما أن الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى (بما لا تهوى أنفسهم) بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها في سورة البقرة وزعم في التفسير الكبير أنه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى عليه السلام في التيه وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه رمز الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وإن ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر (وحسبوا أن لا تكون فتنة) قال علماء الأدب الافعال على ثلاثة أضرب فعل يدل على ثبات الشئ كالعلم والتيقن فيقع بعده أن المشددة الدالة على ثبات الشئ أيضا لتأكيد مقتضاه كقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين فان خففت ودخلت على الفعل لم يجز الا أن يكون مع فعله قد أو سوف أو السين أو حرف نفي ليكون كالعوض من احدى النونين وقيل من حذف ضمير الشأن مثل علم أن سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو أطمع وأخاف وأرجو فلا يجيء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي أطمع أن يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين

منهم قسيسين ورهبانا والقسيسون جمع قسيس وقد يجمع القسيس قسوس لأن القس والقسيس بمعنى واحد وكان ابن زيد يقول في القسيس بما حدثنا يونس قال حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد القسيسين عبادهم وأما الرهبان فانه يكون واحدا وجمعا فأما اذا كان جمعا فان واحدهم يكون راهبا ويكون الراهب حينئذ فاعلا من قول القائل رهب الله فلان بمعنى خافه يرهبه رهبا ورهبا ثم يجمع الراهب رهبان مثل راكب وركبان وفارس وفرسان ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعا قول الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من شعف العقول الفادر

وقد يكون الرهبان واحدا واذا كان واحدا كان جمعه رهابين مثل قربان وقرابين وجردان وجرادين ويجوز جمعه أيضا رهابنة اذا كان كذلك ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحدا قول الشاعر

لو عاينت رهبان دير في القلل * لانحدر الرهبان يمشي ونزل

* واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا فقال بعضهم عنى بذلك قوما كانوا استجابوا لعيسى بن مريم حين دعاهم واتبعوه على شريعته ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن حدثه عن ابن عباس في قوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال كانوا نواتي في البحر يعني ملاحين قال فربهم عيسى بن مريم فدعاهم الى الاسلام فأجابوه قال فذلك قوله قسيسين ورهبانا * وقال آخرون بل عنى بذلك القوم الذين كان النجاشي بعثهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عنبسة عمن حدثه عن أبي صالح في قوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال ستة وستون أو سبعة وستون أو اثنان وستون من الحبشة كلهم صاحب صومعة عليه ثياب الصوف حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال بعث النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم خمسين أو سبعين من خيارهم ليفعلوا يبكون فقال هم هؤلاء حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا قال هم رسل النجاشي الذين أرسل باسلامه واسلام قومه كانوا سبعين رجلا اختارهم الخير فالخير فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم يس والقرآن الحكيم فبكوا وعرفوا الحق فأنزل الله فيهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وأنزل فيهم الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله ويؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لاهل الايمان بالله ورسوله أن ذلك انما كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة وترهيب في الديارات والصوامع وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق اذا عرفوه ولا يستكبرون عن قبوله اذا تبينوه لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم في ذات الله وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الانبياء والرسل ومعاندة الله في أمره ونهيه وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء الذين قالوا انا نصارى الذين وصفت لك يا محمد صفتهم أنك تجد

أقرب الناس مودة للذين آمنوا ما أنزل اليك من الكتاب يتلى ترى أعينهم تفيض من الدمع وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وذلك سيلانه عن شدة امتلائه ومنه قول الأعشى

(١) ففاضت دموعي فطل الشؤون داما حدارا * وقوله مما عرفوا من الحق يقول فيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله الى رسول الله حق كما حدثنا هناد بن السري قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا أسباط بن نصر الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدي قال بعث النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا وكان منهم سبعة رهبان وخمسة قسيسون أو خمسة رهبان وسبعة قسيسون فأنزل الله فيهم واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الى آخر الآية حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عمر بن علي بن مقدم قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عبد الله ابن الزبير قال نزلت في النجاشي وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع حدثنا هناد قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه في قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال ذلك في النجاشي حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت في النجاشي واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال قال ابن اسحق سألت الزهري عن الآيات ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الآية وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ما زالت أسمع علماءنا يقولون نزلت في النجاشي وأصحابه وأما قوله يقولون فانه لو كان بلفظ اسم كان نصبا على الحال لان معنى الكلام واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قائلين ربنا آمنا ويعني بقوله تعالى ذكره يقولون ربنا آمنا أنهم يقولون يا ربنا صدقنا لما سمعنا ما أنزلته الى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك وأقررنا به أنه من عندك وأنه الحق لاشك فيه وأما قوله فاكتبنا مع الشاهدين فانه روي عن ابن عباس وغيره في تأويله ما حدثنا به هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وابن نمير جميعا عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فاكتبنا مع الشاهدين يعنون بالشاهدين محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال محمد صلى الله عليه وسلم وأمته انهم شهدوا أنه قد بلغ وشهدوا أن الرسل قد بلغت حدثنا الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا يحيى بن زكريا قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثل حديث الحرث بن عبد العزيز غير أنه قال وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا فكأن متأول هذا التأويل قصد بتأويله هذا الى معنى قول الله تعالى ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فذهب ابن عباس الى أن الشاهدين هم الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان التأويل ذلك كان معنى الكلام يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة أنهم قد بلغوا أممهم رسالاتك ولو قال قائل معنى ذلك فاكتبنا مع

فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا أن لا تكون قرئ بالنصب على أن المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على أن المخففة أي أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه سدا مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل أنه لا تقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وعذاب الدنيا أقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرت الفتنة بكل ذلك وحسبانهم أن لا تقع فتنة يحتمل وجهين الاول أنهم كانوا يعتقدون أن لا نسخ لشريعة موسى وأن كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه والثاني أنهم اعتقدوا كونهم محقين في التكذيب والقتل الا أنهم كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وأن نبوة أسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الآية تدل على أن عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان به (ثم عموا وصموا كثير منهم) في زمان محمد صلى الله عليه وسلم فأنكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك رأيت القوم أكثرهم وقيل انه على لغة من يقول أكلوني

(١) يحرر هذا البيت فانا نعثر عليه
اه كتبه مصححه

البراغيث وقيل خبر مبتدا محذوف أى أولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو طلب رؤية الله جهرة وقال القفال انه يجوز أن يكون اشارة الى ما فى سورة بنى اسرائيل فاذا جاء وعد أولاهما فاذا جاء وعد الآخرة وقرئ فعموا وصموا بالضم أى رماهم الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته بالركبة ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع فى حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم أنهم (قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم أنه تعالى حل فى ذات عيسى أو اتحد به ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوا فيه وذلك أنه لم يفرق بين نفسه وبين غيره فى المربوبية وفى ظهور دلائل الحدوث عليه ثم أكد ذلك المعنى بقوله (انه من يشرك بالله) أى فى العبادة أو فى تجويز الحلول أو الاتحاد أو فى اجراء وصفه فى المخلوقين أو بالعكس (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى منعه منها (وما للظالمين من أنصار) من كلام الله تعالى أو من حكاية قول عيسى عليه السلام لهم وقد مر تفسيره فى آخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم لأنهم كانوا يعتقدون أن لهم أنصارا كثيرة فيما يقولون ويعتقدون فنفى الله تعالى أو عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه

الشاهدين الذين يشهدون أن ما أنزلته الى رسولك من الكتاب حق كانوا صوابا الا ان ذلك خاتمة قوله واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بايمانهم لما سمعوا من كتاب الله فتكون مسئلتهم أيضا الله أن يجعلهم ممن صحت عنده شهادتهم بذلك ويلحقهم فى الثواب والجزاء منازلهم ومعنى الكتاب فى هذا الموضع الجعل يقول فاجعلنا مع الشاهدين وأثبتنا معهم فى عدادهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات أنهم اذا سمعوا ما أنزل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من كتابه آمنوا به وصدقوا كتاب الله وقالوا ما لنا لا نؤمن بالله يقول لا نقر بوحدانية الله وما جاءنا من الحق يقول وما جاءنا من عند الله من كتابه وآى تنزيله ونحن نطمع بايماننا بذلك أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين يعنى بالقوم الصالحين المؤمنين بالله المطيعين له الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم اياه وانما معنى ذلك ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة ويلحق منازلنا بمنازلهم ودرجاتنا بدرجاتهم فى جناته ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين قال القوم الصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره فجزاهم الله بقولهم ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين جنات تجرى من تحتها الانهار يعنى بساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول دائما فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يحولون عنها وذلك جزاء المحسنين يقول وهذا الذى جزيت هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا من الجنات التى هم فيها خالدون جزاء كل محسن فى قيله وفعله واحسان المحسن فى ذلك أن يوحد الله توحيدا خالصا محضا لا شرك فيه ويقر بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب ويؤدى فرائضه ويجتنب معاصيه فذلك كمال احسان المحسنين الذين قال الله تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا بآيات كتابه فان أولئك أصحاب الجحيم يقول هم سكانها واللابثون فيها والجحيم ما اشتد حره من النار وهو الجاحم والجحيم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه حق من عند الله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعنى بالطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب فتمنعوها اياها كالذى فعله القسيسون والرهبان فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وحبس فى الصوامع بعضهم أنفسهم وساح فى الارض بعضهم يقول تعالى ذكره فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك ولا تعتدوا حد الله الذى حد لكم فيما أحل لكم وفيما حرم عليكم فتجاوزوا حده الذى حده فتخالفوا بذلك طاعته فان الله لا يحب من اعتدى حده الذى حده لخلقه فيما أحل لهم وحرم عليهم ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو

حصين عبدالله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر أبو زبيد قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية قال عثمان بن مظعون وأناس من
المسلمين حرموا عليهم النساء وامتنعوا من الطعام الطيب وأراد بعضهم أن يقطع ذكره فنزلت
هذه الآية **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنى خالد الحذاء عن عكرمة
قال كان اناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هموا باخصاء وترك اللحم والنساء فنزلت هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة أن رجالا أرادوا كذا وكذا وأرادوا كذا
وكذا وأن يختصوا فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الى قوله الذى أنتم
به مؤمنون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما أحل الله لكم قال كانوا يرموا الطيب واللحم فأنزل الله تعالى هذا فيهم **حدثنا** ابن وكيع
قال ثنا عبدالوهاب الثقفى قال ثنا خالد عن عكرمة أن أناسا قالوا لا نتزوج ولا نأكل ولا نفعل
كذا وكذا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر
عن أيوب عن أبي قلابة قال أراد أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا
ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة ثم قال انما هلك
من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم قال ونزلت فيهم يا أيها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال نزلت فى أناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يتخلوا من اللباس ويتركوا النساء ويترهدوا منهم على بن أبي
طالب وعثمان بن مظعون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن زياد بن فياض
عن أبي عبدالرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا **حدثنا**
بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم رفضوا النساء واللحم وأرادوا أن يتخذوا الصوامع فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليس فى ديني ترك النساء واللحم ولا اتخاذ الصوامع وخبرنا أن ثلاثة نفر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا فقال أحدهم أما أنا فأقوم الليل لا أنام وقال أحدهم أما أنا فأصوم النهار
لا أفطر وقال الآخر أما أنا فلا آتى النساء فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال ألم أنبأ أنكم
اتفقتم على كذا قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا الا الخير قال لكنى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآتى
النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وكان فى بعض القراءة من رغب عن سنتك فليس من أمتك
أو ضل عن سواء السبيل وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأناس من أصحابه ان من
كان قبلكم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فهؤلاء اخوانهم فى الدور والصوامع اعبدوا الله ولا
تشركوا به شيأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم
حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وذلك أن رسول الله صلى الله

قال المفسرون (ثالث ثلاثة) معناه
ثالث آلهة ثلاثة ليلزم الكفر والا فما
من شيئين والا والله ثالثهما يحكى أن
النصارى يقولون أب وابن وروح
قدس والثلاثة اله واحد كما أن الشمس
تتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة
وبالروح الحياة قالوا ان الكلمة التى
هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى
اختلاط الماء بالخمر وزعموا أن
الأب اله واحد والابن اله واحد
والروح اله واحد والكل اله واحد
واعلم أن هذا معلوم البطلان بالبديهة
لان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد
لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله
مقالتهم بقوله (وما من اله الا اله
واحد) فزاد من الاستغراقية والمعنى
ما اله قط فى الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا اثانى له ولا شريك ثم
زجرهم بقوله (وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا) قال الزجاج
يعنى الذين أقاموا على هذا الدين
لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
فمن فى قوله (منهم) للتبعيض ويجوز
أن تكون للبيان والمراد ليمسنهم
ولكن أقيم الظاهر مقام المضمر
تكريرا للشهادة عليهم بالكفر
ورمزا الى أنهم من الكفر بمكان
حتى لو فسر الكفار المعذبون عنوا
بذلك خاصة ومعنى (عذاب أليم) نوع
شديد الألم من العذاب (أفلا
يتوبون) قال الفراء انه أمر بلفظ
الاستفهام وفيه تعجيب من
اصرارهم على الكفر بعد الوعيد
الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم
بقوله (ما المسيح بن مريم الا رسول)

وهذا ترتيب فى غاية الحسن لانه منعهم من الكفر أولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع فى حل شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد يستتاب بلا مهلة ومناظرة ان عنت له شبهة بل يسلم أولا ثم تحل شبهته ثانيا والمعنى ماهو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وان أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك من آيات ربه الكبرى (وأمه صديقة) كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصادقات فى أقوالهن وأفعالهن وأحوالهن قال تعالى فى وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين أى من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم المجتهدون فى اقامة مراسم العبودية ففيه تكذيب للنصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الها وفيه تكذيب لليهود المفرطين فى شأنها حيث نسبوها الى الهنات والى الكذب فى أن عيسى خلق من غير أب وفيه أن من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم أكد حدوثهما وعجزهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) فان المحتاج الى الاغتذاء سيحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما وأفولهما فى حيز الامكان ثم عجب من غاية غوايتهم فقال (انظر) يا محمد أو كل من له أهلية النظر (كيف نبين لهم الآيات) الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم والعامل

عليه وسلم جلس يوما فذكر الناس ثم قام ولم يزدهم على التخويف فقال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة منهم على بن أبى طالب وعثمان بن مظعون ما حقنا ان لم نحدث عملا فان النصارى قد حرموا على أنفسهم فنحن نحرم فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه فأتت امرأته عائشة وكان يقال لها الحولاء فقالت لها عائشة ومن عندها من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تطيبين فقالت وكيف أتطيب وأمتشط وما وقع على زوجى ولا رفع عنى ثوبا منذ كذا وكذا فجعلن يضحكن من كلامها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن فقال ما يضحككن قالت يا رسول الله الحولاء سألتها عن أمرها فقالت ما رفع عنى زوجى ثوبا منذ كذا وكذا فأرسل اليه فدعاه فقال ما بالك يا عثمان قال انى تركته لله لكى أتخلى للعبادة وقص عليه أمره وكان عثمان قد أراد أن يجب نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسمت عليك الا رجعت فواقعت أهلك فقال يا رسول الله انى صائم قال أفطر فأفطر وأتى أهله فرجعت الحولاء الى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة فقالت ما بالك يا حولاء فقالت انه أتاها أمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا انى أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا يقول لعثمان لا تحب نفسك فان هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفروا أيمانهم فقال لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال هم رهط من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح فى الارض كما تفعل الرهبان فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهم فذكر ذلك لهم فقالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتى فهو منى ومن لم يأخذ بسنتى فليس منى

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وذلك أن رجالا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكى تنقطع الشهوة ويتفرغوا لعبادة ربهم فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما أردتم فقالوا أردنا أن نقطع الشهوة عنا ونتفرغ لعبادة ربنا ونلهو عن النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك ولكنى أمرت فى دينى أن أتزوج النساء فقالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين الى قوله الذى أنتم به مؤمنون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يبتتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية الى قوله واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون قال ابن جريج عن عكرمة ان عثمان بن مظعون وعلى بن أبى طالب وابن مسعود والمقداد ابن الأسود وسالما مولى أبى حذيفة فى أصحاب تبتلوا فجلسوا فى البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس الا ما أكل ولبس أهل السياحة من بنى اسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا القيام الليل وصيام النهار فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما

الله

الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين يقول لا تستنوا بغير سنة المسلمين يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس وما أحبوا له من صيام النهار وقيام الليل وما هموا له من الاخصاء فلما نزلت فيهم بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لأنفسكم حقا وان لأعينكم حقا صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا فقالوا اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلت

حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال قال أبي ضاف عبد الله بن رواحة ضيف فانقلب ابن رواحة ولم يتعش فقال لأهله ما عشيته فقالت كان الطعام قليلا فانتظرت أن تأتي قال فجئت ضيفي من أجلي فطعامك علي حرام ان ذقته فقالت هي وهو علي حرام ان ذقته ان لم تذقه وقال الضيف هو علي حرام ان ذقته ان لم تذوقوه فلما رأى ذلك قال ابن رواحة قربي طعامك كلوا باسم الله وغدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنت فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقرأ حتى بلغ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان اذا قلت والله لا أذوقه فذلك العقد حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم فأنزل الله تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال هم أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك النساء والخصاء فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال تعالى ذكره ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين فقال بعضهم الاعتداء الذي نهى الله عنه في هذا الموضع هو ما كان عثمان بن مظعون هم به من جب نفسه فنهى عن ذلك وقيل له هذا هو الاعتداء وممن قال ذلك السدي

حدثنا محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عنه به * وقال آخرون بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا به من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم فنهوا أن يفعلوا ذلك وأن يستنوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وممن قال ذلك عكرمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عنه به وقال بعضهم بل ذلك نهي من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال الى الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن عاصم عن الحسن يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا قال لا تعتدوا الى ما حرم عليكم وقد بينا أن معنى الاعتداء تجاوز المرء ماله الى ما ليس له في كل ما مضى بما أغنى عن اعادته واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بقوله لا تعتدوا نهي عن العدوان كله كان الواجب أن يكون محكوما لما عمه بالعموم حتى يخصه ما يجب التسليم له ليس لأحد أن يتعدى حد الله تعالى في شيء من الأشياء مما أحل أو حرم فمن تعداه فهو داخل في جملة من قال تعالى ذكره ان الله لا يحب المعتدين وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في أمر عثمان بن مظعون والرهط الذين هموا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هموا به من تحريم بعض ما أحل الله لهم على أنفسهم ويكون مرادا بحكمها كل من كان في مثل معناهم ممن حرم على نفسه ما أحل الله له أو أحل ما حرم الله عليه أو تجاوز حدا حده الله له وذلك أن الذين هموا بما هموا به من تحريم بعض ما أحل لهم على أنفسهم انما عوتبوا على ما هموا به من تجاوزهم ما حد لهم وحد الى غيره ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله

في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع الجملة بل مضمونها أي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق أفكه بالفتح يأفكه بالكسر أفكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وأرض مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجبين أي بيننا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن اعراضهم عنها أعجب ثم الصارف عن تأمل الحق هو الله أو العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وأنت قد عرفت التحقيق في ذلك مرارا ثم أقام حجة أخرى على فساد قول النصارى فقال قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك أي شيأ لا يستطيع أو الذي لا يقدر على مثل ما يضركم به الله من البليات والمصائب أو ينفعكم به من الصحة والخصب بواسطة أو بغير واسطة بل لم يملك شيأ من ذلك لنفسه فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا أضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عليه السلام مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم يسمع أباطيلهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم عليه وفيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا أهل الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة حد الاعتدال وأنه شامل لطرفي

الذى أنتم به مؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرموا طيبات ما أحل الله لهم كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم وأحله لكم حلالا طيبا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يعنى ما أحل الله لهم من الطعام وأما قوله واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فانه يقول وحافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا فى حدوده فتحلوا ما حرم عليكم وتحرموا ما أحل لكم واحذروه فى ذلك أن تخالفوه فينزل بكم سخطه أو تستوجبوا به عقوبته الذى أنتم به مؤمنون يقول الذى أنتم بوحدانيته مقرون وبربوبيته مصدقون ﴿القول فى تأويل قوله ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرموا على أنفسهم الطيبات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا حرموا ذلك بأيمان حلفوا بها فنهاهم عن تحريمها وقال لهم لا يؤاخذكم ربكم باللغو فى أيمانكم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم فى القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها فأنزل الله تعالى ذكره لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الآية فهذا يدل على ما قلنا من أن القوم كانوا حرموا ما حرموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها فنزلت هذه الآية بسببهم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز وبعض البصريين ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بتشديد القاف بمعنى وكدتموها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بما عقدتم الأيمان بتخفيف القاف بمعنى أوجبتموها على أنفسكم وعزمت عليها قلوبكم * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت فى الكلام الا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة مثل قولهم شددت على فلان فى كذا اذا كررت عليه الشد مرة بعد أخرى فاذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل شددت عليه بالتخفيف وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التى يحب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث فى خلف مرة واحدة وان لم يكررها الحالف مرات وكان معلوما بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وان لم يكرر ولم يردده واذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقدتم وجه مفهوم فتأويل الكلام اذن لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم باللغو تم فيه ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم وقد بينا اليمين التى هى لغو والتى الله مؤاخذ العبد بها والتى فيها الحنث والتى لا حنث فيها فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع وأما قوله بما عقدتم الأيمان فان هنادا حدثنا قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان قال بما تعمدتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان يقول ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فكفارته اطعام عشرة مساكين﴾ اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله فكفارته على ما هى عائدة ومن ذكر ما فقال بعضهم هى عائدة على ما التى فى قوله عقدتم الأيمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عدى عن الحسن فى هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال هو أن تحلف على الشئ وأنت تخيل اليك كما حلفت وليس كذلك فلا يؤاخذكم الله فلا كفارة ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت على علم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن الشعبى قال

الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف الافراط ويجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الاول فالهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنا والكذب والنصارى أفرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال فى الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر أى غلوا غير الحق ولزمه القول بأن الغلو فى الدين غلوان حق وهو أن يبالغ فى تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وباطل وهو أن يتبع الشبهات على حسب الشهوات والثانى منهى عنه دون الاول وأقول لما كان الغلو مجاوزة الحد وكل شئ جاوز حده شابه ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل * كلا طرفى قصد الامور ذميم * فالأصوب أن يقال انتصب غير الحق على أنه صفة قائمة مقام المصدر أى لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين أى افسادا وكقولهم تعال جائيا وقم قائما ولو سلم أن المصدر محذوف كان غير الحق صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وأمس الدابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا أهواء قوم هى المذاهب التى تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبى ما ذكر الله تعالى لفظ الهوى فى القرآن الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه قال أبو عبيد لم نجد للهوى موضعا الا فى الشر لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار وقال رجل

ليس فيه كفارة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان قال ما عقد فيه يمينه فعليه الكفارة
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قال الأيمان ثلاث يمين تكفر
ويمين لا تكفر ويمين لا يؤاخذ بها صاحبها فأما اليمين التي تكفر فالرجل يحلف على الامر
لا يفعله ثم يفعله فعليه الكفارة وأما اليمين التي لا تكفر فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه
الكذب فليس فيه كفارة وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها فالرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما
حلف عليه فلا يكون كذلك فليس عليه فيه كفارة وهو اللغو حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا ابن أبي ليلى عن عطاء قال قالت عائشة لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه حدثني يعقوب
قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام قال ثنا حماد عن ابراهيم قال ليس في لغو اليمين كفارة حدثني
يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة حدثه أن
عائشة قالت أيمان الكفارة كل يمين حلف فيها الرجل على جد من الامور في غضب أو غيره ليفعلن
ليتركن فذلك عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفارة وقال تعالى ذكره لا يؤاخذكم الله باللغو
في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني
معاوية بن صالح عن يحيى بن سعد وعن علي بن أبي طلحة قالا ليس في لغو اليمين كفارة حدثنا بشر
قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الأيمان يقول ما تعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة قال وقال قتادة أما اللغو فلا كفارة فيه حدثنا
هناد قال ثنا عبدة عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال لا كفارة في لغو اليمين حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عمرو العبقري عن أسباط عن السدي ليس في لغو اليمين كفارة فمعنى الكلام على
هذا التأويل لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارة
ما عقدتم منها اطعام عشرة مساكين * وقال آخرون الهاء في قوله فكفارته عائدة على اللغو وهي
كناية عنه قالوا وانما معنى الكلام لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اذا كفرتموه ولكن
يؤاخذكم اذا عقدتم الايمان فأقمتم على المضي عليه بترك الحنث والكفارة فيه والاقامة على المضي
عليه غير جائزة لكم فكفارة اللغو منها اذا حنثتم فيه اطعام عشرة مساكين ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الرجل يحلف على أمر ضرارا أن يفعله فلا
يفعله فيرى الذي هو خير منه فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير وقال مرة أخرى قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم الى قوله بما عقدتم الأيمان قال واللغو من اليمين هي التي تكفر
لا يؤاخذ الله بها ولكن من أقام على تحريم ما أحل الله له ولم يتحول عنه ولم يكفر عن يمينه فتلك
التي يؤاخذ بها حدثنا هناد قال ثنا حفص بن غياث عن داود بن أبي هند عن سعيد بن
جبير قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال هو الذي يحلف على المعصية فلا يفي فيكفر حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن جبير لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
قال هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله تعالى يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها فكفارته اطعام عشرة
مساكين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود عن سعيد بن جبير قال في لغو اليمين هي
اليمين في المعصية فقال أولا تقرأ فتفهم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الأيمان قال فلا يؤاخذه بالالغاء ولكن يؤاخذه بالمقام عليها قال وقال ولا تجعلوا الله

لابن عباس الحمد لله الذي جعل
هواي على هواك فقال ابن عباس
كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني
أئمتهم في النصرانية واليهودية قبل
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا
كثيرا ممن شايعهم على التثليث أو
التفريط في شأن مريم وابنها وضلوا
عن سواء السبيل عند مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فكذبوه
والغرض بيان استمرارهم على
الضلال قديما وحديثا وقيل
الضلال الاول عن الدين والضلال
الثاني عن الجنة وقيل الضلال الثاني
اعتقادهم في ذلك الاضلال أنه
ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور
على لسان داود وفي الانجيل على
لسان عيسى وفيه تعيير لهم حيث
ادعوا أنهم أولاد الانبياء وقد لعنوا
على ألسنتهم وقال كثير من
المفسرين ان أصحاب أيلة كما سيجيء
في الاعراف لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية
فمسخوا قردة وان أصحاب المائدة
لما أكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى
اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت
فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة
آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي
وعن الاصم أن داود وعيسى بشرا
بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولعنا من يكذبه وذلك اللعن بسبب
عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
والتناهي معنيان أحدهما وعليه
الجمهور أنه تفاعل من النهي أي
كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن
مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وذلك أن فى التناهى المأمور به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والثانى أنه بمعنى الانتهاء أى لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه لان النهى بعد الفعل لا يفيد أو المراد لا يتناهون عن منكر أرادوا فعله وأحضروا آلاته أو لا ينتهون أو لا ينهون عن الاصرار على منكر فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المقدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف أسلافهم بما وصف شرع فى نعت الحاضرين بأن كثيرا منهم يتولون المشركين والمراد كعب بن الاشرف وأصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر فى تفسير سورة النساء عند قوله أهؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم من العمل لمعادهم ومحل أن سخط رفع على أنه مخصوص بالذم أى بئس الزاد الى الآخرة سخط الله يعنى موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وهو موسى وما أنزل اليه فى التوراة كما يدعون واتخذوا المشركين أولياء لان تحريم ذلك متأكد فى شريعة موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون فى دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة والجاه بأى طريق قدروا عليه لا تقرير دين موسى و يحتمل أن يراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله ومحمد والقرآن ايمانا خالصا

عرضة لأيمانكم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال هو الرجل يحلف على المعصية فلا يؤاخذه الله بتركها ان تركها قلت وكيف يصنع قال يكفر يمينه و يترك المعصية حدثنى يحيى بن جعفر قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا جو يبر عن الضحاك فى قوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم قال اليمين المكفرة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن ابراهيم قال اللغو يمين لا يؤاخذ بها صاحبها وفيها كفارة * والذى هو أولى عندى بالصواب فى ذلك أن تكون الهاء فى قوله فكفارته عائدة على ما التى فى قوله بما عقدتم الايمان لما قدمنا فيما مضى قبل أن من لزمته فى يمينه كفارة وأوخذ بها غير جائز أن يقال لمن قد أوخذ لا يؤاخذه الله باللغو وفى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم دليل واضح أنه لا يكون مؤاخذا بوجه من الوجوه من أخبرنا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذه فان ظن ظان أنه انما عنى تعالى ذكره بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم بالعقوبة عليها فى الآخرة اذا حنثتم وكفرتم لا أنه لا يؤاخذهم بها فى الدنيا بتكفير فان اخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه فى كتابه على الظاهر العام عندنا ما قد دللنا على صحة القول به فى غير هذا الموضع فأغنى عن اعادته دون الباطن العام الذى لا دلالة على خصوصه فى عقل ولا خبر ولا دلالة من عقل ولا خبر أنه عنى تعالى ذكره بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم بعض معانى المؤاخذة دون جميعها واذ كان ذلك كذلك وكان من لزمته كفارة فى يمين حنث فيها مؤاخذا بها بعقوبة فى ماله عاجلة كان معلوما أنه غير الذى أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها واذ كان الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلنا بالذى عليه دللنا فمعنى الكلام اذا لا يؤاخذكم الله أيها الناس بلغو من القول والايمان اذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ولا خلاف أمره ولم تقصدوا بها اثما ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم به الاثم وأوجبتموه على أنفسكم وعزمت عليه قلوبكم و يكفر ذلك عنكم فيغطى على شئ ما كان منكم من كذب وزور قول ومحوه عنكم فلا يتبعكم به ربكم اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أعدله كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول فى هذه الآية من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم قال عطاء أوسطه أعدله واختلف أهل التأويل فى معنى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم فقال بعضهم معناه من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذى يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال أخبرنا شريك عن عبد الله بن حنش عن الاسود قال سألته عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والتمر والزيت والسمن وأفضله اللحم حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد عن ذلك فقال الخبز والتمر زاد هناد فى حديثه والزيت قال وأحسبه والخل حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو الاحوص عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن ابن عمر فى قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من أوسط ما يطعم أهله الخبز والتمر والخبز والسمن والخبز والزيت ومن أفضل ما يطعمهم الخبز واللحم حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن ابن سيرين عن ابن عمر من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز واللحم والخبز والسمن والخبز والجبن والخبز والخل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد عن أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والتمر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنا عبد الله بن حنش قال سألت الاسود بن يزيد فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سعيد بن عبد الرحمن

عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني من أوسط ما تطعمون أهليكم قال الخبز والسمن حدثنا
هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن عبد الرحمن عن ابن سيرين
قال سألت عبيدة عن ذلك فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا أزهر قال أخبرنا ابن عون عن
محمد بن سيرين عن عبيدة من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز والسمن حدثنا هناد قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين قال كانوا يقولون أفضله الخبز
واللحم وأوسطه الخبز والسمن وأخسه الخبز والتمر حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن قال خبز ولحم أو خبز وسمن أو خبز ولبن حدثنا هناد
وابن وكيع قالا ثنا عمر بن هرون عن أبي مصلح عن الضحاك في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم
قال الخبز واللحم والمرقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن يحيى بن حبان
الطائي قال كنت عند شريح فأتاه رجل فقال اني حلفت على يمين فأثمت قال شريح ما حملك على
ذلك قال قدر علي فما أوسط ما أطعم أهلي قال له شريح الخبز والزيت والخل طيب قال فأعاد عليه
فقال له شريح ذلك ثلاث مرار لا يزيده شريح على ذلك فقال له أرأيت ان أطعمت الخبز واللحم
قال ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس حدثنا هناد قال ثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن أبي
اسحق عن الحرث عن علي قال في كفارة اليمين يغديهم ويعشيهم خبزا وزيتا أو خبزا وسمنا أو خلا
وزيتا حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن زبرقان عن أبي رزين من أوسط
ما تطعمون أهليكم خبز وزيت وخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن هشام بن محمد
قال أكلة واحدة خبز ولحم قال وهو من أوسط ما تطعمون أهليكم وانكم لتأكلون الخبيص
والفاكهة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى وحدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام
عن الحسن قال في كفارة اليمين يجزيك أن تطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبزا ولحما فان لم تجد
خبزا وسمنا ولبنا فان لم تجد فخبزا وخلا وزيتا حتى يشبعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير
عن زبرقان قال سألت أبا رزين عن كفارة اليمين ما يطعم قال خبزا وخلا وزيتا من أوسط ما تطعمون
أهليكم وذلك قدر قوتهم يوما واحدا ثم اختلف قائلو ذلك في مبلغه فقال بعضهم مبلغ ذلك نصف
صاع من حنطة أو صاع من سائر الحبوب غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عبد الله بن عمر وبن مرة عن أبيه عن ابراهيم عن عمر قال اني
لأحلف على اليمين ثم يبدو لي فاذا رأيتني قد فعلت ذلك فأطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدا ن
من حنطة حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية وأبو يعلى عن الاعمش عن شقيق عن يسار بن نمير قال
قال عمر اني لأحلف أن لا أعطي أقواما ثم يبدو لي أن أعطيهم فاذا رأيتني فعلت ذلك فأطعم عني
عشرة مساكين بين كل مسكينين صاعا من بر أو صاعا من تمر حدثنا هناد ومحمد بن العلاء
قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عمرو بن مرة عن عبد الله
بن سلمة عن علي قال كفارة اليمين اطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة
حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن ابراهيم من أوسط ما تطعمون أهليكم نصف صاع
لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا حفص عن عبد الكريم الجزري قال قلت لسعيد بن جبير
أطعمهم قال لا أعطهم مدين مدين من حنطة مدا لطعامه ومدا لادامه حدثنا أبو كريب قال ثنا
وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الكريم الجزري قال قلت لسعيد
فذكر نحوه حدثنا هناد قال ثنا أبو زيد عن حصين قال سألت الشعبي عن كفارة اليمين
فقال مكوكين مكوكا لطعامه ومكوكا لادامه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا

ما اتخذوا المشركين أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال ولو أن هؤلاء المشركين يؤمنون بالله ومحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم اليهود أولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد أو كل من له أهلية الخطاب أشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله للذين آمنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد وظاهر الآية يدل على أن اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبه على تقدم قدمهم في العداوة بتقديمهم على الذين أشركوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهودي بمسلم الا هما بقتله لكنه روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي أن المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال آخرون مذهب اليهود أنه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان بالقتل أو بغصب المال أو بوجوه المكايد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد أكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالأشد والاقرب وفي الآية من الفائدة أن التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا

تحزن على كيدهم ثم ذكر سبب
ذلك التفاوت فقال ذلك بأن منهم
قسيسين ورهبانا القس والقسيس
اسم لرئيس النصارى فى العلم والدين
وكأنه من القس وهو تتبع الشئ
وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة
الروم وهذا مما وقع فيه الوفاق بين
اللغتين وقال عروة بن الزبير
ضيعت النصارى الانجيل
وأدخلت فيه ما ليس منه وبقى واحد
من علمائهم على الحق والدين يسمى
قسيسا فمن كان على هديه ودينه
فهو قسيس والرهبان جمع راهب
كركبان وفرسان فى راكب وفارس
وقيل انه واحد وجمعه رهابين
كقربان وقرابين ولكن النظم
يأباه وأصله من الرهبة بمعنى الخوف
من الله تعالى وانما صارت الرهبانية
ممدوحة فى مقابلة قساوة اليهود
وغلظتهم والافهى مذمومة فى
نفسها لقوله تعالى ورهبانية
ابتدعوها ولقوله صلى الله عليه وسلم
لا رهبانية فى الاسلام وههنا نكتة
هى أن كفر النصارى حيث انهم
ينازعون فى الالهيات والنبوات
جميعا أغلظ فى الحقيقة من كفر
اليهود لانهم لا ينازعون الا فى
النبوات الا بعضهم القائلين بأن
عزيرا ابن الله ثم ان النصارى لما لم
يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى
الحياة وأقبلوا على العلم والبراءة من
الكبر خصهم الله تعالى بالمدح
وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم
أحرص الناس على حياة غلت
أيديهم فتبين صحة قوله صلى الله عليه
وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة

هشام عن عطاء عن ابن عباس قال لكل مسكين مدين حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام
عن عطاء عن ابن عباس قال لكل مسكين مدين من بر فى كفارة اليمين حدثنا هناد قال ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال مدان من طعام
لكل مسكين حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعد بن يزيد أبو سلمة قال سألت
جابر بن زيد عن اطعام المسكين فى كفارة اليمين فقال أكلة قلت فان الحسن يقول مكوك بر
ومكوك تمر فقال ان مكوك بر فقال ان مكوك بر لا أو مكوك تمر لا قال يعقوب قال ابن علية وقال
أبو سلمة بيده كأنه يراه حسنا وقلب أبو سلمة يده حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام
عن الحسن أنه كان يقول فى كفارة اليمين فيما وجب فيه الطعام مكوك بر ومكوك تمر لكل
مسكين حدثنا هناد قال ثنا وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن قال ان جمعهم
أشبعهم اشباعة واحدة وان أعطاهم أعطاهم مكوكا مكوكا حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية
عن يونس قال كان الحسن يقول فان أعطاهم فى أيديهم فمكوك بر ومكوك تمر حدثنا ابن
وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك فى كفارة اليمين نصف صاع
لكل مسكين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبيه عن الحكم فى قوله اطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال اطعام نصف صاع لكل مسكين حدثنا ابن بشار
قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن مغيرة عن ابراهيم قال أوسط ما تطعمون أهليكم
نصف صاع حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد
ابن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين قال
الطعام لكل مسكين نصف صاع من تمر أو بر * وقال آخرون بل مبلغ ذلك من كل شئ من الحبوب
مدواحد ذكر من قال ذلك حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع
قال ثنا أبى عن هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن زيد بن ثابت أنه قال فى
كفارة اليمين مد من حنطة لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبى هند
عن عكرمة عن ابن عباس قال فى كفارة اليمين مد من حنطة لكل مسكين ربعه ادامه حدثنا
هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن سفيان عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس نحوه
حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر اطعام عشرة مساكين
لكل مسكين مد حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع قال ثنا العمرى عن نافع عن ابن عمر
قال مد من حنطة لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن يحيى بن سعيد عن نافع
عن ابن عمر أنه كان يكفر اليمين بعشرة أمداد بالمد الاصغر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن
مهدى عن حماد بن سلمة عن عبيد الله عن القاسم وسالم فى كفارة اليمين ما يطعم قالا مد لكل
مسكين حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار قال كل
الناس اذا كفر أحدهم كفر بعشرة أمداد بالمد الاصغر حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون
عن ابن جريج عن عطاء فى قوله اطعام عشرة مساكين قال عشرة أمداد لعشرة مساكين حدثنا
بشر قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن اطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال كان يقال البر والتمر لكل مسكين مد من تمر ومد من
بر حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مالك بن
مغول عن عطاء قال مد لكل مسكين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى
قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من أوسط ما تعولونهم قال وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة قال أبو زيد هو الوسط مما يقوت به أهله ليس بأدناه ولا أرفعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب من أوسط ما تطعمون أهليكم قال مد * وقال آخرون بل ذلك غداء وعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو خالد الاحمر عن حجاج عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال في كفارة اليمين يغديهم ويعشيهم حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي في كفارة اليمين قال غداء وعشاء حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن يونس عن الحسن قال يغديهم ويعشيهم * وقال آخرون انما عنى بقوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أوسط ما يطعم الكفر أهله قال ان كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة وان كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله في عسره ويسره ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ان كنت تشبع أهلك فأشبع المساكين والا فعلى ما تطعم أهلك بقدره حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم وهو أن تطعم كل مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع أو نصف صاع من بر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر عن ابن عباس قال من عسرهم ويسرهم حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال من عسرهم ويسرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن مهدي قال ثنا سفيان عن سليمان بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير من أوسط ما تطعمون أهليكم قال قوتهم حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن سليمان العبسي عن سعيد بن جبير في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال قوتهم حدثنا أبو حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عنبسة عن سليمان بن عبيد العبسي عن سعيد بن جبير في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال كانوا يفضلون الحر على العبد والكبير على الصغير فنزلت من أوسط ما تطعمون أهليكم حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال كانوا يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير ويطعمون الحر ما لا يطعمون العبد فقال من أوسط ما تطعمون أهليكم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ان كنت تشبع أهلك فأشبعهم وان كنت لا تشبعهم فكل ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيبان النحوي عن جابر عن عامر عن ابن عباس من أوسط ما تطعمون أهليكم قال من عسرهم ويسرهم حدثنا يونس قال ثنا سفيان عن سليمان عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس كان الرجل يقوت بعض أهله قوتا دونا وبعضهم قوتا فيه سعة فقال الله من أوسط ما تطعمون أهليكم الخبز والزيت * وأولى الاقوال في تأويل قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم عندنا قول من قال من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلها بذلك وردت وذلك أن حكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الحالق من الاذى بفرق من طعام بين ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعا بين ستين مسكينا لكل مسكين ربع صاع ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شئ من الكفارات أمر باطعام خبز وادام

قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم هل تعرفون شيأ مما أنزل عليكم قالوا نعم ففرؤا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرؤا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال آخرون قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشأم وهم بحيرا الراهب وأبرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وآمنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء وأصله تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل أن يكون الدمع مصدر دمعت عينه وقصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء كأن الأعين تفيض بأنفسها ومعنى مما عرفوا من الحق أي مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق فمن الاولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع نشأ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني أنهم عرفوا بعض الحق

فأبكاهم فكيف لو عرفوا كله
وأحاطوا بالسنة ربنا آمنا المراد
انشاء الايمان لا الاخبار عنه
فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وقد مر مثله في
آل عمران ومالنا انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع حصول موجبه
وهو الطمع في انعام الله عليهم
بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين
قالوا ذلك في أنفسهم أو فيما بينهم
أو في جواب قومهم حين رجعوا
اليهم ولا موهم ومحل لا نؤمن نصب
على الحال نحو مالك قائما والعامل
فيه معنى الفعل أي ما نصنع غير
مؤمنين وهو العامل أيضا في ونطمع
لكن مقيدا بالحال الاولى لانك
لو حذفتها وقلت ومالنا ونطمع
لا حلت ويحتمل أن يكون ونطمع
حالا من لا نؤمن كأنهم أنكروا أن
لا يوحدوا الله وهم يطمعون في
الثواب وأن يكون عطفا على لا نؤمن
أي مالنا نجمع بين التثليث وبين
الطمع أو مالنا لا نجمع بين الايمان
وبين الطمع فأثابهم الله بما قالوا
ظاهره يدل على أنهم انما استحقوا
الثواب بمجرد القول ولكن فيما
سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل
على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما
انضاف اليه القول كمل الايمان
ويحتمل أن يكون مأخوذا من
قولك هذا قول فلان أي اعتقاده
ومذهبه وروى عطاء عن ابن عباس
أن المراد بما سألوا من قولهم
فاكتبنا مع الشاهدين قال أهل
السنة فيه دليل على أن المعرفة مع
الاقرار توجب حصول الثواب

ولا بغداء وعشاء فاذا كان ذلك كذلك وكانت كفارة اليمين احدى الكفارات التي تلزم من لزمته
كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم من أن الواجب على مكفرها من الطعام
مقدار للمساكين العشرة محدود بكيل دون جعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم اذ كانت سنته
صلى الله عليه وسلم في سائر الكفارات كذلك فاذ كان صحيحا ما قلنا مما به استشهدنا فبين أن تأويل
الكلام ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أعدل اطعامكم
أهليكم وأن ما التي في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم بمعنى المصدر لا بمعنى الاسماء واذا كان ذلك
كذلك فأعدل أقوات الموسع على أهله مدان وذلك نصف صاع في ربعه ادامه وذلك أعلى ما حكم
به النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة في اطعام مساكين وأعدل أقوات المقتر على أهله مد وذلك ربع
صاع وهو أدنى ما حكم به في كفارة في اطعام مساكين وأما الذين رأوا اطعام المساكين في كفارة
اليمين الخبز واللحم وما ذكرنا عنهم قبل والذين رأوا أن يغدوا أو يعشوا والذين رأوا أن يغدوا
ويعشوا فانهم ذهبوا الى تأويل قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم من أوسط الطعام الذي تطعمونه
أهليكم فجعلوا ما التي في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم اسما لا مصدرا فأوجبوا على المكفر
اطعام المساكين من أعدل ما يطعم أهله من الاغذية وذلك مذهب لو لا ما ذكرنا من سنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات غيرها التي يجب الحاق أشكالها بها وان كفارة اليمين لها نظيرة
وشبيهة يجب الحاقها بها ۞ القول في تأويل قوله ﴿أو كسوتهم﴾ يعني تعالى ذكره بذلك
فكفارة ما عقدتم من الأيمان اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم يقول اما أن تطعموهم أو
تكسوهم والخيار في ذلك الى المكفر * واختلف أهل التأويل في الكسوة التي عنى الله بقوله أو
كسوتهم فقال بعضهم عنى بذلك كسوة ثوب واحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال
ثنا ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في كسوة المساكين في كفارة اليمين أدناه ثوب
حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قال أدناه ثوب وأعلاه ما شئت حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن الربيع
عن الحسن قال في كفارة اليمين في قوله أو كسوتهم ثوب لكل مسكين حدثنا ابن وكيع قال
ثنا ابن مهدي عن وهيب عن ابن طاوس عن أبيه أو كسوتهم قال ثوب حدثنا هناد قال ثنا
عبيدة وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير جميعا عن منصور عن مجاهد في قوله أو
كسوتهم قال ثوب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله أو كسوتهم
قال ثوب ثوب قال منصور القميص أو الرداء أو الازار حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع
وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر في قوله أو كسوتهم قال
كسوة الشتاء والصيف ثوب ثوب حدثنا هناد قال ثنا عمر بن هرون عن ابن جريج عن عطاء
في قوله أو كسوتهم قال ثوب ثوب لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا عبدة بن سليمان عن سعيد
ابن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم في قوله أو كسوتهم قال اذا كساهم ثوبا ثوبا أجزأ عنه
حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمان الرازي عن ابن سنان عن حماد قال ثوب أو ثوبان وثوب
لا بد منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن
ابن عباس قال ثوب ثوب لكل انسان وقد كانت العباءة تقضي يومئذ من الكسوة حدثني المثنى
قال ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو كسوتهم قال
الكسوة عباءة لكل مسكين أو شملة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل
عن السدي عن أبي مالك قال ثوب أو قميص أو رداء أو ازار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي

قال

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ان اختار صاحب اليمين الكسوة كسا عشرة أناسى كل انسان عباءة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول فى قوله أو كسوتهم الكسوة ثوب ثوب وقال بعضهم عنى بذلك الكسوة ثوبين ثوبين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا عبيدة وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية جميعا عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب فى قوله أو كسوتهم قال عباءة وعمامة حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب قال عمامة يلف بها رأسه وعباءة يلتحف بها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أشعث عن الحسن وابن سيرين قال ثوبين ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن يونس عن الحسن قال ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن يونس عن الحسن مثله حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع عن سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال ثوبان ثوبان لكل مسكين حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن أبى موسى أنه حلف على يمين فكسا ثوبين من معقدة البحرين حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة البحرين حدثنا هناد قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن محمد بن عبد الاعلى أن أبا موسى الاشعرى حلف على يمين فرأى أن يكفر ففعل وكساعشرة ثوبين ثوبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن هشام عن محمد أن أبا موسى حلف على يمين فكفر فكساعشرة مساكين ثوبين ثوبين حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب قال عباءة وعمامة لكل مسكين حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبى هند قال قال رجل عند سعيد بن المسيب أو كاسوتهم فقال سعيد لا انما هى أو كسوتهم قال قلت يا أبا محمد ما كسوتهم قال لكل مسكين عباءة وعمامة عباءة يلتحف بها وعمامة يشد بها رأسه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو كسوتهم قال الكسوة لكل مسكين رداء وازار كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة * وقال آخرون بل عنى بذلك كسوتهم ثوب جامع كالملحفة والكساء والشئ الذى يصلح للبس والنوم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم قال الكسوة ثوب جامع حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا ابن فضيل عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله أو كسوتهم قال ثوب جامع قال وقال مغيرة والثوب الجامع الملحفة أو الكساء أو نحوه ولا نرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال ثوب جامع حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن مغيرة عن ابراهيم قال ثوب جامع حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أو كسوتهم قال ثوب جامع لكل مسكين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وشعبة عن المغيرة عن ابراهيم فى قوله أو كسوتهم قال ثوب جامع حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن المغيرة مثله * وقال آخرون عنى بذلك كسوة ازار ورداء أو قميص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن بردة عن نافع عن ابن عمر قال فى الكسوة فى الكفارة ازار ورداء وقميص * وقال آخرون كل ما كسا فيجزى والآية على عمومها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن مجاهد قال يجزى

وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار فلا بد أن يؤل حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا أن الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب ولكن بشرط عدم الاحباط * (التأويل) لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل مع ذرات ذريات آدم عليه السلام وأرسلنا اليهم رسلا بالاجساد فى عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية فى عالم الغيب فريقا كذبوا يعنى الالهامات والواردات وفريقا يقتلون فى عالم الحس لقد كفر الذين قالوا النصارى أرادوا أن يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا فى أودية الشبهات وأمة محمد صلى الله عليه وسلم سلكوا الطريق بأقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فأسقط عنهم براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلى يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل أنت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فتحقق لهم أن عيسى بعد التزكية والتصلية صار قابلا للفيض الالهى فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما أن المرايا المحرقة تحرق بما قابلت من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى بن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة قبوله قبول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمى العصيان منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة

معروفا لأنها توجب المعرفة ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا يعني أن تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم ثبت لهم القرابة والمودة من أهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فآمنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله ويشاهدونه بلوائح المعرفة وطوالع المحبة فالاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات

في كفارة اليمين كل شيء الا التبان حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أشعث عن الحسن قال يجزئ عمامة في كفارة اليمين حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أويس الصيرفي عن أبي الهيثم قال قال سلمان نعم الثوب التبان حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الشيباني عن الحكم قال عمامة يلف بها رأسه * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن قول من قال عنى بقوله أو كسوتهم ما وقع عليه اسم كسوة مما يكون ثوبا قصاعدا لان ما دون الثوب لا خلاف بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية فكان ما دون قدر ذلك خارجا من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية اذ لم يأت من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الامة اجماع بأنه غير داخل في حكمها وغير جائز اخراج ما كان ظاهر الآية محتملا من حكم الآية الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة بذلك * القول في تأويل قوله ﴿أو تحرير رقبة﴾ يعني تعالى ذكره بذلك أو فك عبد من أسر العبودة وذلها وأصل التحرير الفك من الاسر ومنه قول الفرزدق بن غالب

أبني غدانة اني حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جعال

يعني بقوله حررتكم فككت رقابكم من ذل الهجاء ولزوم العار وقيل تحرير رقبة والمحرر صاحب الرقبة لان العرب كان من شأنها اذا أسرت أسيرا أن تجمع يديه الى عنقه بقيد أو حبل أو غير ذلك واذا أطلقته من الاسر أطلقت يديه وحللتهما مما كانتا به مشدودتين الى الرقبة فجرى الكلام عند اطلاقهم الاسير بالخبر عن فك يديه عن رقبته وهم يريدون الخبر عن اطلاقه من أسره كما يقال قبض فلان يده عن فلان اذا أمسك يده عن نواله وبسط فيه لسانه اذا قال فيه سوأ فيضاف الفعل الى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله لاستعمال الناس ذلك بينهم وعلمهم بمعنى ذلك فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره أو تحرير رقبة أضيف التحرير الى الرقبة وان لم يكن هناك غل في رقبته ولا شد يد اليها وكان المراد بالتحرير نفس العبد بما وصفنا من جرى استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه فان قال قائل أفكل الرقاب معنيّ بذلك أو بعضها قيل بل معنيّ بذلك كل رقبة كانت سليمة من الاقعاد والعمى والخرس وقطع اليدين أو شللهما والجنون المطبق ونظائر ذلك فان من كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ في كفارة اليمين فكان معلوما بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر فانهم معنيون به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول من كانت عليه رقبة واجبة فاشترى نسمة قال ان أنقذها من عمل أجزأته ولا يجوز عتق من لا يعمل فأما الذي يعمل فالأعور ونحوه وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ كالأعمى والمقعد حدثنا هناد قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن قال كان يكره عتق المخبل في شيء من الكفارات حدثنا هناد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يرى عتق المغلوب على عقله يجزئ في شيء من الكفارات وقال بعضهم لا يجزئ في الكفارة من الرقاب الا الصحيح ويجزئ الصغير فيها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال لا يجزئ في الرقبة الا الصحيح حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يجزئ المولود في الاسلام من رقبة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم قال ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة فلا يجزئ الا ما صام وصلى وما كان ليس بمؤمنة فالصبي يجزئ وقال بعضهم لا يقال للمولود رقبة الا بعد مدة تأتي عليه ذكر من

قال

قال ذلك حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن شعيب بن شابور عن النعمان بن المنذر عن سليمان قال اذا ولد الصبي فهو نسمة واذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة واذا صلى فهو مؤمنة ۞ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى عم بذكر الرقبة كل رقبة فأي رقبة حررها المكفر يمينه في كفارته فقد أدى ما كلف الا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنه بالتحرير فذلك خارج من حكم الآية وما عدا ذلك فجائز تحريره في الكفارة بظاهر التنزيل والمكفر مخير في تكفير يمينه التي حنث فيها باحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه وذلك اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة باجماع من الجميع لا خلاف بينهم في ذلك فان ظن ظان أن ما قلنا من أن ذلك اجماع من الجميع ليس كما قلنا لما حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا سليمان الشيباني قال ثنا أبو الضحى عن مسروق قال جاء نعمان ابن مقرن الى عبد الله فقال اني آليت من النساء والفراش فقرأ عبد الله هذه الآية لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال فقال نعمان انما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية فقال عبد الله اثت النساء ونم وأعتق رقبة فانك موسر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني جرير بن حازم أن سليمان الاعمش حدثه عن ابراهيم بن يزيد النخعي عن همام ابن الحرث أن نعمان بن مقرن سأل عبد الله بن مسعود فقال اني حلفت أن لا أنام على فراشي سنة فقال ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم كفر عن يمينك ونم على فراشك قال بم أكفر عن يميني قال أعتق رقبة فانك موسر ونحو هذا من الاخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما فان ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير عما أمروه به بالتكفير من الرقاب لا على أنه كان لا يجزي عندهم التكفير للموسر الا بالرقبة لانه لم ينقل أحد عن أحد منهم أنه قال لا يجزي الموسر التكفير الا بالرقبة والجميع من علماء الامصار قديمهم وحديثهم مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر ففي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بغيره ۞ القول في تأويل قوله ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ يقول تعالى ذكره فمن لم يجد لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفر بها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فصيام ثلاثة أيام يقول فعليه صيام ثلاثة أيام ثم اختلف أهل العلم في معنى قوله فمن لم يجد ومتى يستحق الحانث في يمينه الذي تلزمه الكفارة اسم غير واجد حتى يكون ممن له الصيام في ذلك فقال بعضهم اذا لم يكن للحانث في وقت تكفيره عن يمينه الا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته فان له أن يكفر بالصيام فان كان عنده في ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم لزمه التكفير بالاطعام أو الكسوة ولم يجزه الصيام حينئذ وممن قال ذلك الشافعي حدثنا بذلك عنه الربيع وهذا القول قصد ان شاء الله ممن أوجب الطعام على من كان عنده درهمان وممن أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم وبنحو ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اذا لم يكن له الا ثلاثة دراهم أطعم قال يعني في الكفارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني معتمر بن سليمان قال قلت لعمر بن راشد الرجل يحلف ولا يكون عنده من الطعام الا بقدر ما يكفر قال كان قتادة يقول يصوم ثلاثة أيام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال اذا كان عنده درهمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن حماد عن عبد الكريم

ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون﴾ القراآت بما عقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد من أوصط مثل مبصوطتان بفراء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة

بالتنوين طعام بالرفع قيما بغير ألف ابن عامر ۞ أو قوف ولا تعتدوا ط المعتدين ○ طيبا ص لعطف المتفقتين مؤمنون ○ الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رقبة ط ثلاثة أيام ط حلفتم ط للاضمار أي حلفتم وحنثتم أيمانكم ط تشكرون ○ تفلحون ○ وعن الصلاة ج لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء فيه منتهون ○ واحذروا ط المبين ○ وأحسنوا ط المحسنين ○ بالغيب ج أليم ○ وأنتم حرم ط وبال أمره ط سلف ط منه ط انتقام ○ وللسيارة ج لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون ○ والقلائد ط عليم ○ رحيم ○ البلاغ ط تكتمون ○ كثرة الخبيث ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون ○

۞ التفسير انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع أهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام فبدأ بجمل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم أن مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم في هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون منهم أبو بكر وعلي وابن مسعود وأبو ذر

ابن أبي أمية عن سعيد بن جبير قال ثلاثة دراهم وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده مائتا درهم أن يصوم وهو ممن لا يجد وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده فضل عن رأس ماله يتصرف به لمعاشه ما يكفر به بالاطعام أن يصوم الا أن يكون له كفاية ومن المال ما يتصرف به لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما يكفر به عن يمينه وهذا قول كان يقوله بعض متأخري المتفقهة * والصواب من القول في ذلك عندنا أن من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه الا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته لا فضل له عن ذلك يصوم ثلاثة أيام وهو ممن دخل في جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق وان كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين أو يعتق رقبة فلا يجزيه حينئذ الصوم لان احدى الحالات الثلاث حينئذ من اطعام أو كسوة أو عتق حق قد أوجبه الله تعالى في ماله وجوب الدين وقد قامت الحجة بأن المفلس اذا فرق ماله بين غرمائه انه لا يترك ذلك اليوم الا مالا بد له من قوته وقوت عياله يومه وليلته فكذلك حكم المعدم بالدين الذي أوجبه الله تعالى في ماله بسبب الكفارة التي لزمت ماله واختلف أهل العلم في صفة الصوم الذي أوجبه الله في كفارة اليمين فقال بعضهم صفته أن يكون مواصلا بين الايام الثلاثة غير مفرقها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال كل صوم في القرآن فهو متتابع الا قضاء رمضان فانه عدة من أيام أخر حدثنا أبو كريب وهناد قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان أبي بن كعب يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن قزعة ابن سويد عن سيف بن سليمان عن مجاهد قال في قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا هناد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عون عن ابراهيم قال في قراءتنا فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم في قراءة أصحاب عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا هناد وأبو كريب قالا ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن عامر قال في قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد عن معمر عن ابن اسحق في قراءة عبد الله فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد عن معمر عن الاعمش قال كان أصحاب عبد الله يقرؤن فصيام ثلاثة أيام متتابعات حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول اذا فرق صيام ثلاثة أيام لم يجزه قال وسمعته يقول في رجل صام في كفارة يمين ثم أفطر قال يستقبل الصوم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فصيام ثلاثة أيام قال اذا لم يجد طعاما وكان في بعض القراءة فصيام ثلاثة أيام متتابعات وبه كان يأخذ قتادة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة الاول فالاول فان لم يجد من ذلك شيئا فصيام ثلاثة أيام متتابعات وقال آخرون جائز لمن صامهن أن يصومهن كيف شاء مجتمعات ومفترقات ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا أشهب قال قال مالك كل ما ذكر الله في القرآن من الصيام فأن يصام تباعا أعجب فان فرقها رجوت أن تجزئ عنه * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين اذا لم يجد الى تكفيرها بالاطعام أو الكسوة أو العتق

سبيلا أن يكفرها بصيام ثلاثة أيام ولم يشرط فى ذلك متتابعة فكيفما صامهن المكفر مفرقة
ومتتابعة أجزأه لان الله تعالى انما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام فكيفما أتى بصومهن أجزأ
وما روى عن أبى وابن مسعود من قراءتهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات فذلك خلاف ما فى
مصاحفنا وغير جائز لنا أن نشهد بشئ ليس فى مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله غير أنى
أختار للصائم فى كفارة اليمين أن يتابع بين الايام الثلاثة ولا يفرق لانه لا خلاف بين الجميع أنه
لو فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته وهم فى غير ذلك مختلفون ففعل ما لا يختلف
فى جوازه أحب الى وان كان الآخر جائزا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم
إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ يعنى تعالى ذكره
بقوله ذلك هذا الذى ذكرت لكم أنه كفارة أيمانكم من اطعام العشرة المساكين أو كسوتهم
أو تحرير الرقبة وصيام الثلاثة الايام اذا لم تجدوا من ذلك شيأ هو كفارة أيمانكم التى عقدتموها
إذا حلفتم واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته
لكم كذلك يبين الله لكم آياته كما بين لكم كفارة أيمانكم كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعنى
أعلام دينه فيوضحها لكم لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله لم أعلم حكم الله فى ذلك لعلكم
تشكرون يقول لتشكروا الله على هدايته اياكم وتوفيقه لكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها
الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
تفلحون﴾ وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم من
أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تشبها منهم بالقسيسين والرهبان فأنزل الله فيهم على نبيه صلى الله
عليه وسلم كتابه ينهاهم عن ذلك فقال يا أيها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم فتنهاهم
بذلك عن تحريم ما أحل الله لهم من الطيبات ثم قال ولا تعتدوا أيضا فى حدودى فتحلوا ما حرمت
عليكم فان ذلك لكم غير جائز كما غير جائز لكم تحريم ما حللت والى لا أحب المعتدين ثم أخبرهم
عن الذى حرم عليهم مما اذا استحلوه وتقدموا عليه كانوا من المعتدين فى حدوده فقال لهم يا أيها الذين
صدقوا الله ورسوله ان الخمر التى تشربونها والميسر الذى تياسرونه والأنصاب التى تذبحون عندها
والأزلام التى تستقسمون بها رجس يقول اثم ونتن سخطه الله وكرهه لكم من عمل الشيطان
يقول شربكم الخمر وقماركم على الجزر وذبحكم للانصاب واستقسامكم بالأزلام من تزيين
الشيطان لكم ودعائه اياكم اليه وتحسينه لكم لا من الأعمال التى ندبكم اليها ربكم ولا مما يرضاه
لكم بل هو مما يسخطه لكم فاجتنبوه يقول فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه لعلكم تفلحون يقول
لكى تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم بتركيكم ذلك وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام
فيما مضى فكرهنا اعادته وأما الأنصاب فانها جمع نصب وقد بينا معنى النصب بشواهده فيما
مضى وروى عن ابن عباس فى معنى الرجس فى هذا الموضع ما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله
ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله رجس من عمل
الشيطان يقول سخط وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله رجس من عمل الشيطان قال الرجس الشر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انما يريد
الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل أنتم منتهون﴾ يقول تعالى ذكره انما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح
ليحسن ذلك لكم ارادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح
فيعادى بعضكم بعضا ويبغض بعضكم الى بعض فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالايمان

الغفارى وسلمان الفارسى فاتفقوا
على أن يصوموا النهار ويقوموا
الليل ولا يناموا على الفرش ولا
يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويلبسوا المسوح
ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض
ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على
كذا وكذا قالوا يا رسول الله وما أردنا
الا الخير فقال انى لم أومر بذلك ان
لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم
وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم
والدسم من رغب عن سنتى فليس
منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال
ما بال أقوام حرموا النساء والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما
انى لست آمركم أن تكونوا قسيسين
ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك
اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع
وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم
الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به
شيأ وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة وصوموا رمضان فانما
هلك من قبلكم بالتشديد شددوا
على أنفسهم فشدد الله عليهم
فأولئك بقاياهم فى الديارات
والصوامع فأنزل الله هذه الآية
فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع
بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا حلفوا
على ما اتفقوا عليه فنزلت هذه الآية
لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم
فهذا وجه اتصال الآيات فان
قيل ما الحكمة فى قوله لا تحرموا
ومن المعلوم أن توسع الانسان

في اللذات والطيبات يمنعه عن
الاستغراق في تحصيل السعادات
الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا
شبعت الاجسام صارت الارواح
أجسادا واذا جاعت الاجسام
صارت الاجساد أرواحا فالجواب
أن الرهبانية المفرطة مما توقع الآفة
في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب
والكبد والدماغ والانثيان فيختل
الفكر ويقل التأمل في الجواهر
الروحانية ومبادئها على أن النفوس
القوية لا يمنعها التصرف في
الجسمانيات عن التأمل في
الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف
والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين
وكيف لا والرهبانية توجب خراب
الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك
الترهب مع رعاية وظائف الطاعة
يفضي الى سعادة الدارين قال
القفال انه تعالى قال في أول السورة
أوفوا بالعقود فبين أنه كما لا يجوز
تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل
وذلك أنهم كانوا يحلون الميتة والدم
ويحرمون البحائر والسوائب
ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم
ما أحل الله ولا تظهروا باللسان
تحريمه أو لا تجتنبوه اجتنابا يشبه
اجتناب المحرمات فهذه الوجوه
محمولة على الاعتقاد والقول والعمل
ويحتمل أن يراد لا تحرموا على
غيركم بالفتوى أو لا تلتزموا تحريمها
بنذر أو يمين كقوله يا أيها النبي
لم تحرم ما أحل الله لك أو لا تخلطوا
الحلال بالمغصوب أو الطاهر بالنجس
خلطا لا يبقى معه التمييز فانه يحرم الكل
والطيبات المستلذات التي تشتهيها

وجمعه بينكم بأخوة الاسلام ويصدكم عن ذكر الله يقول ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها
اياكم عليكم وباشتغالكم بها هذا الميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم وعن الصلاة
التي فرضها عليكم ربكم فهل أنتم منتهون يقول فهل أنتم منتهون عن شرب هذه والمياسرة بها
وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها ولزوم ذكره الذي به
نجح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله
نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب وهو أنه ذكر مكروها
شربها الرسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل الله تحريمها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري
قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فانزلت الآية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال
فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في النساء لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال وكان منادي النبي صلى الله عليه وسلم ينادي اذا
حضرت الصلاة لا يقربن الصلاة سكران قال فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر
بيانا شافيا قال فنزلت الآية التي في المائدة يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس الى قوله فهل أنتم منتهون فلما انتهى الى قوله فهل أنتم منتهون قال عمر انتهينا انتهينا
حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا أبي عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانها تذهب بالعقل والمال ثم ذكر نحو حديث وكيع حدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر بن الخطاب اللهم بين
لنا فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة
عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن
أبي اسحق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب مثله حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثني
أبو معشر المدني عن محمد بن قيس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه الناس وقد
كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوه عن ذلك فأنزل الله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر
قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فقالوا هذا شيء قد جاء فيه رخصة نأكل
الميسر ونشرب الخمر ونستغفر من ذلك حتى أتى رجل صلاة المغرب فجعل يقرأ قل يا أيها
الكافرون أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فجعل لا يجود ذلك ولا يدري ما يقرأ فأنزل الله
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان الناس يشربون الخمر حتى يجيء وقت الصلاة
فيدعون شربها فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون فلم يزالوا كذلك حتى أنزل الله تعالى انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل أنتم منتهون فقالوا انتهينا يا رب وقال اخرون نزلت هذه
الآية بسبب سعد بن أبي وقاص وذلك أنه كان لاحى رجلا على شراب لهما فضربه بلحى
جمل ففزر أنفه فنزلت فيهما ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال
ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد أنه قال صنع رجل من الانصار
طعاما فدعانا فقال فسقينا من الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل
منكم قال فأخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به أنف سعد ففزره فكان سعد أفزر الانف قال
فنزلت هذه الاية يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى آخر الآية حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص
عن سماك عن مصعب بن سعد قال قال سعد شربت مع قوم من الانصار فضربت رجلا منهم أنفه
بفك جمل فكسرته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر يا أيها الذين

آمنوا انما الخمر والميسر الى آخر الآية حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن أبيه قال شربت الخمر مع قوم من الانصار فذكر نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن ابن شهاب أخبره أن سالم بن عبد الله حدثه أن أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص وأصحابا له شربوا فاقتتلوا فكسر وا أنف سعد فأنزل الله انما الخمر والميسر الآية وقال آخرون نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا أخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رؤفا رحيما ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال ناس من المسلمين هي رجس وهي في بطن فلان قتل يوم بدر وقتل فلان يوم أحد فانزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية حدثنا محمد بن خلف قال ثنا سعيد بن محمد الجرمي عن أبي تميلة عن سلام مولى حفص بن أبي قيس عن أبي بريدة عن أبيه قال بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلالا اذ قلت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى آخر الآيتين فهل أنتم منتهون فجئت الى أصحابي فقرأتها عليهم الى قوله فهل أنتم منتهون قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضا وبقي بعض في الاناء فقال بالاناء فجعل شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا انتهينا ربنا انتهينا ربنا وقال آخرون انما كانت العداوة والبغضاء كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب الميسر لا بسبب السكر الذي يحدث فيهم من شرب الخمر فلذلك نهاهم الله عن الميسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال بشر وقد سمعته من يزيد وحدثنيه قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يدي غيره فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله أعلم بالذي يصلح خلقه والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى قد سمى هذه الاشياء التي سماها في هذه الآية رجسا وأمر باجتنابها وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نال سعدا من الانصاري عند انتشائهما من الشراب وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يسره وبغضه وليس عندنا بأي ذلك كان خبر قاطع للعذر غير أنه أي ذلك كان فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف وغير ضائر هم الجهل بالسبب الذي له نزلت هذه الآية فالخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فرض على جميع من بلغته الآية من التكليف اجتناب جميع ذلك كما قال تعالى فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول في اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعالي التي بينها لكم في هذه الآية وغيرها من نهي الشيطان في أمره اياكم بمعصية الله في ذلك وفي غيره فانه انما يبغي لكم العداوة والبغضاء

النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا أمر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في ادخال من التبعيضية ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه أنه تعالى هو الذي يرزق عبيده وتكفل برزقهم قال في التفسير الكبير قوله حلالا طيبا ان كان متعلقا بالا كل كان حجة للمعتزلة على أن الرزق لا يكون الا حلالا لأنه يدل على الاذن في أكل كل ما رزق الله تعالى وانما يأذن في أكل الحلال فيلزم أن يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالمأكول أي كلوا من الرزق الذي يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بأن الرزق قد لا يكون حلالا أقول هذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع أنه من المعتزلة ثم أكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب اتقاءه في أوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم انفا وقد تقدم معنى يمين اللغو في سورة البقرة أما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرأ بالتشديد فان أبا عبيدة اعترض عليه بأن التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة وأجاب الواحدي بأن عقد بالتخفيف

وعقد بالتشديد واحد فى المعنى ولو
سلم فالتكرير يحصل بأن يعقدها
بقلبه ولسانه أما لو عقد اليمين
بأحدهما دون الآخر فلا كفارة
ومن قرأ بالالف فمثل القراءة المخففة
كقولك عاقبت اللص وعافاه الله
والمعنى على القراءتين ولكن
يؤاخذكم بعقد الايمان أو بتعقيدها
أو معاقدتها اذا حنثتم فحذف
الظرف للعلم به أو المراد بنكث
ما عقدتم بحذف المضاف فكفارته
أى الفعلة التى من شأنها أن تكفر
الخطيئة أى تسترها أحد هذه
الامور ويسمى بالواجب المخير
وحاصله أنه لا يجب الاتيان بكل
واحد منها ولا يجوز الاخلال
بجميعها ولكنه اذا أتى بأى واحد
منها فانه يخرج عن العهدة
ومن هنا قال أكثر الفقهاء الواجب
واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة
وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا
فالواجب شئ آخر وهو الصوم
أما مقدار الطعام فقد قال الشافعى
نصيب كل مسكين مد أى ثلثا من
وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت
وسعيد بن المسيب والحسن
والقاسم لانه تعالى قال من أوسط
ما تطعمون فان كان المراد ما كان
متوسطا فى العرف فثلثا من من الحنطة
اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير قريبا
من المن وذلك كاف لواحد فى يوم
واحد وان كان المراد ما كان متوسطا
فى الشرع فليس له فى الشرع مقدار
الا ما جاء فى قصة الاعرابى المفطر
فى نهار رمضان أن النبى صلى الله
عليه وسلم أمره باطعام ستين

بينكم بالخمر والميسر واحذروا يقول واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند ما نهاكم عنه من هذه
الامور التى حرمها عليكم فى هذه الآية وغيرها أو يفقدكم عند ما أمركم به فتوبقوا أنفسكم
وتهلكوها فان توليتم يقول فان أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به وتنتهوا عما نهيناكم عنه ورجعتم
مدبرين عما أنتم عليه من الايمان والتصديق بالله وبرسوله واتباع ما جاءكم به نبيكم فاعلموا أنما
على رسولنا البلاغ المبين يقول فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه اليكم بالنذارة غير ابلاغكم الرسالة
التى أرسل بها اليكم مبينة لكم بيانا يوضح لكم سبيل الحق والطريق الذى أمرتم أن تسلكوه
وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية فعلى المرسل اليه دون الرسل وهذا من الله تعالى وعيد
لمن تولى عن أمره ونهيه يقول لهم تعالى ذكره فان توليتم عن أمرى ونهيى فتوقوا عقابى
واحذروا سخطى ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ يقول
تعالى ذكره للقوم الذين قالوا اذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه كيف بمن هلك من اخواننا وهم يشربونها وبنا وقد كنا
نشربها ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك فى الحال التى
لم يكن الله تعالى حرمه عليهم اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات يقول اذا ما اتقى الله الاحياء
منهم فخافوه وراقبوه فى اجتنابهم ما حرم عليهم منه وصدقوا الله ورسوله فيما أمرهم ونهاهم
فأطاعوهما فى ذلك كله وعملوا الصالحات يقول واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله فى
ذلك مما كلفهم بذلك ربهم ثم اتقوا وآمنوا يقول ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك
التكليف أيضا فثبتوا على اتقاء الله فى ذلك والايمان به ولم يغيروا ولم يبدلوا ثم اتقوا وأحسنوا
يقول ثم خافوا الله فدعاهم خوفهم الله الى الاحسان وذلك الاحسان هو العمل بما لم يفرض
عليهم من الاعمال ولكنه نوافل تقربوا بها الى ربهم طلب رضاه وهربا من عقابه والله يحب
المحسنين يقول والله يحب المتقربين اليه بنوافل الاعمال التى يرضاها فالاتقاء الاول هو الاتقاء
بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقاء الثانى الاتقاء بالثبات على
التصديق وترك التبديل والتغيير والاتقاء الثالث هو الاتقاء بالاحسان والتقرب بنوافل
الاعمال * فان قال قائل ما الدليل على أن الاتقاء الثالث هو الاتقاء بالنوافل دون أن يكون
ذلك بالفرائض قيل انه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربى الخمر التى شربوها قبل
تحريمه اياها اذا هم اتقوا الله فى شربها بعد تحريمها وصدقوا الله ورسوله فى تحريمها وعملوا
الصالحات من الفرائض ولا وجه لتكرير ذلك وقد مضى ذكره فى آية واحدة وبنحو الذى
قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه جاءت الاخبار عن الصحابة والتابعين
ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع
قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول
الله فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل باسناده نحوه حدثنا محمد
ابن بشار قال ثنى عبد الكبير بن عبد المجيد قال أخبرنا عباد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك
قال بينا أنا أدير الكاس على أبى طلحة وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء
وأبى دجانة حتى مالت رؤسهم من خليط بسر وتمر فسمعنا منادا ينادى ألا ان الخمر قد حرمت
قال فادخل علينا داخل ولا تخرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا

واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل أنتم منتهون فقال رجل يا رسول الله فما منزلة من مات منا وهو يشربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فقال رجل لقتادة سمعته من أنس بن مالك قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وحدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال لما حرمت الخمر قالوا كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية

حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال قال البراء مات ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريمها قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية

حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا داود عن ابن جريج عن مجاهد قال نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فيمن قتل ببدر وأحد مع محمد صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى قوله والله يحب المحسنين لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في سورة المائدة بعد سورة الأحزاب قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيب فلان يوم بدر وفلان يوم أحد وهم يشربونها فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذكره ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يقول شربها القوم على تقوى من الله واحسان وهي لهم يومئذ حلال ثم حرمت بعدهم فلا جناح عليهم في ذلك

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قال يا رسول الله ما نقول لاخواننا الذين مضوا كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا يعني قبل التحريم اذا كانوا محسنين متقين وقال مرة أخرى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الحرام قبل أن يحرم عليهم اذا ما اتقوا وأحسنوا بعد ما حرم وهو قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا يعني بذلك رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرم الخمر فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرم فلما حرمت قالوا كيف تكون علينا حراما وقد مات اخواننا وهم يشربونها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات يقول ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرمها اذا كانوا محسنين متقين والله يحب المحسنين

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي

مسكينا من غير ذكر مقدار فقال الرجل ما أجد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا تلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الأهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطر وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال أبو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة أو صاع من غيرها قال لان الأوسط هو الأعدل وماذكره الشافعي هو أدنى ما يكفي وأما الأعدل فيكون بادام وهكذا روى عن ابن عباس مد بادامه والادام تبلغ قيمته مدا آخر ويزيد في الاغلب أجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ماذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال أبو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الأهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من أوسط ما تطعمون أهليكم ولقائل أن يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لأجل كيفية الاطعام وقال أبو حنيفة لو أطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لأن مدار الباب على التعبد الذي

لا يعقل معناه فيجب الوقوف على مورد النص * قال في الكشاف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط ووجه بأن البدل هو المقصود فكانه قيل فكفارته من أوسط وأقول الأظهر أن يكون من أوسط مفعولا آخر للاطعام سواء كان من للابتداء أو للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزى في الكفارة أقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطى العورة ازار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روى عن ابن عباس كانت العباءة تجزى يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان أبيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب تجمع يداه الى رقبته فاذا أطلق حل ذلك الحبل فسمى الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم أجرى ذلك على العتق هكذا قيل في أصل هذا المجاز ومذهب أهل الظاهر أن جميع الرقاب تجزئه وقال الشافعي لا يجزئ الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت أو كبيرة ذكرا أو أنثى بعد أن كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شراء القريب وفي تقديم الاطعام على العتق مع أن العتق أفضل تنبيه على التخيير وأن الامر مبني على التخفيف ويمكن أن يقال الاطعام أفضل لان الحر الفقير قد لا يجد

نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا كان يشرب الخمر ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدر وأحد **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية هذا في شأن الخمر حين حرمت سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزل الله هذه الآية ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد يقول ليختبرنكم الله بشئ من الصيد يعني بعض الصيد وانما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشئ لأنه لم يبلهم بصيد البحر وانما ابتلاهم بصيد البر فالابتلاء ببعض لم يمتنع وقوله تناله أيديكم فانه يعني إما باليد كالبيض والفراخ وإما بالاصابة النبل والرماح وذلك كالحمر والبقر والظباء فيمتحنكم به في حال احرامكم بعمرتكم أو بحجكم وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال أيديكم صغار الصيد أخذ الفراخ والبيض والرماح قال كبار الصيد **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبي زائدة عن داود عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تناله أيديكم ورماحكم قال النبل ورماحكم تنال كبير الصيد وأيديكم تنال صغير الصيد أخذ الفرخ والبيض **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع و **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال ما لا يستطيع أن يفر من الصيد **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن حميد الأعرج عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أيديكم ورماحكم قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله تعالى به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثوري عن حميد الأعرج وليث عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر ۞ القول في تأويل قوله ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ يعني تعالى ذكره ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال احرامكم كي يعلم أهل طاعة الله والايمان به والمنتهون الى حدوده وأمره ونهيه من الذي يخاف الله فيتقي ما نهاه عنه ويجتنبه خوف عقابه بالغيب بمعنى في الدنيا بحيث لا يراه وقد بينا أن الغيب انما هو مصدر قول القائل غاب عني هذا الامر فهو يغيب غيبا وغيبة وأن ما لم يعاين فان العرب تسميه غيبا فتأويل الكلام اذا ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرمها عليه من الصيد وغيره بحيث لا يراه ولا يعاينه وأما قوله فمن اعتدى بعد ذلك فانه يعني فمن تجاوز حد الله الذي حده له بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام فاستحل ما حرم الله عليه منه بأخذه وقتله فله عذاب من الله أليم يعني مؤلم موجع ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تقتلوا الصيد الذي بينت لكم وهو صيد البر دون صيد البحر وأنتم حرم يقول وأنتم محرمون بحج أو عمرة والحرم جمع حرام والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد تقول

هذا رجل حرام وهذه امرأة حرام فاذا قيل لمحرم قيل للمرأة محرمة والاحرام هو الدخول فيه يقال أحرم القوم اذا دخلوا فى الشهر الحرام أو فى الحرم فتأويل الكلام لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بحج أو عمرة وقوله ومن قتله منكم متعمدا فان هذا اعلام من الله تعالى ذكره عباده حكم القاتل من المحرمين الصيد الذى نهاه عن قتله متعمدا * ثم اختلف أهل التأويل فى صفة العمد الذى أوجب الله على صاحبه به الكفارة والجزاء فى قتله الصيد فقال بعضهم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان قاتله احرامه فى حال قتله وقال ان قتله وهو ذاكر احرامه متعمدا قتله فلا حكم عليه وأمره قالوا وهذا أجل أمر امن أن يحكم عليه أو يكون له كفارة ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم من قتله منكم ناسيا لاحرامه متعمد القتله فذلك الذى يحكم عليه فان قتله ذاكرا لحرمه متعمد القتله لم يحكم عليه حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى الذى يقتل الصيد متعمدا وهو يعلم أنه محرم ومتعمد قتله قال لا يحكم عليه ولا جج وقوله ومن قتله منكم متعمدا قال هو العمد المكفر وفيه الكفارة والخطأ أن يصيبه وهو ناس لاحرامه متعمد القتله أو يصيبه وهو يريد غيره فذلك يحكم عليه مرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأه فذلك العمد المكفر حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن قتله منكم متعمدا قال متعمد القتله ناسيا لاحرامه حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد قال العمد هو الخطأ المكفر حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا ليث قال قال مجاهد فى قول الله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال فالعمد الذى ذكر الله تعالى أن يصيب الصيد وهو يريد غيره فيصيبه فهذا العمد المكفر فأما الذى يصيبه غير ناس ولا مريد لغيره فهذا لا يحكم عليه هذا أجل من أن يحكم عليه حدثنا ابن وكيع ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الهيثم عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا قال يقتله متعمد القتله ناسيا لاحرامه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا شعبة عن الهيثم عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال قال ابن جريج ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا لحرمه أو أراد غيره فأخطأه فذلك العمد المكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ومن قتله منكم متعمدا الصيد ناسيا لاحرامه فمن اعتدى بعد ما تعمد الصيد ذاكرا احرامه حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن أبى عدى قال ثنا اسمعيل بن مسلم قال كان الحسن يفتى فيمن قتل الصيد متعمدا ذاكرا لاحرامه لم يحكم عليه * قال اسمعيل وقال حماد عن ابراهيم مثل ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد بن سلمة قال أمرنى جعفر بن أبى وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم الآية فسألته فقال كان عطاء يقول هو بالخيار أى ذلك شاء ان شاء أهدى وان شاء أطعم وان شاء صام فأخبرت به جعفرا وقلت ما سمعت فيه فتلكأ على شيء ثم جعل يضحك ولا يخبرنى ثم قال كان سعيد بن جبير يقول يحكم عليه من النعم هديا بالغ الكعبة فان لم يجد يحكم عليه ثمنه فقوم طعاما فتصدق به فان لم يجد حكم عليه الصيام فيه من الطعام أو لا يكون هنالك من يعطيه فيقع فى الضر أما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التأخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك (فمن لم يجد) أحد الامور الثلاثة المذكورة (فصيام) فعليه صيام (ثلاثة أيام) قال الشافعى اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك أنه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلاث فعند وجدانها وجب أن لا يجوز الصوم تركا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لأن ذلك ضرورى وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقى الآية معمولا بها فى غيره وعند أبى حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا تجب فيه الزكاة * ثم صيام الأيام الثلاثة مشروط عند أبى حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة أبى وابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات فان قراءتهما لا تتخلف عن روايتهما وقال الشافعى فى أصح قوليه ان التفريق جائز والقراءة الشاذة لا يعتد بها لأنها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له على أيام من رمضان أفأقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم

فالدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فالله أحق أن يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق فى صوم رمضان ففى غيره أولى وأيضا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (مسئلة) من صام ستة أيام عن يمينين أجزأته ولا حاجة الى تعيين احدى الثلاثتين لاحدى اليمينين لان الواجب عن كل منهما ثلاثة أيام وقد أتى بها فيخرج عن العهدة (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على أن الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين وأما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعى وأحمد موافقا لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا فكفر عن يمينك ثم ائت بالذى هو خير ولان الكفارة حق مالى يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود أحد السببين كتعجيل الزكاة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم أما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تتقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلاة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بارتكاب محظور كأن حلف أن لا يشرب الخمر أجزأه التكفير قبل الشرب أيضا لوجود أحد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير

ثلاثة أيام الى عشرة **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنى ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا غير ناس لحرمه ولا مريد غيره فقد حل وليست له رخصة ومن قتله ناسيا أو أراد غيره فأخطأ به فذلك العمد المكفر **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذى يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرم فهؤلاء الذين يحكم عليهم فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام فذلك يوكل الى نقمة الله وذلك الذى جعل الله عليه النقمة **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن قتله منكم متعمدا قال متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه * وقال آخرون بل ذلك هو العمد من المحرم لقتل الصيد ذاكرا لحرمه ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع و**حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال يحكم عليه فى العمد والخطا والنسيان **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن جريج و**حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قال طاوس والله ما قال الله الا ومن قتله منكم متعمدا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنى بعض أصحابنا عن الزهرى أنه قال نزل القرآن بالعمد وجرت السنة فى الخطا يعنى فى المحرم يصيب الصيد **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم قال ان قتله متعمدا أو ناسيا لحكم عليه وان عاد متعمدا عجلت له العقوبة الا أن يعفو الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير قال انما جعلت الكفارة فى العمد ولكن غلظ عليهم فى الخطا كى يتقوا **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير نحوه **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال أخبرنا ابن جريج قال كان طاوس يقول والله ما قال الله الا ومن قتله منكم متعمدا * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى حرم قتل صيد البر على كل محرم فى حال احرامه مادام حراما بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد ثم بين حكم من قتل ما قتل من ذلك فى حال احرامه متعمدا لقتله ولم يخصص به المتعمد قتله فى حال نسيانه احرامه ولا المخطئ فى قتله فى حال ذكره احرامه بل عم فى التنزيل بايجاب الجزاء كل قاتل صيد فى حال احرامه متعمدا وغير متعمد جائزا حالة ظاهر التنزيل الى باطن من التأويل لادلالة عليه من نص كتاب ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجماع من الامة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه فاذ كان ذلك كذلك فسواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامدا قتله ذاكرا لاحرامه أو عامدا قتله ناسيا لاحرامه أو قاصدا غيره فقتله ذاكرا لاحرامه فى ان على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل من المسلمين أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما وهذا قول عطاء والزهرى الذى ذكرناه عنهما دون القول الذى قاله مجاهد وأما ما يلزم بالخطا قاتله فقد بينا القول فيه فى كتاب لطيف القول فى أحكام الشرائع مما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع وليس هذا الموضع مرادنا ذكره لان قصدنا فى هذا الكتاب الابانة عن تأويل التنزيل وليس فى التنزيل للخطا ذكر فنذكر أحكامه * وأما قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم فانه يقول وعليه كفارة وبدل يعنى بذلك جزاء المقتول يقول تعالى ذكره فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول مثل ما قتل من النعم وقد ذكر ذلك فى قراءة عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل من النعم وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة وبعض البصريين فجزاء مثل ما قتل من النعم باضافة الجزاء الى المثل وخفض

وقرأ

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بخفض جزاء مثل ما قتل بتنوين الجزاء ورفع المثل بتأويل فعليه جزاء مثل ما قتل وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ جزاء مثل ما قتل بتنوين الجزاء ورفع المثل لان الجزاء هو المثل فلا وجه لاضافة الشئ الى نفسه وأحسب أن الذين قرؤا ذلك بالاضافة رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم وليس ذلك كالذى ذهبوا اليه بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتول نظيره من النعم واذ كان ذلك كذلك فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه الله تعالى على قاتل الصيد ولن يضاف الشئ الى نفسه ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه بالتنوين ونصب المثل ولو كان المثل غير الجزاء لجاز في المثل النصب اذ انون الجزاء كما نصب اليتيم اذ كان غير الاطعام في قوله أو اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة وكما نصب الاموات والاحياء ونون الكفات في قوله ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا اذ كان الكفات غير الأحياء والاموات وكذلك الجزاء لو كان غير المثل لاتسعت القراءة في المثل بالنصب اذا نون الجزاء ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل اذ كان المثل هو الجزاء وكان معنى الكلام ومن قتله منكم متعمدا فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم * ثم اختلف أهل العلم في صفة الجزاء وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين ما قتل من النعم فقال بعضهم ينظر الى أشبه الاشياء به من النعم فيجزيه به ويهديه الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال أما جزاء مثل ما قتل من النعم فان قتل نعامة أو حمارا فعليه بدنة وان قتل بقرة أو أيلا أو أروى فعليه بقرة أو قتل غزالا أو أرنبا فعليه شاة وان قتل ضبا أو جرباء أو يربوعا فعليه سخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبى مجاهد قال سئل عطاء أيغرم في صغير الصيد كما يغرم في كبيره قال أليس يقول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال عليه من النعم مثله حدثنا هناد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قال اذا أصاب المحرم الصيد وجب عليه جزاؤه من النعم فان وجد جزاءه ذبحه فتصدق به فان لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قوم الدراهم حنطة ثم صام مكان كل نصف صاع يوما قال انما أريد بالطعام الصوم فاذا وجد طعاما وجد جزاء حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم فان لم يجد نظر كم ثمنه قال ابن حميد نظر كم قيمته فقوم عليه ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوما أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال انما أريد بالطعام الصيام فاذا وجد الطعام وجد جزاءه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فان لم يجد هديا قوم الهدى عليه طعاما وصام عن كل صاع يوما حدثنا هناد قال ثنا عبد بن حميد عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في هذه الآية ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة قال اذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه فان لم يكن عنده قوم عليه ثمنه طعاما ثم صام لكل نصف صاع يوما حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ابتدرت وصاحب

وبعده لا أثر لهما فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعى أما عند أبى حنيفة وأصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا (واحفظوا أيمانكم) قالوها ولا تكثروا منها أو احفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا تكون الايمان مختصة بالتى الحنث فيها معصية كمن حلف أن لا يشرب الخمر بخلاف مالو حلف ليشربن فانه لا يؤمر حينئذ بالحفظ عن الحنث وقيل احفظوها بأن تكفروها أو المراد لا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان الشافى (يبين الله لكم آياته) أحكامه وأعلام شريعته (لعلكم تشكرون) نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما فى سورة البقرة وسلك فى سلك التحريم الأنصاب والأزلام وقد ذكرناهما فى أول هذه السورة واعلم أنه كانت تحدث قبل تحريم الخمر أشياء يكرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روى فى الصحيحين أنه قال كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى شارفا من الخمس فلما أردت أن أبنى بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى لاذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به فى

لى ظبيا فى العقبة فأصبته فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فأقبل على رجل الى جنبه فنظر الى ذلك قال فقال اذبح كبشا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى قال أخبرنى قبيصة بن جابر نحوا مما حدث به عبد الملك **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن المسعودى عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال قتل صاحب لى ظبيا وهو محرم فأمره عمر أن يذبح شاة فيتصدق بلحمها ويسقى اهابها **حدثنا** هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن داود بن أبى هند عن بكر بن عبد الله المزنى قال قتل رجل من الأعراب وهو محرم ظبيا فسأل عمر فقال له عمر اهد شاة **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين **وحدثنا** أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا حصين عن الشعبى قال قال قبيصة بن جابر أصبت ظبيا وأنا محرم فأتيت عمر فسألته عن ذلك فأرسل الى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا أمير المؤمنين ان أمره أهون من ذلك قال فضربنى بالدرة حتى سابقته عدوا قال ثم قال قتلت الصيد وأنت محرم ثم تغمص الفتيا قال فجاء عبد الرحمن فحكم شاة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ان قتلت صيدا فاذا هو أعور أو أعرج أو منقوص أغرم مثله قال نعم ان شئت قلت أو فى أحب اليك قال نعم وقال عطاء وان قتلت ولد الظبى ففيه ولد شاة وان قتلت ولد بقرة وحشية ففيه ولد بقرة انسية مثله فكل ذلك على ذلك **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال أخبرنا عبيد بن سليمن الباهلى قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فجزاء مثل ما قتل من النعم ما كان من صيد البر مما ليس له قرن الحمار والنعامة فعليه مثله من الابل وما كان ذا قرن من صيد البر من وعل أو أيل فجزاؤه من البقر وما كان من ظبى فمن الغنم مثله وما كان من أرنب ففيها ثنية وما كان من يربوع وشبهه ففيه جمل صغير وما كان من جرادة أو نحوها ففيه قبضة من طعام وما كان من طير البر ففيه أن يقوم ويتصدق بثمنه وان شاء صام لكل نصف صاع يوما وان أصاب فرخ طير برية أو بيضها فالقيمة فيها طعام أو صوم على الذى يكون فى الطير غير أنه قد ذكر فى بيض النعام اذا أصابها المحرم أن يحمل الفحل (١) على عدة ما أصاب من البيض على بكارة الابل فما لقح منها أهداه الى البيت وما فسد منها فلا شئ فيه **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع قال أخبرنى ابن جريج قال قال مجاهد من قتله يعنى الصيد ناسيا أو أراد غيره فاخطأه فذلك العمد المكفر فعليه مثله هديا بالغ الكعبة فان لم يجد ابتاع بثمنه طعاما فان لم يجد صام عن كل مد يوما وقال عطاء فان أصاب انسان نعامة كان له ان كان ذا يسار ما شاء ان شاء يهدى جزورا أو عدلها طعاما أو عدلها صياما أيهن شاء من أجل قوله جزاء أو كذا قال فكل شئ فى القرآن أو أو فليختر منه صاحبه ما شاء **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى الحسن بن مسلم قال من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعدا فذلك الذى قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم وأما كفارة طعام مساكين فذلك الذى لا يبلغ أن يكون فيه هدى العصفور يقتل فلا يكون فيه قال أو عدل ذلك صياما عدل النعامة أو عدل العصفور أو عدل ذلك كله * وقال آخرون بل يقوم الصيد المقتول قيمته من الدراهم ثم

(١) أى يحمل فحل الابل على بكرات من الابل بقدر عدد البيض المصاب فما لقح الخ

وليمة عرسى فبينا أنا أجمع لشارف متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار أقبلت فاذا أنا بشارفى قد جبت أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عينى حين رأيت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة ابن عبد المطلب وهو فى البيت فى شرب مع امرأة من الانصار غنت أغنيته فقالت فى غنائها

ألا ياحمز للشرف النواء *

وهن معقلات بالفناء

ضع السكين فى اللبات منها *

فضرجهن حمزة بالدماء

وأطعم من شرائحها كبابا *

ملهوجة على وهج الصلاء

فانت أبا عمارة المرجى *

لكشف الضر عنا والبلاء

فوثب الى السيف فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما قال على رضى الله عنه فانطلقت حتى دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أتيت له فقال مالك فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتى فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشى واتبعت أثره أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيه فاستأذن فأذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشترى القاتل بقيمته ندا من النعم ثم يهديه الى الكعبة ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبدة عن ابراهيم قال ما أصاب المحرم من شئ حكم فيه قيمته **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد قال سمعت ابراهيم يقول فى كل شئ من الصيد ثمنه * وأولى القولين فى تأويل الآية ما قال عمر وابن عباس ومن قال بقولهما ان المقتول من الصيد يجزى بمثله من النعم كما قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم وغير جائز أن يكون مثل الذى قتل من الصيد دراهم وقد قال الله تعالى من النعم لان الدراهم ليست من النعم فى شئ فان قال قائل فان الدراهم وان لم تكن مثلا للمقتول من الصيد فانه يشترى بها المثل من النعم فيهديه القاتل فيكون بفعله ذلك كذلك جازيا بما قتل من الصيد مثلا من النعم (١) قيل له أفرأيت ان كان المقتول من الصيد صغيرا أو كبيرا أو سليما أو كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما ولا يصيب بقيمته من النعم الا صغيرا أو معيبا أيجوز له أن يشترى بقيمته خلافه وخلاف صفته فيهديه أم لا يجوز ذلك له وهو لا يجد الا خلافه فان زعم أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته لامثله ترك قوله فى ذلك لان أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته ذلك فيهديه الا ما يجوز فى الضحايا واذا أجازوا شرى مثل المقتول من الصيد بقيمته واهداءها وقد يكون المقتول صغيرا معيبا أجاز وا فى الهدى ما لا يجوز فى الاضاحى وان زعم أنه لا يجوز أن يشترى بقيمته فيهديه الا ما يجوز فى الضحايا أوضح بذلك من قوله الخلاف لظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمدا المثل من النعم اذا وجده وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم وهو الى ذلك واجد سبيلا ويقال لقائل ذلك أرأيت ان قال قائل آخر منا على قائل ما لا يبلغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النعم ما يجوز فى الاضاحى من اطعام ولا صيام لان الله تعالى انما خير قاتل الصيد من المحرمين فى أحد الثلاثة الأشياء التى سماها فى كتابه اذا لم يكن له الى واحد من ذلك سبيل سقط عنه فرض الآخرين لان الخيار انما كان له وله الى الثلاثة سبيل فاذا لم يكن له الى بعض ذلك سبيل بطل فرض الجزاء عنه لأنه ليس ممن عنى بالآية نظير الذى قلت أنت انه اذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز فى الضحايا فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه وانما عليه الجزاء بالاطعام أو الصيام هل بينك وبينه فرق من قول أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة﴾ يقول تعالى ذكره يحكم بذلك الجزاء الذى هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم يعنى فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل هديا يقول يقضى الجزاء ذوا عدل أن يهدى فيبلغ الكعبة والهاء فى قوله يحكم به عائدة على الجزاء ووجه حكم العدلين اذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل أن ينظرا الى المقتول ويستوصفاه فان ذكر أنه أصاب ظبيا صغيرا حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذى قتله فى السن والجسم فان كان أصاب من ذلك كبيرا حكما عليه من الضأن بكبير وان كان الذى أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة ان كان الذى أصاب كبيرا فكبيرا من البقر وان كان صغيرا فصغيرا وان كان المقتول نظيرا له من ذكور البقر وان كان أنثى فمثله من البقر أنثى ثم كذلك ذلك ينظران الى أشبه الاشياء بالمقتول من الصيد شبها من النعم فيحكمان عليه به كما قال تعالى وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك بينهم ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه **حدثنا** هناد بن السرى

(١) لعل فى العبارة تكرارا من الناسخ وأصلها أفرأيت ان كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما أو معيب بقيمته الخ تأمل كتبه مصححه

يلوم حزة فيما فعل فاذا حزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال وهل أنتم الا عبيد أبى فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الآية تدل على تحريمها من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس وعمل الشيطان ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلها رجسا كما قال فى موضع آخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان وأصل الرجس العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون أى العقاب والغضب وكأنه ابدال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا سمى العمل القوى الدرجة فى القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير فى فاجتنبوه عائد الى الرجس أو العمل أو الى المضاف المحذوف أى انما تعاطى الخمر ونحو ذلك ومنها شرح أنواع المفاسد المنتجة منها من

التعادى والتباغض والصد عن
ذكر الله وعن الصلاة خصوصا وفيه
أن غرض الشرب من الاجتماع
تأكد الألفة والمودة ثم انها تورث
نقيض المقصود لان العقل اذا زال
استولت الشهوة والغضب ويؤدى
الى التنازع واللجاج وكذا القمار
يفضى الى افناء المال والى أن
يقامر على حليلته وأهله وولده وكل
ذلك يورث العداوة والفتن وهذان
من مكايد الشيطان ومضادان
لمصالح الانسان وأيضا الخمر سبب
تهييج اللذة الجسمية والقمار
يورث لذة الغلبة الخالية
وكلتاهما توجب الاشتغال عن
اللذات الحقيقية الحاصلة من
الاستغراق فى طاعة المعبود وانما
أفرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان
الخطاب مع المؤمنين فقرنهما أولا
بذكر الانصاب والازلام تنبيها على
أنها جميعا من أعمال الجاهلية
وأهل الشرك ثم أفردهما لان
الكلام مسوق لتحريمهما على
المخاطبين حيث انهم كانوا
لا يتعاطون سوى هذين ومنها
سوق الكلام بطريق الاستفهام
فى قوله (فهل أنتم منتهون) كأنه قيل
قد تلى عليكم ما هو كاف فى باب المنع
فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون
أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم
تزجروا ولهذا قالوا قد انتهينا يارب
اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه
قال عقيب ذلك (وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول واحذروا) والظاهر
ان المراد الطاعة فيما تقدم من

قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا داود بن أبى هند عن بكر بن عبد الله المزنى قال كان رجلان من
الأعراب محرمين فاجاش أحدهما ظبيا فقتله الآخر فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف فقال
عمر وما ترى قال شاة قال وأنا أرى ذلك اذهبا فأهديا شاة فلما مضيا قال أحدهما لصاحبه ما درى أمير
المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه فسمعها عمر فردهما فقال هل تقرآن سورة المائدة فقالا لا فقرأ
عليهما يحكم به ذوا عدل منكم ثم قال استعنت بصاحبى هذا **حدثنا** أبو كريب ويعقوب قالا
ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال ابتدرت أنا وصاحب لى ظبية
فى العقبة فأصبته فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فأقبل على رجل الى جنبه فنظر اليه فى ذلك
قال فقال اذبح كبشا قال يعقوب فى حديثه فقال لى اذبح شاة فانصرفت فأتيت صاحبى فقلت ان
أمير المؤمنين لم يدر ما يقول فقال صاحبى انحر ناقتك فسمعها عمر بن الخطاب فأقبل على ضربا بالدرة
وقال تقتل الصيد وأنت محرم وتغمص الفتيا ان الله تعالى يقول فى كتابه يحكم به ذوا عدل منكم هذا
ابن عوف وأنا عمر **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى قال أخبرنى
قبيصة بن جابر بنحو ما حدث به عبد الملك **حدثنا** هناد وأبو هشام قالا ثنا وكيع عن المسعودى
عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال خرجنا فكنا اذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا فنتماشى
نتحدث قال فبينما نحن ذات غداة اذ سنح لنا ظبى أو برح فرماه رجل منا بحجر فما أخطأ خشاشه
فركب وودعه ميتا قال فعظمنا عليه فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر فقص عليه القصة
واذا الى جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة يعنى عبد الرحمن بن عوف فالتفت الى صاحبه فقال
قال ثم أقبل على الرجل قال أعمدا قتلته أم خطأ قال الرجل لقد تعمدت رميه وما أردت قتله فقال
عمر ما أراك الا قد أشركت بين العمد والخطأ اعمد الى شاة فاذبحها وتصدق بلحمها وأسق اهابها
فقمنا من عنده فقلت أيها الرجل عظم شعائر الله فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه
اعمد الى ناقتك فانحرها ففعل ذلك قال قبيصة ولا أذكر الآية من سورة المائدة يحكم به ذوا عدل
منكم قال فبلغ عمر مقالتى فلم يفجأنا منه الا ومعه الدرة قال فعلا صاحبى ضربا بالدرة وجعل يقول
أقتلت فى الحرم وسفهت الحكم قال ثم أقبل على فقلت يا أمير المؤمنين لا أحل لك اليوم شتم
عليك منى قال يا قبيصة بن جابر انى أراك شاب السن فسيح الصدر بين اللسان وان الشاب يكون
تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة فاياك وعثرات الشباب
حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مخارق عن طارق قال أوطأ أربد ضب فقتله وهو
محرم فأتى عمر ليحكم عليه فقال له عمر احكم معى فحكما فيه جديا قد جمع الماء والشجر ثم قال
يحكم به ذوا عدل منكم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن
زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أصاب صيدا فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك
وعنده عبد الله بن صفوان فقال ابن عمر لابن صفوان اما أن أقول فتصدقنى واما أن
فأصدقك فقال ابن صفوان بل أنت فقل فقال ابن عمر ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان
حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن شريح أنه قال لو وجدت
حكما عدلا لحكمت فى الثعلب جديا وجدى أحب الى من الثعلب **حدثنا** ابن بشار قال
محمد بن بكير قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى مجلز أن رجلا سأل ابن عمر عن رجل أصاب ظبيا
وهو محرم وعنده ابن صفوان فقال له ابن عمر إما أن تقول فأصدقك أو أقول فتصدقنى
وأصدقك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل
قال أخبرنى ابن جرير البجلى قال أصبت ظبيا وأنا محرم فذكرت ذلك لعمر فقال ائت رجلين

اخوانك فليحكما عليك فأتيت عبد الرحمن وسعيدا فحكما على "تيسا أعفر «قال أبو جعفر» الأعفر الأبيض حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور باسناده عن عمر مثله حدثنا عبد الحميد قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين قال كان رجل على ناقة وهو محرم فأبصر ظبيا يأوى الى أكمة فقال لأنظرن أنا أسبق الى هذه الأكمة أم هذا الظبي فوقعت عنز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلتها فأتى عمر فذكر ذلك له فحكم عليه هو وابن عوف عنزا عفراء قال وهي البيضاء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد أن رجلا أوطأ ظبيا وهو محرم فأتى عمر فذكر ذلك له والى جنبه عبد الرحمن بن عوف فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ثم أقبل على الرجل فقال أهد عنزا عفراء حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول ما أصاب المحرم من شيء لم يمض فيه حكومة استقبل به فيحكم فيه ذوا عدل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى عن عمرو بن حبشي قال سمعت رجلا سأل عبد الله بن عمر عن رجل أصاب ولدا أرنب فقال فيه ولدا ماعز فيما أرى أنا ثم قال لي أكذلك فقلت أنت أعلم مني فقال قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وسهل بن يوسف عن حميد عن بكر أن رجلين أبصرا ظبيا وهما محرمان فتراهنا وجعل كل واحد منهما لمن سبق اليه فسبق اليه أحدهما فرماه بعصاه فقتله فلما قدما مكة أتيا عمر يختصمان اليه وعنده عبد الرحمن بن عوف فذكرا ذلك فقال عمر هذا اقرار ولا أجيزه ثم نظر الى عبد الرحمن فقال ما ترى قال شاة فقال عمر وأنا أرى ذلك فالتفت الرجلان من عند عمر قال أحدهما لصاحبه ما درى عمر ما يقول حتى سأل الرجل فردهما عمر فقال ان الله تعالى لم يرض بعمر وحده فقال يحكم به ذوا عدل منكم وأنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف * وقال آخرون بل ينظر العدلان الى الصيد المقتول فيقومانه قيمته دراهم ثم يأمران القاتل أن يشتري بذلك من النعم هديا فالحاكمان يحكمان في قول هؤلاء بالقيمة وانما يحتاج اليهما لتقويم الصيد قيمته في الموضع الذي أصابه فيه وقد ذكرنا عن ابراهيم النخعي فيما مضى قبل أنه كان يقول ما أصاب المحرم من شيء حكم فيه قيمته وهو قول جماعة من متفقهة الكوفيين وأما قوله هديا فانه مصدر على الحال من الهاء التي في قوله يحكم به وقوله بالغ الكعبة من نعت الهدى وصفته فانما جاز أن ينعت وهو مضاف الى معرفة لانه في معنى النكرة وذلك أن معنى قوله بالغ الكعبة يبلغ الكعبة فهو وان كان مضافا فمعناه التنوين لأنه بمعنى الاستقبال وهو نظير قوله هذا عارض ممطرنا فوصف بقوله ممطرنا عارضا لان في ممطرنا معنى التنوين لان تأويله الاستقبال فمعناه هذا عارض يمطرنا كذلك ذلك في قوله هديا بالغ الكعبة * القول في تأويل قوله ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره أو عليه كفارة طعام مساكين والكفارة معطوفة على الجزاء في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أو كفارة طعام مساكين بإضافة الكفارة الى الطعام وأما قراء أهل العراق فان عامتهم قرؤا ذلك بتنوين الكفارة ورفع الطعام أو كفارة طعام مساكين وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بتنوين الكفارة ورفع الطعام للعلة التي ذكرنا فيما قبل في قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم واختلف أهل التأويل في معنى قوله أو كفارة طعام مساكين فقال بعضهم معنى ذلك أن القاتل وهو محرم صيدا عمدا لا يخلو من وجوب بعض هذه الثلاثة التي ذكر الله تعالى من مثل المقتول هديا بالغ الكعبة أو طعام مساكين كفارة ذلك أو عدل ذلك صياما الا أنه مخير في أي ذلك شاء فعل وأنه بأيها كان كفر فقد أدى ما وجب عليه وانما ذلك اعلام من الله تعالى عباده أن قاتل ذلك كما وصف لن يخرج حكمه من

الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله (فان توليتم) الآية والمراد ان أعرضتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد أعذر من أنذر وجزاء المخالف الى الله المقتدر عن أنس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت أبي طلحة وما شرابهم الا فضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي ألا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال أبو طلحة اخرج فأرقها فقالوا قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فأنزل الله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الطعم خلاف الشرب في الأغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز أن يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل أن يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ عما يؤكل ويشرب جميعا فقد تقول العرب اطعم أي ذق ونظير هذه الآية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في (اذا ما اتقوا) معنى الكلام المتقدم أي لا يأثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد أن أولئك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لأحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض الجهلة أن هذا الحكم متعلق بالمستقبل والاقيل لم يكن أو ما كان جناح مثل وما كان الله

ليضيع والمعنى لاجناح على من
طعمها اذا لم يحصل معه العداوة
والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة
بل حصل معه أنواع المصالح من
الطاعة والتقوى والاحسان الى
الخلق والجواب أن صيغة طعموا
وهى المضى تأباه وأيضا ان سبب
نزول الآية يكذبه روى أبو بكر
الاصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال
أبو بكر يارسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا
القمار وكيف بالغائبين عنا فى
البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم
يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل
قد ثبت فيما يستقبل لكن فى حق
الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص
ثم انه سبحانه شرط فى نفى الجناح
حصول التقوى والايمان مرتين
وفى الثالثة التقوى والاحسان
فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء
والثانى دوامه والثبات عليه والثالث
اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم
وقيل الاول اتقاء جميع المعاصى
قبل نزول الآية والثانى اتقاء الخمر
والميسر وما فى هذه الآية والثالث
اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه
الآية وهذا قول الأصم وقيل
اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر
وقال القفال الاول الاتقاء من
القدح فى صحة النسخ ليثبت تحريم
الخمر بعد أن كانت مباحة والثانى
الاتيان بالعمل المطابق للآية
والثالث المداومة على التقوى مع
الاحسان الى الخلق ثم انه سبحانه
استثنى بعض الصيد من المحللات

احدى الخلال الثلاثة قالوا فحكمه ان كان على المثل قادرا أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم
لا يجزيه غير ذلك مادام للمثل واجدا قالوا فان لم يكن له واجدا أو لم يكن للمقتول مثل من النعم فكفارته
حينئذ اطعام مساكين ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال
ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك
صياما ليذوق وبال أمره قال اذا قتل المحرم شيأ من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه
فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم يجد صيام ثلاثة أيام وان قتل أيلا
أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجد أطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة
أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام
ثلاثين يوما والطعام مد مد يشبعهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال
ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الى قوله
يحكم به ذوا عدل منكم فالكفارة من قتل ما دون الارنب اطعام حدثنا هناد قال ثنا جرير
عن منصور عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال اذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه
من النعم فان وجد جزاءه ذبحه فتصدق به وان لم يجد جزاءه قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم
حنطة ثم صام مكان كل صاع يوما قال انما أريد بالطعام الصوم فاذا وجد طعاما وجد جزاءه حدثنا
ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبدالرحمن عن زهير عن جابر عن عطاء ومجاهد وعامر أو عن
ذلك صياما ليذوق قال انما الطعام لمن لم يجد الهدى حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال
أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان يقول اذا أصاب المحرم شيأ من الصيد عليه جزاؤه من النعم فان لم
يجد قوم الجزاء دراهم ثم قومت الدراهم طعاما ثم صام لكل نصف صاع يوما حدثنا ابن حميد
ثنا جرير عن مغيرة عن حماد قال اذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه فان فضل منه مالا يبلغ
نصف صاع صام له يوما ولا يكون الصوم الا على من لم يجد ثمن هدى فيحكم عليه الطعام فان لم يكن
عنده طعام يتصدق به حكم عليه الصوم فصام مكان كل نصف صاع يوما كفارة طعام مساكين
قال فيما لا يبلغ ثمن هدى أو عدل ذلك صياما من الجزاء اذا لم يجد ما يشترى به هديا أو ما ينصف
به مما لا يبلغ ثمن هدى حكم عليه الصيام مكان كل نصف صاع يوما حدثنا هناد قال ثنا
أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قال مجاهد ومن قتله منكم متعمدا الجزاء مثل ما قتل من
قال عليه من النعم مثله هديا بالغ الكعبة ومن لم يجد اتباع بقيمته طعاما فيطعم كل مسكين
فان لم يجد صام عن كل مدين يوما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال
أسباط عن السدى ومن قتله منكم متعمدا الى قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال اذا قتل
فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم فان لم يجد ما حكم عليه قوم الفداء ثم هو درهما وقد رثمن ذلك طعاما
على المسكين فصام عن كل مسكين يوما ولا يحل طعام المسكين لان من وجد طعام المسكين
يجد الفداء حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قال لى الحسن بن
من أصاب الصيد مما جزاؤه شاة فذلك الذى قال الله تعالى جزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به
عدل منكم وما كان من كفارة طعام مساكين مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه
أو عدل ذلك صياما ليذوق قال عدل النعامة أو العصفور أو عدل ذلك كله فذكرت ذلك لعطاء
كل شئ فى القرآن أو أو فلصاحبه أن يختار ما شاء حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد
هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله لا تقتلوا الصيد

وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فان لم يجد جزاء قوم عليه الجزاء طعاما ثم صام لكل صاع يوما من * وقال آخرون معنى ذلك أن القاتل صيدا عمدا وهو محرم الخيار بين احدى الكفارات الثلاث وهى الجزاء بمثله من النعم والطعام والصوم قالوا وانما تأويل قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما فعليه أن يجزى بمثله من النعم أو يكفر بالطعام مساكين أو بعدل الطعام من الصيام ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء فى قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما قال ان أصاب انسان محرم نعامة فان له ان كان ذا يسار أن يهدى ما شاء جزورا أو عدلها طعاما أو عدلها صياما قال كل شئ فى القرآن أو أو فليختر منه صاحبه ما شاء حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء فى قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قال ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أسباط وعبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال ما كان فى القرآن أو أو فهو فيه بالخيار وما كان فمن لم يجد فالاول ثم الذى يليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن مثله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا ليث عن عطاء ومجاهد أنهما قالا فى قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قالا ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه فيه بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو حمزة عن الحسن * قال وأخبرنا عبيدة عن ابراهيم قالا كل شئ فى القرآن أو أو فهو بالخيار أى ذلك شاء فعل حدثنا هناد قال ثنا حفص عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال كل شئ فى القرآن أو فصاحبه مخير فيه وكل شئ فمن لم يجد فالاول ثم الذى يليه * واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة فى صفة اللازم له من التكفير بالاطعام والصوم اذا اختار الكفارة بأحدهما دون الهدى فقال بعضهم اذا اختار التكفير بذلك فان الواجب عليه أن يقوم المثل من النعم طعاما ثم يصوم مكان كل مد يوما ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال أخبرنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما أوعدل ذلك صياما قال ان أصاب ما عدله شاة أقيمت الشاة طعاما ثم جعل مكان كل مد يوما يصومه * وقال آخرون بل الواجب عليه اذا أراد التكفير بالاطعام أو الصوم أن يقوم الصيد المقتول طعاما ثم يتصدق بالطعام ان اختار الصدقة وان اختار الصوم صام * ثم اختلفوا ايضا فى الصوم فقال بعضهم يصوم لكل مد يوما وقال آخرون يصوم مكان كل نصف صاع يوما وقال آخرون يصوم مكان كل صاع يوما ذكر من قال المتقوم للاطعام هو الصيد المقتول حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا شعبة عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد الآية قال كان قتادة يقول يحكمان فى النعم فان كان ليس صيده ما يبلغ ذلك نظروا ثمنه فقوموه طعاما ثم صام مكان كل صاع يومين * وقال آخرون لا معنى للتكفير بالاطعام لان من وجد سبيلا الى التكفير بالاطعام فهو واجد الى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا ومن وجد الى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا لم يجزه التكفير بغيره قالوا وانما ذكر الله تعالى ذكره الكفارة بالاطعام فى هذا الموضع ليدل على صفة التكفير بالصوم لأنه جعل التكفير بالاطعام احدى الكفارات التى يكفر بها قتل الصيد وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل * وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قول الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم أن يكون

فقال على سبيل التوكيد القسمى (ليبلونكم الله) أى ليعاملنكم معاملة المختبر (بشئ) التنوين للتحقير وفيه أنه ليس من الفتن العظام التى تدحض عندها الأقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بصيد البر كما امتحن أصحاب أيلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير يغشاهم فى رحالهم فيقدرون على أخذها بالأيدى وصيدها بالرماح ومارأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدى الذى تناله أيديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذى تناله الرماح الكبار ومن فى من الصيد للبيان أو للتبعيض وهو صيد البر أو صيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث بدليل عود الضمير فى تناله اليه (ليعلم الله) ليظهر معلومه وهو خوف الخائف أو ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم أو ليعلم أولياء الله ومحل (بالغيب) النصب على الحال أى يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته أو عن حضور الناس (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) فى الآخرة وقيل فى الدنيا عن ابن عباس هو أن يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه (لا تقتلوا الصيد) قال الشافعى انه البرى المتوحش المأكول اللحم أما الأول فلقوله تعالى بعد ذلك أحل لكم صيد البحر وأما المتوحش

فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستأنسا ويخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل وأما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما فيعلم منه أنه مما يحل أكله في غير الاحرام وقال أبو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم أنه لا يجب الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لاسيما وقد جاء خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية بزيادة السبع العادي واحتج لأبي حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد الملوك أرانب وثعالب *

فاذا ركبت قصيدي الأبطال
وزيف بأن الثعلب عندنا حلال

(وأنتم حرم) أي محرمون بالحج والعمرة أيضا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي وقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له أن يتعرض للصيد مادام محرما أو في الحرم بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل أو صيد الحرم (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل) من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول أي فعليه أن يجزي مثل ما قتل قال مراد له فعلى قاتله متعمدا مثل الذي قتل من النعم لا القيمة ان اختار أن يجزيه بالمثل من النعم وذلك أن القيمة انما هي من الدنانير أو الدراهم والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل والله تعالى انما أوجب الجزاء مثلا من النعم * وأولى الاقوال بالصواب عندي في قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما أن يكون تخييرا وأن يكون للقاتل الخيار في تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأي هذه الكفارات الثلاث شاء لان الله تعالى جعل ما أوجب في قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله وتكفيرا لذنبه في اتلافه ما أتلف من الصيد الذي كان حراما عليه اتلافه في حال احرامه وقد كان حلالا له قبل حال احرامه كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك في حلق الشعر الذي حلقه المحرم في حال احرامه وقد كان له حلقه قبل حال احرامه ثم منع من حلقه في حال احرامه نظير الصيد ثم جعل عليه ان حلقه جزاء من حلقه اياه فأجمع الجميع على أنه في حلقه اياه اذا حلقه من ايذائه مخير في تكفيره فعليه ذلك بأي الكفارات الثلاث شاء فكذلك ان شاء الله قاتل الصيد من المحرمين وأنه مخير في تكفيره قتله الصيد بأي الكفارات الثلاث شاء لا فرق بين ذلك ومن أبى ما قلنا فيه قيل له حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدله صياما كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك فزعمت أن أحدهما مخير في تكفير ما جعل منه عوض بأي الثلاث شاء وأنكرت أن يكون ذلك للآخر فهل بينك وبين من عكس عليك الامر في ذلك فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير فان يقول في أحدهما قولا الا ألزم في الآخر مثله * ثم اختلفوا في صفة التقويم اذا أراد التكفير بالاطعام فقال بعضهم يقوم الصيد قيمته بالموضع الذي أصابه فيه وهو قول ابراهيم النخعي وحماد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وقد ذكرت الرواية عن ابراهيم وحماد فيما مضى بما يدل على ذلك وهو نص قول أبي حنيفة وأصحابه * وقال آخرون بل يقوم ذلك بسعر الارض التي يكفر بها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال في محرم أصاب صيدا بخراسان قال يكفر بمكة أو بمنى وقال يقوم الطعام بسعر الارض التي يكفر بها حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبي في رجل أصاب صيدا بخراسان قال يحكم عليه بمكة * والصواب من القول في ذلك عندنا أن قاتل الصيد اذا جزاه بمثله من النعم فانما يجزيه بنظيره في خلق وقدره في جسمه من أقرب الاشياء به شبها من الانعام فان جزاه بالاطعام قومه قيمته عوضعه الذي أصابه فيه لانه هنالك وجب عليه التكفير بالاطعام ثم ان شاء أطعم بالموضع الذي أصابه فيه وان شاء بمكة وان شا بغير ذلك من المواضع حيث شاء لان الله تعالى انما شرط بلوغ الكعبة بالهدي في قتل الصيد دون غيره من جزائه فللجازي بغير الهدي أن يجزيه بالاطعام والصوم حيث شاء من الارض وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال ثنا ابن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم قال ما كان من دم فبمكة وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء وقد خالف ذلك مخالفون ففالوا لا يجزئ الهدي والاطعام الا بمكة فأما الصوم فان كفر به يصوم حيث شاء من الارض ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد ابن سلمة عن قيس بن سعد عن عطاء قال الدم والطعام بمكة والصيام حيث شاء حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مالك بن مغول عن عطاء قال كفارة الحج بمكة حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج قال قلت لعطاء أين يتصدق بالطعام ان بدا له قال بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدي قال جزاء مثل ما قتل من النعم هديا بالغ الكعبة من أجل أنه

أصابه فى حرم يريد البيت بجزائه عند البيت * فأما الهدى فانه من جزاء ماقتل من الصيد فلن يجزئه
من كفارة ماقتل من ذلك الا أن يبلغ الكعبة طيبا وينحره أو يذبحه ويتصدق به على مساكين
الحرم ويعنى بالكعبة فى هذا الموضع الحرم كله ولمن قدم بهديه الواجب من جزاء الصيد أن ينحره
فى كل وقت شاء قبل يوم النحر وبعده ويطعمه وكذلك ان كفر بالطعام فله أن يكفر به متى أحب
وحيث أحب وان كفر بالصوم فكذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل خلاما ذكرنا
من اختلافهم فى التكفير بالاطعام على ماقد بينا فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال
ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أوعدل ذلك صياما هل لصيامه وقت قال لا
إلا ماشاء وحيث شاء وتعجيله أحب الىّ حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج قال
قلت لعطاء رجل أصاب صيدا فى الحج أو العمرة فأرسل بجزائه الى الحرم فى المحرم أو غيره من الشهور
يجزئ عنه قال نعم ثم قرأ هديا بالغ الكعبة قال هناد قال يحيى وبه نأخذ حدثنا هناد قال
ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا ابن جريج وابن أبى سليمن عن عطاء قال اذا قدمت مكة بجزاء
صيد فانحره فان الله تعالى يقول هديا بالغ الكعبة الا أن يقدم فى العشر فيؤخر الى يوم النحر
حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال ثنا ابن جريج عن عطاء قال يتصدق الذى يصيب
الصيد بمكة فان الله تعالى يقول هديا بالغ الكعبة ﴿ القول فى تاويل قوله ﴿ أو عدل ذلك
صياما ﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك أو على قاتل الصيد محرما عدل الصيد المقتول من الصيام وذلك
أن يقوم الصيد حيا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذى قتله فيه المحرم ثم يصوم مكان كل
مد يوما وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم عدل المد من الطعام بصوم يوم فى كفارة المواقع فى شهر
رمضان فان قال قائل فهلا جعلت مكان كل صاع فى جزاء الصيد صوم يوم قياسا على حكم النبى
صلى الله عليه وسلم فى نظيره وذلك حكمه على كعب بن عجرة اذ أمره أن يطعم ان كفر بالاطعام فرقا
بين ستة مساكين طعام وذلك ثلاثة آصع بين ستة مساكين فان كفر بالصيام أن يصوم ثلاثة أيام بفعل الايام
الثلاثة فى الصوم عدلا من اطعام ثلاثة آصع (١) فان ذلك بالكفارة فى جزاء الصيد أشبه من الكفارة
فى قتل الصيد بكفارة المواقع امرأته فى شهر رمضان قيل ان القياس انما هو رد الفروع المختلف
منها الى نظائرها من الاصول المجمع عليها ولا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ مكفرا كفر
فى قتل الصيد بالصوم أن يعدل صوم يوم بصاع طعام فان كان ذلك كذلك وكان غير جائز خلافها
لما جاءت به من الدين مجمعة عليه صح بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعام فى قتل الصيد مخالف
حكم معادلته اياه فى كفارة الحلق اذا كان غير جائز (٢) وداخل على آخر قياسا وانما يجوز أن
يقاس الفرع على الاصل وسواء قال قائل هلا رددت حكم الصوم فى كفارة قتل الصيد على حكمه
فى الحلق الذى فيما يعدل به من الطعام وآخر قال هلا رددت حكم الصوم فى الحلق على حكمه فى
كفارة قتل الصيد فيما يعدل به من الطعام فتوجب عليه مكان كل مد أو مكان كل نصف صاع
صوم يوم وقد بينا فيما مضى قبل أن العدل فى كلام العرب بالفتح وهو قدر الشئ من غير جنسه
والعدل هو قدره من جنسه وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول العدل مصدر من قول
القائل عدلت هذا بهذا عدلا حسنا قال والعدل أيضا بالفتح المثل ولكنهم فرقوا بين العدل فى
هذا وبين عدل المتاع بأن كسروا العين من عدل المتاع وفتحوها من قولهم ولا يقبل منها عدل
ولا صرف الله عز وجل أو عدل ذلك صياما كما قالوا امرأة زان وحجر رزين وقال بعضهم العدل

(١) فى التركيب تشويش ومراده أن الحاق كفارة الصيد بكفارة الحلق أشبه من الحاقها بكفارة
الجماع فتأمل كتبه مصححه

بعض العلماء المثل مقحم للتأكيد
اذا الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء
مثله فهو كقولهم أنا أحب مثلك
أى أحبك وقيل الاضافة بمعنى من
أى جزاء من مثل ماقتل قال سعيد
ابن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا
يلزمه شئ وهو قول داود لان النهى
ورد عن التعمد وهو أن يقتله ذاكرا
لاحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم
عليه قتله فان قتله وهو ناس
لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن
أنه ليس بصيد أو رمى غير صيد
فعدل السهم فأصاب صيدا فهو
مخطئ لا شئ عليه لفقدان القيد
المذكور وتأكد هذا الرأى بقوله
ليذوق وبال أمره وبقوله ومن عاد
أى الى ماتقدم ذكره وهو القتل
العمد والانتقام أيضا يناسب العمد
لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه
الضمان سواء قتل عمدا أو خطأ
قياسا على سائر محظورات الاحرام
كحلق الرأس وغيره وكما فى ضمان
مال المسلم فانه لما ثبتت الحرمة لحق
المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا
أو لا وانما وردت الآية بالتعمد لان
العمد أصل والخطأ ملحق به للتغليظ
ولما روى أنه عن لهم فى عمرة
الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو
اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له
انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت
الآية على وفق القصة وعن الزهرى
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة
بالخطأ قال صلى الله عليه وسلم فى
الضبع كبش اذا قتله المحرم وقالت
الصحابة فى الظبى شاة أطلقوا الضمان

من غير فرق بين العمد والخطائم
العلماء اختلفوا في المثل فقال
الشافعي ومحمد بن الحسن الصيد
ضربان منه ماله مثل ومنه ما لا مثل
له فيضمن بالقيمة وقال أبو حنيفة
وأبو يوسف المثل الواجب هو القيمة
قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي
قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل
وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم في
الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان
وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس
وابن عمر أنهم حكموا في أمكنة
مختلفة وأزمان متعددة في جزاء
الصيد بالمثل من النعم فحكموا في
النعامة ببدنة وفي حمار الوحش
ببقرة وفي الضبع بكبش وفي
الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي
الارنب بحمل وفي رواية بعناق
وفي الضب بسخلة وفي اليربوع
بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل
ما عب وهدر كالقمري والدبسي
الفاختة والعب شرب الماء مرة
والهدير ترجيعه صوته وتغريده
وفيه دليل على أنهم نظروا الى أقرب
الأشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا
الى القيمة لاختلف باختلاف
الاسعار والظبي الذكر من هذا
الجنس والغزل أنثاه والجفرة من
أولاد المعز اذا انفصلت من أمها
والعناق الأنثى من أولاد المعز وأيضا
المقصود من الضمان جبر الهلاك
فكلما كانت المماثلة تم كان الجبر
أكمل ﴿وههنا مسائل﴾ الاولى جماعة

هو القسط في الحق والعدل بالكسر المثل وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى وأما نصب الصيد
فانه على التفسير كما يقال عندي مل ء زق سمنا وقدر رطل عسلا ونحو الذي قلنا في ذلك قال
جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال
أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما عدل ذلك صياما قال عدل الطعام من الصيام قال لكل مد
يوما يؤخذ زعم بصيام رمضان وبالظهار وزعم أن ذلك رأي يراه ولم يسمعه من أحد ولم تمض به سنة
قال ثم عاودته بعد ذلك بحين قلت ما عدل ذلك صياما قال ان أصاب ما عدله شاة قومت طعاما ثم
صام مكان كل مد يوما قال ولم أسأله هذا رأي أو سنة مسنونة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال
ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل أو عدل ذلك صياما قال
يصوم ثلاثة أيام الى عشرة أيام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد أو عدل
ذلك صياما من الجزاء اذا لم يجد ما يشتري به هديا أو ما يتصدق به مما لا يبلغ ثمن هدي حكم على
الصيام مكان كل نصف صاع يوما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني
معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو عدل ذلك صياما قال اذا قتل المحرم
من الصيد حكم عليه فيه فان قتل ظبيا أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فاطعام
مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام وان قتل أيلا أو نحوه فعليه بقرة فان لم يجد ها أطعم عشرة
مساكينا فان لم يجد صام عشرين يوما وان قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الابل
فان لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا فان لم يجد صام ثلاثين يوما والطعام مد مد يشبعهم حدثنا
البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية ثمنا
البقرة أو البدنة وان لم يجد فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة قال ثمن ذلك فان لم يجد ثمنه قوم
طعاما يتصدق به لكل مسكين مد ثم يصوم لكل مد يوما ﴿القول في تأويل قوله ﴿ليذوق
وبال أمره﴾ يقول جل ثناؤه أوجبت على قاتل الصيد محرما ما أوجبت من الحق أو الكفارة
الذي ذكرت في هذه الآية كي يذوق وبال أمره وعذابه يعني بأمره ذنبه وفعله الذي فعله
قتله ما نهاه الله عز وجل عن قتله في حال احرامه يقول فألزمته الكفارة التي ألزمته اياها لأن
عقوبة ذنبه بالزامه الغرامة والعمل ببدنه مما يتعبه ويشق عليه وأصل الوبال الشدة في المكروه
ومنه قول الله فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا وقد بين تعالى ذكره بقوله ليذوق وبال
أمره أن الكفارات اللازمة الاموال والابدان عقوبات منه لخلقه وان كانت تمحيصا لهم وكفارة
لذنوبهم التي كفروها بها ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما
أمره فعقوبة أمره ﴿القول في تأويل قوله ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾
يقول جل ثناؤه لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله أيها المؤمنون عما
منكم في جاهليتكم من اصابتكم الصيد وأنتم حرم وقتلكموه فلا يؤاخذكم بما كان منكم في
قبل تحريمه اياه عليكم ولا يلزمكم له كفارة في مال ولا نفس ولكن من عاد منكم لقتله وهو
بعد تحريمه بالمعنى الذي كان يقتله في حال كفره وقبل تحريمه عليه من استحلاله قتله فينتقم
الله منه وقد يحتمل أن يكون ذلك معناه من عاد لقتله بعد تحريمه في الاسلام فينتقم الله منه في
الآخرة فأما في الدنيا فان عليه من الجزاء والكفارة فيها ما بينت واختلف أهل التأويل في
ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي
قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما عفا الله عما سلف قال عما كان في الجاهلية قال

ومن عاد فينتقم الله منه قال من عاد فى الاسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة حدثنا
ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء فذكر نحوه وزاد فيه وقال
ومن عاد فقتل عليه الكفارة قلت هل فى العود من حد يعلم قال لا قلت فترى حقا على الامام أن
يعاقبه قال هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ولكن يفتدى حدثنا سفيان قال ثنا محمد بن
بكر وأبو خالد عن ابن جريج عن عطاء ومن عاد فينتقم الله منه قال فى الاسلام وعليه مع ذلك
الكفارة قلت عليه من الامام عقوبة قال لا حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء عفا الله عما سلف عما كان فى
الجاهلية ومن عاد قال فى الاسلام فينتقم الله منه وعليه الكفارة قال قلت لعطاء فعليه من الامام
عقوبة قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج
عن عطاء قال يحكم عليه فى الخطا والعمد والنسيان وكلما أصاب قال الله عز وجل عفا الله عما
سلف قال ما كان فى الجاهلية ومن عاد فينتقم الله منه مع الكفارة قال سفيان قال ابن جريج
قلت أيعاقبه السلطان قال لا حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر وأبو خالد عن ابن
جريج قال قلت لعطاء عفا الله عما سلف قال عما كان فى الجاهلية حدثنى يعقوب قال ثنا
قشيم عن أبى بشر عن عطاء بن أبى رباح أنه قال يحكم عليه كلما عاد حدثنا هناد قال ثنا
جرير عن منصور عن مجاهد قال كلما أصاب المحرم الصيد ناسيا حكم عليه حدثنى يحيى بن
طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم قال كلما أصاب الصيد
المحرم حكم عليه حدثنا عمرو بن على قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن
عطاء قال من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه حدثنا عمرو قال ثنا سفيان بن عيينة عن داود بن
أبى هند عن سعيد بن جبير قال يحكم عليه فيخلع أو يترك حدثنا عمرو قال ثنا عبد الوهاب
قال ثنا داود بن أبى هند عن سعيد بن جبير الذى يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود قال
يحكم عليه حدثنا عمرو قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا الفرات بن سليمن عن عبد الكريم عن
عطاء قال يحكم عليه كلما عاد * وقال آخرون معنى ذلك عفا الله عما سلف منكم فى ذلك فى الجاهلية
ومن عاد فى الاسلام فينتقم الله منه بالزامه الكفارة ذكر من قال ذلك حدثنى ابن البرقى
قال ثنا عمرو عن زهير عن سعيد بن جبير وعطاء فى قول الله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه قالا
ينتقم الله يعنى بالجزاء عفا الله عما سلف فى الجاهلية * وقال آخرون فى ذلك عفا الله عما سلف من
قتل من قتل منكم الصيد حراما فى أول مرة ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراما فالله ولى الانتقام
منه دون كفارة تلزمه لقتله اياه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس من قتل شيأ من الصيد خطأ وهو
محرم حكم عليه فيه مرة واحدة فان عاد يقال له ينتقم الله منك كما قال الله عز وجل حدثنا يحيى
بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال اذا
أصاب المحرم الصيد حكم عليه فان عاد لم يحكم عليه وكان ذلك الى الله عز وجل ان شاء عاقبه وان شاء
عفا عنه ثم قرأ هذه الآية ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام حدثنا هناد قال ثنا
يحيى بن أبى زائدة قال ثنا داود عن عامر قال جاء رجل الى شريح فقال انى أصبت صيدا وأنا
محرم فقال هل أصبت قبل ذلك شيأ قال لا قال لو قلت نعم وكلتك الى الله يكون هو ينتقم منك انه
عزيز ذو انتقام قال داود فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال بل يحكم عليه أو يخلع حدثنى
المثنى والسائب وعمرو بن على قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال اذا أصاب الرجل الصيد

محرمون قتلوا صيدا فالشافعى
وأحمد واسحق لا يجب عليهم
الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد
وقال أبو حنيفة ومالك والثورى على
كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة
واحدا يقتص منهم جميعا وكذا لو
حلف كل منهم أن لا يقتل صيدا
فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم
كفارة وأجيب بان قتل الجماعة بالواحد
تعبدى وتعدد الكفارة لتعدد
الايمان * الثانية قال الشافعى المحرم
اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن
كما لا يجب بالدلالة كفارة القتل ولا
الدية وكما لو دل على مال المسلم وذلك
لان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف
وقال أبو حنيفة يضمن لما روى أن
عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن
عباس أوجبوا الجزاء على الدال
* الثالثة قال الشافعى اذا جرح ظبيا
فنقص من قيمته العشر فعليه عشر
قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الأسهل
لانه قد لا يجد شريكا فى ذبح شاة
ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان
وقال المزنى عليه شاة وقال داود
لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية
حيث نيط الجزاء بالقتل فقط
* الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وأدى
جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء
آخر خلافا لداود وينقل عن ابن
عباس وشريح حجة الجمهور أن
الحكم يتكرر بتكرر العلة
بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل
منكن الدار فهى طالق فدخلت
واحدة مرتين فانه لا يقع الا طلاق

واحد لان تكرار الحكم بتكرر الشرط غير لازم لحجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة * الخامسة قال الشافعي اذا أصاب صيدا أعور أو مكسور اليد أو الرجل فداه بمثله والصحيح أحب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالذكر والانثى والاولى أن لا يغير تحقيقا للمثلية فالانثى أفضل لانها تلد والذكر أفضل من حيث ان لحمه أطيب وصورته أحسن قوله سبحانه (يحكم به ذوا عدل منكم) قال ابن عباس أى رجلان صالحان فقيهان من أهل دينكم ينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نصر قول أبى حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد وأما الخلقة والصورة فشاهد لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بأن وجه المشابهة بين النعم والصيد أيضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر أنه ضرب ظبيا فى الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ماترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فاذهب فأهد شاة قال قبيصة فخرجت الى صاحبى وقلت ان أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأنى عمر وعلانى بالدرة وقال أتقتل فى الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعى ما ورد فيه نص فهو متبع كما روى أنه صلى الله عليه وسلم

وهو محرم قيل له أصبت صيدا مثل هذا فان قال نعم قيل له اذهب فينتقم الله منك وان قال لا حكم عليه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن ابراهيم فى الذى يقتل الصيد ثم يعود قال كانوا يقولون من عاد لا يحكم عليه أمره الى الله عز وجل **حدثنا** عمرو قال ثنا ابن عيينة عن داود بن أبى هند عن الشعبى أن رجلا أتى شريحا فقال أصبت صيدا قال أصبت قبله صيدا قال لا قال أما انك لو قلت نعم لم أحكم عليك **حدثنا** عمرو قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا داود عن الشعبى عن شريح مثله **حدثنا** عمرو قال ثنا أبو عاصم عن الأشعث عن محمد عن شريح فى الذى يصيب الصيد قال يحكم عليه فان عاد انتقم الله منه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم قال يحكم عليه فى العمد مرة واحدة فان عاد يحكم عليه وقيل له اذهب ينتقم الله منك ويحكم عليه فى الخطأ أبدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال رخص فى قتل الصيد مرة فمن عاد لم يدع الله تعالى حتى ينتقم منه **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى جميعا عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فيمن أصاب صيدا فحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم ينتقم الله منه **حدثنا** عمرو قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما قال الله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا يقول متعمد القتل ناسيا لاحرامه فذلك الذى يحكم عليه فان عاد لا يحكم عليه وقيل له ينتقم الله منه **حدثنا** عمرو قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا الفرات بن سليمن عن عبد الكريم عن مجاهد ان عاد لم يحكم عليه وقيل له ينتقم الله منك **حدثنا** عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا الأشعث عن الحسن فى الذى يصيب الصيد فيحكم عليه ثم يعود قال لا يحكم عليه * وقال آخرون معنى ذلك عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم ومن عاد لقتله بعد تحريم الله اياه عليه عالما بتحريمه ذلك عليه عامدا لقتله ذاكرا لاحرامه فان الله هو المنتقم منه ولا كفارة لذنبه ذلك ولا جزاء يلزمه له فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال من عاد بعد نهى الله بعد أن يعرف أنه محرم وانه ذاكر لحرمه لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه وكاوه الى نقمة الله عز وجل فأما الذى يتعمد قتل الصيد وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله محرم فهؤلاء الذين يحكم عليهم فى من قتله متعمدا بعد نهى الله وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام فذلك يوكل الى نقمة الله فذلك الذى جعل الله عليه النقمة وهذا شبيه بقول مجاهد الذى ذكرناه قبل * وقال آخرون عنى بذلك شخص بعينه ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا معتمر بن سليمن قال ثنا أبو المعلى أن رجلا أصاب صيدا وهو محرم فتجوز له عنه ثم عاد فأرسل الله عليه نارا فأحرقته فذلك قوله ومن عاد فينتقم الله منه قال فى الاسلام * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال معناه ومن عاد فى الاسلام لقتله بعد نهى الله تعالى عنه فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفارة لان الله عز وجل اذ أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا وقد أوجب عليه فى قتله الصيد عمدا ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قد أزال عنه الكفارة فى المرة الثانية والثالثة بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدا ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد ولم يقل ولا كفارة عليه فى الدنيا فان ظن ظان أن الكفارة مزيلة للعقاب ولو كانت الكفارة لازمة له فى الدنيا لبطل العقاب فى الآخرة فقد ظن

ط وذلك أن الله عز وجل أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب فيزيد في عقوبته
ض معاصيه مما ينقص من بعض وينقص من بعض مما يزيد في بعض كالذي فعل من
ف في مخالفته بين عقوبته الزاني البكر والزاني الثيب المحصن وبين سارق ربع دينار وبين
ار في أقل من ذلك فكذلك خالف بين عقوبته قاتل الصيد من المحرمين عمدا ابتداء وبين
وبته عودا بعد بدء فأوجب على البادئ المثل من النعم أو الكفارة بالاطعام أو العدل من
صيام وجعل ذلك عقوبة جرمه بقوله ليذوق وبال أمره وجعل على العائد بعد البدء وزاده من
ونه ما أخبر عباده أنه فاعل به من الانتقام تغليظا منه للعود بعد البدء ولو كانت عقوباته على
ء متفقة لوجب أن لا يكون حد في شئ مخالفا حدا في غيره ولا عقاب في الآخرة أغلظ من
ب وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك ومن عاد
الاسلام بعد نهي الله عن قتله لقتله بالمعنى الذي كان القوم يقتلونه في جاهليتهم فعفا لهم عنه عند
يم قتله عليهم وذلك قتله على استحلال قتله قال فأما اذا قتله على غير ذلك الوجه وذلك أن يقتله
وجه الفسوق لا على وجه الاستحلال فعليه الجزاء والكفارة كلما عاد وهذا قول لا نعلم قائلا قاله
أهل التأويل وكفى خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم لو لم يكن على خطئه دلالة سواه
ين وظاهر التنزيل ينبئ عن فساده وذلك أن الله عم بقوله ومن عاد فينتقم الله منه كل عائد
قتل الصيد بالمعنى الذي تقدم النهي منه به في أول الآية ولم يخص به عائدا منهم دون عائد فمن
عى في التنزيل ما ليس في ظاهره كلف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له وأما
ز زعم أن معنى ذلك ومن عاد في قتله متعمدا بعد بدء لقتل تقدم منه في حال احرامه فينتقم الله
ه فان معنى قوله عفا الله عما سلف انما هو عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدأ فان
قول الله تعالى ليذوق وبال أمره دليلا واضحا على أن القول في ذلك غير ما قال لان العفو عن
مر ترك المؤاخذة به ومن أذيق وبال جرمه فقد عوقب به وغير جائز أن يقال لمن عوقب قد عفي
ه وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض فان قال قائل وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من
مرين في أول مرة قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفارة وعفي له من العقوبة
كر من ذلك مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به قيل له فان كان ذلك جائزا أن يكون تأويل
ته عندك وان كان مخالفا لقول أهل التأويل فما ينكر أن يكون الانتقام الذي أوعده الله
ي العود بعد البدء هو تلك الزيادة التي عفاها عنه في أول مرة مما كان له فعله به مع الذي أذاقه
وبال أمره فيذيقه في عوده بعد البدء وبال أمره الذي أذاقه المرة الاولى ويترك عفوه عما عفا
ه في البدء فيؤاخذه به فلم يقل في ذلك شيأ الا ألزم في الآخر مثله ۞ القول في تأويل قوله
والله عزيز ذو انتقام ﴾ يقول عز وجل والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يمنعه من
انتقام ممن انتقم منه ولا من عقوبته من أراد عقوبته مانع لان الخلق خلقه والأمر أمره له العزة
كله وأما قوله ذو انتقام فانه يعني به معاقبته لمن عصاه على معصيته اياه ۞ القول في تأويل
قوله ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ يقول تعالى ذكره أحل لكم أيها المؤمنون صيد
البحر وهو ما صيد طريا كما حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبي سلمة
عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب في قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده
ما لم ينتنه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس
أن الخطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر قال فصيده ما أخذ حدثني يعقوب
قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله أحل لكم صيد البحر

قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم
به عدلان من الصحابة أو التابعين أو
من أهل عصر آخر من النعم أنه
مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم
ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لأن
بحثهم أوفى ونظرهم أعلى وقال
مالك يجب التحكيم فيما حكمت به
الصحابة وفيما لم تحكم وهل يجوز
أن يكون قاتل الصيد حكما ان كان
القتل عمدا عدوانا فلا لأنه يورث
الفسق والحكم موصوف بالعدالة
وان كان خطأ أو كان مضطرا اليه
فكذلك عند مالك كما في تقويم
المتلفات وجوزه الشافعي لما روى
أن بعض الصحابة أوطأ فرسه ظبيا
فسأل عمر فقال احكم فيه فقال
أنت خير مني وأعلم يا أمير المؤمنين
فقال انما أمرتك أن تحكم فيه ولم
آمرك أن تزكيني فقال الرجل
أرى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه
وأيضا فانه حق الله فيجوز أن يكون
من عليه أمينا فيه كما أن رب المال
أمين في الزكاة ولو حكم عدلان
بأن له مثلا وآخران بأنه لا مثل له
فالأخذ بقول الاولين ولو حكم
عدلان بمثل وآخران بمثل آخر
فأصح الوجهين أنه يتخير والآخر
أنه يأخذ بالأغلظ قيل في الآية
دلالة على أن العمل بالاجتهاد
والقياس جائز وأجيب بأنه لا نزاع
في الصور الجزئية كالاجتهاد في
القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين
وبتقويم المقومين في قيم المتلفات
وأروش الجنايات وكعمل العامي
بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح
الدنيا انما النزاع في اثبات شرع

عام فى حق جميع المكلفين باق على
وجه الدهر والانصاف أن تجويز
الاجتهاد فى القيمة وفى تعيين مثل
الصيد المقتول أمر كلى أيضا
وانتصب هديا على أنه حال من
جزاء عند من وصفه بمثل لانه
حينئذ قريب من المعرفة أو بدل
من محل مثل عند من أضاف أو حال
من الضمير فى به ووصف هديا ببالغ
الكعبة لان اضافته غير حقيقية
تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمى
كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا
كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة
أن يذبح فى الحرم لان الذبح والنحر
لا يقعان فى نفس الكعبة ولا فى
غاية القرب والتلاصق منها فان دفع
مثل الصيد المقتول الى الفقراء
حيا لم يجز قال الشافعى يجب عليه
أن يتصدق به فى الحرم أيضا لان
نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما
القربة فى التصدق على فقراء الحرم
وقال أبو حنيفة له أن يتصدق به
حيث شاء لانها لما وصلت الى
الكعبة فقد خرج عن العهدة
قوله أو كفارة عطف على قوله فجزاء
وطعام مساكين بيان له ومن أضاف
فللبيان أيضا أى كفارة من طعام
مساكين مثل خاتم فضة أو عدل
ذلك الطعام صياما نصب على التمييز
كقولك لى مثله رجلا وعدل الشئ
ما عادله من غير جنسه والعدل
بالكسر المثل تقول عندى عدل
غلامك اذا كان غلاما يعدل غلاما
فاذا أردت قيمته من غير جنسه
فتحت العين ثم مذهب الشافعى أنه
يصوم لكل مد يوما ومذهب

قال صيده ما صيد منه **حدثنا** سليمان بن عمر بن خالد البرقى قال ثنا محمد بن سلمة الحرانى
خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده الطرى **حدثنا**
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الهذيل بن هلال قال ثنا عبد الله بن عبيد بن
عن ابن عباس فى قوله أحل لكم صيد البحر قال صيده ما صيد **حدثنى** محمد بن سعد قال
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر قال الطرى
حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسن بن على الجعفى أو الحسين شك أبو جعفر عن الحكم بن أبا
عن عكرمة قال كان ابن عباس يقول صيد البحر ما اصطاده **حدثنا** أبو كريب قال
ابن يمان عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال الطرى **حدثنا**
ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الحجاج عن العلاء بن بدر عن أبى سلمة قال صيد البح
ما صيد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أحل
لكم صيد البحر قال الطرى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبد الرحمن عن سفيان عن
أبى حصين عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال
سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير أحل لكم صيد البحر قال السمك الطرى **حدثنا**
ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أحل لكم صيد البحر أما صيد
البحر فهو السمك الطرى هى الحيتان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن
معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال صيده ما اصطدته طريا قال معمر وقال قتادة صيد
ما اصطدته **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد فى قول الله أحل لكم صيد البحر قال حيتانه قال **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا عمر بن
سلمة قال سئل سعيد عن صيد البحر فقال قال مكحول قال زيد بن ثابت صيده ما اصطدت **حدثنا**
ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم
والسيارة قال يصطاد المحرم والمحل من البحر ويأكل من صيده **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد
قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قال أبو بكر طعام البحر كل ما فيه وقال جابر بن عبد
الله ما حسر عنه فكل وقال كل ما فيه يعنى جميع ما صيد **حدثنا** سعيد بن الربيع قال ثنا
سفيان عن عمرو سمع عكرمة يقول قال أبو بكر وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال هو كل ما فيه وعنى
بالبحر فى هذا الموضع الانهار كلها والعرب تسمى الانهار بحارا كما قال تعالى ذكره ظهر الفساد
فى البر والبحر فتأويل الكلام أحل لكم أيها المؤمنون طرى سمك الانهار الذى صدتموه فى مياه
حلكم وحرمكم ومالم تصيدوه من طعامه الذى قتله ثم رمى به الى ساحله واختلف أهل التأويل فى
معنى قوله وطعامه فقال بعضهم عنى بذلك ما قذف به الى ساحله ميتا نحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من
قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن سماك قال حدثت عن ابن عباس أنه
خطب أبو بكر الناس فقال أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وطعامه ما قذف **حدثنى**
يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة قال كنت بالبحر
فسألونى عما قذف البحر قال فأفتيتهم أن يأكلوا فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ذكرت ذلك له فقال لى بم أفتيتهم قال قلت أفتيتهم أن يأكلوا قال لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرة
قال ثم قال ان الله تعالى قال فى كتابه أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم فصيده ما صيد
منه وطعامه ما قذف **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما قذف **حدثنى** يعقوب

قال

قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى مجلز عن ابن عباس فى قوله أحل لكم صيد البحر
وطعامه قال طعامه ماقذف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن سليمان التيمى عن
أبى مجلز عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن على عن زائدة عن سماك
عن عكرمة عن ابن عباس قال طعامه كل ما ألقاه البحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسن بن على
الحسين بن على الجعفى شك أبو جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال طعامه
ما لفظ من ميتته حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الهذيل بن هلال قال ثنا
عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ماوجد على
الساحل ميتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سليمان التيمى عن أبى مجلز
عن ابن عباس قال طعامه ماقذف به حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن عمر وسمع
عكرمة يقول قال أبو بكر رضى الله عنه وطعامه متاعا لكم قال طعامه هو كل مافيه حدثنى محمد
ابن المثنى قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن
عباس قال قال أبو بكر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ميتته قال عمرو وسمع أبا الشعثاء يقول
ما كنت أحسب طعامه الا مالحه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى الضحاك بن مخلد عن ابن
جريج قال أخبرنى أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وطعامه
متاعا لكم قال طعامه ميتته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان
عن عكرمة وطعامه متاعا لكم قال طعامه ماقذف حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معمر بن
سليمان قال سمعت عبيد الله عن نافع قال جاء عبد الرحمن الى عبد الله فقال البحر قد ألقى حيتانا
كثيرة قال فنهاه عن أكلها قال يانافع هات المصحف فأتيته به فقرأ هذه الآية أحل لكم صيد
البحر وطعامه متاعا لكم قال قلت طعامه هو الذى ألقاه قال فالحقه فقره بأكله حدثنا ابن
بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر
فقال ان البحر قذف حيتانا كثيرة ميتة أفنأكلها قال لا تاكلوها فلما رجع عبد الله الى أهله أخذ
المصحف فقرأ سورة المائدة فأتى على هذه الآية وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال اذهب فقل له
انما كله فانه طعامه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن نافع عن ابن عمر
بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار عن
عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو بكر رضى الله عنه وطعامه متاعا لكم قال ميتته قال عمرو وسمعت
أبا الشعثاء يقول ما كنت أحسب طعامه الا مالحه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا الضحاك
بن مخلد عن ابن جريج قال أخبرنا نافع أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة
ألقاها البحر أميتة هى قال نعم فنهاه عنها ثم دخل البيت فدعا بالمصحف فقرأ تلك الآية أحل لكم
صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه كل شئ أخرج منه فكله فليس به بأس وكل شئ فيه
يأكل ميتا أو بساحله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال
قتادة طعامه ماقذف منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن ليث عن شهر عن أبى أيوب
قال مالفظ البحر فهو طعامه وان كان ميتا حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن ليث عن شهر
قال سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا قال هو مالفظ البحر وقال
آخرون عنى بقوله وطعامه المليح من السمك فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم أحل لكم
صيد البحر ومليحه فى كل حال احلالكم واحرامكم ذكر من قال ذلك حدثنا سليمان بن عمرو بن
خالد الرقى قال ثنا محمد بن سلمة عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس وطعامه قال طعامه المالح منه

أبى حنيفة أنه يصوم لكل نصف صاع
يوما وذلك بحسب الاختلاف فى
طعام مسكين واحد كما مر فى كفارة
اليمين وبالجملة فحاصل مذهب أبى
حنيفة أنه يوجب قيمة الصيد يقوم
حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن
هدى تخير بين أن يهدى من
النعم ماقيمته قيمة الصيد وبين أن
يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل
مسكين نصف صاع من بر أو صاعا
من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعى
أن الصيد قسمان ماله مثل من النعم
وماليس كذلك فالاول جزاؤه على
التخيير والتعديل فيتخير بين أن
يذبح مثله فيتصدق به على مساكين
الحرم اما بأن يفرق اللحم أو يملك
جملته اياهم مذبوحا وبين أن يقوم
المثل بدراهم ولا يجوز أن يتصدق
بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها
طعاما وتصدق به على مساكين
الحرم وان شاء صام عن كل مد من
الطعام يوما حيث كان والثانى وهو
ماليس بمثلى كالعصافير وغيرها
وبالجملة كل مادون الحمام
أو فوقه فيه قيمته ولا يتصدق
بها بل يجعلها طعاما ثم
ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن
كل مد يوما فان انكسر مد فى القسمين
صام يوما لان الصوم لا يتبعض
فللجزاء فى القسم الاول ثلاثة أركان
الحيوان والطعام والصيام وفى القسم
الثانى ركنان الطعام والصيام وأوهنا
على التخيير فى ظاهر المذهب لا على
الترتيب ووافق مالك وأبو حنيفة
لان أو للتخيير غالبا وخالف أحمد وزفر

فقالا انها فى الآية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال أمره والتخيير ينافى التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على أن الخيار فى تعيين هذه الثلاثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة فى القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم والمعتبر فى الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا وأراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام أو الصيام فالعبرة فى قيمته بمكة يومئذ لانها محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه أو اصطياده له أو بدلالته لانه ليس بنام بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق باتلافه الجزاء كما لو أتلف بيضة مذرة هذا فى الجديد من قولى الشافعى وفى قوله القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد ما أكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل منه ولا لغيره فى الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسى حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال الاحرام أظهر الوجهين لا وكذا الكلام فى صيد الحرم اذا ذبح أما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء أى فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق ويحتمل أن يقال يتعلق بمحذوف أى شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة

حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم يعنى بطعامه ما لحه وما قذف البحر من ما لحه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وهو الملح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان بن مجمع التيمى عن عكرمة فى قوله متاعا لكم قال الملح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن سالم الافطس وأبى حصين عن سعيد بن جبير قال الملح حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وطعامه متاعا لكم قال الملح ولفظ حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال يأتى الرجل أهل البحر فيقول أطعمونى فان قال غريضا ألقوا شبكتهم فصادوا له وان قال أطعمونى من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد أحل لكم صيد البحر وطعامه قال المنبوذ السمك المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وطعامه قال المالح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وطعامه قال هو ما لحه ثم قال ما قذف حدثنا ابن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وطعامه قال مملوح السمك حدثنا هناد قال ثنا أبى زائدة قال أخبرنى النورى عن منصور قال كان ابراهيم يقول طعامه السمك المليح ثم قال ما قذف به حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا النورى عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال طعامه المليح حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا اسرائيل عن عبد الكريم عن مجاهد قال طعامه السمك المليح حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية وطعامه متاعا لكم قال الصير قال شعبة فقلت لابى بشر ما الصير قال المالح حدثنا ابن المثنى قال ثنا هشام بن الوليد قال ثنا شعبة عن بشر عن جعفر بن أبى وحشية عن سعيد بن جبير قوله وطعامه متاعا لكم قال الصير قال فقلت الصير قال المالح حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وطعامه متاعا لكم قال أما طعامه فهو المالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما ترزود مملوحا فى سفرك حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازى قالا ثنا سفيان بن عمرو عن عمرو قال جابر بن زيد كنا نتحدث أن طعامه مليحه ونكره الطافى منه وقال آخرون طعامه ما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال طعام البحر ما جاء به البحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حريث عن عكرمة وطعامه متاعا لكم قال ما جاء به البحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد قال طعامه كل ما صيد منه * وأولى هذه الاقوال بالصواب عندنا قول من قال طعامه ما قذفه البحر أو جزر عنه فوجد ميتا على ساحله وذلك أن الله تعالى ذكره قبله صيد الذى يصاد فقال أحل لكم صيد البحر والذى يجب أن يعطف عليه فى المفهوم ما لم يصد منه فقال أحل لكم ما صدتموه من البحر تصيدونه منه وأما المليح فانه ما كان منه ملح بعد الاصطياد فقد دخل فى جملة قوله أحل لكم صيد البحر فلا وجه لتكريره اذ لا فائدة فيه وقد أعلم عباده تعالى احلاله ما صيد من البحر بقوله لكم صيد البحر فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك ومليحه الذى صيد حلال لكم لان ما صيد منه بين تحليله طريا كان أو مليحا بقوله أحل لكم صيد البحر والله يتعالى عن أن يخاطب عباده

يفيدهم به فائدة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا خبر وان كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة وذلك ما حدثنا به هناد بن السرى قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم قال طعامه ما لفظه ميتا فهو طعامه وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبى هريرة حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة فى قوله أحل لكم صيد البحر وطعامه قال طعامه ما لفظه ميتا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿متاعا لكم وللسيارة﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله متاعا لكم منفعة لمن كان منكم مقيما أو حاضرا فى بلده يستمتع بأكله وينتفع به وللسيارة يقول ومنفعة أيضا ومتعة للسائرين من أرض الى أرض ومسافرين يتزودونه فى سفرهم مليحا والسيارة جمع سيار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنى أبو اسحق عن عكرمة أنه قال فى قوله متاعا لكم وللسيارة قال لمن كان بحضرة البحر وللسيارة السفر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وطعامه متاعا لكم وللسيارة ما قذف البحر وما يتزودون فى أسفارهم من هذا المالح يتأولها على هذا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وطعامه متاعا لكم وللسيارة مملوح السمك ما يتزودون فى أسفارهم حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقى قال ثنا مسكين بن بكير قال ثنا عبد السلام بن حبيب النجارى عن الحسن فى قوله وللسيارة قال هم المحرمون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وطعامه متاعا لكم وللسيارة أما طعامه فهو المالح منه بلاغ يأكل منه السيارة فى الاسفار حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وللسيارة قال طعامه مالحه وما قذف البحر منه يتزوده المسافر قال مرة أخرى مالحه وما قذف البحر فمالحه يتزوده المسافر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وطعامه متاعا لكم وللسيارة يعنى المالح فيتزوده وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمر قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وطعامه متاعا لكم قال أهل القرى وللسيارة أهل الامصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله متاعا لكم قال لأهل القرى وللسيارة قال أهل الامصار وأجناس الناس كلهم وهذا الذى قاله مجاهد من أن السيارة هم أهل الامصار لا وجه له مفهوم الا أن يكون أراد بقوله هم أهل الامصار هم المسافرون من أهل الامصار فيجب أن يدخل فى ذلك كل سيارة من أهل الامصار كانوا أو من أهل القرى فاما السيارة فلا يشمل المقيمين فى أمصارهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما﴾ يعنى تعالى ذكره وحرم الله عليكم أيها المؤمنون صيد البر مادمتم حرما يقول ما كنتم محرمين لم تحلوا من احرامكم ثم اختلف أهل العلم فى المعنى الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله وحرم عليكم صيد البر فقال بعضهم عنى بذلك أنه حرم علينا كل معانى صيد البر من اصطياد وأكل وقتل وبيع وشراء وامساك وتملك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث عن نوفل عن أبيه قال حج عثمان بن عفان فجئ على معه قال فأتى عثمان بلحم صيد صاده حلال فأكل منه ولم يأكل على فقال عثمان والله ما صدناه ولا أمرنا ولا أشرنا فقال على وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن سماك عن صبيح بن عبيد الله العبسى قال بعث عثمان بن عفان أبا سفيان

فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدور على الثقل يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع والمعدة والامور الثلاثة اثنان منها نقص فى المال فينقل على الطبع والثالث وهو الصوم ثقيل على البدن أيضا وكل منها نوع عقوبة عفا الله عما سلف فى الجاهلية لانهم متعبدون بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم فى الاسلام وعلى مذهب داود عفا الله عما سلف فى المرة الاولى بسبب أداء الجزاء ومن عاد فانه أعظم من أن يعفى بالجزاء فينتقم الله منه أى فهو ينتقم الله منه والا لم يحتج الى ادخال فاء الجزاء لارتباطه بنفسه أحل لكم صيد البحر أى مصيداته ويعنى بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة أجناس الحيتان وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وفيما سوى هذين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبى ليلى والاكثرون حلال قوله وطعامه العطف يقتضى المغايرة وفيه وجوه يروى عن أبى بكر الصديق أن الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة فى أخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصطاد فى البحر وأحل لكم أكل

المأكول منه وعن سعيد بن جبير
أن الصيد هو الطرى والطعام هو
القديد منه وفى الفرق ضعف قال
الشافعى السمكة الطافية فى البحر
محللة لانه طعام البحر وقد قال
تعالى أحل لكم صيد البحر
وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم فى
البحر هو الطهور وماؤه الحل ميتته متاع
لكم فى الحضر طريا وللسيارة فى السفر
مالحا وانتصب متاعا على أنه مفعول
له ولكنه مختص بالطعام وقال
الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله
أحل لكم فى معنى التمتيع وحرم
عليكم صيد البر مادمتم حرما قال
العلماء صيد البحر هو الذى لا يعيش
الا فى الماء أما الذى لا يعيش الا فى
البر والذى يمكنه أن يعيش فى البر
تارة وفى البحر أخرى فذلك كله
صيد البر فالسلحفاة والسرطان
والضفدع وطير الماء كل ذلك من
صيد البر ويجب على قاتله الجزاء
واتفق المسلمون على أن المحرم
يحرم عليه الصيد الذى صاده أما
الذى صاده الحلال فعن على وابن
عباس وابن عمر وسعيد بن جبير
وطاوس والثورى واسحق أن الحكم
كذلك لاطلاق الآية ولما روى
عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم
أهدى اليه حمار وحش وهو محرم
فأبى أن يأكله وقال مالك والشافعى
وأحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم
بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا
يصطاد له لما روى أبو داود فى سننه
عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال صيد البر لكم حلال مالم
تصيدوه أو يصاد لكم وعن أبى هريرة

ابن الحرث على العروض فنزل قديدا فمر به رجل من أهل الشام معه باز وصقر فاستعاره منه
فاصطاد به من اليعاقيب فعلهن فى حظيرة فلما مر به عثمان طبخهن ثم قدمهن اليه فقال عثمان
كلوا فقال بعضهم حتى يجىء على بن أبى طالب فلما جاء فرأى ما بين أيديهم قال على انا لن نأكل منه
فقال عثمان مالك لا تأكل فقال هو صيد ولا يحل أكله وأنا محرم فقال عثمان بين لنا فقال على يا أيها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فقال عثمان أونحن قتلناه فقر أعليه أحل لكم صيد
البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما حدثنا تميم بن المنتصر وعبد
الحميد بن بيان القناد قالا أخبرنا أبو اسحق الازرق عن شريك عن سماك بن حرب عن صبيح بن
عبيد الله العبسى قال استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض ثم ذكر نحوه
وزاد فيه قال فمكث عثمان ماشاء الله أن يمكث ثم أتى فقيل له عكة هل لك فى ابن أبى طالب أهدى
له صفيف حمار فهو يأكل منه فارسل اليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف فقال أما أنت
فتأكل وأما نحن فنتهنا نا فقال انه صيد عام أول وأنا حلال فليس على بأكله بأس وصيد ذلك يعنى
اليعاقيب وأنا محرم وذبحن وأنا حرام حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن
سعيد قال ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم وكرهه على
ابن أبى طالب رضى الله عنه حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال
ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عليا كره لحم الصيد للمحرم على كل حال حدثنا
محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث
أنه شهد عثمان وعليا أتيا بلحم فاكل عثمان ولم يأكل على فقال عثمان أنحن صدنا أو صيد لنا فقرأ
على هذه الآية أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما
حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال حج عثمان بن عفان
فحج معه على فأتى بلحم صيد صاده حلال فأكل منه وهو محرم ولم يأكل منه على فقال عثمان انه
صيد قبل أن نحرم فقال له على ونحن قد بدا لنا وأهالينا لنا حلال أفيحلان لنا اليوم حدثنا ابن
حميد قال ثنا هرون عن عمرو بن عبد الكريم عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث بن نوفل أن عليا
أتى بشق عجز حمار وهو محرم فقال انى محرم حدثنا ابن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا
سعيد عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يكره على كل حال ما كان محرما
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرنا نافع أن ابن عمر كان يكره كل شئ
من الصيد وهو حرام أخذه أو لم يؤخذ له وشيقة وغيرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد
القطان عن عبد الله قال أخبرنى نافع أن ابن عمر كان لا يأكل الصيد وهو محرم وان صاده الحلال
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى الحسن بن مسلم بن يناق أن
طاوسا كان ينهى الحرام عن أكل الصيد وشيقة وغيرها صيد له أو لم يصد له حدثنا عبد الاعلى
قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا الاشعث قال قال الحسن اذا صاد الصيد ثم أحرم لم يأكل من لحمه
حتى يحل فان أكل منه وهو محرم لم ير الحسن عليه شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام وهرون
عن عنبسة عن سالم قال سألت سعيد بن جبير عن الصيد يصيده الحلال أيأكل منه المحرم فقال
سأذكر لك من ذلك ان الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فنهى عن قتله ثم
قال ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ثم قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم وللسيارة قال يأتى الرجل أهل البحر فيقول أطعمونى فان قال غريصا ألقوا شبكهم
فصادوا له وان قال أطعمونى من طعامكم أطعموه من سمكهم المالح ثم قال وحرم عليكم صيد البر

مادمتم

مادمتم حرما وهو عليكم حرام صدته أو صاده حلال وقال آخرون انما عنى الله تعالى بقوله وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما ما استحدث المحرم صيده فى حال احرامه أو ذبحه أو استحدث له ذلك فى تلك الحال فأما ما ذبحه حلال وللحلال فلا بأس بأكله للمحرم وكذلك ما كان فى ملكه قبل حال احرامه فغير محرم عليه امساكه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة أن سعيد بن المسيب حدثه عن أبى هريرة أنه سئل عن صيد صاده حلال أيأكله المحرم قال فأفتاه هو بأكله ثم لقى عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره فقال لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه قال نزل عثمان بن عفان العرج وهو محرم فاهدى صاحب العرج له ظبيا فقال فقال لأصحابه كلوا فانه انما اصطيد على اسمى قال فأكلوا ولم يأكل حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة كان بالربذة فسألوه عن لحم صيد صاده حلال ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن عمر نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق عن أبى الشعثاء قال سألت ابن عمر عن لحم صيد يهديه الحلال الى الحرام فقال أكله عمر وكان لا يرى به بأسا قال قلت تأكله قال عمر خير منى حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثنا أبو اسحق عن أبى الشعثاء قال سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام قال كان عمر يأكله قال قلت فانت قال كان عمر خيرا منى حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن هشام عن يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال استفتانى رجل من أهل الشام فى لحم صيد أصابه وهو محرم فأمرته أن يأكله فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له ان رجلا من أهل الشام استفتانى فى لحم صيد أصابه وهو محرم قال فما أفتيته قال قلت أفتيته أن يأكله قال فوالذى نفسى بيده لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرة وقال عمر انما نهيت أن تصطاده حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا خارجة عن زيد بن أسلم عن عطاء عن كعب قال أقبلت فى أناس محرمين فأصبنا لحم حمار وحش فسألنى الناس عن أكله فأفتيتهم بأكله وهم محرمون فقدمنا على عمر فأخبروه أنى أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون فقال عمر قد أمرته عليكم حتى ترجعوا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال مررت بالربذة فسألنى أفلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال فأفتيتهم أن يأكلوا فلقيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فقال فبم أفتيتهم قال أفتيتهم أن يأكلوا قال لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن يونس عن أبى الشعثاء الكندى قال قلت لابن عمر كيف ترى فى قوم حرام لقوا قوما حلالا ومعهم لحم صيد فاما باعوهم واما أطعموهم فقال حلال حدثنى سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا هشام يعنى ابن عروة قال ثنا عروة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عبد الرحمن حدثه أنه اعتمر مع عثمان بن عفان فى ركب فيهم عمرو بن العاص حتى نزلوا الروحاء فقرب اليهم طيرو هم محرمون فقال لهم عثمان كلوا فانى غير آكله فقال عمرو بن العاص ما أمرنا بما لست آكلا فقال عثمان انى لولا أظن أنه صيد من أجلى لا كلت فأكل القوم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير كان يتزود لحوم الوحش وهو محرم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال وما صيد أو ذبح

وعطاء ومجاهد أنهم أجازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لأجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه لما روى عن أبى قتادة أنه اصطاد حمار وحش وهو حلال فى أصحاب محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أشرتم هل أعنتم فقالوا لا فقال هل بقى من لحمه شئ قالوا معنا رجله فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم فأكلها وهذان القولان مفسران على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال فى الكشاف أخذ أبو حنيفة بالمفهوم فكأنه قيل وحرم عليكم أيها المحرمون ما صدتم فى البر فيخرج عنه مصيد غيرهم ويرد عليه أن المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصى بقوله واتقوا الله الذى اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد فى الحرم وفى الاحرام فقال جعل الله أى حكم وبين بالخطاب والتعريف أو صير بخلق دواعى التعظيم فى القلوب قياما للناس وهم العرب ووجه المجاز أن أهل بلدة اذا قالوا الناس فعلوا كذا أرادوا أهل بلدتهم فنطق القرآن على مجرى عادتهم وبيان القيام أن قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعله بحيث يجبى اليه ثمرات كل شئ واما بدفع المضار وقد صيره حرما آمنا واما بحصول الجاه والرياسة وتوفر الدواعى والرغبات وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام

فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم
ثم المنافع الدينية الحاصلة من
مناسكها وشعائرها أكثر من أن
تحصى وأظهر من أن تخفى وانتصب
البيت الحرام على أنه عطف بيان
على جهة المدح لا على جهة التوضيح
اذ الكعبة أوضح من أن توضح
ويحتمل أن يراد بالناس عامة
الناس لما يتم لهم من أمر حجهم
وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم
الدينية والدنيوية وعن عطاء بن
أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم
ينظروا ولم يؤخروا وتفسير الشهر
الحرام والهدى والقلائد تقدم
في أول السورة وانما كان الشهر
الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم
لانه اذا دخل الشهر الحرام كان
يزول خوفهم ويقدرون على
الاسفار وتحصيل الاقوات قدر
ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة
ذلك لهلكوا من الجوع وأيضا هو
سبب لاكتساب الثواب من قبل
مناسك الحج واقامتها وأما الهدى
فانه نسك للهدى وقوام لمعايش
الفقراء وكذا القلائد فكان من
قلد الهدى أو قلد نفسه من لحاء
شجر الحرم لم يتعرض له أحد
وكل ذلك لان الله تعالى أوقع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك
الذي ذكر من جعل الكعبة قياما
للناس أو من حفظ حرمة الاحرام
والحرم مشروع لتعلموا أن الله يعلم
ما في السموات وما في الارض وذلك
أنه علم في الازل أن مقتضى طباع
العرب الحرص على القتل والغارة

وأنت حرام فهو عليك حرام حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن سماك عن عكرمة عن
ابن عباس قال ما صيد من شئ وأنت حرام فهو عليك حرام وما صيد من شئ وأنت حلال فهو لك
حلال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فجعل الصيد حراما على المحرم صيده وأكله ما دام حراما وان
كان الصيد صيد قبل ان يحرم الرجل فهو حلال وان صاده حرام لحلال فلا يحل له أكله حدثني
يعقوب قال ثنا هشيم قال سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال قال كان سعيد بن جبير
ومجاهد يقولان ما صيد قبل أن يحرم أكل منه وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه حدثنا
ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال كان عطاء يقول اذا سئل في العلانية
أيأكل الحرام الوشيقة والشئ اليابس يقول بيني وبينه لا أستطيع أن أبين لك في مجلس ان ذبح
قبل أن يحرم فكل والا فلا تبتع لحمه ولا تبتع وقال آخرون انما عنى الله تعالى بقوله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما وحرم عليكم اصطياده قالوا فأما ما شراؤه ومن مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن
يكون ملكه اياه على غير وجه الاصطياد له وبيعه وشراؤه جائز قالوا والنهي من الله تعالى عن
صيده في حال الاحرام دون سائر المعاني ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبوية
قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال أخبرني يحيى أن أبا سلمة اشترى قطا وهو بالعرج
وهو محرم ومعه محمد بن المنكدر فأكله فعاب عليه ذلك الناس * والصواب في ذلك من القول
عندنا أن يقال ان الله تعالى عم تحريم كل معاني صيد البر على المحرم في حال احرامه من غير أن
يخص من ذلك شيأ دون شئ فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراما بيعه وشراؤه واصطياده
وقتله وغير ذلك من معانيه الا أن يجده مذبوحا قد ذبحه حلال لحلال فيحل له حينئذ أكله للثابت
من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثناه يعقوب بن ابراهيم قال ثنا يحيى بن سعيد
عن ابن جريج وحدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا عبد الملك بن
جريج قال أخبرني محمد بن المنكدر عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان عن أبيه عبد الرحمن بن
عثمان قال كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حرم فأهدى لنا طائر فمنا من أكل ومنا من تورع فلم
يأكل فلما استيقظ طلحة وافق من أكل وقال أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قال
قائل فما أنت قائل فيما روى عن الصعب بن جثامة أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل حمار وحش يقطر دما فرده فقال انا حرم وفيما روى عن عائشة أن وشيقة ظبي أهديت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم فردها وما أشبه ذلك من الاخبار قيل انه ليس في واحد من
هذه الاخبار التي جاءت بهذا المعنى بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد من ذلك ما رد وقد ذبحه
الذابح اذ ذبحه وهو حلال لحلال ثم أهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام فرده وقال له
لا يحل لنا لأنا حرم وانما ذكر فيه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فرده وقد يجوز
أن يكون رده ذلك من أجل أن ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم
وقد بين خبر جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لحم صيد للمحرم حلال الا ما صاده أو صيد
معنى ذلك كله فاذ كان كلا الخبرين صحيحا مخرجهما فواجب التصديق بهما وتوجيه كل واحد
منهما الى الصحيح من وجه وأن يقال رده ما رد من ذلك من أجل أنه كان صيد من أجله وأنه
في أكل ما أذن في أكله منه من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ولا صاده محرم فيصح معنى الخبرين
كليهما واختلفوا في صفة الصيد الذي عنى الله تعالى بالتحريم في قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما فقال بعضهم صيد البر كل ما كان يعيش في البر والبحر وانما صيد البحر ما كان يعيش

في

في الماء دون البر ويأوى اليه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن أبى مجلز وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما قال ما كان يعيش فى البر والبحر لا يصيده وما كان حياته فى الماء فذاك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء قال ما كان يعيش فى البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه نحو السلحفاة والسرطان والضفادع حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن الحجاج عن عطاء قال كل شئ عاش فى البر والبحر فأصابه المحرم فعليه الكفارة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال خرجنا حجاجا معتمرا رجل من أهل السواد معه شوص طير ماء فقال له أبى حين أحرمنا اعزل هذا عنا وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى قال ثنا ابن ادريس قال سمعت يزيد بن أبى زياد قال ثنا حجاج عن عطاء أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجى لان له أصلا فى البر وقال بعضهم صيد البر ما كان كونه فى البر أكثر من كونه فى البحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ابن جريج أخبرنا قال سألت عطاء عن ابن الماء أصيد بر أم بحر عن أشباهه فقال حيث يكون أكثر فهو صيده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى وكيع عن سفيان عن رجل عن عطاء بن أبى رباح قال أكثر ما يكون حيث يفرخ فهو منه القول فى تأويل قوله ﴿واتقوا الله الذى اليه تحشرون﴾ وهذا تقدم من الله تعالى ذكره لخلقه بالحذر من عقابه على معاصيه يقول تعالى واخشوا الله أيها الناس واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه وفيما نهاكم عنه فى هذه الآيات التى أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم من النهى عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وعن اصابة صيد البر وقتله فى حال احرامكم وفى غيرها وان الله مصيركم ومرجعكم فيجازيكم بمعصيتكم اياه ويجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له القول فى تأويل قوله ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد﴾ يقول تعالى ذكره صير الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس الذين لا قوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ومسيئهم عن محسنهم وظالمهم عن مظلومهم والشهر الحرام والهدى والقلائد فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض اذ لم يكن لهم قيام غيره وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم والكعبة سميت فيما قيل كعبة لتربيعها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال انما سميت الكعبة لانها مربعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبى سعيد المؤدب عن النضر بن عربى عن عكرمة قال انما سميت الكعبة لتربيعها وقيل قياما للناس بالياء وهو من ذوات الواو ولكسرة القاف وهى فاء الفعل شعلت العين منه بالكسرة ياء كما قيل فى مصدر قمت قياما وصمت صياما شحولت العين من الفعل وهى واو ياء لكسرة قافه وانما هو فى الاصل قمت قواما وصمت صواما وكذلك قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس شحولت واو قياما اذ هى قوام وقد جاء ذلك من كلامهم مقولا على أصله الذى هو أصله قال الراجز * قوام دنيا وقوام دين * فجاء به بالواو على أصله وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قواما لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه بمنزلة الرئيس الذى يقوم به أمر اتباعه وأما الكعبة فالحرم كله وسماها الله تعالى حراما لتحريمه اياها بمعنى صدها أو يختلى خلاها أو يعضد شجرها وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل وقوله والشهر الحرام والهدى والقلائد يقول تعالى ذكره وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضا قياما للناس كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياما والناس الذين جعل ذلك لهم قياما مختلف فيهم

وكان ذلك مما يقضى الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كى يصير سببا للامان فى بعض الامكنة وفى بعض الازمان فتستقيم مصالح الانسان ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم الكائنات وأسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها ذاتها ومعلولاتها موجودها ومعدومها وذلك قوله وأن الله بكل شئ عليم فما أحسن هذا الترتيب ثم خوفهم وطمعهم بقوله اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين فى جانب الرحمة دليل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتى غضبى ثم قرر أن الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة وبقى الأمر من جانبكم وانه تعالى يعلم جهركم وسركم وفيه من الوعيد ما فيه عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عباد الاوثان وشرب الخمر والطعن فى الانساب ألا وان الخمر لعن الله شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقام اليه أعرابى فقال يا رسول الله الى كنت رجلا كانت هذه تجارتى واستفدت من بيع الخمر مالا فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح

بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب
وأنزل الله عز وجل تصديقا لقول
رسوله قل لا يستوى الخبيث والطيب
ولو أعجبك كثرة الخبيث وهو عام فى
حرام الاموال وحلالها فاسد
الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب
وصحيحها وردىء النفوس وجيدها
وأخبث الخبائث الروحانية الجهل
والمعصية وأطيب الطيبات الروحانية
معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين
الصنفين فى العالم الروحانى أبعد
منه فى العالم الجسمانى لان أثرهما
فى عالم الارواح أبقى وأدوم وأجل
وأعظم فلا تستبدل الخبيث
يا انسان بالطيب ولو أعجبك كثرة
الخبيث لان كثرته فى التحقيق قلة
ولذته فى نفس الامر ذلة ونقده زيف
وصرف العمر فى طلبه حيف
﴿التأويل﴾ لا تحرموا على أنفسكم
بالاستمتاعات النفسانية طيبات
ما أحل الله لكم دون سائر المخلوقات
من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا
تجاوزوا عن حد العبودية وكونوا
ممارزقكم الله واجتهدوا فى طلب
ما خصكم به الله من تجلى جماله
وجلاله حلالا طيبا يحل فيكم بريئا
من سمات النقائص (باللغو
فى أيمانكم) أن تحلفوا بآلائه عن
التبرم من ولائه لملالة النفوس وكلالة
القوى واستيلاء النفس وغلبة
سلطان الهوى فى أثناء المجاهدات
واعوزاز المشاهدات ولكن يؤاخذكم
اذا عزمتم على الهجران وتعرضتم
للخذلان فكفارته حينئذ اطعام
عشرة مساكين الحواس الظاهرة

فقال بعضهم جعل الله ذلك فى الجاهلية قياما للناس كلهم وقال بعضهم بل عنى به العرب خاصة
وبمثل الذى قلنا فى تأويل القوام قال أهل التأويل ذكر من قال عنى الله تعالى بقوله جعل الله
الكعبة البيت الحرام قياما للناس القوام على نحو ما قلنا حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال
أخبرنا من سمع خصيفا يحدث عن مجاهد فى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال قواما
للناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن خصيف عن سعيد بن جبير قياما
للناس قال صلاح الدينهم حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة قال أخبرنا داود عن ابن جريج عن
مجاهد فى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال حين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا
فشدد الله ذلك بالاسلام حدثنا هناد قال ثنا ابن أبى زائدة عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن
سعيد بن جبير قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قال شدة لدينهم حدثنا ابن وكيع
قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس قال قياما لهم أن يأمن من توجه اليها حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام
والهدى والقلائد يعنى قياما لدينهم ومعالم لحجهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن
مفضل قال ثنا أسباط عن السدى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام
والهدى والقلائد جعل الله هذه الأربعة قياما للناس هو قوام أمرهم وهذه الاقوال وان اختلفت
من قائلها ألفاظها فان معانيها آيلة الى ما قلنا فى ذلك من أن القوام الشئ هو الذى به صلاحه كذلك
الأعظم قوام رعيته ومن فى سلطانه لانه مدبر أمرهم وحاجز ظالمهم عن مظلومهم والدافع عنهم
مكروه من بغاهم وعاداهم وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قوام أمر العرب
الذى كان به صلاحهم فى الجاهلية وهى فى الاسلام لأهله معالم لحجهم ومناسكهم ومتوجههم
لصلاتهم وقبلتهم التى باستقبالها يتم فرضهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قالت جماعة أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا جامع بن حماد قال ثنا يزيد بن زريع قال
ثنا سعيد عن قتادة قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى
والقلائد حواجز بقاها الله بين الناس فى الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم
لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه وكان
الرجل اذا أراد أن يتقلد قلادة من شعر فأحتمه ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من
الاذخر أو من لحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتى أهله حواجز بقاها الله بين الناس فى الجاهلية
حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض
قال ولم يكن فى العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض فجعل الله لهم البيت الحرم قياما يدفع
بعضهم عن بعض به والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرام والقلائد
ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له وهذا كله قد نسخ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والقلائد كان ناس يتقلدون لحاء الشجر
الحاهلية اذا أرادوا الحج فيعرفون بذلك قد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدى
والقلائد فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو القول فى تأويل قوله ذلك لتعلموا أن
يعلم ما فى السموات وما فى الارض وأن الله بكل شئ عليم) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك نبى

الكعبة البيت الحرام قيا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد يقول تعالى ذكره صيرت لكم أيها الناس ذلك قياما كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم أحدث مما به قوامكم علما منه بمنافعكم ومضاركم أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الارض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم وأعلموا أنه بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم وهو محصيها عليكم حتى يجازيكم بها بإحسانه والسلام منكم بإساءته القول في تأويل قوله ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الارض ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها شديد عقابه من عصاه وتمرد عليه على معصيته إياه وهو غفور لذنوب من أطاعه وأناب إليه فستر عليه وتارك فضيحته بها رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها القول في تأويل قوله ﴿ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد يقول تعالى ذكره ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم أيها الناس بإنذاركم عقابنا بين يدي عذاب شديد وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حجتكم إلا أن يؤدي إليكم رسالتنا ثم لينا الثواب على الطاعة وعلينا العقاب على المعصية والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يقول وغير خفي علينا المطيع منكم القابل رسالتنا العامل بما أمرته بالعمل به من العاصي التارك العمل بما أمرته بالعمل به لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به بلسانه وما تكتمون يعني ما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر أو يقين وشك ونفاق يقول تعالى ذكره فمن كان كذلك لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور وظواهر أعمال النفوس مما في السموات وما في الارض وبيده الثواب والعقاب فحقيق أن يتقى وأن يطاع ولا يعصى القول في تأويل قوله ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا يعتدل الردي والجيد والصالح والطالح والمطيع والعاصي ولو أعجبك كثرة الخبيث يقول لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تعجبن من كثرة من يعصي الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث قال الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به بعض أتباعه يدل على ذلك قوله ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ القول في تأويل قوله ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا الله بطاعته فيما أمركم به واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث فتصيروا منهم يا أولي الألباب يعني بذلك أهل العقول والحجا الذين عقلوا عن الله آياته وعرفوا مواقع حججه لعلكم تفلحون يقول اتقوا الله لتفلحوا أي كي تنجحوا في طلبتكم ما عنده القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسأله إياها أقوام امتحانا له أحيانا واستهزاء أحيانا يقول له بعضهم من أبي ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته أين ناقتي فقال لهم تعالى ذكره لا تسألوا عن أشياء من ذلك كمسألة عبد الله بن حذافة إياه من أبوه وإن تبد لكم تسؤكم يقول إن أبديناه لكم حقيقة ما تسألون عنه ساءكم

والباطنة من أوسط ما تطعمون
أهليكم وهم القلب والسر والروح
والخفاء طعامهم الشوق والمحبة
والصدق والاخلاص والتفويض
والتسليم والرضا والانس والهيبة
والشهود والكشوف وأوسطه
الذكر والتذكر والفكر والتفكر
والشوق والتوكل والتعبد والخوف
والرجاء يشغل الحواس العشرة
بهذه الامور أو يكسوهم لباس
التقوى أو يحرر رقبة النفس من
عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد
أمسك في اليوم الماضي عما عزم
عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه
وفي اليوم المستقبل عن العود إليه
ومن لغو اليمين عند أرباب اليقين
ان الطالب الصادق عند غلبات
الشوق ووجدان الذوق يقسم عليه
بجماله وجلاله أن يرزقه شيأ من
أفعاله ووصاله وذلك في شريعة
الرضا لغو وفي مذهب التسليم سهو
ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذه
بعقاله لعلمه بضعف حاله والكمال
في الثبات والاستقامة

أريد وصاله ويريد هجري
فأترك ما أريد لما يريد

ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري
على لسانهم في حال غلبات الوجد من
تجديد العهد وتأكيد العقد كقول
بعضهم

وحقك ما نظرت إلى سواكا
بعين مودة حتى أراكا

فان هذا ينافي التوحيد وأين في
الدار ديار كلا بل هو الله الواحد
القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد

وعملوا الصالحات الاعمال البدنية
الشرعية جناح فيما طعموا من
المباحات اذا ما اتقوا الشبهة
والاسراف وآمنوا بالتحقيق بعد
التقليد وعملوا الصالحات الاعمال
القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما
سواه ومن تحليته بالأخلاق المضادة
لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل
والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك
الأنانية وآمنوا بهويته ثم اتقوا
هذا الشرك وهو الفناء في الفناء
وأحسنوا وهو البقاء به فانهم
جعل الله البلاء لاهل الولاء كاللهب
للذهب فقال يا أيها الذين آمنوا
ليبلونكم الله الذين يجردوا عن
ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال
وأحرموا بحج الوصول وعمرة
الوصال ليبلونكم الله في أثناء السلوك
بشئ من الصيد وهو المطالب
النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية
تناله أيديكم يعني اللذات البدنية
ورماحكم يعني اللذات الخيالية فله
عذاب الرد والصد لا تقتلوا الصيد
وأنتم حرم يعني من أحرم لزيارة
كعبة الوصال فعليه حسم الاطماع
من الحرام والحلال متعمدا أي
عالما عما في الالتفات الى غيره من
المضار مثل ما قتل من النعم يجازى
نفسه برياضة ومجاهدة يماثل ألمها
تلك اللذة ذوا عدل هما القلب
والروح يحكمان على مقدار الاسلام
وعلى حسب قوة السالك بتقليل
الطعام والشراب أو ببذل المال
أو بترك الجاه أو بالعزلة وضبط
الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا
عن الخلق لاجل الحق طعام

ابدؤه واظهارها ونحو الذي قبله فاتفق ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا بعض بني نفيل قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا أبو الحويرية قال قال ابن عباس لأعرابي من بني مدلج هل تدري فيما أنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الآية فقال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي وللرجل تضل ناقته فيقول أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا أبو عامر وأبو داود قالا ثنا هشام عن قتادة عن أنس قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة فصعد المنبر ذات يوم فقال لا تسألوني عن شئ الا بينته لكم قال أنس فجعلت أنظر يمينا وشمالا لا أرى كل انسان لاثوبه يبكي فأنشأ رجل كان اذا لاحى يدعى الى غير أبيه فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وأعوذ بالله من سوء الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر في الشر والخير كاليوم قط انه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثني** محمد بن معمر البحراني قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا شعبة قال أخبرني موسى بن أنس قال سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله من أبي قال أبوك فلان قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم قال **حدثنا** أن أنس بن مالك حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال لا تسألوني اليوم عن شئ الا بينته لكم فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالا الا وجدت كلا لاثوبه في ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان يلاحى فيدعى الى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي قال أبوك حذافة قال ثم قال عمر أو قال فأنشأ عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا عائذا بالله أو قال أعوذ بالله من سوء الفتن قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أر في الخير والشر كاليوم قط صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط **حدثنا** أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع قالا ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون قال سألت عكرمة مولى ابن عباس عن قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم قال ذاك يوم قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسألوني عن شئ الا أخبرتكم به قال فقام رجل فكره المسلمون مقامه يومئذ فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة قال فنزلت هذه الآية **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال نزلت لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم في رجل قال يا رسول الله من أبي قال أبوك فلان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني سفيان عن معمر عن قتادة قال سأل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أكثروا عليه فقام مغضبا فخطبا فقال سلوني والله لا تسألوني عن شئ ما دمت في مقامي الا حدثتكم فقام رجل فقال من أبي قال أبوك حذافة واشتد غضبه وقال سلوني فلما رأى الناس ذلك كنبركوا فهم فجثا عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا قال معمر قال الزهري قال أنس مثل ذلك فجثا عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر قال الزهري فقال أم عبد الله بن حذافة ما رأيت

ولدا أعق منك قط أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس فقال والله لو ألحقني بعبد أسود لألحقته **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيا ان تبد لكم تسؤكم قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام فقام خطيبا فقال سلوني فانكم لا تسألوني عن شئ الا أنبأتكم به فقام اليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن فيه قال فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك فلان فدعاه لأبيه فقام اليه عمر فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضي فيومئذ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يونس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضبان محمارّ وجهه حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال أين أبي قال في النار فقام آخر فقال من أبي قال أبوك حذافة فقام عمر بن الخطاب فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله يعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل سأله عن شئ في أمر الحج ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا منصور بن وردان الاسدي قال ثنا علي بن عبد الاعلى قال لما نزلت هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله أفي كل عام فسكت ثم قالوا أفي كل عام فسكت ثم قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن ابراهيم بن مسلم الهجري عن ابن عباس عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم الحج فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال من السائل فقال فلان فقال والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى ختم الآية **حدثني** محمد بن علي بن الحسين بن شقيق قال سمعت أبي قال أخبرنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج فقام محصن الاسدي فقال أفي كل عام يا رسول الله فقال أما اني لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتم لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الى آخر الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة يقول خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال فقام عكاشة بن محصن الاسدي **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي العمر قال ثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو قال حدثني سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال كتب عليكم الحج فقام رجل من الاعراب فقال أفي كل عام فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب فسكت طويلا ثم تكلم فقال من السائل فقال الاعرابي أنا فقال ويحك ما ذا يؤمنك أن أقول نعم ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لكفرتم ألا انه انما أهلك من قبلكم أغمة الحرج والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الارض وحرمت عليكم منها موضع حف

ما سكن هم العقل والقلب والسر والروح والخفاء كانوا محرومين عن أغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والقطام عن المألوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك أو عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار لتذوق النفس الامارة وبال أمرها فان كل هذه الامور على خلاف طبعها ذوانتقام ينتقم من أحبائه بنقاب الدلال ومن أعدائه بحجاب الملام والملال أحل لكم صيد بحر المعارف والكشوف تنتفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من أهل الارادات صيد البر ما سنح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما أي في حال المحولا في حال المحو جعل الله الكعبة كعبة الظاهر قياما للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص ولخواص الخواص يلوذون بها بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى يعلموا أن لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام أن يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو أيام الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدى هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع قلائد أركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب بسكين آداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل

العبد الى كعبة القلب شاهد بأنواره
ان الله ما فى السموات وما فى الارض
شديد العقاب بسدل الحجاب لغير
الاحباء غفور رحيم للصادقين فى
الطلب بفتح الابواب الا البلاغ
بالقال يتلو عليهم آياته و بالحال
ويزكيهم ما تبدون باقرار اللسان
وما تكتمون من تصديق الجنان
الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب
ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله
والخبيث ما سوى الله وفى ذلك كثرة
والله أعلم قول الله عز وجل ﴿ يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان
تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله
عنها والله غفور حليم قد سألها قوم
من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب وأكثرهم
لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى
ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيأ ولا يهتدون يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا
حضر أحدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم أو آخران
من غيركم ان أنتم ضربتم فى الارض
فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما
من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان
ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا
قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن

لو قعتم فيه قال فأنزل الله تعالى عند ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء الى آخر الآية **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل من بنى أسد فقال يا رسول الله أفى كل عام فأعضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فقال والذى نفس محمد بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم وان الكفر تم فاتركونى ما تركتكم فاذا أمرتكم بشئ فافعلوا وانما نهيتكم عن شئ فانتهوا عنه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله تعالى عن ذلك وقال لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن فانكم لا تسألون عن شئ الا وجدتم تبيانه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح قال ثنا على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم قال لما أنزلت آية الحج نادى النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله أعاما واحدا أم كل عام فقال لا بل عاما واحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم قال سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء وعظهم فانتهوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقيل أواجب هو يا رسول الله كل عام قال لا ولو قلتها لوجبت ولو وجبت ما أطقتم ولو لم تطيقوا الكفر تم ثم قال سلونى فلا يسألنى رجل فى مجلسى هذا عن شئ الا أخبرته وان سألنى عن أبيه فقام اليه رجل فقال من أبى قال أبوك حذافة بن قيس فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ونعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسحق بن ابراهيم بن حبيب ابن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من كذا ولا كذا قال وأما عكرمة فانه قال انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين قال فقلت قد حدثنى مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس فما لك تقول هذا فقال هيه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن عون عن عكرمة قال هو الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى وقال سعيد بن جبير هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة * وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك قول من قال نزلت هذه الآية من أجل اكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل كمسئلة ابن حذافة اياه من أبوه ومسئلة سائله اذ قال ان الله فرض عليكم الحج أفى كل عام وما أشبه ذلك من المسائل لتظاهر الاخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل وأما القول الذى رواه مجاهد عن ابن عباس فقول غير بعيد من الصواب ولكن الاخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه وكرهنا القول به من أجل ذلك على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التى كره الله لهم السؤال عنها كما

كره الله لهم المسئلة عن الحج أكل عام هو أم عاما واحدا وكما كره لعبد الله بن حذافة مسئلته عن
ه فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلها فأخبر كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله أو أجل
غيره وهذا القول أولى الاقوال في ذلك عندي بالصحة لان مخارج الاخبار بجميع المعاني التي
ذكرت صحاح فتوجيهها الى الصواب من وجوهها أولى ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ﴾ يقول تعالى ذكره الذين نهاهم
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نهاهم عن
مسألتهم اياه عنه من فرائض لم يفرضها الله عليهم وتحليل أمور لم يحلها لهم وتحريم أشياء لم يحرمه
عليهم قبل نزول القرآن بذلك أيها المؤمنون لا تسألون عما سألوا عنه رسولي مما لم أنزل به كتابا
ولا جاءكم به وحيي ان تسألوا عنه فانكم ان أظهر ذلك لكم تبيان بوحي وتنزيل ساءكم لان التنزيل بذلك اذا
جاءكم انما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم اما بايجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم وفي ذلك
عليكم شقة ولزوم مؤنة وكلفة واما بتحريم ما لم يأتكم بتحريمه وحي كنتم من التقدم عليه
في فسحة وسعة واما بتحليل ما تعتقدون تحريمه وفي ذلك لكم مساءة لنفوسكم مما كنتم ترونه حقا الى
ما كنتم ترونه باطلا ولكنكم ان سألتم عنها بعد نزول القرآن بها وبعد ابتدائكم شأن أمرها في
كتابي الى رسولي اليكم بين لكم ما أنزلته اليه من ايتان كتابي وتأويل تنزيلي ووحيي وذلك نظير الخبر
الذي روي عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به هناد بن السري قال ثنا
وكيع وعاوية عن داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قال ان الله تعالى فرض فرائض
فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان
فلا تبحثوا عنها حدثنا هناد قال ثنا ابن أبي زائدة قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال كان عبيد
ابن عمير يقول ان الله تعالى أحل وحرم فما أحل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك من ذلك أشياء لم
يذكرها ولم يحرمها فذلك عفو من الله عفا عنه ثم يتلو يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم
تسؤكم حدثنا ابن المثنى قال ثنا الضحاك قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عطاء عن عبيد
ابن عمير أنه كان يقول ان الله حرم وأحل ثم ذكر نحوه وأما قوله عفا الله عنها فانه يعني به عفا الله
لكم عن مسألتكم عن الاشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كره الله لكم
مسألتكم اياه عنها أن يؤاخذكم بها أو يعاقبكم عليها ان عرفتموها نهاتوبتكم وانابتكم والله غفور
لمن تاب منها ساتر ذنوب من تاب منها فتارك أن يفضحه في الآخرة حليم أن يعاقبه بها لتغمده
بفضل منه برحمته وعفوه عن عقوبته عليها وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس
ذكرناه آنفا وذلك ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء يقول لا تسألوا عن أشياء ان نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم
ولكن انتظروا فاذا نزل القرآن وانكم لا تسألون عن شئ الا وجدتم تبيانه ﴿ القول في
تأويل قوله ﴿ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ يقول تعالى ذكره قد سأل الآيات
قوم من قبلكم فلما آتاهموها الله أصبحوا بها جاحدين منكرين أن تكون دلالة على حقيقة
ما جيء بها عليهم وبرهانا على صحة ما جعلت برهانا على تصحيحه كقوم صالح الذين سألوا الآية فلما
جاءتهم الناقة آية عقروها وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء فلما أعطوها كفروا
وما أشبه ذلك فحذر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من
الامم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها فقال لهم لا تسألوا الآيات ولا
تبحثوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فقد سأل الآيات من قبلكم قوم فلما أوتوها أصبحوا بها

الآثمين فان عثر على أنهما استحقا
اثما فآخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من
شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن
الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة
على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان
بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا
والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم
يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم
قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب
اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر
نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد
وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ
فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه
والابرص باذني واذ تخرج الموتى
باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك
اذ جئتهم بالبينات فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ
أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي
وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا
مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم هل يستطيع ربك أن
ينزل علينا مائدة من السماء قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا
نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا
ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها
من الشاهدين قال عيسى بن مريم
اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا لأولنا
وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت
خير الرازقين قال الله اني منزلها

عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني
أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من
العالمين واذ قال الله يا عيسى بن
مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي الهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك
أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا
ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي
وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتني كنت أنت
الرقيب عليهم وأنت على كل شئ
شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك أنت العزيز
الحكيم قال الله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها
أبدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك الفوز العظيم لله
ملك السموات والارض
وما فيهن وهو على كل شئ قدير
القراآت ينزل من الانزال أبو عمرو
وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة
بالتنوين آلله بالمد روح وزيد
الباقون بالاضافة استحق على
البناء للفاعل حفص والاعشى في
اختياره الباقون على البناء للمفعول
الاولين جمع الاول نقيض الآخر
سهل ويعقوب وحمزة وخلف
وعاصم غير حفص والاعشى في
اختياره الباقون الاوليان تثنية
الاولى الاحق الغيوب بكسر الغين
حيث كان حمزة وحماد وأبو بكر غير
الشمني والبرجمي والخزاعي عن ابن
فليح في ساحر وكذلك في هود والصف

كافرين كالذي حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن
ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم نهاهم أن يسألوا عن مثل
الذي سألت النصارى من المائدة فأصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك حدثني محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قد سألها قوم من قبلكم فسألوا الآيات
قوم من قبلكم وذلك حين قيل له غير لنا الصفا ذهبا (ز) القول في تأويل قوله (ما جعل الله من
بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) يقول تعالى ذكره ما حرم الله بحيرة ولا سيب سائبة ولا وصيلة
وصيلة ولا حامي حاما ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة فحرمتموه افتراء على ربكم كما
حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنى أبي وشعيب بن الليث عن الليث عن ابن الهاد
وحدثني يونس قال ثنا عبد الله بن يوسف قال ثنى الليث قال ثنى ابن الهاد عن ابن شهاب عن
سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت عمرو بن عامر
الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السائبة حدثنا هناد بن السري قال ثنا يونس
بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن ابراهيم بن الحرث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة
ابن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك ولا به منك فقال أكثم أخشى
أن يضر لي شبهه يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انك مؤمن وهو كافر انه
من غير دين اسمعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي حدثنا هناد قال ثنا يونس قال
هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد عرفت أول من
البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما قال هناد
الله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته في النار يؤذي أهل
رجع قصبه حدثنا هناد قال ثنا عبيدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي النار فرأيت فيها عمرو بن فلان بن فلان
ابن خندف يجر قصبه في النار وهو أول من غير دين ابراهيم وسيب السائبة وأشبه من رأيت
به أكثم بن الجون فقال أكثم يا رسول الله أيضر ني شبهه قال لا لأنك مسلم وانه كافر حدثني
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في
وهو أول من سيب السوائب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف أول من سيب السوائب
من غير عهد ابراهيم قالوا من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي أخو بني كعب لقد رأيته
قصبه في النار يؤذي ريحه أهل النار واني لأعرف أول من بحر البحائر قالوا من هو يا رسول الله
رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك
رأيته في النار هو وهما يعضانه بأفواههما ويخبطانه بأخفافهما والبحيرة الفعيلة من قول القائل
بحرت أذن هذه الناقة اذا شقها أبحرها بحرا والناقة مبحورة ثم تصرف المفعولة الى فعيلة
هي بحيرة وأما البحر من الابل فهو الذي قد أصابه داء من كثرة شرب الماء يقال منه بحر البعير
بحرا ومنه قول الشاعر

لأعطينك وسما لا تفارقه * كما بحر بحمى الميسم البحر

وبنحو الذي قلنا في معنى البحيرة جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عبد الله
بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن

خلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ابلك ألست تنتجها
صلة آذانها فتأخذ الموسى فتجدعها تقول هذه بحيرة وتشق آذانها تقول هذه حرم قال نعم
ل وان ساعد الله أشد وموسى الله أحد كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شئ حدثنا محمد بن
ثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا الاحوص عن أبيه قال
ند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تنتج ابل قومك صحاحا آذانها فتعمد الى الموسى
قطع آذانها فتقول هذه بحر وتشقها أو تشق جلودها فتقول هذه حرم فتحرمها عليك وعلى
ك قال نعم قال وان ما آتاك الله لك حل وساعد الله أشد وموسى الله أحد ورعا قال ساعد الله أشد
ى ساعدك وموسى الله أحد من موسالك وأما السائبة فانها المسيبة المخلاة وكانت الجاهلية
عل ذلك أحدهم ببعض مواشيه فيحرم الانتفاع به على نفسه كما كان بعض أهل الاسلام يعتق
عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة كما قيل عيشة راضية بمعنى
رضية وأما الوصيلة فان الانثى من نعمهم في الجاهلية كانت اذا أتأمت بطنا بذكر وأنثى قيل قد
وصلت الانثى أخاها بدفعها عنه الذبح فسموها وصيلة وأما الحامى فانه الفحل من النعم يحمى ظهره
عن الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته وقد اختلف أهل التأويل في صفات
حيوان بهذه الاسماء وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك ذكر الرواية بما قيل في ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن أبي اسحق عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي أن
صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم
ابن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت من
رجل أشبه برجل منك به ولا به منك فقال أكثم أيضر لي شبهه يا نبي الله قال لا لانك مؤمن وهو كافر
انه كان أول من غير دين اسمعيل ونصب الأوثان وسيب السوائب فيهم وذلك أن الناقة اذا تابعت
بطنها عشرة اناث ليس فيها ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا الضيف فما
نتج بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها في الابل فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها
ولم يشرب لبنها الا الضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة ابنة السائبة والوصيلة ان الشاة اذا انتجت
سبعة اناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة قالوا وصلت فكان ما ولدت بعد
ذلك كورهم دون اناثهم الا أن يموت منها شئ فيشترك ون في أكله ذكورهم واناثهم والحامى ان
فحل اذا انتج له عشرة اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره ولم يركب ولم يجز وبره ويخلى في
الضراب فيها لا ينتفع به بغير ذلك يقول الله تعالى ذكره ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام الى قوله ولا يهتدون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش
عن أبي الضحى عن مسروق في هذه الآية ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال
جعفر سقط على فيما أظن كلام منه قال فأتيت علقمة فسألته فقال ما تريد الى شئ كانت تصنعه
الجاهلية حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن
مسلم قال أتيت علقمة فسألته عن قول الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
قال ما تصنع بهذا انما هذا شئ من فعل الجاهلية قال فأتيت مسروقا فسألته فقال البحيرة كانت
اذا ولدت بطنا خمسا أو سبعا شقوا أذنها وقالوا هذه بحيرة قال ولا سائبة قال كان الرجل يأخذ
من ماله فيقول هذه سائبة قال ولا وصيلة قال كانوا اذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الاناث
والذكر والأنثى في بطن قالوا وصلت أخاها فلا يأكلونهما قال فاذا مات الذكر أكله الذكور
دون الاناث قال ولا حام قال كان البعير اذا ولد وولد ولده قالوا قد قضى هذا الذى عليه فلم ينتفعوا بظهره

حمزة وعلى وخلف الباقون سحر هل
تستطيع بتاء الخطاب ربك
بالنصب على والاعشى في اختياره
الباقون بالياء و بالرفع أن ينزل
بالتخفيف من الانزال ابن كثير
وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون
بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم
وأبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون
بالتخفيف فاني أعذبه بفتح ياء
المتكلم أبو جعفر ونافع وأحمى بفتح
الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو
عمرو وحفص لي أن بالفتح ابن كثير
وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو الباقون
بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع
الباقون بالرفع * الوقوف تسؤكم
ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف
تبدلكم ط عنها ط حليم ٥
كافرين ٥ ولا حام لا للاستدراك
الكذب ط لا يعقلون ٥ آبائنا
ط ولا يهتدون ٥ أنفسكم ج لاحتمال
الاستئناف أو الحال أى احفظوا
أنفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم
ط تعملون ٥ مصيبة الموت ط
قربى ز لأن قوله ولا نكتم من
جواب القسم شهادة ط لمن قرأ
آلله بالمد الآثمين ٥ وما اعتدينا
ز لظاهران والوصل أجوز لتعلق
اذا بقوله وما اعتدينا الظالمين ٥
أيمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا
ط الفاسقين ٥ أجبتم ط لنا
ط الغيوب ٥ والدتك لا لئلا يوهم
انه ظرف لاذكر بل عامله محذوف
والتقدير واذكر اذ أيدتك وكهلا ج
والانجيل ج والابرص باذني ج الموتى
ج لان اذ يجوز تعلقه ب تعلق به
اذ الاول و يمكن تعلق كل واحد

بمحذوف آخر لتفصيل النعم سحر مبين ○ و برسولى ط لاحتمال ان قالوا مستأنف أو عامل فى اذ أوحيت مسلمون ○ من السماء الاولى ط مؤمنين ○ الشاهدين ○ وآية منك ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين ○ عليكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين ○ من دون الله ط مالیس لی ط قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته ط نفسك ط الغيوب ○ وربكم ج على أن الواو للاستئناف أو الحال أى وقد كنت فيهم ط لان عامل لما متأخر وفاء التعقيب دخلتها عليهم ط لان الواو لا يحتمل الحال للتعميم فى كل شئ شهيد ○ عبادك ج لابتداء الشرط مع الواو الحكيم ○ صدقهم ط لاختلاف الجملتين بلا عطف أبدا ط عنه ط العظيم ○ ومافيهن ط قدير ○ ﴿التفسير﴾ عن أنس أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسألة فقام على المنبر فقال فاسألونى فوالله لا تسألونى عن شئ مادمت فى مقامى هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى وكان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من أبى فقال أبوك حذافة بن قيس وقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يارسول الله الحج علينا فى كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك

قالوا هذا حام حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن مسلم بن صبيح قال سألت علقمة عن قوله ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة قال ما تصنع بهذا هذا شئ كان يفعله أهل الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى الاحوص ماجعل الله من بحيرة قال البحيرة التى قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن الشعبى ماجعل الله من بحيرة قال البحيرة المخضرمة ولا سائبة والسائبة ماسيب للهدى والوصيلة اذا ولدت بعد أربعة أبطن فيما يرى جرير ثم ولدت الخامس ذكرا وأنثى وصلت أخاها والحام الذى قد ضرب أولادا أولاده فى الابل حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى بنحوه الا أنه قال والوصيلة التى ولدت بعد أربعة أبطن ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها وسائر الحديث مثل حديث ابن حميد حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الازرق عن زكريا عن الشعبى أنه سئل عن البحيرة فقال هى التى تجدع آذانها وسئل عن السائبة فقال كانوا يهدون لآلهتهم الابل والغنم فيتركونها عند آلهتهم لتذبح فتخلط بغنم الناس فلا يشرب ألبانها الا الرجال فاذا ماتت منها شئ أكله الرجال والنساء جميعا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ماجعل الله من بحيرة وما معها البحيرة من الابل يحرم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها الا على الرجال فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها وان ماتت اشترك الرجال والنساء فى أكل لحمها فاذا ضرب الجمل من ولد البحيرة فهو الحامى والسائبة من الغنم على نحو ذلك الا أنها ما ولدت من ولدتها وبين ستة أولاد كان على هيئتها فاذا ولدت فى السابع ذكرا أو أنثى أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم وان توأمت أنثى وذكرا فهى وصيلة ترك ذبح الذكر بالانثى وان كانتا أنثيين تركتا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة فالبحيرة الناقة كان الرجل اذا ولدت خمسة أبطن فيعمد الى الخامسة فان لم يكن سقبا فيبتك آذانها ولا يجزلها ولا برا ولا يذوق لها لبنا فتلك البحيرة ولا سائبة كان الرجل يسيب من ماله ماشاء ولا وصيلة فهى الشاة اذا ولدت سبعا عمد الى السابع فان كان ذكرا ذبح وان كان أنثى تركت وان كان فى بطنها اثنان ذكرا وأنثى فولدتهما قالوا وصلت أخاها فيتركان جميعا لا يذبحان فتلك الوصيلة وقوله ولا حام كان الرجل يكون له الفحل فاذا لقح عشرا قيل حام فاتركوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ليسيبوها لاصنامهم ولا وصيلة يقول الشاة ولا حام يقول الفحل من الابل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام تشديد شدده الشيطان على أهل الجاهلية فى أموالهم وتغليظ عليهم فكانت البحيرة مثل الابل اذا نتج الرجل خمسا من ابله نظر البطن الخامس فان كانت سقبا ذبح فأكله الرجال دون النساء وان كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم وان كانت حائلا وهى الانثى تركت فبتكت أذنها فلم يجزلها ولا بر ولم يشرب لها لبن ولم يركب لها ظهر ولم يذكر الله عليها اسما وكانت السائبة يسيبون ما بدا لهم من أموالهم فلا تمتنع من حوض أن تشرع فيه ولا من حمى أن ترتع فيه وكانت الوصيلة من الشاء من البطن السابع اذا كان جديا ذبح فأكله الرجال دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم وان جاءت بذكر وأنثى قيل وصلت أخاها فمنعته الذبح والحام كان الفحل اذا ركب من بنى بنيه عشرة أو ولد ولده قيل حام حمى ظهره فلم يزم ولم يخطم ولم يركب حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا

أسباط عن السدى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام فالبحيرة من الابل كانت الناقة اذا انتجت خمسة أبطن ان كان الخامس سقبا ذبحوه فأهدوه الى آلهتهم وكانت أمه من عرض الابل وان كانت ربعة استحيوها وشقوا أذن أمها وجزوا وبرها وخلوها فى البطحاء فلم يجز لهم فى دية ولم يحلبوا لها لبنا ولم يجزوا لها وبرا ولم يحملوا على ظهرها وهى من الانعام التى حرمت ظهورها وأما السائبة فهو الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكران كنر ماله أو برأ من وجع أو ركب ناقة فأنجح فانه يسمى السائبة يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب الا أصابته عقوبة فى الدنيا وأما الوصيلة فمن الغنم هى الشاة اذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة فكان آخر ذلك جديا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة وان كانت عناقا استحيوها وان كانت جديا وعناقا استحيوا الجدى من أجل العناق فانها وصيلة وصلت أخاها وأما الحام فالفحل يضرب فى الابل عشر سنين ويقال اذا ضرب ولد ولده قيل قد حمى ظهره فيتركونه لا يمس ولا ينحر أبدا ولا يمنع من كلا يريده وهو من الانعام التى حرمت ظهورها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب فى قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال البحيرة من الابل التى يمنع درها للطواغيت والسائبة من الابل كانوا يسيبونها لطواغيتهم والوصيلة من الابل كانت الناقة تبكر بانثى ثم تثنى بانثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم أو يذبحونها الشك من أبى جعفر والحام الفحل من الابل كان يضرب الضراب المعدود فاذا بلغ ذلك قالوا هذا حام قد حمى ظهره فتركوه فسموه الحام قال معمر قال قتادة اذا ضرب عشرة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال البحيرة من الابل كانت الناقة اذا انتجت خمسة أبطن فان كان الخامس ذكرا كان للرجال دون النساء وان كانت أنثى بتكوا آذانها ثم أرسلوها فلم ينحروا لها ولدا ولم يشربوا لها لبنا ولم يركبوا لها ظهرا وأما السائبة فانهم كانوا يسيبون بعض ابلهم فلا تمنع حوضا أن تشرع فيه ولا مرعى أن ترتع فيه والوصيلة الشاة كانت اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سلمان عن الضحاك ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام أما البحيرة فكانت الناقة اذا انتجوها خمسة أبطن نحروا الخامس ان كان سقبا وان كان ربعة شقوا أذنها واستحيوها وهى بحيرة وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه وهو خالص لرجالهم فان ماتت الناقة أو نتجوها ميتا فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه وأما السائبة فكان يسيب الرجل من ماله من الانعام فيهمل فى الحمى فلا ينتفع بظهره ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره ولا بصوفه وأما الوصيلة فكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع اذا كان جديا وان كان عناقا استحيوه وان كان جديا وعناقا استحيوهما كليهما وقالوا ان الجدى وصلته أخته فحرمته علينا وأما الحامى فالفحل اذا ركبوا أولاد ولده قالوا قد حمى هذا ظهره وأحرز أولاد ولده فلا يركبونه ولا يمنعونه من حمى شجر ولا حوض ما شرع فيه وان لم يكن الحوض لصاحبه وكانت من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها فى شئ من شأنهم لا ان ركبوا ولا ان حملوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ففى ذلك أنزل الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الى قوله وأكثرهم لا يعقلون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام قال هذا شئ كانت تعمل به أهل الجاهلية وقد ذهب قال البحيرة كان الرجل يجدع أذنى ناقته ثم يعتقها كما يعتق جاريته وغلامه لا تحلب ولا تركب والسائبة يسيبها

أن أقول نعم والله ان قلت نعم لوجبت ولو وجبت لتركتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبى فقال فى النار ولما اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنزل الله هذه الآية فهى عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كأنه قال ما آتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا فى غيره فلعله يحبسكم بما يشق عليكم وأيضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات أخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الآية وكان لبعض المسلمين أيضا ميل الى ظهورها فمنعوا ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم أنكرت استحق المنكر العقاب العاجل ويحتمل أن يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن أشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين فى منع صرف أشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه أصلها شيا ء على وزن حمراء فهو اسم جمع لشئ استثقلوا الهمزتين فى آخره فنقلوا الهمزة التى هى لام الفعل الى أول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء أصلها أفعلاء بناء

على أن شيأ مخفف شئ كما يقال هين
فى هين وقد يجمع فيعل على أفعلاء
كنبى وأنبياء لكنهم استثقلوا اجتماع
الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقى
أشياء على وزن أفعاء وقال الكسائى
وزنها أفعال ومنع الصرف تشبيها
له بحمراء ولا يلزم منه منع صرف
أبناء وأسماء لان ما ثبت على خلاف
الدليل لا يلزم اطراده ولكنه
يكون مقصورا على المسموع
والحاصل أن السؤال عن الاشياء
ربما يؤدى الى ظهور أحوال مكتومة
يكره ظهورها وربما ترتب عليها
تكاليف شاقة صعبة فالذى سأل
عن أبيه لم يأمن أن يلحق بغير أبيه
فيفتضح والسائل عن الحج كاد أن
يوجبه فى كل عام وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان أعظم المسلمين فى المسلمين
جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من
أجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول
ان الله أحل وحرم فما أحل فاستحلوه
وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك
أشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو
من الله تعالى فاقبلوه وقال أبو ثعلبة
ان الله تعالى فرض فرائض فلا
تضيعوها ونهى عن أشياء فلا
تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا
تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على
السؤال ذكر أن الابداء سيكون
لان الوحى غير منقطع فقال وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن أى
فى زمان الوحى لان الرسول بين
أظهركم تبد لكم تلك الامور أو
التكاليف فالحاصل أنهم ان سألوا
عنها أبديت لهم وان أبديت لهم

بغير تجديع والحام اذا انتج له سبع اناث متواليات قد حمى ظهره ولا يركب ولا يعمل عليه والوصيلة
من الغنم اذا ولدت سبع اناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال ثنا عبد الله بن يوسف قال ثنا الليث بن سعد قال ثنى ابن الهاد عن ابن شهاب قال قال سعيد
ابن المسيب السائبة التى كانت تسيب فلا يحمل عليها شئ والبحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا
يحلبها أحد والوصيلة الناقة البكر تبكر أول نتاج الابل بانثى ثم تثنى بعد بانثى وكانوا يسمونها
للطواغيت يدعونها الوصيلة ان وصلت احداهما بالاخرى والحامى فحل الابل يضرب العشر من
الابل فاذا انقضى ضرابه يدعونه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحملوا عليه شيأ وسموه الحامى وهذه
أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الاسلام فلا نعرف قوما يعملون بها اليوم فاذا كان ذلك كذلك
وكان ما كانت الجاهلية تعمل به لا توصل الى عمله اذ لم يكن له فى الاسلام اليوم أثر ولا فى الشرك
نعرفه الا بخبر وكانت الاخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذى ذكرنا فالصواب
من القول فى ذلك أن يقال أما معانى هذه الاسماء فقد بينا فى ابتداء القول فى تأويل هذه الآية
وأما كيفية عمل القوم فى ذلك فما الا علم لنا به وقد وردت الاخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا
وغير ضائر الجهل بذلك اذا كان المراد من علمه المحتاج اليه موصلا الى حقيقته وهو أن القوم كانوا
محرمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله اتباعا منهم خطوات الشيطان فوبخهم الله تعالى
بذلك وأخبرهم أن كل ذلك حلال فالحرام من كل شئ عندنا ما حرم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم بنص أو دليل والحلال منه ما أحله الله ورسوله كذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى
بالذين كفروا فى هذا الموضع والمراد بقوله وأكثرهم لا يعقلون فقال بعضهم المعنى بالذين كفروا
اليهود وبالذين لا يعقلون أهل الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة
عن سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
قال أهل الكتاب وأكثرهم لا يعقلون قال أهل الاوثان وقال آخرون بل هم أهل ملة واحدة
ولكن المفترين المتبوعون والذين لا يعقلون الأتباع ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين
ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا خارجة عن داود بن أبى هند عن الشعبى فى قوله ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون هم الأتباع وأما الذين افتروا يعقلون
أنهم افتروا وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان المعنيين بقوله ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وحموا الحوامى
مثل عمرو بن لحى واشكاله ممن سنوا الاهل الشرك السنن الرديئة وغيروا دين الله دين الحق وأضافوا
الى الله تعالى أنه هو الذى حرم ما حرموا وأحل ما أحلوا افتراء على الله الكذب وهم يعلمون
واختلاقا عليه الافك وهم يعمهون فكذبهم الله تعالى فى قيلهم ذلك واضافتهم اليه ما أضافوا من
تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا فقال تعالى ذكره ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ولكن الكفار
هم الذين يفعلون ذلك ويفترون على الله الكذب وأن يقال ان المعنيين بقوله وأكثرهم
لا يعقلون هم أتباع من سن لهم هذه السنن من جهلة المشركين فهم لا شك أنهم أكثر من الذين
سنوا ذلك لهم فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون لانهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك
السنن وأخبروهم أنها من عند الله كذبة فى اخبارهم أفكة بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون
فى اخبارهم صادقون وانما معنى الكلام وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذى
حرمه هؤلاء المشركون وأضافوه الى الله تعالى كذب وباطل وهذا القول الذى قلنا فى ذلك

نظير قول الشعبي الذي ذكرناه ولا معنى لقول من قال عنى بالذين كفروا أهل الكتاب وذلك أن
النكير في ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب فالختم بهم أولى من غيرهم اذ لم يكن عرض
في الكلام ما يصرف من أجله عنهم الى غيرهم وبنحو ذلك كان يقول قتادة حدثنا بشر بن معاذ
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأكثرهم لا يعقلون يقول لا يعقلون تحريم الشيطان
الذي يحرم عليهم انما كان من الشيطان ولا يعقلون ﴿القول في تأويل قوله﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى
ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون﴾
يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيبون السوائب الذين لا يعقلون أنهم
باضافتهم تحريم ذلك الى الله تعالى يفترون على الله الكذب تعالوا الى تنزيل الله وآي كتابه والى
رسوله لنبين لكم كذب قيلكم فيما تضيفونه الى الله تعالى من تحريمكم ما تحرمون من هذه الاشياء
أيها المؤمن دعاهم الى ذلك بأن يقولوا حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به ويقولون نحن
لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة قد اكتفينا بما أخذنا عنهم ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل
قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون
شيأ يقول لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه الى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
كذب وفرية على الله لا حقيقة لذلك ولا صحة لانهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدؤا تحريم ذلك
افتراء على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من اضافتهم الى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به
عاملون من ذلك على استقامة وصواب بل كانوا على ضلالة وخطأ ﴿القول في تأويل قوله﴿ يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم فأصلحوها واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى وانظروا لها فيما يقربها من ربها
فانه لا يضركم من ضل يقول لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق اذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم
وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه فحرمتم حرامه وحللتم حلاله ونصب قوله أنفسكم
على الاغراء والعرب تغري من الصفات بعليك وعندك ودونك واليك واختلف أهل التأويل في تأويل
ذلك فقال بعضهم معناه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم
يقبل منكم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا أبي قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن
أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي الاشهب عن الحسن قال ذكر ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا
فذكر نحوه حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قال رجل لابن مسعود
يا أبا عبد الرحمن يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال ليس هذا بزمانها
قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة
ابن سوار قال ثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال قيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام
ولم تأمر ولم تنه فان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها
ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن
شهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم حدثنا أحمد
ابن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن أبي مازن قال انطلقت
في عهد عثمان الى المدينة فاذا قوم من المسلمين جلوس فقرأ أحدهم هذه الآية عليكم أنفسكم فقال
ذكروهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا

ساءهم فيلزم من المقدمتين أنهم
ان سألوا عنها ساءتهم وقيل السؤال
قسمان أحدهما السؤال عن شيء
لم يجر ذكره في الكتاب والسنة
فنهى عنه بقوله لا تسألوا والثاني
السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن
السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا
السؤال غير مذموم فأشار الى هذا
القسم بقوله وان تسألوا رفعا للحرج
وتمييزا لهذا القسم من الاول وانما
حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء
وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين
لان كلا منهما مسؤول عنه في الجملة
وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك
السؤالات هل هي جائزة أم لا تبد
لكم والمراد أن تطلب الرخصة
في السؤال أو لا ثم يسأل عفا الله عنها
أي عما سلف من مسألتكم
واغضابكم الرسول فلا تعودوا اليها
أو المراد بالعفو أنه تعالى ما أظهر
عند تلك المسائل ما يشق عليهم من
التكاليف وقيل ان الجملة صفة
أخرى للاشياء كما أن الجملة الشرطية
والمعطوف عليها صفة لها والمعنى
لا تسألوا عن أشياء أمسك الله عنها
وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث
عفوت عن صدقة الخيل والرقيق
أي خفف عنكم باسقاطها فلا تسألوها
يعني المسئلة التي دل عليها لا تسألوا
قوم من قبلكم سأل الناقة قوم
صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم
موسى عليه السلام فصاروا بالا
عليهم وسأل المائدة قوم عيسى
عليه السلام فكفروا بها ويحتمل أن
يعود الضمير في سألها الى الاشياء
فكان أمة محمد صلى الله عليه وسلم

سألوا عن أحوال الاشياء والمتقدمين
سألوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة
والرؤية فلما اختلفت الاسئلة
اختلفت العبارة الا أن كل واحد
من القسمين يشتركان فى وصف
هو الخوض فى الفضول والشروع
فيما لا يعنى فتوجه الذم عليهما جميعا
ولما منعهم عن أمور تكلفوا البحث
عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام
أمور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل
ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة
من البحر الشق وبحر ناقته اذا شق
أذنها وهى بمعنى المفعول قال
أبو عبيدة والزجاج كان أهل الجاهلية
اذا نتجت الناقة خمسة أبطن وكان
آخرها ذكرا شقوا أذن الناقة
ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم
لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا
تطرد عن ماء ولا ترد عن مرعى ولا
ينتفع بها حتى لو لقيها المعيى لا يركبها
تحريجا وأما السائبة فانها فاعلة من
ساب اذا جرى على وجه الارض يقال
ساب الماء وسابت الحية فالسائبة
هى التى تركت حتى تسيب الى حيث
شاءت قال أبو عبيدة كان الرجل
اذا مرض أو قدم من سفر أو نذر نذرا
أو شكر نعمة سيب بعيره فكان
بمنزلة البحيرة فى أحكامها وقيل هى
أم البحيرة كانت الناقة اذا ولدت
عشرة أبطن كلهن اناث سيبت فلم
تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها أو
الضيف حتى تموت فاذا ماتت أكلها
الرجال والنساء جميعا وبحرت أذن
بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة أمها فى أنها
سائبة وقال ابن عباس السائبة هى
التى تسيب للاصنام أى تعتق لها

المعتمر عن أبيه عن قتادة عن أبى مازن بنحوه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر
وأبو عاصم قالا ثنا عوف عن سوار بن شبيب قال كنت عند ابن عمر اذ أتاه رجل جليد فى العين شديد
اللسان فقال يا أبا عبد الرحمن نحن ستة كلهم قد قرؤا القرآن فأسرع فيه وكلهم مجتهد لا يألو وكلهم
بغيض اليه أن يأتى دناءة وهم فى ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك فقال رجل من القوم وأى
دناءة تزيد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك قال فقال الرجل انى لست اياك أسأل
أنا أسأل الشيخ فأعاد على عبد الله الحديث فقال عبد الله بن عمر لعلك ترى لا أبا لك أنى سآمرك أن
تذهب فتقتلهم عظهم وانههم فان عصوك فعليك بنفسك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين
آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
تعملون **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن أن ابن مسعود
سأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال ان هذا ليس بزمانها انها
اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتى زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل
منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن رجل قال كنت فى خلافة عثمان بالمدينة فى حلقة فيها
أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيهم شيخ يسندون اليه فقرأ رجل عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم فقال الشيخ انما تأويلها آخر الزمان **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن
زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أبو مازن رجل من صالحى الازد من بنى الحدان قال انطلقت
فى حياة عثمان الى المدينة فقعدت الى حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ رجل
من القوم هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال فقال رجل من أسن القوم دع هذه الآية
فانما تأويلها فى آخر الزمان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا ابن فضالة عن معاوية بن صالح
عن جبير بن نفير قال كنت فى حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لأصغر القوم
فتذاكروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقلت أنا ألبس الله يقول فى كتابه يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فأقبلوا على بلسان واحد وقالوا تنزع بآية من القرآن
لا تعرفها ولا تدرى ما تأويلها حتى تمنيت أنى لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم
قالوا انك غلام حدث السن وانك نزعت بآية لا تدرى ما هى وعسى أن تدرك ذلك الزمان اذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت
حدثنا هناد قال ثنا ليث بن هرون قال ثنا اسحق الرازى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن
أبى العالية عن عبد الله بن مسعود فى قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون قال كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا
فكان بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما الى صاحبه فقال رجل من جلساء
عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر الى جنبه عليك بنفسك فان
الله تعالى يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال فسمعها ابن مسعود فقال مه
لم يجئ تأويل هذه بعد ان القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه
ما وقع تأويلهن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومنه آى قد وقع تأويلهن بعد النبى صلى الله عليه
وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آى يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من أمر
الساعة ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار فادامت
قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا فاذا

تلفت القلوب والاهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء
هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر الرازى عن الربيع
أنس عن أبي العالية عن ابن مسعود أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل
منهما الى صاحبه ثم ذكر نحوه حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا حرمي قال سمعت الحسن
يتأول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال بعض أصحابه دعوا هذه الآية فليست لكم حدثني اسمعيل
ابراهيل الدلال الرملي قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا عتبة بن أبي حكيم عن عمرو بن خالد
الهمداني عن أبي أمية الشعباني قال سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم فقال لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبا ثعلبة ائتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
بنفسك ودع عنك أمر العوام فان من ورائكم أيام الصبر للمتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه كاجر خمسين عاملا قالوا
يا رسول الله كاجر خمسين عاملا منهم قال لا كاجر خمسين عاملا منكم حدثنا علي بن سهل قال
ثنا الوليد بن مسلم عن ابن المبارك وغيره عن عتبة بن أبي حكيم عن أبي أمية الشعباني قال سألت
ثعلبة الخشني كيف تصنع بهذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم فقال أبو ثعلبة سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه
ورأيت بخويصة نفسك ودع عوامهم فان وراءكم أياما أجر العامل فيها كاجر خمسين منكم * وقال
آخرون معنى ذلك أن العبد اذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضل بعده وهلك ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل يقول اذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال
والحرام فلا يضره من ضل بعد اذا عمل بما أمرته به حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم يقول أطيعوا أمري واحفظوا وصيتي حدثنا هناد قال ثنا ليث بن هرون
قال ثنا اسحق الرازي عن أبي جعفر الرازي عن صفوان بن الجون قال دخل عليه شاب من
بني الاهواء فذكر شيأ من أمره فقال صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه
في كتابه الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل الآية حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير
قال ثنا أبو المطرف الخزومي قال ثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم مالم يكن سيف أو سوط حدثنا علي بن سهل قال ثنا مرة بن ربيعة
عن الحسن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال
أجل والحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جانبه
مذنب يكره عمله * وقال آخرون بل معنى ذلك يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فاعملوا بطاعة الله
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن سعد البقال عن سعيد بن المسيب لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم قال اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يضرك من ضل اذا اهتديت
حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن أبي العميس عن أبي البختري عن
حذيفة عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اذا أمرتم ونهيتم حدثنا هناد قال

وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء
فيجيء به الى السدنة وهم خدم
آلهتهم فيطعمون من لبنها أبناء
السبيل وقيل هي العبد يعتق
على أن لا يكون عليه ولاء ولا ميراث
وأما الوصيلة فاذا ولدت الشاة أنثى
فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو
لآلهتهم وان ولدت ذكرا وأنثى
قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر
لآلهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة
كأنها وصلت بغيرها أو بمعنى الواصلة
لأنها وصلت أخاها وأما الحامي
فيقال حمى يحمي اذا حفظه قال
السدي هو الفحل الذي يضرب في
الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان
الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد
حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى أن يموت
فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء
فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح
والايلام فالجواب أن الانسان خلق
لعبادة الله تعالى فاذا أزيل الرق
عنه كان ذلك معينا له على ما خلق
لاجله أما العجم من الحيوانات فانما
خلقت لمنافع المكلفين فتركها
يقتضي تفويت كمالها عليها وأيضا
الانسان اذا أعتق قدر على تحصيل
المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم
فانها عاجزة عن جذب الملائم ودفع
المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي
الى ضياعها فظهر الفرق (ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب)
قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي
وأصحابه كان قد ملك مكة شرفها
الله وكان أول من غير دين اسمعيل
فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان

ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر
تقرؤن هذه الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان الناس اذا رأوا الظالم قال ابن وكيع
فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل
عن بيان عن قيس قال قال أبو بكر انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان القوم اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يعمهم الله بعقاب
حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن اسمعيل عن قيس عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول مروا بالمعروف وانهوا عن
المنكر قال أبو بكر بن أبي خافة يا أيها الناس لا تغتروا بقول الله عليكم أنفسكم فيقول أحدكم
علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتستعملن عليكم شراركم فليسومنكم سوء
العذاب ثم ليدعوا الله خياركم فلا يستجيب لهم حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل
قال ثنا بيان عن قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر وهو على المنبر يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه
الآية على غير موضعها لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه
عمهم الله بعقابه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثني عيسى بن المسيب البجلي ثنا قيس
ابن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأى
الناس المنكر فلم يغيروه والظالم فلم يأخذوا على يديه فيوشك أن يعمهم الله منه بعقاب حدثنا الربيع
قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سعيد بن سالم قال ثنا منصور بن دينار عن عبد الملك بن ميسرة عن
قيس بن أبي حازم قال صعد أبو بكر المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه
قال يا أيها الناس انكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة والله ما أنزل الله في كتابه أشد
منها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر أو ليعمنكم الله منه بعقاب حدثنا محمد بن سيار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا
سعيد بن زيد قال ثنا مجالد بن سعيد عن قيس بن أبي حازم قال سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب
الناس يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية ولا تدرون ما هي يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا
منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب * وقال آخرون بل معنى هذه الآية لا يضركم من حاد عن قصد
السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن أبي
بشر عن سعيد بن جبير في قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال يعني من ضل من أهل الكتاب
حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه
الآية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال أنزلت في أهل الكتاب * وقال آخرون عنى بذلك كل
من ضل عن دين الله الحق ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال كان
الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وجعلت آباءك كذا وكذا كان ينبغي
لك أن تنصرهم وتفعل فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم * وأولى هذه الاقوال وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روى عن أبي بكر
الصديق فيها وهو يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الزموا العمل بطاعة الله وبما أمركم به وانتهوا

وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة
والحام وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حقه لقد رأيته في النار
يؤذي أهل النار ريح قصبه والقصب
الامعاء هذا حال رؤسائهم (وأكثرهم
لا يعقلون) يعني العوام والاتباع ثم
رد على أهل التقليد بقوله واذا قيل
لهم الآية وقد مر تفسير مثله في سورة
البقرة فنفى العقل عنهم هنالك والعلم
ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين
وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز
الا بالعاقل العالم المهتدي لا بتناء
قوله على الحجة والدليل لا على التقليد
والاضاليل قال أهل البرهان العلم
أبلغ درجة من العقل ولهذا يوصف
الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل
وكان دعواهم ههنا أبلغ لقولهم
حسبنا ما وجدنا فناسب أن ينفى
عنهم العلم الذي هو أبلغ ثم ذكر أن
هؤلاء الجهال مع ما تقدم من أنواع
المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب
والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل
أصروا على جهالتهم وضلالتهم
فلا تبالوا بهم أيها المؤمنون فان
جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين
لتكاليف الله مطيعين لاوامره
ونواهيه تقول العرب عليك زيدا
وعندك عمرا يعدونهما الى المفعول
كأنه قيل خذ زيدا فقد علاك أي
أشرف عليك وحضرك عمرو فخذه
وليس المراد في عليك انه حرف جر
مع مجروره متعلق بمحذوف بل
الجار والمجرور معا منقول الى معنى
الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم
فعل فان قيل ظاهر الآية يوهم

عما نهاكم الله عنه لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول فانه لا يضركم ضلال من ضل اذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يركبه أو يحاول ركوبه والاخذ على يديه اذا رام ظلم المسلم أو معاهد ومنعه منه فأى النزوع عن ذلك ولا ضير عليكم فى تماديه فى غيه وضلاله اذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى فيه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالصواب لان الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى ومن القيام بالقسط الاخذ على يدى الظالم ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف وهذا مع ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للامر به معنى الا فى الحال التى رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك وهى حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصا له تركه اذا قام حينئذ بادائه فرض الله عليه فى ذلك بقلبه واذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى فبين أنه قد دخل فى معنى قوله اذا اهتديتم ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه ومروا أهل الزيغ والضلال ومن حاد عن سبيلى بالمعروف وانهوهم عن المنكر فان قبلوا فلهم ولكم وان عموا وافى غيهم وضلالهم فان الى مرجع جميعكم ومصيركم فى الآخرة ومصيرهم وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر فأخبر هنالك كل فريق منكم بما كان يعمله فى الدنيا ثم أجازيه على عمله الذى قدم به على جزاءه حسب استحقاقه فانه لا يخفى على عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يقول ليشهد بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية يقول وقت الوصية اثنان ذوا عدل منكم يقول ذوا رشد وعقل وحجا من المسلمين كما حدثنا محمد بن بشار وعبيد الله بن يوسف الجبيرى قالا ثنا مؤمل ابن اسمعيل قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله وأشهدوا ذوى عدل منكم قال ذوى عقل * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذوا عدل منكم قال بعضهم عنى به من أهل دينكم ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال شاهدان ذوا عدل منكم من المسلمين حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله اثنان ذوا عدل منكم قال اثنان من أهل دينكم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله تعالى اثنان ذوا عدل منكم قال من الملة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة مثله الا أنه قال فيه من أهل الملة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية اثنان ذوا عدل منكم قال من أهل الملة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين عن زائدة عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن حماد عن ابن أبى نجيح وقال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد

أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الآية لا تدل الا على أن المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب العاصى ولهذا خطب أبو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأوا المنكر فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك ان هذه الآية آكد آية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان معنى عليكم أنفسكم احفظوها والزموا صلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على نفسه أو على عرضه أو على ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم الله أنه لا ينفعهم الوعظ يؤكده ما روى فى سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقر مجوس هجر بالجزية قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من أهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركى أهل

هجر ما رد على مشركى العرب فأنزل
الله تعالى الآية أى لا يضركم ملامة
اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق
وقيل كان المؤمنون تذهب أنفسهم
حسرة على أهل العناد من الكفرة
فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى
الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات وعن ابن مسعود
ان الآية قرئت عنده فقال ان هذا
فى آخر الزمان ومثله ما روى عن
أبى ثعلبة الخشنى أنه سئل عن ذلك
فقال للسائل سألت عنها خبيرا
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا
مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك
نفسك ودع أمر العوام وان من
ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض
على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين
رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان
الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك
ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما أمر
بحفظ النفس فى قوله عليكم أنفسكم
أمر بحفظ المال عن ابن عباس ان
تميما الدارى وأخاه عديا وكانا نصرانيين
خرجا الى الشأم ومعهما بديل مولى
عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا
خرجوا للتجارة فلما قدموا الشأم
مرض بديل فكتب كتابا فيه
نسخة جميع ما معه وأخفاه بين
الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم
أوصى اليهما وأمرهما أن يدفعا
متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه
فأخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى
أبى عن أبيه عن ابن عباس ذوا عدل منكم قال ذوا عدل من أهل الاسلام حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذوا عدل منكم قال من المسلمين حدثنا بشر
ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان سعيد بن المسيب يقول اثنان ذوا عدل
منكم أى من أهل الاسلام * وقال آخرون عنى بذلك ذوا عدل من حى الموصى وذلك قول روى
عن عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما واختلفوا فى صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله فى هذه الآية
ما هى وما هما فقال بعضهم هما شاهدان يشهدان على وصية الموصى * وقال آخرون هما
وصيان وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان قوله شهادة بينكم ليشهد شاهدان ذوا عدل
منكم على وصيتكم وتأويل الذين قالوا هما وصيان لا شاهدان قوله شهادة بينكم بمعنى الحضور
والشهود لما يوصيهما به المريض من قولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرته * وأولى التأويلين
بقوله اثنان ذوا عدل منكم تأويل من تأوله بمعنى أنهما من أهل الملة دون من تأوله أنهما من
حى الموصى وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك فى قوله
يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم فغير جائز
أن يصرف ما عمه الله تعالى الى الخصوص الا بحجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك فالواجب
أن يكون العائد من ذكرهم على العموم كما كان ذكرهم ابتداء على العموم * وأولى المعنيين بقوله
شهادة بينكم اليمين لا الشهادة التى يقوم بها من عنده شهادة لغيره لمن هى عنده على من هى عليه
عند الحكام لانا لا نعلم لله تعالى حكما يجب فيه على الشاهد اليمين فيكون جائزا صرف الشهادة
فى هذا الموضع الى الشهادة التى يقوم بها بعض الناس عند الحكام والائمة وفى حكم الآية فى هذه
اليمين على ذوى العدل وعلى من قام مقامهم فى اليمين بقوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان
بالله أوضح الدليل على صحة ما قلنا فى ذلك من أن الشهادة فيه الأيمان دون الشهادة التى يقضى بها
للمشهود له على المشهود عليه وفساد ما خالفه فان قال قائل فهل وجدت فى حكم الله تعالى يمينا
تجب على المدعى فتوجه قولك فى الشهادة فى هذا الموضع الى الصحة فان قلت لا تبين فساد
تأويلك ذلك على ما تأولت لانه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان فى قوله فان عثر على
أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا أحق من شهادتهما هما المدعيين وان قلت بلى قيل لك وفى أى حكم الله تعالى وجدت
ذلك قيل وجدنا ذلك فى أكثر المعانى وذلك فى حكم الرجل يدعى قبل رجل مالا فيقر به المدعى
عليه قبله ذلك ويدعى قضاءه فيكون القول قول رب الدين والرجل يعترف فى يد الرجل السلعة
فيزعم المعترفة فى يده أنه اشتراها من المدعى أو أن المدعى وهبها له وما أشبه ذلك مما يكثر احصاؤه
وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى فى هذا الموضع اليمين على المدعيين اللذين عثر على الخائنين
فيما جنيا فيه * واختلف أهل العربية فى الرافع قوله شهادة بينكم وقوله اثنان ذوا عدل منكم
فقال بعض نحويى البصرة معنى قوله شهادة بينكم شهادة اثنين ذوى عدل ثم ألقيت الشهادة وأنيب
الاثنان مقامها فارتفعا بما كانت الشهادة به مرتفعة لو جعلت فى الكلام قال وذلك فى حذف
ما حذف منه واقامة ما أقيم مقام المحذوف نظير قوله واسأل القرية وانما يريد واسأل أهل القرية
وانتصبت القرية بانتصاب الاهل وقامت مقامه ثم عطف قوله أو آخران على الاثنين * وقال
بعض نحويى الكوفة رفع الاثنين بالشهادة أى ليشهدكم اثنان من المسلمين أو آخران من غيركم
وقال آخر منهم رفعت الشهادة باذا حضر وقال انما رفعت بذلك لانه قال اذا حضر فجعلها

شهادة محذوفة مستأنفة ليست بالشهادة التى قد رفعت لكل الخلق لانه قال تعالى ذكره أو آخران من غيركم وهذه شهادة لا تقع الا فى هذا الحال وليست مما ثبت . وأولى هذه الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال الشهادة مرفوعة بقوله اذا حضر لأن قوله اذا حضر بمعنى عند حضور أحدكم الموت والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم وهو أن يشهد اثنان فاكتفى من قيل أن يشهد بما قد جرى من ذكر الشهادة فى قوله شهادة بينكم وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الشهادة مصدر فى هذا الموضع والاثنان اسم والاسم لا يكون مصدرا غير أن العرب قد تضع الاسماء مواضع الافعال فالامر وان كان كذلك فصرف كل ذلك الى أصح وجوهه ما وجدنا اليه سبيلا أولى بنا من صرفه الى أضعفها القول فى تأويل قوله ﴿أو آخران من غيركم﴾ يقول تعالى ذكره المؤمنين ليشهد بينكم اذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين أو آخران من غير المسلمين . وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أو آخران من غيركم فقال بعضهم معناه أو آخران من غير أهل ملتكم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة ويونس بن معاذ قالا ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أو آخران من غيركم من أهل الكتاب حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب أو آخران من غيركم من أهل الكتاب حدثنى أبو حفص الجيرى عبيد الله بن يوسف قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد مثله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسليمان التيمى عن سعيد بن المسيب أنهما قالا فى قوله أو آخران من غيركم قالا من غير أهل ملتكم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة قال ثنى من سمع سعيد بن جبير يقول مثل ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا التيمى عن أبى مجلز قال من غير أهل ملتكم وحدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ان كان قربه أحد من المسلمين أشهدهم والا أشهد رجلين من المشركين حدثنا عمرو بن على قال ثنا قتيبة قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير فى قوله أو آخران من غيركم قالا من غير أهل ملتكم حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد أو آخران من غيركم قال من أهل الكتاب حدثنا عمرو قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين فان لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن شريح فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهما جائزة فان جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الاعمش عن ابراهيم عن شريح أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم الا فى الوصية ولا يجيز شهادتهما على الوصية الا اذا كانوا فى سفر حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش عن ابراهيم عن شريح قال

مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقى المتاع الى أهله لما قدما فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم أى من التنازع والتشاجر وانما أضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند النزاع واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى هذا دليل أن الوصية مما لا ينبغى أن يتهاون بها المسلم عند ظهور أمارات الموت فكان وقتيهما واحدوهما متلازمان وارتفع اثنان على أنه قام مقام الخبرية أى شهادة بينكم شهادة اثنين أو على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم أن يشهد اثنان وفى قوله منكم ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهرى وعليه جمهور الفقهاء ان منكم أى من أقاربكم ومن غيركم أى من الاجانب والمعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم أحد من أقاربكم فاستشهدوا على الوصية أجنبيين وجعل الاقارب أولى لانهم أعلم بحال الميت وأرأف به وعن ابن عباس وأبى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم أى من أهل ملتكم ومن غيركم أى من كافر كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا أو عابد وثن قال الشافعى مرض رجل من المسلمين فى الغربة فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة وأتيا

لاتجوز شهادة اليهود والنصارى الا فى سفر ولا تجوز فى سفر الا فى وصية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن ابراهيم عن شريح نحوه **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا محمد بن عبد الله ابن الزبير الاسدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كتب هشام بن هبيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين فكتب لاتجوز شهادة المشركين على المسلمين الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا أن يكون الرجل مسافرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال سألته عن قول الله تعالى أو آخران من غيركم قال من غير ملتكم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة بمثله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فقال من غير أهل الملة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل الصلاة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل دينكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حسين عن زائدة عن هشام عن ابن سيرين عن عبيدة قال من غير أهل الملة **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا أبو حرة عن محمد بن سيرين عن عبيدة أو آخران من غيركم قال من غير أهل ملتكم **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن عثمان قال ثنا هشام بن محمد قال سألت سعيد بن جبير عن قول الله أو آخران من غيركم قال من غير أهل ملتكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال من غير أهل ملتكم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر ابن عياش قال قال أبو اسحق أو آخران من غيركم قال من اليهود والنصارى قال قال شريح لاتجوز شهادة اليهودى والنصرانى الا فى وصية ولا تجوز فى وصية الا فى سفر **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا الاشعرى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعرى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما وأمضى شهادتهما **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن مغيرة الازرق عن الشعبى أن أبا موسى قضى بهما بدقوقا **حدثنا** عمرو قال ثنا عثمان بن الهيثم قال ثنا عوف عن محمد أنه كان يقول فى قوله اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم شاهدان من المسلمين وغير المسلمين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو حفص عن ليث عن مجاهد قال من غير أهل الاسلام **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم فى هذه الآية شهادة بينكم الآية كلها قال كان ذلك فى رجل توفى وليس عنده أحد من أهل الاسلام وذلك فى أول الاسلام والارض حرب والناس كفار الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة وكان الناس يتوارثون بالوصية ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض وعمل المسلمون بها * وقال آخرون بل معنى ذلك أو آخران من غير حيكم وعشيرتكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله اثنان ذوا عدل منكم

أبا موسى الاشعرى وكان واليا عليها فاخبراه بالواقعة فقال أبو موسى هذا أمر لم يقع بعد النبى صلى الله عليه وسلم فحلفهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا وأجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب فى منكم لجميع المؤمنين فيلزم أن يكون غيرهم كافرين وبأن هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك فى الحضر أيضا بالاتفاق وبانه تعالى أوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين فى سبب النزول كانا نصرانيين وبان أبا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه أحد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات كالتيمم والافطار وأكل الميتة والمسلم اذا قرب أجله ولم يجد مسلما ولا تقبل شهادة الكفار ضاع أكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون ولديه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين أن يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر ليس لأجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لأجل أن الغالب فى السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما وبان سبب

أو آخران من غيركم قال شاهدان من قومكم ومن غير قومكم حدثنا عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري قال مضت السنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر انما هي في المسلمين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اثنان ذوا عدل منكم أي من عشيرته أو آخران من غيركم قال من غير عشيرته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ثابت بن زيد عن عاصم عن عكرمة أو آخران من غيركم قال من غير أهل حيكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن ثابت بن زيد عن عاصم عن عكرمة أو آخران من غيركم قال من غير حيكم حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو داود قال ثنا ثابت ابن زيد عن عاصم الاحول عن عكرمة في قول الله تعالى أو آخران من غيركم قال من غير أهل حيه يعني من المسلمين حدثني الحرث بن محمد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن أو آخران من غيركم قال من غير عشيرتك ومن غير قومك كلهم من المسلمين حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قوله أو آخران من غيركم قال مسلمين من غير حيكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل قال سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين قلت أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصي أهما من المسلمين أم هما من أهل الكتاب وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما أتراهما من أهل المرء الموصي أم هما من غير المسلمين قال ابن شهاب لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا أحيانا فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من امام عادل ولكنه يختلف فيها رأيهم وكان أعجبهم فيها رأيا الينا الذين كانوا يقولون هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنه بعضهم ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضر وامن وصية فان سلموا اجازت وصيته وان ارتابوا أن يكونوا بدلوا قول الميت وأثروا بالوصية من أراد وامن لم يوص لهم الميت بشئ حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي صلاة المسلمين فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فاذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ما لم يعثر على أنهما استحقا اثما في شئ من ذلك فان عثر قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الاولان المستحلفان أول مرة فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبكما أو ابطال ما شهدتما به وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم الآية * وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب تأويل من تأوله أو آخران من غير أهل الاسلام وذلك أن الله تعالى عرف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين أو اثنين من غير المؤمنين ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم أو رجلين من غير عشيرتكم وانما يقال صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين فاذ كان لا وجه لذلك في الكلام فغير جائز صرف مغلق كلام الله تعالى الا الى أحسن وجوهه وقد دل المناقبل على أن قوله تعالى ذوا عدل منكم انما هو من أهل دينكم وملتكم بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه واذا صح ذلك عاد للناعليه فمعلوم أن معنى قوله أو آخران من غيركم انما هو أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم واذ كان ذلك كذلك فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل دينا يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدي وثن أو على أي دين كانا لان الله تعالى

النزول لا يلزم أن ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قصة أبي موسى خبر الواحد و بان الضرورة كانت في أول الاسلام لقلة المسلمين وتعذرهم في السفر غالبا ومما يصلح أن يكون مؤكدا لهذه الآية وان لم يجز أن يكون ناسخا لها عند من يرى أن المائدة من آخر القرآن نزولا قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الا الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا كذب أعظم من الفرية على الله تعالى وعلى رسله وانما تقبل شهادة أهل البدع والاهواء من هذه الأمة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما أي توقفونهما وتصيرونهما استئناف كانه قيل فكيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلاة قال ابن عباس من بعد صلاة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلاة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بعد تميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلاة العصر ولان جميع أهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب وأهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر و بعد العصر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد أي صلاة كانت لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء

والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في أشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعديل كما في القسامة واللعان أو بزيادة الاسماء والصفات وقال أبو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان أو مكان ولا يخفى أن قول الشافعي أوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى وقوله ان ارتبتم اعتراض والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من يقسم له قريبا منا أرادوا أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا كقوله شهداء الله ولو على أنفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم أتم والمداهنة بينهم أكمل ولا نكتم شهادة الله التي أمر بحفظها وتعظيمها وأدائها انا اذا لمن الآثمين أي اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل عن الشعبي أنه وقف على قول الله عز وجل شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول أللهِ لقد كان كذا والمعنى بالله فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره وقريب منه العثار لان العاثر انما يعثر بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على أنهما استحقا اثما وهو كناية

لم يخصص آخرين من أهل ملة بعينها دون ملة بعد أن يكونا من أهل الاسلام ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين صفة شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم ان أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين في الارض وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله قيل للمسافر الضارب في الارض فأصابتكم مصيبة الموت يقول فنزل بكم الموت ووجه أكثر أهل التأويل هذا الموضع الى معنى التعقيب دون التخيير وقالوا معناه شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ان وجدا فان لم يوجدا فآخران من غيركم وانما فعل ذلك من فعله لانه وجه معنى الشهادة في قوله شهادة بينكم الى معنى الشهادة التي توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم أو يبطلها ذكر بعض من تأول ذلك كذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر في قوله ذوا عدل منكم من المسلمين فان لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اثنان من أهل دينكم أو آخران من غيركم من أهل الكتاب اذا كان ببلاد لا يجد غيرهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن شريح في هذه الآية شهادة بينكم الى قوله أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهم جائزة حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم قال هذا في الحضر أو آخران من غيركم في السفر ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت هذا في الرجل يدركه الموت في سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصي اليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فيشهد رجلين من المسلمين فان لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم فهذا لمن مات وعنده المسلمون فأمره الله أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ثم قال أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فامره الله تعالى بشهادة رجلين من غير المسلمين ووجه ذلك آخرون الى معنى التخيير وقالوا انما عنى بالشهادة في هذا الموضع الأيمان على الوصية التي أوصى اليهما وائتمان الميت اياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدياه الى ورثته بعد وفاته ان ارتيب بهما قالوا وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعا للامانة من مؤمن وكافر في السفر والحضر وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى وسنذكر بقيته ان شاء الله تعالى بعد ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت ان شهد اثنان ذوا عدل منكم أو كان أوصى اليهما آخران من غيركم ان كنتم في سفر فحضرتكم المنية فأوصيتم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم فاذا أنتم أوصيتم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال فأصابتكم مصيبة الموت فأديا الى ورثتكم ما ائتمنتموهما وادعوا عليهما

حيانة ممانا هما ائتمنا عليه فان الحكم فيهما حينئذ أن تحبسونهما يقول تستوقفونهما بعد الصلاة
في الكلام محذوف اجتزئ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف وهو فأصابتكم مصيبة الموت وقد
تدتم وصيتكم اليهما ودفعتم اليهما ما كان معكم من مال فانكم تحبسونهما من بعد الصلاة
يقسمان بالله ان ارتبتم يقول فيحلفان بالله ان اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية
أو في اليهما بها أو تبديلها او ارتياب هو الاتهام لا نشترى به ثمنا يقول يحلفان بالله لا نشترى
بأيماننا بالله ثمنا يقول لا نحالف كاذبين على عوض نأخذه عليه وعلى مال نذهب به أو لحق نجحده
ولو كان المقوم الذين أوصى الينا واليهم وصيتهم والهاء في قوله به من ذكر الله والمعنى به الحلف
والقسم ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به فيعرف من معنى الكلام واكتفى به من اعادة
ذكر القسم والحلف ولو كان ذا قربى يقول يقسمان بالله لا نطلب باقسامنا بالله عوضا فنكذب
فيه أحدا ولو كان الذى نقسم به له ذا قرابة منا وبنحو الذى قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس
ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن على
ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة
الموت فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين
ان ارتاب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله لنشتري بشهادتنا ثمنا قليلا وقوله تحبسونهما من
بعد الصلاة من صلاة الآخرين ومعنى الكلام أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة
ان ارتبتم بهما فيقسمان بالله لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى واختلفوا في الصلاة التي ذكرها الله
تعالى في هذه الآية فقال تحبسونهما من بعد الصلاة فقال بعضهم هي صلاة العصر ذكر من قال
ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته
الوفاة بدقوقا فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب قال
فقدما الكوفة فأتيا الاشعري فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا أمر لم يكن بعد
الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا
ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته قال فأمضى شهادتهما حدثنا ابن بشار وعمرو بن على
قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو آخران من غيركم قال اذا كان
الرجل بأرض الشرك فأوصى الى رجلين من أهل الكتاب فانهما يحلفان بعد العصر حدثنا
ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى فأصابتكم مصيبة
الموت فهذا رجل مات بغربة من الارض وترك تركته وأوصى بوصيته وشهد على وصيته رجلان
ان ارتاب في شهادتهما استحلفا بعد العصر وكان يقال عندها تصير الايمان حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا في هذه
الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم قالا اذا حضر الرجل الوفاة في سفر فليشهد رجلين من المسلمين
فان لم يجد فرجلين من أهل الكتاب فاذا قدما بتركته فان صدقهما الورثة قبل قولهما وان اتهموهما
حلفا بعد صلاة العصر بالله ما كذبنا ولا كتمنا ولا خنا ولا غيرنا حدثنا عمرو بن على قال ثنا
يحيى القطان قال ثنا زكريا قال ثنا عامر أن رجلا توفي بدقوقا فلم يجد من يشهده على وصيته الا
رجلين نصرانيين من أهلها فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر في مسجد الكوفة بالله ما كتما
ولا غيرا وان هذه الوصية فأجازها * وقال آخرون بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط

عن الخيانة والحنث في الحلف فاخران
خبر مبتدا محذوف أو فاعل فعل
محذوف أو صفة مبتدا محذوف أى
فالشاهدان أو فليشهد أو فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم قال في الكشاف أى
الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم
وهم أهل الميت وعشيرته وفي
التفسير الكبير أنه المال وانما وصف
مو الى الميت بذلك لانه أخذ مالهم
وكل من أخذ ماله غيره فقد حاول
ذلك الغير أن يكون تعلقه بذلك
المال مستعليا على تعلق مالكه به
فصح أن يوصف المالك بأنه قد استحق
عليه ذلك المال وارتفع الاوليان
على أنهما خبر مبتدا محذوف فكانه
قيل ومن الآخران فقيل هما
الأوليان و يجوز أن يكون بدلا من
الضمير في يقومان أو من آخران
و يجوز أن يرتفع باستحق أى من
الذين استحق عليهم انتداب الاولين
منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة
الحال قاله في الكشاف ومعنى
الاوليان الاقربان الى الميت أو
الاوليان الأحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما أو الأحقان
باليمين اما على تقدير الرد وذلك عند
الشافعي وكل من يرى رد اليمين على
المدعى واما لانقلاب القضية عند
من لا يرى ذلك كابي حنيفة
وأصحابه فان من أقر لآخر
بدين ثم ادعى أنه قضاه حكم برد اليمين
الى الذى ادعى الدين أولا لأنه صار
مدعى عليه أنه قد استوفاه وفي هذه
القصة ادعى الوصيان أن الميت باع
منهما الاناء والورثة أنكروا فكان

عن السدى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم قال هذا فى الوصية عند الموت يوصى و يشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه قال هذا فى الحضر أو اخران من غيركم فى السفر ان أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت هذا الرجل يدركه الموت فى سفر وليس بحضرته أحد من المسلمين فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس فيوصى اليهما و يدفع اليهما ميراثه فيقبلان به فان رضى أهل الميت الوصية وعرفوا مال صاحبهم تركوا الرجلين وان ارتابوا رفعوهما الى السلطان فذلك قوله تحبسونهما من بعد الصلاة ان ارتبتم قال عبد الله بن عباس كأنى أنظر الى العلجين حين انتهى بهما الى أبى موسى الاشعرى فى دينه ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوفوهما فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر فقلنا انهما لا يباليان صلاة العصر ولكن استحلفهما بعد صلاتهما فى دينهما فيوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما و يحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبهم لهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن يحلفا انكما كنتما كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما فاذا قال لهما ذلك فذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال تحبسونهما من بعد صلاة العصر لان الله تعالى عرّف الصلاة فى هذا الموضع بادخال الالف واللام فيها ولا تدخلهما العرب الا فى معروف اما فى جنس أو فى واحد معهود معروف عند المتخاطبين فاذ كان كذلك وكانت الصلاة فى هذا الموضع مجمعا على أنه لم يعن بها جميع الصلوات لم يجز أن يكون مرادا بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى لأن لهم صلوات ليست واحدة فيكون معلوما أنها المعنية بذلك فاذ كان ذلك كذلك صح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين واذ كان ذلك كذلك وكان النبى صلى الله عليه وسلم صحيحا عنه أنه اذا لاعن بين العجلانيين لاعن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات كان معلوما أن التى عنيت بقوله تحبسونهما من بعد الصلاة هى الصلاة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت وذلك لقربه من غروب الشمس وكان ابن زيد يقول فى قوله لا نشترى به ثمنا ما حدثنى به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا نشترى به ثمنا قال نأخذ به رشوة القول فى تأويل قوله ﴿ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار ولا نكتم شهادة الله باضافة الشهادة الى الله وخفض اسم الله تعالى يعنى لا نكتم شهادة لله عندنا وذكر عن الشعبى أنه كان يقرؤه كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عامر أنه كان يقرأ ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين بقطع الالف وخفض اسم الله هكذا حدثنا به ابن وكيع وكأن الشعبى وجه معنى الكلام الى أنهما يقسمان بالله لا نشترى به ثمنا ولا نكتم شهادة عندنا ثم ابتدأ يمينا باستفهام بالله انهما ان اشتريا بأيمانهما ثمنا أو كتما شهادته عندهما لمن الآثمين وقد روى عن الشعبى فى قراءة ذلك رواية تخالف هذه الرواية وذلك ما حدثنى أحمد بن يوسف الثعلبى قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد عن ابن عون عن الشعبى أنه قرأ ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين قال أحمد قال أبو عبيد تنوّن شهادة و يخفض الله على الاتصال قال وقد رواها بعضهم بقطع الالف على الاستفهام وخفض الله بترك الاستفهام وقرأها بعضهم ولا نكتم شهادة الله بتنوين الشهادة ونصب اسم الله بمعنى ولا نكتم الله شهادة عندنا * وأولى القراآت فى ذلك عندنا بالصواب قراءة

اليمين حقالهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى أنه نعت للذين استحق عليهم أو منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة أو التقدم فى الذكر فى قوله يا أيها الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكرا قبل قوله أو آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاوليان فقد قال فى الكشاف معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة و يظهروا بهما كذب الكاذبين وفى التفسير الكبير أن الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما أولى من غيرهما بسبب أن الميت عينهما للوصية ولما خانا فى مال الوصية صح أن يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان أى خان فى مالهم الاوليان روى أنه لما نزلت الآية الاولى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انه لم يوجد منا خيانة فى هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعاه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة أظهراه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا ألم نقل لكم هل باع صاحبنا شيأ فقلتم لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فان عثر على أنهما استحقا الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن وداعة فحلفا بالله بعد

قرأ ولا نكتم شهادة الله باضافة الشهادة الى اسم الله وخفض اسم الله لانها القراءة المستفيضة
قراءة الامصار التى لا يتنا كر صحتها الامة وكان ابن زيد يقول فى معنى ذلك ولا نكتم شهادة الله
ان كان صاحبها بعيدا حدثنى بذلك يونس قال أخبرنا ابن زيد عنه ﴿ القول فى تأويل قوله
فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ﴾
يقول تعالى ذكره بقوله فان عثر فان اطلع فيهما أو ظهر وأصل العثر الوقوع على الشئ والسقوط
عليه ومن ذلك قولهم عثرت اصبع فلان بكذا اذا صدمته وأصابته ووقعت عليه ومنه قول الاعشى
ميمون بن قيس

بذات لوث عفرناة اذا عثرت * فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

يعنى بقوله عثرت أصاب ميسم خفها حجرا أو غيره ثم يستعمل ذلك فى كل واقع على شئ كان عنه
ما كقولهم عثرت على الغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة بمعنى وقعت وأما قوله على أنهما استحقا
اثما فانه يقول تعالى ذكره فان اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما فى هذه الآية بعد
يمينهما بالله لا نشترى بأيماننا ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله على أنهما استحقا اثما يقول
على أنهما استوجبا بأيمانهما التى حلفا بها اثما وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين فى أيمانهما
بالله اخاولا بدلنا ولا غيرنا فان وجد اقد خانا من مال الميت شيأ أو غيرا وصيته أو بدلا فأثما بذلك
وحلفهما بربهما فآخران يقومان مقامهما يقول يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت
الاولان الموصى اليهما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أو آخران من
غيركم قال اذا كان الرجل بأرض الشرك فأوصى الى رجلين من أهل الكتاب فانهما يحلفان بعد
العصر فاذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيأ حلف أولياء الميت انه كان كذا وكذا ثم استحقوا
قال ثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم بمثله حدثنى
محمد قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس
قوله أو آخران من غيركم من غير المسلمين تحبسونهما من بعد الصلاة فان ارتيب فى شهادتهما
حلفا بعد الصلاة بالله ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا فان اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا
فى شهادتهما قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فذلك قوله فان
عثر على أنهما استحقا اثما يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا فآخران يقومان مقامهما
من الاولياء فحلفا بالله ان شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز
شهادة الاولياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان عثر على أنهما استحقا
اثما اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى له حكم الله
بذكره على الشاهدين بالأيمان فنقلها الى الآخرين بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا اثما
بعضهم انما ألزمهما اليمين اذا ارتيب فى شهادتهما على الميت فى وصيته أنه أوصى لغير الذى
يجوز فى حكم الاسلام وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله أو أوصى أن يفضل بعض ولده
على ماله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى
عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله ذوا عدل
منكم من أهل الاسلام أو آخران من غيركم من غير أهل الاسلام ان أنتم ضربتم فى الارض الى
قوله تحبسونهما بالله يقول فيحلفان بالله بعد الصلاة فان حلفا على شئ يخالف ما أنزل الله تعالى من
فريضة يعنى اللذين ليسا من أهل الاسلام فآخران يقومان مقامهما من أولياء الميت

العصر لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا فى طلب هذا المال وفى نسبتهم الى الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى أولياء الميت وكان تميم الدارى يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فأتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى أن أسلم تميم الدارى فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء أنا وصاحبى بألف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه خمسمائة أخرى ودفع الالف الى أولياء الميت ذلك الحكم الذى شرعناه والطريق الذى نهجناه أقرب الى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أى كما هو فى الواقع أو يخافوا أن ترد فى مثل هذه القضية أيمان على الورثة بعد أيمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين وأما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده أن تكرر أيمان شهود آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل أن هذا الحكم يصير باعثا للشهود على أداء حق الشهادة للداعى أو الصارف واتقوا الله فى الأيمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه وأحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الآية فى غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدى فى البسيط عن عمر بن الخطاب أن هذه الآية أعضل ما فى هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب أكثر الفقهاء الى أن حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف

أحوال القيامة وذكر بعض ماسيجرى هنالك من الخطاب والعتاب جريا على عادته فى هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات وأحوال المعاد فقال (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا الا على أنه ظرف لانهم غير مأمورين بالتقوى فى ذلك اليوم ولكن على أنه بدل اشتمال من اسم الله ويجوز أن يكون ظرفا لقوله لايهدى أى لايهديهم طريق الجنة يومئذ أو منصوبا باضمار اذكر أو ظرفا لما يجىء بعده وهو قالوا وعلى هذين الوجهين تكون الآية منقطعة عما قبلها وماذا منصوب بأجبتم ولكن انتصاب المصدر على معنى أى اجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد ثم ظاهر قوله لاعلم لنا يدل على أن الانبياء لايشهدون لامهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيامة زلازل وأهوالا تزيل العقول فالانبياء عندها ينسون أكثر الامور فهنالك يقولون لاعلم لنا فاذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم ولايرد عليه قوله لايحزنهم الفزع الاكبر ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون لان مواقف القيامة مختلفة ولان عدم الخوف فى العاقبة لاينافى الحيرة والدهشة أولا وقال آخرون المراد منه المبالغة فى توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما

فيحلفان بالله ما كان صاحبنا ليوصى بهذا وأنهما لكاذبان ولشهادتنا أحق من شهادتهما وأعدل وما اعتدينا فى الشهادة انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لهذا أوصى وان هذه لتركته فاذا شهدا وأجاز الامام شهادتهما على ما شهدا قال لاولياء الرجل اذهبوا فاضربوا فى الارض واسألوا عنهما فان أنتم وجدتم عليهما خيانة أو أحدا يطعن عليهما ردد نا شهادتهما فينطلق الاولياء فيسألون فان وجدوا أحدا يطعن عليهما أو هما غير مرضيين عندهم أو اطلع على أنهما خانا شيأ من المال وجدوه عندهما فقام الاولياء فشهدوا عند الامام وحلفوا بالله لشهادتنا أنهما الخائنان متهمان فى دينهما مطعون عليهما أحق من شهادتهما بما شهدا وما اعتدينا فذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهما الاوليان وقال آخرون بل انما ألزم الشاهدان اليمين لانهما ادعيا أنه أوصى لهما ببعض المال وانما ينقل الى الآخرين من أجل ذلك ان ارتابوا بدعواهما ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث ابن سعد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله قال زعما انه أوصى لهما بكذا وكذا فان عثر على أنهما استحقا اثما أى بدعواهما الأنفسهما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ان صاحبنا لم يوص اليكم بشئ مما تقولان * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الشاهدين ألزما اليمين فى ذلك باتهام ورثة الميت اياهما فيما دفع اليهما الميت من ماله ودعواهم قبلهما خيانة مال معلوم المبلغ ونقلت بعد الى الورثة عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما أو على أحدهما انما صح دعواه اذ حقق حقه أو الاقرار يكون من الشهود ببعض ما ادعى عليهما الوارث أو بجميعه ثم دعواهما فى الذى أقر به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما الا ببينة ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بينة فينقل حينئذ اليمين الى أولياء الميت وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالصحة لانا لا نعلم من أحكام الاسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ارتيب بشهادتهما أو لم يرتب بها فيكون الحكم فى هذه الشهادة نظيرا لذلك ولم نجد ذلك كذلك صح بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا باجماع من الامة لان استحلاف الشهود فى هذا الموضع من حكم الله تعالى فيكون أصلا مسلما المقول اذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرا لاصل فيما تنازعت فيه الامة كان واضحا فساده واذا فسد هذا القول بما ذكرنا فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم فى أن من حكم الله تعالى أن مدعى الوادعى فى مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدعى فى ماله الوصية مع أيمانهم دون قول مدعى ذلك مع يمينه وذلك اذا لم يكن للمدعى بينة وقد جعل الله تعالى اليمين فى هذه الآية على الشهود اذا ارتيب بهما وانما نقل الايمان عنهم الى أولياء الميت اذا عثر على أن الشهود استحقوا اثما فى أيمانهم فمعلوم بذلك فساد قول من قال ألزم اليمين الشهود لدعواهم لانفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله على أن ما قلنا فى ذلك عن أهل التأويل هو التأويل الذى وردت به الاخبار عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم وبسببهم ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن يحيى بن أبى زائدة عن محمد بن أبى القاسم عن

حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما يحلفان بالله لانشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولانكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لهذا أوصى وان هذه لتركته فاذا شهدا وأجاز الامام شهادتهما على ما شهدا قال لاولياء الرجل اذهبوا فاضربوا فى الارض واسألوا عنهما فان أنتم وجدتم عليهما خيانة أو أحدا يطعن عليهما ردد نا شهادتهما فينطلق الاولياء فيسألون فان وجدوا أحدا يطعن عليهما أو هما غير مرضيين عندهم أو اطلع على أنهما خانا شيأ من المال وجدوه عندهما فقام الاولياء فشهدوا عند الامام وحلفوا بالله لشهادتنا أنهما الخائنان متهمان فى دينهما مطعون عليهما أحق من شهادتهما بما شهدا وما اعتدينا فذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهما الاوليان وقال آخرون بل انما ألزم الشاهدان اليمين لانهما ادعيا أنه أوصى لهما ببعض المال وانما ينقل الى الآخرين من أجل ذلك ان ارتابوا بدعواهما ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث ابن سعد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر فى قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله قال زعما انه أوصى لهما بكذا وكذا فان عثر على أنهما استحقا اثما أى بدعواهما الأنفسهما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان ان صاحبنا لم يوص اليكم بشئ مما تقولان * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الشاهدين ألزما اليمين فى ذلك باتهام ورثة الميت اياهما فيما دفع اليهما الميت من ماله ودعواهم قبلهما خيانة مال معلوم المبلغ ونقلت بعد الى الورثة عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما أو على أحدهما انما صح دعواه اذ حقق حقه أو الاقرار يكون من الشهود ببعض ما ادعى عليهما الوارث أو بجميعه ثم دعواهما فى الذى أقر به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما الا ببينة ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بينة فينقل حينئذ اليمين الى أولياء الميت وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فى ذلك بالصحة لانا لا نعلم من أحكام الاسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ارتيب بشهادتهما أو لم يرتب بها فيكون الحكم فى هذه الشهادة نظيرا لذلك ولم نجد ذلك كذلك صح بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا باجماع من الامة لان استحلاف الشهود فى هذا الموضع من حكم الله تعالى فيكون أصلا مسلما المقول اذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرا لاصل فيما تنازعت فيه الامة كان واضحا فساده واذا فسد هذا القول بما ذكرنا فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم فى أن من حكم الله تعالى أن مدعى الوادعى فى مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدعى فى ماله الوصية مع أيمانهم دون قول مدعى ذلك مع يمينه وذلك اذا لم يكن للمدعى بينة وقد جعل الله تعالى اليمين فى هذه الآية على الشهود اذا ارتيب بهما وانما نقل الايمان عنهم الى أولياء الميت اذا عثر على أن الشهود استحقوا اثما فى أيمانهم فمعلوم بذلك فساد قول من قال ألزم اليمين الشهود لدعواهم لانفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله على أن ما قلنا فى ذلك عن أهل التأويل هو التأويل الذى وردت به الاخبار عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم وبسببهم ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن يحيى بن أبى زائدة عن محمد بن أبى القاسم عن

عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري
وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا
بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدا الجام بمكة فقالوا اشتريناه من تميم الداري
وعدي بن بداء فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا الشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام
لصاحبهم قال وفيهم أنزلت يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم حدثنا الحسن بن أبي شعيب
المصيصي قال ثنا محمد بن سلمة الحراني قال ثنا محمد بن اسحق عن أبي النضر عن زاذان مولى أم
هانئ بنت أبي طالب عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم
اذا حضر أحدكم الموت قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى
الشام قبل الاسلام فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم
مولى (١) عمرو بن العاص بجام فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك
أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم فقسمناه أنا وعدي بن بداء فقلنا
ما لهذا غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم
بمعي صاحبي مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن
يحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الى
قوله أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة
من يد عدي بن بداء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة
وابن سيرين وغيره قال وثنا الحجاج عن ابن جريج عن عكرمة دخل حديث بعضهم في بعض
في قوله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية قال كان عدي وتميم الداري وهما من لخم نصرانيان يتجران
الى مكة في الجاهلية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا متجرهما الى المدينة فقدم ابن أبي
مارية (١) مولى عمرو بن العاص المدينة وهو يريد الشام تاجرا فخرجوا جميعا حتى اذا كانوا
ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية فكتب وصيته بيده ثم دسها في متاعه ثم أوصى اليهما فلما مات
فتشا متاعه فأخذا ما أرادا ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا ففتح أهله متاعه فوجدوا كتابه وعهده
فخرجا به وفقدوا شيأ فسألوهما عنه فقالوا هذا الذي قبضناه ودفع الينا قال لهما أهله فباع
صاحبنا متاعه قالا لا قالوا فهل استهلك من متاعه شيأ قالا لا قالوا فهل تجر تجارة قالا لا قالوا فانا قد
وجدنا بعضه فاتهمهما فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله انا اذا لمن الآثمين قال فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يستحلفوهما في دبر صلاة العصر بالله الذي لا اله الا هو ما قبضنا له غير هذا ولا كتمنا قال
فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم ظهر معه على اناء من فضة منقوش مموه بذهب فقال أهله هذا
من متاعه قالا نعم ولكنا اشتريناه منه ونسينا أن نذكره حين حلفنا فكره هنا أن نكذب أنفسنا
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية الاخرى فان عثر على أنهما استحقا اثما
فقام رجلان من يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيبا وبا يستحقانه ثم ان تميما الداري أسلم وبايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الاناء حدثني يونس قال

(١) قوله ابن أبي مارية و يقال له ابن أبي مريم كما تقدم كذا في الشهاب كتبه مصححه

يقول الواحد لغيره ما تقول في فلان فيقول أنت أعلم به مني فكأنك
قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار
التشكي الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم
وقال ابن عباس نفوا العلم عن
أنفسهم عند علام الغيوب ليعلم أن
علمهم هناك كلا علم وقيل المراد
نفي العلم بخاتمة أحوالهم وما كان
منهم بعد وفاتهم وانما الامور
بخواتيمها وقال في التفسير الكبير
ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان
مبنيا على ظاهر أحوالهم كما قال
نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا
والاحكام في الآخرة مبنية على
حقائق الامور وبواطنها فلهذا
نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في
القيامة مع أن السكوت وتفويض
الامر الى الاعلم الاعدل أقرب الى
الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب
على أن الكلام قد تم عند قوله
أنت أي أنت الموصوف بالجلال
والكبرياء ثم نصب علام الغيوب
على الاختصاص أو على النداء
ثم عدد أنواع نعمه على عيسى عليه
السلام واحدة فواحدة تنبيها على
أنه عبد وليس بالله وتوبيخا للمتمردين
من الامم وأولى الامم بذلك النصارى
الطاعنون في ذات الله سبحانه
باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ
قال رفع بالابتداء على معنى ذلك
اذ قال الله أو نصب باضمار اذكر
أو هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر
القول بلفظ الماضي دلالة على قرب
القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت
كما يقال الجيش قد أتى اذا قرب

اتيانهم أوورد على الحكاية كقول
الرجل لصاحبه كأنك بنا وقد دخلنا
بلدة كذا فصنعنا كذا ومحل ياعيسى
مضموم على أنه منادى مفرد معرفة
أومفتوح لانه وصف بابن مضاف
الى علم وهو المختار للتخفيف وكثرة
الاستعمال نعمتي عليك أراد الجمع
ووحدت لانه مضاف يصلح للجنس
وانما قال وعلى والدتك لان النعمة
على الولد نعمة على أبويه ولان مكارم
الاخلاق دليل على طيب الاعراق
اذ أيدتك بدل من نعمتي أي قويتك
بروح القدس أي بجبريل والقدس
هوالله كأنه أضافه الى نفسه تعظيما
له أو بالروح الطاهرة المقدسة وقد
تقدم في البقرة (تكلم الناس) حكاية
حال ماضية في المهد وكهلا في هاتين
الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك
الكتاب الخط أو جنس الكتب
والحكمة النظرية والعلمية والتوراة
والانجيل يعني الاحاطة بالاسرار
الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ
فيها الضمير للكاف لا للهيئة
المضاف اليها لانها ليست من خلقه
ولا نفخه في شئ وكذلك الضمير في
فتكون والكاف مؤنث بحسب
المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي
كهيئة الطير ومذكر في الظاهر فلهذا
عاد الضمير اليه مذكرا تارة كما في
آل عمران ومؤنثا أخرى كما في هذه
السورة وكرر باذني أي بتسهيلي
ليعلم أن الكل باقدار الله تعالى
وتمكينه واظهاره الخوارق على
يديه والا فهو عبد كسائر عبيده
واذ كففت يروى أنه لما أظهر هذه
المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله
فخلصه الله تعالى برفعه الى السماء

أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم
الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم الآية كلها قال هذا شئ حين لم يكن الاسلام الا بالمدينة
وكانت الارض كلها كفرا فقال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم
الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين أوآخران من غيركم من غير أهل الاسلام
ان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت قال كان الرجل يخرج مسافرا والعرب أهل
كفر فعسى أن يموت في سفره فيسند وصيته الى رجلين منهم فيقسمان بالله ان ارتبتم في أمرهما
اذا قال الورثة كان مع صاحبنا كذا وكذا فيقسمان بالله ما كان معه الا هذا الذي قلنا فان عثر
على أنهما استحقا انما حلفا على باطل وكذب فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم الاوليان بالميت فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين
ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا قال هؤلاء لم يكن معه قال ثم عثر على بعض المتاع عندهما
فلما عثر على ذلك ردت القسامة على وارثه فأقساما ثم ضمن هذان قال الله تعالى ذلك أدنى أن يأتوا
بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين الكاذبين الذين يحلفون على الكذب وقال ابن زيد قدم تميم الداري وصاحبه
وكانا نصرانيين مشركين ولم يكونا أسلما فأخبرا أنهما أوصى اليهما رجل وجاءا بتركته فقال أولياء
الميت كان مع صاحبنا كذا وكذا وكان معه اناء من فضة وقال الآخران لم يكن معه الا الذي جئناك به
فحلفا خلف الصلاة ثم عثر عليهما بعد والاناء معهما فلما عثر عليهما ردت القسامة على أولياء الميت
بالذي قالوا مع صاحبهم ثم ضمنهما الذي حلف عليه الأوليان حدثنا الربيع قال ثنا الشافعي
قال أخبرنا سعيد بن معاذ بن موسى الجعفري عن بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان قال بكر
قال مقاتل أخذت هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك في قول الله اثنان ذوا عدل منكم
أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمي والآخر عماني صاحبهما مولى لقريش في تجارة
فركبوا البحر ومع القرشي مال معلوم قد علمه أولياؤه من بين آنية وبزورقة فمرض القرشي فجعل
وصيته الى الداريين فمات وقبض الداريان المال والوصية فدفعاه الى أولياء الميت وجاءا ببعض ماله
وأنكر القوم قلة المال فقالوا للداريين ان صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتمونا به فهل
باع شيأ أواشترى شيأ فوضع فيه أوهل طال مرضه فأنفق على نفسه قالا لا قالوا فانا نجدنا ختمنا
فقبضوا المال ورفعوا أمرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا
شهادة بينكم الى آخر الآية فلما نزل أن يحبسا من بعد الصلاة أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقاما بعد
الصلاة فحلفا بالله رب السموات ما تركنا مولانا من المال الا ما أتيناكم به وانا لا نشتري بأيماننا
ثمنا قليلا من الدنيا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فلما حلفا خلى سبيلهما
ثم انهم وجدوا بعد ذلك اناء من آنية الميت فأخذ الداريان فقالا اشتريناه منه في حياته وكنا
فكلفا البينة فلم يقدرا عليها فرفعوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فان عثر
فان اطلع على أنهما استحقا انما يعني الداريين ان كتما حقا فآخران من أولياء الميت يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله ان مال صاحبنا كان كذا وكذا وان الذي
يطلب قبل الداريين لحق وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين هذا قول الشاهدين أولياء الميت ذلك أدنى
أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعني الداريين والناس أن يعودوا لمثل ذلك * قال أبو جعفر
ففيما ذكرنا من هذه الاخبار التي رويناها دليل واضح على صحة ما قلنا من أن حكم الله تعالى بالمبين

على الشاهدين فى هذا الموضع انما هو من أجل دعوى ورثته على المسند اليهما الوصية خيانة فيما دفع الميت من ماله اليهما أو غير ذلك مما لا يبرأ فيه المدعى ذلك قبله الا بيمين وان نقل اليمين الى ورثة الميت بما أوجبه الله تعالى بعد أن عثر على الشاهدين فى أيمانهما ثم ظهر على كذبهما فيها ان القوم ادعوا فيما صح انه كان للميت دعوى من انتقال ملك عنه اليهما ببعض ما تزول به الاملاك مما يكون اليمين فيها على ورثة الميت دون المدعى وتكون البينة فيها على المدعى وفساد ما خالف فى هذه الآية مما قلنا من التأويل وفيها أيضا البيان الواضح على أن معنى الشهادة التى ذكرها الله تعالى فى أول هذه القصة انما هى اليمين كما قال الله تعالى فى مواضع أخر والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فالشهادة فى هذا الموضع معناها القسم من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين وكذلك معنى قوله شهادة بينكم انما هو قسم بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية أن يقسم اثنان ذوا عدل منكم ان كانا ائتمنا على مال فارتيب بهما أو ائتمن آخران من غير المؤمنين فاتهما وذلك أن الله تعالى لما ذكر نقل اليمين من الذين ظهر على خيانتهما الى الآخرين قال فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ومعلوم أن أولياء الميت المدعين قبل الذين ظهر على خيانتهما غير جائز أن يكونا شهداء بمعنى الشهادة التى يؤخذ بها فى الحكم حق مدعى عليه لمدع لانه لا يعلم لله تعالى حكم قضى فيه لاحد بدعواه وبينه على مدعى عليه بغير بينة ولا اقرار من المدعى عليه ولا برهان فاذ كان معلوما أن قوله لشهادتنا أحق من شهاتهما انما معناه قسمنا أحق من قسمهما وكان قسم الذين عثر على أنهما أثما هو الشهادة التى ذكر الله تعالى فى قوله أحق من شهادتهما صح أن معنى قوله شهادة بينكم بمعنى الشهادة فى قوله لشهادتنا أحق من شهادتهما وأنها بمعنى القسم واختلفت القراء فى قراءة قوله من الذين استحق عليهم الاوليان فقرأ ذلك قراء الحجاز والعراق والشام من الذين استحق عليهم الاوليان بضم التاء وروى عن على وأبى بن كعب والحسن البصرى أنهم قرؤا ذلك من الذين استحق عليهم بفتح التاء واختلفت أيضا فى قراءة قوله الاوليان فقرأته عامة قراء أهل المدينة والشام والبصرة الاوليان وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة الاولين وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك من الذين استحق عليهم الاولان وأولى القراءتين بالصواب فى قوله من الذين استحق عليهم قراءة من قرأ بضم التاء لاجماع الحجة من القراء عليه مع مساعدة عامة أهل التأويل على صحة تأويله وذلك اجماع عامتهم على أن تأويله فآخران من أهل الميت الذين استحق المؤتمنان على مال الميت الاثم فيهم يقومان مقام المستحق الاثم فيهما بخيانتهما ما خانا من مال الميت وقد ذكرنا قائلى ذلك أو أكثر قائليه فيما مضى قبل ونحن ذاكرو باقيهم ان شاء الله تعالى ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى شهادة بينكم أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران لا يحضره غيرا ثنين منهم فان رضى ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك وحلف الشاهدان ان اتهما انهما الصادقان فان عثر وجد لطخ حلف الاثنان الاوليان من الورثة فاستحقا وأبطلا أيمان الشاهدين وأحسب أن الذين قرؤا ذلك بفتح التاء أرادوا أن يوجهوا تأويله الى فآخران يقومان مقامهما مقام المؤتمنين اللذين عثر على خيانتهما فى القسم والاستحقاق به عليهما دعواهما قبلهما من الذين استحق على المؤتمنين على المال على خيانتهما القيام مقامهما فى القسم والاستحقاق فى الاوليان بالميت وكذلك كانت قراءة من رويت هذه القراءة عنه فقرأ ذلك من الذين استحق بفتح التاء على معنى الاوليان بالميت

ان هذا الاسحر مبين من قرأ بغير ألف أشار الى ما جاء به أو أراد أنه ذو سحر فأطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرأ بالالف أشار الى الرجل واللام فى البينات يحتمل أن تكون للجنس ويحتمل أن يراد بها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار فى حقه ان هذا الاسحر مبين يحتمل أن يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن أن يراد بذلك تعداد النعم أيضا لان كل ذى نعمة محسود فطعن الكفار فيه يدل على علو شأنه وسمو مكانه

واذا أنتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل

ولابتهاجه بهذه النعم الجسام والمنن العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيأ لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا) ان كانوا أنبياء فظاهر والا فالوحى بمعنى الالهام كقوله وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى وهذا أيضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا فى قلوبهم من أعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرأ بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سؤال ربك أى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا آمنا فكيف يتصور مع الايمان

شك في اقتدار الله تعالى وأجيب بوجوه منها أن حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ومنها أنهم طلبوا مزيد الايقان والطمأنينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها أنهم أرادوا هل هو جائز في الحكمة أم لا وهذا على أصول المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح أو أرادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه أم لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السدى ان السين زائدة وكذا التاء أي هل يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب جبريل لانه كان يربيه ومنها أن المراد بالاستفهام التقرير كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا يريد أن ذلك أمر جلي لا يجوز للعاقل أن يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكأنها تميد بما عليها وذلك أنها لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها طعام فاذا لم يكن عليها طعام فهي خوان وقال ابن الانباري هي من ماده اذا أعطاه كأنها تعطى من تقدم اليه وقال أبو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية أي مرضية كأن صاحبها أعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجزة فانه كالتحكم وأيضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت أو أمرهم بالتقوى ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فأجاب الحواريون

ماله وذلك مذهب صحيح وقراءة غير مدفوعة صحتها غير أنا نختار الاخرى لاجماع الحجة من القراء عليها مع موافقتها التأويل الذي ذكرنا عن الصحابة والتابعين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبد الرحمن وكريب عن علي أنه كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاوليان حدثنا ابن وكيع قال ثنا مالك بن اسمعيل عن حماد بن زيد عن واثل مولى أبي عبيد عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاوليان وأما أولى القراآت بالصواب في قوله الاوليان عندي فقراءة من قرأ الاوليان بصحة معناها وذلك لان معنى فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الاثم ثم حذف الاثم وأقيم مقامه الاوليان لانهما هما اللذان ظلما وأثما فيما كان من خيانة اللذين استحقا الاثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتمنهما عليه الميت كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل ومن ذلك ما قد ذكرنا في تأويل هذه القصة وهو قوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ومعناه أن يشهد اثنان وكما قال فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا فقال به فعاد بالهاء على اسم الله وانما المعنى لا نشتري بقسمنا بالله فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر والمراد به لا نشتري بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم وكذلك اجتزئ بذكر الاولين من ذكر الاثم الذي استحقه الخائنان لخيانتهما اياها اذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه اياه عن اعادته وذلك قوله فان عثر على أنهما استحقا اثما وأما الذين قرؤا ذلك الاولين فانهم قصدوا في معناه الى الترجمة به عن الذين فأخرجوا ذلك على وجه الجمع اذ كان الذين جمعا وخفضا اذ كان الذين محفوضا وذلك وجه من التأويل غير أنه انما يقال للشيء أول اذا كان له آخر هو له أول وليس للذين استحق عليهم الاثم آخر هم له أول بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا اثما قبل أيمانهم فهم الى أن يكونوا اذ كانت أيمانهم آخرا أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أولين وأيمانهم آخرة لأولى قبلها وأما القراءة التي حكيت عن الحسن فقراءة عن قراءة الحجة من القراءة شاذة وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب واختلف أهل العربية في الرافع لقوله الاوليان اذا قرئ كذلك فقال بعض نحويي البصرة يزعم أنه رفع ذلك بدلا من آخران في قوله فآخران يقومان مقامهما وقال انما جاز أن يبدل الاوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة لانه حين قال يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم كان كأنه قد حدهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى فقال الاوليان فأجرى المعرفة عليهما بدلا قال ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز

على يوم يملك الامورا * صوم شهور وجبت نذورا * وبادنا مقلدا منحورا

قال فجعله على واجب لانه في المعنى قد أوجب * وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك ويقول لا يجوز أن يكون الاوليان بدلا من آخران من أجل أنه قد نسق فيقسمان على يقومان في قوله فآخران يقومان فلم يتم الخبر عند من قال لا يجوز الابدال قبل اتمام الخبر كما قال غير جائز مررت برجل قام زيد وقعد وزيد بدل من رجل والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال الاوليان مرفوعان بما لم يسم فاعله وهو قوله استحق عليهم وانهما موضع الخبر عنهما فعمل فيهما ما كان عاملا في الخبر عنهما وذلك أن معنى الكلام فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاثم بالخيانة فوضع الاوليان موضع الاثم كما قال تعالى في موضع آخر أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ومعناه أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان

من آمن بالله واليوم الآخر وكما قال وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم وكما قال بعض الهذليين

يمشي بيننا حانوت خمر * من الخرس الصراصرة القطاط

وهو يعني صاحب حانوت خمر فأقام الحانوت مقامه لانه معلوم أن الحانوت لا يمشي ولكن لما كان معلوما عنده أنه لا يخفى على سامعه ما قصد اليه من معناه حذف الصاحب واجتزأ بذكر الحانوت منه فكذلك قوله من الذين استحق عليهم الأوليان انما هو من الذين استحق فيهم خيانتهما فحذفت الخيانة وأقيم المخاتان مقامها فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف لو ظهر وأما قوله عليهم في هذا الموضع فان معناها فيهم كما قال تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان يعني في ملك سليمان وكما قال ولأصلبنكم في جذوع النخل في توضع موضع على وعلى في موضع في كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام ومنه قول الشاعر

متى ما تنكروها تعرفوها * على أقطارها علق نفيث

وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان أنهما رجلان آخران من المسلمين أو رجلان أعدل من القسمين الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود بن أبي هند عن عامر عن شريح في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم قال اذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فشهادتهم جائزة فان جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهم أجيزت شهادة المسلمين وأبطلت شهادة الآخرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان عثر أي اطلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا أجيزت شهادة الآخرين وأبطلت شهادة الاولين حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال كان ابن عباس يقرأ من الذين استحق عليهم الاولين وقال كيف يكون الاولى ان أرأيت لو كان الاوليان صغيرين حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا عبدة عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس قال كان يقرأ من الذين استحق عليهم الاولين قال وقال أرأيت لو كان الاوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما * قال الامام أبو جعفر فذهب ابن عباس فيما أرى الى نحو القول الذي حكيت عن شريح وقتادة من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانيين أو عدلان من المسلمين هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الاولين أو المقسمين وفي اجماع جميع أهل العلم على أن لا حكم لله تعالى يجب فيه على المدعين فيما قام به من الشهادة دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذي قاله الحسن ومن قال قوله في قول الله تعالى فآخران يقومان مقامهما أولى به وأما قوله الاوليان فان معناه عندنا الأولى استحق من المقسمين الاولين فالاولى وقد يحتمل أن يكون معناه الاولى باليمين منهما فالاولى ثم حذف منهما والعرب تفعل ذلك فتقول فلان أفضل وهي تريد أفضل منك وذلك اذا وضع أفعل موضع فعلان ووقع موقع الاسم وأدخلت فيه الالف واللام فعلوا ذلك أيضا اذا كان جوابا لكلام قد مضى كقولهم هذا الافضل وهذا الاشرف يريدون هو الاشرف منك وقال ابن زيد معنى ذلك الاوليان بالميت

حدثني يونس عن ابن وهب عنه ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ﴿ يقول تعالى ذكره فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا اثما بخيانتهما مال الميت الاوليان باليمين والميت من الخائنين شهادتنا أحق من شهادتهما يقول لأيماننا أحق من أيمان المقسمين المستحقين الاثم وأيمانهما

بأنا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر فقد روى أنهم سألوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وأن نزداد يقينا ونعرفانا وطمأنينة فان التي شاهدناها منك معجزات أرضية وهذه سماوية فتكون أعجب وأغرب وأن نعلم صدقك في دعوى النبوة أو فيما وعدتنا وذلك أنه كان قال لهم صوموا ثلاثين يوما واذا تم صومكم فكل ما سألتموه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بني اسرائيل أو نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة أو استئناف وقرئ بالجزم جوابا للأمر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود اليك في وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمقدمين منا والاتباع وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الامة أو الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وأنزل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر

والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس وأخروا الاغراض الدينية وان عيسى بدأ بالاشرف حتى انتهى الى الأخس ثم قال وأنت خير الرازقين وهو عروج مرة أخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من أهل الكمال والاشراق بعميم فضلك وجسيم طولك (منزلها) بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة (عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) قال ابن عباس يدمسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون مؤخرا الى الآخرة وعذابا نصب على المصدر أى تعذيبا والضمير فى لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء فى الموضعين فقيل أعذبه بعذاب لا أعذب به أحدا وأراد بالعالمين عالمى زمانهم واختلف فى ان عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وان كان أضافها الى نفسه فى الظاهر وكلاهما محتمل أما نزولها فقد قال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها وأكدوا هذا القول بأنه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم وآخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيامة وقال جمهور المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد نازلها بقوله انى منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان

الكاذبة فى أنهما قد خانا فى كذا وكذا من مال ميتنا وكذا فى أيمانهما التى حلفا بها وما اعتدينا بقول وما تجاوزنا الحق فى أيماننا وقد بينا أن معنى الاعتداء المجاوزة فى الشئ حده انا اذا لمن الظالمين يقول انا ان كنا اعتدينا فى أيماننا فحلفنا مبطلين فيها كاذبين لمن الظالمين يقول لمن عدا ومن يأخذ ما ليس له أخذه ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى قلت لكم فى أمر الاوصياء اذا ارتبتم فى أمرهم واتهمتموهم بخيانة المال من أوصى اليهم من حبسهم بعد الصلاة واستحلافكم اياهم على ما ادعى قبلهم أولياء الميت أدنى لهم أن يأتوا بالشهادة على وجهها يقول هذا الفعل اذا فعلتم بهم أقرب لهم أن يصدقوا فى أيمانهم ولا يكتموا ويقروا بالحق ولا يخونوا أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم يقول أو يخاف هؤلاء الاوصياء ان عثر عليهم أنهم استحقوا اثما فى أيمانهم بالله أن ترد أيمانهم على أولياء الميت بعد أيمانهم التى عثر عليها أنها كذب فيستحقوا بها ما ادعوا قبلهم من حقوقهم فيصدقوا حينئذ فى أيمانهم وشهادتهم مخافة الفضيحة على أنفسهم وحذرا أن يستحق عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم ونحن ذاكروالرواية فى ذلك عن بعض من بقى منهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان عثر على أنهما استحقا اثما يقول ان اطلع على أن الكافرين كذبا فآخران يقومان مقامهما يقول من الاولياء فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة وانا لم نعتد فترد شهادة الكافرين وتجوز شهادة الاولياء يقول تعالى ذكره ذلك أدنى أن يأتى الكافرون بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم وليس على شهود المسلمين اقسام وانما الاقسام اذا كانوا كافرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة الآية يقول ذلك أحرى أن يصدقوا فى شهادتهم وأن يخافوا العقاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم قال فتبطل أيمانهم وتؤخذ أيمان هؤلاء ۞ وقال آخرون معنى ذلك تحبسونهما من بعد الصلاة ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها وعلى أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ان صاحبكم لهذا أوصى وان هذه لتركته فيقول لهما الامام قبل أن يحلفا انكما ان كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ولم أجز لكما شهادة وعاقبتكما فان قال لهما ذلك فان ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره وخافوا الله أيها الناس وراقبوه فى أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبة وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله وأن تخونوا من ائتمنكم واسمعوا يقول اسمعوا ما يقال لكم وما تؤعظون به فاعملوا به وانتهوا اليه والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق من فسق عن أمر ربه فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه وكان ابن زيد يقول الفاسق فى هذا الموضع هو الكاذب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والله لا يهدى القوم الفاسقين الكاذبين يحلفون على الكذب وليس الذى قال ابن زيد من ذلك عندى بمدفوع الا أن الله تعالى عم الخبر بأنه لا يهدى جميع الفساق ولم يخصص منهم بعضا دون بعض بخبر ولا عقل فذلك

على معانى الفسق كلها حتى يخصص شيأ منها ما يجب التسليم له فيسلم له ثم اختلف أهل العلم
فى حكم هاتين الآيتين هل هو منسوخ أو هو محكم ثابت فقال بعضهم هو منسوخ ذكر من قال
ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن رجل قد سماه عن حماد عن ابراهيم قال هى
منسوخة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن
عباس قال هى منسوخة يعنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية وقال جماعة
هى محكمة وليست بمنسوخة وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى والصواب من القول
فى ذلك أن حكم الآية منسوخ وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره الذى عليه أهل الاسلام من لدن
بين الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا أن من ادعى عليه دعوى مما يملكه
المدعى أو أدم أن المدعى عليه لا يبرئه مما ادعى عليه الا اليمين اذا لم يكن للمدعى بينة تصحح دعواه وانه ان
اعترف وفى يدى المدعى سلعة له فادعى أنها له دون الذى فى يده فقال الذى هى فى يده بل هى لى
اشتريتها من هذا المدعى أن القول قول من زعم الذى هى فى يده أنه اشتراها منه دون من هى فى
يده مع يمينه اذا لم يكن للذى هى فى يده بينة تحقق به دعواه الشراء منه فاذ كان ذلك حكم الله الذى
لا خلاف فيه بين أهل العلم وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصى الى
اثنين من المسلمين أو الى آخرين من غيرهم انما ألزم النبى صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه الوصيين
اليمين حين ادعى عليهما الورثة ما ادعوا ثم لم يلزم المدعى عليهما شيأ اذ حلفا حتى اعترفت الورثة
فى أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الابريق أو غير ذلك من أموالهم فزعما أنهما اشتريا ه من ميتهم
حينئذ ألزم النبى صلى الله عليه وسلم ورثة الميت اليمين لان الوصيين تحولا مدعيين بدعواهما
ما وجد فى أيديهما من مال الميت أنه لهما اشتريا ذلك منه فصارا مقرين بالمال للميت مدعيين
منه الشراء فاحتاجا حينئذ الى بينة تصحح دعواهما وورثة الميت رب السلعة أولى باليمين منهما
بذلك قوله تعالى فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما الآية فاذ كان تأويل ذلك كذلك
فلا وجه لدعوى مدع أن هذه الآية منسوخة لانه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله
تعالى ذكره أنه منسوخ الا بخبر يقطع العذر اما من عند الله أو من عند رسوله صلى الله عليه
وسلم أو بورود النقل المستفيض بذلك فأما ولا خبر بذلك ولا يدفع صحته عقل فغير جائز أن يقضى
عليه بأنه منسوخ * القول فى تأويل قوله ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا
انك أنت علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا الله أيها الناس واسمعوا عظه ايا كم وتذكيره
اياكم واحذروا يوم يجمع الله الرسل ثم حذف واحذروا واكتفى بقوله واتقوا الله واسمعوا عن
اظهاره كما قال الراجز

علفتها تبنا وماء باردا * حتى غدت همالة عيناها

يريد وسقيتها ماء باردا فاستغنى بقوله علفتها تبنا من اظهار سقيتها اذ كان السامع اذا سمعه عرف
معناه فكذلك فى قوله يوم يجمع الله الرسل حذف واحذروا لعلم السامع معناه اكتفاء بقوله واتقوا
الله واسمعوا اذ كان ذلك تحذيرا من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه وأما قوله ماذا أجبتم
فانه يعنى به ما الذى أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم الى توحيدى والاقرار بى والعمل بطاعتى
والانتهاء عن معصيتى قالوا لا علم لنا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قولهم
لا علم لنا لم يكن ذلك من الرسل انكارا أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ولكنهم ذهلوا عن
الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعد أن ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على أممهم ذكر من

عيد الهم ولمن بعدهم ممن كان على
شرعهم روى أن عيسى عليه
السلام لما أراد الدعاء لبس الصوف
ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها
حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى
عليه السلام وقال اللهم اجعلنى
من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة
ثم قال لهم ليقم أحسنكم عملا
يكشف عنها ويذكر اسم الله
عليها ويأكل منها فقال شمعون
رأس الحواريين أنت أولى بذلك
فقام عيسى عليه السلام فتوضأ
وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل
دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من ألوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة
على واحد منها زيتون وعلى الثانى
عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله أمن طعام
الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس
منهما ولكن شيأ اخترعه الله بالقدرة
العالية كلوا ما سألتم واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال
الحواريون يا روح الله لو أريتنا
من هذه الآية آية أخرى فقال
يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت
ثم قال لها عودى كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا
بعدها فمسخوا قردة وخنازير

قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا قال ذلك أنهم لما نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول
فلما سئلوا قالوا لا علم لنا ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام
عن عنبسة قال سمعت الحسن يقول فى قوله يوم يجمع الله الرسل الآية قال من هول ذلك اليوم
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن مجاهد فى
قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيفزعون فيقول ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا
وقال آخرون معنى ذلك لا علم لنا الا ما علمتنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال
ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد فى قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
أجبتم فيقولون لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت علام الغيوب وقال آخرون معنى ذلك قالوا لا علم
لنا الا علم أنت أعلم به منا ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
أجبتم قالوا لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا * وقال آخرون معنى ذلك ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم
وماذا أحدثوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم وماذا أحدثوا بعدكم قالوا لا علم
لنا انك أنت علام الغيوب * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال معناه لا علم لنا الا علم أنت أعلم به
منا لانه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب أى انك لا يخفى عليك
ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفى العلوم وجليها فانما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من
ذلك علم لا بعلمه هو تعالى ذكره لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا كيف يجوز أن يكون ذلك
كذلك وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم
الرسالة شهداء فقال تعالى ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وأما الذى قاله ابن جريج من أن معناه ماذا عملت الامم بعدكم وماذا أحدثوا
فتأويل لا معنى له لان الانبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها الا ما أعلمها الله من ذلك
واذا سئلت عما عملت الامم بعدها والامر كذلك فانما يقال لها ماذا عرفتا لك أنه كائن منهم بعدك
وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسئلته اياهم يدل على غير ذلك ﴿القول فى تأويل قوله﴿ اذ قال الله
يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس ﴾ يقول تعالى ذكره لعباده
احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم ماذا أجابتكم أممكم فى الدنيا اذ قال الله يا عيسى بن مريم
اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس فاذ من صلة أجبتم كأن معناها ماذا أجابت
عيسى الامم التى أرسل اليها عيسى فان قال قائل وكيف سئلت الرسل عن اجابة الامم اياها فى عهد
عيسى ولم يكن فى عهد عيسى من الرسل الا أقل من ذلك قيل جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله
فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا فى عهد عيسى فخرج الخبر مخرج الجميع والمراد منهم
من كان فى عهد عيسى كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والمراد واحد من
الناس وان كان مخرج الكلام على جميع الناس ومعنى الكلام اذ قال الله حين قال يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس يقول يا عيسى اذكر يادى عندك
وعند والدتك اذ قويتك بروح القدس وأعنتك به وقد اختلف أهل العربية فى أيدتك ما هو من
الفعل فقال بعضهم هو فعلتك كما فى قولك قويتك فعلت من القوة وقال آخرون بل هو فاعلتك
من الأيد وروى عن مجاهد أنه قرأ اذ آيدتك بمعنى أفعلتك من القوة والايد وقوله بروح القدس يعنى

بجبريل

وقيل ان عيسى عليه السلام كان
شرط عليهم أن لا يسرفوا فى الاكل
ولا يدخروا فعصوا وادخروا فمسخوا
واذ قال الله معطوف على مثله والصحيح
أن هذا القول أيضا يوم القيامة
لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقيل هذا
عند رفع عيسى عليه السلام نظرا
الى أن اذ للماضى وقد مر توجيه ذلك
أأنت قلت استفهام بطريق الانكار
والغرض منه توبيخ النصارى قال
بعض المشككين ان أحدا من
النصارى لم يذهب الى القول بالهية
عيسى عليه السلام وأمه مع القول
بنفى الهية الله تعالى وأجيب بأن
الاله هو الخالق وأنهم يعتقدون
أن خالق المعجزات والكرامات
التى ظهرت على يد عيسى ومريم
هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله
سبحانه فى ذلك مدخل فبهذا
التأويل صح ما حكى عنهم وأقول
يشبه أن يكون المراد بقوله من دون
الله أى بعد الله فيكون التوبيخ
على التثليث أو المراد أنه لما دل
البرهان على نفى تعدد الاله فمن قال
بالهية عيسى أو أمه لزمه القول بنفى
المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا
قال عيسى سبحانك أى أنزهك
تنزيها من أن يكون لك شريك ثم لم
يجب بأنى قلت أو ما قلت لان ذلك
يجرى مجرى الطهارة والتبرئة بل
أجاب بقوله ما يكون أى ما ينبغى
لى أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله
اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة
ثم فوض الامر الى علمه المحيط

جبريل يقول اذ أعنتك بجبريل وقد بينت معنى ذلك وما معنى القدس فيما مضى بما أغنى عن
اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى
وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لعيسى
اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس فى حال تكليمك الناس فى المهد وكهلا
فى هذا خبر من الله تعالى ذكره أنه أيده بروح القدس صغيرا فى المهد وكهلا كبيرا فرد الكهل
على قوله فى المهد لان معنى ذلك صغيرا كما قال الله تعالى ذكره دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما
وقوله واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل يقول واذكر أيضا نعمتى عليك اذ علمتك
الكتاب وهو الخط والحكمة وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته اليك وهو الانجيل واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير يقول كصورة الطير باذنى يعنى بقوله تخلق تعمل وتصلح من الطين كهيئة الطير
يقول بعونى على ذلك وعلم منى به فتنفخ فيها يقول فتنفخ فى الهيئة فتكون الهيئة والصورة
طيرا باذنى وتبرئ الاكمه يقول وتشفى الاكمه وهو الاعمى الذى لا يبصر شيأ المطموس البصر
والابرص باذنى وقد بينت معانى هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسرا بشواهده بما
أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات يقول
واذكر أيضا نعمتى عليك بكفى عنك بنى اسرائيل اذ كففتهم عنك وقد هموا بقتالك اذ جئتهم
بالبينات يقول اذ جئتهم بالأدلة والاعلام المعجزة على نبوتك وحقية ما أرسلتك به اليهم فقال الذين
كفروا منهم يقول تعالى ذكره فقال الذين جحدوا نبوتك وكذبوك من بنى اسرائيل ان هذا الا سحر
مبين * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة ان هذا
الا ساحر مبين يعنى يبين عما أتى به لمن رآه ونظر اليه أنه سحر لا حقيقة له وقرأ ذلك عامة قراء
الكوفة ان هذا الا ساحر مبين بمعنى ما هذا يعنى به عيسى الا ساحر مبين يقول يبين بأفعاله وما يأتى
من هذه الامور العجيبة عن نفسه أنه ساحر لا نبى صادق والصواب من القول فى ذلك أنهما
قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متفقتان غير مختلفتين وذلك أن كل من كان موصوفا بفعل
السحر فهو موصوف بأنه ساحر ومن كان موصوفا بأنه ساحر فانه موصوف بفعل السحر فالفعل
دال على فاعله والصفة تدل على موصوفها والموصوف يدل على صفته والفاعل يدل على فعله
فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واذ أوحيت الى
الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر أيضا
يا عيسى اذ ألقيت الى الحواريين وهم وزراء عيسى على دينه وقد بينا معنى ذلك ولم قيل لهم الحواريون
فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله واذ أوحيت
اليهم وان كانت متفقة المعانى فقال بعضهم بما حدثنى به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل
قال ثنا أسباط عن السدى واذ أوحيت الى الحواريين يقول قذفت فى قلوبهم * وقال آخرون
فى ذلك ألهمتهم فتأويل الكلام اذ واذ ألقيت الى الحواريين أن صدقوا بى وبرسولى عيسى فقالوا
قد صدقنا بما أمرتنا أن نؤمن بك وبرسولك واشهد علينا بأننا مسلمون يقول واشهد علينا بأننا
نعبدك بالذلة سامعون مطيعون لأمرك * القول فى تأويل قوله ﴿ اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾
يقول تعالى ذكره واذكر يا عيسى أيضا نعمتى عليك اذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى

بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك وذكر النفس ثانيا لاجل المشاكلة وهو من فصيح الكلام أو تعلم ما أخفى ولا أعلم ما تخفى أو تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك أو تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل عبارات للمفسرين ثم أكد ما ذكر بقوله انك أنت علام الغيوب أن فى قوله أن اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول أو فعل الامر ولا وجه لكليهما أما فعل القول فيحكى بعده الكلام بلا أن فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا أن يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما أمرتنى به بقوله فيكون التفسير الصريح القول المقدر وصريح القول المقدر كالفعل المؤول بالقول فى عدم الظهور حتى يجوز توسيط أن وأما فعل الامر فسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما أمرتنى والمبدل فى حكم السقوط كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم لان العبادة لا تقال وان جعلته بدلا من الهاء فى به لم يصح أيضا لانه يؤل المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما أمرتنى بأن اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد فاذن الوجه أن يحمل فعل القول على معناه فيكون أصل

المعنى ما أمرتهم الا بما أمرتنى به
حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله
ربى وربكم الا أنه وضع القول موضع
الامر رعاية للادب كيلا يجعل
نفسه وربه آمرين ودل على الاصل
بذكر أن المفسرة قال فى الكشاف
ويجوز أن تكون أن مصدرية
عطف بيان للهاء لا بدلا وحينئذ
يبقى العائد بحاله وكنت عليهم شهيدا
كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم
من التدين بما يوجب التكفير مادمت
فيهم مدة دوامى فيما بينهم فلما توفيتنى
بالرفع الى السماء كنت أنت الرقيب
الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم
وأنت على كل شئ شهيد من الشهادة
أو من الشهود بمعنى الحضور وان
تغفر لهم فيه سؤال وهو أنه كيف
جاز لعيسى هذا القول والله تعالى
لا يغفر الشرك والجواب أن قوله
لعيسى عليه السلام أأنت
قلت للناس مبنى على أن قوما من
النصارى حكوا عنه هذا الكلام
والحاكى لهذا الكفر عنه لا يكون
كافرا بل يكون مذنبا فقط ولو سلم أنه
شرك فغفران الشرك جائز عندنا
وعند جمهور البصريين من المعتزلة
لان العقاب حق الله على المذنب
وليس فى اسقاطه على الله تعالى
مضرة بل كلما كان الجرم أعظم كان
العفو أحسن الا أن الدليل السمعى
فى شرعنا دل على أنه لا يكون
فلعل هذا الدليل السمعى لم يكن
موجودا فى شرع عيسى عليه السلام
أو لعل عيسى جوز أن يكون بعضهم
قد تاب عنه أما من زعم أن هذه

اذ قالوا لعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فاذ الثانية من صلة
أوحيت واختلفت القراء فى قراءة قوله يستطيع ربك فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين هل
تستطيع بالتاء ربك بالنصب بمعنى هل تستطيع أن تسأل ربك وهل تستطيع أن تدعو ربك
أو هل تستطيع وترى أن تدعوه وقالوا لم يكن الحواريون شاكين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل
عليهم ذلك وانما قالوا لعيسى هل تستطيع أنت ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن
بشر عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال قالت عائشة كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر
أن ينزل عليهم مائدة ولكن قالوا يا عيسى هل تستطيع ربك **حدثنى** أحمد بن يوسف السلمى قال
ثنا القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدى عن جابر بن يزيد بن رفاعة عن حيان بن مخارق عن سعيد
ابن جبير أنه قرأها كذلك هل تستطيع ربك وقال تستطيع أن تسأل ربك وقال ألا ترى أنهم
مؤمنون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق هل يستطيع بالياء ربك بمعنى أن ينزل علينا ربك كما
يقول الرجل لصاحبه أتستطيع أن تنهض معنا فى كذا وهو يعلم أنه يستطيع ولكنه انما يريد
انهض معنا فيه وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزل
علينا * وأولى القراءتين عندى بالصواب قراءة من قرأ ذلك هل يستطيع بالياء ربك برفع الرب بمعنى
هل يستجيب لك ان سألته ذلك ويطيعك فيه وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل
من أن قوله اذ قال الحواريون من صلة اذ أوحيت وان معنى الكلام واذ أوحيت الى الحواريين أن
آمنوا بى وبرسولى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك فبين اذ كان ذلك كذلك
أن الله تعالى ذكره قد ذكر منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه وأمرهم بالتوبة ومراجعة الايمان من
قيلهم ذلك والاقرار لله بالقدرة على كل شئ وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الاخبار وقد
قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ففى استتابة الله
اياهم ودعائه لهم الى الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك واستعظام نبى
الله صلى الله عليه وسلم كلتهم الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة فى ذلك بالياء ورفع الرب
كان لا معنى فى قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من
السماء أن تستكبر هذا الاستكبار فان ظن ظان أن قولهم ذلك له انما هو استعظام منهم لان ذلك منهم
كان مسألة آية فان الآية انما يسألها الانبياء من كان بها مكذبا بالتقرر عنده حقيقة نبوته
وصحة أمرها كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهبا
ويفجر لحاج مكة أنهارا من سأله من مشركى قومه وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذبى قومه
ومسألة شعيب أن يسقط كسفا من السماء من كفار من أرسل اليهم وكان الذين سألوا عيسى
أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء على هذا الوجه كانت مسألتهم فقد أحلهم الذين
قرؤا ذلك بالتاء ونصب الرب محلا أعظم من المحل الذى ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه أو يكونوا سألوا
ذلك عيسى وهو موقنون بأنه لله نبى مبعوث ورسول مرسل وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك
قادر فان كانوا سألوا ذلك وهم كذلك وانما كانت مسألتهم اياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه
اذ كان فقيرا أن يسأل له ربه أن يغنيه وان عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها فأى
ذلك من مسألة الآية فى شئ بل ذلك سؤال ذى حاجة عرضت له الى ربه فسأل نبيه مسألة ربه ان
يقضيها له وخبر الله تعالى عن القوم ينبئ بخلاف ذلك وذلك أنهم قالوا لعيسى اذ قال لهم اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا فقد أنبأ هذا عن قيلهم

أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ولا اطمأنت قلوبهم الى حقيقة نبوته فلا بيان أبين من هذا الكلام فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك فى دينهم وتصديق رسولهم وانهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى صلى الله عليه وسلم أنه قال لبنى اسرائيل هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم فان أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم الخير قلت لنا ان أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لاحد ثلاثين يوما الا أطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين الى قوله لا أعذبه أحدا من العالمين قال فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالوا هل يطيعك ربك ان سألته فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام الا اللحم فأكلوا منها وأما المائدة فانها الفاعلة من مادفلان القوم يميدهم ميدا اذا أطعمهم وبارهم ومنه قول رؤبة

تهدى رؤس المترفين الانداد * الى أمير المؤمنين الممتاد

يعنى بقوله الممتاد المستعطى فالمائدة المطعمة سميت الخوان بذلك لانها تطعم الا كل مما عليها والمائد المدار به فى البحر يقال ماد يميد ميدا وأما قوله قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فانه يعنى قال عيسى للحواريين القائلين له هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء اتقوا الله أيها القوم وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا فان الله لا يعجزه شئ أراده وفى شككم فى قدرة الله على انزال مائدة من السماء كفر به فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى على ما أتوعدكم به من عقوبة الله اياكم على قولكم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك قال الحواريون مجيبى عيسى على قوله لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فى قولكم لى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء انا انما قلنا ذلك وسألنا أن تسأل لنا ربك لنأكل من المائدة فنعلم يقينا قدرته على كل شئ وتطمئن قلوبنا بقول وتسكن قلوبنا وتستقر على وحدانيته وقدرته على كل ما شاء وأراد ونعلم أن قد صدقتنا ونعلم أنك لم تكذبنا فى خبرك أنك لله رسول مرسل ونبى مبعوث ونكون عليها يقول ونكون على المائدة من الشاهدين يقول ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا فى توحيده وقدرته على ما شاء ولك على صدقك فى نبوتك ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه أجاب القوم الى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا فقال بعضهم معناه نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا يقول نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن

المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال أصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان أخرجتهم بتوفيق منك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك أنت العزيز القادر على ما تريد الحكيم فى كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك وفى مصحف عبد الله فانك أنت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام هذا الاذلال وعن بعضهم أن ذكر الغفور والرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة وأما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التعالى عن جميع جهات الاستحقاق فحصول المغفرة بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون أدل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء فى الآية نوع شفاعة من عيسى عليه السلام لفساق أمته فلأن يثبت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لفساق أمته أولى هذا يوم ينفع من قرأ بالرفع فظاهر وأنه فى تقدير الاضافة أى هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ بالنصب فاما على أنه ظرف لقال واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر أى هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع فى هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت وقال الفراء يوم أضيف الى ما ليس باسم فبنى على الفتح كما فى يومئذ وخطأه البصريون وقالوا انما

بعدنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا قال أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا قال الذين هم أحياء منهم يومئذ وآخرنا من بعدهم منهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال قال سفيان تكون لنا عيدا قالوا نصلى فيه قال نزلت مرتين * وقال آخرون معناه نأكل منها جميعا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث عن عقيل عن ابن عباس أنه قال أكل منها يعنى من المائدة حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أولهم * وقال آخرون معنى قوله عيدا عائدة من الله تعالى علينا وحجة وبرهانا * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال معناه تكون لنا عيدا نعبد ربنا فى اليوم الذى تنزل فيه ونصلى له فيه كما يعيد الناس فى أعيادهم لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فى العيد ما ذكرنا دون القول الذى قاله من قال معناه عائدة من الله علينا وتوجيه معانى كلام الله الى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه الى المجهول منه ما وجد اليه السبيل وأما قوله لأولنا وآخرنا فان الاولى من تأويله بالصواب قول من قال تأويله للاحياء منا اليوم ومن يجىء بعدنا منا للعلة التى ذكرناها فى قوله تكون لنا عيدا لان ذلك هو الاغلب من معناه وأما قوله وآية منك فان معناه وعلامة وحجة منك يا رب على عبادك فى وحدانيتك وفى صدق على أنى رسول اليهم بما أرسلتنى به وارزقنا وأنت خير الرازقين وأعطنا من عطائك فانك يا رب خير من يعطى وأجود من تفضل لانه لا يدخل عطاءه منّ ولا تنكد وقد اختلف أهل التأويل فى المائدة هل أنزلت عليهم أم لا وما كانت فقال بعضهم نزلت وكانت حوتا وطعاما فأكل القوم منها ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن السلمى قال نزلت المائدة خبزا وسمكا حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضيل عن عطية قال المائدة سمكة فيها طعم كل طعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن فضيل عن مسروق عن عطية قال المائدة سمك فيه من طعم كل طعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن قال نزلت المائدة خبزا وسمكا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال نزلت على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا اذا شاؤا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب ابن منبه يقول فى قوله أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا قال نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات قال الحسن قال أبو بكر فحدثت به عبد الصمد بن معقل فقال سمعت وهبا وقيل له وما كان ذلك يغنى عنهم فقال لا شئ ولكن الله حث بأن أضعافهن البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجىء آخرون فيأكلون ثم يخرجون حتى أكل جميعهم وأفضلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قال هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى مائدة من السماء قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن اسحق بن عبد الله ان المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات يأكلون منها ما شاؤا

قال

يبنى الظرف اذا أضيف الى المبنى كالماضى فى قول النابغة

* على حين عاتبت المشيب على الصبا *

أو مثل لا فى قوله تعالى يوم لا تملك وأجمعوا على أن هذا اليوم يوم القيامة والمراد أن صدقهم فى الدنيا ينفعهم فى القيامة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه وأما عيسى فكان صادقا فى الدنيا وفى الآخرة فنفعه صدقه وفى هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى فى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به (رضى الله عنهم ورضوا عنه) هما متلازمان لان رضا الله عن العبد فى رعاية وظائف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم أن العبد لا يكون له ارادة واختيار فتكون ارادته مغمورة فى ارادة ربه (ذلك الفوز العظيم) اشارة الى جميع المذكورات أو الى الجزء الاشرف الاقرب وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون أدل على العموم ولينبه على أن عقول ذوى العقول وعلوم أرباب العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وافهامهم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم أنه سبحانه افتتح السورة بقوله أوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة بهذه الآية الدالة على فناء الكل فى جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما أحسن هذا النسق وأيضا فى السورة بيان الشرائع والاحكام

قال فسرق بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سماك بن حرب عن رجل من بني عجل قال صليت الى جنب عمار بن ياسر فلما فرغ قال هل تدري كيف كان شأن مائدة بني اسرائيل قال فقلت لا قال انهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا أو تخونوا أو ترفعوا فان فعلتم فاني أعذبكم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال فما تم يومهم حتى خبؤا ورفعوا وخانوا فعذبوا عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين وانكم معشر العرب كنتم تبعون أذناب الابل والشاء فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة وأيم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم عذابا أليما **حدثنا** الحسن بن قزعة البصري قال ثنا سفيان بن حبيب قال ثنا سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت المائدة خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير **حدثني** محمد بن عبد الله بن يزيع قال ثنا يوسف بن خالد قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس في المائدة قال كانت طعاما ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا * وقال آخرون كانت المائدة تنزل وعليها ثمر من ثمار الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار قال نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمر الجنة فأمروا أن لا يخبؤا ولا يخونوا ولا يدخروا قال فخان القوم وخبؤا وادخروا فحولهم الله قردة وخنازير **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة وأمروا أن لا يخبؤا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد بلاء أبلاهم الله به وكانوا اذا فعلوا شيأ من ذلك أنبأهم به عيسى فخان القوم فيه فخبؤا وادخروا للغد * وقال آخرون كان عليها من كل طعام الا اللحم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال كانت اذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي بكل طعام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سريك عن عطاء عن ميسرة وزاذان قالا كانت الايدي تختلف عليها بكل طعام **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة في هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قالا رأوا الايدي تختلف عليها بكل شئ الا اللحم * وقال آخرون لم ينزل الله على بني اسرائيل مائدة ثم اختلف قائلو هذه المقالة فقال بعضهم انما هذا مثل ضرب به الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد في قوله أنزل علينا مائدة من السماء قال مثل ضرب لم ينزل عليهم شئ * وقال آخرون ان القوم لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين استعفوا منها فلم تنزل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم الى آخر الآية قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال في المائدة لم تنزل **حدثني** الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا فأبوا أن تنزل عليهم * والصواب من القول عندنا في ذلك

الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه أنه سبحانه مالك لجميع الممكنات والكائنات موجد لجميع الارواح والاجساد ليصح التكليف على أي وجه أراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وليكون ردا على النصارى في أن عيسى ومريم عليهما السلام داخلان في المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وأيضا لما أخبر عن فناء وجودهم المجازي لم يبق هناك مجيب فأجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل في هذه الخاتمة من الاسرار أضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ﴿التأويل﴾ أخبر عن كثرة السؤال أنها تورث الملال وذلك أن علوم القال غير علوم الحال والصنف الاول يحمد فيه السؤال والثاني يذم فيه ذلك اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبياء عليهم السلام مع الله وكذلك نرى ابراهيم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال صلى الله عليه وسلم أرنا الاشياء كما هي وقال الخضر لموسى عليه السلام فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني فان تعلم العلم اللدني بالحال في الصحبة والمتابعة والتسليم وفي السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسألوا عنها حين

ينزل القرآن أى ان كان لابد لكم من السؤال عن حقائق فاسألوا عنها بعد نزول القرآن ليخبركم عن حقائقها على قدر عقولكم والله غفور لمن تاب من طلب علوم الحقائق بالقال حليم لمن يطلب بالحال فيصدر عنه فى أثناء الطلب سؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة أعرضوا عن متابعة الانبياء وأقبلوا على مجرد القيل والقال فوقعوا فى أودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يشقون آذانهم وذكورهم ويجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون فى الارض خليعى العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون أنهم أهل الحقيقة ولا وصيلة هم أهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المؤاخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاقارب لاجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن أنه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله من الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أى مشايخنا وأهل صحبتنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم أنفسكم أى اشتغلوا أولا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان

أن يقال ان الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه وانما قلنا ذلك للخبر الذى روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه وبعد فان الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع فى خبره الخلف وقد قال تعالى مخبرا فى كتابه عن اجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك انى منزلها عليكم وغير جائز أن يقول تعالى ذكره انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها الا أن ذلك منه تعالى خبر ولا يكون منه خلاف ما يخبر ولو جاز أن يقول انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول فمن يكفر بعد منكم فانى معذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال كان عليها ما أكل وجائز أن يكون كان سمكا وخبزا وجائز أن يكون كان ثمرا من ثمر الجنة وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به اذا أقر تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من انزاله مائدة عليهم فقال تعالى ذكره انى منزلها عليكم أيها الحواريون فطعمكموها فمن يكفر بعد منكم يقول فمن يجحد بعد انزالها عليكم واطعامكموها منكم رسالتى اليه وينكر نبوة نبيى عيسى صلى الله عليه وسلم ويخالف طاعتى فيما أمرته ونهيته فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمى زمانه ففعل القوم فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا فعذبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انى منزلها عليكم الآية ذكر لنا أنهم حولوا خنازير حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبى عدى ومحمد ابن جعفر عن عوف عن أبى المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال ان أشد الناس عذابا المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا المعتمر ابن سليمن عن عوف قال سمعت أبا المغيرة القواس يقول قال عبد الله بن عمرو ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فمن يكفر بعد منكم بعد ما جاءته المائدة فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين يقول أعذبه بعذاب لا أعذبه أحدا من العالمين غير أهل المائدة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته﴾ يقول تعالى ذكره يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقيل ان الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه اليه فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال لما رفع الله عيسى بن مريم اليه قالت النصارى ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك فسأله عن قوله فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب الى قوله وأنت على كل شئ شهيد * وقال آخرون بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك فى القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال والناس يسمعون فراجعه بما قد رأيت وأقر له بالعبودية على نفسه فعلم

من كان يقول فى عيسى ما يقول أنه انما كان يقول باطلا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال قال الله ياعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فأرعدت مفاصله وخشى أن يكون قد قال فقال سبحانك ان كنت قلته فقد علمته الآية حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله متى يكون ذلك قال يوم القيامة ألا ترى أنه يقول هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن جريج يجب أن يكون واذ بمعنى واذا كما قال فى موضع آخر ولو ترى اذ فزعوا بمعنى يفزعون وكما قال أبو النجم

ثم جزاه الله عنا اذ جزى * جنات عدن فى العلالى العلى

والمعنى اذا جزى وكما قال الأسود

فالآن اذ هازلتهن فانما * يقلن ألا لا لم يذهب الشيخ مذهبا

يعنى اذا هازلتهن وكأن من قال فى ذلك يقول ابن جريج هذا وجه تأويل الآية الى فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فى الدنيا وأعذبه أيضا فى الآخرة اذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله * وأولى القولين عندنا بالصواب فى ذلك قول من قال يقول السدى وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه اليه وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين احداهما أن اذا انما تصاحب فى الاغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضى من الفعل وان كانت قد تدخلها أحيانا فى موضع الخبر عما يحدث اذا عرف السامعون معناها وذلك غير فاش ولا فصيح فى كلامهم فتوجيه معانى كلام الله تعالى الى الأشهر الأعرف ما وجد اليه السبيل أولى من توجيهها الى الأجهل الأنكر والأخرى أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الانبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول فى الآخرة مجيبا لربه تعالى ان تعذب من اتخذنى وأمى الهين من دونك فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فان قال قائل وما كان وجه سؤال الله عيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك قيل يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما تحذير عيسى عن فعل ذلك ونهيه كما يقول القائل لآخر أفعلت كذا وكذا مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له أفعلته على وجه النهى عن فعله والتهديد له فيه والآخر اعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدلوا دينهم بعده فيكون بذلك جامعا اعلامه حالهم بعده وتحذيره قبله وأما تأويل الكلام فانه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين أى معبودين تعبدونهما من دون الله قال عيسى تنزيها لك يارب وتعظيما أن أفعل ذلك أو أتكلم به ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق بقول ليس لى أن أقول ذلك لأنى عبد مخلوق وأمى أمة لك فهل يكون للعبد والأمة ادعاء ربوبية ان كنت قلته فقد علمته يقول انك لا يخفى عليك شئ وأنت عالم أنى لم أقل ذلك ولم آمرهم به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه يبرأ اليه مما قالت فيه وفى أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم اليه أو أمرهم به فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ثم قال تعلم ما فى نفسى يقول انك يارب لا يخفى عليك ما أضمرته نفسى مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحى فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحى يقول لو كنت قد قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله كنت قد علمته لانك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به

الفريق الذى لم يتعلم السباحة اذا تشبث به مثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فالطالبين بجذبات العناية والمضلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر أحدكم الموت أى النفس تموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فتوصى بصفاتها لورثتها وهم القلب وأوصافه والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات أو آخران من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق وان كان على ذى قرابة من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان أنتم ضربتم فى الارض أى سافرتم فى السفليات فأصابتكم مصيبة الموت أى فتصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم فى بعد من الروحانيات من بعد الصلاة من بعد حضورهما مع الله وتوجيههما الى الحق ومراقبة تامة فيشدد على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله أن يؤديا شهادة الحق ويدفعا تركة النفس وهى صفاتها الى ورثتها وهم القلب وصفاته ولا يصرفانها فى شئ من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس كان صفة ذميمة فاذا استعمله القلب صار وصفا محمودا كالحرص اذا استعملته النفس فى طلب الدنيا ولذتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب فى طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر

على أنهما استحقا اثما بأن مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والفكر الصائب ينظران فى عواقب الامور ويشهدان على أن الآخرة خير من الدنيا والباقى خير من الفانى لشهادتنا أحق من شهادتهما لأن الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بكتمان الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ أن يأتوا بالشهادة على وجهها أى العقل والسر يأتيان فى بدو الأمر باستعمال صفات النفس فى السعادات الاخروية أو يخافان عواقب الامور بأن يشددوا على أنفسهم بالاستهال وتضييع الأعمال وافساد الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر يردّ الأمر الى وجوب رعاية الحقوق فيحتاجان الى كثرة الرياضة ماذا أجبتم قالوا وهم مستغرقون فى بحر الشهود لا علم لنا أى ببواطن الأمور وحقائقها واذ أوحيت الى الحواريين أى فى عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التعارف فى عالم الاشباح آمنا ان بعض الحواريين المقلدين فى الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك فما راعوا الادب مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله أو يا روح الله ولا مع ربهم حيث تشككوا فى كمال قدرته ثم أظهر وادناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى من

فكيف بما قد نطقت به ولا أعلم ما فى نفسك يقول ولا أعلم أنا ما أخفيته عنى فلم تطلعنى عليه لأنى انما أعلم من الاشياء ما أعلمتنيه انك أنت علام الغيوب يقول انك أنت العالم بخفيات الامور التى لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى يقول ما قلت لهم الا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم وهو أن قلت لهم اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا يقول وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم فلما توفيتنى يقول فلما قبضتنى اليك كنت أنت الرقيب عليهم يقول كنت أنت الحفيظ عليهم دونى لأنى انما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم وفى هذا تبيان أن الله تعالى انما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه اليه وتوفاه بقوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وأنت على كل شئ شهيد يقول وأنت تشهد على كل شئ لأنه لا يخفى عليك شئ وأما أنا فانما شهدت بعض الأشياء وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم فانما أنا أشهد على ذلك الذى عاينت ورأيت وشهدت وبنحو الذى قلنا فى قوله كنت أنت الرقيب عليهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كنت أنت الرقيب عليهم أما الرقيب فهو الحفيظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج كنت أنت الرقيب عليهم قال الحفيظ وكانت جماعة من أهل العلم تقول كان جواب عيسى الذى أجاب به ربه من الله تعالى توفيقا منه له فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق قال الله وفقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى قال قرئ على سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه طاوس قال احتج عيسى والله وفقه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال قال الله تعالى يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال فأرعدت مفاصله وخشى أن يكون قد قالها فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة باماتتك اياهم عليها فانهم عبادك مستسلمون لك لا يمتنعون مما أردت بهم ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا أمرا تنالهم به وان تغفر لهم بهدايتك اياهم الى التوبة منها فتستر عليهم فانك أنت العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه الحكيم فى هدايته من هدى من خلقه الى التوبة وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب كالذى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فتخرجهم من النصرانية وتهديهم الى الاسلام فانك أنت العزيز الحكيم وهذا قول عيسى فى الدنيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال والله ما كانوا طعانين ولا لعانين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله هذا يوم ينفع الصادقين فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة هذا يوم ينفع الصادقين بنصب

يوم وقرأ بعض أهل الحجاز و بعض أهل المدينة وعامة قراء أهل العراق هذا يوم ينفع الصادقين برفع يوم فمن رفعه رفعه بهذا وجعل يوم اسما وان كانت اضافته غير محضة لانه صار كالمنعوت وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون فى اعراب الاوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها ان كان ما بعدها رفعا رفعوها كقولهم هذا يوم يركب الامير وليلة يصدر الحاج و يوم أخوك منطلق وان كان ما بعدها نصبا نصبوها وذلك كقولهم هذا يوم خرج الجيش وسار الناس وليلة قتل زيد ونحو ذلك وان كان معناها فى الحالين اذ واذا وكأن من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام الى أنه من قبل الله يوم القيامة وكذلك كان السدى يقول فى ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم هذا فصل من كلام عيسى وهذا يوم القيامة يعنى السدى بقوله هذا فصل من كلام عيسى أن قوله سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الى قوله فانك أنت العزيز الحكيم من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله فى الدنيا بعد أن رفعه اليه وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة وأما النصب فى ذلك فانه يتوجه من وجهين أحدهما أن اضافة يوم مالم تكن الى اسم تجعله نصبا لان الاضافة غير محضة وانما تكون الاضافة محضة اذا أضيف الى اسم صحيح ونظير اليوم فى ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الازمنة كما قال النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

والوجه الآخر أن يكون مرادا بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن يوم ينفع الصادقين فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة بمعنى هذا الأمر فى يوم ينفع الصادقين صدقهم * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب هذا يوم ينفع الصادقين بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة لان معنى الكلام أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته الى قوله فانك أنت العزيز الحكيم فقال له عز وجل هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يوم ينفع الصادقين صدقهم فاليوم وقت القول والصدق النافع فان قال قائل فما موضع هذا قيل رفع فان قال فأين رافعه قيل مضمر وكأنه قال قال الله عز وجل هذا هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم كما قال الشاعر

أما ترى السحاب كيف يجرى * هذا ولا خيلك يا ابن بشر

يريد هذا هذا ولا خيلك فتأويل الكلام اذ كان الأمر على ما وصفنا لما بينا قال الله لعيسى هذا القول النافع فى يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم ذلك فى الآخرة عند الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار يقول للصادقين فى الدنيا جنات تجرى من تحتها الانهار فى الآخرة ثوابا لهم من الله عز وجل على ما كان من صدقهم الذى صدقوا الله فيما وعدوه فوفوا به لله فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه خالدين فيها أبدا يقول باقين فى الجنات التى أعطاهموها أبدا دائما لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود الدوام والبقاء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره رضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا فى الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه و رضوا عنه يقول ورضوا هم عن الله تعالى فى وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم اياه فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ذلك الفوز العظيم يقول هذا الذى أعطاهم الله من الجنات التى تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها مرضيا عنهم و راضين عن ربهم هو الظفر العظيم بالطلبة وادراك الحاجة التى كانوا

واهب المواهب مائدة جسمانيه لا فائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الاسرار والحقائق من سماء العناية عليها أطعمة الهداية تكون لنا أى لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لأولنا وآخرنا أى لأول أنفاسنا وآخرها فان أهل الحق يراقبون الانفاس لتصعد مع الله وتهوى مع الله وأنت خير الرازقين لان الذى ترزق رزق منك والذى يرزق ظاهرا من غيرك فهو أيضا منك بالواسطة وما بالذات خير مما بالواسطة فمن يكفر بعد منكم بأن لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فانى أرده من المراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقى ويوم القيامة أيضا بحيث يحشرون على صفاتهم التى ماتوا عليها كما قال صلى الله عليه وسلم يموت المرء على ما عاش فيه و يحشر على ما مات عليه أأنت قلت للناس الخطاب مع الامة الا أن من سنته سبحانه أن لا يكلم الكفار فكلم عيسى بدلا منهم أو المراد بالقول أمر التكوين فالمعنى أأنت خلقت فيهم اتخاذك وأمك الهين أم أنا خلقت ذلك فيهم خذلانا لهم انك أنت علام الغيوب الغيب ما غاب عن الخلق و يحتمل أن سيعلمه الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم أن يعلموه والله حسبى ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

(تفسير سورة الانعام وهى مائة ونحس وستون آية وهى مكية الا ثلاث آيات قل تعالوا الى قوله ثم آتينا موسى الكتاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ۞ القراآت

يطلبونها فى الدنيا ولها كانوا يعملون فيها فنالوا ما طلبوا وأدركوا ما أملوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أيها النصارى لله ملك السموات والارض يقول له سلطان السموات والارض وما فيهن دون عيسى الذى تزعمون أنه الهكم ودون أمه ودون جميع من فى السموات ومن فى الارض فان السموات والارض خلق من خلقه وما فيهن وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والانتقال بدلان بكونهما فى المكان الذى هما فيه بالحلول فيه والانتقال أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والارض وما فيهن ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه ويعتبروه فيعقلوا عنه وهو على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره والله الذى له ملك السموات والارض وما فيهن قادر على إفنائهن وعلى إهلاكهن واهلاك عيسى وأمه ومن فى الارض جميعا كما ابتدأ خلقهم لا يعجزه ذلك ولا شئ أراده لأن قدرته القدرة التى لا يشبهها قدرة وسلطانه السلطان الذى لا يشبهه سلطان ولا مملكة

﴿تفسير سورة الأنعام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والارض﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله الحمد لله الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة ودون ماسواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الامر يقول أخلصوا الحمد والشكر للذى خلقكم أيها الناس وخلق السموات والارض ولا تشركوا معه فى ذلك أحدا شيأ فانه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكا من خلقه وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ يقول تعالى ذكره الحمد لله الذى خلق السموات والارض وأظلم الليل وأنار النهار كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعل الظلمات والنور قال الظلمات ظلمة الليل والنور نور النهار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فانه خلق السموات قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فان قال قائل فما معنى قوله اذا جعل قيل ان العرب تجعلها طرفا للخبر والفعل فتقول جعلت أفعل كذا وجعلت أقوم وأقعد تدل بقولها جعلت على اتصال الفعل كما تقول علقت أفعل كذا لأنها فى نفسها فعل يدل على ذلك قول القائل جعلت أقوم وانه لا جعل هنالك سوى القيام وانما دل بقوله جعلت على اتصال الفعل ودوامه ومن ذلك قول الشاعر

وزعمت أنك سوف تسلك قادرا * والموت متسع طريق قادر

فاجعل تحلل من يمينك انما * حنث اليمين على الاثيم الفاجر

يقول فاجعل تحلل بمعنى تحلل شيأ بعد شئ لا أن هنالك جعلا من غير التحليل فكذلك كل جعل فى الكلام انما هو دليل على فعل له اتصال لا أن له حظا فى معنى الفعل فقوله وجعل الظلمات والنور انما هو أظلم ليلها وأنار نهارها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره معجبا خلقه المؤمنين من كفرة عباده ومحتجا على الكافرين ان الاله الذى يجب عليكم

أيها الناس جده هو الذى خلق السموات والارض الذى جعل منهما معايشكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التى بها حياتكم فمن السموات ينزل عليكم الغيث وفيها تجرى الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ومن الارض ينبت الحب الذى به غذاؤكم والثمار التى فيها ملاذكم مع غير ذلك من الامور التى فيها مصالحكم ومنافعكم بها والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذى فعل ذلك وأحدثه يعدلون يجعلون له شريكا فى عبادتهم اياه فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان وليس منها شئ شركه فى خلق شئ من ذلك ولا فى إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم بل هو المنفرد بذلك كله وهم يشركون فى عبادتهم اياه غيره فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها من عظة لمن فكر فيها بعقل وتدبرها بفهم ولقد قيل انها فاتحة التوراة حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب قال فاتحة التوراة فاتحة الانعام الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب مثله وزاد فيه وخاتمة التوراة خاتمة هود يقال من مساواة الشئ بالشئ عدلت هذا بهذا اذا ساويته به عدلا وأما فى الحكم اذا أنصفت فيه فانك تقول عدلت فيه أعدل عدلا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله يعدلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعدلون قال يشركون * ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال جاء رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال له أليس الذين كفروا بربهم يعدلون قال بلى قال وانصرف عنه الرجل فقال له رجل من القوم يا ابن أبزى ان هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا انه رجل من الخوارج فقال ردوه على فلما جاءه قال هل تدرى فيمن نزلت هذه الآية قال لا قال انها نزلت فى أهل الكتاب اذهب لا تضعها على غير هذا * وقال آخرون بل عنى بها المشركون من عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال هؤلاء أهل صراحة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال هم المشركون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال الآلهة التى عبدوها عدلوها بالله قال وليس لله عدل ولا ند وليس معه آلهة ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون فعم بذلك جميع الكفار ولم يخصص منهم بعضا دون بعض فجميعهم داخلون فى ذلك يهودهم ونصاراهم ومجوسهم وعبدة الاوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله هو الذى خلقكم من طين ان الله الذى خلق السموات والارض وأظلم ليلها وأنار نهارها فكفر به مع انعامه عليهم الكافرون وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرهم هو الذى خلقكم أيها الناس من طين وانما يعنى بذلك تعالى ذكره أن الناس ولد من خلقه من طين فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم اذ كانوا ولده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

وأنشانا بغير هم زحيث كان أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرأ يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف بغير همز الباقون بغير همز مطلقا فحاق بالامالة حيث كان حمزة ۞ الوقوف والنور ط لأن ثم للترتيب الاخبار يعدلون ٥ أجلا ط تمترون ٥ وفى الأرض ج وقيل لا وقف ليصير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض وفيه بعد بل المعنى وهو المستحق للعبودية فى أهل السموات وأهل الأرض تكسبون ٥ معرضين ٥ لما جاءهم ط للابتداء بالتهديد يستهزؤن ٥ مدرارا ص لعطف المتفقين آخرين ٥ سحر مبين ٥ عليه ملك ط لا ينظرون ٥ يلبسون ٥ يستهزؤن ٥ المكذبين ٥ ۞ التفسير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الأنعام جملة واحدة وتنزلت معها من الملائكة سبعون ألف ملك فملؤا ما بين الأخشبين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودات وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث الى بها جبريل مع خمسين ملكا أو خمسين

ألف ملك تحفها حتى أفرغوها فى صدرى كما يقر الماء فى الحوض ولقد أعزنى الله تعالى وإياكم بها عز الابد لنا بعدها أبدا فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولنزولها جملة ذهب علماء الكلام الى أن علم الاصول مع جلالة قدره يجب تعلمه على الفور لا على التراخى بخلاف الاحكام فانها نزلت كفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل * واعلم أن قوله الحمد لله مذكور فى أوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن أعمها صدرا فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة أثنى الله سبحانه على نفسه بقوله (الحمد لله الذى خلق السموات والارض) والثناء على النفس قبيح فى الشاهد ففيه دليل على أنه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما أنه واحد فى ذاته فهو واحد فى صفاته وأفعاله لا اعتراض لأحد عليه والتحقيق فيه أن استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد فى الممكن صفة كمال الا وهى مشوبة بالنقص والاختلال أدناه الافول فى أفق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا ينبغى أن يمدح الا هو ولا أن يثنى الا عليه ولا أن يشكر ويحمد الا له ثم الاوصاف الجارية

هو الذى خلقكم من طين بدء الخلق خلق الله آدم من طين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هو الذى خلقكم من طين قال هو آدم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما خلقكم من طين فآدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمن عن الضحاك ابن مزاحم قال خلق آدم من طين وخلق الناس من سلالة من ماء مهين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خلقكم من طين قال خلق آدم من طين ثم خلقنا من آدم حين أخذنا من ظهره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله ثم قضى أجلا ثم قضى لكم أيها الناس أجلا وذلك ما بين أن يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده وذلك ما بين أن يموت الى أن يبعث ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وهناد بن السرى قالا ثنا وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن فى قوله قضى أجلا قال ما بين أن يخلق الى أن يموت وأجل مسمى عنده قال ما بين أن يموت الى أن يبعث حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده كان يقول أجل حياتك الى أن تموت وأجل موتك الى أن تبعث فأنت بين أجلين من الله تعالى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد ابن سليمن عن الضحاك بن مزاحم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال قضى أجل الموت وكل نفس أجلها الموت قال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأجل مسمى عنده يعنى أجل الساعة ذهاب الدنيا والافضاء الى الله * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله أجلا قال الدنيا وأجل مسمى عنده الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو عاصم عن زكريا بن اسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قضى أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى الدنيا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى قال الدنيا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أجلا قال الآخرة عنده وأجل مسمى قال الدنيا حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قالا قضى أجل الدنيا من حين خلقك الى أن تموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال قضى أجل الدنيا وأجل مسمى عنده قال هو أجل البعث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة ثم قضى أجلا قال الموت وأجل مسمى عنده الآخرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله قضى أجلا وأجل مسمى عنده قالا قضى أجل الدنيا منذ يوم خلقت الى أن تموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قضى أجلا قال أجل الدنيا وأجل مسمى عنده قال البعث حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده يعنى أجل الموت والاجل المسمى أجل الساعة والوقوف عند الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قضى أجلا قال أما قضى أجلا فأجل الموت وأجل مسمى عنده يوم القيامة * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى

عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال أما قوله قضى أجلا فهو النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع الى صاحبها حين اليقظة وأجل مسمى عنده فأجل موت الانسان * وقال آخرون بما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب في قوله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون قال خلق آدم من طين ثم خلقنا من آدم أخذ نا من ظهره ثم أخذ الأجل والميثاق في أجل واحد مسمى في هذه الحياة الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال معناه ثم قضى أجل الحياة الدنيا وأجل مسمى عنده وهو أجل البعث عنده وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لانه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم فقال لهم أيها الناس ان الذي يعدل به كفاركم الآلهة والانداد هو الذي خلقكم فابتدأ كم وأنشأ كم من طين فجعلكم صورا أجساما أحياء بعد اذ كنتم طينا جمادا ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم وممانكم ليعيدكم ترابا وطينا كالذي كنتم قبل أن ينشأ كم ويخلقكم وأجل مسمى عنده لاعادتكم أحياء وأجساما كالذي كنتم قبل مماتكم وذلك نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم أنتم تمترون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أنتم تشكون في قدرة من قدر على خلق السموات والارض واظلام الليل وانارة النهار وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها وعلى انشائه اياكم من بعد مماتكم وفنائكم وايجاده اياكم بعد عدمكم والمرية في كلام العرب هي الشك وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم أنتم تمترون قال الشك قال وقرأ قول الله في مرية منه قال في شك منه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم أنتم تمترون بمثله ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذي له الالوهة التي لا تنبغي لغيره المستحق عليكم اخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس الذي يعدل به كفاركم من سواه هو الله الذي هو في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى عليه شئ يقول فربكم الذي يستحق عليكم الحمد ويجب عليكم اخلاص العبادة له هو هذا الذي صفته لامن لا يقدر لكم على ضر ولا نفع ولا يعلم شيأ ولا يدفع عن نفسه سوأ أريد بها وأما قوله ويعلم ما تكسبون يقول ويعلم ما تعملون وتجرحون فيحصي ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم اليه ۞ القول في تأويل قوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره وما تأتي هؤلاء الكفار الذين ربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم آية من آيات ربهم يقول حجة وعلامة ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته وحقيقة نبوتك يا محمد وصدق ما أتيتهم به من عندي إلا كانوا عنها معرضين يقول الا أعرضوا عنها يعني عن الآية فصدوا عن قبولها والاقرار بما شهدت على حقيقته ودلت على صحته جهلا منهم بالله واغترارا بحلمه عنهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحق لما جاءهم وذلك الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم كذبوا به وجحدوا نبوته لما جاءهم قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم اياه وجحودهم نبوته سوف يأتي المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزؤن من آياتي وأدلتي التي أتيتهم ثم وفي لهم بوعيده لما تمادوا في غيهم وعتوا على ربهم فقتلهم

عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف أسامي لم تزده معرفة *

وانما لذة ذكرناها

وقد تقدم في الاسماء أن معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد أنه أوجد السموات والارض على حسب علمه الأزلي قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان أن يحيط بالمركز الواحد دوائر لانهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع أن ظاهر التنزيل يدل على أن خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض وقد تجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وأن تخصيص جسم الفلك بمقدار معين وتخصيص كل من أجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وأيضا ان لحركة كل فلك أولا لأن حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة فتقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت أن لكل حركة أولا فاختصاص

ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوى الكل فى تمام الماهية وأيضا ان خارج العالم الجسمانى خلاء لانهاية له كما ثبت فى الكلام فحصول هذا العالم فى حيزه الذى حصل فيه دون سائر الاحياز أمر ممكن يحتاج الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا فى ذوات هذه الاجرام أما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تأثيرها الاثيريات وهى الآباء فى العنصريات وهى الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك أيضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته أعلى وأجل من رتب الممكنات أما قوله (وجعل الظلمات والنور) فمعناه أحدث وأنشأ ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه أراد التضمين أعنى انشاء شئ من شئ كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كأن كل واحد منهما تولد من الآخر وقيل لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منها والظلمة والنور ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل فى الاطلاق الحقيقة والقرينة تذكر السموات والارض وعن ابن عباس

يوم بدر بالسيف ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتى الجاحدون نبوتك كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون وهم الامم الذين وطأت لهم البلاد والارض وطأتم أوطئتها لهم وأعطيتهم فيها مالم أعطهم كما حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم يقول أعطيناهم مالم نعطكم «قال أبو جعفر» أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها وأعطتهم الارض ريع نباتها وجابوا صخور جبالها ودرت عليهم السماء بامطارها وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها باذنى فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم وبغوا حتى حق عليهم قولى فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما كتسبت أيديهم وأهلكت بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصيحة وغير ذلك من أنواع العذاب ومعنى قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا المطر ويعنى بقوله مدرارا غزيرة دائمة وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين يقول وأحدثنا من بعد الذين أهلكناهم قرنا آخرين فابتدأنا سواهم فان قال قائل فما وجه قوله مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم ومن المخاطب بذلك فقد ابتدأ الخبر فى أول الآية عن قوم غيب بقوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن قيل ان المخاطب بقوله مالم نمكن لكم هو المخبر عنهم بقوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ولكن فى الخبر معنى القول ومعناه قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحق لما جاءهم ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم والعرب اذا أخبرت خبرا عن غائب وأدخلت فيه قولا فعلت ذلك فوجهت الخبر أحيانا الى الخبر عن الغائب وأحيانا الى الخطاب فتقول قلت لعبد الله ما أكرمه وقلت لعبد الله ما أكرمك وتخبر عنه أحيانا على وجه الخبر عن الغائب ثم تعود الى الخطاب وتخبر على وجه الخطاب له ثم تعود الى الخبر عن الغائب وذلك فى كلامها وأشعارها كثير فاش وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد كان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك كأنه أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطبه معهم وقال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب لانه المخاطب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾ وهذا اخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام يقول تعالى ذكره وكيف يتفقهون الآيات أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوتك بحجج الله وآياته وأدلته وهم لعناد هم الحق وبعدهم من الرشد لو أنزلت عليك يا محمد الوحى الذى أنزلته عليك مع رسولى فى قرطاس يعاينونه ويمسونه بأيديهم ويتطرون اليه ويقرؤنه منه معلقا بين السماء والارض بحقيقة ما تدعوهم اليه وصحة ما تأتيهم به من توحيدى وتنزيلى لقال الذين يعدلون بى غيرى فيشركون فى توحيدى سواى ان هذا الا سحر مبين أى ما هذا الذى جئتنا به الا سحر سحرت به أعيننا ليست له حقيقة ولا صحة مبين يقول مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم قال فمسوه ونظروا اليه لم يصدقوا به حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم يقول فعاينوه

معاينة لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم يقول لو نزلنا من السماء صحفا فيها كتاب فلمسوه بأيديهم لزادهم ذلك تكذيبا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الصحف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله في قرطاس يقول في صحيفة فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المكذبون بآياتي العادلون بي الانداد والآلهة يا محمد لك لو دعوتهم الى توحيدي والاقرار بربوبيتي واذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته يصدقك على ما جئتنا به ويشهد لك بحقيقة ما تدعي من أن الله أرسلك الينا كما قال تعالى مخبرا عن المشركين في قيلهم لنبي الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون يقول ولو أنزلنا ملكا على ما سألوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي لجاءهم العذاب عاجلا غير آجل ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة كما فعلت بمن قبلهم من الامم التي سألت الآيات ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النقمة وترك الانظار كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون يقول لجاءهم العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون يقول ولو أنهم أنزلنا اليهم ملكا ثم لم يؤمنوا لم ينظروا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولو أنزل عليه ملك في صورته ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر لقامت الساعة حدثنا ابن وكيع عن أبيه قال ثنا أبو أسامة عن سفيان الثوري عن عكرمة لقضي الامر قال لقامت الساعة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر قال يقول لو أنزل الله ملكا ثم لم يؤمنوا عجل لهم العذاب ۞ وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال أخبرنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون قال لو أتاهم ملك في صورته لما آمنوا ثم لم يؤخروا طرفة عين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ يقول تعالى ذكره ولو جعلنا رسولنا الى هؤلاء العادلين بي القائلين لولا أنزل على محمد ملك يتصدقه ملكا ينزل عليهم من السماء يشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرهم باتباعه لجعلناه رجلا يقول لجعلناه في صورة رجل من البشر لانهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته يقول واذ كان ذلك كذلك فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا اذ كنت اذا أنزلت عليهم ملكا انما أنزله بصورة انسي وحجتي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة بأنك صادق وأن ما جئتهم به حق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول ما أتاهم الا في صورة رجل لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولو جعلناه

أن الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول فانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة أولا أنه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل أكثر من أن يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور أو شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره (قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم أو على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون أي يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم أنتم تمترون تراخي الرتبة واستبعاد مضموني الجملتين أحدهما عن الآخر ثم ذكر دليلا آخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال (هو الذي خلقكم من طين) أي من آدم لانه مخلوق من الطين أو خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا

ملكا لجعلناه رجلا فى صورة رجل فى خلق رجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول لو بعثنا اليهم ملكا لجعلناه فى صورة آدمى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول فى صورة آدمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال لجعلنا ذلك الملك فى صورة رجل لم نرسله فى صورة الملائكة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وللبسنا عليهم ولو أنزلنا ملكا من السماء مصدقا لك يا محمد شاهدا لك عند هؤلاء العادلين بى الجاحدين آياتك على حقيقة نبوتك لجعلناه فى صورة رجل من بنى آدم اذ كانوا لا يطيقون رؤية الملك بصورته التى خلقته بها التبس عليهم أمره فلم يدروا أملك هو أم إنسى فلم يوقنوا به أنه ملك ولم يصدقوا به وقالوا ليس هذا ملكا وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك وصحة برهانك وشاهدك على نبوتك يقال منه لبست عليهم الامر ألبسه لبسا اذا خلطته عليهم ولبست الثوب ألبسه لبسا واللبوس اسم الثياب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول لشبهنا عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول مالبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم واللبس انما هو من الناس حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول شبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم * وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول آخر وهو ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذبوا رسلهم وهو تحريف الكلام عن مواضعه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يعنى التحريف هم أهل الكتاب فرقوا كتبهم ودينهم وكذبوا رسلهم فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أول السورة بأن تكون فى أمر المشركين من عبدة الأوثان أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف فى ذات الله هون عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك فى وفى طاعتى وامض لما أمرتك به من الدعاء الى توحيدى والاقرار بى والاذعان لطاعتى فانهم ان تمادوا فى غيهم وأصروا على المقام على كفرهم نالك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم من تعجيل النقمة لهم وحلول المثلات بهم فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم اليهم بمثل الذى أرسلتك به الى قومك وفعلوا مثل فعل قومك بك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن يعنى بقوله فحاق فنزل وأحاط بالذين هزؤا من رسلهم ما كانوا به يستهزؤن يقول العذاب الذى كانوا يهزؤن به وينكرون أن يكون واقعا بهم على ما أنذرتهم رسلهم يقال منه حاق بهم هذا الأمر يحيق بهم حيقا وحيوقا وحيقانا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فحاق بالذين سخروا

منهم

ريب أن خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم توليد النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة فى الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحياة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد أما قوله (ثم قضى أجلا) فاعلم أن لفظ القضاء قد يرد بمعنى الحكم والامر وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بنى اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والأنسب ههنا هو الاول والأجل فى اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الأمد وأصله من التأخير ومنه الآجل نقيض العاجل ثم ان صريح الآية يدل على حصول أجلين لكل انسان فقال أبو مسلم الاول آجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت آجالهم معلومة والثانى آجال الباقين لانها غير معلومة بعد وانما هى مسماة عند الله تعالى وقيل الاول أجل الموت والثانى أجل القيامة لانه لا آخر له ولا يعلم أحد كيفية الحال فى هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين أن يخلق

منهم من الرسل ما كانوا به يستهزؤن يقول وقع بهم العذاب الذى استهزؤا به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأنداد المكذبين بك الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندى سيروا فى الارض يقول جولوا فى بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتى من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزى الدنيا وعارها وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار فاعتبروا به ان لم تنهكم حلومكم ولم تزجركم حجج الله عليكم عما أنتم مقيمون من التكذيب فاحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحل بكم مثل الذى حل بهم وكان قتادة يقول فى ذلك بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم الى النار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل لمن ما فى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم لمن ما فى السموات والارض يقول لمن ملك ما فى السموات والارض ثم أخبرهم أن ذلك لله الذى استعبد كل شئ وقهر كل شئ بملكه وسلطانه لا للأوثان والأنداد ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلها من الاصنام التى لا تملك لأنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا وقوله كتب على نفسه الرحمة يقول قضى أنه بعباده رحيم لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الانابة والتوبة وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه الى الاقبال اليه بالتوبة يقول تعالى ذكره ان هؤلاء العادلين بى الجاحدين نبوتك يا محمد إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم وانى قد قضيت فى خلقى أن رحمتى وسعت كل شئ كالذى حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ذكوان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله من الخلق كتب كتابا ان رحمتى سبقت غضبى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبى عثمان عن سلمان قال ان الله تعالى لما خلق السماء والارض خلق مائة رحمة كل رحمة ملء ما بين السماء الى الأرض فعنده تسع وتسعون رحمة وقسم رحمة بين الخلائق فبها يتعاطفون وبها تشرب الوحش والطير الماء فاذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين وزادهم تسعا وتسعين حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن أبى عثمان عن سلمان نحوه الا أن ابن أبى عدى لم يذكر فى حديثه وبها تشرب الوحش والطير الماء حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عاصم بن سليمن عن أبى عثمان عن سلمان قال نجد فى التوراة عطفتين ان الله خلق السموات والارض ثم خلق مائة رحمة أو جعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فبها يتراحمون وبها يتباذلون وبها يتعاطفون وبها يتزاورون وبها تحن الناقة وبها تنتج البقرة وبها تعيش الشاة وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان فى البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة الى ما عنده ورحمته أفضل وأوسع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمن عن أبى عثمان النهدى عن سلمان فى قوله كتب على نفسه الرحمة الآية قال انا نجد فى التوراة عطفتين ثم ذكر نحوه الا أنه ما قال وبها تتابع الطير وبها تتابع الحيتان فى البحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه ان الله تعالى لما خلق الخلق لم يعطف شيئا على شئ حتى خلق مائة رحمة فوضع بينهم رحمة واحدة فعطف بعض الخلق على بعض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر

الى أن يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل أحد والثانى ما بقى من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعى الذى يمكن بالنسبة الى المزاج الأول لكل شخص لو بقى مصونا عن الآفات الخارجية والثانى الاجل الاختيارى الذى يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى (مسمى) أى مذكور اسمه فى اللوح المحفوظ ومعنى (عنده) أى فى حكمه وعلمه كما تقول هذه المسئلة عند الشافعى كذا وعند أبى حنيفة كذا وارتفع أجل بالابتداء وجاز ذلك مع تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة وانما لم يقل وعنده أجل مسمى تعظيما لشأن هذا الأجل فكأنه قيل وأى أجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم تبعيد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن فى أمر المبدا والمعاد ثم قرر أنه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم أنه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصى ولا تمييز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو فقال (وهو الله فى السموات وفى الارض) وزعمت المجسمة بهذا ونحوه قوله أم أمنتم من فى السماء أنه سبحانه مستقر فى السماء قالوا ويؤكده وقف بعض القراء على السموات والابتداء بقوله وفى

الارض يعلم سركم أى يعلم سرائركم الموجودة فى الارض ولو سلم أن لا وقف فالاجماع حاصل على أنه ليس موجودا فى الأرض ولا يلزم من ترك العمل بأحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل ونوقض بأنه تعالى قال فى مواضع لله ما فى السموات فلو كان هو فى السماء لزم أن يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شئ قدير وبأنه اما أن يراد كونه فى سماء واحدة وهو ترك الظاهر أو فى جميع السموات وهو يقتضى كونه ذا أجزاء أو حصول المتحيز الواحد فى مكانين وكلاهما محال والحق أنه لا يلزم من استصحاب المكان الافتقار اليه ولا التجسيم والتحيز وهو دقيق يفهمه من وفق له وبأنه لو كان موجودا فى السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لم لا يجوز أن يكون فى السموات وفوقها الى ما لا يتناهى لاسيما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبأنه لو كان فى السموات فان لم يقدر على عالم آخر فوقها لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض أنه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة

عن ابن طاوس عن أبيه بمثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال وأخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة حسبته أسنده قال اذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلا أهل الجنة (٣) ولا أعلمه الا قال مثلا وأما مثل فلا أشك مكتوبا هاهنا وأشار الحكم الى نحره عتقاه الله فقال رجل لعكرمة يا أبا عبد الله فان الله يقول يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قال ويلك أولئك أهلها الذين هم أهلها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة حسبت أنه أسنده قال اذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش ثم ذكر نحوه غير انه قال فقال رجل يا أبا عبد الله أرأيت قوله يريدون أن يخرجوا من النار وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول ان لله مائة رحمة فأهبط رحمة الى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والانس وطائر السماء وحيتان الماء ودواب الارض وهوامها وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى اذا كان يوم القيامة اختتج الرحمة التى كان أهبطها الى أهل الدنيا فحواها الى ما عنده فجعلها فى قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال عبد الله بن عمرو ان لله مائة رحمة أهبط منها الى الارض رحمة واحدة يتراحم بها الجن والانس والطير والبهائم وهوام الارض حدثنا محمد بن عوف قال أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج قال ثنا صفوان ابن عمرو قال ثنى أبو المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب ما أول شئ ابتدأ الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد ولكن كتبه باصبعه يتلوها الزبرجد والدر والياقوت أنا الله لا اله الا أنا سبقت رحمتى غضبى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ وهذه اللام التى فى قوله ليجمعنكم لام قسم ثم اختلف أهل العربية فى جالبها فكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلت الرحمة غاية كلام ثم استأنفت بعدها ليجمعنكم قال وان شئت جعلته فى موضع نصب يعنى كتب ليجمعنكم كما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة يريد كتب أنه من عمل منكم قال والعرب تقول فى الحروف التى يصلح معها جواب كلام الأيمان بأن المفتوحة وباللام فيقولون أرسلت اليه أن يقوم وأرسلت اليه ليقومن قال وكذلك قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال وهو فى القرآن كثير ألا ترى أنك لو قلت بدا لهم أن يسجنوه لكان صوابا وكان بعض نحوى البصرة يقول نصبت لام ليجمعنكم (١) لان معنى كتب كأنه قال والله ليجمعنكم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يكون قوله كتب على نفسه الرحمة غاية وأن يكون قوله ليجمعنكم خبرا مبتدأ أو يكون معنى الكلام حينئذ ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذى لا ريب فيه لينتقم منكم بكفركم به وانما قلت هذا القول أولى بالصواب من إعمال كتب فى ليجمعنكم لان قوله كتب قد عمل فى الرحمة فغير جائز وقد عمل فى الرحمة أن يعمل فى ليجمعنكم لانه لا يتعدى الى

(١) لعل الأصل لان معنى كتب القسم كأنه الخ كتبه مصححه

اثنين فان قال قائل فما أنت قائل فى قراءة من قرأ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه بفتح أن قيل ان ذلك اذا قرئ كذلك فان أن بيان عن الرحمة وترجمة عنها لان معنى الكلام كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة ويعفو والرحمة يترجم عنها ويبين معناها بصفتها وليس من صفة الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة فيكون مبينا به عنها فان كان ذلك كذلك فلم يبق الا أن ينصب بنية تكرير كتب مرة أخرى معه ولا ضرورة بالكلام الى ذلك فتوجه الى ما ليس بموجود فى ظاهر وأما تأويل قوله لاريب فيه فانه لاشك فيه يقول فى أن الله يجمعكم الى يوم القيامة فيحشركم اليه جميعا ثم يوفى كل عامل منكم أجر ما عمل من حسن أو سيئ ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله الذين خسروا أنفسهم العادلين به الاوثان والأصنام يقول تعالى ذكره ليجمعن الله الذين خسروا أنفسهم يقول الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الند والعديل فأوبقوها بايجابهم سخط الله وأليم عقابه فى المعاد وأصل الخسار الغبن يقال منه خسر الرجل فى البيع اذا غبن كما قال الاعشى

لا يأخذ الرشوة فى حكمه ۞ ولا يبالى خسر الخاسر

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وموضع الذين فى قوله الذين خسروا أنفسهم نصب على الرد على الكاف والميم فى قوله ليجمعنكم على وجه البيان عنها وذلك أن الذين خسروا أنفسهم هم الذين خوطبوا بقوله ليجمعنكم وقوله فهم لا يؤمنون يقول فهم لاهلاكهم أنفسهم وغبنهم اياها حظها لا يؤمنون أى لا يوحدون الله ولا يصدقون بوعده ووعيده ولا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان فيخلصوا له التوحيد ويفردوا له الطاعة ويقروا بالالوهية جهلا وله ما سكن فى الليل والنهار يقول وله ملك كل شئ لانه لا شئ من خلق الله الا وهو ساكن فى الليل والنهار فعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه من ادعائهم له شريكا وما يقول غيرهم من خلاف ذلك العليم بما يضمرونه فى أنفسهم وما يظهرونه بجوارحهم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو يحصيه عليهم ليوفى كل انسان ثواب ما اكتسب وجزاء ما عمل ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله سكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وله ما سكن فى الليل والنهار يقول ما استقر فى الليل والنهار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والاصنام والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك الداعين الى عبادة الآلهة والأوثان أشيأ غير الله تعالى أتخذ وليا أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أغير الله أتخذ وليا قال أما الولى فالذى يتولونه ويقرون له بالربوبية فاطر السموات والارض يقول أشيأ غير الله فاطر السموات أتخذ وليا ففاطر السموات والارض من نعت الله وصفته ولذلك خفض ويعنى بقوله فاطر السموات والارض مبتدعهما ومبتدئهما وموجدهما كالذى حدثنا به ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول كنت لا أدرى ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها حدثنا محمد

المراد وهو الله فى تدبير السموات والارض كما يقال فلان فى أمر كذا أى فى تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون فى السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعد ذلك ويكون المعنى انه يعلم فى السموات والأرض سرائر الملائكة والانس والجن أو المراد وهو المعبود فيهما أو المعروف بالالهية أو المتوحد بها أو هو الذى يقال له الله فيهما لا شريك له فى هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهى الدواعى والصوارف والجهر من أعمال الجوارح ولان الاول مقدم على الثانى طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة أعنى قوله (يعلم سركم وجهركم) مقررة لما قبلها أو خبر ثالث أو كلام مبتدأ (ويعلم ما تكسبون) الكسب أخص من الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضى الى اجتلاب نفع أو اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بأنه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الأعم للتقرير والتأكيد أو لكونه أهم حسن لا يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد أنه عالم بما يستحقه الانسان على أفعاله من ثواب أو عقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع فى النبوات فرتب أحوال الكفار مع الانبياء فى ثلاث مراتب الاولى كونهم معرضين عن التأمل فى الدلائل وذلك قوله

(وماتاتيهم من آية من آيات ربهم) من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد ومايظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاعتبار الاوهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم * الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب فقد أعرض وزاد قال علماء المعانى ههنا حذف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وهو الحق قال أنس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذى تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والأولى الحمل على الكل * المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان غاية فى الغواية وذلك قوله (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا) أى أخبار الشئ الذى كانوا (به يستهزؤن) وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب الذى أنبأ الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك ما تحذره وذلك أن الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون بأى شئ

ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاطر السموات والارض قال خالق السموات والارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاطر السموات والارض قال خالق السموات والارض يقال من ذلك فطرها الله يفطرها ويفطرها فطرا وفطورا (١) ومنه قوله ترى من فطور يعنى شقوقا وصدوعا يقال سيف فطار اذا كثر فيه التشقق وهو عيب فيه ومنه قول عنترة

وسيفى كالعقيقة فهو كمعى * سلاحى لا أنل ولا فطارا

ومنه يقال فطر ناب الجمل اذا تشقق اللحم فخرج ومنه قوله تكاد السموات ينفطرن من فوقهن أى ينشققن وينصدعن وأما قوله وهو يطعم ولا يطعم فانه يعنى وهو يرزق خلقه ولا يرزق كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو يطعم ولا يطعم قال يرزق ولا يرزق وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك وهو يطعم ولا يطعم أى انه يطعم خلقه ولا يأكل هو ولا معنى لذلك لقلة القراءة به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين يدعونك الى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ويحثونك على عبادتها أغير الله فاطر السموات والارض وهو يرزقنى وغيرى ولا يرزقه أحد أتخذ وليا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق وقل لهم أيضا انى أمرنى ربى أن أكون أول من أسلم يقول أول من خضع له بالعبودية وتذلل لامره ونهيه وانقاد له من أهل دهرى وزمانى ولا تكونن من المشركين يقول وقل وقيل لى لا تكونن من المشركين بالله الذين يجعلون الآلهة والانداد شركاء وجعل قوله أمرت بدلا من قيل لى لان قوله أمرت معناه قيل لى فكأنه قيل قل انى قيل لى كن أول من أسلم ولا تكونن من المشركين فاجتزئ بذكر الامر من ذكر القول اذ كان الامر معلوما أنه قول ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله الذين يدعونك الى عبادة أوثانهم ان ربى نهانى عن عبادة شئ سواه وانى أخاف ان عصيت ربى فعبدتها عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم القيامة ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله وفظاعة شأنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾ اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة من يصرف عنه يومئذ بضم الياء وفتح الراء بمعنى من يصرف عنه العذاب يومئذ وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة من يصرف عنه بفتح الياء وكسر الراء بمعنى من يصرف الله عنه العذاب يومئذ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه يصرف عنه بفتح الياء وكسر الراء لدلالة قوله فقد رحمه على صحة ذلك وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ولو كانت القراءة فى قوله من يصرف على وجه ما لم يسم فاعله كان الوجه فى قوله فقد رحمه أن يقال فقد رحم غير مسمى فاعله وفى تسمية الفاعل فى قوله فقد رحمه دليل بين على أن ذلك كذلك فى قوله من يصرف عنه واذ كان ذلك هو الوجه الاولى بالقراءة فتأويل الكلام من يصرف عنه من خلقه يومئذ عذابه فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين ويعنى بقوله وذلك وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة ورحمته اياه الفوز أى النجاة من الهلكة والظفر بالطلبة المبين يعنى الذى بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وادراك الطلبة وبنحو الذى قلنا فى قوله من يصرف عنه يومئذ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال من يصرف عنه العذاب

(١) قوله ومنه قوله ترى الخ هذا لا يلائم ما قبله فلعل فيه سقطا والأصل والفطر أيضا الشق ومنه الخ

* القول

﴿القول فى تأويل قوله ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك الله بضر يقول بشدة فى دنياك وشظف فى عيشك وضيق فيه فلن يكشف ذلك عنك الا الله الذى أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه وأذعن له من أهل زمانك دون ما يدعوك العادلون به الى عبادته من الاوثان والاصنام ودون كل شئ سواها من خلقه وان يمسسك بخير يقول وان يصبك بخير أى برخاء فى عيش وسعة فى الرزق وكثرة فى المال فتقر أنه أصابك بذلك فهو على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره والله الذى أصابك بذلك فهو على كل شئ قدير هو القادر على نفعك وضرك وهو على كل شئ يريده قادر لا يعجزه شئ يريده ولا يمتنع منه شئ طلبه ليس كالآلهة الذليلة المهينة التى لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضر عنها ولا غيرها يقول تعالى ذكره فكيف تعبد من كان هكذا أم كيف لا تخلص العبادة وتقر لمن كان بيده الضر والنفع والثواب والعقاب وله القدرة الكاملة والعزة الظاهرة ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وهو نفسه يقول والله القاهر فوق عباده ويعنى بقوله القاهر المذل المستعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه وصف نفسه تعالى بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيأ أن يكون مستعليا عليه فعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلهم العالى عليهم بتذليله لهم وخلقه اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وهو الحكيم يقول والله الحكيم فى علوه على عباده وقهره اياهم بقدرته وفى سائر تدبيره الخبير بمصالح الاشياء ومضارها الذى لا يخفى عليه عواقب الامور وبواديها ولا يقع فى تدبيره خلل ولا يدخل حكمه دخل ﴿القول فى تأويل قوله ﴿قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك أى شئ أعظم شهادة وأكبر ثم أخبرهم بأن أكبر الاشياء شهادة الله الذى لا يجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى غيره من خلقه من السهو والخطا والغلط والكذب ثم قل لهم ان الذى هو أكبر الاشياء شهادة شهيد بينى وبينكم بالحق منا من المبطل والرشيد منا فى فعله وقوله من السفيه وقد رضينا به حكما بيننا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أى شئ أكبر شهادة قال أمر محمد أن يسأل قريشا ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى وبينكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به عقابه وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم ان لم ينته الى العمل بما فيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والايمان بجميعه نزول نقمة الله به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يا أيها الناس بلغوا ولو آية من كتاب الله فانه من بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لأنذركم به ومن بلغ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله حدثنا هناد قال ثنا وكيع

استهزؤا وأنه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول العقاب بهم فى الدنيا كيوم بدر وغيره أو فى الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء وأوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة والنصيحة بتذكيرهم أحوال الأمم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون فى زمان من الدهر المقترفون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان فى الاغلب ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والأقرب أنه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الأكثر من أهل كل عصر فقد انقضى القرن وليس المراد أن يصدق الكفار محمدا فى هذه الأخبار لانهم بصدد التكذيب فسيكذبونه فيها أيضا وانما المراد أن ما يختص بالمتقدمين منهم مشهور بين الناس فيبعد أن يقال انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفى فى الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلاثة أوصاف الاول تمكينهم فى الارض مكن له فى الارض جعل له مكانا ومكنه فيها أثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما فى الآية والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما آتينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال وأسباب الدنيا الثانى ارسال السماء عليهم مدرارا يعنى الغيث أو السحاب أو الخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار كثير الدر در اللبن اذا أقبل على

و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ ومن بلغ أئنكم لتشهدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح قال سألت ليث هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة قال كان مجاهد يقول حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير ثم قرأ لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن بلغ من أسلم من العجم وغيرهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن يزيد قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب في قوله لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن فقد بلغه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به يعني أهل مكة ومن بلغ يعني ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت سفيان الثوري يحدث لا أعلمه الا عن مجاهد أنه قال في قوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به العرب ومن بلغ العجم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لأنذركم به ومن بلغ أما من بلغ فمن بلغه القرآن فهو له نذير حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال يقول من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره وقرأ يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قال فمن بلغه القرآن فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره فمعنى هذا الكلام لأنذركم بالقرآن أيها المشركون وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم فمن في موضع نصب بوقوع أنذر عليه وبلغ في صلته وأسقطت الهاء العائدة على من في قوله بلغ لاستعمال العرب ذلك في صلات من وما والذي ۞ القول في تأويل قوله ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بري ء مما تشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوتك العادلين بالله وباغيره أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى يقول تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والاصنام وقال أخرى ولم يقل أخر والآلهة جمع لان الجموع يلحقها التأنيث كما قال تعالى فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لا أشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره انما هو اله واحد يقول انما هو معبود واحد لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة وانني بري ء مما تشركون يقول قل وانني بري ء من كل شريك تدعونه لله وتضيفونه الى شركته وتعبدونه معه لا أعبد سوى الله شيأ ولا أدعو غيره الها وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته وذلك ما حدثنا به هناد بن السري وأبو كريب قالا ثنا يونس بن بكير قال ثني محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمير فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله بذلك بعثت والي ذلك أدعو فانزل الله تعالى فيهم وفي قولهم قل أي شيأ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الى قوله لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره الذين آتيناهم الكتاب التوراة والانجيل يعرفون أنما هو اله واحد لا جماعة الآلهة

الحالب منه شيء كثير ومدرارا نعت المطر ويقال أيضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من أبنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث الثالث (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أي من تحت أمكنتهم والمراد أنهم أصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين أيضا قلنا لدفع هذا الاشكال كرر فقال (فأهلكناهم بذنوبهم) فان الاهلاك بسبب المعاصي والآثام لا يكون الا بالعذاب والايلام ثم نبه بقوله (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده بيده التخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الخير والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الآية وفيه أن لذات الدنيا ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حملته العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء وجعلها من قبيل السحر الذي لا أصل له وهم الذين عنوا بقوله (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) والمعنى أنه

وأن محمدا نبي مبعوث كما يعرفون أبناءهم وقوله الذين خسروا أنفسهم من نعت الذين الاولى ويعنى بقوله خسروا أنفسهم أهلكوها وألقوها فى نار جهنم بانكارهم محمدا أنه لله رسول مرسل وهم بحقيقة ذلك عارفون فهم لا يؤمنون يقول فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون وقد قيل ان معنى خسارتهم أنفسهم أن كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار فى الجنة وجعل لاهل النار منازل أهل الجنة فى النار فذلك خسران الخاسرين منهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار بما فرط منهم فى الدنيا من معصيتهم الله وظلمهم أنفسهم وذلك معنى قول الله تعالى الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وبنحو ما قلنا فى معنى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون أن الاسلام دين الله وأن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم النصارى واليهود يعرفون رسول الله فى كتابهم كما يعرفون أبناءهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (١) حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قال زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم أنهم قالوا والله لنحن أعرف به من أبنائنا من أجل الصفة والنعت الذى نجده فى الكتاب وأما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدث النساء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أشد اعتداء وأخطأ فعلا وأخطل قولا ممن افترى على الله كذبا يعنى ممن اختلق على الله قيل باطل واخترق من نفسه عليه كذبا بزعم أن له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الاوثان أو ادعى له ولدا أو صاحبة كما قالته النصارى أو كذب بآياته يقول أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التى أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم كذبت بها اليهود انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا يفلح القائلون على الله الباطل ولا يدركون البقاء فى الجنان والمفترون عليه الكذب والجاحدون بنبوة أنبيائه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ يقول تعالى ذكره ان هؤلاء المفترين على الله كذبا والمكذبين بآياته لا يفلحون اليوم فى الدنيا ولا يوم نحشرهم جميعا يعنى ولا فى الآخرة فى الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف وتأويل الكلام انه لا يفلح الظالمون اليوم فى الدنيا ويوم نحشرهم جميعا فقوله ويوم نحشرهم مردود على المراد فى الكلام لانه وان كان محذوفا منه فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم يقول ثم نقول اذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب بادعائهم له فى سلطانه شريكا والمكذبين بآياته ورسله جميعهم يوم القيامة أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم لكم آلهة من دون الله افتراء وكذبا وتدعونهم من دونه أربابا فأتوا بهم ان كنتم صادقين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ يقول تعالى ذكره ثم لم يكن قولهم اذ قلنا لهم أين شركاؤكم

(١) لم يذكر تفسيرا وعبارة الدر المنثور عن السدى يعنى يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم لأن نعته معهم فى التوراة اه تأمل كتبه مصححه

لو نزل الكتاب جملة واحدة فى صحيفة واحدة فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو أن نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم تكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز أن يكون نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين أو من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق وأجيب بان المقصود من الآية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد أنهم اذا لمسوه بأيديهم يقوى الادراك البصرى بالادراك اللمسى ويبلغ الغاية فى القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين فى أن ذلك الذى رأوه ولمسوه هل هو موجود أم لا وذلك يدل على أنهم بلغوا فى الجهالة الى حد السفسطة قال القاضى فى الآية دليل على وجوب اللطف لانه بين أنه انما لم ينزل هذا الكتاب من حيث انه لو أنزله لقالوا هذا القول فيفهم منه أنهم لو قبلوه وآمنوا به لأنزله لاستحالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبى ان مشركى مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة

يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله وذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) فأجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون) ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب أن انزال الملك على البشر آية باهرة وحينئذ ربما لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال أو لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما رأى جبرائيل على صورته الاصلية غشي عليه وأن جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف ابراهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وأن جبرائيل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم أن عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أفظع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى وهي أنه بشر مثلهم ويقولون لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة أن الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيازهم عن الخلق أكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم أقل والحكيم اذا أراد تحصيل مهم اختار ما هو أسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (ولو جعلناه) أي الرسول (ملكا لجعلناه رجلا) لان انزال الملك آية ظاهرة جارية مجرى

الذين كنتم تزعمون اجابة منهم لنا عن سؤالنا اياهم ذلك اذ فتناهم فاختبرناهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كذبا منهم في أيمانهم على قبيلهم ذلك ثم اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ثم لم تكن فتنتهم بالنصب بمعنى لم يكن اختبارنا لهم الا قيلهم والله ربنا ما كنا مشركين غير أنهم يقرؤن تكن بالتاء على التأنيث وان كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهي خبر وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح في الكلام وقد روي بيت للسيد بنحو ذلك وهو قوله

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي (١) عرّدت اقدامها

فقال وكانت بتأنيث الاقدام لمجاورته قوله عادة وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب الا أن قالوا بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم غير أنهم ذكروا يكون لتذكير أن (٢) وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لأن أن أثبت في المعرفة من الفتنة * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ثم لم تكن فتنتهم فقال بعضهم معناه ثم لم يكن قولهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة في قوله ثم لم تكن فتنتهم قال مقالتهم قال معمر وسمعت غير قتادة يقول معذرتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ثم لم تكن فتنتهم قال قولهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا الآية فهو كلامهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك ثم لم تكن فتنتهم يعني كلامهم * وقال آخرون معنى ذلك معذرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ثم لم تكن فتنتهم قال معذرتهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يقول اعتذارهم بالباطل والكذب * والصواب من القول في ذلك أن يقال معناه ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا اياهم اعتذارا مما سلف منهم من الشرك بالله الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فوضعت الفتنة موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام وانما الفتنة الاختبار والابتلاء ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك الا عند الاختبار وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم * واختلفت القراء أيضا في قراءة قوله والله ربنا ما كنا مشركين فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين والله ربنا خفضا على أن الرب نعت لله وقرأ ذلك جماعة من التابعين والله ربنا بالنصب بمعنى والله يا ربنا وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة * وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ والله ربنا بنصب الرب بمعنى يا ربنا وذلك أن هذا جواب من المسؤلين المقول لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون وكان من جواب القوم لربهم والله يا ربنا ما كنا مشركين فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويعني بقوله ما كنا مشركين ما كنا ندعوك شريكا

(١) بالعين المهملة يعني تركت القصد وانهزمت اه كتبه مصححه

(٢) سقط من قلم الناسخ قراءة الرفع كما يؤخذ من بقية كلامه ومراده بقوله وهذه القراءة أي قراءة النصب وقوله لأن أن أثبت الخ أي لانه يشبه المضمر اه تأمل كتبه مصححه

ولاندعو سواله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الاوثان والأصنام فى الآخرة عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم والله يا ربنا ما كنا مشركين واستعملوا هنالك الاخلاق التى كانوا بها متخلقين فى الدنيا من الكذب والفرية ومعنى النظر فى هذا الموضع النظر بالقلب لا النظر بالبصر وانما معناه تبين فاعلم كيف كذبوا فى الآخرة وقال كذبوا ومعناه يكذبون لأنه لما كان الخبر قد مضى فى الاية قبلها صار كالشئ الذى قد كان ووجد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وفارقهم الانداد والاصنام وتبرؤا منها فسلكوا غير سبيلها لانها هلكت وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتراء ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله وعبادتهم اياها واشراكهم اياها فى سلطان الله فضلت عنهم وعوقب عابدوها بفريتهم وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال الاخذ على غير الهدى وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن مطرف عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال أتى رجل ابن عباس فقال قال الله والله ربنا ما كنا مشركين وقال فى آية أخرى ولا يكتمون الله حديثا قال ابن عباس أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة الا أهل الاسلام فقالوا تعالوا نجحد قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين قال قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر ولا يغفر الله لمشرك انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله اياهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال ولا يكتمون الله حديثا بجوارحهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حمزة الزيات عن رجل يقال له هشام عن سعيد بن جبير ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال حلفوا واعتذروا قالوا والله ربنا حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن سعيد بن جبير قال أقسموا واعتذروا والله ربنا حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن حمزة الزيات عن رجل يقال له هشام عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن سفيان بن زياد العصفرى عن سعيد بن جبير فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قال لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد قال من فيها من المشركين تعالوا نقول لا اله الا الله لعلنا نخرج مع هؤلاء قال فلم يصدقوا قال فحلفوا والله ربنا ما كنا مشركين قال فقال الله انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وضل عنهم ما كانوا يفترون أى يشركون به حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قال لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة الا مسلم قالوا تعالوا اذا سئلنا قلنا والله ربنا ما كنا مشركين فسئلوا فقالوا ذلك فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا مسلم بن خلف عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يأتى على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل الشرك أهل التوحيد يغفر لهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال انظر كيف كذبوا على

الاخفاء وازالة الاختيار وذلك مناف لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس أميل ولان البشر لا يطيق رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة فيحقرون طاعات البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصى فلا يصبرون معهم ولأن انزال الملك يقوى الشبهة من وجه آخر وذلك أن أى معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال (وللبسنا عليهم ما يلبسون) لبست الامر على القوم ألبسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك فى صورة البشر كان فعلنا نظير الفعلهم فى التلبيس وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع أنه ليس بملك أو يظنونه بشرا مع أنه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على أنفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال أبدا ويبقى الامر فى حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز أن يراد وخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فيكون مفعولا به يعنى أن القوم اذا رأوا الملك فى صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم انه سبحانه وتعالى سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه

أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير أنه كان يقول والله ربنا ما كنا مشركين يخفضها قال أقسموا واعتذروا قال الحرث قال عبد العزيز قال سفيان مرة أخرى ثنى هشام عن سعيد بن جبير ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يا محمد من يستمع اليك يقول من يستمع القرآن منك ويسمع ما تدعوه اليه من توحيد ربك وأمره ونهيه ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه ولا يتدبره ولا يصغى له سمعه ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه فى تنزيله الذى أنزله عليك انما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك ولا يعقل عنك ما تقول لأن الله قد جعل على قلبه أكنة وهى جمع كنان وهو الغطاء مثل سنان وأسنة يقال منه أكننت الشئ فى نفسى بالألف وكننت الشئ اذا غطيته ومن ذلك بيض مكنون وهو الغطاء ومنه قول الشاعر

تحت عين كنانتا * ظل بردمرحل

يعنى غطاءهم الذى يكنهم وفى آذانهم وقرا يقول تعالى ذكره وجعل فى آذانهم ثقلا وصمما عن فهم ما تتلو عليهم والاصغاء لما تدعوهم اليه والعرب تفتح الواو من الوقر فى الأذن وهو الثقل فيها وتكسرها فى الحمل فتقول هو وقر الدابة ويقال من الحمل أوقرت الدابة فهى موقرة ومن السمع وقرت سمعه فهو موقور ومنه قول الشاعر

* ولى هامة قد وقر الضرب سمعها * وقد ذكر سماعا منهم وقرت أذنه اذا ثقلت فهى موقورة وأوقرت النخلة فهى موقر كما قيل امرأة طامث وحائض لانه لاحظ فيه للمذكر فاذا أريد أن الله أوقرها قيل موقرة وقال تعالى ذكره وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه بمعنى أن لا يفقهوه كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا لأن الكن انما جعل على القلب لئلا يفقهه لا ليفقهه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا قال يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيأ كمثل البهيمة التى تسمع النداء ولا تدرى ما يقال لها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا أما أكنة فالغطاء أكن قلوبهم لا يفقهون الحق وفى اذانهم وقرا قال صمم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من يستمع اليك قال قريش حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره وان يرهؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك كل آية يقول كل حجة وعلامة تدل أهل الحجا والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقون بها ولا يقرون بأنها دالة على ما هى عليه دالة حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول حتى اذا صاروا اليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به يجادلونك يقول يخاصمونك يقول الذين كفروا يعنى بذلك الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها يقولون لنبى الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا حجج الله التى احتج بها عليهم وبيانه الذى بينه لهم إن هذا الا أساطير الاولين أى ما هذا الا أساطير الأولين والأساطير جمع إسطارة وأسطورة مثل أفكوهة وأضحوكة وجائز أن يكون الواحد أسطارا مثل

بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة ومنه الحوق بالضم ما استدار بالكمرة (ما كانوا) أى الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أسند الحيق اليه حيث أهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل أن يراد بلفظة ما العذاب الذى كان يخوفهم الرسول بنزوله وهم يستهزؤن بذلك ثم أمر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا فى الارض لتشاهدوا آثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الأسفار تورث الاعتبار وتفيد الاستبصار * واعلم انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفى موضع آخر فانظروا فالفاء لمجرد اعتبار ترتيب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب وأيضا شتان بين السير الصورى بقدم الاشباح وبين السير المعنوى بقدم الارواح والله أعلم ۞ التأويل جد نفسه القديم الازلى بكلامه القديم الازلى على أن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وجعل الظلمات أى الصفات البهيمية والسبعية فى النفوس والنور فى القلوب وهو صفاتها الملكية والروحانية فخص الجعل بالمعانى التى هى من عالم الامر والخلق بالأعيان لأنها من عالم الصورة ولهذا لما ذكر صورة آدم قال انى

أبيات وأبابيت وأقوال وأقاويل من قول الله تعالى وكتاب مسطور من سطر يسطر سطرا فان كان من هذا فان تأويله ماهذا الاما كتبه الأولون وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأولونه بهذا التأويل ويقولون معناه ان هذا الا أحاديث الاولين حدثني بذلك المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما أساطير الاولين فأساجيع الاولين وكان بعض أهل العلم «وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى» يكلام العرب يقول الاسطارة لغة الخرافات والترهات وكان الاخفش يقول قال بعضهم واحده أسطورة وقال بعضهم اسطارة قال ولا أراه الا من الجمع الذى ليس له واحد نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل قال وقال بعضهم واحد الأبابيل إبيل وقال بعضهم إبول مثل عجول ولم أجد العرب تعرف له واحدا وانما هو مثل عباديد لا واحد لها وأما الشماطيط فانهم يزعمون أن واحده شمطاط قال وكل هذه لها واحد الا أنه لم يستعمل ولم يتكلم به لان هذا المثال لا يكون الا جمعا قال وسمعت العرب الفصحاء تقول أرسل خيله أبابيل تريد جماعات فلا تتكلم بها موحدة وكانت مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر ما حدثني به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا جاؤك يجادلونك الآية قال هم المشركون يجادلون المسلمين فى الذبيحة يقولون أما ماذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تتبعون أمر الله تعالى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال بعضهم معناه هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والقبول منه وينأون عنه يتباعدون عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وهانئ بن سعيد عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية وهم ينهون عنه وينأون عنه قال يتخلفون عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه وينهون الناس عنه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه يعنى ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به وينأون عنه يعنى يتباعدون عنه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم ينهون عنه وينأون عنه أن يتبع محمد ويتباعدون هم منه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه يقول لا يقربونه ولا يدعون أحدا يأتيه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله وهم ينهون عنه يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه جمعوا النهى والنأى والنأى التباعد ٭ وقال بعضهم بل معناه وهم ينهون عنه عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وهم ينهون عنه قال ينهون عن القرآن وعن النبى صلى الله عليه وسلم وينأون عنه ويتباعدون عنه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهم ينهون عنه قال قريش عن الذكر وينأون عنه يقول يتباعدون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ينهون عنه وينأون عنه قريش عن الذكر ينأون عنه يتباعدون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وهم

خالق بشرا من طين وحيث أراد
معناه قال انى جاعل فى الارض
خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق
مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات
الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا
لربهم ثم قضى أجلا للروح المفارق
عن حضرته لايام فراقه وأجل
مسمى عنده وهو أجل الوصال
بعد الفراق بجذبة ارجعى الى ربك
ثم أنتم تمترون يا أهل الوصال كما
يمترى أهل الفراق وهذا محال وهو
الله فى سموات القلوب وفى أرض
النفوس يعلم سر الخلافة الذى أودع
فيكم وجهركم الذى يظهر عنكم
ويعلم ما تكسبون باستعمال
الاستعداد السرى والجهرى فى
المأمورات والمنهيات فى الخير أو
الشر من آية من آيات ربهم فى
الآفاق وفى أنفسهم مكناهم
فى طلب الحق من قهر النفس وأسباب
الخيرات والطاعات وأرسلنا مطر
الواردات من سماء القلوب عليهم
مدرارا متواليا وجعلنا أنهار
الحكمة تجرى من تحت نظرهم
فأهلكنا مع هذه المقدمات
أرواحهم بسموم ذنوب طلب الدنيا
مالها وجاهها وأنشأنا من بعدهم
قرنا آخرين من الطلاب الصادقين
التائبين المستقيمين لجعلناه رجلا
ليفهموا خطابه ويكون واقفا على
الاحوال البشرية فيعاملهم بما
يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما
أرسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم قل سيروا فى أرض
النفوس بقدم التقوى ومخالفة

الهوى الى أن تبلغوا سواحل بحار
القلوب فتشاهدوا بأنوار الله المودعة
فيها عاقبة من هلك فى بوادى
القطيعة اذ سارعوا بقدم الطبيعة
﴿قل لمن ما فى السموات والأرض
قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب
فيه الذين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون وله ما سكن فى الليل
والنهار وهو السميع العليم قل أغير
الله أتخذ وليا فاطر السموات
والارض وهو يطعم ولا يطعم قل انى
أمرت أن أكون أول من أسلم ولا
تكونن من المشركين قل انى
أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد
رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير قل أى شئ أكبر شهادة قل
الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى
هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة
أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد
وانني برئ مما تشركون الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم الذين خسروا أنفسهم
فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين أشركوا
أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين أنظر كيف

ينهون عنه وينأون عنه قال ينهون عن القرآن وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويتباعدون عنه
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ينأون عنه قال ينأون عنه يبعدون
* وقال آخرون معنى ذلك وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يتباعدون
عن دينه واتباعه ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا وكيع وقبيصة وحدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عمن سمع ابن عباس يقول نزلت فى أبى
طالب كان ينهى عن محمد أن يؤذى وينأى عما جاءه به أن يؤمن به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد
الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت قال ثنى من سمع ابن عباس يقول وهم ينهون عنه
وينأون عنه قال نزلت فى أبى طالب ينهى عنه أن يؤذى وينأى عما جاء به حدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عمن سمع ابن عباس وهم
ينهون عنه وينأون عنه قال نزلت فى أبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمدا وينأى عما جاء
به حدثنا هناد قال ثنا عبدة عن اسمعيل بن أبى خالد عن القاسم بن مخيمرة قال كان أبو طالب
ينهى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يصدقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ومحمد بن
بشر عن اسمعيل بن أبى خالد عن القاسم بن مخيمرة فى قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه قال نزلت
فى أبى طالب قال ابن وكيع قال ابن بشر كان أبو طالب ينهى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤذى
ولا يصدق به حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير عن أبى محمد الاسدى عن حبيب بن أبى ثابت
قال ثنى من سمع ابن عباس يقول فى قول الله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه نزلت فى أبى طالب
كان ينهى عن أذى محمد وينأى عما جاء به أن يتبعه حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسمعيل
ابن أبى خالد عن القاسم بن مخيمرة فى قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه قال نزلت فى أبى طالب
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن موسى عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب قال ذكر
أبو طالب فى قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سعيد
ابن أبى أيوب قال قال عطاء بن دينار فى قول الله وهم ينهون عنه وينأون عنه انها نزلت فى أبى
طالب انه كان ينهى الناس عن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عما جاء به من الهدى
* وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويله وهم ينهون عنه عن اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم من سواهم من الناس وينأون عن اتباعه وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة
المشركين العادلين به والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عما جاءهم
به من تنزيل الله ووحيه فالواجب أن يكون قوله وهم ينهون عنه خبرا عنهم اذ لم يأت ما يدل على
انصراف الخبر عنهم الى غيرهم بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر
عن جماعة مشركى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يكون خبرا عن خاص منهم واذ كان
ذلك كذلك فتأويل الآية وان يرهؤلاء المشركون يا محمد كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقولون ان هذا الذى جئتنا به الا أحاديث الاولين وأخبارهم وهم ينهون عن استماع التنزيل
وينأون عنك فيبعدون منك ومن اتباعك وان يهلكون الا أنفسهم يقول وما يهلكون بصدهم
عن سبيل الله واعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم الا أنفسهم لا غيرها وذلك أنهم يكسبونها
بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه وما لا قبل لها به وما يشعرون يقول وما يدرون ما هم مكسبوها
من الهلاك والعطب بفعلهم والعرب تقول لكل من بعد عن شئ قد نأى عنه فهو ينأى
نأيا ومسموع منهم نأيت بمعنى نأيت عنك وأما اذا أرادوا أبعدتك عنى قالوا أنأيتك ومن
نأيتك بمعنى نأيتك عنك قول الحطيئة

تأتك أمامة الاسؤالا * وأبصرت منها بطيف خيالا

القول فى تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوتك الذين وصفت لك صفتهم اذ وقفوا يقول اذ حبسوا على النار يعنى فى النار فوضعت على موضع فى كما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان يعنى فى ملك سليمان وقيل ولو ترى اذ وقفوا ومعناه اذا وقفوا وما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع اذ مكان اذا واذا مكان اذ وان كان حظ اذ أن تصاحب من الاخبار ما قد وجد وحظ اذا أن تصاحب من الاخبار ما لم يوجد ولكن ذلك كما قال الراجز وهو أبو النجم مدّ لنا فى عمر مدّ طه

ثم جزاه الله عنا اذ جزى * جنات عدن فى العلالى العلى

فقال ثم جزاه الله عنا اذ جزى فوضع اذ مكان اذا وقيل وقفوا ولم يقل أوقفوا لان ذلك هو الفصيح من كلام العرب يقال وقفت الدابة وغيرها بغير ألف اذا حبستها وكذلك وقفت الارض اذا جعلتها صدقة حبسا بغير ألف وقد حدثنى الحرث بن أبى عبيد قال أخبرنى اليزيدى والأصمعى كلاهما عن أبى عمرو قال ما سمعت أحدا من العرب يقول أوقفت الشئ بالالف قال الا أنى لو رأيت رجلا بمكان فظننت ما أوقفك ها هنا بالالف لرأيته حسنا فقالوا يا ليتنا نرد يقول فقال هؤلاء المشركون بربهم اذ حبسوا فى النار يا ليتنا نرد الى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله ولا نكذب بآيات ربنا يقول ولا نكذب بحجج ربنا ولا نجحدها ونكون من المؤمنين يقول ونكون من المصدقين بالله وحجته ورسله فنعمل بأمره ونهيه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراقيين يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بمعنى يا ليتنا نرد ولسنا نكذب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بمعنى يا ليتنا نرد وأن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وتأولوا فى ذلك شيأ حدثنيه أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون قال فى حرف ابن مسعود يا ليتنا نرد فلا نكذب بالفاء * وذكر عن بعض قراء أهل الشام أنه قرأ ذلك يا ليتنا نرد ولا نكذب بالرفع ونكون بالنصب كأنه وجه تأويله الى أنهم تمنوا الرد وأن يكونوا من المؤمنين وأخبروا أنهم لا يكذبون بآيات ربهم ان ردوا الى الدنيا * واختلف أهل العربية فى معنى ذلك منصوبا ومرفوعا فقال بعض نحويى البصرة لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين نصب لأنه جواب للتمنى وما بعد الواو كما بعد الفاء قال وان شئت رفعت وجعلته على غير التمنى كأنهم قالوا ولا نكذب والله بآيات ربنا ونكون والله من المؤمنين هذا اذا كان على ذا الوجه كان منقطعا من الاول قال والرفع وجه الكلام لأنه اذا نصب جعلها واو عطف فاذا جعلها واو عطف فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين قال وهذا والله أعلم لا يكون لأنهم لم يتمنوا هذا انما تمنوا الرد وأخبروا أنهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين وكان بعض نحويى الكوفة يقول لو نصب نكذب ونكون على الجواب بالواو لكان صوابا قال والعرب تجيب بالواو وثم كما تجيب بالفاء يقولون ليت لى مالا فأعطيك وليت لى مالا وأعطيك ثم أعطيك قال وقد تكون نصبا على الصرف كقولك لا يسعنى شئ ويعجز عنك * وقال آخر منهم لا أحب النصب فى هذا لأنه ليس بتمن منهم انما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يكون التكذيب للخبر لا للتمنى وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو وبحرف غير الفاء وكان يقول

كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿القراآت انى أمرت بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع انى أخاف بفتح الياء هما وابن كثير وأبو عمرو الباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول أئنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة أينكم بالياء بعد الهمز ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد أينكم بالمد والياء أبو عمرو ويزيد وقالون برىء بغير همز حيث كان يزيد وحمزة فى الوقف يحشرهم ثم يقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التأنيث حمزة وعلى وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل أو البيان ﴿الوقوف والارض ط قل لله ط الرحمة ط لأن قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف وليجمعنكم جواب معنى القسم فى كتب وفيه نظر لأن كتب وعد ناجز وليجمعنكم وعد منتظر لا ريب فيه ط بناء على أن الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون ٥ والنهار ط العليم ٥ ولا يطعم ط من المشركين ٥ عظيم ٥

رحمه ط المبين ○ الاهو ط
قدير ○ عباده ط الخبير ○
شهادة ط ومن بلغ ط أخرى
ط لانتهاء الاستخبار الى الاخبار
قل لاأشهد ج لاتساق الكلام
بلاعطف يشركون ○ أبناءهم
لئلا يوهم أن مابعده وصف لايؤمنون
○ بآياته ط الظالمون ○ يزعمون
○ مشركين ○ يفترون ○
۞ التفسير انه سبحانه لما برهن
على اثبات الصانع وتحقيق النبوات
وتقرير المعاد وانجر الكلام الى
الامر باعتبار أحوال الغابرين عاد
الى اثبات هذه المطالب بطريق
الالزام وأخذ الاعتراف وذلك أن
آثار الحدوث وسمات الامكان
لائحة على صفحات السمويات
والارضيات حتى بلغ فى ظهوره الى
حيث لايقدر منكر على انكاره
فكان فى السؤال تبكيت والزام
وفى الجواب تقرير والزام أى هو لله
بلامراء وشقاق ولن يتم الملك الا اذا
كان قادرا على الاعادة كما هو قادر
على الابداء ولن تحصل حكمة الاعادة
الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن ايصال الثواب والعقاب
الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل
فلأجل ذلك قال (كتب على نفسه
الرحمة) أى بنصب الأدلة وازاحة
العلة ايجاب الفضل والكرم وقيل
هذه الرحمة هى أنه يمهلهم مدة عمرهم
ولا يعاجلهم بالاستئصال أو فرض
على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب
بالرسل وتاب وأناب وصدقهم وقبل
شريعتهم أو تلك الرحمة هى أنه

انما الواو موضع حال لايسعنى شئ ويضيق عنك أى وهو يضيق عنك قال وكذلك الصرف
فى جميع العربية قال وأما الفاء فجواب جزاء ماقت فاتبك أى لوقت لأتيناك قال فهذا حكم
الصرف والفاء قال وأما قوله ولانكذب ونكون فانما جازلأنهم قالوا يالينتا نرد فى غير الحال التى
وقفنا فيها على النار فكان وقفهم فى تلك فتمنوا أن لايكونوا وقفوا فى تلك الحال وكأن معنى صاحب
هذه المقالة فى قوله هذا ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا قد وقفنا عليها مكذبين بآيات ربنا كفارا
فيالينتا نرد اليها فنوقف عليها غير مكذبين بآيات ربنا ولا كفارا وهذا تأويل بعيد ظاهر
التنزيل وذلك قول الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فأخبر الله تعالى أنهم
فى قيلهم ذلك كذبة والتكذيب لايقع فى التمنى ولكن صاحب هذه المقالة أظن به أنه لم يتدبر
التأويل ولزم سنن العربية والقراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك يالينتا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين بالرفع فى كليهما بمعنى يالينتا نرد ولسنا نكذب بآيات ربنا ان رددنا ولكنا
نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون ان هم ردوا الى الدنيا لا على التمنى منهم أن لا
يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وأنهم كذبة فى قيلهم ذلك ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمنى لاستحال تكذيبهم فيه لأن
التمنى لايكذب وانما يكون التصديق والتكذيب فى الأخبار وأما النصب فى ذلك فانى أظن
بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التى ذكرناها عنه وذلك قراءته ذلك يالينتا نرد فلا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين على وجه جواب التمنى بالفاء وهو اذا قرئ بالفاء كذلك لاشك
فى صحة اعرابه ومعناه فى ذلك أن تأويله اذا قرئ كذلك لو أنا رددنا الى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا
ولكنا من المؤمنين فان يكن الذى حكى من حكى عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو ونم
كهيئة الجواب بالفاء صحيحا فلا شك فى صحة قراءة من قرأ ذلك يالينتا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون نصبا على جواب التمنى بالواو وعلى تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء والا فان القراءة بذلك
بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا بل المعروف من
كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو ۞ القول فى تأويل قوله ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره ما قصد هؤلاء العادلين بربهم
الجاحدين نبوتك يا محمد فى قيلهم اذا وقفوا على النار يالينتا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين الأسى والندم على ترك الايمان بالله والتصديق بك لكن بهم الاشفاق مما هو نازل
بهم من عقاب الله وأليم عذابه على معاصيهم التى كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم
فابداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤس الاشهاد ففضحهم بها ثم جازاهم بها جزاءهم يقول
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التى كانوا يخفونها من قبل ذلك فى الدنيا فظهرت
ولو ردوا يقول ولو ردوا الى الدنيا فأمهلوا العادوا لما نهوا عنه يقول لرجعوا الى مثل العمل
الذى كانوا يعملونه فى الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله والكفر به والعمل بما يسخط عليهم
ربهم وانهم لكاذبون فى قيلهم لو ردد نا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين لانهم قالوه حين قالوه
خشية العذاب لا ايمانا بالله وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل يقول بدت لهم أعمالهم فى الآخرة التى أخفوها فى الدنيا حدثنا الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قال من
أعمالهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو ردوا لعادوا لما

نهوا عنه يقول ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم لعادوا الى أعمالهم أعمال السوء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الاوثان والاصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم يقول تعالى ذكره وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم ويقولون لا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور بعد الفناء فهم بجحودهم ذلك وانكارهم ثواب الله وعقابه فى الدار الآخرة لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من اثم ومعصية لأنهم لا يرجون ثوابا على ايمان بالله وتصديق برسوله وعمل صالح بعد موت ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله وبرسوله وشئ من عمل يعملونه وكان ابن زيد يقول هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وقفوا على النار أنهم أوردوا الى الدنيا فقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو ردوا والعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ يقول تعالى ذكره ولو ترى يا محمد هؤلاء القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين اذ وقفوا يوم القيامة أى حبسوا على ربهم يعنى على حكم الله وقضائه فيهم قال أليس هذا بالحق يقول فقيل لهم أليس هذا البعث والنشور بعد الممات الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا حقا فأجابوا فقالوا بلى والله انه لحق قال فذوقوا العذاب يقول فقال الله تعالى ذكره لهم فذوقوا العذاب الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون بما كنتم تكفرون بقول بتكذيبكم به وجحودكموه الذى كان منكم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله قد هلك وركس فى بيعهم الايمان بالكفر الذين كذبوا بلقاء الله يعنى الذين أنكروا البعث بعد الممات والثواب والعقاب والجنة والنار من مشركى قريش ومن سلك سبيلهم فى ذلك حتى اذا جاءتهم الساعة يقول حتى اذا جاءتهم الساعة التى يبعث الله فيها الموتى من قبورهم وانما أدخلت الالف واللام فى الساعة لانها معروفة المعنى عند المخاطبين بها وأنها مقصود بها قصد الساعة التى وصفت ويعنى بقوله بغتة فجأة من غير علم من تفجؤه بوقت مفاجأتها اياه يقال منه بغته أبغته بغتة اذا أخذته كذلك قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يقول تعالى ذكره وركس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار فاذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا اذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا وتبينوا خسارة صفقة بيعهم التى سلفت منهم فى الدنيا ندما وتلهفا على عظيم الغبن الذى غبنوه أنفسهم وجليل الخسران الذى لا خسران أجل منه يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يقول يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها يعنى فى صفقتهم تلك والهاء والالف فى قوله فيها من ذكر الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما أن الخسران لا يكون الا فى صفقة بيع قد خسرت وانما معنى الكلام قد ركس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفر الذى يستوجبون به منه سخطه وعقوبته ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم قالوا حينئذ ندما يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أما يا حسرتنا فندامتنا على ما فرطنا فيها فضيعنا من عمل الجنة حدثنا محمد بن عمارة

يجمعهم الى يوم القيامة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كأنه قيل لما علمتم أن كل ما فى السموات والارض لله تعالى وأنه مالك الكل فاعلموا أن الله الملك الحكيم لا يهمل أمور عبيده ولا يجوز فى حكمته التسوية بين المطيع والعاصى والعامل والساهى ومعنى ليجمعنكم ليضمنكم وقيل فيه حذف أى ليجمعنكم الى المحشر فى يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم فى الدنيا بخلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيامة قال الأخفش (الذين خسروا) بدل من ضمير المخاطبين فى ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون) وذلك لتضمنه معنى الشرط كأنه قيل ما للمشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فأجيب الذين خسروا أنفسهم أى فى علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون فى طرف الأبد فكان امتناعهم الآن عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال فى الكشاف الذين خسروا نصب أو رفع على الذم بمعنى أريد الذين أو أنتم الذين ثم لما بين أن له المكان والمكانيات ارتقى فى البيان كما هو شأن الترتيب التعليمى الى ما هو أخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال (وله ما سكن فى الليل والنهار) عن ابن عباس أن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد

الاسدى قال ثنا يزيد بن مهران قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ياحسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون ياحسرتنا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ يقول تعالى ذكره وهؤلاء الذين كذبوا بلقاء الله يحملون أوزارهم على ظهورهم وقوله وهم من ذكرهم يحملون أوزارهم يقول آثامهم وذنوبهم واحدها وزر يقال منه وزر الرجل يزر اذا أثم فان أريد أنهم أثموا قيل قد وزر القوم فهم يوزرون وهم موزرون وقد زعم بعضهم أن الوزر الثقل والحمل ولست أعرف ذلك كذلك فى شاهد ولا من رواية ثقة عن العرب وقال تعالى ذكره على ظهورهم لان الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك فبين موضع حملهم ما يحملون من ذلك وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم نحو الذى حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم ابن بشير بن سليمان قال ثنا عمرو بن قيس الملائى قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيبه ريحا فيقول له هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا الا أن الله قد قبح صورتك وأنتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيئ طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم أركبك وتلا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم قال ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره الا جاء رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فاذا رآه قال له ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحا قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا قال ما أدنس ثيابك قال فيقول ان عملك كان دنسا قال من أنت قال أنا عملك قال فيكون معه فى قبره فاذا بعث يوم القيامة قال له انى كنت أحملك فى الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملنى قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وأما قوله تعالى ألا ساء ما يزرون فانه يعنى ألا ساء الوزر الذى يزرون أى الاثم الذى يأثمونه كفرهم بربهم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ألا ساء ما يزرون قال ساء ما يعملون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات فى قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين يقول تعالى ذكره مكذبا لهم فى قيلهم ذلك ما الحياة الدنيا أيها الناس الا لعب ولهو يقول ما باغى لذات الحياة التى أدنيت لكم وقربت منكم فى داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها والمتلذذ بها والمنافس عليها الا فى لعب ولهو لانها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها علاذها أو تأتيه الايام بفجائعها وصروفها فتمر عليه وتكر كاللاعب اللاهى الذى يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ثم يعقبه منه ندما ويورثه منه ترحا يقول لا تغتروا أيها الناس بها فان المغتر بها عما قليل يندم وللدار الآخرة خير للذين يتقون يقول وللعمل بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الاعمال التى تبقى منافعها لأهلها ويدوم سرور أهلها فيها خير من الدار التى تفنى فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم للذين يتقون يقول للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه والمسارعة الى رضاه أفلا تعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو وهم يرون من يختترم منهم ومن

انا قد علمنا أنه انما يحملك على ما تدعونا اليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه فنزل وله ماسكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير كل ماسكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر أى تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للقرينة والأصوب أن يقال اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان سكن ببلد كذا أى حل فيه والمراد كل ما حل فى الوقت والزمان سواء كان متحركا أو ساكنا وذلك أن الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث فلا بد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان (وهو السميع العليم) الذى يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل ممكن الى كماله اللائق به ويستعذله ثم لما كان لزاعم أن يزعم أن الذى يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا فى نفسه كالمفارقات التى يثبتها الفلاسفة فلا جرم قال (قل أغير الله أتخذ) منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه أهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار أولا الى نفس اتخاذ الولى وانه غير مهم (فاطر السموات) عطف بيان من الله أو بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقال ابن

يهلك فيموت ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع ففي ذلك لمن عقل مذكر ومزدجر عن الركون اليها واستعباد النفس لها ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلق اخلاص العبادة له بغير اشراك شئ سواه معه ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون وذلك قولهم له انه كذاب فانهم لا يكذبونك * واختلفت القراء في قراءة ذلك (١) بمعنى أنهم لا يكذبونك فيما أتيتهم به من وحي الله ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا بل يعلمون صحته ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكي عن العرب أنهم يقولون أكذبت الرجل اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه قال ويقولون كذبته اذا أخبرت أنه كاذب وقرأته جماعة من قراء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة فانهم لا يكذبونك بمعنى أنهم لا يكذبونك علما بل يعلمون أنك صادق ولكنهم يكذبونك قولا عنادا وحسدا * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوة فكان بعضهم يقول هو شاعر وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول هو مجنون وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تنزيل رب العالمين قولا وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوته حسدا له وبغيا فالقارئ فانهم لا يكذبونك يعني به أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوتك وصدق قولك فيما تقول يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله قولا وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته وفي قول الله تعالى في هذه السورة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد في جحود نبوته صلى الله عليه وسلم مع علم منهم به وصحة نبوته وكذلك القارئ فانهم لا يكذبونك يعني أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عنادا لا جهلا بنبوته وصدق لهجته مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته وقد ذهب الى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك فانهم لا يكذبونك ولكنهم يجحدون الحق على علم منهم بأنك نبي لله صادق حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين فقال له ما يحزنك فقال كذبني هؤلاء قال فقال له جبريل انهم لا يكذبونك هم يعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي صالح قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين فقال له ما يحزنك فقال كذبني هؤلاء فقال له جبريل انهم لا يكذبونك انهم ليعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قال يعلمون أنك رسول الله ويجحدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون لما كان يوم بدر قال الاخنس

(١) فيه سقط من الناسخ ولعل أصله فقرأته جماعة لا يكذبونك بالتخفيف بمعنى الخ تأمل كتبه مصححه

الانباري أصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات والارض أي خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من فطور اذا السماء انفطرت (وهو يطعم ولا يطعم) أي هو الرازق لغيره ولا يرزقه أحد والرزق والاطعام وان كانا متغايرين والا لم يحسن العطف في قوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون الا انهما متقاربان فحسن جعل أحدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول على أن الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله والله يقبض ويبسط أو الثاني بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية أنه يجب شغل القلب كله بالله وقطع العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين أن النبي أيضا داخل في تكليف المعرفة بل هو أسبق قدما في ذلك فقال (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) قيل لي (لا تكونن من المشركين) وفيه أن الواعظ يجب أن يتعظ أولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال (قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) ولا

يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما أو مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز أن تنصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله ومن قرأ على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب ولم يسم الفاعل وهو الله تعالى للعلم به (فقد رحمه) أي الله الرحمة العظمى كقولك ان أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه يعني كمال الاحسان أو المراد فقد أدخله الجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا أو استيجابا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على أن ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا ألا ترى أن الذي يقبح منه أن يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه (وذلك) أي صرف العذاب وايصال الثواب على سبيل التفضل أو الاستيجاب (الفوز المبين لانه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى لكل مكلف ثم أكد المعنى المذكور وهو أنه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من البليات (فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) عم الحكم

ابن شريق لبني زهرة يا بني زهرة ان محمدا ابن أختكم فأنتم أحق من كف عنه فانه ان كان نبيا لم تقاتلونه اليوم وان كان كاذبا كنتم أحق من كف عن ابن أخته فقوا هههنا حتى ألقى أبا الحكم فان غلب محمد صلى الله عليه وسلم رجعتم سالمين وان غلب محمد فان قومكم لا يصنعون بكم شيأ فيومئذ سمي الأخنس وكان اسمه أبي فالتقى الأخنس وأبو جهل فخلا الأخنس بأبي جهل فقال يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فذلك قوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم حدثني الحرث بن محمد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فانهم لا يكذبونك قال ليس يكذبون محمدا ولكنهم بآيات الله يجحدون * ذكر من قال ذلك بمعنى فانهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبون ما جئت به حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن ناجية قال قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فأنزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * وقال آخرون معنى ذلك فانهم لا يبطلون ما جئتهم به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمان عن أبي معشر عن محمد بن كعب فانهم لا يكذبونك قال لا يبطلون ما في يديك وأما قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فانه يقول ولكن المشركين بالله يحجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون فينكرون صحة ذلك كله وكان السدي يقول الآيات في هذا الموضع معنى بها محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴿ وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه اياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله يقول تعالى ذكره ان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك فيجحدوا نبوتك وينكروا آيات الله أنها من عنده فلا يحزنك ذلك واصبر على تكذيبهم اياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله حتى يأتي نصر الله فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم الى أممهم فنالوهم بمكروه فصبروا على تكذيب قومهم اياهم ولم يثنهم ذلك من المضي لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم اليه حتى حكم الله بينهم وبينهم ولا مبدل لكلمات الله يقول ولا مغير لكلمات الله وكلماته تعالى ما أنزل الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده اياه النصر على من خالفه وضاده والظفر على من تولى عنه وأدبر ولقد جاءك من نبأ المرسلين يقول ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل وخبر أممهم وما صنعت بهم حين جحدوا آياتي وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء وترك ذكر أنباء لدلالة من عليها يقول تعالى ذكره فانتظر أنت أيضا من النصرة والظفر مثل الذي كان مني فيمن كان قبلك من الرسل اذ كذبهم قومهم واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم وبنحو ذلك تأول من تأول هذه الآية من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله فصبروا على

ما كذبوا حتى حكم الله وهو خير الحاكمين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولقد كذبت رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولقد كذبت رسل من قبلك الآية قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وان كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ﴾ يقول تعالى ذكره ان كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به فشق ذلك عليك ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض يقول فان استطعت أن تتخذ سربا في الارض مثل نافقاء اليربوع وهي أحد جحرته تذهب فيه أو سلما في السماء يقول أو مصعدا تصعد فيه كالدرج وما أشبهها كما قال الشاعر

لا يحرز المرء أجداء البلاد ولا * يبني له في السموات السلاليم

فتأتيهم بآية منها يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي أتيتك فافعل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء والنفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض قال سربا أو سلما في السماء قال يعني الدرج حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء أما النفق فالسرب وأما السلم فالمصعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله نفقا في الارض قال سربا وترك جواب الجزاء فلم يذكر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامعين بمعناه وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به فيقول الرجل منهم للرجل ان استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا ان قدرت على معونتنا ويحذف الجواب وهو يريد ان قدرت على معونتنا فافعل فأما اذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام الا باظهار الجواب لم يحذفوه لا يقال ان تقم فتسكت وتحذف الجواب لان المقول ذلك له لا يعرف جوابه الا باظهاره حتى يقال ان تقم تصب خيرا أو ان تقم فحسن وما أشبه ذلك ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر

(١) فقحط مما يعش ولا تذهب * بك الترهات في الاهوال

والمعنى فقحط مما يعش فعيشي ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار يا محمد فيحزنك تكذيبهم اياك لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدين وصواب من محجة الاسلام حتى تكون كلمة جميعكم واحدة وملتكم وملتهم واحدة لجمعتهم على ذلك ولم يكن بعيدا علي لأني القادر على ذلك بلطفي ولكني لم أفعل ذلك لسابق علمي في خلقي ونافذ قضائي فيهم من قبل أن أخلقهم وأصور أجسامهم فلا تكونن يا محمد من الجاهلين يقول فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه وأن من يكفر به من خلقه انما يكفر به لسابق علم الله فيه ونافذ قضائه بانه كائن

ليندرج تحته كل خير والحاصل أن اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الايمان الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور أنه قد ينفع أو يضر من الجمادات أو المختارات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع أو الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال (وهو القاهر فوق عباده) وهو اشارة الى كمال القدرة (وهو الحكيم الخبير) وانه اشارة الى كمال العلم فالحكمة أعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا أخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من أثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها أنه لو كان فوق العالم فان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متحيزا والجواب أنه لم لا يجوز أن يكون نورا قائما بذاته غير متناه لا متحيزا ولا متبعضا قاهرا لجميع الانوار غالبا على جميع الاشياء فلا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده وأما إنه

(١) كذا في الاصل محرفا ولم نعثر عليه لحرره كتبه مصححه

من الكافرين به اختيارا الاضطرارا فانك اذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك اعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه اليه من الحق وتكذيب من كذبك منهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين وفى هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطأ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه يلطف بها له حتى يهتدى للحق فينقاد له ويتيب الى الرشاد فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالا وهم لو كانوا مهتدين كان لا شك أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم وفى تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم فى دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله بهم وقد ترك فعله بهم وفى تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يعطهم كل الاسباب التى بها يصلون الى الهداية ويتسببون بها الى الايمان ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يكبرن عليك اعراض هؤلاء المعرضين عنك وعن الاستجابة لدعائك اذا دعوتهم الى توحيد ربهم والاقرار بنبوتك فانه لا يستجيب لدعائك الى ما تدعوه اليه من ذلك الا الذين فتح الله أسماعهم للاصغاء الى الحق وسهل لهم اتباع الرشد دون من ختم الله على سمعه فلا يفقه من دعائك اياه الى الله والى اتباع الحق الا ما تفقه الانعام من أصوات دعاتها فهم كما وصفهم به الله تعالى صم بكم عمى فهم لا يعقلون والموتى يبعثهم الله يقول والكفار يبعثهم الله مع الموتى فجعلهم تعالى ذكره فى عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولا اذ كانوا لا يتدبرون حجج الله ولا يعتبرون آياته ولا يتذكرون فينزجروا عما هم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما يستجيب الذين يسمعون المؤمنون للذكر والموتى الكفار حين يبعثهم الله مع الموتى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يستجيب الذين يسمعون قال هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم وهذا مثل الكافر أصم أبكم لا يبصر هدى ولا ينتفع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان الثورى عن محمد بن جحادة عن الحسن انما يستجيب الذين يسمعون المؤمنون والموتى قال الكفار حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن محمد بن جحادة قال سمعت الحسن يقول فى قوله انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله قال الكفار وأما قوله ثم اليه يرجعون فانه يقول تعالى ثم الى الله يرجعون المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول والكفار الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيأ فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله فى الدنيا بما وعد أهل الايمان به من الثواب ويعاقب هذا الكافر بما أوعد أهل الكفر به من العقاب لا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء العادلون بربهم المعرضون عن آياته لولا نزل عليه آية من ربه يقول قالوا هلا نزل على محمد آية من ربه كما قال الشاعر

كيف يتصور نور بلا نهاية مع أنه لا ينقسم ولا يتبعض فجردا استبعاد فلا يصلح حجة وادر الشئ من هذا النور محتاج الى نور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ومنها أنه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب أن هذا كلام مخيل فلا يستعمل فى البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يمكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء فحصوله فى جزء من أجزاء ذلك الخلاء دون سائر أجزائه محتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب أنا ذكرنا أن نور الانوار لا يتناهى وأنه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها أنه سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم التغير فى ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الافتقار ومنها أن العالم كرة فاما أن يكون الله تعالى فوق أقوام باعيانهم وحينئذ يلزم أن يكون تحت أقدام من يقابلهم وإما أن يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بسائر الأفلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب الالزامى بعد تسليم كون العالم كرة أنا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلى المركز والفوق ما يلى السماء أو القسم الثانى ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

يعني هلا الكمي والآية العلامة وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنزا أو تكون له جنة يأكل منها قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقائلي هذه المقالة لك ان الله قادر على أن ينزل آية يعني حجة على ما يريدون ويسألون ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية لا يعلمون ما عليهم في الآية ان نزلها من البلاء ولا يدرون ما وجه ترك انزال ذلك عليك ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين بآيات الله أيها القوم لا تحسبن الله غافلا عما تعملون أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون وكيف يغفل عن أعمالكم أو يترك مجازاتكم عليها وهو غير غافل عن عمل شئ دب على الارض صغير أو كبير ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء بل جعل ذلك كله أجناسا مختلفة وأصنافا مصنفة تعرف كما تعرفون وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب ثم انه تعالى ذكره يميتها ثم ينشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها يقول فالرب الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الارض والطير في الهواء حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها وأثبت ذلك منها في أم الكتاب وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء أحرى أن لا يضيع أعمالكم ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا اذ كان قد خصكم من نعمه وبسط عليكم من فضله ما لم يعم به غيركم في الدنيا وكنتم بشكره أحق وبمعرفة واجبه عليكم أولى لما أعطاكم من العقل الذي به بين الاشياء تميزون والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير الذي به بين مصالحكم ومضاركم تفرقون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أمم أمثالكم أصناف مصنفة تعرف بأسمائها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يقول الطير أمة والانس أمة والجن أمة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله الا أمم أمثالكم يقول الا خلق أمثالكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال الذرة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب وأما قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ فان معناه ما ضيعنا اثبات شئ منه كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما فرطنا في الكتاب من شئ ما تركنا شيأ الا قد كتبناه في أم الكتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ قال لم نغفل من شئ الا وهو في الكتاب وحدثني به يونس مرة أخرى قال في قوله ما فرطنا في الكتاب من شئ قال كلهم مكتوب في أم الكتاب وأما قوله ثم الى ربهم يحشرون فان أهل التأويل اختلفوا في معنى حشرهم الذي عناه الله تعالى في هذا الموضع فقال بعضهم حشرها موتها ذكر من قال ذلك

الأفلاك وأما التحقيق فقدم ومنها أن لفظ الفوق في الآية مسبوق بالقهر ويراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وأنه مشعر بالملوكية والمقدورية فالمناسب أن يراد بالفوق أيضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لان المراد أن القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب أن حمل الوسط على الطرفين أولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وليس حمل أحدهما على الآخر أولى من غيره ومنها ان الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب أن الفوقية بالوجه الذي قررناه في جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب أن يكون التعويل عليه في كل الامور اذ لا وجود ولا ظهور لشئ من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتأمل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد أسرار غامضة شريفة ان كان أهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم فنزلت (قل أي شئ أكبر شهادة) الآية قال العلماء انها دلت على أن أكبر الشهادات وأعظمها

شهادة الله ثم بين أن شهادة الله حاصلة الا أنهم لم تدل على أن تلك الشهادة لاثبات أى المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد أى شئ أكبر شهادة حتى يعترفوا بان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لى بالنبوة بان أظهر على وفق دعواى معجزا هو القرآن الذى عجزتم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل ان حصول هذه الشهادة فى وحدانية الله تعالى وذلك أن الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى (قل الله شهيد بينى وبينكم) فى اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه (وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به) وأبلغكم أن الدين هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور بالآية على أنه يصح اطلاق الشئ على الله تعالى ونخالف جهم محتجا بقوله تعالى الله خالق كل شئ اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز فى صورة شاذة لا يلتفت اليها قلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الاكثر تنبيها على أن البقية جارية مجرى العدم فلو كان البارى تعالى شيأ لكان أعظم الاشياء وأشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب وأيضا احتج بأن الشئ يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا

حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن سعيد عن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال ابن عباس موت البهائم حشرها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ثم الى ربهم يحشرون قال يعنى بالحشر الموت حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم الى ربهم يحشرون يعنى بالحشر الموت * وقال آخرون الحشر فى هذا الموضع يعنى به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة فى قوله الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون قال يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الاعمش ذكره عن أبى ذر قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انتطحت عنزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون فيم انتطحتا قالوا لا ندرى قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا مطر بن خليفة عن منذر الثورى عن أبى ذر قال انتطحت شاتان عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى يا أبا ذر أتدرى فيم انتطحتا قلت لا قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما قال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه فى السماء الا ذكر لنا منه علما * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشور اليه وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة وجائز أن يكون معنيا به حشر الموت وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ولا فى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أى ذلك المراد بقوله ثم الى ربهم يحشرون اذ كان الحشر فى كلام العرب الجمع من ذلك قول الله تعالى والطير محشورة كل له أواب يعنى مجموعة فاذ كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعا خلقه اليوم القيامة وجامعهم بالموت كان أصوب القول فى ذلك أن يعم معنى الآية ما عمه الله بظاهرها وأن يقال كل دابة وكل طائر يحشرون الى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة اذ كان الله تعالى قد عم بقوله ثم الى ربهم يحشرون ولم يخصص به حشرا دون حشر فان قال قائل فما وجه قوله ولا طائر يطير بجناحيه وهل يطير الطائر الا بجناحيه فما فى الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة قيل قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه فى منطقهم خاطبهم فاذ كان من كلامهم اذا أرادوا المبالغة فى الكلام أن يقولوا ما طار لنا نبقى ومشيت اليه برجلى وضربته بيدى خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه فى كلامهم ويستعملونه فى خطابهم ومن ذلك قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة * القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته صم عن سماع الحق بكم عن القيل به فى الظلمات يعنى فى ظلمة الكفر سائرين فيها يقول هو مرتطم فى ظلمات الكفر لا يبصر آيات الله فيعتبر بها ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه فدبره وأحكم تدبيره وقدره أحسن تقدير وأعطاه القوة وصح له آلة جسمه لم يخلقه عبثا ولم يتركه سدى ولم يعطه ما أعطاه من الآلات الا لاستعمالها فى طاعته وما يرضيه دون

الآن يشاء الله والشئ الذى سيفعله غدا معدوم فى الحال فالشئ لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول أن

معصيته وما يسخطه فهو لحيرته فى ظلمات الكفر وتردده فى غمراتها غافل عما الله قد أثبت له فى أم الكتاب وما هو به فاعل يوم يحشر اليه مع سائر الامم ثم أخبر تعالى أنه المضل من يشاء اضلاله من خلقه عن الايمان الى الكفر والهادى الى الصراط المستقيم منهم من أحب هدايته فوفقه بفضله وطوله للايمان به وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه وانه لا يهتدى من خلقه أحد الا من سبق له فى أم الكتاب السعادة ولا يضل منهم أحد الا من سبق له فيها الشقاء وأن بيده الخير كله واليه الفضل كله له الخلق والامر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة صم وبكم هذا مثل الكافر أصم أبكم لا يبصر هدى ولا ينتفع به صم عن الحق فى الظلمات لا يستطيع منها خروجا له متسكع فيها القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين﴾ اختلف أهل العربية فى معنى قوله أرأيتكم فقال بعض نحويى البصرة الكاف التى بعد التاء من قوله أرأيتكم انما جاءت للمخاطبة وتركت التاء مفتوحة كما كانت للواحد قال وهى مثل كاف رويدك زيدا لانك أردت رويدا زيدا هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف لا رفع ولا نصب وانما هى فى المخاطبة مثل كاف ذلك ومثل ذلك قول العرب انصرك زيدا يدخلون الكاف للمخاطبة وقال آخرون منهم معنى أرأيتكم ان أتاكم أرأيتم قال وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد والتاء وحدها هى الاسم كما أدخلت الكاف التى تفرق بين الواحد والاثنين والجميع فى المخاطبة كقولهم هذا وذاك وتلك وأولئك فتدخل الكاف للمخاطبة وليست باسم والتاء هو الاسم للواحد والجميع تركت على حال واحدة ومثل ذلك قولهم ليسك ثم الازيد يراد ليس ولا سيك زيد فيراد ولا سيما زيد وبلاك فيراد لى فى معنى نعم ولبئسك رجلا ولنعمك رجلا وقالوا انظرك زيدا ما أصنع به وأبصرك ما أصنع به بمعنى أبصره وحكى بعضهم أبصركم ما أصنع به يراد أبصر واوانظركم زيدا أى انظروا وحكى عن بعض بنى كلاب اتعلمك كان أحد أشعر من ذى الرمة فأدخل الكاف وقال بعض نحويى الكوفة أرأيتك عمرا أكثر الكلام فيه ترك الهمز قال والكاف من أرأيتك فى موضع نصب كان الاصل أرأيت نفسك على غير هذه الحال قال فهذا يثنى ويجمع ويؤنث فيقال أرأيتما كما وأرأيتموكم وأرأيتن كن أوقع فعله على نفسه وسأله عنها ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع فقالوا أرأيتكم زيدا ما صنع وأرأيتكن زيدا ما صنع فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها فجعلوها بدلا من التاء كما قال هاؤم اقرؤا كتابيه وهاء يا رجل وهاؤما ثم قالوا هاكم كتنى بالكاف والميم مما كان بنى ويجمع فكان الكاف فى موضع رفع اذ كانت بدلا من التاء وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث وهى كقول القائل عليك زيدا الكاف فى موضع خفض والتاويل رفع فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الاسماء ثم تاتى بالاستفهام فيقال أرأيتك زيدا هل قام لانها صارت بمعنى أخبرنى عن زيد ثم بين عما يستخبر فهذا أكثر الكلام ولم يأت الاستفهام بعدها لم يقل أرأيتك هل قمت لانهم أرادوا ان يبينوا عن يسأل ثم تبين الحالة التى يسأل عنها وربما جاء بالخبر ولم يات بالاسم فقالوا أرأيت زيدا هل يأتينا وأرأيتك أيضا وأرأيت زيدا ان أتيته هل يأتينا اذا كانت بمعنى أخبرنى فيقال باللغات الثلاث وتأويل الكلام قل يا محمد لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام أخبرونى ان جاءكم أيها القوم عذاب الله كالذى جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصاعقة أو جاءتكم الساعة التى تنشرون فيها من قبوركم وتبعثون لموقف القيامة أغير الله هنالك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو الى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ان كنتم صادقين يقول ان

اخراج الأكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الأشياء والمخرج بهذا الاعتبار أقل عددا من الباقى وعن الثانى أن لفظ الشئ أعم الألفاظ ومتى صدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل أى شئ سؤال ولا بد له من جواب وهو إما مذكور أى قل الله أكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد أى وهو شهيد بينى وبينكم أو محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بينى وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سأل عن أكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك أن الله شهيد علم جزما أن أكبر الاشياء شهادة هو الله باقوله (ومن بلغ) فعطوف على ضمير المخاطبين والعائد الى من محذوف أى لأنذركم يا أهل مكة وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ أى من احتلم وبلغ أوان التكليف وعلى هذا لا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلاث جمل أولاها (قل لا أشهد) أى بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها (قل انما هو اله واحد) وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها (وانني برئ مما تشركون)

ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتى بالشهادتين ويضم

كنتم محقين فى دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التى تدعونها من دون الله تنفع أو تضر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا بالهؤلاء العادلين به الأوثان ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والانداد إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مستجيرين بشئ غير الله فى حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم بل تدعون هنالك ربكم الذى خلقكم وبه تستغيثون واليه تفزعون دون كل شئ غيره فيكشف ما تدعون اليه يقول فيفرج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم اليه عظيم البلاء النازل بكم ان شاء أن يفرج ذلك عنكم لانه القادر على كل شئ ومالك كل شئ دون ما تدعونه إلها من الأوثان والأصنام وتنسون ما تشركون يقول وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ما تشركونه مع الله فى عبادتكم اياه فتجعلونه له ندا من وثن وصنم وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه الها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام ومحذرهم أن يسلك بهم ان هم تمادوا فى ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الامم قبلهم فى تعجيل الله عقوبته لهم فى الدنيا ومخبرا نبيه عن سنته فى الدين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل لقد أرسلنا يا محمد الى أمم يعنى الى جماعات وقرون من قبلك فأخذناهم بالبأساء يقول فأمرناهم ونهيناهم فكذبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا فاحتبناهم بالابتلاء بالبأساء وهى شدة الفقر والضيق فى المعيشة والضراء وهى الاسقام والعلل العارضة فى الاجسام وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه اعرابه فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله لعلهم يتضرعون يقول فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا الى ويخلصوا العبادة ويفردوا رغبتهم الى دون غيرى بالتذلل منهم لى بالطاعة والاستكانة منهم الى بالانابة وفى الكلام محذوف قد استغنى بما دل عليه الظاهر عن اظهاره من قوله ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم وانما كان سبب أخذه اياهم تكذيبهم الرسل وخلافهم أمره لا ارسال الرسل اليهم واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى الكلام ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك رسلا فكذبوهم فأخذناهم بالبأساء والتضرع هو التفعل من الضراعة وهى الذلة والاستكانة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ وهذا أيضا من الكلام الذى فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الامم التى كذبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا ثم قال فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه اياهم بالبأساء والضراء ومعنى الكلام ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلم يتضرعوا فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ومعنى فلولا فى هذا الموضع فهلا والعرب اذا أولت لولا اسما مرفوعا جعلت ما بعدها خبرا ولتها بالامر فقالت فلولا أخوك لزرتك ولولا أبوك لضربتك واذا أولتها فعلا أولم تولها اسما جعلوها استفهاما فقالوا ولا جئتنا فنكرمك ولولا زرت أخالك فنزورك بمعنى هلا كما قال تعالى لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وكذلك تفعل بلو وما مثل فعلها بلولا فتأويل الكلام اذا فهلا اذ جاء بأسنا هؤلاء الامم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عند أخذناهم بالبأساء والضراء تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه وقد بينا معنى البأس فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ولكن قست قلوبهم يقول ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم استهانة بعقاب الله واستخفافا بعذابه وقساوة قلب منهم وزين لهم الشيطان ما كانوا

الهما التبرى عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركو مكة أنهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكره كذبهم الله تعالى بقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أى يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة فى الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون بغير أبنائهم (الذين خسروا أنفسهم) إما بدل أو بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين من أهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذى يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من أحد الا وله منزلة فى الجنة الا أن من كفر صارت منزلته الى من أسلم فيكون قد خسر نفسه وأهله بأن ورثت منزلته غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال (ومن أظلم) وذلك أنهم جمعوا بين أمرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول أن المشركين كانوا يقولون للاصنام انهم شركاء الله والله أمرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون أن التوراة والانجيل ناطقان بعدم النسخ وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لا تمسهم الا أياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثانى قدحهم فى القرآن وفى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله (انه لا يفلح الظالمون) الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال (ويوم نحشرهم) وناصبه

يعملون يقول وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخطها منهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فلما نسوا ما ذكروا به يعني تركوا ما ذكروا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله نسوا ما ذكروا به قال ما دعاهم الله اليه ورسله أبوه وردوه عليهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء يقول بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام استدراجا منا لهم كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فتحنا عليهم أبواب كل شيء قال رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء قال يعني الرخاء وسعة الرزق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء يقول من الرزق فان قال لنا قائل وكيف قيل فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم وأبواب أخر غيره كثيرة قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت من معناه وانما معنى ذلك فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا اياهم بالبأساء والضراء لينتضرعوا اذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله وذلك كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية ذكرهم بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه اياهم من ضيق العيش الى الرخاء والسعة ومن الضر في الأجسام الى الصحة والعافية وهو فتح أبواب كل شيء كان أغلق بابه عليهم مما جرى ذكره قبل قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء فرد قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء عليه ويعني تعالى بقوله حتى اذا فرحوا بما أوتوا يقول حتى اذا فرح هؤلاء المكذبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة والصحة في الأجسام كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حتى اذا فرحوا بما أوتوا من الرزق حدثنا الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يحدث عن حماد بن زيد قال كان رجل يقول رحم الله رجلا تلا هذه الآية ثم فكر فيها ماذا أريد بها حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبي رجاء من أهل الثغر عن عبد الله بن المبارك عن محمد بن النضر الحارثي في قوله أخذناهم بغتة قال أمهلوا عشرين سنة ويعني تعالى ذكره بقوله أخذناهم بغتة أتيناهم بالعذاب بغتة وهم غارون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة قال أعجب ما كانت اليهم وأعزها لهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أخذناهم بغتة يقول أخذهم العذاب بغتة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

محذوف أي ويوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو أدخل في الوعيد ويحتمل أن يكون مفعول واذكر أو معطوفا على محذوف أي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر (أين شركاؤكم) آلهتكم التي جعلتموهم شركاء (الذين كنتم تزعمون) هم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حيث لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ويجوز أن يحال بينهم وبين آلهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فتزداد حسرتهم ويحتمل أن يقال أين شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه أن يتقرر في نفوسهم أن الذي يظنونه مأيوسا منه فيصير ذلك تنبيها لهم في الدنيا على فساد هذه الطريقة (ثم لم تكن فتنتهم) من قرأ بالرفع على أنه اسم كان والخبر (الا أن قالوا) والتقدير شيء الا أن قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فبعكس ما قلنا والتقدير شيء الا أن قالوا وأما مع تأنيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك أو بتأويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان أن اذا وصلت بالفعل لم توصف فأشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما أن المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك ان كنت القائم كان جعل المضمر اسما أولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تأويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك أنه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم تهالكين في حبه ثم ذكر

أن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا ثم تكن الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على عدم التدين به

ومثاله أن ترى انسانا يحب شخصا مذموما محبتك لفلان الا أن تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هى شركهم فى الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لابد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمى فتنة لانه كذب قال القاضى بيان الجبائى، وأبو بكر ان أهل القيامة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون أن ذلك لا يروج منهم حينئذ ولا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز أن يقال انهم لما عاينوا القيامة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب أو انهم نسوا كونهم مشركين فى الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى أن يوبخهم ثم يحكى عنهم ما يجرى مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولأن تجويز نسيان أمر كان عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وأيضا انهم لو كذبوا فى موقف القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد أقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الآخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى فى ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذا الوجه فى الآية أن يقال ان القوم كانوا يعتقدون فى أنفسهم وظنونهم أنهم موحدون فأجابوا بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) أى فى اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما أخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين عند أنفسهم فيجب تأويل قوله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بأن المراد كذبهم فى دار الدنيا بقولهم انهم

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أخذناهم بغتة قال جاءة آمنين وأما قوله فاذا هم مبلسون فانه هالكون منقطعة حجتهم نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاذا هم مبلسون قال فاذا هم مهلكون متغير حالهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد فاذا هم مبلسون قال فاذا هم مهلكون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا هم مبلسون قال المبلس الذى قد نزل به الشر الذى لا يدفعه والمبلس أشد من المستكين وقرأ فاستكانوا لربهم وما يتضرعون وكان أول مرة فيه معاتبة وتقية وقرأ قول الله أخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا حتى بلغ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ثم جاء أمر ليس فيه تقية وقرأ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فجاء أمر ليس فيه تقية وكان الاول لو انهم تضرعوا كشف عنهم حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن أبى شريح ضبارة بن مالك عن أبى الصلت عن

(١) حرملة أبى عبد الرحمن عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطى عبده فى دنياه ما هو استدراج ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله والحمد لله رب العالمين وحدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يألون على معاصيهم اياه فانما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ الآية وأصل الابلاس فى كلام العرب عند بعضهم الحزن على الشئ والندم عليه وعند بعضهم انقطاع الحجة والسكوت عند انقطاع الحجة وعند بعضهم الخشوع وقالوا هو المخذول المتروك ومنه قول العجاج

ياصاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

فتأويل قوله وأبلسا عند الذين زعموا أن الابلاس انقطاع الحجة والسكوت عنده بمعنى أنه لم يحر جوابا وتأوله الآخرون بمعنى الخشوع وترك أهله اياه مقيما بمكانه والآخرون بمعنى الحزن والندم يقال منه أبلس الرجل ابلاسا ومنه قيل لابليس ابليس القول فى تأويل قوله (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) يعنى تعالى ذكره بقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم فلم يترك منهم أحد الا أهلك بغتة اذ جاءهم عذاب الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فقطع دابر القوم الذين ظلموا يقول فقطع أصل الذين ظلموا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا قال استؤصلوا ودابر القوم الذى يدبرهم وهو الذى يكون فى أدبارهم وآخرهم يقال فى الكلام قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم ومنه قول أمية

فأهلكوا بعذاب حص دابرهم * فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

والحمد لله رب العالمين يقول والثناء الكامل والشكر التام لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم من أهل الكفر وتحقيق عدته ما وعدهم على

(١) هو حرملة بن عمران وكنيته أبو حفص انظر الخلاصة

كفرهم

على صواب وان ماهم عليه ليس بشرك وان الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال (وضل عنهم) أى وانظر كيف غاب عنهم فى الآخرة (ما كانوا يفترون) أى يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الآية سيقت لبيان تضاد حالهم فى الدنيا وفى الآخرة بالكذب وبالصدق ولكن حيث لا ينفعهم الصدق لان الصدق فى الآخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق فى الدنيا هذا جملة كلام القاضيين(١) قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين فى اعتقادنا وكيف كذبوا على أنفسهم فى الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون فى القيامة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله ألا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا أن الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم فى سائر الأوقات ۞ التأويل ما فى الكون سوى الله لادعاء ولا محيب فلهذا يسأل ويجيب قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله وله ما سكن فى ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفى نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع أنين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق اليه قل أغير الله أتخذ اليوم وليا وقد اتخذنى الله فى الأزل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر أرض النفوس على عبوديته وهو يطعم أرواح العارفين طعام المشاهدات ويسقيهم كؤس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من أول من أسلم لانى خلصت من حبس

كفرهم بالله وتكذيبهم رسله من نقم الله وعاجل عذابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأصنام المكذبين بك أرأيتم أيها المشركون بالله غيره ان أصمكم الله فذهب بأسماعكم وأبصاركم فذهب بأبصاركم وختم على قلوبكم فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولا ولا تبصر واحجة ولا تفهموا مفهوما أى إله غير الله الذى له عبادة كل عابد يأتيكم به يقول يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الاسماع والأبصار والأفهام فتعبدوه أو تشركوه فى عبادة ربكم الذى يقدر على ذهابه ذلك منكم وعلى رده عليكم اذا شاء وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به يقول له قل لهم ان الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا وانما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع والقبض والبسط القادر على كل ما أراد لا العاجز الذى لا يقدر على شئ ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر كيف نصرف الآيات يقول انظر كيف نتابع عليهم الحجج ونضرب لهم الأمثال والعبر ليعتبروا ويذكروا فينيبوا ثم هم يصدفون يقول ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج وتنبيهنا اياهم بالعبر عن الادكار والاعتبار يعرضون يقال منه صدف فلان عنى بوجهه فهو يصدف صدوفا وصدفا اى عدل وأعرض ومنه قول ابن الرقاع

اذا ذكرن حديثا قلن أحسنه * وهن عن كل سوء يتقى صدف

﴿وقال لبيد﴾

يروى قواحم قبل الليل صادفة * أشباه جن عليها الريط والأزر

فان قال قائل وكيف قيل من اله غير الله يأتيكم به فوحد الهاء وقد مضى الذكر قبل بالجمع فقال أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم قيل جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع فتكون موحدة لتوحيد السمع وجائز أن تكون معنيا بها من اله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة فتكون موحدة لتوحيد ما والعرب تفعل ذلك اذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية وان كنر ما يكنى بها عنه من الافاعيل كقولهم إقبالك وإدبارك يعجبنى وقد قيل ان الهاء التى فى به كناية عن الهدى وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله يصدفون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يصدفون قال يعرضون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يصدفون قال يعدلون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله نصرف الآيات ثم هم يصدفون قال يعرضون عنها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم هم يصدفون قال يصدون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان المكذبين بأنك لى رسول اليهم أخبرونى ان أتاكم عذاب الله وعقابه على ما تشركون به ما تشركون من الأوثان والأنداد وتكذيبكم إياى بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى بغتة يقول فجأة على غرة لا تشعرون أو جهرة يقول أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون اليه هل يهلك الا القوم الظالمون يقول هل يهلك الله منا ومنكم الا من

(١) بمراجعة الفخر فى هذا المقام تعلم ما هنا اه كتبه مصححه غيره فالانوار عنده كالذرات

الوجود بالكلية وحدى ولهذا يقول هو وقت الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لأقوام والتوحيد لأقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة أزليته متصلة بدائرة أبديته وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهى الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب فضلوا فى ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بأنوار الشريعة فرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلذعات الاشواق الى يوم التلاق وقهر أرواح الصديقين بسطوات الجلال فى أوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة الخبير بمن يستأهل كل صنف من قهره فيقهره به الله أكبر شهادة لانه محيط بحقائق الأشياء ولا يحيط به شئ من الأشياء ومن بلغ القرآن ووقف على حقائقه ويقول للمشركين أئنكم لتشهدون الذين آتيناهم الكتاب يعنى العلماء بالقرآن يعرفون الله أو النبى وفيه اشارة الى أن الآباء قد تحقق عندهم أنهم مصادر الابناء فكذلك أهل المعرفة قد تحقق عندهم أن الله مصدر جميع الأشياء الذين خسروا أنفسهم بافساد الاستعداد الفطرى ويوم يحشرهم جميعا يعنى أهل المعرفة والنكرة أين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على أنفسهم فى القيامة لانهم كذبوا فى الدنيا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ﴿ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان

كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة وترك عبادة من يستحق علينا لعبادة وقد بينا معنى الجهر فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وأنها من الاجهار وهو اظهار الشئ للعين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جهرة فاروعهم ينظرون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة فجأة آمنين أو جهرة وهم ينظرون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره وما نرسل رسلنا الا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة جزاء منا لهم على طاعتنا وبانذار من عصانا وخالف أمرنا عقوبتنا اياه على معصيتنا يوم القيامة جزاء منا على معصيتنا النعذر اليه فيها لئلا يكون هلاك من هلك عن بينة فمن آمن وأصلح يقول فمن صدق من أرسلنا اليه من رسلنا انذارهم اياه وقبل منهم ما جاؤه به من عند الله وعمل صالحا فى الدنيا فلا خوف عليهم عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذى أعده الله لأعدائه وأهل معاصيه ولا هم يحزنون عند ذلك على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين كذبوا ممن أرسلنا اليه من رسلنا وخالفوا أمرنا نهينا وارادوا فعوا جتناف انهم يباشرهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذبوا به من حجتنا بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يكذبون وكان ابن زيد يقول كل فسق فى القرآن فمعناه الكذب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الىّ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المنكرين نبوتك لست أقول لكم انى الرب الذى له خزائن السموات والأرض وأعلم غيوب الاشياء الخفية التى لا يعلمها الا الرب الذى لا يخفى عليه شئ فتكذبونى فيما أقول من ذلك لانه لا ينبغى أن يكون ربا الا من له ملك كل شئ وبيده كل شئ ومن لا يخفى عليه خافية وذلك هو الله الذى لا اله غيره ولا أقول لكم انى ملك لانه لا ينبغى للملك أن يكون ظاهرا بصورته لأبصار البشر فى الدنيا فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك ان أتبع الا ما يوحى الىّ يقول قل لهم ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم اليه الا وحى الله الذى يوحيه الىّ وتنزيله الذى ينزله على نبى قد مضى لوحيه وأمر لأمره وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولى فى ذلك وليس الذى أقول من ذلك بمنكر فى عقولكم ولا مستحيل كونه بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة فما وجه انكاركم ذلك وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على موضع حجته على منكرى نبوته من مشركى قومه قل هل يستوى الأعمى والبصير يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم هل يستوى الأعمى عن الحق والبصير به والأعمى هو الكافر الذى قد عمى عن حجج الله فلا يتبعها فيتبعها والبصير المؤمن الذى قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها واستضاء بضيائها أفلا تتفكرون يقول لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله أفلا تتفكرون فيما أحتج عليكم به أيها القوم من هذه الحجج فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم اليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من اشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم وتكذيبكم اياى مع ظهور حجج صدقى لأعينكم فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون الى ما أدعوكم اليه من الايمان الذى به تفوزون ونحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

في قول الله تعالى قل هل يستوى الأعمى والبصير قال الضال والمهتدى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله قل هل يستوى الأعمى والبصير الآية قال الأعمى الكافر الذى عمى عن حق الله وأمره ونعمه عليه والبصير العبد المؤمن الذى أبصر بصرا نافعا فوحد الله وعمل بطاعة ربه وانتفع بما آتاه الله ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد بالقرآن الذى أنزلناه اليك القوم الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم فعلمنا منهم بأن ذلك كائن لهم مصدقون بوعد الله ووعيده عاملون بما يرضى الله دائمون فى السعى فيما ينقذهم فى معادهم من عذاب الله ليس لهم من دونه ولى أى ليس لهم من عذاب الله ان عذبهم ولى ينصرهم فيستنقذهم منه ولا شفيع يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه لعلهم يتقون يقول أنذرهم كى يتقوا الله فى أنفسهم فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم ويحذر واسخطه باجتناب معاصيه وقيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا ومعناه يعلمون أنهم يحشرون فوضعت الخافة موضع العلم لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم فى ذلك وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه ما أنزل الله اليه من وحيه وتذكيرهم والاقبال عليهم بالانذار وصده عن المشركين به بعد الاعذار اليهم وبعد اقامة الحجة عليهم حتى يكون الله هو الحاكم فى أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب جماعة من ضعفاء المسلمين قال المشركون له لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك ذكر الرواية بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو زيد عن أشعث عن كردوس الثعلبى عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وكذلك فتنا بعضهم ببعض الى آخر الآية حدثنا جرير عن أشعث عن كردوس الثعلبى عن عبد الله قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن أشعث عن كردوس عن ابن عباس قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش ثم ذكر نحوه حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا أسباط عن السدى عن أبى سعيد الأزدى وكان قارئ الأزد عن أبى الكنود عن خباب فى قول الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الى قوله فتكون من الظالمين قال جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا انا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل بهذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

الأساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ القراآت ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر فى ونكون الباقون بالرفع والدار الآخرة بالاضافة ابن عامر بتأويل الساعة الآخرة الباقون بتعريف الدار ورفع الآخرة على الوصفية يكذبونك بالتخفيف من أكذبه اذا

يكذبونك بنساء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك فى الاعراف

وجده كاذبا على ونافع والأعشى فى اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب أن ينزل بالتخفيف من

كثير ۞ الوقوف وقرأ ط بها ط الأولين ٥ وينأون عنه ج لابتداء النفى مع واو العطف وما يشعرون ٥ من المؤمنين ٥ من قبل ط لكاذبون ٥ يبعثون ٥ ربهم ط بالحق ط وربنا ط تكفرون ٥ بلقاء الله ط لأن حتى للابتداء فيها لا لأن الواو للحال على ظهورها ط يزرون ٥ ولهو ط يتقون ٥ تعقلون ٥ يجحدون ٥ نصرنا ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين ٥ بآية ط من الجاهلين ٥ يسمعون ٥ يرجعون ٥ من ربه ط لا يعلمون ٥ ۞ التفسير لما بين أحوال الكفار فى الآخرة أتبعه بعض أسباب ذلك فقال (ومنهم من يستمع اليك) قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر ابن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبى ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما تقول فى محمد فقال ما أدرى ما يقول الا انى أرى تحرك شفتيه بشئ وما يقول الا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الآية والأكنة جمع كنان وهو كل ما وقى شيأ وستره من الأغطية والقفل ومنه أكننت وكننت وأن يفقهوه مفعول لأجله أى كراهة فقههم والوقر الثقل فى الآذان والتركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم

يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين ثم قال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نتعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى عن أبى سعيد الأزدى عن أبى الكنود عن خباب بن الأرت بنحو حديث الحسين ابن عمرو الا أنه قال فى حديثه فلما رأوهم حوله نفر وهم فأتوه فخلوا به وقال أيضا فتكون من الظالمين ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية وقال أيضا فدعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم قد دنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه وساق الحديث نحوه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة و **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبى أن ناسا من كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ناسا من ضعفاء المسلمين فقال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية قال وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إن سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ناسا كانوا دونهم فى الدنيا ازدراهم المشركون فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها **حدثنى** محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بلال وابن أم عبد كانا يحالسان محمدا صلى الله عليه وسلم فقالت قريش محقرتهما لولاهما وأمثالهما لجالسناه فنهى عن طردهم حتى قوله ألبس الله بأعلم بالشاكرين قال قل سلام عليكم فيما بين ذلك فى هذا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه قال قال سعيد نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال كنا نسبق الى النبى صلى الله عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش يدنى هؤلاء دوننا فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الآية قال جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحرث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل فى أشراف من بنى عبد مناف من الكفار الى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم فى صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون وعلام يصيرون من قولهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الى قوله ألبس الله بأعلم بالشاكرين قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبى حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود وابن

وفى الآية دلالة على أن الله تعالى هو الذى يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لايمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم فى قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلابد من التأويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائى ان القوم كانوا يسمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا بسماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقى على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل وزيف بأن المراد لو كان ذلك لقيل أن يسمعوه بدل أن يفقهوه وبأن

ابن القارى وواقد بن عبد الله الحنظلى وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ومرثد بن أبى مرثد وأبو مرثد من غنى حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا الآية فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته فأنزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى أستحيى من الله أن يرانى مع سلمان وبلال وذويهم فاطردهم عنك وجالس فلانا وفلانا قال فنزل القرآن ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقرأ حتى بلغ فتكون من الظالمين مابينك وبين أن تكون من الظالمين الا أن تطردهم ثم قال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ثم قال وهؤلاء الذين أمرك أن تطردهم فأبلغهم منى السلام وبشرهم وأخبرهم أنى قد غفرت لهم وقرأ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فقرأ حتى بلغ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قال لتعرفها * واختلف أهل التأويل فى الدعاء الذى كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم يدعون ربهم به فقال بعضهم هى الصلوات الخمس ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى الصلوات المكتوبة **حدثنا** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أبى حمزة عن ابراهيم فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال هى الصلوات الخمس الفرائض ولو كان يقول القصاص هلك من لم يجلس اليهم **حدثنا** هناد بن السرى وابن وكيع قالا ثنا ابن فضيل عن الأعمش عن ابراهيم ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال هى الصلاة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الصلاة المفروضة الصبح والعصر **حدثنى** موسى بن عبد الرحمن الكندى قال ثنا حسن الجعفى قال أخبرنى حمزة بن المغيرة عن جرير بن عيسى قال دخلت على الحسن فسألته فقلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى أهم هؤلاء القصاص قال لا ولكنهم المحافظون على الصلوات فى الجماعة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال الصلاة المكتوبة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال يعبدون ربهم

قوله وان يروا كل آية أى كل دليل وحجة لايؤمنوا بها لايناسبه * الثانى أن المكلف الذى علم الله تعالى أنه لايؤمن وأنه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة لتستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع أنها فى نفسها ليست بمانعة عن الايمان * الثالث يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل * الرابع لما منعهم الالطاف التى تصلح أن تفعل بالمهتدين وفوض أمورهم الى أنفسهم لم يبعد أن يضيف ذلك الى نفسه * الخامس أن هذا حكاية قولهم فى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب * وعورضت هذه الأدلة بالعلم والداعى وذلك أن الله تعالى علم من الكافر أنه لايؤمن وخلاف علمه محال وأنه سبحانه هو الذى خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم فى أول سورة البقرة فى قوله ختم الله على قلوبهم والافراد فى يستمع والجمع فى قلوبهم اعتبار اللفظ من تارة ولمعناه أخرى (حتى اذا جاؤك) هى حتى المبتدأة التى يقع بعدها الجمل كقوله * حتى ماء دجلة أشكل * والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء

(١٧ - ابن جرير - سابع) أعنى قوله اذا جاؤك يقول ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون حتى جارة أى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحاله ويقول تفسيره والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بأنهم يقولون (ان هذا الا أساطير الأولين) وأصل السطر هو أن يجعل شيأ ممتدا مؤلفا فى صف ومنه سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه أسطار وجمع الجمع أساطير وقال الزجاج واحد الاساطير أسطورة كأحاديث وأحدوثة وقال أبو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معناه أحاديث الاولين

التى كانوا يسطرونها أى يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى أن الأغلب هو أن لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث سم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح فى كون القرآن معجزا كما أن الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب أن هذا مقرون بالتحدى وقد عجزوا عن آخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم أكد طعنهم فى القرآن بقوله (وهم ينهون عنه) قال محمد بن الحنفية وابن عباس فى رواية والسدى والضحاك عن القرآن وتدبره والاستماع له (وينأون عنه) والنأى البعد نأيته ونأيت عنه وناء الرجل اذا بعد لغة فى نأى وحملوه على القلب لأن المصدر لم يجئ الا على النأى وقيل الضمير للرسول والمراد النهى عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين قبيحين النأى والنهى فضلوا وأضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس أنها نزلت فى أبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عما جاء به روى أن قريشا اجتمعوا الى أبى طالب يريدون سوأ بالنبى صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم

حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا
وعرضت دينا لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذارى سبة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وضعفت هذه الرواية بقوله (ان يهلكون الا أنفسهم) يعنى بما تقدم ذكره ولكن النهى عن أذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن أن يجاب بأن الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهى مع النأى كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولو سلم فلم لا يجوز أن يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين أنه كيف يعود الضرر اليهم فقال (ولو ترى اذ وقفوا على النار) وجواب لو محذوف أى لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك ومما حذفه للعلم به ولما فى الحذف من تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى أنواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لأضربنك ولمثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضى

بالغداة والعشى يعنى الصلاة المفروضة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى هما الصلاتان صلاة الصبح وصلاة العصر **حدثنى** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع عن عبد الله بن عمر فى هذه الآية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية انهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قالا الصلوات الخمس **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال المصلين المؤمنين بلال وابن أم عبد * قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما أسرعهم الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتأولون ما قال الله تعالى قال وما قال قلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال وفى هذا انما ذاك فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن انما ذاك فى الصلاة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن أبيه عن منصور عن عبد الرحمن بن أبى عمرة قال الصلاة المكتوبة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال هى الصلاة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن أبيه عن اسرائيل عن عامر قال هى الصلاة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه يقول صلاة الصبح وصلاة العصر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال صلى عبد الرحمن فى مسجد الرسول فلما صلى قام فاستند الى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فانثال الناس عليه فقال يا أيها الناس اليكم فقيل يرحمك الله انما جاؤا يريدون هذه الآية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فقال وهذا عنى بهذا انما هو فى الصلاة * وقال آخرون هى الصلاة ولكن القوم لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ولا تأخيرهم عن مجلسه وانما سألوه تأخيرهم عن الصف الاول حتى يكونوا وراءهم فى الصف ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية فهم أناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم من الفقراء فقال أناس من أشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخرهؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا * وقال آخرون بل معنى دعائهم كان ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى **وحدثنا** هناد قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أهل الذكر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال هم أهل الذكر **حدثنا** ابن حميد

مع اذا الدال على المضى كأن هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه أن يخبر عنه بلفظ الماضى أى وقفوا على أن يدخلوا النار وهم يعاينونها أو وقفوا عليها وهى تحتهم أو هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقوفا أى عرفوا حقيقتها تعريفا أو المراد أنهم فى جوف النار غائصين فيها فتكون على بمعنى فى وجاز لأن النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء (يالينتنا نرد) هو داخل فى حكم التمنى أما قوله ولا نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب فيهما فباضمار أن على جواب التمنى والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب

ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان أحدهما أن التمنى يتم عند قوله نرد ثم ابتدؤا ولا نكذب ونكون أى ونحن لا نكذب ونكون كأنهم ضمنوا أن لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد أو لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعنى ولا أعود بمعنى دعنى وأنا لا أعود ترکتنى أو لم تتركنى وثانيهما أن يكونا معطوفين على نرد أو حالين على معنى يالينتا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمنى وأورد على هذا الوجه أن المتمنى لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون وأجيب بأن هذا التمنى قد تضمن معنى الوعد فجاز أن يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقنى مالا فأحسن اليك فهذا متمن فى حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب لانه كأنه قال ان رزقنى الله مالا أحسنت اليك وأما قراءة ابن عامر فعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم بأنهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذى شاهدوه وعاينوه فقال (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) وما الذى كانوا يخفونه فى الدنيا قال أكثر المفسرين ان المشركين فى بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم وأعمالهم وسوء عاقبتها وذلك أن كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيامة وقال الزجاج بدا لاتباع ما أخفاه الرؤساء منهم من أمر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها فى المنافقين كانوا

قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال لا تطردهم عن الذكر * وقال آخرون بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته ذكر من قال ذلك حدثنى التى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال كان يقرئهم القرآن النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بدعائهم ربهم عبادتهم اياه ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال يعنى يعبدون ألا ترى أنه قال لا جرم أنما تدعوننى اليه يعنى تعبدونه * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى نهى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلاما وقد يكون بالعمل له بالجوارح الاعمال التى كان عليهم فرضها وغيرها من النوافل التى ترضى والعامل له عابده بما هو عامل له وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعانى كلها فوصفهم الله بذلك بانهم يدعونه بالغداة والعشى لان الله قد سمى العبادة دعاء فقال تعالى ذكره وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى فيعمون بالصفة التى وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشئ دون شئ فتأويل الكلام اذا يا محمد أنذر بالقرآن الذى أنزلته اليك الذين يعلمون أنهم الى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذى لا شفيع لهم من دونه ولا نصير فى العمل له دائمون اذ أعرض عن انذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك استكبارا على الله ولا تطردهم ولا تقصهم فتكون ممن وضع الاقصاء فى غير موضعه فأقصى وطرد من لم يكن له طرده واقصاؤه وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وادناؤه فان الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوعهم وذكرهم اياه بألسنتهم بالغداة والعشى يلتمسون بذلك القربة الى الله والدنو من رضاه ما عليك من حسابهم من شئ يقول ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شئ وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شئ فتطردهم حذار محاسبتى اياك بما خولتهم فى الدنيا من الرزق وقوله فتطردهم جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب لقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض وكذلك اختبرنا وابتلينا كالذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكذلك فتنا بعضهم ببعض يقول ابتلينا بعضهم ببعض وقد دللنا فيما مضى من كتابنا

يسرون الكفر فيظهر نفاقهم على رؤس الاشهاد يوم القيامة وقيل هو فى أهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله والاولى حمل الآية على الكل لانه يوم تبلى السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح وتنكشف الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيآتنا فى ذلك اليوم ثم قال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) قيل كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى حينئذ بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال وأجاب القاضى بأن المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا تبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بأن المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة فى غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم الى حالة التكليف زال التعجب كما هو الآن فاذن لا تحصل العقدة الا بأن يقال المراد توكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم سألوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم ينجع ذلك فيهم (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا فى ضمن التمنى أو فى كل شئ ولهذا قالوا (ان هى الا حياتنا الدنيا) ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحياة المعلومة فى الاذهان ولهذا أضيف الى ضمير جمع المتكلم أى ما الناحياة الا هذه الحياة التى هى أقرب الينا (وما نحن بمبعوثين) بعدها وقيل ان تقدير الآية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولأنكروا البعث ولقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) تمسك بعض المشبهة بهذا على أنه تعالى يحضر تارة ويغيب أخرى ورد بأن استعلاء شئ على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تأويل الآية بأنه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى مولاه للعتاب أو المضاف محذوف أى على جزاء ربهم أو وعده أو اخباره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين أو هو من قولك وقفته على كذا أى أطلعته عليه ثم كان لسائل أن يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فأجيب (قال أليس هذا) الذى عاينتموه من حديث البعث والجزاء (بالحق) الذى حدثتموه (قالوا بلى وربنا) وفيه دليل على أن حالهم فى الانكار سيؤل الى الاقرار ثم كأنه سئل ماذا قيل لهم بعد الاقرار فأجيب (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم وذلك ليعلم أن الاقرار فى غير دار التكليف

هذا على معنى الفتنة وأنها الاختبار والابتلاء بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وانما فتنة الله تعالى بعض خلقه ببعض مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الارزاق والأخلاق فجعل بعضا غنيا وبعضا فقيرا وبعضا قويا وبعضا ضعيفا فأحوج بعضهم الى بعض اختبارا منه لهم بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء فقال الاغنياء للفقراء أهؤلاء من الله عليهم من بيننا يعنى هداهم الله وانما قالوا ذلك استهزاء وسخرية وأما قوله ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا يقول تعالى اختبرنا الناس بالغنى والفقر والعز والذل والقوة والضعف والهدى والضلال كى يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحق للذين هداهم الله ووفقهم أهؤلاء من الله عليهم بالهدى والرشد وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ونحن أغنياء أقوياء استهزاء بهم ومعاداة للاسلام وأهله يقول تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين وهذا منه تعالى اجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق وخذلهم عنه وهم أغنياء وتقرير لهم أنا أعلم بمن كان من خلقى شاكرا نعمتى ممن هو لها كافر فمنى على من مننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره اياى على نعمتى وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبة كفرانه اياى نعمتى لا الغنى الغنى منهم ولا الفقر الفقير لان الثواب والعقاب لا يستحقه أحد الا جزاء على عمله الذى اكتسبه لا على غناه وفقره لان الغنى والفقر والعجز والقوة ليس من أفعال خلقى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم﴾ اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله تعالى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها الذين نهى الله نبيه عن طردهم وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه * وقال آخرون عنى بها قوما استفتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى ذنوب أصابوها عظاما فلم يؤيسهم الله من التوبة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن مجمع قال سمعت ماهان قال جاء قوم الى النبى صلى الله عليه وسلم قد أصابوا ذنوبا عظاما قال ماهان فما اخاله رد عليهم شيأ قال فأنزل الله هذه الآية واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن مجمع عن ماهان أن قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا أصبنا ذنوبا عظاما فما اخاله رد عليهم شيأ فانصرفوا فأنزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة قال فدعاهم فقرأها عليهم حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجمع التيمى قال سمعت ماهان يقول فذكر نحوه * وقال آخرون بل عنى بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبى صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم فكان ذلك منهم خطيئة فغفرها الله لهم وعفا عنهم وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا أتوه

يشرهم بان قد غفر لهم خطيئتهم التى سلفت منهم بمشورتهم على النبى صلى الله عليه
سلم بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد وقد ذكرنا
وايتهما عنهما بذلك قبل * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بتأويل الآية قول من قال المعنيون
بقوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم غير الذين نهى الله النبى صلى الله
عليه وسلم عن طردهم لان قوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا خبر مستأنف بعد تقضى
الخبر عن الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم ولو كانوا هم لقيل واذا جاؤك فقل
سلام عليكم وفى ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الاولين ما ينبئ
عن أنهم غيرهم فتأويل الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا واذا جاءك يا محمد القوم الذين
يعتذرون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا فيقرون بذلك قولا وعملا مسترشدينك عن ذنوبهم التى سلفت
منهم بينى وبينهم هل لهم منها توبة فلا تؤيسهم منها وقل لهم سلام عليكم أمنة الله لكم من
عقوبة ربكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها كتب ربكم على نفسه الرحمة يقول قضى ربكم
بالرحمة بخلقه أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم * واختلفت
القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدنيين أنه من عمل منكم سوأ فيجعلون أن منصوبة على
الرحمة بها عن الرحمة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم على ائتناف انه بعد الفاء
بكسرونها و يجعلونها أداة لا موضع لها بمعنى فهو له غفور رحيم أو فله المغفرة والرحمة وقرأهما
بعض الكوفيين بفتح الالف منهما جميعا بمعنى كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم ترجم بقوله أنه
من عمل منكم سوأ بجهالة عن الرحمة فأنه غفور رحيم فيعطف فأنه الثانية على أنه الاولى
ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء أهل العراق من
الكوفة والبصرة بكسر الالف من انه وانه على الابتداء وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما
* وأولى القراآت فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأهما بالكسر كتب ربكم على نفسه
الرحمة إنه على ابتداء الكلام وأن الخبر قد انتهى عند قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
ثم استؤنف الخبر عما هو فاعل تعالى ذكره بمن عمل سوأ بجهالة ثم تاب وأصلح منه ومعنى
قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة انه من اقترف منكم ذنبا بجهل باقترافه اياه ثم تاب وأصلح
فان الله غفور لذنبه اذا تاب وأناب وراجع العمل بطاعة الله وترك العود الى مثله مع الندم على
فرطه منه رحيم بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال
جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد
الأحمر عن عثمان عن مجاهد من عمل منكم سوأ بجهالة قال من جهل انه لا يعلم حلالا
من حرام ومن جهالته ركب الامر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن
الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد يعملون السوء
بجهالة قال من عمل بمعصية الله فذاك منه جهل حتى يرجع حدثنى الحرث قال ثنا عبد

يفع وذلك أن جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا العالم الجسمانى الكثيف وأعطى الآلات الجسمانية لتحصيل المعارف
ينية والاخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد فى تحصيل اللذات الفانية
عادات المنقطعة الى أن ينقضى أجله فقد ضاع رأس المال ولا ربح وذلك قوله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أى ببلوغ الآخرة وثوابها
تها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لأحد هناك الا الله بخلاف الدنيا فانه قد يظن أن للانسان تصرفا

واختيارا وملكا وملكا وجعل اللقاء على الرؤية أيضا غير بعيد عند أهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له أى لم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجىء الساعة بل وقت موتهم فان أمارات السعادة والشقاوة تلوح على صفحات أحوال المكلف من وقتئذ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته وسمى يوم القيامة الساعة لسرعة الحساب فيه كأنه قيل ما هو الا ساعة الحساب أو لأنها تفجأ الناس فى ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال (بغتة) أى فجأة وانتصابها على الحال أى باغتة من بغته اذا فاجأه أو على المصدر العام أى بغتتهم الساعة بغتة أو الخاص لان البغت نوع من المجىء (قالوا) عامل اذا (ياحسرتنا) مثل يا ويلتى وقد مر مثله فى سورة المائدة أى احضرى فهذا وقتك (على ما فرطنا) أصله يدل على الترك والهمزة فى الافراط لازالة ذلك وقولهم فرطت القوم أى سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائى حتى حصل لى التقدم أما الضمير فى (فيها) فقال ابن عباس أى فى الدنيا وان لم يجر لها ذكر فى الآية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن أى فى

ان الساعة على معنى قصرنا فى شأنها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبرى يعود الى الصفقة والمبايعة
لدلالة ذكر الخسران وقيل الى ما فى ما فرطنا أى ياحسرتنا على الاعمال والطاعات التى تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم
بانهم لم يحصلوا لأنفسهم مواجب الثواب ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) هى الآثام والخطايا
أصل الوزر الثقل ومنه الوزير لأنه يحمل ثقل صاحبه والوزر الملجأ لانه يدفع عنه ما أصابه فكأنه حماه أما كيفية حملهم الأوزار فقال فى

الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدى وقال الزجاج الثقل قديذكر فى الحال والصفة ثقل على خطاب فلان أى كرهته فالمعنى أنهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة ثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عينى أى ذكرك ملازم لى وقال جمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أحسن الاشياء صورة وأطيبها ريحا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى أنت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شئ هو أقبح الاشياء صورة وأخبثها ريحا فيقول أنا عملك الفاسد طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم قاله قتادة والسدى (ألا ساء مايزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم ثم رغب فى الحياة الباقية وزهد فى الحياة العاجلة فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) قال ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفاق لان حياة المؤمن تحصل فيها أعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا وقال آخرون هو عام فى حياة المؤمن والكافر وذلك أن مدة اللهو واللعب وكل شئ يلهيك ويشغلك مما لا أصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحياة كذلك وأيضا اللعب واللهو لابد أن يتناهيا فى أكثر الامر الى شئ من المكاره ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون (وللدار الآخرة) قال ابن عباس هى الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصى وقال الاصم التمسك بعمل الآخرة خير وقال الآخرون نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة عن شوائب الآفات والمخافات آمنة من نقص الانقضاء والانقراض (للذين يتقون) فيه أن هذه الخيرية انما تحصل لمن اتقى الكفر والمعاصى وأما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة والانداد

اليهما خير كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (أفلا تعقلون) قال الواحدى من قرأ بتاء الخطاب فالمعنى قل لهم أفلا تعقلون أيها المخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التى يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان أمر تلك الحيوانات فيها أكمل فالجمل أكثر أكلا والديك والعصفور أكثر

العزيز قال ثنا بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد فى قوله من عمل منكم سوأ بجهالة قال كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا خالد بن دينار أبو خلدة قال كنا اذا دخلنا على أبى العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك نفصل الآيات وكما فصلنا لك فى هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد الى هذا الموضع حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا وميزناها لك وبيناها كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا فى كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم فنبينها لك حتى تبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولتستبين سبيل المجرمين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين بنصب السبيل على أن تستبين خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كأن معناه عندهم ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين وكان ابن زيد يتأول ذلك ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين الذين سألوك طرد النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولتستبين سبيل المجرمين قال الذين يأمرونك بطرد هؤلاء وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين ولتستبين بالتاء سبيل المجرمين برفع السبيل على أن القصد للسبيل ولكنه يؤنثها وكأن معنى الكلام عندهم وكذلك نفصل الآيات ولتتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وليستبين بالياء سبيل المجرمين برفع السبيل على ان الفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه ومعنى هؤلاء فى هذا الكلام ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فى ولتستبين ورفع السبيل واحد وانما الاختلاف بينهم فى تذكير السبيل وتأنيثها * وأولى القراءتين بالصواب عندى فى السبيل الرفع لان الله تعالى ذكره فصل آياته فى كتابه وتنزيله ليتبين الحق بها من الباطل بجميع من خوطب بها الا بعض دون بعض ومن قرأ السبيل بالنصب فانما جعل تبيين ذلك محصورا على النبى صلى الله عليه وسلم وأما القراءة فى قوله ولتستبين فسواء قرئت بالتاء أو بالياء لان من العرب من يذكر السبيل وهى تميم وأهل نجد ومنهم من يؤنث السبيل وهم أهل الحجاز وهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار ولغتان مشهورتان من لغات العرب وليس فى قراءة ذلك باحداهما خلاف لقراءته بالاخرى ولا وجه لاختيار احداهما على الاخرى بعد أن يرفع السبيل للعلة التى ذكرنا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله نفصل الآيات قال أهل التأويل **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكذلك نفصل الآيات نبين الآيات **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى نفصل الآيات نبين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك العادلين به الاوثان

والاندادالذين يدعونك الى موافقتهم على دينهم وعبادة الاوثان ان الله نهانى أن أعبد الذين تدعون من دونه فلن أتبعكم على ماتدعونى اليه من ذلك ولا أوافقكم عليه ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه وان فعلت ذلك فقد تركت محجة الحق وسلكت على غير الهدى فصرت ضالا مثلكم على غير استقامة والعرب فى ضلالت لغتان فتح اللام وكسرها واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها وبها قرأ عامة قراء الامصار وبها نقرأ لشهرتها فى العرب وأما الكسر فليس بالغالب فى كلامها والقراءبها قليلون فمن قال ضلالت قال أضل ومن قال ضللت قال فى المستقبل أضل وكذلك القراءة عندنا فى سائر القرآن وقالوا أئذا ضللنا بفتح اللام ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ماعندى ماتستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى الاشراك بربك إنى على بينة من ربى أى انى على بيان قد تبينته وبرهان قد وضح لى من ربى يقول من توحيده وما أنا عليه من اخلاص عبوديته من غير اشراك شئ به وكذلك تقول العرب فلان على بينة من هذا الامر اذا كان على بيان منه ومن ذلك قول الشاعر

أبينة تبغون بعد اعترافه * وقول سويد قد كفيتكم بشرا

وكذبتم به يقول وكذبتم أنتم ربكم والهاء فى قوله به من ذكر الرب جل وعز ماعندى ماتستعجلون به يقول ما الذى تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدى ولا أنا على ذلك بقادر وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده فدعاهم الى الله وأخبرهم أنه رسوله اليهم هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا للقرآن هو أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو اختلاق اختلقه وقال آخرون بل محمد شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك وانما أنت رسول وليس عليك الا البلاغ لما أرسلت به وان الله يقضى الحق فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين المحق منكم والمبطل وهو خير الفاصلين أى وهو خير من بين وميز بين المحق والمبطل وأعدلهم لانه لا يقع فى حكمه وقضائه حيف الى أحد لوسيلة له اليه ولا لقرابة ولا لمناسبة ولا فى قضائه جور لانه لا يأخذ الرشوة فى الاحكام فيجور فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين وقد ذكر لنا فى قراءة عبد الله وهو أسرع الفاصلين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى قراءة عبد الله يقضى الحق وهو أسرع الفاصلين * واختلفت القراء فى قراءة قوله يقضى الحق فقرأ عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء أهل الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقص الحق بالصاد بمعنى القصص وتأولوا فى ذلك قول الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وذكر ذلك عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال يقص الحق وقال نحن نقص عليك أحسن القصص * وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقضى الحق بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء

والالداد الذين يدعونك الى موافقتهم على دينهم وعبادة الاوثان ان الله نهانى أن أعبد الذين تدعون من دونه فلن أتبعكم على ماتدعونى اليه من ذلك ولا أوافقكم عليه ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه وان فعلت ذلك فقد تركت محجة الحق وسلكت على غير الهدى فصرت ضالا مثلكم على غير استقامة والعرب فى ضلالت لغتان فتح اللام وكسرها واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها وبها قرأ عامة قراء الامصار وبها نقرأ لشهرتها فى العرب وأما الكسر فليس بالغالب فى كلامها والقراءبها قليلون فمن قال ضلالت قال أضل ومن قال ضللت قال فى المستقبل أضل وكذلك القراءة عندنا فى سائر القرآن وقالوا أئذا ضللنا بفتح اللام ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ماعندى ماتستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى الاشراك بربك إنى على بينة من ربى أى انى على بيان قد تبينته وبرهان قد وضح لى من ربى يقول من توحيده وما أنا عليه من اخلاص عبوديته من غير اشراك شئ به وكذلك تقول العرب فلان على بينة من هذا الامر اذا كان على بيان منه ومن ذلك قول الشاعر

أبينة تبغون بعد اعترافه * وقول سويد قد كفيتكم بشرا

وكذبتم به يقول وكذبتم أنتم ربكم والهاء فى قوله به من ذكر الرب جل وعز ماعندى ماتستعجلون به يقول ما الذى تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدى ولا أنا على ذلك بقادر وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده فدعاهم الى الله وأخبرهم أنه رسوله اليهم هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا للقرآن هو أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو اختلاق اختلقه وقال آخرون بل محمد شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك وانما أنت رسول وليس عليك الا البلاغ لما أرسلت به وان الله يقضى الحق فيهم وفيك ويفصل به بينك وبينهم فيتبين المحق منكم والمبطل وهو خير الفاصلين أى وهو خير من بين وميز بين المحق والمبطل وأعدلهم لانه لا يقع فى حكمه وقضائه حيف الى أحد لوسيلة له اليه ولا لقرابة ولا لمناسبة ولا فى قضائه جور لانه لا يأخذ الرشوة فى الاحكام فيجور فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين وقد ذكر لنا فى قراءة عبد الله وهو أسرع الفاصلين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى قراءة عبد الله يقضى الحق وهو أسرع الفاصلين * واختلفت القراء فى قراءة قوله يقضى الحق فقرأ عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء أهل الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقص الحق بالصاد بمعنى القصص وتأولوا فى ذلك قول الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وذكر ذلك عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال يقص الحق وقال نحن نقص عليك أحسن القصص * وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة والبصرة ان الحكم الا لله يقضى الحق بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء

من سلطان قاهر بكرة صار تحت التراب عشية وكم من متمول متغلب أصبح أميرا كبيرا ثم أمسى فقيرا حقيرا وهب أنه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلن يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما يخلص من شوائب المكاره والآفات كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل وما هو يارسول الله قال سرور يوم بتمامه وهب أن الدست له قد تم أليس مآل كل ذلك الى الزوال والانقراض وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال

كمال الغم عندى فى سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا

ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال (قد نعلم) والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر فى قوله قد نرى تقلب وجهك والهاء فى (انه) ضمير الشأن وكسرت بعد العلم لمكان لام الابتداء فى (ليحزنك) وماذلك المحزن قال الحسن هو قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل تصريحهم بانهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب (فانهم لا يكذبونك) قال أبو على وثعلب أكذبه وكذبه بمعنى وقيل أكذبت الرجل ألفيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائى أكذبته اذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا أخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى أكذبته الذى أتى به كذب فى نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب وأتى به على سبيل الافتعال والقصد فمن قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ماذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل تخيل صحة ذلك وانه نبى الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الآية يقتضى انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم ولكنهم يجحدون بآيات الله وفى الجمع بين الامرين وجوه الاول أن

القوم ما كانوا يكذبونه فى السر ولكنهم كانوا يكذبونه فى العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية السدى ان الاخنس بن شريق وأبا جهل بن هشام التقيا فقال الاخنس لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيرى فقال أبو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال أبو ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأبى جهل وأصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت فى الحرث بن عامر بن نوفل كان يكذب النبى صلى الله عليه وسلم فى العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه الا صادقا فاذن هذه الآية نظير قوله تعالى فى قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر الثانى فى تأويل الآية أنهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لأنهم اعتقدوا أن محمدا عرض له نوع خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل أنه رسول لا أنه كذب فى نفسه أولانهم زعموا انه أمين فى كل الامور الا فى هذا الواحد الثالث أنه لما ظهرت المعجزات على يده ثم ان القوم أصروا على التكذيب فقال له ان القوم ما كذبوك وانما كذبونى ونحوه قول السيد لغلامه اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانونى ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكأنه قيل له انه عن حزنك لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه الرابع قيل فى التفسير الكبير أى لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقا ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فى جحودهم لان من وضع التكذيب مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على أذية القوم فقال (ولقد كذبت رسل) وأى رسل (من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) فأنت أولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلائق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (ولا مبدل لكلمات الله)

واعتبروا صحة ذلك بقوله وهو خير الفاصلين وان الفصل بين المختلفين انما يكون بالقضاء لا بالقصص وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لاهلها من العلة فمعنى الكلام اذا ما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بينى وبينكم الا لله الذى لا يجور فى حكمه وبيده الخلق والامر يقضى الحق بينى وبينكم وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والاوثان المكذبيك فيما جئتهم به السائليك أن تأتيهم بآية استعجالا منهم بالعذاب لو أن بيدى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلى لكم ما تسألونى من ذلك وتستعجلونه ولكن ذلك بيد الله الذى هو أعلم بوقت ارساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التى لا تنبغى أن تكون الا لله فى غير موضعها فيعبدون من دونه الآلهة والاصنام وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وحال القضاء بينى وبينهم وقد قيل معنى قوله لقضى الامر بينى وبينكم الذبح للموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن ابن جريج قال بلغنى فى قوله لقضى الامر قال ذبح الموت وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل فى قضاء الامر وليس قوله لقضى الامر بينى وبينكم من ذلك فى شئ وانما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها لو أن العذاب والآيات بيدى وعندى لعاجلتكم بالذى تسألونى من ذلك ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه منى ومن جميع خلقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر﴾ يقول وعنده مفاتح الغيب والمفاتح جمع مفتح يقال فيه مفتح ومفتاح فمن قال مفتح جمعه مفاتح ومن قال مفتاح جمعه مفاتيح ويعنى بقوله وعنده مفاتح الغيب خزائن الغيب كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وعنده مفاتح الغيب قال يقول خزائن الغيب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال أعطى نبيكم كل شئ الا مفاتح الغيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وعنده مفاتح الغيب قال هن خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى ان الله عليم خبير فتأويل الكلام اذا والله أعلم بالظالمين من خلقه وما هم مستحقوه وما هو بهم صانع فان عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه ويعلم ما فى البر والبحر يقول وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم لان ما فى البر والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد فكان معنى الكلام وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى عليه

أى لمواعيده فى نحو قوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلى وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبا المرسلين) قال الاخفش من زائدة والأصح أنها للتبعيض لقلة مجىء زيادة من فى الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض أنبائهم وكان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاءه به فنزلت (وان كان كبر) أى شق (عليك اعراضهم) عن الايمان وصحة القرآن (فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية) فافعل يعنى أنك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلاليم التى يرتقى عليها وأصله من السلامة كأنه يسلمك الى مصعدك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن يأتى بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها وبكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم ويجوز أن يكون ابتغاء النفق أو السلم هو الآية كأنه قيل لو استطعت ذلك لفعلت كل ذلك ليكون لك آية يؤمنون عندها ثم قال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال أهل السنة فيه دليل على أنه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافى للتكليف والالجاء هو أن يعلمهم أنهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثاله أن يحصل شخص بحضرة السلطان وهناك خدمه وحشمه فيعلم أنه لو هم بقتل ذلك السلطان لقتلوه فى الحال فيصير هذا العلم مانعا له من القتل وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا أما قوله (فلا تكونن من الجاهلين) أى من الذين يرومون خلاف مأمور الله فهذا النهى لا يقتضى اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتأكيد الامتناع عن الجزع والاضراب عن الحزن والاسف على ايمان من لم يشأ الله ايمانه ثم بين السبب فى كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد أنه تعالى هو الذى يقدر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الايمان وأنت لا تقدر على ذلك يعنى ان الذين تحرص على حصول ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع

عليه شئ لانه لا شئ الا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم فأخبر الله تعالى أن عنده علم كل شئ كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد وذلك هو الغيب ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولا تسقط ورقة فى الصحارى والبرارى ولا فى الامصار والقرى الا الله يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين يقول ولا شئ أيضا مما هو موجود أو مما سوجد ولم يوجد بعد الا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذى يوجد فيه والحال التى يفنى فيها ويعنى بقوله مبين أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم فان قال قائل وما وجه اثباته فى اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يخفى عليه وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه قيل له لله تعالى فعل ما شاء وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانا منه لحفظته واختبارا للمتوكلين بكتابة أعمالهم فانهم فيما ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك فى اللوح المحفوظ حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم وقيل ان ذلك معنى قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك مما هو أعلم به اما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته واما على بنى آدم وغير ذلك وقد حدثنى زياد بن يحيى الحسانى أبو الخطاب قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الاعمش عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله ابن الحرث قال ما فى الارض من شجرة ولا كمغرز ابرة الا عليها ملك موكل بها يأتى الله بعلمه يبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل لهم يا محمد والله أعلم بالظالمين والله هو الذى يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم ويعلم ما جرحتم بالنهار يقول ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار ومعنى التوفى فى كلام العرب استيفاء العدد كما قال الشاعر

ان بنى الأدم ليسوا من أحد * ولا توفاهم قريش فى العدد

يعنى لم تدخلهم قريش فى العدد وأما الاجتراح عند العرب فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه وهى الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم ثم يقال لكل مكتسب عملا جارح لاستعمال العرب ذلك فى هذه الجوارح ثم كثر ذلك فى الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبا بأى أعضاء جسمه اكتسب مجترح ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أما يتوفاكم بالليل فى النوم وأما يعلم ما جرحتم بالنهار فيقول ما اكتسبتم من الاثم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار يعنى ما اكتسبتم من الاثم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة

الموتى أو المعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم أما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلأن حياة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما أن حياة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة أخرى للطاعنين فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أنه ما جاء بآية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا فى كون هذا القرآن معجزا على سبيل العناد أو قياسا على سائر الكتب السماوية أو طلبوا معجزات تقرب من حد الالجاء كشق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من تسبيح الحصا وانشقاق القمر وغير ذلك ليست باقل منها أو اقترحوا من بدائع الآيات بطريق التعنت واللجاج كقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون أن فاعليته ليست الا بحسب محض المشيئة عند أهل السنة أو على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم أو أنه لما ظهرت المعجزة الباهرة والدلالة الكافية من القرآن وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو أجابهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضى الى أن لا يستقر الدليل ولا تتم الحجة وهذا خلاف المقصود أو لا يعلمون أنه لو أعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستئصال أو لا يعلمون أنهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لأجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ونيله لأعطاهم مطلوبهم على أكمل الوجوه ﴿التأويل﴾ ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا وجعلنا على قلوبهم من شؤم انكارهم حجبا من غير الانكار وفى آذانهم وقرا من فساد الاستعداد الفطرى وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب واعوزار نور الايمان فيها وهم ينهون الطلاب عن الحق وان يهلكون بتنفير عليهم الخلق عن الحق الا أنفسهم لان التباعد من أهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقى ولو ترى اذ وقفوا على النار أى أرواح الاشقياء بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عرفوا ألم عذاب القطيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطرى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل أى يظهر عليهم آثار الشقاوة التى كتبت لهم وكانوا يتكلفون سترها فى عالم الصورة بلباس البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة

ما جرحتم بالنهار قال ما علمتم بالنهار حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذى يتوفاكم بالليل يعنى بذلك نومهم ويعلم ما جرحتم بالنهار أى ما عملتم من ذنب فهو يعلمه لا يخفى عليه شئ من ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال أما وفاته اياهم بالليل فنامهم وأما ما جرحتم بالنهار فيقول ما اكتسبتم بالنهار وهذا الكلام وان كان خبرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه فان فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على احيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم فقال تعالى محتجا عليهم وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى يقول فالذى يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم فى النهار لتبلغوا أجلا مسمى وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحته غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم وافنائكم ثم رد ها الى أجسادكم وانشائكم بعد مماتكم فان ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك القدرة على ما لم تعاينوه وان الذى لم تروه ولم تعاينوه من ذلك شبيه ما رأيتم وعاينتم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يعنى تعالى ذكره ثم يبعثكم يثيركم ويوقظكم من منامكم فيه يعنى فى النهار والهاء التى فيه راجعة على النهار ليقضى أجل مسمى يقول ليقضى الله الأجل الذى سماه لحياتكم وذلك الموت فيبلغ مدته ونهايته ثم اليه مرجعكم يقول ثم الى الله معادكم ومصيركم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون يقول ثم يخبركم بما كنتم تعملون فى حياتكم الدنيا ثم يجازيكم بذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم يبعثكم فيه قال فى النهار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ثم يبعثكم فيه فى النهار والبعث اليقظة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم يبعثكم فيه قال فى النهار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير ثم يبعثكم فيه قال يبعثكم فى المنام ليقضى أجل مسمى وذلك الموت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليقضى أجل مسمى وهو الموت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ليقضى أجل مسمى قال هو أجل الحياة الى الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير ليقضى أجل مسمى قال منتهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ يقول تعالى ذكره وهو القاهر والله الغالب خلقه العالى

لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم مرة أخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق ولهذا نسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقولهم بلى فى جواب خطاب ألست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها فى الدنيا لم يذوقوا عذاب البعد فى العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هى الساعة التى يجتذب العبد فيها عن أوصاف البشرية بجذبات المحبة فجأة وهى قيامة أخرى لان فيها تبدل أرض البشرية غير الارض وأشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع الى أيام ضاعت منه فى طلب غير الحق فيتأسف عليها ويقول أيها القانص ما أحسنت صيد الظبيات فاتك السرب وما ازددت غير الحسرات وهم يحملون أثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقيل مانع عن السلوك فكيف ما زيد عليه الالعب ولهو كلعب الصبيان ولهو أهل العصيان وللدار الآخرة هى السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون غير الله أفلا تعقلون أن الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسى قد نعلم انه لم يحزنك من ضيق نطاق البشرية أثر فى حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله لمقدراته التى قدرها ودبرها من الأزل الى الأبد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم فى عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة فى جعل البعض فى مظاهر اللطف والبعض بمظاهر القهر والنهى فى حقه صلى الله عليه وسلم هو نهى الامتناع عن الكينونة أى خلق فى الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما أنه خلق مستعدا

عليهم بقدرته لا المقهورين من أوثانهم وأصنامهم المذلل المغلوب عليه لذلته ويرسل عليكم حفظة وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا يحفظون أعمالكم ويحصونها ولا يفرطون فى حفظ ذلك واحصائه ولا يضيعون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ويرسل عليكم حفظة قال هى المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون يقول تعالى ذكره ان ربكم يحفظكم برسل يعقب بينها يرسلهم اليكم يحفظكم ويحفظ أعمالكم الى أن يحضركم الموت وينزل بكم أمر الله فاذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الارواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرطون فى ذلك فيضيعونه فان قال قائل أوليس الذى يقبض الارواح ملك الموت فكيف قيل توفته رسلنا والرسل جملة وهو واحد أوليس قد قال قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم قيل جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده فيتولون ذلك بأمر ملك الموت فيكون التوفى مضافا وان كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت الى ملك الموت اذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره كما يضاف قتل من قتل أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان الى السلطان وان لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وليه بيده وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم فى قوله حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال كان ابن عباس يقول لملك الموت أعوان من الملائكة حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله فى قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال سئل ابن عباس عنها فقال ان لملك الموت أعوانا من الملائكة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحسن ابن عبيد الله عن ابراهيم فى قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال أعوان ملك الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال الرسل توفى الأنفس ويذهب بها ملك الموت حدثنا هناد قال ثنا حفص عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن ابن عباس توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال الرسل توفى الأنفس ويذهب بها ملك الموت حدثنا هناد قال ثنا حفص عن الحسن بن عبيد الله عن ابن عباس توفته رسلنا وهم لا يفرطون قال أعوان ملك الموت من الملائكة حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم توفته رسلنا قال هم الملائكة أعوان ملك الموت حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة توفته رسلنا قال ان ملك الموت له رسل فيرسل ويرفع ذلك اليه وقال الكلبى ان ملك الموت هو يلى ذلك فيدفعه ان كان مؤمنا الى ملائكة

لكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على أن ينزل آية فى كل لحظة ولحة ولكن أكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد * وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله

تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم (١٤٠) على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم

يصدفون قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴿القراآت﴾ أرأيتكم وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف أريتكم وبابه بغير همز على الياء ون أرأيتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر به انظر بضم الهاء روى الاصفهاني عن ورش

* (الوقوف) أمثالكم ط يحشرون ○ في الظلمات ط يضلله ط لابتداء شرط اخر مستقيم ○ تدعون ج لان جواب ان منتظر محذوف تقديره ان كنتم صادقين فأجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين ○ تشركون ○ يتضرعون ○ يعملون ○ كل شئ ط مبلسون ○ ظلموا ط العالمين ○ يأتيكم به ط يصدفون ○ الظالمون ○ ومنذرين ج يحزنون ○ يفسقون ○ اني ملك ج للابتداء بالنفي مع اتحاد القائل والمقول الى ط يتفكرون ○ ﴿التفسير﴾ لما بين أن انزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك أكده بما يؤذن ان آثار فضله فلا

الرحمة وان كان كافرا الى ملائكة العذاب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة توفته رسلنا قال يلي قبضها الرسل ثم يدفعونها الى ملك الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم في قوله توفته رسلنا قال يتوفاه الرسل ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس قال الثوري وأخبرني الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال هم أعوان لملك الموت قال الثوري وأخبرني رجل عن مجاهد قال جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن ابن عباس في قوله توفته رسلنا قال أعوان ملك الموت من الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم قال الملائكة أعوان ملك الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم توفته رسلنا قال يتوفونه ثم يدفعونه الى ملك الموت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه قال سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت أهو وحده الذي يقبض الارواح قال هو الذي يلي أمر الارواح وله أعوان على ذلك ألا تسمع الى قول الله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقال توفته رسلنا وهم لا يفرطون غير أن ملك الموت هو الذي يسير كل خطوة منه من المشرق الى المغرب قلت أين تكون أرواح المؤمنين قال عند السدرة في الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة عن مجاهد قال ما من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقد بينا أن معنى التفريط التضييع فيما مضى قبل وكذلك تأوله المتأولون في هذا الموضع حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وهم لا يفرطون يقول لا يضيعون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وهم لا يفرطون قال لا يضيعون ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ يقول تعالى ذكره ثم ردت الملائكة الذين توفوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم الى الله سيدهم الحق ألا له الحكم يقول ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه وهو أسرع الحاسبين يقول وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس وأحصاها وعرف مقاديرها وما بلغها لانه لا يحسب بعقد يد ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك الى عبادة أوثانهم من الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه فتحيرتم فأظلم عليكم الهدى والمحجة ومن ظلمات البحر اذا ركبتموه فأخطأتم فيه المحجة فأظلم عليكم فيه السبيل

وفيه أيضا مزيد تقرير لأمر البعث وانه حاصل لجميع الحيوان فضلا عن الانسان فان الحيوان اما أن يكون بحيث يدب أو يكون بحيث يطير وانما خص من الدواب ما في الارض بالذكر دون ما في السماء أو في الماء لان رعاية مصالح الأدون تستلزم رعاية مصالح الأشرف ويمكن أن

يقال ان الماء أيضا من جملة الارض لانهما جميعا ككرة واحدة قال علماء المعانى انما وصف الدابة بكونها فى الارض والطائر بانه يطير بجناحيه ليعلم أنهما باقيان على عمومهما اذ بينهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل أن يقدر فيهما صفة تحوتر تع أو تصيد فيتخصصا أولا وهم أن المراد بهما غير الجنسين المتعارفين لقوله بعده الا أمم أمثالكم وقد يقول الرجل لعبده طرفى حاجتى والمراد الاسراع قال الحماسى

* طاروا اليه زرافات ووحدانا *

وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذوو الاجنحة فان المراد ذكر من هو أدون حالا وقيل ان الوصف للتأكيد كقولهم نعجة أنثى وكما يقال مشيت اليه برجلى وانما جمع الامم مع أنه أفرد الدابة والطائر لان النكرة المستغرقة فى معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم أمة وفى الحديث لولا أن الكلاب أمة من الامم لأمرت بقتلها ثم ماوجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر نقل الواحدى عن ابن عباس أنه قال يعرفونى و يوحدونى و يسبحوننى كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن أبى الدرداء أبهمت عقول البهائم الا عن معرفة الاله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا و يأنس بعضها ببعض و يتوالد بعضها من بعض وضعف بأن هذا أمر معلوم مشاهد لافائدة فى الاخبار عنه وقيل هو أنه دبرها وخلقها وتكفل برزقها وأحصى أحوالها وما يجرى عليها من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاوة دليله قوله عقيبه مافرطنا فى الكتاب من شئ وقيل هو أنها تحشر يوم القيامة و يوصل اليها حقوقها وقد جاء فى الحديث يقتص للجماء من القرناء

فلا تهتدون له غير الله الذى مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يقول واخفاء للدعاء أحيانا واعلانا واظهارا تقولون لئن أنجيتنا من هذه يارب أى من هذه الظلمات التى نحن فيها لنكونن من الشاكرين يقول لنكونن ممن يوحدك بالشكر و يخلص لك العبادة دون من كان شركه معك فى عبادتك و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية يقول اذا أفضل الرجل الطريق دعا الله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يقول من كرب البر والبحر القول فى تأويل قوله ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة اذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم فى البر والبحر الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم ينجيكم من عظيم النازل بكم فى البر والبحر من هم الضلال وخوف الهلاك ومن كل كرب سوى ذلك وهم لا آلهتكم التى تشركون بها فى عبادته ولا أوثانكم التى تعبدونها من دونه التى لا تقدر لكم على نفع ولا ضر ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ودفع الحال بكم من جسيم الهم تعدلون به آلهتكم وأصنامكم فتشركونها فى عبادتكم اياه وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم وكفر لأياديه عندكم وتعرض منكم لانزال عقوبته عاجلا بكم القول فى تأويل قوله ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الاصنام والاوثان يا محمد ان الذى ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للاشراك به هو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لشركتكم به وادعائكم معه الها آخر غيره وكفرانكم نعمه مع اسباغه عليكم آلاءه ومننه وقد اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم فقال بعضهم أما العذاب الذى توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم فالرجم وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم فالخسف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال الخسف حدثنا سفيان قال ثنا يحيى بن آدم عن الاشجعى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك وسعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال الخسف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم فعذاب السماء أو من تحت أرجلكم فيخسف بكم الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفيان بن عيينة ما فى الارض من آدمى الا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يذم اقدام الاسد ومنهم من يعد وعدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعال الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير وألفى اليه الطعام الطيب تركه واذا قام عن رجيعه لعب فيه وكذلك تجد من الآدميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وان أخطأت مرة واحدة حفظها ولم يجلس مجلسا الا زاد فيه واعلم يا أخى أنك تعاشر البهائم والسباع فبالغ فى الحذر والاحتراز وذهب أهل التناسخ

الى أن الارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالأخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى أبدان الملوك وربما قالوا انها تصل الى مخالطة عالم الملائكة وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى أبدان الحيوانات وكلما كانت أكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان أخس وأكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا أن الله تعالى أرسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها القوله وان من أمة الا خلا فيها نذير واستشهد بقصة

النمل وحديث الهدهد ونحو ذلك وفي تعداد مذاهب أرباب التناسخ طول والله تعالى أعلم بحقيقة الحال

(ما فرطنا في الكتاب من شئ) من مزيدة للاستغراق أي ما تركنا وما أغفلنا شيأ قط وقيل للتبعيض أي ما أهملنا فيه بعض شئ يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع أحوال العالم على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذي تسبق اليه الاذهان فيما بين أهل الايمان وأورد عليه أنه ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا حاصل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الاصول والفروع وأجيب بأن لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما يجب أن يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التي لا تضبط ولا تتناهى وما من علم الا وفي القرآن أصله ومنه شرفه وفضله كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب وقوله وهو أسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين للاخلاق وأما تفاصيل علم الفروع فذكر العلماء أن السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن وافٍ ببيان جميع الاحكام لان الاصل به براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل وكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام لم يكن ذلك تكليفا أو يكون باقيا على أصل الاباحة والله تعالى أعلم أما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب والطيور لا لأن ايصال العوض اليهن واجب بل مجرد الارادة والمشيئة ومقتضى الالهية الثاني قول المعتزلة لئن يحشر الطيور

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال كان ابن مسعود يصيح وهو في المجلس أو على المنبر ألا أيها الناس انه نزل بكم ان الله يقول قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا أو من تحت أرجلكم لو خسف بكم الارض أهلككم ولم يبق منكم أحدا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ألا انه نزل بكم أسوأ الثلاث * وقال آخرون عني بالعذاب من فوقكم أئمة السوء أو من تحت أرجلكم الخدم وسفلة الناس ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت خلادا يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول ان ابن عباس كان يقول في هذه قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم فأما العذاب من فوقكم فائمة السوء وأما العذاب من تحت أرجلكم فخدم السوء **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني من أمرائكم أو من تحت أرجلكم يعني سفلتكم * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال عني بالعذاب من فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤسهم ومن تحت أرجلهم الخسف وما أشبهه وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره وان كان لما روي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح غير أن الكلام اذا تنوزع في تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ يقول تعالى ذكره أو يخلطكم شيعا فرقا واحدتها شيعة وأما قوله يلبسكم فهو من قولك لبست عليه الامر اذا خلطت فأنا ألبسه وانما قلت ان ذلك كذلك لانه لا خلاف بين القراء في ذلك بكسر الباء ففي ذلك دليل بين على أنه من لبس يلبس وذلك هو معنى الخلط وانما عنى بذلك أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابا مفترقة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو يلبسكم شيعا الأهواء المفترقة **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو يلبسكم شيعا قال يفرق بينكم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو يلبسكم شيعا قال ما كان منكم من التفرق والاختلاف **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يلبسكم شيعا قال الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك دماء بعضهم بعضا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا قال الاهواء والاختلاف **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو يلبسكم شيعا يعني بالشيع الاهواء المختلفة وأما قوله ويذيق بعضكم بأس بعض فانه يعني يقتل بعضكم بيد بعض والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله

والبهائم الا ايصال الاعواض اليها لان ايصال الآلام اليها من غير سبق جناية لا يحسن الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الآلام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الآخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا أن السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك * فرع آخر كل حيوان أذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي أذن في قتله في كونه مؤذيا أو آلمه بمرض أو سخره للانسان لاجل حمل الاثقال وأما اذا ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير مأكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير مأكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت أنه لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به * فرع آخر مذهب القاضي وأكثر المعتزلة أن العوض منقطع وبعد ذلك تصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال أبو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له وأجيب بالمنع من أن الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام * فرع آخر البهيمة اذا استحقت عوضا على بهيمة أخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه تعالى يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في أحكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه أعلم ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته

ه قد أذاق فلانا الموت وأذاقه بأسه وأصل ذلك من ذوق الطعام وهو يطعمه ثم استعمل ذلك في كل ما وصل الى الرجل من لذة وحلاوة أو مرارة ومكروه وألم وقد بينت معنى البأس في كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ويذيق بعضكم بأس بعض بالسيوف حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد عن أبي هرون العبدي عن نوف البكالي أنه قال في قوله ويذيق بعضكم بأس بعض قال هي والله الرجال في أيديهم الحراب يطعنون في خواصركم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ويذيق بعضكم بأس بعض قال يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب هذه الامة أهل الاقرار بالسيف أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض وعذاب أهل التكذيب الصيحة والزلزلة ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عيسى الدامغاني قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال فهن أربع وكلهن عذاب فاء منهن اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فالسواشيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان فهما لابد واقعتان يعني الخسف والمسخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد صلى الله عليه وسلم وأعفاكم منه أو يلبسكم شيعا قال ما كان فيكم من الفتن والاختلاف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا الآية ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات يوم الصبح فأطالها فقال له بعض أهله يا نبي الله لقد صليت صلاة ما كنت تصليها قال انها صلاة رغبة ورهبة وانى سألت ربي فيها ثلاثا سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فيهلكهم فاعطانيها وسألته أن لا يسلط على أمتي السنة فأعطانيها وسألته أن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله حدثنا أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابرا يقول لما أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هاتان أيسر أو أهون حدثنا يزيد بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم

شيء على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون كلام الله البتة وبكم لا ينطقون بالحق خابطون في الظلمات لفط الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلالة ثم بين أن الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئته وارادته وتسخيره وتدبيره قال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم والجبائي أول الآية بأن المراد انهم كذلك في الآخرة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما أو انهم شبهوا بمن حاله كذا أو هو محمول على الشتم والاهانة وأما قوله من يشأ الله يضلله أي عن طريق

الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما أنه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين أو المراد بالاضلال منع الالطاف لانهم ليسوا من أهلها وبالهداية منحها لانهم من أهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وأنهم مع جحودهم يفزعون الى الله في الليات فقال قل أرأيتكم هو منقول من رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت كأنه قيل أبصرته وشاهدت حاله العجيبة أو أعرفتها أخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة بشيء فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة أو العرفان أما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتأنيث وتختلف هذه المعاني على الكاف نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف خطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع أيضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه أحدها أن هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين نحو أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض أرأيت نفسك بل أرأيت غيرك ولذلك قلت أرأيتك زيدا وزيد غير المخاطب ولا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على أنه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتانيث في التاء نحو أرأيتما كما وأرأيتموكم وأرأيتموكن وقد ذهب الفراء الى أنه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريف التاء فأما مفعولا أرأيت في الآية فقيل هما محذوفان تقديره أرأيتكم عبادتكم الاصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله أغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصلا معنى المفعول وأما جواب الشرط فمدلول عليه بالاستفهام في قوله أغير الله تقديره أرأيتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرأيتكم ان أتاكم العذاب في الدنيا أو عند الساعة أتخصون آلهتكم بالدعوة أم تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا تكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني أستجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علقت الى

عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال نعوذ بك نعوذ بك أو يلبسكم شيعا قال هو أهون حدثني زياد بن عبيد الله المزني قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري قال ثنا أبو مالك قال نبئت نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال قد كانت صلاة رغبة ورهبة فسألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين وبقي واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله زوى لي الارض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها واني أعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي أن لا يهلك قومي بسنة عامة وأن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ولا أسلط عليهم عدوا من سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني أخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أيوب عن أبي قلابة عن أبي الاشعث عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا أخاف على أمتي الا الائمة المضلين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن الزهري قال راقب خباب بن الارت وكان بدريا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي حتى اذا فرغ وكان في الصبح قال له يا رسول الله لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها قال أجل انها صلاة رغب ورهب سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الامم فأعطانيها وسألته أن لا يسلط علينا عدوا فأعطانيها وسألته أن لا يلبسنا شيعا فمنعنيها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله أو يلبسكم شيعا قال راقب خباب بن الارت وكان بدريا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال ثلاث خصلات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا قال هذه أهون حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي أربعا فأعطيت ثلاثا ومنعت واحدة سألته

يكشف العذاب فى الدنيا كان قوله ادعونى أستجب أيضا مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونها لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع ويجوز أن يراد لا تذكرون الاصنام فى ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه أن مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن أعلمه أنه قد أرسل (١٤٥) قبله الى أقوام بلغوا فى القسوة الى أن

سألته أن لا يسلط على أمتى عدوا من غيرهم يستبيح بيضتهم ولا يسلط عليهم جوعا ولا يجمعهم على ضلالة فأعطيتهن وسألته أن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعت حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سألت ربى خصالا فأعطانى ثلاثا ومنعنى واحدة سألته أن لا تكفر أمتى صفقة واحدة فأعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الامم من قبلهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية قوله ويذيق بعضكم بأس بعض قال الحسن ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يشهده عليهم انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولا يلبس أمته شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض كما أذاق بنى اسرائيل فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك سألت ربك أربعا فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم فانهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردت كتاب ربها ولكنهم يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وهذان عذابان لاهل الاقرار بالكتاب والتصديق بالانبياء ولكن يعذبون بذنوبهم وأوحى اليه فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون يقول من أمتك أو نرينك الذى وعدناهم من العذاب وأنت حى فانا عليهم مقتدرون فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم فراجع ربه فقال أى مصيبة أشد من أن أرى أمتى يعذب بعضها بعضا وأوحى اليه ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فأعلمه أن أمته لم تخص دون الامم بالفتن وأنها ستبتلى كما ابتليت الامم ثم أنزل عليه قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين فتعوذ نبى الله فأعاذه الله لم ير من أمته الا الجماعة والالفة والطاعة ثم أنزل عليه آية حذر فيها أصحابه الفتنة فأخبره أنه انما يخص بها ناس منهم دون ناس فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب فخص بها أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده وعصم بها أقواما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال لما جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون فى أمته من الفرقة والاختلاف فشق ذلك عليه ثم دعا فقال اللهم أظهر عليهم أفضلهم تقية حدثنى المثنى قال ثنا أبو الاسود قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبى الزبير قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من ذلك قال أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بالله من ذلك قال أو يلبسكم شيعا قال هذه أيسر ولم يستعذه لأعاذه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا المؤمل البصرى قال أخبرنا يعقوب ابن اسمعيل بن يسار المدينى قال ثنا زيد بن أسلم قال لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم

أخذوا بالشدة فى أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا وأصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله فى الشدائد ويحتمل أن يقال ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع واللجأ الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفى الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك رسلا فخالفوهم فأخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر أو البأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا بالعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون وأصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع أى ذليل ضعيف احتج الجبائى بالآية على أنه تعالى انما أرسل الرسل اليهم وسلط هذه البأساء والضراء عليهم ارادة أن يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل وأجيب بأن الترجى فى حقه تعالى محال فانهم يحملونه على الارادة ونحن نحمله على أنه تعالى يعاملهم معاملة المترجى فى الترجيح على أن الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفرضونه لا بد أن ينتهى الى خلق الله وتكوينه أما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفى التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين أنه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من الباساء والضراء الى الراحة والرخاء ففتح أبواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه أخرى ومعنى كل شئ أى كل شئ كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما أوتوا أى ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفها أخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال

صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله تعالى يعطى العاصى فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما أخذوا فى حال الراحة والرخاء ليكون أشد لتحسرهم على مافات من السلامة والعطاء فاذاهم مبلسون آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذى انقطع رجاؤه ويقال للذى سكت عندا نقطاع حجته قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذاهم هنا للمفاجأة وهى ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل فى اذا فقطع دابر القوم الدابر للشئ (١٤٦) من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم

أبو عبيدة دابر القوم آخرهم الذى يدبرهم الاصمعى الدابر الاصل قطع الله دابره أى أصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على أن لم يترك منهم أحدا واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على أولئك الرسل أو على أولئك الهالكين كيلا يزيدوا كفرا وعنادا فيزدادوا عذابا وعقابا أو حمد على ما أنعم عليهم قبل ذلك وهو أن كلفهم وأزال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل وأخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا أنهم لم يزدادوا الا انهماكا فى الغى والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل أرأيتم ان أخذ الله وتقرير ذلك أن أشرف أعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها فى أوائل الكتاب ولا ريب أن القادر على تحصيل قواها فيه وصرفها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى أخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع أو الاماتة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به أى بذلك الذى أخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة القادر بناء على أن الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم أن يكون لذى عقل ولو فرضا والأحسن أن يقال انه ذكر أشياء متعددة فوجب أن يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم أنه أراد المذكور مطلقا فتعين أن يشار اليه بذلك ثم انه أقام الضمير المذكور مقامه أو يعود الى ما أخذ وختم عليه وصح من غير التكلف المذكور بحكم التغليب أنظر يا محمد أو كل من له أهلية النظر كيف نصرف

عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف فقالوا ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله قال نعم فقال بعض الناس لا يكون هذا أبدا فأنزل الله أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون وقال آخرون عنى ببعضها أهل الشرك وببعضها أهل الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هرون بن موسى عن حفص بن سليمان عن الحسن فى قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال هذا للمشركين أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا للمسلمين * والصواب من القول عندى أن يقال ان الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الاوثان واياهم خاطب بها لأنها بين اخبارعنهم وخطاب لهم وذلك أنها تتلو قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ويتلوها قوله وكذب به قومك وهو الحق وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين فاذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين كان بينا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله اياه بالشرك وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لم يجر له ذكر غير أن ذلك وان كان كذلك فانه قد عم وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها وأما الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة فجائز أن هذه الآية نزلت فى ذلك الوقت وعيد لمن ذكرت من المشركين ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الامم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم اياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه اياه ورغبته اليه من المعاصى التى يستحقون بها من هذه الخلال الاربع من العقوبات أغلظها ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها وأما الذين تأولوا أنه عنى بجميع ما فى هذه الآية هذه الامة فانى أراهم تأولوا أن فى هذه الامة من سيأتى من معاصى الله وركوب ما مسخط الله نحو الذى ركب من قبلهم من الامم السالفة من خلافه والكفر به فيحل بهم مثل الذى حل بمن قبلهم من المثلات والنقمات وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة وبقيت اثنتان الخسف والمسخ وذلك أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون فى هذه الامة خسف ومسخ وقذف وان قوما من أمته سيبيتون على لهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير وذلك اذا كان فلا شك أنه نظير الذى فى الامم الذين عتوا على ربهم فى التكذيب وجحدوا آياته وقد روى نحو الذى روى عن أبى العالية عن أبى حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان قال أخبرنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال هو

الآيات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوى ما قبله فى الايصال الى المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين يصدفون أى يعرضون ويقال امرأة صدوف التى تعرض وجهها عليك ثم تصدف أى تعرض والصدف ميل فى الحافر الى الشق وحشى وصدف الدرة غشاؤها الميل فيه قال الكعبى لو خلق الله فيهم الاعراض والصدام ينكر ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لو لا منع الله تعالى لجمع فيهم الدلائل القاطعة للاعذار ثم عمم الدليل بقوله قل أرأيتكم ان أتاكم والمعنى أنه لادافع لنوع من أنواع

قادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال أربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فضت اثنتان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بخمس وعشر بن سنة ألبس واشيعا وأذيق بعضهم بأس بعض واثنتان واقعتان لامحالة الخسف والرجم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد بعين قلبك الى ترديدنا الحجج على هؤلاء المكذبين برسلهم الجاحدين نعمه وتصريفنا اياها فيهم لعلهم يفقهون يقول ليفقهوا ذلك ويعتبروه فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم من عبادة الاوثان والاصنام والتكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وكذب يا محمد قومك بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد وهو الحق يقول والوعيد الذى أوعدناهم على مقامهم على شركهم من بعث العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيعا واذاقة بعضهم بأس بعض الحق الذى لاشك فيه أنه واقع ان هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به الى طاعة الله والايمان به قل لست عليكم بوكيل يقول قل لهم يا محمد لست عليكم بحفيظ ولا رقيب وانما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به اليكم لكل نبأ مستقر يقول لكل خبر مستقر يعنى قرار يستقر عنده وغاية ينتهى اليه فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله وسوف تعلمون يقول وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله اياكم أيها المشركون وحقيقته عند حلول عذابه بكم فرأوا ذلك وعاينوه فقتلهم يوم بدر بأيدى أوليائه من المؤمنين وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذب به قومك وهو الحق يقول كذبت قريش بالقرآن وهو الحق وأما الوكيل فالحفيظ وأما لكل نبأ مستقر فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يعدهم من العذاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لكل نبأ مستقر لكل نبأ حقيقة اما فى الدنيا واما فى الآخرة وسوف تعلمون ما كان فى الدنيا فسوف تروْنه وما كان فى الآخرة فسوف يبدو لكم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله لكل نبأ مستقر يقول حقيقة حدثنى محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنا عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون يقول فعل وحقيقة ما كان منه فى الدنيا وما كان منه فى الآخرة وكان الحسن يتأول فى ذلك أنه للفتنة التى كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا سويد ابن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان عن الحسن أنه قرأ لكل نبأ مستقر قال حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها أرسلت عقوبتها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان

العذاب الا الله سبحانه فوجب أن لا يكون معبودا الا هو ثم العذاب المفروض اما أن يجىء من غير سبق أمارة تدل على ذلك وهو البغتة وأكثر ما يكون ذلك بالليل أو مع سبق أمارة وهو الجهرة وأكثره بالنهار ولهذا قال الحسن معناه ليلا أو نهارا أما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون أى لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه أن الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا أنهم يستفيدون بذلك ثوابا جزيلا فهو لهم بلاء فى الظاهر وآلاء فى الحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والآخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان أمر المؤمن خير كله ان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم أنه ذكر ههنا أرأيتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب الاستئصال ما عليه من مزيد فناسب زيادة الخطاب لاجل التأكيد وفيما بينهما قال أرأيتم حيث لم يكن كذلك وكذلك فى يونس ثم ذكر أن الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الآيات وانزال

المعجزات التى اقترحوها فى قوله وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصى فمن قبل قولهم وأتى بالايمان الذى هو من أفعال القلب والعمل الصالح الذى هو من أفعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال فى الكشاف جعل العذاب لما كأنه حى يفعل بهم ما يريد من الآلام وفيه نظر لان المس ليس من خواص الاحياء نعم انه من خواص الاجسام فلو ادعيت المبالغة

من هذا الوجه لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا وأقول هذا من باب ايهام العكس ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفي عن نفسه أمورا ثلاثة فقال (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) وهي جمع خزانة للمكان الذي يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لا تناله الأيدي (ولا أعلم الغيب) قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل قوله عندي

خزائن الله لانه من جملة المقول أي لا أقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل أن يكون عطفا على لا أقول أي قل لا أعلم الغيب فيكون فيه دلالة على أن الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وأنه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل أي لا أدعي سوى النبوة والرسالة ولا أدعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود حيث قال ولا أقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الآية دلالة على أن الملك أفضل اذ المراد لا أدعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب أن ذلك يدل على أن الملك أفضل وان كان المراد نفي قدرته عن أفعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على أفضلية الملائكة (ان أتبع الا ما يوحى الي) قيل هذا النص يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يحكم من تلقاء نفسه بالاجتهاد في شئ من الاحكام ولا يجوز لأحد من أمته أن يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس وأكد هذا الحكم بقوله (قل هل يستوي الاعمى والبصير) وذلك أن العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال (أفلا تتفكرون) تنبيها على أنه يجب على العاقل أن يعرف الفرق بين هذين وأجيب بأن أصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والآية تمثل للضال

فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رأيت يا محمد المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها اليك ووحينا الذي أوحيناه اليك وخوضهم فيها كان استهزاءهم بها وسبهم من أنزلها وتكلم بها وتكذيبهم بها فأعرض عنهم يقول فصد عنهم بوجهك وقم عنهم ولا تجلس معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يقول حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم وإما ينسينك الشيطان يقول وان أنساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم والاعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قال نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها فان نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك وسعيد ابن جبير في قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال الذين يكذبون بآياتنا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال كان المشركون اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فسبوه واستهزؤا به فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما قوله وإما ينسينك الشيطان يقول نسيت فتقعد معهم فاذا ذكرت فقم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يخوضون في آياتنا قال يكذبون بآياتنا حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن ليث عن أبي جعفر قال لا تجالسوا أهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في آيات الله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وقوله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال يستهزؤن بها قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم الا أن ينسى فاذا ذكر فليقم فذلك قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال

والمهتدى أولمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين كالعميان أوفتعلموا أنى ما ادعيت سوى مايليق بالبشر والله تعالى أعلم وأحكم ۞ التأويل ومامن دابة تدب فى أرض البشرية وتتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا أمم أمثالكم فى السؤال عن أقوالهم وأحوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا مافرطنا ماتركنا فى القرآن من شئ يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته وصفاته فى السير الى الله من الاوامر والنواهى والندب والآداب ثم الحد بهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية أو هناك بالسلاسل والاغلال يسحبون فى النار فى نار القطيعة على وجوههم لان من شأنهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا بدلا ئلنا الموصلة الى ناصم آذان قلوبهم عن استماع الحق بكم ألسنة أحوالهم عن اجابة دعوة الحق فى ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعه الى ربه مركوز فى روحانيته ولقد أرسلنا الى أمم أى أرسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فأرسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة ندعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالبأساء والضراء التى هى موجبة للالجاء فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وعلموا أن حقائق ألطافنا مدرجة فى دقائق صور قهرنا وتحققوا أن درر محبتنا مستودعة فى أصداف شدائد بأسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع فى الدعاء فلما نسوا بسبب القساوة ماذكروا به من معارضة البأساء والضراء فانها تذكر أيام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدى الى رؤية المنعم فتحنا عليهم أبواب كل شئ من البلاء فى صورة النعماء لارباب الظاهر بالنعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وأمثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب وأشباهها حتى اذا فرحوا بما أوتوا وظنوا أنهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فشرعوا فى الطلب على وفق هواهم أخذناهم بغتة بفقد الاحوال والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون فى تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لأصحابه ليعلم أن الكل بقدر كما قال قل أرأيتم الآية الا القوم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم بصرف استعداد عبودية المولى فى عبادة الهوى فأما من ابتلى بعذاب الله من الآفات والمخافات

ابن جريج كان المشركون يجلسون الى النبى صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فاذا سمعوا استهزؤا فنزلت واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا قال يكذبون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن ابى مالك قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره يعنى المشركين وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ان نسيت فذكرت فلا تجلس معهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ومن اتقى الله فخافه فأطاعه فيما أمره به واجتنب مانهاه عنه فليس عليه بترك الاعراض عن هؤلاء الخائضين فى آيات الله فى حال خوضهم فى آيات الله شئ من تبعة فيما بينه وبين الله اذا لم يكن تركه الاعراض عنهم رضا بما هم فيه وكان لله بحقوقه متقيا ولا عليه من اثمهم بذلك حرج ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون يقول لينقوا ومعنى الذكرى الذكر (١) والذكر والذكرى بمعنى وقد يجوز أن يكون ذكرى فى موضع نصب ورفع فأما النصب فعلى ماوصفت من تأويل ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى وأما الرفع فعلى تأويل وماعلى الذين يتقون من حسابهم شئ بترك الاعراض ولكن اعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون وقد ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أمر بالقيام عن المشركين اذا خاضوا فى آيات الله لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه فقال الله له اذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ويتركوا ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كان المشركون يجلسون الى النبى صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فاذا سمعوا استهزؤا فنزلت واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الآية قال فعل اذا استهزؤا قام فحذروا وقالوا لا تستهزؤا فيقوم فذلك قوله لعلهم يتقون أن يخوضوا فيقوم ونزل وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ ان قعدوا معهم ولكن لا تقعدوا ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم فنسخ قوله وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ الآية **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ يقول من حساب الكفار من شئ ولكن ذكرى يقول اذا ذكرت فقم لعلهم يتقون مساءتكم اذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم فكفوا عنكم ثم نسخها الله بعد فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا قال وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الآية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ ان قعدوا ولكن لا تقعد **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا**

---

(١) هذا تكرار لما قبله فلعلهما نسختان جمع بينهما تأمل كتبه مصححه

والامراض ونحوها ابتلاء فتاب ورجع فهو غيرها لك على الحقيقة قل لا أقول لكم لم يقل ليس عندى خزائن الله ليعلم أن خزائن الله وهى العلم بحقائق الاشياء وماهياتها عنده باراءة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم وباستجابة دعائه فى قوله أرنا الاشياء كما هى ولكنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولا أعلم الغيب أى لا أقول لكم هذا مع أنه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وآله فى قصة ليلة المعراج نظرت خلفى نظرة علمت ما كان وما سيكون ولا أقول لكم انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام

الملك حين قلت لجبريل تقدم فقال لو دنوت أنملة لاحترقت ان أتبع الا ما يوحى الى أن أخبرهم وقل معهم قل هل يستوى الاعمى والبصير فلا يستوى مع الاعمى كلام البصير فكيف أخبركم عما أعمى الله بصائركم عنه وأنا به بصير * قوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده

ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى قال وما عليك أن يخوضوا فى آيات الله اذا فعلت ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم اياه لعبا ولهوا واجعلوا حظوظهم من طاعتهم اياه اللعب بآيات الله واللهو والاستهزاء بها اذا سمعوها وتليت عليهم فأعرض عنهم فانى لهم بالمرصاد وانى لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ونسيانهم المعاد الى الله تعالى والمصير اليه بعد الممات كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا قال كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وكذلك قال عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام ابن يحيى عن قتادة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ثم أنزل فى سورة براءة فأمر بقتالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان قال قرأت على ابن أبى عروبة فقال هكذا سمعته من قتادة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة وأمر بقتالهم فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأما قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فانه يعنى به وذكر يا محمد بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه أن تبسل نفس بمعنى أن لا تبسل كما قال بين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا وانما معنى الكلام وذكر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار ولكن حذفت لا لدلالة الكلام عليها * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أن تبسل نفس فقال بعضهم معنى ذلك أن تسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة قوله أن تبسل نفس بما كسبت قال تسلم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن أن تبسل نفس قال أن تسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره أن تبسل قال تسلم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تبسل نفس قال تسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أولئك الذين أبسلوا أسلموا * وقال آخرون بل معنى ذلك تحبس ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن تبسل نفس قال تؤخذ فتحبس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن

مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) ۞ القراآت بالغدوة مضموم الغين ساكن الدال مفتوح الواو وكذا فى الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف أنه بالفتح فانه بالكسر أبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين

تبسل

بالغيبة زيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب أبو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وأبو جعفر ونافع وعاصم الباقون يقضى الحق ۞ الوقوف يتقون ○ وجهه ط الظالمين ○ من بيننا ط الشاكرين ○ الرحمة ط لمن قرأ انه بكسر الالف رحيم ○ المجرمين ○ من دون الله ط أهواءكم لا لتعيين اذا بما قبله أى قد ضللت اذا اتبعت المهتدين ○ وكذبتم به ط تستعجلون به ط لله ط الفاصلين ○ وبينكم ط بالظالمين ○ الاهو ط والبحر ط مبين ○ مسمى ط لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تعملون ○

۞ التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال له (وأنذر به) قال ابن عباس والزجاج أى بالقرآن وهو المذكور هنا فى قوله ان أتبع الا ما يوحى الىّ وقال الخليل أى بالله قيل والاول أولى لأن الانذار والتخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لأن الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا لقوله وأنذرهم يوم الآزفة فأنذرتكم نارا تلظى ولو زعم أن المراد وأنذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا فقد رمثله ههنا والمعنى أنذرهم العذاب بقول نبئ عن شدة سخط الله وعقوبته أما (الذين يخافون أن يحشروا) فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الانذار فأمر أن ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون أنهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بأن الخوف شامل للناس كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر أن الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد أن يخاف الحشر سواء كان جازما به أو شاكا فيه وأيضا انه مأمور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى اليه لعلهم يدخلون فى زمرة أهل التقوى من المسلمين وقيل هم أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الحشر بهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة أما قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة فى موضع الحال من ضمير

تبسل نفس بما كسبت أن تؤخذ نفس بما كسبت * وقال آخرون معناه تفضح ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ذكره أن تبسل نفس بما كسبت يقول تفضح * وقال آخرون معناه أن تجزى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد قال قال الكلبى أن تبسل أن تجزى وأصل الابسال التحريم يقال منه أبسلت المكان اذا حرمته فلم تقربه ومنه قول الشاعر

بكرت تلومك بعد وهن فى الندى * بسل عليك ملامتى وعتابى

أى حرام ومنه قولهم (١) وعتابى أسد آسد يراد به لا يقرب شئ فكأنه قد حرم نفسه ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدته ويقال أعط الراقى بسيلته يراد بذلك أجرته وشراب بسيل بمعنى مذموم وكذلك المبسل بالجريرة وهو المرتهن بها قيل له مبسل لانه محرم من كل شئ الا مما رهن فيه وأسلم به ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابى

وإبسالى بنى بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

(وقال الشنفرى)

هنالك لا أرجو حياة تسرنى * سميرا لليالى مبسلا بالجرائر

فتأويل الكلام اذا وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون فى آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها وترتهن فتغلق بما كسبت من اجرامها فى عذاب الله ليس لها من دون الله يقول ليس لها حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها أحد ينصرها فينقذها من الله الذى جازاها بذنوبها جزاءها ولا شفيع يشفع لها الوسيلة له عنده ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ يقول تعالى ذكره وان تعدل النفس التى أبسلت بما كسبت يعنى وان تعدل كل عدل يعنى كل فداء يقال منه عدل يعدل اذا فدى عدلا ومنه قول الله تعالى ذكره أو عدل ذلك صياما وهو ما عادله من غير نوعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال لو جاءت بملء الارض ذهبا لم يقبل منها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها فما يعدلها لو جاءت بملء الارض ذهبا التفتدى به ما قبل منها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال وان تعدل وان تفتد يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها لا يؤخذ منه عدلا عن نفسه لا يقبل منه وقد تأول ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى وان تقسط كل قسط لا يقبل منها وقال انها التوبة فى الحياة وليس لما قال من ذلك معنى وذلك أن كل تائب فى الدنيا فان الله تعالى يقبل توبته ۞ القول

---

(١) كذا فى الاصل ولعله وجنابى أسد باسل يراد به الخ تأمل كتبه مصححه

يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها تكون بالحقيقة من الله تعالى فصح أنه ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ولا بد من هذه الحال لأن الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا أن لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا وشفيعا لزم أن لا يكون ناصرا أصلا (لعلهم يتقون) قال ابن عباس لكى يخافوا فى الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصى قالت المعتزلة

فيه دلالة على أنه أراد من الكفار التقوى والطاعة وأجيب بأن الترجى راجع الى العباد ولما أمر بانذار عموم المكلفين ليتقوا أردفهم بذكر المتقين وأمر بتقريبهم واكرامهم روى عن ابن مسعود أن الملأ من قريش مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء أتريد أن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا فى ايمانهم وروى أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم انهم قالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فنزل القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات أثنى الله عليهم بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس من والحسن ومجاهد أى يصلون صلاة الصبح والعصر وقيل أى يذكرون ربهم طرفى النهار والمراد بالغداة والعشى الدوام والغداة لغة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والعشى ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهرى غدوة بالتنوين نكرة وبدونه معرفة غير مصروفة كسحر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال أو على الاستئناف كأنه قيل ما أرادوا بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله

فى تأويل قوله ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره وهؤلاء الذين ان فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كل فداء لم يؤخذ منهم هم الذين أبسلوا بما كسبوا يقول أسلموا لعذاب الله فرهنوا به جزاء بما كسبوا فى الدنيا من الآثام والأوزار لهم شراب من حميم والحميم هو الحار فى كلام العرب وانما هو محموم صرف الى فعيل ومنه قيل للحمام حمام لاسخانة الجسم ومنه قول مرقش

فى كل ممسى لها مقطرة * فيها كباء معد وحميم

يعنى بذلك ماء حارا ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى فى صفة فرس

تأبى بدرتها اذا ما استضغبت * الا الحميم فانه يتبضع

يعنى بالحميم عرق الفرس وانما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية شرابا من حميم لان الحار من الماء لا يروى من عطش فأخبر أنهم اذا عطشوا فى جهنم لم يغاثوا بماء يروبهم ولكن بما يزيدون به عطشا على ما بهم من العطش وعذاب أليم يقول ولهم أيضا مع الشراب الحميم من الله العذاب الاليم والهوان المقيم بما كانوا يكفرون يقول بما كان من كفرهم فى الدنيا بالله وانكارهم توحيده وعبادتهم معه آلهة دونه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا قال يقول أسلموا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أولئك الذين أبسلوا قال فضحوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا قال أخذوا بما كسبوا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا﴾ وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركى قومه من عبدة الأوثان يقول له تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الاصنام معهم أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا فنخصه بالعبادة دون الله وندع عبادة الذى بيده الضر والنفع والحياة والموت ان كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره ونرد على أعقابنا يقول ونرد الى أدبارنا فنرجع القهقرى خلفنا لم نظفر بحاجتنا وقد بينا معنى الرد على العقب وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها رد على عقبيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وانما يراد به فى هذا الموضع ونرد من الاسلام الى الكفر بعد اذ هدانا الله فوفقنا له فيكون مثلنا فى ذلك مثل الرجل الذى استتبعه الشيطان يهوى فى الارض حيران وقوله استهوته استفعلته من قول القائل هوى فلان الى كذا يهوى اليه ومن قول الله تعالى ذكره فاجعل أفئدة

تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشئ أو حقيقته كما يقال هذا وجه الرأى وذلك وجه الدليل وأيضا المحبة تستلزم طلب رؤية الوجه فلهذا السبب جعل الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهى بقوله (ما عليك من حسابهم من شئ) قيل الضمير عائد الى المشركين أى لا تؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى أن تطرد المؤمنين والاولى أن يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما فى قصة نوح ان حسابهم الا على ربى وذلك أنهم طعنوا

من الناس تهوى اليهم بمعنى تنزع اليهم وتريدهم وأما حيران فانه فعلان من قول القائل قد حار فلان فى الطريق فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة وذلك اذا ضل فلم يهتد للحجة له أصحاب يدعونه الى الهدى يقول لهذا الحيران الذى قد استهوته الشياطين فى الارض أصحاب على المحجة واستقامة السبيل يدعونه الى المحجة لطريق الهدى الذى هم عليه يقولون له ائتنا وترك اجراء حيران لانه فعلان وكل اسم كان على فعلان مما أنثاه فعلى فانه لا يجرى فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد ايمانه فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه فى حال اسلامه المقيمون على الدين الحق يدعونه الى الهدى الذى هم عليه مقيمون والصواب الذى هم به متمسكون وهو له مفارق وعنه زائل يقولون له ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى وهو يأبى ذلك ويتبع دواعى الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان ومثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل وخالف فى ذلك جماعة ذكر من قال فى ذلك مثل ما قلنا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قال قال المشركون للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ذكره قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا هذه الآلهة ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله فيكون مثلنا كمثل الذى استهوته الشياطين فى الارض يقول مثلكم ان كفرتم بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته فى الارض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فاتانا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ومحمد الذى يدعوا الى الطريق والطريق هو الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا قال هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو اليها وللدعاة الذين يدعون الى الله كمثل رجل ضل عن الطريق اذ نادا مناديا فلان بن فلان هلم الى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم الى الطريق فان اتبع الداعى الاول انطلق به حتى يلقيه فى الهلكة وان أجاب من يدعوه الى الهدى اهتدى الى الطريق وهذه الداعية التى تدعو فى البرية من الغيلان يقول مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله فانه يرى انه فى شئ حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة وقوله كالذى استهوته الشياطين فى الارض وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جده فيتبعها فيرى أنه فى شئ فيصبح وقد ألقته فى الهلكة وربما أكلته أو تلقيه فى مضلة من الارض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآلهة التى تعبد من دون الله عز وجل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة استهوته الشياطين فى الارض قال أضلته فى الارض حيران حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مالا ينفعنا ولا يضرنا

(٣٠ - (ابن جرير) - سابع)

أفرد لهم مجلسا تألفا لقلوب المشركين وتكثيرا لسواد الاسلام مع علمه بأنه لا يفوت الفقراء بهذه المصالحة أمرمهم فى الدنيا ولا فى الدين فغايته ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل (وكذلك) أى مثل ذلك الفتن العظيم (فتنا) ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الآخر مقدما عليه فى المناصب الدنيئة فيقول (أهؤلاء) المسترذلون (من الله عليهم من بيننا) كقوله أألقى الذكر عليه من بيننا والفريق الآخر يرى الاول مقدما عليه فى الخيرات العاجلة والخصب والسعة

والراحة والدعة فيقول أهذا هو الذى فضله الله علينا وأما المحققون فهم الذين يعلمون أن كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الأصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع فى انسان واحد البتة بل هى موزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما آتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر القدر رضى بنصيب نفسه وسكن عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا فى الدنيا والآخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب أنه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الأشاعرة فى الآية دلالة على مسئلة خلق الأعمال لان تلك الفتنة التى ألقاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق للكفر وأيضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان العبد هو المان على نفسه أجاب المعتزلة بأن معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل أمرهم الى أن قالوا فتكون اللام لام العاقبة وزيف بأنه عدول عن الظاهر مع أنا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يصرف كل ما أنعم به عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر أفعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال فى الكشاف أى الله أعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أبدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفى أتى قوم النبى صلى الله عليه وآله فقالوا انا أصبنا ذنوبا عظاما وأظهروا الندامة والأسف فما اخاله رد عليهم شيئا فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية قال فى التفسير الكبير الأقرب أن تحمل الآية على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم أبدى إشكالا وهو أن المفسرين اتفقوا على أن هذه السورة نزلت دفعة واحدة وان كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يقال فى كل واحدة من جميع آى هذه السورة انها نزلت بسبب الأمر الفلانى قلت لا استبعاد

قال الأوزاعى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى استهوته الشياطين فى الارض حيران قال رجل حيران يدعوه أصحابه الى الطريق كذلك مثل من يضل بعد اذ هدى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال ثنا رجل عن مجاهد قال حيران هذا مثل ضربه الله للكافر يقول الكافر حيران يدعوه المسلم الى الهدى فلا يجيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا حتى بلغ لنسلم لرب العالمين علمها الله محمدا وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة * وقال آخرون فى تأويل ذلك بما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى فهو الرجل الذى لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل فى الارض بالمعصية وحار عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه الى الهدى ويزعمون أن الذى يأمرونه هدى يقول الله ذلك لاوليائهم من الانس ان الهدى هدى الله والضلالة ما تدعوا اليه الجن فكأن ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه انما يدعونه الى الضلال ويزعمون أن ذلك هدى وان الله أكذبهم بقوله قل ان هدى الله هو الهدى لا ما يدعوه اليه أصحابه وهذا تأويل له وجه لو لم يكن الله سمى الذى دعا الحيران اليه أصحابه هدى وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة الى ما دعوه اليه انهم هم الذين سموه ولكن الله سماه هدى وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه اليه وغير جائز أن يسمى الله الضلال هدى لأن ذلك كذب وغير جائز وصف الله بالكذب لان ذلك وصفه بما ليس من صفته وانما كان يجوز توجيه ذلك الى الصواب لو كان ذلك خبرا من الله عن الداعى الحيران انهم قالوا له تعال الى الهدى فأما وهو قائل يدعونه الى الهدى فغير جائز أن يكون ذلك وهم كانوا يدعونه الى الضلال وأما قوله اثنانان معناه يقولون اثنا هلم الينا فحذف القول لدلالة الكلام عليه وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك يدعونه الى الهدى بينا حدثنا بذلك ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبى اسحق قال فى قراءة عبد الله يدعونه الى الهدى بينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول فى قراءة ابن مسعود له أصحاب يدعونه الى الهدى بينا قال الهدى الطريق انه بين واذا قرئ ذلك كذلك كان البين من صفة الهدى ويكون نصب البين على القطع من الهدى كأنه قيل يدعونه الى الهدى البين ثم نصب البين لما حذفت الألف واللام وصار نكرة من صفة المعرفة وهذه القراءة التى ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال الهدى فى هذا الموضع هو الهدى على الحقيقة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين لاصحابك

فى أن تنزل السورة دفعة وينزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم أعرف بحقائق التنزيل وأعلم بدقائق التاويل لانهم أهل مشاهدة الوحى وأرباب مزاولة الامر والنهى * واعلم ان ماسوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لاتكاد تنحصر فيجب على المكلف أن يكون مدة حياته كالسابح فى تلك البحار والسائح فى هذه القفار ليكون دائما مترقبا فى معارجها مترقبا أن تفيض عليه الانوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم ويستأهل لكرامة كتب ربكم على (١٥٥) نفسه الرحمة (فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بأن يسلم من الآفات فى نفسه ودينه وإما أن يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله أى الله عليكم أى على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتأتى فى المعرف لافى المنكر (كتب ربكم) من جملة المقول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه أوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظلما وايجاب الرحمة ينافى القول بأنه منع الكافر من الايمان ثم أمره حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان وأجيب بأنه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه (أنه من عمل) من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل (منكم سوأ بجهالة) وهو فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل والمراد أنه فاعل فعل الجهال لأن من عمل ما يضره فى العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه لا من أهل الحكمة والتدبير أو انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم أن لا يقدم على مالا يعرف مآل حاله (ثم تاب من بعده) بأن يندم على مافعله (وأصلح) العمل فى المستقبل (فأنه غفور) يزيل العقاب عنه (رحيم) يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح فعلى أن الخبر أو المبتدأ محذوف أى فغفرانه كائن أو فأمره انه غفور قيل ان الآية نزلت فى عمر حين أشار باجابة الكفرة الى ماطلبوا ولم يعلم أنها مفسدة (وكذلك) أى كما فصلنا فى هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر (نفصل الآيات) وغيرها لك

لأصحابك اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فانا على هدى ليس الامر كما زعمتم ان هدى الله هو الهدى يقول ان طريق الله الذى بينه لنا وأوضحه وسبيله الذى أمرنا بلزومه ودينه الذى شرعه لنا فبينه هو الهدى والاستقامة التى لاشك فيها لا عبادة الاوثان والاصنام التى لا تضر ولا تنفع فلا نترك الحق ونتبع الباطل وأمرنا لنسلم لرب العالمين يقول وأمرنا بأن نسلم لرب العالمين وأمرنا لنسلم له لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية فنخلص ذلك له دون ماسواه من الأنداد والآلهة وقد بينا معنى الاسلام بشواهده فيما مضى من كتابنا بما أغنى عن اعادته وقيل وأمرنا لنسلم بمعنى وأمرنا كى نسلم وأن نسلم لرب العالمين لان العرب تضع كى واللام التى بمعنى كى مكان أن وأن مكانها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون﴾ يقول تعالى ذكره وأمرنا أن أقيموا الصلاة وانما قيل وأن أقيموا الصلاة فعطف بأن على اللام من لنسلم لان قوله لنسلم معناه أن نسلم فرد قوله وأن أقيموا على معنى لنسلم اذ كانت اللام التى فى قوله لنسلم لاما لا تنصب الا المستقبل من الافعال وكانت أن من الحروف التى تدل على الاستقبال دلالة اللام التى فى لنسلم فعطف بها عليها لاتفاق معنييهما فيما ذكرت فأن فى موضع نصب بالرد على اللام وكان بعض نحويى البصرة يقول اما أن يكون ذلك أمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة يقول أمرنا كى نسلم كما قال وأمرت لأن أكون من المؤمنين أى انما أمرت لذلك ثم قال وأن أقيموا الصلاة واتقوه أى أمرنا أن أقيموا الصلاة أو يكون أوصل الفعل باللام والمعنى أمرت أن أكون كما أوصل الفعل باللام فى قوله هم لربهم يرهبون فتأويل الكلام وأمرنا باقامة الصلاة وذلك أداؤها بحدودها التى فرضت علينا واتقوه يقول واتقوا رب العالمين الذى أمرنا أن نسلم له نخافوه واحذروا سخطه باداء الصلاة المفروضة عليكم والاذعان له بالطاعة واخلاص العبادة له وهو الذى اليه تحشرون يقول ورب كم رب العالمين هو الذى اليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة فيجازى كل عامل منكم بعمله وتوفى كل نفس ما كسبت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد الداعيك الى عبادة الأوثان أمرنا لنسلم لرب العالمين الذى خلق السموات والأرض بالحق لا من لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله بالحق فقال بعضهم معنى ذلك وهو الذى خلق السموات والأرض حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال تعالى ذكره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا قالوا وأدخلت فيه الباء والألف واللام كما تفعل العرب فى نظائر ذلك فتقول فلان يقول بالحق بمعنى أنه يقول الحق قالوا ولا شئ فى قوله بالحق غير اصابته الصواب فيه لا أن الحق معنى غير القول وانما هو صفة للقول اذا كان بها القول كان القائل موصوفا بالقول بالحق و بقول الحق قالوا فكذلك خلق السموات والأرض حكمة من حكم الله فانه موصوف بالحكمة فى خلقهما وخلق ماسواهما من سائر خلقه لا أن ذلك حق سوى خلقهما به

فى تقرير كل حق ينكره أهل الباطل (ولتستبين) معطوف على محذوف كأنه قيل لتظهر الحق ولتستبين أو معلق بمحذوف اى ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل قرأ لتستبين بالياء أو بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين تستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على أحدهما كقول سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر (١٥٦) البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون أصناف يشتبه أمرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول الاسلام ومنهم من دخل فى الاسلام الا أنه لا يحفظ حدوده فينبغى أن يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك أنه نهى عن عبادة معبوداتهم وذلك قوله (قل انى نهيت) أى صرفت بالدلائل العقلية والسمعية (أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله قل لا أتبع أهواءكم) لان عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى (قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) أثبت الضلال اذ ذاك ونفى الهدى مع انهما متلازمان للتقرير والتأكيد وفيه تعريض بهم أنهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل انى على بينة من ربى) على حجة واضحة من معرفة ربى وانه لا معبود سواه وكذبتم أنتم به حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الامر وأنا على يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل وقيل أى على حجة من جهة ربى وهى القرآن (وكذبتم به) أى بالبينة وذكر الضمير على تأويل القرآن أو البيان (ما عندى ما تستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء قال الكلبى نزلت فى النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذى تعدنا استهزاء منهم (ان الحكم الا لله) مطلق يتناول الكل يقدر فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على أمر من الامور الا اذا شاء الله تعالى فيمتنع منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضى الحق أى كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضى أن لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصى لان ذلك ليس بحق ويمكن أن يقال ان جميع أحكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم الملك لكنه وانتصاب الحق على أنه صفة مصدر أى يقضى القضاء الحق أو مفعوله من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اى يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اى يقول الحق

* وقال آخرون معنى ذلك خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما ائتيا طوعا أو كرها قالوا فالحق فى هذا الموضع معنى به كلامه واستشهدوا فيما زعموا لذلك بقوله ويوم يقول كن فيكون قوله الحق الحق هو قوله وكلامه قالوا والله خلق (١) الأشياء بكلامه وقيله كما خلق به الاشياء غير المخلوقة قالوا فاذ كان ذلك كذلك وجب أن يكون كلام الله الذى خلق به الخلق غير مخلوق وأما قوله ويوم يقول كن فيكون فان أهل العربية اختلفوا فى العامل فى يوم يقول وفى معنى ذلك فقال بعض نحويى البصرة اليوم مضاف الى يقول كن فيكون قال وهو نصب وليس له خبر ظاهر والله أعلم وهو على ما فسرت لك كأنه يعنى بذلك أن نصبه على واذكر يوم يقول كن فيكون قال وكذلك يوم ينفخ فى الصور قال وقال بعضهم يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وقال بعضهم يقول كن فيكون للصور خاصة فعنى الكلام على تأويلهم يوم يقول للصور كن فيكون قوله الحق يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة فيكون القول حينئذ مرفوعا بالحق والحق بالقول وقوله يوم يقول كن فيكون ويوم ينفخ فى الصور رصلة الحق * وقال آخرون بل قوله كن فيكون معنى به كل ما كان الله معيده فى الآخرة بعد افنائه ومنشئه بعد اعدامه فالكلام على مذهب هؤلاء منتناه عند قوله كن فيكون وقوله قوله الحق خبر مبتدأ وتأويله وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول للاشياء كن فيكون خلقهما بالحق بعد فنائهما ثم ابتدأ الخبر عن قوله ووعده خلقه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حق فقال قوله هذا الحق الذى لا شك فيه وأخبر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور فيوم ينفخ فى الصور يكون على هذا التأويل من صلة الملك وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله يوم ينفخ فى الصور من صلة الحق * وقال آخرون بل معنى الكلام ويوم يقول لما فنى كن فيكون قوله الحق بجعل القول مرفوعا بقوله ويوم يقول كن فيكون وجعل قوله (٢) كن فيكون للقول محلا وقوله يوم ينفخ فى الصور من صلة الحق كأنه وجه تأويل ذلك الى ويومئذ قوله الحق يوم ينفخ فى الصور وان جعل على هذا التأويل يوم ينفخ فى الصور بيانا عن اليوم الاول كان وجها صحيحا ولو جعل قوله قوله الحق مرفوعا بقوله يوم ينفخ فى الصور وقوله يوم ينفخ فى الصور محلا وقوله ويوم يقول كن فيكون من صلته كان جائزا * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه المنفرد بخلق السموات والارض دون كل ما سواه معرفا من أشرك به من خلقه جهله فى عبادة الاوثان والاصنام وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على اجتلاب نفع الى نفسه ولا دفع ضر عنها ومحتجا عليهم فى انكارهم البعث بعد الممات والثواب والعقاب بقدرته على ابتداع ذلك ابتداء وأن الذى ابتدع ذلك غير متعذر عليه افناؤه ثم اعادته بعد افنائه فقال وهو الذى خلق أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا

(١) فيه تحريف من النساخ ولعل الأصل والله خلق السماء والأرض بكلامه كما خلق به غيرهما من الأشياء المخلوقة تأمل (٢) لعله ويوم يقول كن كما هو ظاهر وحرر كتبه مصححه

يقدر على شئ السموات والارض بالحق حجة على خلقه ليعرفوا بها صانعها وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه فيخلصوا له العبادة ويوم يقول كن فيكون يقول ويوم يقول حين تبدل الارض غير الارض والسموات كذلك كن فيكون كما شاء تعالى ذكره فتكون الارض غير الارض عند قوله كن فيكون متناهيا واذا كان كذلك معناه وجب أن يكون فى الكلام محذوف يدل عليه الظاهر ويكون معنى الكلام ويوم يقول لذلك كن فيكون تبدل غير السموات والارض ويدل على ذلك قوله وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال قوله الحق بمعنى وعده هذا الذى وعد تعالى ذكره من تبديله السموات والارض غير الارض والسموات الحق الذى لاشك فيه وله الملك يوم ينفخ فى الصور فيكون قوله يوم ينفخ فى الصور من صلة الملك ويكون معنى الكلام ولله الملك يومئذ لان النفخة الثانية فى الصور حال تبديل الله السموات والارض غيرهما وجائز أن يكون القول أعنى قوله الحق مرفوعا بقوله ويوم يقول كن فيكون ويكون قوله كن فيكون محلا للقول مرافعا فيكون تأويل الكلام وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يبدلها غير السموات والارض فيقول لذلك كن فيكون قوله الحق وأما قوله وله الملك يوم ينفخ فى الصور فانه خص بالخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه عنى تعالى ذكره أنه لامنازع له فيه يومئذ ولامدعى له وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه فى الدنيا من الجبابرة فأذعن جميعهم يومئذ له وعلموا أنهم كانوا من دعواهم فى الدنيا فى باطل * واختلف فى معنى الصور فى هذا الموضع فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه نفختان احداهما الفناء من كان حيا على الأرض والثانية للنشر كل ميت واعتلوا لقولهم ذلك بقوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وبالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذ سئل عن الصور هو قرن ينفخ فيه وقال آخرون الصور فى هذا الموضع جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا لقولهم سور لسور المدينة وهو جمع سورة كما قال جرير * سور المدينة والجبال الخشع * والعرب تقول نفخ فى الصور ونفخ الصور ومن قولهم نفخ الصور قول الشاعر

لولا ابن جعدة لم تفتح قهندزكم * ولاخراسان حتى ينفخ الصور

والصواب من القول فى ذلك عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان اسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وأنه قال الصور قرن ينفخ فيه وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة يعنى أن عالم الغيب والشهادة هو الذى ينفخ فى الصور حدثنى به المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنا معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله عالم الغيب والشهادة يعنى أن عالم الغيب والشهادة هو الذى ينفخ فى الصور فكأن ابن عباس تأول فى ذلك أن قوله عالم الغيب والشهادة اسم الفاعل الذى لم يسم فاعله فى قوله يوم ينفخ فى الصور وأن معنى الكلام يوم ينفخ الله فى الصور عالم الغيب الشهادة

ينافى الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان أحد حرص على طول حياته طمعا فى ايمانه قلت لابل يؤكده لاشتراك كل من الحكمين فى الاستعجال اللازم للبشرية فى قوله وكان الانسان عجولا ثم ان سبحانه أعلمه بقوله على سبيل الاستعارة وعنده مفاتح الغيب أراد أنه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح أو جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم فى بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ماسوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة أو بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت أو جزئيات وعلمه بذاته لم يحصل الا لذاته فصح أن يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه أنه لاضده ولا ندا ذلو كان فى الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة أيضا عنده فيبطل هذا الحصر ولا يمكن أن تكون هذه المفاتح عند شئ من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط مادون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذى يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالا لو لم يعين الحس العقل فقال ويعلم ما فى البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول وقدم ذكر البر لأن الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان وأما البحر فاحاطة الحس بأحواله أقل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب أيضا ثم أفرد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها أى لا يتغير حال ورقة الا والحق

يعلمها ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على أمر الحساب لانه اذا كان بحيث لا يهمل أمر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلأن لا يهمل أمر المكلفين أولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة أخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه

قيل وما يسقط شئ من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها الا ان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح قال علماء التفسير يجوز أن يكون الله جل شأنه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق لتقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وأنه لا يغيب عنه شئ فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له أولا أنه اذا كتب أحوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب أو الجهل فتصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في أنه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه أردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفاكم أي يتوفى أنفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك أن الارواح الجسمانية تغور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فتتعطل الحواس عن بعض الاعمال وأما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم أخا الموت فصح اطلاق لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم أي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثم يبعثكم فيه أي يرد اليكم أرواحكم بالنهار ليقضى أجل مسمى أي أعماركم المكتوبة وقضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت ثم لما ذكر أنه يميتهم أولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيامة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع أحوالكم وأوقاتكم واعلم أن في هذه الآية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي أن يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن

كما تقول العرب أكل طعامك عبد الله فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسم آكله وذلك وان كان وجها غير مدفوع فان أحسن من ذلك أن يكون قوله عالم الغيب والشهادة مرفوعا على أنه نعت للذي في قوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق وروى عنه أيضا أنه كان يقول الصور في هذا الموضع النفخة الاولى **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة يعني بالصور النفخة الاولى ألم تسمع أنه يقول ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى يعني الثانية فاذا هم قيام ينظرون ويعني بقوله عالم الغيب والشهادة عالم ما تعاينون أيها الناس فتشاهدونه وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه وهو الحكيم في تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود الى العدم ثم من حال العدم والفناء الى الوجود ثم في مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب خبير بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك يقول تعالى ذكره فاحذروا أيها العاملون بربكم عقابه فانه عليم بكل ما تأتون وتذرون وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذ قال ابراهيم لأبيه آزر﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد لحاجك الذي تحاج به قومك وخصومتك اياهم في آلهتهم وما تراجعهم فيها مما نلقيه اليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين وحقية ما أنت عليهم محتج حجاج ابراهيم خليلي قومه ومراجعته اياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الاوثان وانقطاعه الى الله والرضا به واليا وناصرا دون الاصنام فاتخذه اماما واقتده واجعل سيرته في قومه لنفسك مثالا اذ قال لابيه مفارقا لدينه وعائبا عبادته الاصنام دون بارئه وخالقه يا آزر ثم اختلف أهل العلم في المعنى بآزر وما هو اسم أم صفة وان كان اسما فمن المسمى به فقال بعضهم هو اسم أبيه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال اسم أبيه آزر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق قال آزر أبو ابراهيم وكان فيما ذكر لنا وانه أعلم رجل من أهل كوثى من قرية بالسواد سواد الكوفة **حدثني** ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر قال هو آزر وهو تارح مثل اسرائيل ويعقوب وقال آخرون انه ليس أبا ابراهيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن حميد وسفيان ابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال ليس آزر أبا ابراهيم **حدثني** الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا النوري قال أخبرني رجل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال آزر لم يكن بأبيه انما هو صنم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال آزر اسم صنم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال اسم أبيه وقيل لابل اسمه

أن يجاب بان المراد و يعلم ما جرحتم فى النهار الماضى بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم فى النهار الآتى والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف لمكان هذا الاشكال عدل عن هذا التفسير الى أن قال وهو الذى يتوفاكم بالليل والخطاب للكفرة أى أنتم منهمكون فى الليل كالجيف والانسداح الانبطاح أو الاستلقاء و يعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه أى فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام فى النهار ومن أجله

اسمه تارح واسم الصنم آزر يقول أتتخذ آزر أصناما آلهة * وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج كانه تأول أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحق واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار واذ قال ابراهيم لابيه آزر بفتح آزر على اتباعه الاب فى الخفض ولكنه لما كان اسما أعجميا فتحوه اذ لم يجروه وان كان فى موضع خفض وذكر عن أبى يزيد المدنى والحسن البصرى أنهما كانا يقرآن ذلك آزر بالرفع على النداء بمعنى يا آزر فأما الذى ذكر عن السدى من حكايته أن آزر اسم صنم وانما نصبه بمعنى أتتخذ آزر أصناما آلهة فقول من الصواب من جهة العربية بعيد وذلك أن العرب لا تنصب اسما بفعل بعد حرف الاستفهام لا تقول أخالدا أكلمت وهى تريد أكلمت أخالدا والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بفتح الراء من آزر على اتباعه اعراب الاب وأنه فى موضع خفض ففتح اذ لم يكن جاريا لأنه اسم عجمى وانما أجيزت قراءة ذلك كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه واذ كان ذلك هو الصواب من القراءة وكان غير جائز أن يكون منصوبا بالفعل الذى بعد حرف الاستفهام صح لك فتحه من أحد وجهين اما أن يكون اسما لابى ابراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله فيكون فى موضع خفض ردا على الاب ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسما أعجميا ترك اجراؤه ففتح كما تفتح العرب فى أسماء العجم أو يكون نعتا له فيكون أيضا خفضا بمعنى تكرير اللام عليه ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ترك اجراؤه وفعل به كما يفعل بأشكاله فيكون تأويل الكلام حينئذ واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة وان لم يكن له وجهة فى الصواب الا أحد هذين الوجهين فأولى القولين بالصواب منهما عندى قول من قال هو اسم أبيه لان الله تعالى أخبر أنه أبوه وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم دون القول الآخر الذى زعم قائله أنه نعت فان قال قائل فان أهل الانساب انما ينسبون ابراهيم الى تارح فكيف يكون آزر اسما له والمعروف به من الاسم تارح قيل له غير محال أن يكون كان له اسمان كالكثير من الناس فى دهرنا هذا وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم وجائز أن يكون لقبا والله تعالى أعلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل ابراهيم لابيه آزر أنه قال أتتخذ أصناما آلهة تعبدها وتتخذها بادون الله الذى خلقك فسواك ورزقك والاصنام جمع صنم والصنم التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك فى صورة انسان وهو الوثن وقد يقال للصورة المصورة على صورة الانسان فى الحائط وغيره صنم ووثن انى أراك وقومك فى ضلال مبين يقول انى أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الاصنام و يتخذونها آلهة فى ضلال يقول فى زوال عن محجة الحق وعدول عن سبيل الصواب مبين يقول يتبين لمن أبصره أنه جور عن قصد السبيل وزوال عن محجة الطريق القويم يعنى بذلك أنه قد ضل هو وهم عن توحيد الله وعبادته الذى استوجب عليهم اخلاص العبادة له بالآلهة عندهم دون غيره من الآلهة والاوثان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض

كقولك فيم دعوتنى فيقول فى أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والأصوب عندى أن يقال الخطاب عام وكذا الكسب فى النهار فينبغى أن لا يقيد بالآثام أما الضمير فى فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب والبعث هو البعث من القبور الى آخر ما قال والله أعلم ﴿التأويل﴾ وأنذر به أى بهذه الحقائق والمعانى الذين يخافون أى يرجون أن يحشروا الى ربهم بجذبات العناية و يتحقق لهم أن ليس لهم فى الوصول الى الله من دونه ولى من الاولياء ولا شفيع يعنى من الانبياء لان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون أخبر عن الفقراء أنهم جلساؤه بالغداة والعشى كما قال أنا جليس من ذكرنى فلا تطردهم عن مجالستك فانهم يطلبونى فى متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الآخرة ولكن يريدون وجهه وكل له سؤل ودين ومذهب *

ووصلكم سؤلى ودينى رضاكم

قال المحققون الارادة اهتياج يحصل فى القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه

يكون ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعنى الذى لنا معك فى الحساب من المواصلة والتوحيد فى الخلوة فانهم ليسوا فى شئ من ذلك يكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شئ أى الذى لنا معهم فى الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم فتطردهم فتكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان فى الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم

العبد مع قدرة سليمان على أسباب الطاعة وعجز أيوب عنها ومن فتنة الفاضل فى المفضول رؤية فضله على المفضول أو تحقيره ومنع حقه عنه فى فضله ومن فتنة المفضول فى الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه فى منع حقه من فضله عنه فان المعطى والمانع هو الله ومنها أن لا يرى الفاضل مستحقا للفضل ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء جعلهم محل الاكابر والملوك فى الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم كن مبتدئا بالسلام عليهم وفى الآخرة فألهم الملائكة أن يسلموا عليهم فى الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة باصابة رشاش النور فى الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة أى الرحمة الخاصة كما خص الخضر فى قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما فى الحديث الربانى للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى أنه من عمل منكم أى من المؤمنين سوأ بجهالة أى بجهالة الجهولية التى جبل الانسان عليها لا بجهالة الضلالة التى هى نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده أى رجع الى الله بتقدم السير من بعد افساد الاستعداد الفطرى وأصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل انى نهيت فى الازل باصابة النور المرشش ما عندى ما تستعجلون به من عبادة الهوى لقضى الامر يعنى أمر القتال والخصومات ولاسترحت من أذيتكم لان الشئ انما ينفعل عن ضده لا عن شبيهه وعنده مفاتح الغيب يعنى العلوم العقلية التى هى سبب فتح باب صور عالم الشهادة كالنقاش ينشئ الصور فى ذهنه ثم يصورها فى الخارج واحدها مفتح الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد فى جميع الاشياء وفى الملكوت كثرة يعلم التكوين ويعلم ما فى البر وهو عالم الشهادة والبحر وهو عالم الغيب وبهذا العلم ما تسقط من ورقة والحوت عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة هى حبة الروح فى ظلمات صفات أرض النفس أو حبة المحبة فى ظلمات أرض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما سيصير موجودا وما قد صار أو الرطب الروحانيات واليابس الجمادات أو الرطب المؤمن واليابس الكافر أو الرطب العالم واليابس الجاهل أو الرطب العارف واليابس الزاهد أو الرطب أهل المحبة واليابس أهل السلوة أو الرطب

وليكون من الموقنين يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك وكما أريناه البصيرة فى دينه والحق فى خلاف ما كانوا عليه من الضلال نريه ملكوت السموات والارض يعنى ملكه وزيدت فيه التاء كما زيدت فى الجبروت من الجبر وكما قيل رهبوت خير من رحموت بمعنى رهبة خير من رحمة وحكى عن العرب سماعا له ملكوت اليمن والعراق بمعنى له ملك ذلك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فقال بعضهم معنى ذلك نريه خلق السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أى خلق السموات والارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أى خلق السموات والارض وليكون من الموقنين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يعنى بملكوت السموات والارض خلق السموات والارض * وقال آخرون معنى الملكوت الملك بنحو التأويل الذى أولناه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبى زائدة قال سمعت عكرمة وسأله رجل عن قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال هو الملك غير أنه بكلام النبط ملكوتا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى زائدة عن عكرمة قال هى بالنبطية ملكوتا * وقال آخرون معنى ذلك آيات السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال آيات السموات والارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال آيات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال تفرجت لابراهيم السموات السبع حتى العرش فنظر فيهن وتفرجت له الارضون السبع فنظر فيهن حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين قال أقيم على صخرة وفتحت له السموات فنظر الى ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه فى الجنة وفتحت له الارضون حتى نظر الى أسفل الارض فذلك قوله وآتيناه أجره فى الدنيا يقول آتيناه مكانه فى الجنة ويقال أجره الثناء الحسن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر ما فيهن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سالم عن سعيد بن جبير وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال كشف له عن أديم السموات والارض حتى نظر اليهن على صخرة والصخرة على حوت

صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود أو الرطب الباقى بالله واليابس الباقى بنصيبه وهو الذى يتوفاكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر أو الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود فى عالم الوحدة ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض بالحق

والموت على خاتم رب العزة لا اله الا الله حدثنا هناد وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبى عثمان عن سلمان قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك فقال أنزلوا عبدى لا يهلك عبادى حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال لما رفع الله ابراهيم فى الملكوت فى السموات أشرف فرأى عبدا يزنى فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزنى فدعا عليه فهلك ثم رفع فأشرف فرأى عبدا يزنى فدعا عليه فنودى على رسلك يا ابراهيم فانك عبد مستجاب لك وانى من عبدى على ثلاث اما أن يتوب الى فأتوب عليه واما أن أخرج منه ذرية طيبة واما أن يتمادى فيما هو فيه فأنا من ورائه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب عن عوف عن أسامة أن ابراهيم خليل الرحمن حدث نفسه أنه أرحم الخلق وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الارض فأبصر أعمالهم فلما رآهم يعملون بالمعاصى قال اللهم دمر عليهم فقال له ربه أنا أرحم بعبادى منك اهبط فلعلهم أن يتوبوا الى ويرجعوا * وقال آخرون بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال الشمس والقمر والنجوم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قال الشمس والقمر حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يعنى به نريه الشمس والقمر والنجوم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خبئ ابراهيم عليه السلام من جبار من الجبابرة فجعل له رزقه فى أصابعه فاذا مص اصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والارض فكان ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبى الله ابراهيم عليه السلام فر به من جبار متعرف فجعل فى سرب وجعل رزقه فى أطرافه فجعل لا يمص أصبعا من أصابعه الا وجد فيها رزقا فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السموات فأراه شمسا وقمرا ونجوما وسحابا وخلقا عظيما وأراه ملكوت الارض فأراه جبالا وبحورا وأنهارا وشجرا ومن كل الدواب وخلقا عظيما * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى الله تعالى بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أنه أراه ملك السموات والارض وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما وجلى له بواطن الامور وظواهرها لما ذكرنا قبل من معنى الملكوت فى كلام العرب فيما مضى قبل وأما قوله وليكون من الموقنين فانه يعنى أنه أراه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يتوحد بتوحيد الله ويعلم حقيقة ما هداه له وبصره اياه من معرفة وحدانيته وما عليه قومه من الضلالة من

 ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴿القراآت﴾ توفته واستهوته ممالة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان أبو بكر وحماد الباقون بالضم أنجانا ممالة حمزة وعلى وخلف أنجانا بدون الامالة عاصم الباقون أنجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظر وأشباهه ذلك بكسر التنوين

أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن أهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر * الوقوف حفظة ط لا يفرطون ○ الحق ط الحاسبين ○ وخفية ط لاحتمال الاضمار أى يقولون لئن أنجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول فى تدعونه أصح الشاكرين ○ تشركون ○ بأس بعض ط يفقهون ○ وهو الحق ط بوكيل ○ مستقر ط للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون ○ غيره ج الظالمين ○ يتقون ○ ولا شفيع (١٦٢) ط للشرط مع العطف بما كسبوا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى أو لاحتمال أن يكون الذين صفة أو لئك وقوله لهم شراب خبر الهدى اثنتا ج هو الهدى ط العالمين لا لان التقدير وأمرنا بأن أقيموا الصلاة واتقوه ط تحشرون ○ بالحق ط فيكون ط فى الصور ط والشهادة ط الخبير ○ ﴿التفسير﴾ من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان أى أنه أعلى وأنفذ منه ولا ريب أن الممكنات بأسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن أو سفليات ذوات أو صفات نفوسا أو أبدانا أخلاطا أو أركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهى جمع حافظ على عبيده بضبط أعمالهم من الطاعات والمعاصى والمباحات لانهم مطلعون على أقوال بنى آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى أفعالهم بقوله يعلمون ما تفعلون وأما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس فى الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة أن المكلف اذا علم أن الملائكة الموكلين عليه يكتبون أعماله فى صحائف تعرض على رؤس الاشهاد فى مواقف القيامة كان ذلك زجرا له عن القبائح ومنها أن توزن تلك الصحائف يوم القيامة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكمة فى بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التى تحفظ الاركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها

عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها آلهة دون الله تعالى وكان ابن عباس يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وليكون من الموقنين أنه جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شئ من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا فردّه الله كما كان قبل ذلك فتأويل ذلك على هذا التأويل أريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شئ حسا لا خبرا حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال ثنا أبو جابر قال وحدثنا الاوزاعى أيضا قال ثنى خالد الحلاج قال سمعت عبد الرحمن بن عياش يقول صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فقال له قائل ما رأيت أسعد منك الغداة قال ومالى وقد أتانى ربى فى أحسن صورة فقال ففيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم فوضع يده بين كتفى فعلمت ما فى السموات والارض ثم تلا هذه الآية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ﴿القول فى تأويل قوله﴾ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴿يقول تعالى ذكره فلما وارى الليل وجنه يقال منه جن عليه الليل وجنه الليل وأجنه وأجن عليه واذا ألقيت على كان الكلام بالألف أفصح منه بغير الالف أجنه الليل أفصح من أجن عليه وجن عليه الليل أفصح من جنه وكل ذلك مقبول مسموع من العرب وجنه الليل فى أسد وأجنه وجنه فى تميم والمصدر من جن عليه جنا وجنونا وجنانا ومن أجن اجنانا ويقال أتى فلان فى جن الليل والجن من ذلك لانهم استجنوا عن أعين بنى آدم فلا يرون وكل ما توارى عن أبصار الناس فان العرب تقول فيه قد جن ومنه قول الهذلى

وماء وردت قبيل الكرى * وقد جنه السدف الادهم

وقال عبيد

وخرق يصيح البوم فيه مع الصدى * مخوف اذا ما جنه الليل مرهب

ومنه أجننت الميت اذا واريته فى اللحد وجننته وهو نظير جنون الليل فى معنى غطيته ومنه قيل للترس مجن لانه يجن من استجن به فيغطيه ويواريه وقوله رأى كوكبا يقول أبصر كوكبا حين طلع قال هذا ربى فروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين يعنى به الشمس والقمر والنجوم فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فعبده حتى غاب فلما غاب قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فعبده حتى غاب فلما غاب قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فعبدها حتى غابت فلما غابت قال يا قوم انى برىء مما تشركون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين علم أن ربه دائم لا يزول فقر أحتى بلغ هذا ربى هذا أكبر

وأى

وقال بعض القدماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات أخرى فالارواح الخيرة لها مبادئ من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادئ في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبائع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها أضعف منها لان المعلول في كل باب أضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها ويساويها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها (حتى اذا جاء أحدكم الموت) أي وقته أو أماراته توفته رسلنا أي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الأنفس حين موتها وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهل هم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان أشهرهما الثاني لكون ملائكة الروح والريحان وهم الريحانيون غير ملائكة الكرب والاحزان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله ومامن أهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين (وهم لا يفرطون) لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى به وفيه مدح لهم بالعصمة (ثم ردوا الى الله) أي الى حكمه وجزائه (مولاهم الحق) صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة أو الى البشر أي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فاذا ماتوا انتقلوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بأن الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان هذا الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود اليه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى أن الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك (ألا له الحكم) كقوله ان الحكم الا لله (وهو أسرع الحاسبين) حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملائكة باذن الله تعالى

وأي خلق هو أكبر من الخلقين الاولين وأنور وكان سبب قيل ابراهيم ذلك ما حدثني به محمد ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق فيما ذكر لنا والله أعلم ان آزر كان رجلا من أهل كوثى من قرية بالسواد سواد الكوفة وكان اذ ذاك ملك المشرق لنمرود بن كنعان فلما أراد الله أن يبعث ابراهيم حجة على قومه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بين نوح وابراهيم نبي الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم الذي أراد الله ما أراد أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له نعلم أنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم امرأة آزر فانه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت امرأة حدبة فيما يذكر لم يعرف الحبل في بطنها ولما أراد الله أن يبلغ ولدها أراد أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة حذرا على ملكه فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة الا أمر به فذبح فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع مع المولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه يزعمون والله أعلم أن الله جعل رزق ابراهيم فيها وما يجيئه من مصه وكان آزر فيما يزعمون سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها وكان اليوم فيما يذكرون على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يلبث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه أخرجيني أنظر فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ما لي اله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بنظره حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم طلع القمر فرآه بازغا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره حتى غاب فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس أعظم الشمس ورأى شيأ هو أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ثم رجع ابراهيم الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم يبادئهم بذلك وأخبر أنه ابنه وأخبرته أم ابراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها ثم يعطيها ابراهيم يبيعها فيذهب بها ابراهيم فيما يذكرون فيقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتري بها منه أحد وادا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب فيه رؤوسها وقال اشربي استهزاء بقومه ومما هم عليه من الضلالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روى عنه من أن ابراهيم قال للكوكب أو للقمر هذا ربي وقالوا غير جائز أن يكون لله نبي ابتعثه بالرسالة أتى

لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات فى الهيآت على النفس فى آن قطع التعلق قليلة كانت أو كثيرة جمدة أو ذممة وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو أغلب و بحسب ذلك يكون الثواب أو ضده وذلك أنه لا يحصل للانسان لحظة ولا لمحة ولا حركة ولا سكون الا و يظهر منها فى جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو ضدها قل أو كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال

الجبائى ههنا لو كان كلامه قديما لوجب أن يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضى حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بأنه سيوجد و بعد وجوده صار عالما بأنه وجد ولا يلزم منه تغير العلم ثم عد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجازا عن مخاوفهما وأهوالهما يقال ليوم الكربة يوم مظلم وذو كواكب كأنه أظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل أن تكون الظلمات بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه فى موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاجلهما أو تمييزا أو مصدر خاص والمراد أن الانسان عند حصول هذه الشدائد يأتى بأمور أحدها الدعاء الثانى التضرع والثالث الاخلاص بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر هو المراد من قوله (لئن أنجيتنا من هذه) الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين الله سبحانه أنه اذا شهدت الفطرة السليمة فى هذه الحالة بأنه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب أن يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على الشرك الجلى وهو عبادة الاوثان أو الخفى وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف أخلصوا واذا انتقلوا الى الامن والرفاهية أشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد أو للجنس فيفيد أنه هو الذى عرفتموه قادر وهو الكامل القدرة على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر أو الحجارة مثل ما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل

عليه وقت من الاوقات وهو بالغ الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل ما يعبد من دونه برىء قالوا ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الاوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة لانه لا معنى فيه الا وفى غيره من أهل الكفر به مثله وليس بين الله و بين أحد من خلقه مناسبة فيحابيه باختصاصه بالكرامة قالوا وانما أكرم من أكرم منهم لفضله فى نفسه فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة وزعموا أن خبر الله عن قيل ابراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس هذا ربى لم يكن لجهله بان ذلك غير جائز أن يكون ربه وانما قال ذلك على وجه الانكار منه أن يكون ذلك ربه وعلى العيب لقومه فى عبادتهم الاصنام اذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الاصنام ولم تكن مع ذلك معبودة وكانت آفلة زائلة غير دائمة والاصنام التى دونها فى الحسن وأصغر منها فى الجسم أحق أن لا تكون معبودة ولا آلهة قالوا وانما قال ذلك لهم معارضة كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضا له فى قول باطل قال به ببا طل من القول على وجه مطالبته اياه بالفرق بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدعى فساد الآخر وقال آخرون منهم بل ذلك كان منه فى حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا ايمان وقال آخرون منهم وانما معنى الكلام أهذا ربى على وجه الانكار والتوبيخ أى ليس هذا ربى وقالوا قد تفعل العرب مثل ذلك فتحذف الالف التى تدل على معنى الاستفهام وزعموا أن من ذلك قول الشاعر

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع * فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يعنى أهم هم قالوا ومن ذلك قول أوس

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * شعيب بن سهم أو شعيب بن منقر

يعنى أشعيب بن سهم فحذف الالف ونظائر ذلك وأما تذكير هذا فى قوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى فانما هو على معنى هذا الشئ الطالع ربى وفى خبر الله تعالى عن قيل ابراهيم حين أفل القمر لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين الدليل على خطأ هذه الاقوال التى قالها هؤلاء القوم وأن الصواب من القول فى ذلك الاقرار بخبر الله تعالى الذى أخبر به عنه والاعراض عما عداه وأما قوله فلما أفل فان معناه فلما غاب وذهب كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال قال ابن اسحق الافول الذهاب يقال منه أفل النجم يأفل و يافل أفولا وأفلا اذا غاب ومنه قول ذى الرمة

مصابيح ليست باللواتى يقودها * نجوم ولا بالآفلات الدوالك

و يقال أين أفلت عنا بمعنى أين غبت عنا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين﴾ يقول تعالى ذكره فلما طلع القمر فرآه ابراهيم طالعا وهو بزوغه يقال منه بزغت الشمس تبزغ بزوغا اذا طلعت وكذلك القمر قال هذا ربى

ربى فلما أفل يقول فلما غاب قال ابراهيم لئن لم يهدنى ربى ويوفقنى لاصابة الحق فى توحيده لا كونن من القوم الضالين أى من القوم الذين أخطؤا الحق فى ذلك فلم يصيبوا الهدى وعبدوا غير الله وقد دام معنى الضلال فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ﴾ يعنى تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة فلما رأى ابراهيم الشمس طالعة قال هذا الطالع ربى هذا أكبر يعنى هذا أكبر من الكوكب والقمر فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه فلما أفلت يقول فلما غابت قال ابراهيم لقومه ياقوم انى برىء مما تشركون أى من عبادة الآلهة والاصنام ودعائه الها مع الله تعالى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه لما تبين له الحق وعرفه شهد شهادة الحق وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ولم يأخذه فى الله لومة لائم ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله وانكارهم اياه عليه وقال لهم ياقوم انى برىء مما تشركون مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من آلهتكم وأصنامكم انى وجهت وجهى فى عبادتى الى الذى خلق السموات والارض الدائم الذى يبقى ولا يفنى ويحيى ويميت لا الى الذى يفنى ولا يبقى ويزول ولا يدوم ولا يضر ولا ينفع ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته باخلاص العبادة له والاستقامة فى ذلك لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه الذى يوجه له وجهه من ليس بحنيف ولكنه به مشرك اذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه بل ضاره ومهلكه وما أنا من المشركين يقول ولست منكم أى لست ممن يدين دينكم ويتبع ملتكم أيها المشركون وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول قوم ابراهيم لابراهيم تركت عبادة هذه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقالوا ما جئت بشىء نحن نعبده ونتوجهه فقال لا حنيفا قال مخلصا لا أشركه كما تشركون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وجادل ابراهيم قومه فى توحيد الله وبرأته من الاصنام وكان جدالهم اياه قولهم ان آلهتهم التى يعبدونها خير من الهه قال ابراهيم أتحاجونى فى الله يقول أتجادلوننى فى توحيدى الله واخلاصى العمل له دون ما سواه من آلهة وقد هدان يقول وقد وفقنى ربى لمعرفة وحدانيته وبصرنى طريق الحق حتى ألفت أن لا شىء يستحق أن يعبد سواه ولا أخاف ما تشركون به يقول ولا أرهب من آلهتكم التى تدعونها من دونه شيأ يأتى فى نفسى من سوء ومكروه وذلك أنهم قالوا له انا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل لذكرك اياها بسوء فقال لهم ابراهيم لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالنى

فلما أفل يقول فلما غاب قال ابراهيم لئن لم يهدنى ربى ويوفقنى لاصابة الحق فى توحيده لا كونن من القوم الضالين أى من القوم الذين أخطؤا الحق فى ذلك فلم يصيبوا الهدى وعبدوا غير الله وقد دام معنى الضلال فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ﴾ يعنى تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة فلما رأى ابراهيم الشمس طالعة قال هذا الطالع ربى هذا أكبر يعنى هذا أكبر من الكوكب والقمر فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه فلما أفلت يقول فلما غابت قال ابراهيم لقومه ياقوم انى برىء مما تشركون أى من عبادة الآلهة والاصنام ودعائه الها مع الله تعالى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله ابراهيم عليه السلام أنه لما تبين له الحق وعرفه شهد شهادة الحق وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ولم يأخذه فى الله لومة لائم ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله وانكارهم اياه عليه وقال لهم ياقوم انى برىء مما تشركون مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من آلهتكم وأصنامكم انى وجهت وجهى فى عبادتى الى الذى خلق السموات والارض الدائم الذى يبقى ولا يفنى ويحيى ويميت لا الى الذى يفنى ولا يبقى ويزول ولا يدوم ولا يضر ولا ينفع ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته باخلاص العبادة له والاستقامة فى ذلك لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه الذى يوجه له وجهه من ليس بحنيف ولكنه به مشرك اذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه بل ضاره ومهلكه وما أنا من المشركين يقول ولست منكم أى لست ممن يدين دينكم ويتبع ملتكم أيها المشركون وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول قوم ابراهيم لابراهيم تركت عبادة هذه فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقالوا ما جئت بشىء نحن نعبده ونتوجهه فقال لا حنيفا قال مخلصا لا أشركه كما تشركون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وجادل ابراهيم قومه فى توحيد الله وبرأته من الاصنام وكان جدالهم اياه قولهم ان آلهتهم التى يعبدونها خير من الهه قال ابراهيم أتحاجونى فى الله يقول أتجادلوننى فى توحيدى الله واخلاصى العمل له دون ما سواه من آلهة وقد هدان يقول وقد وفقنى ربى لمعرفة وحدانيته وبصرنى طريق الحق حتى ألفت أن لا شىء يستحق أن يعبد سواه ولا أخاف ما تشركون به يقول ولا أرهب من آلهتكم التى تدعونها من دونه شيأ يأتى فى نفسى من سوء ومكروه وذلك أنهم قالوا له انا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل لذكرك اياها بسوء فقال لهم ابراهيم لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالنى

وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل ان فناء أمتى بالسيف قالت الاشاعرة فى قوله أو يلبسكم شيعا دلالة على أن الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفى قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى أن المعاصى وأنواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على أنه تعالى قادر على القبيح والنزاع فى أنه هل يفعل ذلك أم لا وأجيب بأن الآية دلت على أن القدرة على هذه الامور تختص به وهذه الامور واقعة فيكون هو فاعلها بالضرورة (انظر كيف نصرف الآيات) نقرر الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به أى بالعذاب المذكور فى الآية السابقة قومك يعنى قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق أى لا بد أن ينزل بهم وقيل أى بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل أى بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل أى بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم

وأعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذر (لكل نبأ لكل) خبر يخبره الله تعالى (مستقر) أى استقرار أو موضع استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود أن لعذاب الله أو لاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير (وسوف تعلمون) فيه من التهديد ما فيه ثم بين أن أولئك المكذبين ان ضموا الى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن فى الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال (واذا رأيت) أيها السامع (الذين يخوضون فى آياتنا) والخوض فى اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه

اللغو والعبث ويقرب منه قول المفسرين انه فى الآية الشروع فى آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد بعد الذكرى وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق أفاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف أما مع الخوف فهذا الفرض ساقط والتقية واجبة نعم كل ما أوجب على الرسول صلى الله عليه وسلم فعله وجب عليه سواء ظهر أثر الخوف أو لم يظهر والا لم يبق الاعتماد على التكاليف التى يبلغها (وإما ينسينك الشيطان) أى يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هى الذكر قال فى الكشاف بناء على مذهبه يجوز أن يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهى قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها وينهاك عليه معهم قال الجبائى اذا كان عدم العلم بالشئ يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشئ أولى بأن يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق لا يقع ويدل على أن الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب أن لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت الرخصة أن يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله (وما على الذين يتقون) أى الشرك والكبائر والفواحش (من حسابهم) من ذنوبهم التى يحاسبون عليها (من شئ ولكن ذكرى) أى ولكن يذكرونهم تذكيرا أو ولكن عليهم أن يذكروهم أو ولكن الذى تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شئ كقول القائل ما فى الدار من أحد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم أكد الاعراض عنهم بقوله (وذر الذين) والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فأعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول أنهم (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) وفيه وجوه اتخذوا دينهم الذى

بضر ولا مكروه لانها لا تنفع ولا تضر الا أن يشاء ربى شيأ يقول ولكن خوفى من الله الذى خلقنى وخلق السموات والارض فانه ان شاء أن ينالنى فى نفسى أو مالى بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالنى به لانه القادر على ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن جريج يقول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان قال دعاقومه مع الله آلهة وخوفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل فقال ابراهيم أتحاجونى فى الله وقد هدان قال قد عرفت ربى لا أخاف ما تشركون به وسع ربى كل شئ علما يقول وعلم ربى كل شئ فلا يخفى عليه شئ لانه خالق كل شئ ليس كالآلهة التى لا تضر ولا تنفع ولا تفهم شيأ وانما هى خشبة منحوتة وصورة ممثلة أفلا تتذكرون يقول أفلا تعتبرون أيها الجهلة فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكم صورة مصورة وخشبة منحوتة لا تقدر على ضر ولا على نفع ولا تفقه شيأ ولا تعقله وتركككم عبادة من خلقكم وخلق كل شئ وبيده الخير وله القدرة على كل شئ والعالم بكل شئ ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون﴾ وهذا جواب ابراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه اذكره اياها بسوء فى نفسه بمكروه فقال لهم وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه فى عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضر ولا ينفع ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسرى اياها وضربى لها بالفأس وأنتم لا تخافون الله الذى خلقكم ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضركم فى اشراككم فى عبادتكم اياه ما لم ينزل به عليكم سلطانا يعنى ما لم يعطكم على اشراككم اياه فى عبادته حجة ولم يضع لكم عليه برهانا ولم يجعل لكم به عذرا فأى الفريقين أحق بالأمن يقول أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتى ربى بمخلصاله العبادة حنيفا له دينى بريئا من عبادة الاوثان والاصنام أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما لم يجعل الله لكم بعبادتكم اياها برهانا ولا حجة ان كنتم تعلمون يقول ان كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتج به عليكم فقولوا وأخبرونى أى الفريقين أحق بالأمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان محمد بن اسحق يقول فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق فى قوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله يقول كيف أخاف وثنا تعبدون من دون الله لا يضر ولا ينفع ولا تخافون أنتم الذى يضر وينفع وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون أى بالامن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ألذى يعبد الذى بيده الضر والنفع أم الذى يعبد ما لا يضر ولا ينفع يضرب لهم الأمثال ويصرف لهم العبر ليعلموا أن الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبدون من دونه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال أفلج الله ابراهيم عليه السلام حين خاصمهم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ثم قال وتلك حجتنا

كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا أو اتخذوا ما هو لعب ولهو يعنى عبادة الأوثان وغيرها دينا لهم أو المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر والسوائب أو المراد أن المشركين وأهل الكتاب اتخذوا أعيادهم لعبا ولهوا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى قال ابن عباس أو هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجلال لا لأنه حق وصدق فى نفسه وبؤكد هذا الوجه الوصف الثانى وهو قوله (وغرتهم الحياة الدنيا) كأنهم أعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا (وذكر به) أى بالقرآن أو بالدين القويم مخافة (أن تبسل نفس) قال الحسن ومجاهد أن تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء فعلها وأصله المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس فى جهنم وعن ابن عباس تفتضح (ليس لها) أى للنفس (من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل) ان تفد كل فداء لان الفادى يعدل المفدى بمثله (لا يؤخذ منها) قال فى الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الأخذ بالقبول كما فى قوله ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق (أولئك) المتخذون (هم الذين أبسلوا بما كسبوا) ثم بين ما به صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله (لهم شراب من حميم) ثم رد على عبدة الاصنام بقوله (قل أندعو من دون الله) النافع الضار (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) أى لا يقدر على النفع والضر (ونرد) داخل فى الاستفهام أى أنرجع الى الشرك بعد اذ أنقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الردة عود الى الحالة الاولى التى كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ (كالذى استهوته) محله النصب على الحال من الضمير فى نرد أى أننكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه أى سقوطه من الموضع العالى الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى (حيران) حال أخرى لكن من الضمير فى استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد فى الامر بحيث لا يهتدى الى مخرجه منه ومنه محيرت

حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول ابراهيم حين سألهم أى الفريقين أحق بالامن هى حجة ابراهيم عليه السلام **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى عن ابراهيم حين سألهم فأى الفريقين أحق بالأمن قال وهى حجة ابراهيم عليه السلام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أمن يعبد رباواحدا أم من يعبد أربابا كثيرة يقول قومه الذين آمنوا برب واحد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أمن خاف غير الله ولم يخفه أم من خاف الله ولم يخف غيره فقال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول أعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية فقال بعضهم هذا فصل القضاء من الله بين ابراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله اذ قال لهم ابراهيم وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم اياه وتصديقهم له بظلم يعنى بشرك ولم يشركوا فى عبادته شيأ ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا أحق بالأمن من عقابه مكروه وعبادته من الذين يشركون فى عبادتهم اياه الأوثان والأصنام فانهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم أما فى عاجل الدنيا فانهم وجلون من حلول سخط الله بهم وأما فى الآخرة فانهم الموقنون بأليم عذاب الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا أحمد ابن اسحق قال يقول الله تعالى ذكره الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى الذين أخلصوا كاخلاص ابراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الأمن من العذاب والهدى فى الحجة بالمعرفة والاستقامة يقول الله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون قال فقال الله وقضى بينهم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون فأما الذنوب فليس يبرأ منها أحد * وقال آخرون هذا جواب من قوم ابراهيم صلى الله عليه وسلم لابراهيم حين قال لهم أى الفريقين أحق بالأمن فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالامن اذ لم يلبسوا ايمانهم بظلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون أمن يعبد رباواحدا أم من يعبد أربابا كثيرة يقول قومه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم

الروضة بالماء اذا امتلات فتردد فيها الماء (له) أى لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) أى ان يهدوه الطريق المستوى فيكون مصدرا، وسمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) أو الدعاء فى معنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من أن الجن والغيلان تستهوى الانسان وتستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا الجن غير ملتفت اليهم وقيل ان ذلك الكافر أصحاب يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بأنه هو الهدى

و روى أن الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فانه كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو) الذى يحق أن يسمى هدى وما وراءه غى وضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن اقيموا) قال الزجاج لابد من تاويل لستقيم العطف فالتقدير وأمرنا لنسلم ولنقيم أو أمرنا أن أسلموا وأن أقيموا قيل والسر فى العدول عن الظاهر أن المكلف كالغائب مالم يسلم فاذا أسلم صار كالحاضر وتقرير الآية أن متعلق الامر اما أن يكون من باب الأفعال أو من باب التروك والاول اما أن يكون من أفعال القلوب أو من أفعال الجوارح ورئيس أفعال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس أعمال الجوارح الصلاة وهو قوله وأن أقيموا ثم أشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال (وهو الذى اليه تحشرون) ليعلم أن منافع هذه الاعمال انما تظهر فى يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر بقوله (وهو الذى خلق السموات والارض) قائما أو ملتبسا (بالحق) بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك أنه أودع فى هذه الاجرام قوى وخواص وآثارا تتضمن مصالح الأبدان ومباهج نوع الانسان وهكذا خلق (يوم يقول كن فيكون قوله الحق) فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى أنه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبائع والعناصر والموالید وخلق يوم القيامة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز أن يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستأنفا أو قوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال أى القتال واقع يوم الجمعة والمراد أن قضاءه فى ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعبث (ويوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود أنه لا ملك فى ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع

بظلم بعبادة الأوثان وهى حجة ابراهيم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصل قضاء منه بين ابراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم ابراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها فى عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا ابراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ولكنه كما ذكرت من تأويله بدأ * واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال بعضهم بشرك ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم قال أبو كريب قال ابن ادريس حدثنيه أولا أبى عن أبان بن تغلب عن الأعمش ثم سمعته قيل له من الأعمش قال نعم حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنى عمى يحيى بن عيسى عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله ما منا أحد الا وهو يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألا تسمعون الى قول لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون وانما هو ما قال لقمان لابنه لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم حدثنا هناد قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه فقال انه ليس كما تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة فى قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن ابراهيم فى قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بذلك ألم تسمعوا قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن الشيبانى عن أبى بكر بن أبى موسى عن الاسود ابن هلال عن أبى بكر الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن يونس بن أبى اسحق عن أبى بكر الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك

حدثنا

والصور باتفاق أكثر أهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطأه الأئمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد سبق جمعه واحده فواحده بزيادة هاء به كالصوف أما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فأحسن صوركم ومن أسكن فقد أخطأ ومما يدل على أن الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان أنه تعالى (١٦٩) لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحنا ثم أنشأناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله (عالم الغيب والشهادة) أي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات (وهو الحكيم) المصيب في أقواله وأفعاله (الخبير) النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس فان أمر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق ﴿التأويل﴾ وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء قهار بوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو أرادت نفسه الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان أراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع البهجة ولو أراد روحه استرواحا من الحرقات قهرته بوارق التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء أحدكم الموت يعني الفناء عن أوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افناء الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب آفة وفتنة ثم

حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن سعيد بن عبيد الطائي عن أبي الاشعر العبدي عن أبيه أن زيد بن صوحان سأل سلمان فقال يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال سلمان هو الشرك بالله تعالى فقال زيد ما يسرني بها أني سمعتها منك وان لي مثل كل شئ أمسيت أملكه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن عبيد عن أبي الاشعر عن أبيه عن سلمان قال بشرك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان قال ثنا نسير بن ذعلوق عن درسب عن حذيفة في قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن رجل عن عيسى عن حذيفة في قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد ابن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وغيره أن ابن عباس كان يقول الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قال بشرك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يقول بكفر حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يقول لم يلبسوا ايمانهم بالشرك وقال ان الشرك لظلم عظيم حدثنا نصر ابن علي الجهضمي قال ثني أبي قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن زيد عن المسيب أن عمر بن الخطاب قرأ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فلما قرأها فزع فأتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر قرأت آية من كتاب الله من يسلم فقال ما هي فقرأها عليه فأينا لا يظلم نفسه فقال غفر الله لك أما سمعت الله تعالى يقول ان الشرك لظلم عظيم انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر دخل منزله فقرأ في المصحف فر بهذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فأتى أبيا فاخبره فقال يا أمير المؤمنين انما هو الشرك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن مهران أن عمر بن الخطاب كان اذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون فاشتغل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر فتلا هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقد ترى أنا نظلم ونفعل ونفعل فقال يا أمير المؤمنين ان هذا ليس بذاك يقول الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم انما ذلك الشرك حدثنا هناد قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن أبي عثمان عمرو بن سالم قال قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال عمر قد أفلح من لم يلبس ايمانه بظلم فقال أبي يا أمير المؤمنين ذاك الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسباط عن محمد بن مطرف عن ابن سالم قال قرأ عمر بن الخطاب فذكر نحوه حدثنا محمد بن بشار قال

(٢٢ - ابن جرير سابع) أنتم تشركون حين يتجلى لكم نور من أنوار صفاته فبعضكم يقول أنا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما أعظم شاني عذابا من فوقكم بسدل حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم أو من تحت أرجلكم حجابا من أوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم أو يلبسكم شيعا بجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هم الصديقون ومن قائل هم الزنديقون ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف آيات المعارف للسائرين الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير ولا يقفهون في مقام دون الفناء عن كلية

الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لأن سلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ماسعى كما قال لكل نبا مستقر أى لكل سائر وواقف مستقر من درجات القرب أو دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون فى أحوال الرجال ولاحظلهم منها فأعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى حديث غير تلك الطامات التى هى ريح فى شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الان همهم من لبس الخرقة والتزيى بزى الطالبين انما هو الدنيا وقبول الحق أن تبسل نفس أى كراهة أن يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل أندعو من دون الله أنطلب غير الله الذى هو النافع الضار والنفع الحقيقى هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقى هو الانقطاع عنه ونرد على أعقابنا الى مقام الاثنينية التى كنا فيها بعد أن هدانا الله الى الوحدة كالذى أضلته شياطين الجن والانس فى أرض البشرية باتباع الهوى حيران من اغوائهم وأمرنا ان نسلم بترك الوجود كالكرة فى ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وأن أقيموا الصلاة بمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء به عن غيره ليحشر اليه لا الى الجنة أو النار كما قال ألا من طلبنى وجدنى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق أى لاظهار صفاته بفعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله واذا أراد أن يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون ولن يصير رائيا بمجرد سعيه لان قوله فى حق الانسان كن رائيا هو الحق وله ملك الاراءة وملك الرؤية ينفخ الاراءة فى صور القلب وهو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الآيات الخبر عن يخصه من بين الناس بالاراءة ﴿ واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حسين عن على عن زائدة عن الحسن بن عبد الله عن ابراهيم ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى بشرك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جميد عن أبيه عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بعبادة الأوثان **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك **حدثنى** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش أن ابن مسعود قال لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم كبر ذلك على المسلمين فقالوا يارسول الله ما منا أحد الا وهو يظلم نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال عبادة الاوثان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن قال بشرك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشرك * وقال آخرون بل معنى ذلك ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك فعل ما نهى الله عن فعله أو ترك ما أمر الله بفعله وقالوا الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم قالوا وان قال لنا قائل أفلا أمن فى الآخرة الا لمن لم يعص الله فى صغيرة ولا كبيرة والا لمن لقى الله ولا ذنب له قلنا ان الله عنى بهذه الآية خاصا من خلقه دون الجميع منهم والذى عنى بها وأراده بها خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأما غيره فانه اذا لقى الله لا يشرك به شيأ فهو فى مشيئته اذا كان قد أتى بعض معاصيه التى لا تبلغ أن تكون كفرا فان شاء لم يؤمنه من عذابه وان شاء تفضل عليه فعفا عنه قالوا وذلك قول جماعة من السلف وان كانوا مختلفين فى المعنى بالآية فقال بعضهم عنى بها ابراهيم وقال بعضهم عنى بها المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنى بهذه الآية ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان وجميد بن عبد الرحمن عن قيس بن الربيع عن زياد بن علاقة عن زياد بن حرملة عن على قال هذه الآية لابراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لهذه الامة منها شئ * ذكر من قال عنى بها المهاجرون خاصة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا

وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ۞ القرا آت انى أرالك بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب رأى كوكبا بامالة الهمزة أبو عمرو وغير عباس والنجارى عن ورش وكذلك رآه ورآك وقرأ حمزة وعلى وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخراز بكسر الراء والهمزة وافق ابن ذكوان فى رأى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء فى سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء فى سورة اقرأ باسم رأى القمر ورأى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصر وعباس ويحيى والخراز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة أتحاجونى بتخفيف النون أبو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب فى نون الوقاية وقد هدان بالامالة على وقرأ سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الحالين وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل درجات بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف ويعقوب ۞ الوقوف آلهة ج للابتداء بان مع اتحاد القول مبين ٥ الموقنين ٥ رأى كوكبا ج لان جواب لما قوله رأى مع اتحاد الكلام بلا عطف ربى ج لان جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الآفلين ٥ هذا ربى ج لذلك الضالين ٥ هذا أكبر ج لذلك يشركون ٥ المشركين ج لاحتمال الواو الحال أى وقد حاجه قومه ط هدان ط لانتهاء الاستفهام شيأ ط علما ط تتذكرون ٥ سلطانا ط للاستفهام بعد تمام الاستفهام بالامن ج لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون فأجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون ٥ لتناهى الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله يهتدون ٥ على قومه ط من نشاء ط عليم ٥

يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن عن قيس بن الربيع عن سماك عن عكرمة الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال هى لمن هاجر الى المدينة ۞ وأولى القولين بالصحة فى ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال الظلم الذى ذكره الله تعالى فى هذا الموضع هو الشرك وأما قوله أولئك لهم الامن وهم مهتدون فانه يعنى هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا ايمانهم بشرك لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله وهم مهتدون يقول وهم المصيبون سبيل الرشاد والسالكون طريق النجاة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وتلك حجتنا قول ابراهيم لخاصميه من قومه المشركين أى الفريقين أحق بالأمن أمن يعبد رباواحدا اخلصاله الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة واجابتهم اياه بقولهم بل من يعبد رباواحدا أحق بالامن وقضاؤهم له على أنفسهم فكان فى ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم واستعلاء حجة ابراهيم عليهم فهى الحجة التى آتاها الله ابراهيم على قومه كالذى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن رجل عن مجاهد وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه قال هى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابراهيم حين سأل أى الفريقين أحق بالامن قال هى حجة ابراهيم وقوله آتيناها ابراهيم على قومه يقول لقناها ابراهيم وبصرناه اياها وعرفناه على قومه نرفع درجات من نشاء ۞ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نرفع درجات من نشاء باضافة الدرجات الى من بمعنى نرفع الدرجات لمن نشاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة نرفع درجات من نشاء بتنوين الدرجات بمعنى نرفع من نشاء درجات والدرجات جمع درجة وهى المرتبة وأصل ذلك مراقى السلم ودرجه ثم تستعمل فى ارتفاع المنازل والمراتب ۞ والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربا معناهما وذلك أن من رفعت درجته فقد رفع فى الدرج ومن رفع فى الدرج فقد رفعت درجته فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك فمعنى الكلام اذا وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فرفعناها درجته عليهم وشرفناه بها عليهم فى الدنيا والآخرة فأما فى الدنيا فآتيناه فيها أجره وأما فى الآخرة فهو من الصالحين نرفع درجات من نشاء أى بما فعل من ذلك وغيره وأما قوله ان ربك حكيم عليم فانه يعنى ان ربك يا محمد حكيم فى سياسته خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم الجاحدة توحيد ربهم وفى غير ذلك من تدبيره عليم بما يؤول اليه أمر رسله والمرسل اليهم من ثبات الامم على تكذيبهم اياهم وهلاكهم على ذلك أو اثابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع الى طاعته يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأس يا محمد فى نفسك وقومك المكذبين والمشركين بأبيك خليلى ابراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك منهم صبره فانى بالذى يؤول اليه أمرك وأمرهم عالم بالتدبير فيك

﴿التفسير﴾ انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركى العرب باحوال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعرف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك أنه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الآية يدل على أن اسم والد ابراهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارح قال الزجاج لا خلاف بين النسابين أن اسمه تارح فمن الملحدة من طعن فى هذا النسب لهذا السبب والجواب

أن اجماع النسابة لاعبرة به لان ذلك ينتهي الى قول الواحد أو الاثنين مثل وهب وكعب أو غيرهما سلمنا أن اسمه كان تارح لكنه من المحتمل أن يكون أحدهما لقبا والآخر اسما أصليا أو يكون آزر صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطئ والمخذول وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالحورزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على ألفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم يجوز أن ينيز به للزومه عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم وقال الشاعر

أدعى باسماء نبزا في قبائلها * كأن اسماء أضحت بعض أسمائي

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد ابراهيم كان تارح وكان آزر عمه والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله تعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعلوم أن اسمعيل كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الآية أن اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا متهالكين على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا أن النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان أحدا من آباء الرسول صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد وأكدوه بما روى أنه صلى الله عليه وآله قال لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وان آزر كان عم ابراهيم وما كان والده لان ابراهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله اني أراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دليل الاستخفاف ولهذا لم يقرأ بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني وأجيب بأن قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها أخر وفوق سوف يجيء ذكرها وبأن قوله لم أزل أنتقل محمول على أنه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابراهيم انما كان لاجل اصراره أبيه على الكفر كما قال فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب ثم ان ابراهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منكرا على آزر وقومه (أتتخذ أصناما آلهة) أي معبودين وذلك أن الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم

وفيهم حكيم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره فجزينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته اياناه واخلاصه توحيده به ومفارقته دين قومه المشركين بالله بان رفعنا درجته في عليين وآتيناه أجره في الدنيا ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة وذرية شرفناهم منا بالكرامة وفضلناهم على العالمين منهم ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب كلا هدينا يقول هدينا جميعهم لسبيل الرشاد فوفقناهم للحق والصواب من الاديان ونوحا هدينا من قبل يقول وهدينا المثل الذي هدينا ابراهيم واسحق ويعقوب من الحق والصواب فوفقناه له نوحا من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب ومن ذريته داود والهاء التي في قوله ومن ذريته من ذكر نوح وذلك أن الله تعالى ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطا فقال واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية ابراهيم صلى الله عليهم أجمعين فاذ كان ذلك كذلك وكان معطوفا على اسماء من سمينا من ذريته كان لاشك انه لو أريد بالذرية ذرية ابراهيم لما دخل يونس ولوط فيهم ولاشك أن لوطا ليس من ذرية ابراهيم ولكنه من ذرية نوح فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية من ذكر نوح فتأويل الكلام ونوحا وفقنا للحق والصواب من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب وهدينا أيضا من ذرية نوح داود وسليمن وداود هو داود بن ايشا وسليمن هو ابنه سليمن بن داود وأيوب هو أيوب بن موص بن روح بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم ويوسف هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهرون أخو موسى وكذلك نجزي المحسنين يقول تعالى ذكره مجزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لاصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من فوقه وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هدينا له وكما جزيناهؤلاء بحسن طاعتهم اياناوصبرهم على المحن فينا كذلك نجزي بالاحسان كل محسن ۞ القول في تأويل قوله ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا المثل الذي هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذريته زكريا بن أزن بن بركيا ويحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا وإلياس واختلفوا في الياس فكان ابن اسحق يقول هو إلياس بن يسى بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران ابن أخي موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان غيره يقول هو ادريس وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود قال ادريس هو الياس واسرائيل هو يعقوب وأما أهل الانساب فانهم يقولون ادريس جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ هو ادريس بن يرد بن مهلائيل وكذلك روى عن وهب بن منبه والذي يقول أهل الانساب أشبه بالصواب وذلك أن الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته

الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت واحتج بعضهم بالآية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى أن وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابراهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال وأجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين عليه (وكذلك) أى مثل ما أريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) والنكتة فيه أن التخلى عن غير الله يوجب رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول التجلى والتحلى بالله وانما لم يقل أريناه بلفظ الماضى لانه أراد الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابراهيم هذا المبلغ فى قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه أو المقصود بيان ارتفاعه فى معارج الكمال وازديادة فى ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية فى الذات وفى الصفات الا أن جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته فى تلك المعلومات أيضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه فى أحياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلومة لله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فأما السفر فى الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه أراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى رأى العرش والكرسى الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض

ونوح ابن ادريس عند أهل العلم فحال أن يكون جد أبيه منسوبا الى أنه من ذريته وقوله كل من الصالحين يقول من ذكرنا من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين يعنى زكريا ويحيى وعيسى والياس صلى الله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا من ذرية نوح اسمعيل وهو اسمعيل ابن ابراهيم واليسع هو اليسع بن أخطوب ابن العجوز * واختلف القراء فى قراءة اسمه فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق واليسع بلام واحدة مخففة وقد زعم قوم أنه يفعل من قول القائل وسع يسع ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة أعنى على يفعل لا يقولون رأيت اليزيد ولا أتانى اليعجب ولا مررت باليشكر الا فى ضرورة شعر وذلك أيضا اذا تحرى به المدح كما قال بعضهم

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله

فأدخل اليزيد الالف واللام وذلك لادخاله اياهما فى الوليد فأتبعه اليزيد بمثل لفظه وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين واليسع بلامين وبالتشديد وقالوا اذا قرئ كذلك كان أشبه بأسماء العجم وأنكروا التخفيف وقالوا لا نعرف فى كلام العرب اسما على يفعل فيه ألف ولام والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة لاجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد مع انه اسم أعجمى فينطق به على ما هو به وانما لا يستقيم دخول الالف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل وأما الاسم الذى يكون أعجميا فانما ينطق به على ما سموا به فان غيرته نبى اذا تكلمت العرب به فانما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان واليسع اذا شدد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال اسمه ليسع فيكون مشددا عند دخول الالف واللام اللتين يدخلان للتعريف ويونس هو يونس بن متى ولوطا وكلا فضلنا من ذرية نوح ونوح لهم بينا الحق ووفقناهم له وفضلنا جميعهم على العالمين يعنى على عالم أزمانهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره وهدينا أيضا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرياتهم واخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم للحق والدين الخالص الذى لا شريك فيه فوفقناهم له واجتبيناهم يقول واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا الى من أرسلناهم اليه كالذى اخترنا ممن سمينا يقال منه اجتبى فلان لنفسه كذا اذا اختاره واصطفاه بجنيبه اجتباء وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره واجتبيناهم قال أخلصناهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وهديناهم الى صراط مستقيم يقول وسددناهم فأرشدناهم الى طريق غير معوج وذلك دين الله الذى لا عوج

لما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب عن ابن عباس أنه قال لما أرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وأرى ما فيها وما فى الارض من العجائب رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادى فهم بين خلال ثلاث اما أن أجعل منهم ذرية طيبة أو يتوبون فأغفر لهم أو النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو أريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضائعا وأيضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك

الاراءة فثبت أنه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالآخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا تصح على قومه وأيضا الاراءة بالعين تفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا توجب المدح والثواب كما للكفار في الآخرة وأيضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نرى ابراهيم ليستدل بها وليكون من الموقنين أو ليكون من الموقنين نريه أو نفعل ذلك وذلك أن الاراءة قد تصير سببا للجحود (١٧٤) لا الايقان كما في حق فرعون ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى وأيضا الانسان لا يمكنه أن يرى بالعين أشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء تكون شاغلة للرائي عن الله أما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف أن كل ممكن يحتاج الى الصانع الحق الواجب فكأنه بهاتين المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الا أن الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذه العوالم بحسب أجناسها وأنواعها وأصنافها وأشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في دعائه أرنى الاشياء كما هي ثم ان الانسان في أول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تأثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد وتزداد النفس بكل منها نورا واشراقا وانبساطا الى أن يحصل الجزم ويكمل الايقان وتطلع شمس العلم والعرفان الى حيث أتيح لها من الارتقاء والتصاعد وذلك

فيه وهو الاسلام الذي ارتضاه الله ربنا لانبيائه وأمر به عباده ۞ القول في تأويل قوله ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هدى الله هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الانبياء والرسل فوفقتهم به لاصابة الدين الحق الذي نالوا باصابتهم اياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة هو هدى الله يقول هو توفيق الله ولطفه الذي يوفق به من يشاء ويلطف به لمن أحب من خلقه حتى ينيب الى طاعة الله واخلاص العمل له واقراره بالتوحيد ورفض الاوثان والاصنام ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يقول ولو أشرك هؤلاء الانبياء الذين سميناهم برهم تعالى ذكره فعبدوا معه غيره لحبط عنهم يقول لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا ۞ القول في تأويل قوله ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾ يعني تعالى ذكره بقوله أولئك هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله نوحا وذريته الذين هداهم لدين الاسلام واختارهم لرسالته الى خلقه هم الذين آتيناهم الكتاب يعني بذلك صحف ابراهيم وموسى وزبور داود وانجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين والحكم يعني الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الاحكام وروى عن مجاهد في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا أبان قال ثنا مالك بن شداد عن مجاهد والحكم والنبوة قال الحكم هو اللب وعنى بذلك مجاهد ان شاء الله ما قلت لأن اللب هو العقل فكأنه أراد أن الله آتاهم العقل بالكتاب وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به وقد بينا معنى النبوة والحكم فيما مضى بشواهدهما فاغنى ذلك عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله ﴿فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ يقول تعالى ذكره فان يكفر يا محمد بآيات كتابي الذي أنزلته اليك فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم كالذي حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان يكفر بها هؤلاء يقول ان يكفروا بالقرآن ثم اختلف أهل التأويل في المعني بهؤلاء فقال بعضهم عنى بهم كفار قريش وعنى بقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله تعالى فان يكفر بها هؤلاء قال أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن جويبر عن الضحاك فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال الانصار حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فان يكفر بها هؤلاء قال ان يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ليسوا بها بكافرين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فان يكفر بها هؤلاء يقول ان يكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان يكفر بها هؤلاء أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أهل المدينة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن

قوله (فلما جن عليه الليل) قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابراهيم وقوله وكذلك نرى جملة وقعت اعتراضا عباس بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل وأجنه الليل والتركيب يدور على الستة ومنه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل أي أظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى وأما أجنه فعناه ستره من غير تضمين معنى أظلم واعلم أن كثيرا من المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان رأى رؤيا وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام ينازعه في ملكه فأمر بذبح كل غلام يولد فحملت أم ابراهيم عليه السلام به وما

عباس قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال كان أهل المدينة قد تبوؤا الدار والايمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله عليهم الآيات جحدها أهل مكة فقال الله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال عطية ولم أسمع هذا من ابن عباس ولكن سمعته من غيره **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان يكفر بها هؤلاء يعني أهل مكة يقول ان يكفروا بالقرآن فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني أهل المدينة والانصار * وقال آخرون معنى ذلك فان يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها الملائكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن أبي رجاء فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال هم الملائكة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي وعبد الوهاب عن عوف عن أبي رجاء مثله * وقال آخرون عنى بقوله فان يكفر بها هؤلاء يعني قريشا وبقوله فقد وكلنا بها قوما الانبياء الذين سماهم في الآيات التي مضت قبل هذه الآية ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان يكفر بها هؤلاء يعني أهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء الثمانية عشر الذين قال الله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فان يكفر بها هؤلاء قال يعني قوم محمد ثم قال فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم ثم قال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وأولى هذه الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى بقوله فان يكفر بها هؤلاء كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني به الانبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى وفي التي بعدها عنهم ذكر ففي ما بينهما بأن يكون خبرا عنهم أولى وأحق من أن يكون خبرا عن غيرهم فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك فان يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا وكذبوا وجحدوا حقيقتها فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ولا يكذبون بها ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها وقد قال بعضهم معنى قوله فقد وكلنا بها قوما مار زقناها قوما * القول في تأويل قوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ يقول تعالى ذكره أولئك هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين هم الذين هداهم الله لدينه الحق وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من أمر الله والانتهاء عما فيه من نهيه فوفقهم جل ثناؤه لذلك فبهداهم اقتده يقول تعالى ذكره فبالعمل الذي عملوا والمنهاج الذي سلكوا وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد أي فاعمل وخذ به واسلكه فانه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها

فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ وأوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ وأكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها أن القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها أن ابراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى أخبر عنه أنه دعا أباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات وفي هذا الموضع دعا أباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها أنه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل أي من أول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها أنه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع أنه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد أن خالط قومه ورآهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال

لأحب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف أخاف ما أشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها أن تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي أن يستدل أولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا أن المقصود الزام القوم وافحامهم والابتداء بأفول الكوكب لانه اتفقت مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى أن طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا

النجم الذي كان أصغر النجوم في السماء

كلام ابراهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله أن يقول فى مناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم قديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه متركبا متغيرا فقولك الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة عليه أو المراد هذا ربى فى زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود أى فى زعمه واعتقاده قال تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائى وقال ذق انك أنت العزيز الكريم أى عند نفسك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ياالله الآلهة فى زعمهم أو المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا أنه أسقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام أو أضمر القول أى يقولون هذا ربى واضمار القول كثير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا أى يقولان ربنا والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أى يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا أو ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء أو أنه عليه السلام قد عرف من تقليدهم لآسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا قوله فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع أن ابراهيم كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المأمور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد لقوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فلأن يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدى أولى قالت العلماء ان المكره على ترك الصلاة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم أنه لو اشتغل بالصلاة انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلاة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال أثم وان من كان فى الصلاة فرأى طفلا أو أعمى أشرف على غرق أو حرق وجب عليه قطع الصلاة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم وذلك أنهم كانوا يستدلون بعلم قال النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق فى الظاهر مع أنه كان بريئا عنه فى الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح من الله تعالى اظهار خوارق العادات على يد من يدعى الالهية لان صورة هذا المدعى وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها على يد من يدعى النبوة كذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربى لا يوجب

بكافرين أنهم الانبياء المسمون فى الآيات المتقدمة وهو القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك وأما على تأويل من تأول ذلك أن القوم الذين وكلوا بها هم أهل المدينة أو أنهم هم الملائكة فانهم جعلوا قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اعتراضا بين الكلامين ثم ردوا قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده على قوله أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يا محمد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك الذين هدى الله يا محمد فبهداهم اقتده ولا تفقد بهؤلاء **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده **حدثنا** على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال ثم قال فى الانبياء الذين سماهم فى هذه الآية فبهداهم اقتده ومعنى الاقتداء فى كلام العرب بالرجل اتباع أثره والأخذ بهديه يقال فلان يقد وفلانا اذا نحا نحوه واتبع أثره قده وقدوة وقدوة

القول فى تأويل قوله ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم يا آتى أن تبتغى نفس بما كسبت من مشركى قومك يا محمد لا أسألكم على تذكيرى اياكم والهدى الذى أدعوكم اليه والقرآن الذى جئتكم به عوضا أعتاضه منكم عليه وأجرا آخذه منكم وما ذلك منى الا تذكير لكم ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل بأس الله أن يحل بكم وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم وانذار لجميعكم بين يدى عذاب شديد لتذكروا وتنزجروا

القول فى تأويل قوله ﴿وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ﴾ يقول تعالى ذكره وما قدروا الله حق قدره وما أجلوا الله حق اجلاله ولا عظموه حق تعظيمه اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ يقول حين قالوا لم ينزل الله على آدمى كتابا ولا وحيا واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ وفى تأويل ذلك فقال بعضهم كان قائل ذلك رجلا من اليهود ثم اختلفوا فى اسم ذلك الرجل فقال بعضهم كان اسمه مالك بن الصيف وقال بعضهم كان اسمه فنحاص واختلفوا أيضا فى السبب الذى من أجله قال ذلك ذكر من قال كان قائل ذلك مالك بن الصيف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين

الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفى ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جائزا * الاحتمال الثانى أنه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم انه تعالى أكمل بلوغه فى أثناء هذا الفكر فقال عند أفول الشمس الى برىء مما تشركون واعلم أن القصة التى ذكرناها من ان ابراهيم عليه السلام ولد فى الغار وتركته أمه وكان جبريل يربيه محتملة فى الجملة لان الارهاص وهو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه القاضى الا اذا حضر فى ذلك الزمان رسول من الله تعالى فتكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال فى الكشاف فان قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وأنا أقول الاحتجاج بالبزوغ فى الآية لا يصح لانه تعالى بين أنه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس دليله أنه لم يقل رأى القمر يبزغ بل بازغا ولو سلم فان أحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والأوساط والعوام فالخواص يفهمون من الأفول الامكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز أن يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات وأما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم وأما العوام فانهم يفهمون من الأفول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية أقصى ما فى الباب أن يقال ان لها تأثيرات فى أحوال العالم السفلى ولكن تلك التأثيرات لما لم تكن لها بذاتها لزم استناد الكل الى الواجب سبحانه

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قال نزلت فى مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار يهود قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الآية ذكر من قال نزلت فى فنحاص اليهودى **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قال قال فنحاص اليهودى ما أنزل الله على محمد من شئ وقال آخرون بل عنى بذلك جماعة من اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا يونس قال ثنا أبو معشر المدنى عن محمد بن كعب القرظى قال جاء ناس من يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا يحملها من عند الله فأنزل الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة الآية فخنار رجل من يهود فقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيأ فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره قال محمد بن كعب ما علموا كيف الله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا فخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول ولا على أحد **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ الى قوله فى خوضهم يلعبون هم اليهود والنصارى قوم آتاهم الله علما فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به فذمهم الله فى عملهم ذلك ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول ان من أكثر ما أنا مخاصم به غدا أن يقال يا أبا الدرداء قد علمت فماذا عملت فيما علمت **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ يعنى من بنى اسرائيل قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا قال فأنزل الله قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الى قوله ولا آباؤكم قال الله أنزله وقال آخرون هذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشركى قريش أنهم قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قالها مشركو قريش قال وقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا قال وقوله وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قال هذه للمسلمين **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره قال هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن

(٢٣ - ابن جرير سابع)

وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالتأثيرات فى الأحوال السفلية بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدا بالكلية ويعلم من قوله لا أحب الآفلين أنه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا عنا فكان آفلا وانه لا يصح عليه المجىء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه أن معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل الى معرفته تعالى الا النظر والاستدلال أما قوله فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر أو الشمس اذا ابتدأ بالطلوع وأصل البزغ الشق

كانه بنوره يشق الظلمة شقا قاله الازهرى وفى قوله ان لم يهدنى ربى اشارة الى أن الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة حملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلائل وزيف بأن كل ذلك كان حاصلا فالهداية التى كان يطلبها بعد ذلك لابد أن تكون زائدة عليها فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى أراد هذا الطالع أو هذا المرئى أو ذكر بتأويل الضياء والنور أو باعتبار الخبر وهو رب مع رعاية الادب وهو ترك التأنيث عند اللفظ الدال على الربوبية كما لم يقولوا (١٧٨) فى صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا أكبر أى أكبر الكواكب جرما ونورا وقد برهن فى الهيئة على أنها مائة وستة وستون مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس أولا مع أنه يلزم منه عدم ربوبية مادونها من القمر والكواكب لانه أراد الاخذ من الأدون الى الأعلى لمزيد التقرير والتصوير ياقوم انى برىء مما تشركون قيل لا يلزم من نفى ربوبية النجوم نفى الشريك مطلقا والجواب أن القوم لم ينازعوه الا فى الصور المذكورة فلما أثبت أنها ليست أربابا ثبت بالاتفاق نفى الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهى للذى فطر وجهت عبادتى لاجله فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة وأصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق والورد اذا أظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال أبو العالية الذى يستقبل البيت فى صلاته ثم ان قومه حاجوه متمسكين بالتقليد تارة بقولهم انا وجدنا آباءنا على أمة وبقولهم للرسول صلى الله عليه وسلم أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب ومخوفين اياه بالأصنام أخرى فأجابهم بقوله أتحاجونى فى الله وقد هدان أى لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولى فكيف ألتفت الى حجتكم الواهية ولا أخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا أن يشاء الا وقت مشيئة ربى يبدونها شيأ يخاف حذف المضاف أى الا ان أذنبت فيشاء انزال العقوبة بى أو الا أن يريد ابتلائى بمحنة أو الا أن يمكن بعض تلك الاصنام من ضرى مثل أن يرجمنى بكوكب أو كان قد أودع فيها طلسم فيصيبنى مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شئ من المكاره فى الايام المستقبلة لم يحمله الحمق والجهالة على قدرة الاصنام وسع ربى كل شئ علما فلا يفعل الا الخير والصلاح أفلا تتذكرون أن نفى الانداد

مجاهد وما قدروا الله حق قدره يقول مشركو قريش * وأولى هذه الاقوال بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال عنى بذلك وما قدروا الله حق قدره مشركو قريش وذلك أن ذلك فى سياق الخبر عنهم أولا فان يكون ذلك أيضا خبرا عنهم أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما فى الخبر عمن أخبر الله عنه فى هذه الآية من انكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيأ من الكتب وليس ذلك مما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الاقرار بصحف ابراهيم وموسى وزبور داود واذا لم يكن مما روى من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود خبر صحيح متصل السند ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل اجماع وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها الى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعى أن ذلك مصروف عما هو به موصول الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولكنى أظن أن الذين تأولوا ذلك خبرا عن اليهود وجدوا قوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فوجهوا تأويل ذلك الى أنه لاهل التوراة فقرؤه على وجه الخطاب لهم تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم اذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل لما وصفت قبل من أن قوله وما قدروا الله حق قدره فى سياق الخبر عن مشركى العرب وعبدة الاوثان وهو به متصل فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم والأصوب من القراءة فى قوله يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا أن يكون بالياء لا بالتاء على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ويكون الخطاب بقوله قل من أنزل الكتاب لمشركى قريش وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد ان شاء الله فى تأويل ذلك وكذلك كان يقرأ حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك القائلين لك ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا يعنى جلاء وضياء من ظلمة الضلالة وهدى للناس يقول بيانا للناس يبين لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم يجعلونه قراطيس يبدونها فمن قرأ ذلك تجعلونه جعله خطابا لليهود على ما بينت من تأويل من تأول ذلك كذلك ومن قرأه بالياء يجعلونه فتأويله فى قراءته يجعله أهله قراطيس وجرى الكلام فى يبدونها بذكر القراطيس والمراد منه المكتوب فى القراطيس يراد يبدون كثيرا مما يكتبون فى القراطيس فيظهرونه للناس ويخفون كثيرا مما يثبتونه فى القراطيس فيسرونه ويكتمونه الناس ومما كانوا يكتمونه اياهم ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته كالذى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قراطيس

عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الصحيح لا يساوى الفاسد والعاجز لا يساوى القادر ثم أكد ذلك بقوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فينزل وقيل انه لا يمتنع عقلا أن يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلاة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى مالكم تنكرون على الأمن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف ثم قال فأى الفريقين يعنى فريق المشركين والموحدين ولم يقل فاينا أحق بالامن أنا أم أنتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض انى أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الآية والمعنى أن الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وسنامه الايمان ولكمال القوة العلمية وهو وضع الاشياء فى موضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا أى لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط فى الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا فى الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت أن الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط فى حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب أن لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له أبدا وأجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا فى المعبودية ويؤيده أن القصة وردت فى نفى الاضداد والانداد وأيضا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدى واعلم أن المحاجة فى الله تارة تكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابراهيم وتارة تكون موجبة للمدح ولما كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابراهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا والها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم أرشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم فى البقرة واختلف فى تلك الدرجات فقيل أعماله فى الآخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها تقتضى ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسمانى الى أعلى العالم الروحانى وقيل نرفع من نشاء فى الدنيا بالنبوة والحكمة

يبدونها ويخفون كثيرا اليهود **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها يعنى يهود لما أظهروا من التوراة ويخفون كثيرا مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا قال هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ يقول تعالى ذكره وعلمكم الله جل ثناؤه الكتاب الذى أنزله اليكم مالم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ومن أنباء من بعدكم وما هو كائن فى معادكم يوم القيامة ولا آباؤكم يقول ولم يعلمه آباؤكم أيها المؤمنون بالله من العرب ورسوله صلى الله عليه وسلم كالذى **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد وعلمتم معشر العرب مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول فى قوله وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قال هذه للمسلمين وأما قوله قل الله فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا بقيل الله كما مر بنا فى موضع آخر فى هذه السورة بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فأمره باستفهام المشركين عن ذلك كما أمره باستفهامهم اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ عمن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ثم أمره بالاجابة عنه هنالك بقيله قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون كما أمره بالاجابة ههنا عن ذلك بقيله الله أنزله على موسى كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس قال الله أنزله ولو قيل معناه قل هو الله على وجه الامر من الله له بالخبر عن ذلك لا على وجه الجواب اذ لم يكن قوله قل من أنزل الكتاب مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون قوله قل الله جوابا لهم عن مسألتهم فانما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم من أنزل الكتاب فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله كان جائزا من أجل أنه استفهام ولا يكون الاستفهام جواب وهو الذى اخترنا من القول فى ذلك لما بينا وأما قوله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام بعد احتجاجك عليهم فى قيلهم ما أنزل الله على بشر من شئ بقولك من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس واجابتك ذلك بأن الذى أنزله الله الذى أنزل عليك كتابه فى خوضهم يعنى فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته يلعبون يقول يستهزؤن ويسخرون وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهديد لهم يقول الله جل ثناؤه ثم دعهم لاعبين يا محمد فانى من وراء

وفى الآخرة بالجنة والثواب أو نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا لموجب التشهى والشهوة * ﴿التأويل﴾ رأى ابراهيم ملكوت الاشياء أى بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع فى آزر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليل البشرية أمطر سحاب العناية غيث الهداية على أرض قلبه فأنبت بذر الخلة المودعة فى ملكوت قلبه فرأى نور الرشد فى صورة الكوكب طالعا من أفق سماء روحانيته فقال هذا ربى أراد به سره المكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل

هوى فؤادى ولم يعلم به بدنى *

فالجسم فى غربة والروح فى وطن
فان كذبت النفس فيما قالت

للكوكب هذا ربى ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب فقال هذا ربى فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخلقية عند رجوعه الى أوصافه ووافقه كوكب السماء بالغروب قال سره لا أحب الآفلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية فى مرآة القمر قال هذا ربى فلما أفل عند رجوعه الى أوصافه ازداد الشوق قال ان لم يهدنى ربى برفع حجب الاوصاف ويبقنى على وجود الخليقة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كآزر وقومه فلما انخرقت حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية وأشرقت أرض القلب بنور ربها قال هذا ربى فلما أفلت شمس الهداية تعززا وتعظما لغرب ابراهيم عليه السلام عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل *

وشمس القلوب ليست تغيب
تبرأ عن الاضداد والانداد ونزعته همة

الخلة عن الجهات وخلصه تجلى صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال ياقوم انى برىء مما تشركون وقد يدور فى الخلد أن ابراهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر أولا فى عالم الاجسام فوجدها آفلة فى أفق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها آفلة فى أفق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها آفلة فى أفق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده أن هذه القوى المدركة الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستول عليها وحاجه قومه ليسبلوا ستور شبههم على شموس

ماهم فيه من استهزائهم بآياتى بالمرصاد وأذيقهم بأسى وأحل بهم ان تمادوا فى غيهم سخطى ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾ يقول تعالى ذكره وهذا القرآن يا محمد كتاب وهو اسم من أسماء القرآن قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ومعناه مكتوب فوضع الكتاب مكان المكتوب أنزلناه يقول أوحيناه اليك مبارك وهو مفاعل من البركة مصدق الذى بين يديه يقول صدق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه قبلك لم يخالفها ولا تبأ وهو معنى نور وهدى للناس يقول هو الذى أنزل اليك يا محمد هذا الكتاب مباركا مصدقا كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله ولكنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عنه اذ كان قد تقدم الخبر عن ذلك ما يدل على أنه به متصل فقال وهذا كتاب أنزلناه اليك مبارك ومعناه وكذلك أنزلت اليك كتابى هذا مباركا كالذى أنزلت من التوراة الى موسى هدى ونورا وأما قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها فانه يقول أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب مصدقا ما قبله من الكتب ولتنذر به عذاب الله وبأسه من فى أم القرى وهى مكة ومن حولها شرقا وغربا من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها يعنى بأم القرى مكة ومن حولها من القرى الى المشرق والمغرب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها وأم القرى مكة ومن حولها الارض كلها **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولتنذر أم القرى قال هى مكة وبه عن معمر عن قتادة قال بلغنى أن الارض دحيت من مكة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتنذر أم القرى ومن حولها كنا نحدث أن أم القرى مكة وكنا نحدث أن منها دحيت الارض **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولتنذر أم القرى ومن حولها أما أم القرى فهى مكة وانما سميت أم القرى لأنها أول بيت وضع بها وقد بينا فيما مضى العلة التى من أجلها سميت مكة أم القرى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ يقول تعالى ذكره ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد فى الآخرة الى الله ويصدق بالثواب والعقاب فانه يؤمن بهذا الكتاب الذى أنزلناه اليك يا محمد ويصدق به ويقر بأن الله أنزله ويحافظ على الصلوات المكتوبات التى أمره الله باقامتها لأنه منذر من بلغه وعبد الله على الكفر به وعلى معاصيه وانما يجحده ويعاديه ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود لقيام الساعة لانه لا يرجو من الله ان عمل بما فيه ثوابا ولا يخاف ان لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا

عرفانه وقد هدى اليه بالعيان بعد توالى البرهان الا أن يشاء ربى شيأ من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربى كل شئ علما فهو أعلم بأهل العرفان وبأصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبريل أما اليك فلا وتلك يعنى اراءة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبرى عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقى بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات آتيناها ابراهيم بذاتنا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبى ﴿ ووهبنا له اسحق و يعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ﴾

القراآت واليسع بتشديد اللام حمزة وعلى وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلوانى عن هشام مختلسة وبحذف الهاء فى الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل * الوقوف ويعقوب ط كلا هدينا ج لأن ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بأنه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون ط المحسنين ٥ لا للعطف والياس ط من الصالحين ٥ لا للعطف ولوطا ط العالمين ٥ لا للعطف واخوانهم ج لبيان أن قوله واجتبيناهم يعود الى قوله كلا هدينا كقوله وممن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو الحال أى وقد اجتبيناهم وذكر هدايناهم بعده مستقيم ٥ من عباده ط يعملون ٥ والنبوة ج بكافرين ٥ اقتده ط أجرا ط للعالمين ٥ * (التفسير) لما حكى حجج ابراهيم صلوات الرحمن عليه فى التوحيد والذب عن الدين الحنيفى عدد وجوه نعمه واحسانه عليه بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا له باللفظ الدال على العظمة

أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ يعنى جل ذكره بقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ومن أخطأ قولا وأجهل فعلا ممن افترى على الله كذبا يعنى ممن اختلق على الله كذبا فادعى عليه أنه بعثه نبيا وأرسله نذيرا وهو فى دعواه مبطل وفى قيله كاذب وهذا تسفيه من الله لمشركى العرب وتجهيل منه لهم فى معارضة عبد الله بن سعد بن أبى سرح والحنفى مسيلمة لنبى الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أحدهما النبوة ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفى منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق الكذب عليه ودعوى الباطل * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ قال نزلت فى مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة فيما كان يسجع و يتكهن به ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخى بنى عامر بن لؤى كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم وكان فيما يملى عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم فيغيره ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل فيقول نعم سواء فرجع عن الاسلام ولحق بقريش وقال لهم لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم فأحوّله ثم أقول لما أكتب فيقول نعم سواء ثم رجع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبى صلى الله عليه وسلم بمر وقال بعضهم بل نزل ذلك فى عبد الله بن سعد خاصة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ الى قوله تجزون عذاب الهون قال نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح أسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب سميعا عليما فشك وكفر وقال ان كان محمد يوحى اليه فقد أوحى الىّ وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله قال محمد سميعا عليما فقلت أنا عليما حكيما فلحق بالمشركين ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمى أو لبنى عبد الدار فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا وجدع أذن عمار يومئذ فانطلق عمار الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقى والذى أعطاهم من الكفر فأبى النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولاه فأنزل الله فى شأن ابن أبى سرح وعمار وأصحابه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فالذى أكره عمار وأصحابه والذى شرح بالكفر صدرا فهو ابن أبى سرح وقال آخرون بل القائل أوحى الى ولم يوح اليه شئ مسيلمة الكذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى مسيلمة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأن فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على وأهمانى فأوحى الى أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما فى منامى الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة

كما يقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك أنه جعل أشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو أيضا ابنه لصلبه لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني اسرائيل وهم بأسرهم أولاد اسحق و يعقوب وأما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه أحد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وآله ولا يجوز ذكر محمد صلى الله عليه وآله في هذا المقام لانه أمر محمدا أن يحتج على العرب بأن ابراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد شرفه الله بالنعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك أن آتاه أولادا كانوا ملوكا وأنبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمدا متنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق أما قوله (ونوحا هدينا من قبل) فالمقصود منه بيان كرامة ابراهيم بحسب الآباء أيضا مثل نوح وادريس وشيث وأما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لأنه أقرب ولأنه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن أخي ابراهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولأن ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل ما كان من ذرية ابراهيم وكان من ذرية نوح ولأن يونس عليه السلام لم يكن من ذرية ابراهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابراهيم لأنه هو المقصود بالذكر في هذا المقام * واعلم أن الله تعالى ذكر أربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر نبيا داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فالمجموع ثمانية عشر وأنه لم يراع الترتيب بينهم في الآية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على أن الواو لا تفيد الترتيب وقال في التفسير الكبير ان وجه الترتيب أنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد أعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والمرتبة الثانية البلاء والمحنة وقد خص أيوب بذلك والثالثة استجماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي أولا ثم أوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى

وكذاب صنعاء العنسي وكان يقال له الاسود حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ قال نزلت في مسيلمة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وزاد فيه وأخبرني الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فكبر ذلك علي فأوحى الي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولت ذلك كذابي اليمامة وكذاب صنعاء العنسي * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله قال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ولا تمانع بين علماء الامة أن ابن أبي سرح كان ممن قال اني قد قلت مثل ما قال محمد وانه ارتد عن اسلامه ولحق بالمشركين فكان لا شك بذلك من قيله مفتريا كذبا وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذبا أنه بعثهما نبيين وقال كل واحد منهما ان الله أوحى اليه وهو كاذب في قيله فاذ كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله الي وهو في قيله كاذب لم يوح الله اليه شيأ فأما التنزيل فانه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم وجائز أن يكون عنى به جميع المشركين من العرب اذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيروه فغيرهم الله بذلك وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك ومع تركهم نكيره هم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ولنبوته جاحدون ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون فقال لهم جل ثناؤه ومن أظلم ممن ادعى على النبوة كاذبا وقال أوحي الي ولم يوح اليه شئ ومع ذلك يقول ما أنزل الله على بشر من شئ فينقض قوله بقوله و يكذب بالذي تحققه و ينفي ما يثبته وذلك اذا تدبره العاقل الاريب علم أن فاعله من عقله عديم وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ما حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله قال زعم أنه لو شاء قال مثله يعني الشعر فكان ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوله يوجه معنى قول قائل سأنزل مثل ما أنزل الله الى سأنزل مثل ما قال الله من الشعر وكذلك تأوله السدي وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد والقائلين ما أنزل الله على بشر من شئ والمفترين على الله كذبا الزاعمين أن الله أوحى اليه ولم يوح اليه شئ والقائلين سأنزل مثل ما أنزل الله فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت ونزل بهم أمر الله وحان فناء آجالهم والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم كما قال جل ثناؤه فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم والغمرات جمع غمرة وغمرة كل شئ كثرته ومعظمه وأصله الشئ الذي يغمر الاشياء فيغطيها ومنه قول الشاعر

والياس ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم فى الخلق أتباع ولا أشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط وأما المراد بقوله (كلا هدينا ونوحا هدينا) قيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله (وكذلك نجزى المحسنين) فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد أن يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لأنهم اجتهدوا فى طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لأن الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز أن تكون الرسالة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله (وكلا فضلنا على العالمين) على أن الانبياء أفضل من الملائكة وذلك أن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الأولياء وقيل فضلناهم على عالمى زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضى ويمكن أن يقال المراد وكل من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام فى ان أى الانبياء أفضل من بعض كلام آخرا لا تعلق له بالاول ثم قال (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) معطوف على كلا أى فضلنا بعض آبائهم فالآباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على أنه تعالى خص كل من تعلق بهولاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على أنه قد كان فى آباء هؤلاء الانبياء من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا أنه يفيد أن لا تكون المرأة رسولا ولا نبيا (واجتبيناهم) أى اصطفيناهم من جبيت الماء فى الحوض وجبوته أى جمعته (ذلك هدى الله) اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو أشركوا لحبط وفيه دليل على أن الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة (أولئك) يعنى الانبياء الثمانية عشر (الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ولا بد بحكم العطف من تغاير الأمور الثلاثة ووجهه بأن الحكام على الخلق ثلاث طوائف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الأمرين وهم

وهل ينجى من الغمرات الا * تراك للقتال أو الفرار

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت قال سكرات الموت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى غمرات الموت يعنى سكرات الموت وأما بسط الملائكة أيديهم فانه مدها ثم اختلف أهل التأويل فى سبب بسطها أيديها عند ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم قال هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم يقول الملائكة باسطوا أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم والظالمون فى غمرات الموت وملك الموت يتوفاهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والملائكة باسطو أيديهم يضربونهم وقال آخرون بل بسطها أيديها بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك والملائكة باسطو أيديهم قال بالعذاب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح والملائكة باسطو أيديهم بالعذاب وكان بعض نحويى الكوفيين يتأول ذلك بمعنى باسطو أيديهم باخراج أنفسهم فان قال قائل ما وجه قوله أخرجوا أنفسكم ونفوس بنى آدم انما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين فكيف خوطب هؤلاء الكفار وأمروا فى حال الموت باخراج أنفسهم فان كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم قيل ان معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت وانما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم بأداء ما أسكنها ربها من الارواح اليه وتسليمها الى رسله الذين يتوفونها ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله التى تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها يخبر عنها أنها تقول لاجسامها ولأصحابها أخرجوا أنفسكم الى سخط الله ولعنته فانكم اليوم تثابون على كفركم بالله وقيلكم عليه الباطل وزعمكم أن الله أوحى اليكم ولم يوح اليكم شيأ وانذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيأ واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله والانقياد لطاعته عذاب الهون وهو عذاب جهنم الذى يهينهم فيذلهم حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلتها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما عذاب الهون فالذى يهينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج اليوم تجزون عذاب الهون قال عذاب الهون فى الآخرة بما كنتم تعملون والعرب اذا أرادت بالهون معنى الهوان ضمت الهاء واذا أرادت

الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف الثلاثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما فى هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه وأسراره وقيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحى والتنزيل كصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما أنزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين (فان يكفر بها) أى بالامور الثلاثة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أى ليسوا كافرين بها بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل أهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك أولئك الذين هدى الله وقال أبو رجاء يعنى الملائكة وضعف بأن اسم القوم قلما يقع على غير بنى آدم وفى الآية دلالة على أنه تعالى سينصر نبيه ويظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد وكان اخبارا بالغيب فصح إعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على أنه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشتركا بين الكل لم يصح هذا التخصيص أجاب الكعبى بأنه زاد المؤمنين من الألطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير أن يستوى فاذا لم ينتفع به الكافر صح بحسب الظاهر أن يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف وردّ بأن الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبأن الوالد الماسوى بين الولدين فى العطية ثم ان أحدهما ضيع نصيبه فأى عاقل يجوز أن يقول أحد ان الأب ما أنعم عليه وما أعطاه شيأ (فبهداهم اقتده) من حذف الهاء فى الوصل فعلى الاصل ومن أثبتها فى الوصل كما فى الوقف أراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة فى الخط فكره مخالفة الخط فى الحالين وأما قراءة ابن عامر يخال بكسر الهاء بغير اشباع فقال أبو بكر بن مجاهد انها غلط وقال أبو على الفارسى ليست بغلط ووجهها أن يجعل الهاء كناية عن المصدر المدلول عليه الفعل والتقدير فبهداهم اقتداء وتقديم المفعول للاختصاص أى لا تقتد الا بهم ولا خلاف فى أنه أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام فى تفسير الهدى فمن الناس من قال المراد الذى أجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد والتنزيه

ومن توكيلهم بها أنهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل

به الرفق والدعة وخفة المؤنة فتحت الهاء فقالوا هو قليل هون المؤنة ومنه قول الله الذين يمشون على الارض هونا يعنى بالرفق والسكينة والوقار ومنه قول المثنى بن جندل الطهوى

ونقض أيام نقضن أسره * هونا وألقى كل شيخ نخره

* (ومنه قول الآخر) *

هونكما لا تالدهر ما فاتا * لا تهلكا أسفا فى إثر من ماتا

يريد رودا وقد حكى فتح الهاء فى ذلك بمعنى الهوان واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جوين

نهين النفوس وهون النفـ * ـوس عند الكريهة أعلى لها

والمعروف من كلامهم ضم الهاء منه اذا كان بمعنى الهوان والذل كما قال ذو الاصبع العدوانى

اذهب اليك فما أمى براعية * ترعى المخاض ولا أغضى على الهون

يعنى على الهوان واذا كان بمعنى الرفق ففتحها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والانداد يخبر عباده أنه يقول لهم عند ورودهم عليه لقد جئتمونا فرادى ويعنى بقوله فرادى وحدانا لا مال معهم ولا أثاث ولا رفيق ولا شئ مما كان الله خوّلهم فى الدنيا كما خلقناكم أول مرة عراة غلفا غرلا حفاة كما ولدتهم أمهاتهم وكما خلقهم جل ثناؤه فى بطون أمهاتهم لا شئ عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهون به فى الدنيا وفرادى جمع يقال لواحدها فرد كما قال نابغة بنى ذبيان

من وحش وجرة موشىّ أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

وفرد وفريد كما يقال وحد ووحد ووحيد فى واحد الأوحاد وقد يجمع الفرد الفراد كما يجمع الوحد الوحاد ومنه قول الشاعر

ترى النعرات الزرق فوق لبانه * فرادى ومثنى أصعقتها صواهله

وكان يونس الجرمى فيما ذكر عنه يقول فراد جمع فرد كما قيل قوم وتوام للجميع ومنه الفرادى والرداقى والغوانى ٣ ويقال رجل فرد وامرأة فرد اذا لم يكن لها أخ وقد فرد الرجل فهو يفرد فردا يراد به تفرد فهو فارد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى عمرو أن ابن أبى هلال حدثه أنه سمع القرظى يقول قرأت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قول الله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وأما قوله وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم فانه يقول خلفتم أيها القوم ما ملكنا كم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم فى الدنيا فلم تحملوه معكم وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بما هاتهم التى كانوا يتباهون بها فى الدنيا بأموالهم وكل من ملكته غيرك وأعطيته فقد خوّلته يقال منه خال الرجل

عن كل مالا يليق به فى الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد به الاقتداء بهم فى شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المفصل وقال القاضى هذا بعيد لأن شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالأمور المتناقضة معا ولأن الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل اثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولأن منصبهم يلزم أن يكون أجل من منصبه وأنه باطل بالاجماع وأجيب بأن العام

يجب تخصيصه فى الصورة المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبأن المستدل بالدليل فصل فى ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا لوجوب الفعل على الثانى وبأنه يلزم أن يكون منصبه أجل من منصبهم لأنه أمر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التى كانت متفرقة فيهم كالشكر فى داود وسليمان والصبر فى أيوب والزهد فى زكريا ويحيى وعيسى والصدق فى اسمعيل والتضرع فى يونس والمعجزات الباهرة فى موسى وهرون ولهذا قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ولما أمره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم أن لا يطلبوا الأجر أى المال والجعل فى ايصال الدين وابلاغ الشريعة قيل له (قل لا أسئلكم) أيها الأمة (عليه) على البلاغ (أجرا ان هو) يعنى القرآن (الا ذكرى للعالمين) يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه فى المعاش والمعاد وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم ۞ التأويل ومما رفعنا به درجات ابراهيم أنا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله أفرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابراهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله عليه وآله ومن

يخال أشد الخيال بكسر الخاء وهو خائل ومنه قول أبى النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير

هنالك ان تستخولوا المال تخولوا * وان تسألوا تعطوا وان تيسروا تعلوا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتركتم ما خولناكم من المال والخدم وراء ظهوركم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الانداد يوم القيامة مانرى معكم شفعاءكم الذين كنتم فى الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عندربكم يوم القيامة وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث لقيله ان اللات والعزى يشفعان له عند الله يوم القيامة وقيل ان ذلك كان قول كافة عبدة الاوثان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء فان المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة لانهم شفعاء يشفعون لهم عند الله وان هذه الآلهة شركاء لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال النضر بن الحرث سوف تشفع لى اللات والعزى فنزلت هذه الآية ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة الى قوله شركاء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ يقول تعالى مخبرا عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد لقد تقطع بينكم يعنى تواصلهم الذى كان بينهم فى الدنيا ذهب ذلك اليوم فلا تواصل بينهم ولا توادد ولا تناصر وقد كانوا فى الدنيا يتواصلون ويتناصرون فاضمحل ذلك كله فى الآخرة فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لقد تقطع بينكم البين تواصلهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لقد تقطع بينكم قال تواصلهم فى الدنيا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لقد تقطع بينكم قال وصلكم وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لقد تقطع بينكم قال ما كان بينكم من الوصل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعنى الارحام والمنازل حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد تقطع بينكم يقول تقطع ما بينكم حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر ابن عياش لقد تقطع بينكم التواصل فى الدنيا واختلفت القراء فى قوله بينكم فقرأته عامة قراء أهل المدينة نصبا بمعنى لقد تقطع ما بينكم وقرأ ذلك عامة قراء مكة والعراقيين لقد تقطع بينكم

(٢٤ - ابن جرير سابع) آباءهم الى آدم ومن ذرياتهم الى محمد واجتبيناهم فى الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الأبد ولو أشركوا بان لاحظوا غيرنا فأثبتوا شيأ من دوننا ونسبوا شيأ من الحوادث الى غير قدرتنا أو لم يبدلوا أنانيتهم فى هويتنا لحبط عنهم ما كانوا يعملون لتلاشى عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى مسير كل منهم الى ما قدر له آدم فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى الثانية ويوسف فى الثالثة وادريس فى الرابعة وهرون فى الخامسة وموسى فى السادسة وابراهيم فى السابعة وجميع الملائكة المقربين الى

سدرة المنتهى وأنت محمد الى مقام قاب قوسين أو أدنى قل لا أسألكم أيها الانبياء على الاقتداء أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا أن الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء أولا أسألكم أيها الامة على دعوتكم الى الحق أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين من الله وبه واليه وهو المستعان ﴿وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ القراآت يجعلونه يبدونها ويخفون بيا آت الغيبة أبو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة أبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون أبو جعفر ونافع وعلى وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ

رفعا بمعنى لقد تقطع وصلكم * والصواب من القول عندى فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب وذلك أن العرب قد تنصب بين فى موضع الاسم ذكر سماعا منها ايابى نحولك ودونك وسواءك نصبا فى موضع الرفع وقد ذكر عنها سماعا الرفع فى بين اذا كان الفعل لها وجعلت اسما وينشد بيت مهلهل

كأن رماحهم أشطان بئر * بعيد بين جاليها جرور

برفع بين اذا كانت اسما غير أن الاغلب عليهم فى كلامهم النصب فيها فى حال كونها صفة وفى حال كونها اسما وأما قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون فانه يقول وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك لكم وأنه لكم شفيع عند ربكم فلا يشفع لكم اليوم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ان الله فالق الحب والنوى﴾ وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والاوثان على موضع حجته عليهم وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من اشراك الاصنام فى عبادتهم اياه يقول تعالى ذكره ان الذى له العبادة أيها الناس دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان هو الله الذى فلق الحب يعنى شق الحب من كل ما ينبت من النبات فأخرج منه الزرع والنوى من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر والحب جمع الحبة والنوى جمع النواة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان الله فالق الحب والنوى أما فالق الحب والنوى ففالق الحب عن السنبلة وفالق النواة عن النخلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فالق الحب والنوى قال يفلق الحب والنوى عن النبات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فالق الحب والنوى قال الله فالق ذلك فلقه فأنبت منه ما أنبت فلق النواة فأخرج منها نبات نخلة وفلق الحبة فأخرج نبات الذى خلق وقال آخرون معنى فالق خالق ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قوله ان الله فالق الحب والنوى قال خالق الحب والنوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الله فالق الحب والنوى قال خالق الحب والنوى وقال آخرون معنى ذلك انه فلق الشق الذى فى الحبة والنواة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فالق الحب والنوى قال الشقان اللذان فيهما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد عن حصين عن أبى مالك فى قول الله ان الله فالق الحب والنوى قال الشق الذى يكون فى النواة وفى الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فالق الحب والنوى قال الشقان اللذان فيهما حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك

المضى ونصب الليل عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمى الباقون بالنصب مستقر بكسر القاف أبو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلى وخلف وكذلك فى آخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد أبو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف ۞ الوقوف من شئ ط كثيرا ط لمن قرأ يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم آباؤكم ط قل الله ط لأن قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ○ ومن حولها ط يحافظون ○ أنزل الله ط أيديهم ج لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف أى يقولون أخرجوا أنفسكم ط لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ○ ظهوركم ج لاتحاد القول والوقف أوضح لابتداء النفى وانقطاع النظم شركاء ط تزعمون ○ والنوى ط من الحى ط تؤفكون ○ فالق الاصباح ج لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل أو وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل فى فالق حسبانا ط العليم ○ والبحر ط يعلمون ○ ومستودع ط يفقهون ○ ماء ج للعدول مع اتحاد المقصود مترا كبا ط ومن قرأ وجنات بالرفع فللعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فليعطف ويفهم ان جنات من جملة النخل ومن خفض فوقفه على مترا كبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه ط وينعه ط يؤمنون ○ بغير علم ط يصفون ○ ۞ التفسير اعلم أن مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال

الضحاك يقول فى قوله فالق الحب والنوى يقول خالق الحب والنوى يعنى كل حبة ۞ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى ما قدمنا القول به وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك باخباره عن اخراجه الحى من الميت والميت من الحى فكان معلوما بذلك أنه انما عنى باخباره عن نفسه أنه فالق الحب عن النبات والنوى عن الغروس والاشجار كما هو مخرج الحى من الميت والميت من الحى وأما القول الذى حكى عن الضحاك فى معنى فالق أنه خالق فقول ان لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقها اياه لا أعرف له وجها لانه لا يعرف فى كلام العرب فلق الله الشئ بمعنى خلق ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره يخرج السنبل الحى من الحب الميت ومخرج الحب الميت من السنبل الحى والشجر الحى من النوى الميت والنوى الميت من الشجر الحى والشجر مادام قائما على أصوله لم يجف والنبات على ساقه لم يبس فان العرب تسميه حيا فاذا يبس وجف أو قطع من أصله سموه ميتا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما يخرج الحى من الميت فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى قال النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى قال يخرج النطفة الميتة من الحى ثم يخرج من النطفة بشرا حيا وانما اخترنا التأويل الذى اخترنا فى ذلك لانه عقيب قوله ان الله فالق الحب والنوى على أن قوله يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى وان كان خبرا من الله عن اخراجه من الحب السنبل ومن السنبل الحب فانه داخل فى عمومه ما روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك وكل ميت أخرجه الله من جسم حى وكل حى أخرجه الله من جسم ميت وأما قوله ذلكم الله فانه يقول فاعل ذلك كله الله جل جلاله فأنى تؤفكون يقول فأى وجوه الصدف عن الحق أيها الجاهلون تصدون عن الصواب وتصرفون أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغى أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعا وحروثا وثمارا تتغذون ببعضه وتفكهون ببعضه شريكا فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فالق الاصباح وجعل الليل سكنا﴾ يعنى بقوله فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر من قول القائل أصبحنا اصباحا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك فالق الاصباح قال اضاءة الصبح حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فالق الاصباح قال اضاءة

الشرك شرع فى تقرير أمر النبوة فقال (وما قدروا الله حق قدره) قال ابن عباس أى ما عظموا الله حق تعظيمه حيث أنكروا النبوة والرسالة وقال أيضا فى رواية ما آمنوا بان الله على كل شئ قدير وقال أبو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته أى فى اللطف بأوليائه أو فى القهر لأعدائه وقال الجوهرى قدر الشئ مبلغه وقدرت الشئ أقدره وأقدره قدرا من التقدير أى حزره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما أن

يدعى أنه تعالى ما كلف أحدا من الخلائق تكليفا أصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح بأسرها واما أن يسلم أنه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على ألسنة الرسل وهذا أيضا جهل فان قيل لم لا يجوز أن يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب هب أن الامر كذلك الا أنه لا يمتنع تأكيد التصريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على ألسنة الرسل لان أكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما أن نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا أعين بنور من خارج كنور الشمس أو السراج وأيضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الآراء فلابد من أن يتفقوا على واحد يصدرون عن رأيه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطأ في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم أن يكون التعيين من الله سبحانه بكونه أعرف بالبواطن كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن أنكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الآية بأن هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش أو البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) على أن قوله تجعلونه قراطيس بتاء الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا أهل الكتاب فهم لا يقولون ما أنزل الله على بشر من شئ بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى وأيضا الاكثرون اتفقوا على أن السورة مكية وأنها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة والجواب أنهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على يد موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما أنزل الله على بشر

الفجر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فالق الاصباح قال فالق الصبح حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فالق الاصباح يعني بالاصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القاسم ابن أبي بزة عن مجاهد فالق الاصباح قال فالق الصبح حدثنا به ابن حميد مرة بهذا الاسناد عن مجاهد فقال في قوله فالق الاصباح قال اضاءة الصبح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فالق الاصباح قال فلق الاصباح عن الليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فالق الاصباح يقول خالق النور نور النهار وقال آخرون معنى ذلك خالق الليل والنهار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا يقول خلق الليل والنهار وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ فالق الأصباح بفتح الالف كأنه تأول ذلك بمعنى جمع صبح كأنه أراد صبح كل يوم فجعله أصباحا ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك والقراءة التي لا نستجيز غيرها بكسر الالف فالق الاصباح لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحة ذلك ورفض خلافه وأما قوله وجاعل الليل سكنا فان القراء اختلفت في قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض البصريين وجاعل الليل بالالف على لفظ الاسم ورفعه عطفا على فالق وخفض الليل باضافة جاعل اليه ونصب الشمس والقمر عطفا على موضع الليل لان الليل وان كان مخفوضا في اللفظ فانه في موضع النصب لانه مفعول جاعل وحسن عطف ذلك على معنى الليل لا على لفظه لدخول قوله سكنا بينه وبين الليل قال الشاعر

فعودا لدى الابواب طلاب حاجة * عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

فنصب الحاجة الثانية عطفا بها على معنى الحاجة الاولى لا على لفظها لأن معناها النصب وان كانت في اللفظ خفضا وقد يجيء مثل هذا أيضا معطوفا بالثاني على معنى الذي قبله لا على لفظه وان لم يكن بينهما حائل كما قال بعضهم

فبينا نحن ننظره أتانا * معلق شاوه وزنا دراع

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وجعل الليل سكنا والشمس على فعل بمعنى الفعل الماضي ونصب الليل * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الاعراب والمعنى وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكنا لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ويهدأ فيه فيستقر في مسكنه ومأواه * القول في تأويل قوله ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب ذكر من قال ذلك

حدثني

من شئ ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين فى انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد أن يكون الكلام الواحد خطابا للكفار
قريش أولا ولاهل الكتاب آخرا وأما ان كانوا أهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه فيه ما روى عن ابن عباس أن مالك بن الصيف من
أحبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك بالذى
أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك
اليهود فنحك القوم فغضب ثم
التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على
بشر من شئ فقال له قومه ما هذا
الذى بلغنا عنك فقال انه أغضبنى
ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام
عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن
الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما
تأذى من الكلام المذكور طعن فى
نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانه
ما أنزل عليه من شئ البتة فامر بان
يقول فى جوابه من أنزل الكتاب
الذى جاء به موسى أى لما سلمت أن
الله تعالى أنزل الوحى والتنزيل على
بشر وهو موسى فكيف يمكنك
أن تقطع بأنه ما أنزل على "شيأ غاية
ما فى الباب أن تطالبنى بالمعجز
والحاصل أنهم قالوا ذلك مبالغة فى
انكار انزال القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فألزموا مالابد
لهم من الاقرار به من انزال التوراة
على موسى وأدرج تحت الالزام
توبيخهم بالتحريف وابداء بعض
واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان
مطلقا بحسب اللغة الا أنه مقيد
بحسب العرف بتلك الواقعة فكأنه
قال ما أنزل الله على بشر من شئ فى
أنه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا
أرادت المرأة أن تخرج من الدار
فغضب الزوج وقال ان خرجت من
الدار فأنت طالق فان كثيرا من

حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن
عباس والشمس والقمر حسبانا يعنى عدد الايام والشهور والسنين حدثنى محمد بن سعد قال
ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والشمس والقمر حسبانا قال يجريان
الى أجل جعل لهما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدى والشمس والقمر حسبانا يقول بحساب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله
ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله والشمس والقمر حسبانا قال الشمس والقمر فى حساب
فاذا خلت أيامهما فذلك آخر الدهر وأول الفزع الاكبر ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والشمس والقمر حسبانا قال
يدوران فى حساب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
والشمس والقمر حسبانا قال هو مثل قوله كل فى فلك يسبحون ومثل قوله والشمس والقمر
بحسبان وقال آخرون معنى ذلك وجعل الشمس والقمر ضياء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والشمس والقمر حسبانا أى ضياء * وأولى
القولين فى تأويل ذلك عندى بالصواب تأويل من تأوله وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب
وعدد لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ويدوران لمصالح الخلق التى جعلا لها وانما قلنا ذلك أولى
التأويلين بالآية لان الله تعالى ذكره ذكر قبله أياديه عند خلقه وعظم سلطانه بفلقه الاصباح لهم
واخراج النبات والغراس من الحب والنوى وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم فى البر والبحر
فكان وصفه اجراءه الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر اضاءتهما لانه قد وصف
ذلك قبل بقوله فالق الاصباح فلا معنى لتكريره مرة أخرى فى آية واحدة لغير معنى والحسبان
فى كلام العرب جمع حساب كما الشهبان جمع شهاب وقد قيل ان الحسبان فى هذا الموضع مصدر
من قول القائل حسبت الحساب أحسبه حسابا وحسبانا وحكى عن العرب على الله حسبان فلان
وحسبته أى حسابه وأحسب أن قتادة فى تأويل ذلك بمعنى الضياء ذهب الى شئ يروى عن ابن
عباس فى قوله أو يرسل عليها حسبانا من السماء قال نارا فوجه تأويل قوله والشمس والقمر حسبانا
الى ذلك التأويل وليس هذا من ذلك المعنى فى شئ وأما الحسبان بكسر الحاء فانه جمع الحسبانة
وهى الوسادة الصغيرة وليست من الاولين أيضا فى شئ يقال حسبته أجلسته عليها ونصب قوله
حسبانا بقوله وجعل وكان بعض البصريين يقول معناه والشمس والقمر حسبانا أى بحساب
فحذف الباء كما حذفها من قوله الله أعلم من يضل عن سبيله أى أعلم بمن يضل عن سبيله * القول
فى تأويل قوله ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الفعل الذى وصفه أنه فعله
وهو فلقه الاصباح وجعله الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير الذى عز سلطانه فلا يقدر
أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام من الامتناع منه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم لا تقدير الاصنام
والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه شيأ ولا تعقله ولا تضر ولا تنفع وان أريدت بسوء لم تقدر

الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة أخرى لم تطلق و يرد على هذا التوجيه أن قوله من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى
لا يكون مطلقا للكلام الخصم أما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فأجيب عنه بأن السورة مكية الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة
فى هذه الواقعة والله أعلم * ومن الاحكام المستنبطة من الآية أن قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد أن عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله
تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله فى موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة فى سياق

النفي تم والالم يكن قوله من أنزل مبطلا لقوله ما أنزل الله على بشر من شئ ومنها أن النقض يقدح في صحة الكلام والالم يكن في قوله من أنزل حجة ويعلم منه أن قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان لليهود حينئذ أن تقول معجزات موسى كانت أظهر وأبهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك ومنها أن الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الآية يرجع الى أن موسى أنزل الله عليه شيأ

وأحد من البشر ما أنزل الله عليه شيأ فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا أنه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما أنزل الله على بشر من شئ فوجب القول بكونها كاذبة فثبت أن دلالة هذه الآية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة الشكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم اعلم أنه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال أبو علي الفارسي (يجعلونه قراطيس) أي ذات قراطيس أي يودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله أو شئ من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره (وعلمتم) أيها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الآيات أو المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يفقهون معانيها الى أن بعث الله محمدا فظهر أن المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) أي أنزله الله فانهم لا يقدرون على أن ينكروا ذلك فان العقل السليم والطبع المستقيم يشهد بأن الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل أي شئ

على الامتناع منه ممن أرادها به يقول جل ثناؤه وأخلصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الاشياء ولا تشركوا في عبادته شيأ غيره ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر اذا ضللتم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة فتهتدون بها الى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك كما قال جل ثناؤه وعلامات وبالنجم هم يهتدون أي من ضلال الطريق في البر والبحر وعنى بالظلمات ظلمة الليل وظلمة الخطا والضلال وظلمة الارض أو الماء وقوله قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون يقول قد ميزنا الادلة وفرقنا الحجج فيكم وبيناها أيها الناس ليتدبرها أولو العلم بالله منكم ويفهمها أولو الحجا منكم فينيبوا من جهلهم الذي هم عليه مقيمون وينزجروا عن خطا فعلهم الذي هم عليه ثابتون ولا يتمادوا في عناد الله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غيهم وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قال يضل الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره والهكم أيها العادلون بالله غيره الذي أنشأكم يعني الذي ابتدأ خلقكم من غير شئ فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيأ من نفس واحدة يعني من آدم عليه السلام كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السدي من نفس واحدة قال آدم عليه السلام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة من آدم عليه السلام وأما قوله فمستقر ومستودع فان أهل التأويل في تأويله مختلفون فقال بعضهم معنى ذلك وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنشر القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم عن عبد الله يعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها في الارحام ومستودعها حيث تموت حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل عن ابراهيم عن عبد الله أنه قال المستودع حيث تموت والمستقر ما في الرحم حدثت عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال المستقر الرحم والمستودع المكان الذي تموت فيه حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا محمد بن فضيل وعلي ابن هاشم عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم يعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها في الارحام ومستودعها في الارض حيث تموت فيها حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مقسم قال مستقرها في الصلب حيث تأوي اليه ومستودعها حيث تموت * وقال آخرون المستودع ما كان في أصلاب الآباء والمستقر ما كان في بطون النساء وبطون الارض

أكبر شهادة قل الله والمقصود أنه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل أن يعترف بها فسواء أقر الخصم به أو لم يقر فالغرض حاصل (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما أنت لاعب و يلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة له أو لذرهم والمعنى أنك اذا أقمت الحجة عليهم و بالغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة بآية السيف وفيه نظر لانه مذكور لأجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الآية ثم لما ذكر حال التوراة أعقبه بذكر القرآن فقال (وهذا كتاب أنزلناه) وفائدة هذا الوصف أنه كان من الممكن أن يظن أن محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم و بين أن الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام (مبارك) كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات لما فيه من أصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز في الدنيا وسعادة في الآخرة وقد جرب فوجد كذلك (مصدق الذي بين يديه) أي موافق لما قبله من الكتب الالهية أما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيها بحسب الازمنة والامكنة وأما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله ويحصل منه أن التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم تصير منسوخة (ولتنذر) من قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه أسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما

أو على ظهورها ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير في قوله فمستقر ومستودع قال مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فاذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الارض أو في بطنها فقد استقروا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن علية عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير فمستقر ومستودع قال المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فاذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الارض فقد استقروا **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يعلم مستقرها ومستودعها قال المستودع في الصلب والمستقر ما كان على وجه الارض أو في الارض * وقال آخرون بل معنى ذلك فمستقر في الارض على ظهورها ومستودع عند الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن المغيرة عن أبي الخير تميم بن حذلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المستقر الارض والمستودع عند ربك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابراهيم قال قال عبد الله مستقرها في الدنيا ومستودعها في الآخرة يعني فمستقر ومستودع **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال المستودع في الصلب والمستقر في الآخرة وعلى وجه الارض * وقال آخرون معنى ذلك فمستقر في الرحم ومستودع في الصلب ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن أبي الحرث عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله فمستقر ومستودع قال مستقر في الرحم ومستودع في صلب لم يخلق وسيخلق **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن يحيى الجابري عن عكرمة فمستقر ومستودع قال المستقر الذي قد استقر في الرحم والمستودع الذي قد استودع في الصلب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي الخير تميم عن سعيد بن جبير قال ابن عباس سل فقلت مستقر ومستودع قال المستقر في الرحم والمستودع ما استودع في الصلب **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله فمستقر ومستودع قال المستقر الرحم والمستودع ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه ولم يخلق **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يعلم مستقرها ومستودعها قال المستقر ما كان في الرحم مما هو حي ومما قد مات والمستودع ما في الصلب **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس وذلك قبل أن يخرج وجهي أتزوجت يا ابن جبير قال قلت لا وما أريد ذلك يومي هذا قال فقال أما انه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال **حدثنا** شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس تزوجت قلت لا قال فضرب ظهري وقال ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج **حدثني**

أنذركم بالوحي وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كأنه قيل أنزلناه للبركة وللتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة أم القرى لان الأرضين دحيت من تحتها وقال أبو بكر الاصم لانها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وأيضا الناس يجتمعون اليها للحج وللتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة أول بيت وضع للناس وقيل ان مكة أول بلدة في الارض ولا بمعنى تقدير مضاف محذوف أي أهل أم القرى ومن حولها قيل المراد أهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على أنه مبعوث الى العرب

فقط وأجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لاسيما وقد ثبت بالتواتر أنه كان يدعي أنه رسول الى العالمين ويحتمل أن يقال ما حوالى مكة يتناول جميع البلاد (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي بهذا الكتاب لان أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه أن كفار مكة بعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني أن الايمان بالآخرة كما أنه يحمل المكلف على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين وسنام الطاعات كاد المحافظ عليها أن يأتي باخواتها كلها ويجتنب المنكرات بأسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرية وامتراء فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا على وأهماني فاوحى الله الى أن انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي (أو قال أوحي الى ولم يوح اليه شئ) كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه وآله رسول الله في بني قريش وأنا رسول الله في بني حنيفة * واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القرآن وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروى أيضا أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا تلا عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل الى قوله أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم

محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فمستقر ومستودع قال المستقر في الارحام والمستودع في الصلب لم يخلق وهو خالقه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فمستقر ومستودع قال المستقر في الرحم والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال المستقر ما استقر في الرحم والمستودع ما استودع في الصلب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي الخير تميم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه **حدثنا** هناد قال ثنا عبيدة بن حميد عن عمار الدهني عن رجل عن كريب قال دعاني ابن عباس فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عباس الى فلان حبر تيماء سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد قال فقلت تبدؤه تقول السلام عليك فقال ان الله هو السلام ثم قال اكتب سلام عليك أما بعد فحدثني عن مستقر ومستودع قال ثم بعثني بالكتاب الى اليهودي فأعطيته اياه فلما نظر اليه قال مرحبا بكتاب خليلي من المسلمين فذهب بي الى بيته ففتح أسفاطا له كبيرة فجعل يطرح تلك الاشياء لا يلتفت اليها قال قلت ما شأنك قال هذه أشياء كتبها اليهود حتى أخرج سفر موسى عليه السلام قال فنظر اليه مرتين فقال المستقر الرحم قال ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء وقرأ ولكم في الارض مستقر ومتاع قال مستقره فوق الارض ومستقره في الرحم ومستقره تحت الارض حتى يصير الى الجنة أو الى النار **حدثنا** هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء فمستقر ومستودع قال المستقر ما استقر في أرحام النساء والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال **حدثني** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال المستقر الرحم والمستودع في أصلاب الرجال **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا روح بن عبادة عن ابن جريج عن عطاء وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المستقر الرحم والمستودع في الاصلاب **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فمستقر ما استقر في أرحام النساء ومستودع ما كان في أصلاب الرجال **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال المستقر ما استقر في الرحم والمستودع ما استودع في الصلب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال المستقر الرحم والمستودع الصلب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون قال أتينا ابراهيم عند المساء فاخبرونا أنه قدمات فقلنا هل سأله أحد عن شئ قالوا عبد الرحمن ابن الاسود عن المستقر والمستودع فقال المستقر في الرحم والمستودع في الصلب **حدثنا** حميد ابن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا ابن عون قال أتينا ابراهيم وقدمات قال فحدثني بعضهم أن عبد الرحمن بن الاسود سأله قبل أن يموت عن المستقر والمستودع فقال المستقر في الرحم والمستودع في الصلب **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا بن علية عن ابن عون

صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمأن أهل مكة ثم أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن له ثم فصل ما أجمل من الوعيد فقال (ولو ترى) الآية وجوابه محذوف أى لرأيت يا انسان أمرا عظيما (اذ الظالمون) يعنى الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل أن تكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) قيل انه لا قدرة لهم على اخراج أرواحهم من أجسادهم فما الفائدة فى هذا الخطاب وأجيب بوجوه منها أن المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت فى الآخرة اذا مادخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هنالك من أنواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطو أيديهم بالعذاب يكلمونهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت عند نزول الموت بهم فى الدنيا والملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآفات والآلام ومنها هاتوا أرواحكم وأخرجوها البتة من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد فى ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول أخرج الى ما لى عليك ولا أريم مكانى حتى أنزعه من أحداقك ومنها أنه ليس بأمر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الآن لترى ما يحل بك والتحقيق أن نفس المؤمن حال النزع تنبسط فى الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر تكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لانها تصير الى العذاب واليه الاشارة فى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المألوف وفى الآية دلالة على أن النفس الانسانية شئ غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب أن يكون مغايرا للمخرج منه (اليوم) يريد وقت الاماتة أو الوقت الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة (تجزون عذاب الهون) كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه أن يكون

أتينا منزل ابراهيم فسألنا عنه فقالوا قد توفى وسأله عبد الرحمن بن الأسود فذكر نحوه **حدثنى** به يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون أنه بلغه أن عبد الرحمن بن الأسود سأل ابراهيم عن ذلك فذكر نحوه **حدثنا** عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن العلاء بن هرون قال انتهيت الى منزل ابراهيم حين قبض فقلت لهم هل سأله أحد عن شئ قالوا سأله عبد الرحمن ابن الاسود عن مستقر ومستودع فقال أما المستقر فما استقر فى أرحام النساء والمستودع ما فى أصلاب الرجال **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فى فمستقر ومستودع قال المستقر الرحم والمستودع الصلب **حدثنى** يونس قال ثنى سفيان عن رجل حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس ألا تنكح ثم قال أما انى أقول لك هذا وانى لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال المستقر فى الرحم والمستودع فى الصلب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فمستقر ومستودع قال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فمستقر ومستودع قال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فمستقر ومستودع أما مستقر فما استقر فى الرحم وأما مستودع فما استودع فى الصلب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فمستقر ومستودع قال مستقر فى الارحام ومستودع فى الاصلاب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأبى حمزة عن ابراهيم قالا مستقر ومستودع المستقر فى الرحم والمستودع فى الصلب * وقال آخرون المستقر فى القبر والمستودع فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول مستقر فى القبر ومستودع فى الدنيا وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه عم بقوله فمستقر ومستودع كل خلقه الذى أنشأ من نفس واحدة مستقرا ومستودعا ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى ولا شك أن من بنى آدم مستقرا فى الرحم ومستودعا فى الصلب ومنهم من هو مستقر على ظهر الارض أو بطنها ومستودع فى أصلاب الرجال ومنهم مستقر فى القبر مستودع على ظهر الارض فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعانى فداخل فى عموم قوله فمستقر ومستودع ومراده الا أن يأتى خبر يجب التسليم له بأنه معنى به معنى دون معنى وخاص دون عام * واختلف القراء فى قراءة قوله فمستقر ومستودع فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مستقر ومستودع بمعنى فمنهم من استقره الله فى مقره فهو مستقر ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه فهو مستودع فيه وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة فمستقر بكسر القاف بمعنى فمنهم من استقر فى مقره فهو مستقر به

مضرة مقرونة بالاهانة كما أن الثواب شرطه أن يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشئ ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشئ أى حقر وأهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل أنه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) يعنى أن هذا العذاب الشديد انما حصل بمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله (١٩٤) وهو عدم الايمان بها قال الواحدى وكنتم عن آياته تستكبرون أى لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر (ولقد جئتمونا) يحتمل أن يكون معطوفا على قول الملائكة أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا أنه يتكلم مع الكفار (فرادى) جمع فرد ولا يثنون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة وقيل فريد كريف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا أعيا أحدهم خلفه الآخر (كما خلقناكم) أى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد أو مجيئا مثل خلقنا لكم (أول مرة) والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم فى الدنيا الى تحصيل أمرين أحدهما المال والجاه والثانى أنهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء الله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك أن النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل لها هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى أى منفردين عما يجب من الاعمال والعقائد ثم انهما مع ذلك اكتسبت أشياء قد علق الرجاء بها وثنيان لانه أفنى العمر فى تحصيلها وانها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع بقوله (وتركتم ما خولناكم) أى أعطيناكم وتفضلنا به عليكم (وراء ظهوركم) يعنى أنها كالشئ الذى يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقى معوجا لرأس بسبب التفاته اليه (وما نرى معكم شفعاءكم) أى ليسوا معكم حتى يروا وليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله (لقد تقطع بينكم) الآية من قرأ بالنصب على الظرف

وأولى القراءتين بالصواب عندى وان كان لكليهما معنى وجه صحيح فمستقر بمعنى استقر الله فى مستقره لتأتلف المعنى فيه وفى المستودع فى أن كل واحد منهما لم يسم فاعله وفى اضافة الخبر بذلك الى الله فى أنه المستقر هذا والمستودع هذا وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله ومستودع بفتح الدال على وجه ما لم يسم فاعله فاجراء الاول أعنى قوله فمستقر عليه أشبه من عدوله عنه وأما قوله قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون يقول تعالى قد بينا الحجج وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ويفهمون الآيات والذكر فانهم اذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من انشائى من نفس واحدة ما عاينوا من البشر وخلق ما خلقت منها من عجائب الالوان والصور علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه فى عبادتهم اياه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون يقول قد بينا الآيات لقوم يفقهون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى له العبادة خالصة لا شركة فيها لشئ سواه هو الاله الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء من غذاء الانعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بنى آدم وأقواتهم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون وانما معنى قوله فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا به ما ينبت به كل شئ وينمو عليه ويصلح ولو قيل معناه فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات فيكون كل شئ هو أصناف النبات كان مذهبا وان كان الوجه الصحيح هو القول الاول وقوله فأخرجنا منه خضرا يقول فأخرجنا منه يعنى من الماء الذى أنزلناه من السماء خضرا رطبا من الزرع والخضر هو الأخضر كقول العرب أرضنا نمرة أركها مطرة يقال خضرت الارض خضرا وخضارة والخضر رطب البقول ويقال نخلة خضيرة اذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج وقد اختضر الرجل واغتضر اذا مات شابا صحيحا ويقال هو لك خضرا مضرا أى هنيأ مريئا قوله نخرج منه حبا متراكبا يقول نخرج من الخضر حبا يعنى ما فى السنبل سنبل الحنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك من السنابل التى حبها يركب بعضه بعضا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا فهذا السنبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ يقول تعالى ذكره ومن (٣) النخل من طلعها قنوان دانية ولذلك رفعت القنوان والقنوان جمع قنو كما الصنوان جمع صنو وهو العذق يقال للواحد هو قنو وقنو وقنا يثنى قنوان ويجمع قنوان وقنوان قالوا فى جمع قليله ثلاثة أقناء والقنوان من لغة الحجاز والقنوان من لغة قيس وقال امرؤ القيس

فأثت أعاليه وآدت أصوله * ومال بقنوان من البسر أحمرا

فعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب يقال جمع بين الشيئين أى وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فأتنى أى اذا كان الرجاء أو البلاء غدا فأتنى فأضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه أسند الفعل الى الظرف اتساعا كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم أو لان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصلة مع أن أصله الافتراق والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه (١٩٥) كقولهم بينى و بينه مشاركة و بينى و بينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل أن يكون البين بمعنى الافتراق و يفيد المبالغة كقولهم جد جده فاذن العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى و يصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا تطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصلة ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله فقال (إن الله فالق الحب والنوى) أى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق و وجه بأن العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشئ من العدم الى الوجود شق لذلك العدم وفلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة أظهر الله فى أعلاها شقا ومن أسفلها شقا أما العالى فيخرج منه

(٢) وقنيان جميعا وقال آخر

لهاذنب كالقنو قد مذلت به * وأسحم للتخطار بعد التشذر

وتميم تقول قنيان بالياء و يعنى بقوله دانية قريبة متهدلة و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قنوان دانية يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل لاصقة عذوقها بالارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من طلعها قنوان دانية قال عذوق متهدلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قنوان دانية يقول متهدلة حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن البراء فى قوله قنوان دانية قال قريبة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قنوان دانية قال قريبة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن النخل من طلعها قنوان دانية قال الدانية لتهدل العذوق من الطلع حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعنى النخل القصار الملتزقة بالارض والقنوان طلعه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه﴾ يقول تعالى ذكره وأخرجنا أيضا جنات من أعناب يعنى بساتين من أعناب واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة القراء وجنات نصبا غير أن التاء كسرت لانها تاء جمع المؤنث وهى تخفض موضع النصب وقد حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام عن الكسائى قال أخبرنا حمزة عن الاعمش انه قرأ وجنات من أعناب بالرفع فرفع جنات على اتباعها القنوان فى الاعراب وان لم تكن من جنسها كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ ذلك الا بها النصب وجنات من أعناب لاجماع الحجة من القراء على تصويبها والقراءة بها ورفضهم ما عداها وبعد معنى ذلك من الصواب اذا قرئ رفعا وقوله والزيتون والرمان عطف بالزيتون على الجنات بمعنى وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه وكان قتادة يقول فى معنى مشتبها وغير متشابه ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال مشتبها ورقه مختلفا ثمره وجائز أن يكون مراد به مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم ومعنى الكلام وشجر الزيتون والرمان فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره كما قيل واسأل القرية فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه﴾ اختلفت

(٢) يعنى أنه روى بالوجهين تأمل وانظر البيت بعده فانا لم نعثر عليه اه كتبه مصححه

الشجرة الصاعدة الى الهواء وأما السافل فانه يخرج منه الشجرة الهابطة فى الارض وهى المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضى الهوى فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا تنفذ فيه المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد أطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى رمل الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف

القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة و بعض أهل البصرة انظروا الى ثمره بفتح الثاء والميم وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قراء الكوفيين الى ثمره بضم الثاء والميم فكأن من فتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى الكلام انظروا الى ثمر هذه الاشجار التى سميناها من النخل والاعناب والزيتون والرمان اذا أثمر وان الثمر جمع ثمرة كما القصب جمع قصبة والخشب جمع خشبة وكأن من ضم الثاء والميم وجه ذلك الى أنه جمع ثمار كما الحمر جمع حمار والجرب جمع جراب وقد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد عن ابن ادريس عن الأعمش عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ الى ثمره يقول هو أصناف المال **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا محمد بن عبيد الله عن قيس بن سعد عن مجاهد قال الثمر هو المال والثمر ثمر النخل * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ انظروا الى ثمره بضم الثاء والميم لان الله جل ثناؤه وصف أصنافا من المال كما قال يحيى بن وثاب وكذلك حب الزرع المتراكب وقنوان النخل الدانية والجنات من الاعناب والزيتون والرمان فكان ذلك أنواعا من الثمر فجمعت الثمرة ثمرا ثم جمع الثمر ثمارا ثم جمع ذلك فقيل انظروا الى ثمره فكان ذلك جمع الثمار والثمار جمع الثمرة واثماره عقد الثمر وأما قوله وينعه فانه نضجه وبلوغه حين يبلغ وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى ينعه اذا فتحت ياؤه هو جمع يانع كما التجر جمع تاجر والصحب جمع صاحب وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ويرى أنه مصدر من قولهم ينع الثمر فهو ينع ينعا ويحكى فى مصدره عن العرب لغات ثلاثا ينع وينع وينع وكذلك فى النضج النضج والنضج وأما فى قراءة من قرأ ذلك وبانعه فانه يعنى به وناضجه وبالغه وقد يجوز فى مصدره ينوعا ومسموع من العرب أينعت الثمرة تونع اينانا ومن لغة الذين قالوا ينع قول الشاعر

فى قباب عند دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وينعه يعنى اذا نضج **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه قال ينعه نضجه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه أى نضجه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وينعه قال نضجه **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وينعه يقول ونضجه **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وينعه قال يعنى نضجه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وينعه قال نضجه * القول فى تأويل قوله ﴿ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾

ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة و يحصل من الشجرة أغصان وأوراق وأزهار وأعمار والثمر قشر أعلى وقشر أسفل وفيه اللب وفى اللب الدهن الذى هو المقصود الأصلى فتولد هذه الاجرام المختلفة فى طبائعها وصفاتها وألوانها وطعومها وأشكالها مع تساوى تأثيرات النجوم والطبائع فى المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها أنك قد تجد الطبائع الأربع حاصلة فى الفاكهة الواحدة فالأترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه حار يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها أنك تجد أحوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه فى الداخل وقشره فى الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة فى الخارج والخشبة فى الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها لب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون كله مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة تتضمن حكما وفوائد لا يعلمها الا مبدعها ومنها أنك اذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت فى وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع فى بدن الانسان ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق أصغر من الاول فكأنه سبحانه أوجد ذلك لتقوى به الجاذبة المركوزة فى جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية فى تلك المجارى الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق فى ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت أن عنايته فى ايجاد جملة تلك الشجرة أكثر وعلمت أن عنايته بتخليق الحيوان الذى خلق النبات لاجله يكون أكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذى خلق لاجله النبات والحيوان ويصير ذلك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله (يخرج الحى من الميت) لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان ولهذا قال يحيى الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله (ومخرج الميت من الحى) قال ابن عباس أخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحى نطفة أو يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا أو يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه أو المطيع يقول

العاصى والعاصى من المطيع أو العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى أن انسانا سقى الافيون فى الشراب ليموت فلما تناوله ظن القوم انه سيموت فرفعوه وجعلوه فى بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجانى أن قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذلك الفعل فى كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد أنه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحى أشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحى من الميت أكثر من العكس (ذلكم الله) المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت (فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره أم كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة أهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهى الاحوال الفلكية فقال (فالق الاصباح) وهو مصدر سمى به الصبح المراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش فى آخر الليل وكأن الافق كان بحرا مملوأ من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به أو المراد فالق الاصباح بياض النهار وإسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر أو المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب وأراد المسبب أو الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح فى البقرة فى تفسير قوله عز من قائل ان فى خلق

يقول تعالى ذكره ان فى انزال الله تعالى من السماء الماء الذى أخرج به نبات كل شئ والخضر الذى أخرج منه الحب المتراكب وسائر ما عدد فى هذه الآية من صنوف خلقه لآيات يقول فى ذلكم أيها الناس اذا أنتم نظرتم الى ثمره عند عقد ثمره وعند ينعه وانتهائه فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه فى زيادته ونموه علمتم أن له مدبرا ليس كمثله شئ ولا تصلح العبادة الا له دون الآلهة والأنداد وكان فيه حجج وبرهان وبيان لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء وخص بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون لانهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها دون من قد طبع الله على قلبه فلا يعرف حقا من باطل ولا يتبين هدى من ضلالة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والانداد لله شركاء الجن كما قال جل ثناؤه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وفى الجن وجهان من النصب أحدهما أن يكون تفسيرا للشركاء والآخر أن يكون معنى الكلام وجعلوا لله الجن شركاء وهو خالقهم واختلفوا فى قراءة قوله وخلقهم فقرأته قراء الأمصار وخلقهم على معنى أن الله خلقهم منفردا بخلقها اياهم وذكر عن يحيى بن يعمر ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن واصل مولى أبى عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر انه قال شركاء الجن وخلقهم بجزم اللام بمعنى أنهم قالوا ان الجن شركاء لله فى خلقها ايانا * وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وخلقهم لاجماع الحجة من القراء عليها وأما قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم فانه يعنى بقوله خرقوا اختلقوا يقال اختلق فلان على فلان كذبا واخترقه اذا افتعله وافتراه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وجعلوا لله شركاء الجن والله خلقهم وخرقوا له بنين وبنات يعنى أنهم تخرصوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال جعلوا له بنين وبنات بغير علم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال كذبوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله شركاء الجن كذبوا سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال خرصوا له بنين وبنات حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم

السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض فى جانبه الشرقى لا ينافى كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما أن وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافى ذلك والامام فخر الدين الرازى أراد أن يبين أن ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك أسقطناها عن درجة الاعتبار * النوع الثانى من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله (وجاعل الليل سكنا) حجة من

قرأ باسم الفاعل أن المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرأ بصيغة الفعل أن قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبان ولا بد من عامل وماذلك الا أن يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن مايسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها يستأنس بها والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وآيتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله (والشمس والقمر حسبانا) أي سببي حسبان لان حساب الأوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل أو يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل أريد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون الليل محل قلت وهذا مناقض لماذكره في مالك يوم الدين من أنه يجوز أن يراد به زمان مستمر حتى تكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة وأما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوفي الخبر أي والشمس والقمر مجعولان أو محسوبان حسبانا (وذلك) الجعل (تقدير العزيز) الذي قهرهما (العليم) الذي دبرهما وذلك أن تقدير أجرام الأفلاك بصفاتها المخصوصة وهيآتها المحدودة وأوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات * النوع الرابع قوله (وهو الذي جعل لكم النجوم) عدهنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير والله في ظلمات الليل بالبر والبحر فأضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات البر التعطيل وبحر التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة أخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وأيضا اتصافها بالاعضاء والابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) فيستدلون بالمحسوس على

يقول قطعوا له بنين وبنات قالت العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود والنصارى المسيح وعزير ابنا الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال خرقوا كذبوا لم يكن لله بنون ولا بنات قالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله فكل خرقوا الكذب وخرقوا اختلقوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال قول الزنادقة وخرقوا له قال ابن جريج قال مجاهد خرقوا كذبوا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك وخرقوا له بنين وبنات قال وصفوا له **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن أبي عمر وخرقوا له بنين وبنات قال تفسيرها وكذبوا فتأويل الكلام اذا وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم اياه وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير وخرقوا له بنين وبنات يقول وتخرصوا لله كذبا فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته وأنه لا ينبغي لمن كان الها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك * القول في تأويل قوله ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ يقول تعالى ذكره تنزه الله وعلا وارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه في ادعائهم له شركاء من الجن واختراقهم له بنين وبنات وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته لان ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الاولاد والذين تضطرهم لضعفهم الشهوات الى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شئ الى شئ ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته الى النساء الى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة وقوله تعالى تفاعل من العلو والارتفاع وروى عن قتادة في تأويل قوله عما يصفون انه يكذبون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذبون وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه من ادعائهم له بنين وبنات لانه وجه تأويل الوصف الى الكذب * القول في تأويل قوله ﴿بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجن شركاء وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بديع السموات والارض يعني مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بديع السموات والارض قال هو الذي ابتدع خلقهما جل ثناؤه فخلقهما ولم يكونا شيأ قبله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والولد انما يكون من الذكر من الأنثى ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد وذلك انه هو الذي خلق كل شئ يقول فاذا كان لا شئ الا الله خلقه فأنى يكون لله ولد ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد * القول في تأويل قوله ﴿وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره والله خلق كل شئ ولا خالق سواه وكل ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه خلقه وعبيده ملكا كان الذي تدعونه ربا وتزعمون أنه له ولدا أو جنيا أو انسيا وهو بكل شئ عليم يقول

المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب * ثم عدل عن الآيات الآفاقية الى آيات الانفس فقال (وهو الذى أنشأكم) أى خلقكم بطريق النشو والنماء (من نفس واحدة) هى آدم وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن أو بالنفخ وهى من آدم (فمستقر) من قرأ بكسر القاف فالتقدير فنكم مستقر (و) منكم (مستودع) الاول اسم فاعل والثانى اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمى مكان أو مصدرا وذلك أن استقر لازم فلا يجىء منه المفعول به بلا واسطة فينبغى تفسير مستودع أيضا بما يشاكله استحسانا وعن ابن عباس أن المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر فى الارحام ما نشاء ولان اللبث فى الرحم أكثر فيكون لفظ القرار بذلك أنسب بخلاف المستودع فانه فى معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شأن المنى فى الاصلاب فانه بصدد الاراقة فى كل حين وأوان وقيل المستقر صلب الأب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت فى صلب الاب أولا واستقرت هناك ثم حصلت فى الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذى خلق من النفس الاولى وحصل فى الوجود والمستودع الذى لم يخلق بعد وسيخلق وعنه أيضا المستقر من فى القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن أبى مسلم الاصفهانى المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر فى صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام أن الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب فى الاطوار ويتردد فى الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل فى الأخلاق والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال (قد فصلنا الآيات) ميزنا بعضها عن بعض (لقوم يفقهون) لان الفائدة تعود اليهم وان كان الارشاد عاما ولأن آيات الانفس أقرب الى الاعتبار وأهون لدى الاستبصار ختم هذه الآية بالفقه وخصص خاتمة الآية الاولى بالعلم ليعلم أن الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء أصلا فضلا

والله الذى خلق كل شئ لا يخفى عليه ما خلق ولا شئ منه ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء عالم بعددكم وأعمالكم وأعمال من دعوتموه ربا أو ثانى ولدا وهو محصيها عليكم وعليهم حتى يجازى كلا بعمله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل﴾ يقول تعالى ذكره الذى خلق كل شئ وهو بكل شئ عليم هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان والجاعلون له الجن شركاء وآلهتكم التى لا تملك نفعا ولا ضرا ولا تفعل خيرا ولا شرا لا اله الا هو وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله يقول جل ثناؤه لهم أيها الجاهلون انه لا شئ له الالوهية والعبادة الا الذى خلق كل شئ وهو بكل شئ عليم فانه لا ينبغى أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من فى السموات والارض الا الله خالصة بغير شريك تشركونه فيها فانه خالق كل شئ وبارئه وصانعه وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة فاعبدوه يقول فذللوه بالطاعة والعبادة والخدمة واخضعوا له بذلك وهو على كل شئ وكيل يقول والله على كل ما خلق من شئ رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار فقال بعضهم معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار يقول لا يحيط بصر أحد بالملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو أعظم من أن تدركه الابصار حدثنى يونس بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن عبد الرحمن قال ثنا أبو عرفجة عن عطية العوفى فى قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال هم ينظرون الى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله لا تدركه الابصار الآية واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا ان الله قال فلما أدركه الغرق قال آمنت قالوا فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ولا شك ان الغرق غير موصوف بأنه رآه ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيأ قالوا فمعنى قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه بعيد لان الشئ قد يدرك الشئ ولا يراه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون لان الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم انهم لا يدركون لقوله ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قالوا فان كان الشئ قد يرى الشئ ولا يدركه ويدركه ولا يراه فكان معلوما بذلك ان قوله لا تدركه الابصار من معنى لا تراه الابصار بمعزل وان معنى ذلك لا تحيط به الابصار لان الاحاطة به غير جائزة قالوا فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم بمعنى انهم لا تحيط به اذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيأ

عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة أبين فيه من كونه آية فقال (وهو الذى أنزل من السماء ماء) قيل أى من جانب السماء وقيل أى من السحاب لان العرب تسمى كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال أكثر أهل الظاهر أى من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء وأراد ونحن قد حكينا فى أول سورة البقرة مذهب الحكماء فى هذا الباب والله تعالى أعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها (فأخرجنا به) أى بواسطة ذلك الماء وذلك يوجب الطبع والمتكلمون ينكرونه (نبات كل شئ) قال الفراء أى نبات كل شئ له نبات فيخصص بنبت كل صنف من أصناف النامى ويخرج ما عدا ذلك وفى الآية التفاتان الأول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذين أنزلنا والثانى من الغيبة الى الحكاية وأنت خبير أن نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب باب من أبواب البلاغة وصيغة الجمع لأجل التعظيم كما هو دين الملوك ثم لما بين أن السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر فى قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال (فأخرجنا منه) أى من النبات (خضرا) شيأ أخضر طريا وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) أى من ذلك الخضر (حبا متراكبا) بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فأصل ذلك هو العود الأخضر وتكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة أجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها أن تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما نبت من الحب أتبعه ذكر ما نبت من النوى فقال (ومن النخل) وهو خبر أن وقوله (من طلعها) بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل (قنوان) أو الخبر محذوف لدلالة أخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب والطلع أول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التى قد تدلت من الطلع دانية من تحتها وعنه أيضا انه أراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل

يحيط به قالوا ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط به وكما قال جل ثناؤه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء قالوا فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء قالوا ومعنى العلم فى هذا الموضع المعلوم قالوا فلم يكن فى نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشئ من علمه الا بما شاء نفى عن أن يعلموه قالوا فاذا لم يكن فى نفى الاحاطة بالشئ علما نفى للعلم به كان كذلك لم يكن فى نفى ادراك الله عن البصر نفى رؤيته له قالوا وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علما كذلك جائز أن يروا بهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم اذ كان معنى الرؤية غير معنى الادراك ومعنى الادراك غير معنى الرؤية وان معنى الادراك انما هو الاحاطة كما قال ابن عباس فى الخبر الذى ذكرناه قبل قالوا فان قال لنا قائل وما أنكرتم أن يكون معنى قوله لا تدركه الابصار لا تراه الابصار قلنا له أنكرنا ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه ان وجوها فى القيامة اليه ناظرة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب قالوا فاذ كان الله قد أخبر فى كتابه بما أخبر وحققت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم أن تأويل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة انه نظر أبصار العيون لله جل جلاله وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخا للآخر اذ كان غير جائز فى الاخبار لما قد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام وغيره علم أن معنى قوله لا تدركه الابصار غير معنى قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة الى الله ولا يدركونه بها تصديقا لله فى كلا الخبرين وتسليما لما جاء به تنزيله على ما جاء به فى السورتين * وقال آخرون معنى ذلك لا تراه الأبصار وهو يرى الابصار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تدركه الابصار لا يراه شئ وهو يرى الخلائق حدثنا هناد قال ثنا وكيع عن اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ولكن قد رأى جبريل فى صورته مرتين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت سبحان الله لقد قف شعرى مما قلت ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى وابن علية عن داود عن الشعبى عن مسروق عن عائشة بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال قالت عائشة من قال ان أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فقال قائل وهذه المقالة معنى الادراك فى هذا الموضع الرؤية وأنكروا

وبنها قنوان بعيدة لان أحد القسمين يغنى عن الآخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل أن يقال ترك البعيدة لان النعمة فى القريبة أكمل وأتم وقيل أراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى متعرضة للقاطف كالشئ الدانى القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتى بالثمر لا تنتظر الطول (وجنات من أعناب) بالنصب عطفا على خضرا أى وأخرجنا به جنات من أعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر أى وثم جنات من أعناب أو وجنات من أعناب مخرجة ولا يجوز أن يكون عطفا على قنوان وان جوزه فى الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة أو مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من أعناب أما قوله (والزيتون والرمان) بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها أو للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء أراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم أنه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولاسيما للعرب ومن فضائلها أن الحكماء بينوا أن بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه أشرف أنواع الفواكه وانه ينتفع به من أول ظهوره الى آخر حاله فأوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من أصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا أن الخمر حرمها الشرع لاسكارها وأخس ما فى العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب فى المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذى يعظم غناؤه وأما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة أرضية كثيفة قابضة عفصة وأما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه ألذ الاشربة وألطفها وأقربها الى الاعتدال وأشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكأنه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه أكمل وأنواع النبات أكثر من أن يفى

أن يكون الله يرى بالابصار فى الدنيا والآخرة وتأولوا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بمعنى انتظار ها رحمة الله وثوابه وتأول بعضهم فى الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات وأنكر بعضهم مجيئها ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا القول فيه الى عقولهم فزعموا أن عقولهم تحيل جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار وأتوا فى ذلك بضروب من التمويهات وأنكروا القول فيه من جهة الاستخراجات وكان من أجل ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيأ الا ما بانها دون ما لاصقها فانها لا ترى ما لاصقها قالوا فما كان للابصار مباينا مما عاينته فان بينه وبينها فضاء وفرجة قالوا فان كانت الابصار ترى ربها يوم القيامة على نحو ما ترى الاشخاص اليوم فقد وجب أن يكون الصانع محدودا قالوا ومن وصفه بذلك فقد وصفه بصفات التى يجوز عليها الزيادة والنقصان قالوا وأخرى أن من شأن الابصار أن تدرك الالوان كما من شأن الاسماع أن تدرك الاصوات ومن شأن المتنشم أن يدرك الاعراف قالوا فمن الوجه الذى فسد أن يكون جائزا أن يقضى للسمع بغير ادراك الاصوات وللمتنشم الا بادراك الاعراف فسد أن يكون جائزا القضاء للبصر الا بادراك الالوان قالوا ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفا بأنه ذو لون صح أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئى * وقال آخرون معنى ذلك لا تدركه أبصار الخلائق فى الدنيا وأما فى الآخرة فانها تدركه وقال أهل هذه المقالة الادراك فى هذا الموضع الرؤية واعتل أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا الادراك وان كان قد يكون فى بعض الاحوال بغير معنى الرؤية فان الرؤية من أحد معانيه وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيأ فيراه وهو لما أبصره وعاينه غير مدرك وان لم يحط بأجزائه كلها برؤية قالوا فرؤية ما عاينه الرائى ادراك له دون ما لم يره قالوا وقد أخبر الله أن وجوها يوم القيامة اليه ناظرة قالوا فمحال أن تكون اليه ناظرة وهى له غير مدركة رؤية قالوا واذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون فى أخبار الله تضاد وتعارض وجب وصح أن قوله لا تدركه الأبصار على الخصوص لا على العموم وان معناه لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يدرك الابصار فى الدنيا والآخرة اذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * وقال آخرون من أهل هذه المقالة الآية على الخصوص الا أنه جائز أن يكون معنى الآية لا تدركه أبصار الظالمين فى الدنيا والآخرة وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الابصار بالنهاية والاحاطة وأما بالرؤية فبلى قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الابصار فى الدنيا وتدركه فى الآخرة وجائز أن يكون معناها لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم أبصار خلقه فيكون الذى نفى عن خلقه من ادراك أبصارهم اياه هو الذى أثبته لنفسه اذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ الا فيما قواها جل ثناؤه على النفوذ فيه وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شئ قالوا ولا شك فى خصوص قوله لا تدركه الابصار وأن

بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقى وأما قوله (مشتبها وغير متشابه) ففى تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه تكون متشابهة فى اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة فى الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد تكون متشابهة فى الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة فى الحلاوة والحموضة وبالعكس الثانى ان أكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والحجم متشابها فى الطعم والخاصية وأما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون (٢٠٢) مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وبعضها غير متشابه وذلك أنك قد تأخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على أول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما لاكتفاء بوصف أحدهما أو على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله

رمانى بأمر كنت منه ووالدى ... بريئا ومن أجل الطوى رمانى

(انظروا الى ثمره) من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة أيضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كأنهم خشب مسندة أو على أن ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر (اذا أثمر) اذا أخرج ثمره (وينعه) يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا أدركت ونضجت أمر بالنظر فى حال ثمر كل شجرة أول حدوثها وفى آخر حالها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت أول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم تصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لا بد له من سبب مستقل فى التأثير سوى الطبائع أن والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) قال القاضى المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه آية لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل أن يقال خص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم أو المراد ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى فى حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال فى حقهم

أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم غير أنا لا ندرى أى معانى الخصوص الاربعة أريد بالآية واعتلوا لتصحيح القول بأن الله يرى فى الآخرة بنحو علل الذين ذكرنا قبل * وقال آخرون الآية على العموم ولن يدرك الله بصر أحد فى الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لاوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها واعتلوا لقولهم هذا بأن الله تعالى ذكره نفى عن الابصار أن تدركه من غير أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها قالوا وكذلك أخبر فى آية أخرى أن وجوها اليه يوم القيامة ناظرة قالوا فأخبار الله لا تتباين ولا تتعارض وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل واعتلوا أيضا من جهة العقل بأن قالوا ان كان جائزا أن نراه فى الآخرة بأبصارنا هذه وان زيد فى قواها وجب أن نراه فى الدنيا وان ضعفت لان كل حاسة خلقت لادراك معنى من المعانى فهى وان ضعفت كل الضعف فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لادراكه وان ضعف ادراكها اياه مالم تعدم قالوا فلو كان فى البصر أن يدرك صانعه فى حال من الاحوال أو وقت من الاوقات ويراه وجب أن يكون يدركه فى الدنيا ويراه فيها وان ضعف ادراكه اياه قالوا فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا فى الدنيا كان غير جائز أن تكون فى الآخرة الا بهيئتها فى الدنيا فى أنها لا تدرك الا ما كان من شأنها ادراكه فى الدنيا قالوا فلما كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوها فى الآخرة تراه علم أنها تراه بغير حاسة البصر اذ كان غير جائز أن يكون خبره الا حقا * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب فالمؤمنون يرونه والكافرون عنه يومئذ محجوبون كما قال جل ثناؤه كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فأما ما اعتل به منكر ورؤية الله يوم القيامة بالابصار لما كانت لا ترى الا ما بينها وكان بينها وبينه فضاء وفرجة وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالابصار كذلك لان فى ذلك اثبات حدله ونهاية فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه وأنه يقال لهم هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم الا مما سالكم أو مبانا فان زعموا أنهم يعلمون ذلك كلفوا تبيينه ولا سبيل الى ذلك وان قالوا لا نعلم ذلك قيل لهم أوليس قد علمتموه لا مما سالكم ولا مبانا وهو موصوف بالتدبير والفعل ولم يجب عندكم اذ كنتم لم تعلموا موصوفا بالتدبير والفعل غيره الا مما سالكم أو مبانا أن يكون مستحيلا العلم به وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مما س ولا مباين فان قالوا ذلك كذلك قيل لهم فما تنكرون أن تكون الابصار كذلك لا ترى الا ما بينها وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء كما لا تعلم القلوب موصوفا بالتدبير الا مما سالها أو مبانا وقد علمته عندكم لا كذلك وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوما الا مما سالعالم به أو مبانا وأجاز أن يكون موصوفا برؤية الابصار لا مما سالها ولا مبانا فرق ثم يسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا فى شئ من ذلك قولا الا ألزموا فى الآخر مثله وكذلك يسألون فيما اعتلوا به فى ذلك ان من شأن الابصار ادراك الالوان كما

(وجعلوا لله شركاء الجن) قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس أخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس فانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت أنه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع (٢٠٣) ما فيه من الشرور فهو من أهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على أن أهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها ففعل نوعا من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم أزلي والحاصل أنهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم أرواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم أيضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم أنهم أثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو أهرمن وانتصاب الجن على انه بدل أو بيان لشركاء أو على انه مفعول أول لجعلوا وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام أن يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا أو جنيا أو انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الآية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونهم شركاء أنهم مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطائفة من المفسرين ان المراد أن الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فأطاعوهم كما يطاع الله أما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشريك والضمير فيه اما أن يعود الى الجن أو الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الآية نزلت في المجوس فتقريره أن الاكثرين منهم

أن من شأن الاسماع ادراك الاصوات ومن شأن المتنسم درك الاعراف فمن الوجه الذي فسد أن يقتضي السمع لغير درك الاصوات فسد أن تقتضي الابصار لغير درك الالوان فيقال لهم ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفا بالتدبير والفعل الا ذا لون وقد علمتموه موصوفا بالتدبير لا ذا لون فان قالوا نعم لا يجدون من الاقرار بذلك بدا الا أن يكذبوا فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفا بالتدبير والفعل غير ذي لون فيكلفوا بيان ذلك ولا سبيل اليه فيقال لهم فاذ كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الابصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك الا الالوان كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفا بالتدبير الا ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفا بالتدبير غير ذي لون ثم يسألون الفرق بين ذلك فلن يقولوا في أحدهما شيأ الا ألزموا في الآخر مثله ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها واطالة الكتاب بها وبالجواب عنها اذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم الا الى ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساده وأنهم لا يرجعون في قولهم الى آية من التنزيل محكمة ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة فهم في الظلمات يخبطون وفي العمياء يترددون نعوذ بالله من الحيرة والضلالة وأما قوله وهو اللطيف الخبير فانه يقول والله تعالى ذكره المتسرله من ادراك الابصار والمتأتي له من الاحاطة بها رؤية ما يعسر على الابصار من ادراكها اياه واحاطتها به ويتعذر عليها الخبير يقول العليم بخلقه وأبصارهم والسبب الذي له تعذر عليها ادراكه فلطف بقدرته فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشؤنها وما هو أصلح بخلقه كالذي حدثنا هناد قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله اللطيف الخبير قال اللطيف باستخراجها الخبير بمكانها ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ وهذا أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبههم لهذه الآيات من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى قوله وهو اللطيف الخبير على حجته عليهم وعلى تبيين خلقه معهم العادلين به الأوثان والانداد والمكذبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله قل لهم يا محمد قد جاءكم أيها العادلون بالله والمكذبون رسوله بصائر من ربكم أي ما تبصرون به الهدى من الضلال والايمان من الكفر وهي جمع بصيرة ومنه قول الشاعر

حملوا بصائرهم على أكتافهم * وبصيرتي يعدو بها عتدوأي

يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد جاءكم بصائر من ربكم قال البصائر الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم وليست ببصائر الرؤس وقرأ فانها

معترفون بأن ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك والبرهان العقلي قائم على أن ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول حينئذ كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت أن اله الخير قد فعل أعظم الشر وروح خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لأنهم يسلمون أن الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله

ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال أي وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام أي اختلاقهم للافك يعني جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله أمرنا بها ثم حكى عن قوم آخرين نوعا آخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله أعلم ويجوز أن يكون من خرق الثوب اذا شققه أي اشتقوا له بنين وبنات أما قوله بغير علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال أن يثبت له ولدا لأن ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر تعلق الفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب وكان عبدا له لا ولدا وأيضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس عن الفناء لم يحتج الى الولد وأيضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال أن ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال (سبحانه) وهذا على لسان المسبحين (وتعالى عما يصفون) وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح أم لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون ﴿التأويل﴾ وما قدروا الله حق قدره حين أنكروا انزال الكتب والبعثة على أنهم لو اعترفوا بذلك أيضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط

لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال انما الدين بصره وسمعه في هذا القلب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جاءكم بصائر من ربكم أي بينة وقوله فمن أبصر فلنفسه يقول فمن تبين حجج الله وعرفها وأقر بها وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به فانما أصاب حظ نفسه ولنفسه عمل وبالها في الخير ومن عمي فعليها يقول ومن لم يستدل بها ولم يصدق بما دلته عليه من الايمان بالله ورسوله وتنزيله ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها يقول فنفسه ضر واليها أساء لا الى غيرها وأما قوله وما أنا عليكم بحفيظ يقول وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم وانما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شئ من أعمالكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره كما صرفت لكم أيها الناس الآيات والحجج في هذه السورة وبينتها فعرفتكموها في توحيدي وتصديق رسولي وكتابي ووصيتكم عليها فكذلك أبين لكم آياتي وحججي في كل ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمري ونهيي كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكذلك نصرف الآيات لهؤلاء العادلين بربهم كما صرفتها في هذه السورة ولئلا يقولوا درست واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة وليقولوا درست يعني قرأت أنت يا محمد بغير ألف وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه وغيره وجماعة من التابعين وهو قراءة بعض قراء أهل البصرة وليقولوا دارست بألف بمعنى قارأت وتعلمت من أهل الكتاب وروى عن قتادة انه كان يقرؤه درست بمعنى قرأت وتليت وعن الحسن أنه كان يقرؤه درست بمعنى انمحت * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه وليقولوا درست بتأويل قرأت وتعلمت لان المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين فهذا خبر من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون انما يتعلم محمدا ما يأتيكم به من غيره فاذ كان ذلك كذلك فقراءة وليقولوا درست يا محمد بمعنى تعلمت من أهل الكتاب أشبه بالحق وأولى بالصواب من قراءة من قرأه درست بمعنى قارأتهم وخاصمتهم وغير ذلك من القراآت واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراءة في قراءته ذكر من قرأ ذلك وليقولوا درست من المتقدمين وتأوله بمعنى تعلمت وقرأت **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح قال ثني علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وليقولوا درست قالوا قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وليقولوا درست قال قرأت وتعلمت **حدثنا** هناد قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل وافقه عن أبي اسحق عن

نعم تزداد معرفته بازدياد معرفة أوصافه تجعلونه قراطيس أى فى القراطيس وما يجعلونه فى قلوبهم بالتخلق باخلاقه وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم كقوله و يعلمكم الكتاب والحكمة و يعلمكم مالم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ماهو سره الذى يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسر واضمارا باضمار والذى علم النبى هو الله فى خلوة ماسوى الله ولهذا قال قل الله (مبارك) على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم

باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب مصدق الذى بين يديه لانه يصدق حقائق جميع ماقى الكتب ولتنذر أم القرى وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع أرض القلب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بأن يتنوروا بأنواره وينتفعوا بأسراره و يتخلقوا باخلاقه والذين يؤمنون بالآخرة فيستعملون الأدوات والآلات فى أمور الدنيا والآخرة لا فى الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلاتهم يحافظون بالترقى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن يداومون فان الصلاة معراج المؤمن ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات رياء ومراءمن غير أن يكون له منها نصيب أو قال أوحى الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيأ منها ومن قال متشدقا متفيهقا سأتكلم بمثل كلام الله من الحقائق والاسرار فتظهر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات و يكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا

التميمى عن ابن عباس وليقولوا درست قال قرأت وتعلمت **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقولوا درست يقول قرأت الكتب **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله درست يقول تعلمت وقرأت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله درست قال قرأت وتعلمت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس مثله ذكر من قرأ ذلك دارست وتأوله بمعنى جادلت من المتقدمين **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد عن ابن عباس دارست يقول قارأت **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وليقولوا دارست أحسبه قال قارأت أهل الكتاب **حدثنى** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس وليقولوا دارست قال قارأت وتعلمت **حدثنا** محمد ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التميمى يقول سألت ابن عباس عن قوله وليقولوا دارست قال قارأت وتعلمت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير قال كان ابن عباس يقرؤها دارست **حدثنا** المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال ثنا أبو المعلى قال سمعت سعيد بن جبير يقول كان ابن عباس يقرأ دارست بالالف بجزم السين ونصب التاء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال أخبرنى عمرو بن كيسان أن ابن عباس كان يقرأ دارست تلوت خاصمت جادلت **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال ابن عباس فى دارست قال تلوت خاصمت جادلت **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية وليقولوا دارست قال قارأت **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ دارست بالالف أيضا منتصبة التاء وقال قارأت **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ دارست أى ناسخت **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله دارست قال فاقهت قرأت على يهود وقرؤا عليك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وليقولوا دارست قال قارأت قرأت على يهود وقرؤا عليك **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله دارست يعنى أهل الكتاب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد دارست قال قرأت على يهود وقرؤا عليك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها أو فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم أول مرة فى أول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا وبالتفريد عن الدنيا والآخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم و بينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحينئذ لا يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعى الى ربك ولولم تدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير فى الله بالله ونفى السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام

معلوم ان الله فالق حبة الذرة التى أخذ منها الميثاق المودعة فى حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله فى أرض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة يخرج نبات المحبة التى هى من صفات الحى القيوم من الذرة الميتة الانسانية ومخرج الافعال الطبيعية التى هى من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحق فى الدارين وأيضا يخرج نخل الايمان الحق من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ومخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله فالق الاصباح وفالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحياة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسمانى بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق فى معرفة مدبر المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق أنوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعنى تجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا يفسد أمر القلب والقالب وأيضا تجلى شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد أمر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود آفة أنانا الحق وسبحانى وفى تفريطه آفة أنا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يهتدى اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم النجوم نجوم أنوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات بر البشرية و بحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذى أنشأكم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وآله أول ما خلق الله روحى كما خلق أجسادكم من جسد واحد هو جسد آدم أبى البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع فى عالم الارواح عن

وأيضا من الارواح ما هو مستقر فيه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر فى أنانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع أنانيته بالفناء وما هو مستقر ببقاء الحق باق وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول فى الوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى أنزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شئ من أنواع المعارف فأخرجنا منه خضرا

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وليقولوا دارست قال قالوا دارست أهل الكتاب وقرأت الكتب وتعلمتها ذكر من قرأ ذلك درست بمعنى نبئت وقرئت على وجه ما لم يسم فاعله **حدثنا** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا الحسين المعلم وسعيد عن قتادة وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست أى قرئت وتعلمت **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة درست قرئت وفى حرف ابن مسعود درس ذكر من قرأ ذلك درست بمعنى انمحت وتقادمت أى هذا الذى تتلوه علينا قد مر بنا قديما وتطاولت مدته **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقرأ وليقولوا درست أى انمحت **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اسحق الهمدانى قال فى قراءة ابن مسعود درست بغير ألف بنصب السين ووقف التاء **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير يقول ان صبيانا ههنا يقرؤن دارست وانما هى درست **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن وليقولوا درست يقول تقادمت وانمحت وقرأ ذلك آخرون درس من درس الشئ تلاه **حدثنى** أحمد بن يوسف الثعلبى قال ثنا أبو عبيدة قال ثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف أبى بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قرأ وانما جاز أن يقال مرة درست ومرة درس فيخاطب مرة ويخبر مرة من أجل القول وقد بينا أولى هذه القراآت فى ذلك بالصواب عندنا والدلالة على صحة ما اخترنا منها وأما تأويل قوله ولنبينه لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره كما صرفنا الآيات والعبر والحجج فى هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والانداد كذلك نصرف لهم الآيات فى غيرها كيلا يقولوا لرسولنا الذى أرسلناه اليهم انما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب فينزجروا عن تكذيبهم اياه وتقولهم عليه الافك والزور ولنبين تصريفنا الآيات الحق لقوم يعلمون الحق اذا تبين لهم فيتبعوه ويقبلوه وليسوا كمن اذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم به بعدا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتبع يا محمد ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك فاعمل به وانزجر عما زجرك عنه فيه ودع ما يدعوك اليه مشركو قومك من عبادة الاوثان والاصنام فانه لا اله الا هو يقول لا معبود يستحق عليك اخلاص العبادة له الا الله الذى هو فالق الحب والنوى وفالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا وأعرض عن المشركين يقول ودع عنك جدالهم وخصومتهم ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله فى براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على ابن أبى طلحة عن ابن أبى عباس أما قوله وأعرض عن المشركين ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو

طربا من المعانى والاسرار نخرج به من الحقائق ما تركب بعضها بعضها فترتب بعضها على بعض ومن النخل يعنى أصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين أى منهم من يكون مرئيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد أرباب الزهد والتقوى والفتوة الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من أعناب الاجتهاد وزيتون الاصول ورمان الفروع مشتبها أى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه أى مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه اى الكامل منها ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون بأحوالهم وينتفعون بأقوالهم وأحوالهم وجعلوا لله اشارة الى أنه كما يخرج بماء اللطف من أرض القلوب لاربابها أنواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من أرض النفوس لاصحابها أنواع الضلالات (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) ۞ القرا آت ولم يكن بياء الغيبة قتيبة درست بتاء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة * (الوقوف) والارض ط صاحبة ط كل شئ ط لاحتمال الواو الحال والاستئناف عليهم ط ربكم ط لاحتمال الجملة

عن المشركين فانه نسخ ذلك قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل﴾ يقول جل ثناؤه ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابتهم ولو شاء الله ما أشركوا يقول لو أراد ربك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم بتوفيقه اياهم فلم يشركوا به شيأ ولآمنوا بك فاتبعوك وصدقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك وما جعلناك عليهم حفيظا يقول جل ثناؤه وانما بعثتك اليهم رسولا مبلغا ولم نبعثك حافظا عليهم ما هم عاملوه وتحصى ذلك عليهم فان ذلك الينا دونك وما أنت عليهم بوكيل يقول ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحافظهم فيما لم يجعل اليك حفظه من أمرهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ولا تسبوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد فيسب المشركون الله جهلا منهم بربهم واعتداء بغير علم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال قالوا يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله أن يسبوا ربهم فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن على أبى طالب فأتى أبا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك قال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان

الاستئناف والحال والعامل معنى الاشارة الاهو طلان قوله خالق بدل من الضمير المستتر أو خبر ضمير محذوف فاعبدوه ط لاحتمال الواو والحال والاستئناف وكيل ○ لاتدركه الابصار ج لاختلاف الجملتين مع أن الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ط لاحتمال الواو الاستئناف والحال أي يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير ○ من ربكم ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ط كذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ ○ يعلمون ○ من (٢٠٨) ربك ط لاحتمال الجملة الحال والاستئناف على أنها جملة معترضة الاهو ط للعطف مع العارض المشركين ○ ما أشركوا ط حفيظا ط للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل ○ بغير علم ط يعلمون ○ ليؤمنن بها ط وما يشعركم ط لمن قرأ انها بكسر الالف لا يؤمنون ○ يعمهون ○ * ﴿التفسير﴾ لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال قول من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز أن يكون بديع السموات مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما أن تريدوا بكون عيسى ولدا له أنه أحدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا أب وحينئذ يلزمكم القول بأنه والد السموات والارض بكونه مبدعا لهما وهذا باطل بالاتفاق واما أن تريدوا به الولادة كما هو المألوف في الحيوانات وهذا أيضا محال لان تلك الولادة لا تصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء محتبس في رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال وأشار الى هذا بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وأيضا الولد بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة أما الذي اذا أراد شيأ فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا أشار بقوله خلق كل شئ وأيضا هذا الولد لا يكون أزليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي أن يكون حادثا فنقول انه تعالى عالم بكل المعلومات أزلا وأبدا كما قال وهو بكل شئ عليم فان كان قد علم أن له في تحصيل ذلك الولد كمالا أو نفعا أو لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد أزليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين أن اله العالم فرد واحد صمد

أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم باخراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرا أمثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فأبوا واستمروا قال أبو طالب يا ابن أخي قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فذلك قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال اذا سببت الهه سب الهك فلا تسبوا آلهتهم وأجمعت الامة من قراء الامصار على قراءة ذلك فيسبوا الله عدوا بغير علم بفتح العين وتسكين الدال وتخفيف الواو ومن قوله عدوا على أنه مصدر من قول القائل عدا فلان على فلان اذا ظلمه واعتدى عليه يعدو عدوا وعدوا وعدوانا والاعتداء انما هو افتعال من ذلك روى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك عدوا مشددة الواو **حدثني** بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن عثمان بن سعد فيسبوا الله عدوا مضمومة العين مثقلة وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك فيسبوا الله عدوا بوجه تأويله الى أنهم جماعة كما قال جل ثناؤه فانهم عدو لي الا رب العالمين وكما قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ويجعل نصب العدو حينئذ على الحال من ذكر المشركين في قوله فيسبوا فيكون تأويل الكلام ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعوا المشركون من دون الله فيسب المشركون الله أعداء الله بغير علم واذا كان التأويل هكذا كان العدو من صفة المشركين ونعتهم كأنه قيل فيسب المشركون أعداء الله بغير علم ولكن العدو لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة نصب على الحال * والصواب من القراءة عندي في ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لاجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك وغير جائز خلافها فيما جاءت مجمعة عليه ۞ القول في تأويل قوله ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره كما زينا لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام عبادة الاوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا اياهم عن طاعة الرحمن كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على عمل من الاعمال من طاعة الله ومعصيته عملهم الذي هم عليه مجتمعون ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم الى ربهم فينبئهم بما كانوا يعملون يقول فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا ثم يجازيهم بها ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر أو يعفو بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون

منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال (ذلكم الله) فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شئ وفى المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان رفع الشرك أهم وهناك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية أهم ثم قال (فاعبدوه) وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعنى أن من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة (وهو) مع تلك الصفات (على كل شئ وكيل) يحفظه ويرزقه ويراقبه قال فى التفسير الكبير انه سبحانه أقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من أثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء فى اثبات التوحيد طرق منها أن الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد أولى من عدد آخر فيلزم آلهة لا نهاية لها أو القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها أنا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله أحدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب أن يكون كل واحد يعجز الآخر وهو محال وان كان فى أحدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها أنا لو فرضنا الها ثانيا فكان اما أن يكون الثانى مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال أولا وعلى الاول لابد أن يحصل الامتياز بأمر والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال مشتركة بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثانى مشاركا للاول فى جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع أن الدليل النقلى فى التوحيد كاف والله أعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق (٢٠٩) كل شئ يدل على أنه خالق أفعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام فى معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنا والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا وأيضا احتج كثير من المعتزلة به على نفى الصفات وعلى أن القرآن مخلوق أما الثانى فلان القرآن شئ فيدخل تحت العموم وأما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم أن تكون مخلوقة له تعالى وأجيب بأنكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة أنه يمتنع

لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم وذلك أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدها لئن جاءتهم آية يقول قالوا لنقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدق ما تقول يا محمد مثل الذى جاء من قبلنا من الامم ليؤمنن بها يقول قالوا لنصدقن بمجيئها بك وأنك لله رسول مرسل وأن ما جئتنا به حق من عند الله وقيل ليؤمنن بها فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لمجىء الآية يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل انما الآيات عند الله وهو القادر على اتيانكم بها دون كل أحد من خلقه وما يشعركم يقول وما يدريكم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من ايمانهم من مشركى قومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الى قوله يجهلون سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية واستحلفهم ليؤمنن بها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم ذكر مثله

أما الفرق بين قوله وخلق كل شئ وقوله خالق كل شئ فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضى والثانى يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين أن شيأ من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته وأن عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال (لا تدركه الابصار) هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفى رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل أن قول القائل أدركته ببصرى وما رأيته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضى أنه لا يراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وأيضا أنه ذكر الآية فى معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا فى حقه تعالى وانما قيدوا بما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يتمدح بنفى الظلم عن نفسه فى قوله وما ربك بظلام للعبيد مع أنه تعالى قادر على الظلم عندهم وأجيب بالمنع من أن ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه فى أصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال أصحاب موسى انا لمدركون أى لملحقون وقوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق أى لحقه وأدرك الغلام أى بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت واذا قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك أى ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفى الخاص نفى العام فلا يلزم من نفى ادراك البصر نفى الرؤية سلمنا أن ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفى العموم وأنتم تدعون عموم النفى فأين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفى العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود السابق أيضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد أنها لا تدركه فى الدنيا وأنها تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت أحوالها فى الآخرة أو نقول قول القائل لا يدركه جميع

(٢٧ - ابن جرير سابع) أن يكون خالقا لنفسه وبحسب أفعال العباد فنحن أيضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن

الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز أن يفيد أنه يدركه بعض الابصار كما لو قيل ان محمدا ما آمن به كل الناس فانه يفيد أنه آمن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي أو نقول سلمنا أن الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه أما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث تصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه أن النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد أيضا لا تأخذه سنة ولا نوم الا أن هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع أن يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية عليكم لا لكم لانها أفادت أنه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع أن المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا تجوز رؤيته واذا بطل هذا القول يبقى الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع أنه لا يراه أحد قول لم يقل به أحد وهذا استدلال لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه أخر خارجة عن التفسير لائقة بالاصول فأولها أن الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو أن لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا أو في حكم المقابل فانه يجب حصول

حدثنا هناد قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا فقال لهم فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما شئت ان شئت أصبح ذهبا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم وان شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى وأقسموا بالله الى قوله يجهلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون﴾ اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون فقال بعضهم خوطب بقوله وما يشعركم المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن وانتهى الخبر عند قوله وما يشعركم ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند

الرؤية والا لجاز أن يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب أن تحصل رؤيته وحيث لم تحصل علمنا أن رؤيته ممتنعة في نفسها وأجيب بأن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها لو صحت مجيئها رؤيته لأهل الجنة لرآه أهل النار أيضا لأن القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى وأجيب بأنه لم لا يجوز أن يخلق الله تعالى الرؤية في عيون أهل الجنة ولا يخلقها في عيون أهل النار وثالثها أن كل ما كان مرئيا كان مقابلا أو في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب بمنع الكلية وبأنه اعادة لعين الدعوى لأن النزاع واقع في أن الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته أم لا ورابعها أن أهل الجنة يلزم أن يروه في كل حال حتى عند الجماع لأن القرب والبعد عليه تعالى محال ولأن رؤيته أعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال أهل الجنة وأجيب بأنهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع ﴿في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية﴾ منها هذه الآية كما بينا ومنها أن موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قد اتفق الجمهور على أن النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزائد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة أخرى وسوف يأتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيهما ما تشتهيه الأنفس ولا شك أن القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على أكمل الوجوه وأكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فبين

قرأ بفتح الميم وكسر اللام وأما الأخبار فكثيرة منها الحديث المشهور انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها أن الصحابة اختلفوا في أن النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على أنهم كانوا يجمعون على امكان الرؤية أما قوله تعالى (وهو يدرك الابصار) ففيه دليل على أنه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع على ماهياتها عليم بعوارضها وذاتياتها ثم قال (وهو اللطيف الخبير) وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه في تركيب أبدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والأغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها أو المراد أنه لطيف في الانعام والرحمة لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم أو الغرض أنه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية أو المراد أنه يلطف عن أن يدركه الأبصار الخبير بكل لطيف ولا يلطف شئ عن ادراكه ثم عاد الى تقرير أمر الدعوة والرسالة فقال (قد جاءكم بصائر) أي موجبات البصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمي) عنه فعلى نفسه عمى وإياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بأن العبد يتمكن من الامرين الفعل والترك وعورض بالعلم والداعي (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله (وكذلك) أي مثل ذلك التقرير البليغ (نصرف الآيات) نأتي بها متواترة حالا بعد حال (وليقولوا) عطف على محذوف أي لتلزمهم الحجة وليقولوا أو متعلق (٣) بما بعده أي وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت من

مجيئها استئنافا مبتدأ ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وما يشعركم قال ما يدريكم قال ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يشعركم وما يدريكم انها اذا جاءت قال أوجب عليهم أنها اذا جاءت لا يؤمنون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال سمعت عبد الله بن يزيد يقول انما الآيات عند الله ثم يستأنف فيقول انها اذا جاءت لا يؤمنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انما الآيات عند الله وما يشعركم وما يدريكم أنكم تؤمنون اذا جاءت ثم استقبل يخبر عنهم فقال اذا جاءت لا يؤمنون وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف انها على أن قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون خبر مبتدأ منقطع عن الاول وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين * وقال آخرون منهم بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا وذلك أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية المؤمنون به قالوا وانما كان سبب مسألتهم اياه ذلك أن المشركين

وقروا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة وأما قراءة ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى أن هذه الآيات قد درست وعفت أي هذه الاخبار التي تلوتها علينا من جملة أساطير القرون الخالية قالت العلماء التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكأنه تعالى ذكر الوجه الذي لاجله صرف الآيات وهو أمران أحدهما قوله وليقولوا درست والثاني قوله ولنبينه أما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين أن الحكمة في هذا التصريف أن يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للآيات لانها في معنى القرآن أو يعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به أو الى التبيين الذي هو مصدر الفعل نحو ضربته زيدا أي ضربت الضرب زيدا وأما الاول فقد أورد عليه ان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فتعود مسئلة الجبر والقدر أما الاشاعرة فأجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر ونبينه لبعض فيزدادوا ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وأما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير نصرف الآيات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا أو المراد لام العاقبة وزيف بأن حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن أن يكون حجة وأيضا انه مناف للمقصود لان انزال الآيات انما فعلها والذي أوقع الشبهة للقوم في أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما أتى بالقرآن على سبيل المدارسة والمذاكرة مع أقوام آخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذي ذكره انما يصح لو كان التصريف علة لأن يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وأيضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة أولى ثم انه لما حكى عن الكفار أنهم نسبوه في شأن القرآن الى الافتراء والى انه دارس أقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه نزل عليه من الله أتبعه قوله (اتبع ما أوحي اليك من ربك) لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة أو الحال المؤكدة وهي قوله (لا اله الا هو) على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فله بحسب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الآية بقوله (وأعرض عن المشركين) وجملة

بعضهم على أنها منسوخة بآية القتال وضعف بأن المراد واترك مقابلتهم فيما يأتونه من سفه وأن يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذى يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التنفير والتغيظ (ولو شاء الله ما أشركوا) مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر وأجيب بعد المعارضة بالعلم والداعى بأن الايمان الاختيارى هب أنه أنفع وأفضل من الايمان القهرى الا انه تعالى لما علم أن ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يحب فى حكمته ان يخلق الله فيه الايمان القهرى كى يخلص من العقاب وان لم يحب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص فى البحر ولا تطلب اللآلئ فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فأما أن يأمره بالغوص فى البحر مع اليقين التام بأنه لا يستفيد منه الا الهلاك فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك أنه بين له قدر ما جعل اليه فذكر أنه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الا بلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى أنه جمع القرآن بطريق المدارسة وكان لا يبعد أن يغضب له المسلمون لسبب ذلك فيسبوا آلهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وذلك ان المسلمين اذا شتموا آلهتهم فربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغى من القول وفيه تنبيه على أن خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجرى مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب آلهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدى لما حضر أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحيى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبوسفيان وأبوجهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة ابن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البخترى الى أبى طالب فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وآله فقال له أبو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أبو طالب قد أنصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال أبوجهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرا أمثالها فما هى قال قولوا لا اله الا الله فأبوا واشمأزوا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فان قومك قد فزعوا منها فقال ياعم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فأنزل الله تعالى هذه الآية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله وأجيب بأنه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفى الصانع فما كان يبالى هذا النوع من السفاهة أو لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فأجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما فى قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله أو لعلهم من جهالتهم اعتقدوا أن الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بأنه اله محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو أن شتم الاصنام من أصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى أن ينهى عنه والجواب أن هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضى تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب فى قلوبهم وفيه أن الامر بالمعروف قد يقبح اذا أدى الى ارتكاب منكر والنهى عن المنكر يقبح اذا أدى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين فى هذا الباب وفيه تأديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد فى المطلوب فان وصف الاوثان بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفى فى القدح فى الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما يتجاوز القدر قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدو عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد أى فى حال كونهم

حلفوا أن الآية اذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سل يا رسول الله ربك ذلك فسأل فأنزل الله فيهم وفى مسألتهم اياه ذلك قل للمؤمنين بك يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهم لا يؤمنون به ففتحوا الالف من أن وممن قرأ ذلك كذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة وقالوا أدخلت لا فى قوله لا يؤمنون صلة كما أدخلت فى قوله ما منعك ألا تسجد وفى قوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وانما المعنى وحرام عليهم أن يرجعوا وما منعك أن تسجد وقد تأول قوم قرؤا ذلك بفتح الالف من أنها بمعنى لعلها وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب وقد ذكر عن العرب سماعا منها اذهب الى السوق أنك تشترى لى شيأ بمعنى لعلك تشترى وقد قيل ان قول عدى بن زيد العبادى

أعاذل ما يدريك أن منيتى * الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

بمعنى لعل منيتى وقد أنشدونى بيت دريد بن الصمة

ذرينى

أعداء ومعنى (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة عملهم) قالت الاشاعرة فيه دلالة على أنه تعالى هو الذى زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصى المعصية وزيفه الكعبى بقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم وبقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت فاذا المراد أنه تعالى زين لهم ما ينبغى لهم أن يعملوا وهم لا يفقهون أو المراد زينا لكل أمة من أمم الكفار عملهم أى خلينا هم وشأنهم وأمهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زينا فى زعمهم وقولهم ان الله أمرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم وخلق الداعى بأن قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله فيسبوا الله مشعر بأن اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وأيضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضرورى بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول لما اختار الجهل الثانى ولا تذهب الجهالات الى غير النهاية فلابد أن ينتهى الى جهل أول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) والغرض حكاية شبهة أخرى لهم وهى أن هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولو أنك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لآمنا بك وأكدوا هذا المعنى بالأيمان والأقسام قال الواحدى انما سمى اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأن عيسى كان يحيى الموتى وأن صالحا كانت له ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال ان شئت أصبح الصفا ذهبا ولكن لم أرسل بآية فلم يصدق بها الا أنزلت العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتركهم حتى يتوب تائبهم وأنزل الله الآيات الى قوله ولكن أكثرهم يجهلون قال الكلبى ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا فى الأيمان والمراد بقوله (ان جاءتهم آية) ما رويناه من جعل الصفا ذهبا وقيل هى الاشياء المذكورة فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبى صلى الله عليه وآله يخبرهم بأن عذاب الاستئصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا مثلها (قل انما الآيات عند الله) أى هو مختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات لان المعجزات لا تحصل الا بتخليق الله تعالى أو المراد بالعندية هو العلم بأن احداث هذه المعجزات هل يقتضى ايمانهم أم لا كقوله وعنده مفاتح الغيب أو المراد انها وان كانت معدومة فى الحال الا أنه تعالى متى شاء أحدثها وليس لكم أن تتحكموا فى طلبها كقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وما يشعركم) ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهى القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال (انها اذا جاءت لا يؤمنون) وأما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا تحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية أنها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجئ هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا لهم فى طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل أن بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق أنك تشترى لنا شيأ أى لعلك ويقوى هذا الوجه قراءة أبى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها أن تجعل لا صلة كما فى قوله ما منعك أن لا تسجد وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وثالثها أن المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم أيها المؤمنون أنهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به علمى من أنهم لا يؤمنون وأما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم أيها الكفار قال القاضى والجبائى

ذرينى أطوف فى البلاد لأننى * أرى ماترين أو بخيلا مخلدا

بمعنى لعلنى والذى أنشدنى أصحابنا عن الفراء لعلنى أرى ماترين وقد أنشد أيضا بيت توبة ابن الحمير

لعلك يا تيسا نزا فى مريرة * معذب ليلى أن ترانى أزورها

لهنك يا تيسا بمعنى لأنك التى فى معنى لعلك وأنشد بيت أبى النجم العجلى

(١) قلت لسينان ادن من لقائه * أنا نغدى القوم من سرائه

يعنى لعلنا نغدى القوم وأولى التأويلات فى ذلك بتأويل الآية قول من قال ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله أعنى قوله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون وأن قوله أنها بمعنى لعلها وانما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة فى قراءة الامصار بالياء من قوله لا يؤمنون ولو كان قوله وما يشعركم خطابا للمشركين لكانت القراءة فى قوله لا يؤمنون بالتاء وذلك وان كان قد قرأه بعض قراء المكيين كذلك فقراءة خارجة عما عليه قراء الامصار وكفى

(١) لم نعثر على هذا البيت ولعل سرائه محرف عن شوائه وحرر

فى الآية دلالة على أنه تعالى يجب أن يفعل كل ما فى مقدوره من الألطاف اذ لو كان فى المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بأنهم لا يؤمنون وجه وأيضا لو كان الايمان بخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف أثر فى حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات أثر وأجيب بأن تأثير المعجزات عندهم مبنى على وجوب اللطف فلو أثبت اللطف به لزم الدور وبأن الآية التى بعدها وهى قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم تدل على أن الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة والابصار هو أنهم اذا جاءتهم الآيات القاهرة التى اقترحوها عرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا أنه تعالى اذا قلب قلوبهم وأبصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الآيات والتقليب تحريك الشئ عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبى على دينك والمراد أنه تعالى يقلب القلوب تارة من داعى الخير الى داعى الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان

القلب فاذا حصلت الداعية فى القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر آلتان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب القلب قال الجبائى المراد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم فى جهنم على لهب النار وحرها التعذيب بهم وزيف بأن قوله ونذرهم انما يحصل فى الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبى المراد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم بأنا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث أخرجوا أنفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بأنه انما استحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر وهو الذى أوقع نفسه فى ذلك الحرمان فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى فى قوله ونقلب وقال القاضى القلب باق على حالة واحدة الا أنه تعالى أدخل التقليب والتبديل فى الدلائل واعترض بأن تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة أما قوله (كما لم يؤمنوا به أول مرة) فقال الواحدى فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الآيات كما لم يؤمنوا بظهور الآيات أول مرة يعنى أول مرة أتتهم الآيات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية فى به اما عائدة الى القرآن أو الى محمد صلى الله عليه وآله أو الى ما طلبوا من الآيات وقيل الكاف للجزاء أى كما لم يؤمنوا أول مرة فكذلك نقلب أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم قال الجبائى ونذرهم أى لا نحول بينهم وبين اختيارهم ولا نمنعهم بعاجلة الهلاك وغيره لكنا نهلهم فان أقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تأكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة نقلب أفئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم فى ذلك الطغيان والضلال والعمى ۞ التأويل قد جاءكم بصائر دلالات السعادات الباقية فمن أبصرها بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها وأقبل على الله لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غنى عن العالمين ومن عمى فبالعكس ولا تسبوا الذين يدعون لا تخاطبوا أهل الضلال على

بخلاف جميعهم لها دليلا على ذهابها وشذوذها وانما معنى الكلام وما يدريكم أيها المؤمنون لعل الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخروا به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة لان الله حال بينهم وبين ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية قال لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شئ ورددت عن كل أمر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة وقرأ كما لم يؤمنوا به أول مرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال نحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة ۞ وقال آخرون معنى ذلك ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو ردوا من الآخرة الى الدنيا فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك فلم يؤمنوا فى الدنيا قالوا وذلك نظير قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه قال ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين يقول من المهتدين فاخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال لو ردوا الى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم فى الدنيا ۞ وأولى التأويلات فى ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء وأن ذلك بيده يقيمه اذا شاء ويزيغه اذا أراد وان قوله كما لم يؤمنوا

به أول مرة دليل على محذوف من الكلام وأن قوله كما تشبيه ما بعده بشيء قبله واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يكون معنى الكلام ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الايمان وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله كما لم يؤمنوا بتقليبنا اياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك واذا كان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله كما لم يؤمنوا به كناية ذكر التقليب ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ يقول تعالى ذكره ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها عند مجيئها في تمردهم على الله واعتدائهم في حدوده يترددون لا يهتدون لحق ولا يبصرون صوابا قد غلب عليهم الخذلان واستحوذ عليهم الشيطان

مواجب نوازع النفس والطبيعة فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والتزام المحجة ونفي الشبهة وأقسموا بالله حسبوا أن البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الأدلة لمن لم تدركه سوابق الرحمة ونقلب أفئدتهم عن الآخرة الى الدنيا وأبصارهم عن شواهد المولى الى مشاهدة النفس والهوى كأنهم لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت ألست بربكم قالوا بلى

﴿ تم الجزء السابع من ﴿ جامع البيان في تفسير القرآن ﴾ للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ويليه الجزء الثامن أوله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة ﴾ ﴾

* (فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى) *

صحيفة	
٢	بيان أن أى معجزة لا تفيد الهداية ما لم يخلقها الله فى القلوب
٤	بيان أن للجن شياطين يضلونهم كما أن للانس شياطين
٩	بيان ما تشرع التسمية عليه
١٣	بيان الشبه التى ألقاها المشركون فى أمر تحريم الميتة
١٧	بيان مثل المتخلص من الشبه والواقع فيها
٢١	بيان العلامات التى يستدل بها على هداية الله للشخص
٢٣	بيان العلامة التى تدل على الشقاء وبيان أن السبب الذى به توصل الى الايمان غير السبب الذى توصل به الى الكفر وأن الكل من الله
٢٧	بيان الخلاف هل أرسل الى الجن رسل منهم أم لا
٣٠	بيان ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من فرض نصيب لآلهتهم فى الحرث والنعم
٣٨	ذكر كيفية وأد البنات فى الجاهلية وبيان أن ذلك كان فى ربيعة ومضر أيضا
٤٤	بيان أن آية وآتوا حقه يوم حصاده منسوخة بالزكاة وأنه ليس فى المال صدقة واجبة سوى الزكاة
٤٥	بيان الاسراف المحرم ما هو
٥١	بيان الاصناف المحرم أكلها
٥٤	بيان ما حرم على اليهود من أصناف الحيوان
٥٧	بيان أن المشركين اشتبه عليهم الرضا بالمشيئة فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ورد الله ذلك عليهم
٦٢	بيان متى يجوز الأكل من مال اليتيم
٦٤	بيان أن سبل البدع والشبهات كثيرة وأن الميل الى واحد منها يبعد عن الاسلام
٦٩	ذكر أن الحجة لا تقوم الا بانزال الكتب
٧١	ذكر طلوع الشمس من مغربها
٧٨	بيان أن أهل البدع هم ممن فرق دينهم
٧٩	بيان معنى الحسنة التى يجازى عليها عشر أمثالها وأنها حسنة مخصوصة وكذلك السيئة
٨٥	* (تفسير سورة الاعراف) *
٩١	بيان أن الميزان الذى توزن به الاعمال هو الميزان المعروف
١٠٠	بيان فساد ما يقوله القدرية من أن الايمان والكفر من أفعال العبد وان الله فوض اليه الاسباب
١٠٦	بيان ما تم لآدم حين أكل من الشجرة
١١٢	بيان أولى الاقوال فى تفسير لباس التقوى
١١٤	بيان ما كانت أهل الجاهلية تفعله فى الطواف
١٢٢	بيان أن الطيبات فى الدنيا لأهل الطاعة وان شاركهم فيها غيرهم
١٢٨	بيان أن السماء تفتح لارواح المؤمنين وتغلق لارواح غيرهم
١٣١	بيان أن الجمل يطلق على حبل السفينة
١٣٦	بيان الأعراف وصفة أهلها
١٤٠	بيان السيما التى يعرف بها أهل الجنة وأهل النار
١٤٢	بيان الشفاعة التى تكون يوم القيامة
١٥١	بيان عدد أهل السفينة الذين كانوا مع نبى الله نوح عليه السلام
١٥٣	ذكر قصة عاد
١٥٨	ذكر قصة ثمود
١٦٤	ذكر قصة لوط
١٦٦	ذكر نسب شعيب

* (تم فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير) *

* (فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثامن من تفسير ابن جرير) *

صحيفة	
٢	تفسير قوله ولو أننا نزلنا الآيات وبيان ما فيها من القراآت والوقوف
٥	بيان أن شياطين الانس أشد من شياطين الجن
٧	بيان أن كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف
١٢	تأويل تلك الآيات
١٣	تفسير قوله أومن كان ميتا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٤	بيان السبب فى اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم
١٦	بيان أن النفوس متفاوتة وأن الرسل أيضا كذلك
١٨	ذكر ما حصل بين الاشعرى والجبائى من المناظرة وما انتصر به بعضهم للجبائى ورده
٢٥	تأويل تلك الآيات
٢٦	تفسير قوله ذلك أن لم يكن ربك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٣٢	ذكر ما كانت تفعله أهل الجاهلية بالانعام
٣٣	تاويل تلك الآيات
٣٣	تفسير قوله وهو الذى أنشأ جنات الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٣٦	بيان أن صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل لا الوجوب ولا الاباحة وبيان ما استدل به الامام أبو حنيفة على وجوب الزكاة فى الثمار
٤٣	تأويل تلك الآيات
٤٤	تفسير قوله قل تعالوا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥١	بيان مقدار ما يضاعف على الحسنات وجملة أسئلة مع أجوبتها فى ذلك
٥٤	تأويل تلك الآيات
٥٦	(تفسير سورة الاعراف)
٥٨	بيان أن نفوس العالم قسمان ما ينفعه الذكرى وما ينفعه الانذار

صحيفة	
٦١	بيان الميزان وما يوزن به وكيف يوزن
٦٣	تأويل تلك الآيات
٦٤	تفسير قوله ولقد خلقناكم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦٧	بيان الاشياء التى توهمها ابليس فى أفضلية النار على الطين وردها عليه
٧٢	بيان القوى الاربع التى فى الجسم وأنها توجب فوات السعادات الروحانية
٧٧	تأويل تلك الآيات
٨٠	تفسير قوله يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٨٤	بيان ما كانت العرب تفعله عند طوافها بالبيت
٨٥	بيان ما حصل بين طبيب الرشيد النصرانى وبين ابن واقد من كون القرآن فيه طب أم لا
٨٨	تأويل تلك الآيات
٩٠	تفسير قوله يابنى آدم اما يأتينكم الآيات وقراآتها ووقوفها
٩٤	بيان مذهب أهل التناسخ فى تعذيب الارواح
٩٦	تأويل تلك الآيات
٩٧	تفسير قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠٠	بيان أهل الاعراف وما قيل فيهم
١٠٤	تأويل تلك الآيات
١٠٥	تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٠٧	بيان معنى الاستواء على العرش وما فيه من المذاهب والردود
١١٥	بيان بعض خواص الشمس والقمر والسيارات وأنها مسخرة بأمره
١١٦	ذكر مسائل استنبطها العلماء من الآية الشريفة

صحيفة		صحيفة	
١٢٠	بيان التفصيل فى كون عبادة السر أفضل أو الجهر	١٤٣	بيان مساكن عاد وذكر طرف من تاريخهم
١٢٤	بيان ما قالته الحكماء فى أسباب وجود الريح	١٤٤	تأويل هذه الآيات
١٣٠	تأويل تلك الآيات	١٤٤	تفسير قوله والى ثمود أخاهم صالحا الآيات وبيان القراآت والوقوف التى فيها
١٣١	تفسير قوله لقد أرسلنا نوحا الى قومه الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٤٦	بيان نسب ثمود
١٣٨	بيان نسب هود عليه السلام	١٥٤	ذكر قصة ثمود
		١٦٢	مسائل تتعلق باللواط
		١٦٦	تأويل تلك الآيات

* (تم فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى)

الجـــزء الثـــامن

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سـنة ١٣٢٧ هجريه

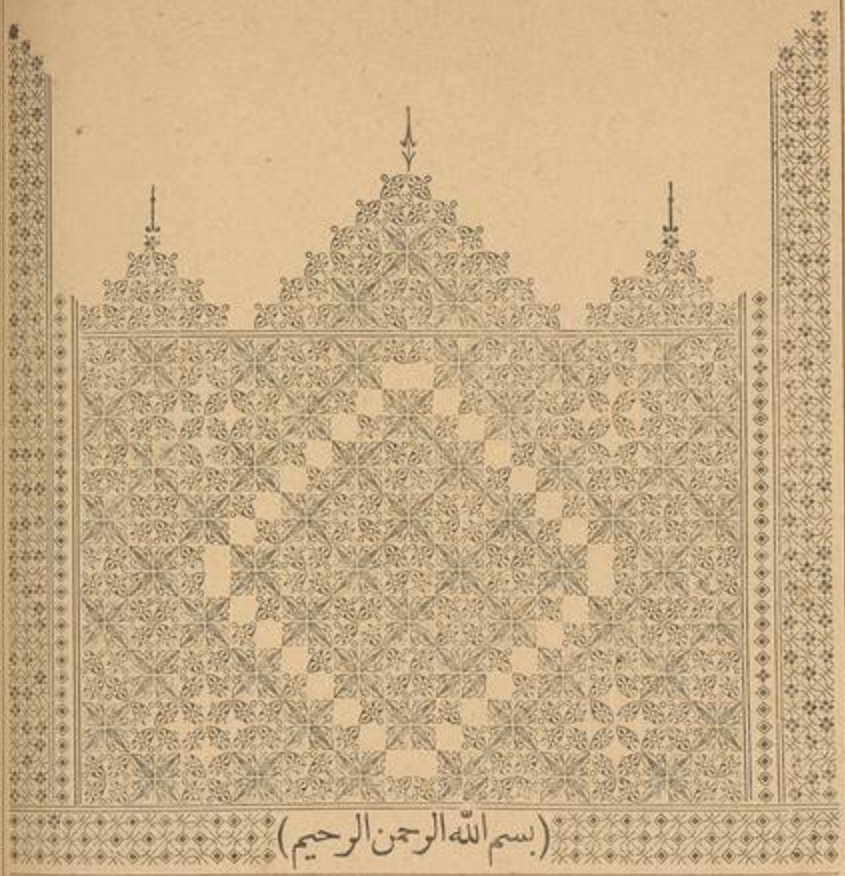

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون﴾ القراآت قبلا بكسر القاف وفتح الباء أبو جعفر

القول في تأويل قوله ﴿ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ايئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام القائلين لك لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك فاننا لو نزلنا اليهم الملائكة حتى يروها عيانا وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم حجة لك ودلالة على نبوتك وأخبروهم أنك محق فيما تقول وأن ما جئتهم به حق من عند الله وحشرنا عليهم كل شئ فجعلناهم لك قبلا ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك الا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم ولكن أكثرهم يجهلون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك يحسبون أن الايمان اليهم والكفر بأيديهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس ذلك كذلك ذلك بيدي لا يؤمن منهم الا من هديته له فوفقته ولا يكفر الا من خذلته عن الرشد فأضللته وقيل ان ذلك نزل في المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من مشركي قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الآية فقال قل يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونزل فيهم ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا

* وقال آخرون انما قيل ما كانوا ليؤمنوا يراد به أهل الشقاء وقيل الا أن يشاء الله فاستثنى ذلك من قوله ليؤمنوا يراد به أهل الايمان والسعادة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وهم أهل

الشقاء ثم قال الا أن يشاء الله وهم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه أن يدخلوا فى الايمان * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول ابن عباس لأن الله جل ثناؤه عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج انهم عنوا بهذه الآية ولكن لا دلالة فى ظاهر التنزيل على ذلك ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك والخبر من الله خارج مخرج العموم فالقول بان ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا * واختلفت القراء فى قراءة قوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا فقرأته قراء أهل المدينة قبلا بكسر القاف وفتح الباء بمعنى معاينة من قول القائل لقيته قبلا أى معاينة ومجاهرة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وحشرنا عليهم كل شئ قبلا بضم القاف والباء واذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون القبل جمع قبيل كالرغف التى هى جمع رغيف والقضب التى هى جمع قضيب ويكون القبل الضمناء والكفلاء واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وحشرنا عليهم كل شئ كفلاء يكفلون لهم بان الذى نعدهم على ايمانهم بالله ان آمنوا أو نوعدهم على كفرهم بالله ان هلكوا على كفرهم ما آمنوا الا أن يشاء الله * والوجه الآخر أن يكون القبل بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل أتيتك قبلا لا دبرا اذا أتاه من قبل وجهه * والوجه الثالث أن يكون معناه وحشرنا عليهم كل شئ قبيلة قبيلة صنفا صنفا وجماعة جماعة فيكون القبل حينئذ جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة فيكون القبل جمع الجمع وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك معاينة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحشرنا عليهم كل شئ قبلا يقول معاينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحشرنا عليهم كل شئ قبلا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله * ذكر من قال معنى ذلك قبيلة قبيلة صنفا صنفا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن يزيد من قرأ قبلا معناه قبيلا قبيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قبلا أفواجا قبيلا قبيلا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن يونس عن أبى خيثمة قال ثنا أبان بن تغلب قال ثنى طلحة ان مجاهدا قرأ فى الانعام كل شئ قبلا قال قبائل قبيلا وقبيلا وقبيلا * ذكر من قال معناه مقابلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا يقول لو استقبلهم ذلك كله لم يؤمنوا الا أن يشاء الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا قال حشروا اليهم جميعا فقابلوهم وواجهوهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن يزيد قرأ عيسى قبلا ومعناه عيانا * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ وحشرنا عليهم كل شئ قبلا بضم القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الاوجه التى بينا من المعانى وأن معنى القبل داخل فيه وغير داخل فى القبل معانى القبل وأما قوله وحشرنا عليهم فان معناه وجمعنا عليهم وسقنا اليهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا﴾ «قال أبو جعفر» يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه بذلك عما لقى من كفرة قومه فى ذات الله وحاثه على الصبر على ما نال فيه وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا يقول وكما ابتلينا لك يا محمد بأن جعلنا لك من

ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهانى عن نصير فصل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما يضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح ۞ الوقوف يجهلون ٥ غرورا ط يفترون ٥ مفصلا ط الممترين ٥ وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال أى لا تبديل لكلماته وهو يسمع ويعلم العليم ٥ عن سبيل الله ط يخرصون ٥ عن سبيله ج بالمهتدين ٥ مؤمنين ٥ اليه ط بغير علم ط بالمعتدين ٥ وباطنه ط يقترفون ٥ لفسق ط ليجادلوكم ج لمشركون ٥ ۞ التفسير هذا شروع فى تفصيل ما أجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومى والعاصى ابن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن المطلب والحرث بن حنظلة أتوا الرسول صلى الله عليه وآله فى رهط من أهل مكة فقالوا أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا أى كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان أوتوا هذه المقترحات

قال أبو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدى وقال أبو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روى عن أبى ذر قال قلت للنبى صلى الله عليه وآله أكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا وأما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش فى تفسيره أى قبيلا قبيلا أو معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل (٤) قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شئ فكفلوا بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعراب

فيه أن الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حى ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبائعها مجتمعة فى موقف واحد ثم أنطقها وأطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من أعظم المعجزات أما قوله تعالى (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو لم يأمرهم به لم يجب ولو أراد الكفر من الكافر لكان الكافر فى كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى أن يريد الكفر لجاز أن يأمر به ولجاز أن يأمرنا بأن نريد الكفر فالمراد من الآية أنه شاء من الكل الايمان الاختيارى وما شاء الايمان القهرى والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا أن يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون وزيف بأن الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها أحد طرفى الممكن ولا تحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكأنه لا اختيار قال الجبائى قوله الا أن يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهى الشرط لزم من حصولها حصول المشروط وأجيب بأنها قديمة الا أن تعلقها بالحدث المحدث فى الحال اضافة حادثة ثم ختم الآية بقوله (ولكن أكثرهم يجهلون) قالت الأشاعرة أى لا يعلمون أن الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون أنهم يبقون كفارا عند ظهور الآية التى طلبوها والمعجزات التى اقترحوها فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم الاختيارى بمجىء

مشركى قومك أعداء شياطين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والايمان بك وبما جئتهم به من عندربك كذلك ابتلينا من قبلك من الانبياء والرسل بان جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات يقول فهذا الذى امتحنتك به لم تخصص به من بينهم وحدك بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتى على منع من آذاهم من ايذائهم فلم أفعل ذلك الا لأعرف أولى العزم منهم من غيرهم يقول فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل وأما شياطين الانس والجن فانهم مردتهم وقد بينا الفعل الذى منه بنى هذا الاسم بما اغنى عن اعادته ونصب العدو والشياطين بقوله جعلنا وأما قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فانه يعنى أنه يلقى الملقى منهم القول الذى زينه وحسنه بالباطل الى صاحبه ليغتر به من سمعه فيضل عن سبيل الله ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله شياطين الانس والجن فقال بعضهم معناه شياطين الانس التى مع الانس وشياطين الجن التى مع الجن وليس للانس شياطين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه أما شياطين الانس فالشياطين التى تضل الانس وشياطين الجن الذين يضلون الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما انى أضللت صاحبى بكذا وكذا وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة شياطين الانس والجن قال ليس فى الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون الى شياطين الجن حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدى فى قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قال للانسان شيطان وللجنى شيطان فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * قال أبو جعفر جعل عكرمة والسدى فى تأويلهما هذا الذى ذكرت عنهما عدوا الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا أولادا بليس دون أولاد آدم ودون الجن وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى الى بعض زخرف القول غرورا ولد ابليس وأن من مع ابن آدم من ولد ابليس يوحى الى من مع الجن من ولده زخرف القول غرورا وليس لهذا التأويل وجه مفهوم لان الله جعل ابليس وولده أعداء ابن آدم فكل ولده لكل ولده عدو وقد خص الله فى هذه الآية الخبر عن الانبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء فلو كان معنيا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدى الذين هم ولد ابليس لم يكن لخصوص الانبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداء وجه وقد جعل من ذلك لاعدى أعدائه مثل الذى جعل لهم ولكن ذلك كالذى قلنا من أنه معنى به انه جعل مردة الانس والجن لكل نبى عدوا يوحى بعضهم الى بعض من القول ما يؤذيهم به وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن حميد بن هلال قال ثنى رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبى

الآيات المقترحات ثم قال (وكذلك) قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا أى وكما زينا لكل أمة عملهم (جعلنا) وقيل ان المشار اليه محذوف أى وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لاشك أن تلك العداوة معصية وكفر وأن جعلها شرفالآية تدل على أن خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل أنه حكم (٥) وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه

ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يارسول الله هل للانس من شياطين قال نعم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن أبى عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبى ذر أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس قد أطال فيه الجلوس قال فقال يا أبا ذر هل صليت قال قلت لا يارسول الله قال قم فاركع ركعتين قال ثم جئت فجلست اليه فقال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يارسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم شر من شياطين الجن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغنى أن أبا ذر قام يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أبا ذر من شياطين الانس والجن فقال يانبى الله أوان من الانس شياطين قال نعم * وقال آخرون فى ذلك بنحو الذى قلنا من ان ذلك اخبار من الله ان شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شياطين الانس والجن قال من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحى بعضهم الى بعض قال قتادة بلغنى أن أبا ذر كان يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أبا ذر من شياطين الانس والجن فقال يانبى الله أوان من الانس شياطين فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الآية ذكر لنا أن أبا ذر قام ذات يوم يصلى فقال له نبى الله تعوذ بالله من شياطين الجن والانس فقال يانبى الله أوللانس شياطين كشياطين الجن قال نعم أوكذبت عليه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن فقال كفار الجن شياطين يوحون الى شياطين الانس كفار الانس زخرف القول غرورا وأما قوله زخرف القول غرورا فانه المزين بالباطل كما وصفت قبل يقال منه زخرف كلامه وشهادته اذا حسن ذلك بالباطل ووشاه كما **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة قوله زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالألسنة **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما الزخرف فزخرفوه زينوه **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالألسنة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله زخرف القول غرورا يقول حسن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم فى فتنتهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زخرف القول غرورا قال الزخرف المزين حيث زين لهم هذا الغرور كما زين ابليس لادم ما جاءه به وقاسمه انه له لمن الناصحين وقرأ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم قال ذلك الزخرف وأما الغرور فانه

كفره واذا أخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبى انه أمر الانبياء بعداوتهم وأعلمهم بكونهم أعداء لهم فاقتضى ذلك أنهم صاروا أعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين أجاب أبو بكر الاصم بأنه لما أرسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة أو للبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم أعداء له وزيف بأن الافعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى وبأن العداوة والمحبة متعلقة بالطبع لا بالارادة والتكليف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب الشياطين كما مر فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانبارى عدوا فى معنى الجمع ولقائل أن يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا واحدا اذ ليس يجب أن يحصل لكل واحد من الانبياء أكثر من عدو واحد

* عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا أعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغراه بالمؤمن ليعينه عليه روى أن النبى صلى الله عليه وآله قال لأبى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا أن الذى يوسوس للانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس للجن يسمى شيطان الجن وزيف بأن المقصود من الآية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لأنى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا ومعنى

الايحاء الاعماء أو القول السريع أى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وكأنه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير و(زخرف القول) ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى والتحقيق فيه أن الانسان مالم يعتقد فى أمر من الأمور خيرية أو نفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا أى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدى (غرورا) نصب على المصدر لأن ايحاء الزخرف من القول فى معنى الغرور (ولو شاء ربك ما فعلوه) استدلال الاشاعرة به ظاهر والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء (فذرهم وما يفترون) منصوب على أنه مفعول معه أو مفعول به أى وافتراءهم أو ما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب فى الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما أعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو فى اللغة الميل يقال فى المستمع انه مصغ اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت وأصغى الاناء اذا أماله حتى انصب بعضه فى بعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغا وأصغى قال الجوهرى صغا يصغو ويصغى صغوا أى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام فى (ولتصغى) لا بد لها من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبى لتميل (اليه) أو الى قوله المزخرف (أفئدة) الكفار فيبعدوا بذلك السبب عن قبول دعوة النبى (وليرضوه) وليختاروه على أنفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا من الآثام (ما هم مقترفون) وقال الجبائى ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك اى وزيف بأن جعل لام كى على لام الامر تحريف وقال الكعبى هى لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار جعلنا لكل نبى عدوا وعن أبى مسلم أنها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة وأورد عليه أن ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشئ على نفسه * وههنا بحث وهو

ما غر الانسان فخدعه فصده عن الصواب الى الخطا ومن الحق الى الباطل وهو مصدر من قول القائل غررت فلانا بكذا وكذا فأنا أغره غرورا وغرا كالذى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى غرورا قال يغرون به الناس والجن ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائى أعداء من شياطين الانس والجن فلا ينالهم مكروهى ويأمنوا غوائلهم وأذاهم فعلت ذلك ولكنى لم أشأ ذلك لأبتلى بعضهم ببعض فيستحق كل فريق منهم ما سبق له فى الكتاب السابق فذرهم يقول فدعهم يعنى الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركى قومك ويخاصمونك بما يوحى اليهم أولياؤهم من شياطين الانس والجن وما يفترون يعنى وما يختلقون من افك وزور يقول له صلى الله عليه وسلم اصبر عليهم فانى من وراء عقابهم على افترائهم على الله واختلاقهم عليه الكذب والزور ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولير ضوه﴾ يقول تعالى ذكره وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولتصغى اليه يقول جل ثناؤه يوحى بعض هؤلاء الشياطين الى بعض المزين من القول بالباطل ليغروا به المؤمنين من أتباع الانبياء فيفتنوهم عن دينهم ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولتميل اليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو من صغوت تصغى وتصغو والتنزيل جاء بتصغى صغوا وصغوا وبعض العرب يقول صغيت بالياء حكى عن بعض بنى أسد صغيت الى حديثه فأنا أصغى صغيا بالياء وذلك اذا ملت يقال صغوى معك اذا كان هواك معه وميلك مثل قولهم ضلعى معك ويقال أصغيت الاناء اذا أملته ليجتمع ما فيه ومنه قول الشاعر

ترى السفيه به عن كل محكمة * زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء

ويقال للقمر اذا مال للغيوب صغا وأصغى ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولتصغى اليه أفئدة يقول تزيغ اليه أفئدة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال لتميل حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول تميل اليه قلوب الكفار ويحبونه ويرضون به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ولتصغى وليهووا ذلك وليرضوه قال يقول الرجل للمرأة صغيت اليها هويتها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ يقول تعالى ذكره وليكتسبوا من الاعمال ما هم مكتسبون حكى عن العرب سمعا منها خرج يقترف لأهله بمعنى يكسب لهم ومنه قيل قارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وكان بعضهم يقول هو التهمة والادعاء يقال للرجل أنت قرفتنى

أى اتهمتنى ويقال بئسما اقترفت لنفسك وقال رؤبة

أعيا اقتراف الكذب المقروف * تقوى التقى وعفة العفيف

ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله وليقترفوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وليقترفوا ما هم مقترفون وليكتسبوا ما هم مكتسبون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بالله الاوثان والاصنام القائلين لك كف عن آلهتنا وتكف عن الهك ان الله قد حكم على بذكر آلهتكم بما يكون صدا عن عبادتها أفغير الله أبتغى حكما أى قل فليس لى أن أتعدى حكمه وأتجاوزه لأنه لا حكم أعدل منه ولا قائل أصدق منه وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا يعنى القرآن مفصلا يعنى مبينا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ يقول تعالى ذكره ان أنكر هؤلاء العادلون بالله الاوثان من قومك توحيد الله وأشركوا معه الأنداد وجحدوا ما أنزلته اليك وأنكروا أن يكون حقا وكذبوا به فالذين آتيناهم الكتاب وهو التوراة والانجيل من بنى اسرائيل يعلمون أنه منزل من ربك يعنى القرآن وما فيه بالحق يقول فصلا بين أهل الحق والباطل يدل على صدق الصادق فى علم الله وكذب الكاذب المفترى عليه فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن يا محمد من الشاكين فى حقية الأنباء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه لان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله فلا تكونن من الممترين بما أغنى عن اعادته مع الرواية المروية فيه وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فلا تكونن من الممترين يقول لا تكونن فى شك مما قصصنا عليك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره وكملت كلمة ربك يعنى القرآن سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر هذه كلمة فلان صدقا وعدلا يقول كملت كلمة ربك من الصدق والعدل والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة كما يقال عندى عشرون درهما لا مبدل لكلماته يقول لا مغير لما أخبر فى كتبه أنه كائن من وقوعه فى حينه وأجله الذى أخبر الله أنه واقع فيه وذلك نظير قوله جل ثناؤه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكانت ارادتهم تبديل كلام الله مسألتهم نبى الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه وقولهم له ولمن معه من المؤمنين ذرونا نتبعكم بعد الخبر الذى كان الله أخبرهم تعالى ذكره فى كتابه بقوله فان رجعك الله الى طائفة

(٧) الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول أن الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه أنزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته وأشار الى هذا الوجه بقوله أفغير الله أبتغى حكما يعنى قل يا محمد انكم تتحكمون فى طلب سائر المعجزات فهل يجوز فى العقل أن يطلب غير الله حكما فان كل أحد يقول ان ذلك غير جائز * الوجه الثانى اشتمال التوراة والانجيل على أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى أن القرآن كتاب حق من عند الله وأشار اليه بقوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) ثم قال (فلا تكونن من الممترين) والخطاب لكل أحد أى اذا ظهرت الدلائل فلا ينبغى أن يمترى فيه أحد وقيل الخطاب للرسول فى الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول فى الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم قال الواحدى الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة وقال بعض أهل التأويل الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذى لا يحكم الا بالحق

ثم لما بين أن القرآن معجز قال (وتمت كلمة ربك) أى القرآن وقوله (صدقا وعدلا) مصدران منتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها أنها وافية كافية فى كونها معجزة دالة على صدق محمد أو كافية فى بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا أو المراد بالتمام أنها أزلية لا يحدث بعد ذلك شئ واعلم أن كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما أخبر الله تعالى عن وجوده أو عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته أعنى كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن أقسام أفعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوته فى السموات والارض وفى عالم الأرواح والاجسام ويدخل

فيه الخبر عن أحكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن أقسام أسماء الله تعالى والخبر عن النبوات وأقسام المعجزات والخبر عن أحوال النشر والقيامة وصفات أهل الجنة والنار والخبر عن أحوال المتقدمين والخبر عن المغيبات وأما التكليف فيدخل فيه كل أمر ونهى توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا أو بشرا أو شيطانا وسواء كان ذلك فى شرعنا أو فى شرائع الانبياء المتقدمين أو فى مراسيم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وماوراءه مما لا يعلم أحوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما أخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لأنه لابد أن يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لأن أفعاله منزهة عن أن تكون بصفة الظلم ثم قال (لامبدل لكلماته) والمعنى أن هؤلاء الكفار يلقون الشبه فى كون القرآن دالا على صدق محمد الا أن تلك الشبهات لا تأثير لها فى هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها أو المراد أن كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أو الغرض أنها بريئة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أو المعنى أن أحكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها أزلية والأزلى لا يزول وهذا الوجه أحد الاصول القوية فى اثبات الجزاء يلزم منه أن لا ينقلب السعيد شقيا وبالضد ثم لما أجاب عن شبه الكفار بين أن عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغى للعاقل أن يلتفت الى كلمات الجهال فقال (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) والمضل لابد أن يكون ضالا ويعنى بهم الذين ينازعون النبى فى الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بأنه حق ثم قال (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) يقدرون أنهم على شئ أو يكذبون فى أن الله أحل كذا وحرم كذا وأصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذى لا يستند الى أمارة كظن الكفار المستند الى تقليد أسلافهم فقط أما اذا كان الاعتقاد الراجح

منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا الآية فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبى الله فى غزاة ولن يقاتلوا معه عدوا بقولهم لهم ذرونا نتبعكم فقل الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون أن يبدلوا بما أنتم اياهم ذلك كلام الله وخبره قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكذلك معنى قوله لامبدل لكلماته انما هو لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أخبر جل ثناؤه لأنه لا يزيد المفترون فى كتب الله ولا ينقصون منها وذلك ان اليهود والنصارى لا شك أنهم أهل كتب الله التى أنزلها على أنبيائه وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرفون غير الذى أخبر أنه لامبدل له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته يقول صدقا وعدلا فيما حكم وأما قوله وهو السميع العليم فان معناه والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله المقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وغير ذلك من كلام خلقه العليم بما تؤول اليه أعمالهم من بر وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تطع هؤلاء العادلين بالله الانداد يا محمد فيما دعوك اليه من أكل ما ذبحوا لالهتهم وأهلوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال فانك ان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن دين الله ومحجة الحق والصواب فيصدوك عن ذلك وانما قال الله لنبيه وان تطع أكثر من فى الارض من بنى آدم لانهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا فقال له جل ثناؤه لا تطعهم فيما دعوك اليه فانك ان تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لانهم لا يدعونك الى الهدى وقد أخطؤه ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه اليه فى أنفسهم فقال ان يتبعون الا الظن فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم وحسبان على صحة عزم عليه وان كان خطأ فى الحقيقة وان هم الا يخرصون يقول ما هم الا متخرصون يظنون ويوقعون حزرا لا يقين علم يقال منه خرص يخرص خرصا وخرصا أى كذب وتخرص بظن وتخرص بكذب وخرصت النخل أخرصه وخرصت أبلك أصابها البرد والجوع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك الذى نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان لئلا يضلوك عن سبيله هو أعلم منك ومن جميع خلقه أى خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذى يوحى الشياطين بعضهم الى بعض فيصدوا عن طاعته واتباع ما أمر به وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد لا يخفى عليه منهم أحد يقول واتبع يا محمد ما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته فانى أعلم بالهادى والمضل من خلقى منك * واختلف أهل العربية فى موضع من فى قوله ان ربك هو أعلم من يضل فقال بعض نحويى البصرة موضعه

مستندا الى امارة فلم يتم أنه كذلك ثم قال (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) والمراد انك بعد ما عرفت أن الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن فى قيدهم بل فوض أمرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بأن المهتدى من هو والضال من هو فيجازى كل أحد بما يليق بعمله أو المراد أن هؤلاء الكفار وان أظهر وا من أنفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم بأحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم فى أودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان أفعل التفضيل لا يعمل فى مظهر ففى (٩) الكلام محذوف أى يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوى بالباء كما فى القلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان أكثر ما يستعمل أفعل من يستعمل مع الماضى نحو أعلم من دب ودرج وأحسن من قام وقعد وأفضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم أن يكون من للاستفهام كقوله لنعلم أى الحزبين أحصى ثم قال (فكلوا) والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام و يحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى أكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة فى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون أكل المذكاة و يبيحون أكل الميتة فرد الله تعالى

خفض بنية الباء قال ومعنى الكلام ان ربك هو أعلم بمن يضل وقال بعض نحويى الكوفة موضعه رفع لانه بمعنى أى والرافع له يضل والصواب من القول فى ذلك أنه رفع بيضل وهو فى معنى أى وغير معلوم فى كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيرا وقد زعم بعضهم أن قوله أعلم فى هذا الموضع بمعنى يعلم واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائى

فخالفت طيئ من دوننا حلفا * والله أعلم ما كنا لهم خذلا

﴿ و بقول خنساء ﴾

القوم أعلم ان جفنتـــــه * تغدو غداة الريح أو تسرى

وهذا الذى قاله قائل هذا التأويل وان كان جائزا فى كلام العرب فليس قول الله تعالى ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله منه وذلك انه عطف عليه بقوله وهو أعلم بالمهتدين فأبان بدخول الباء فى المهتدين أن أعلم ليس بمعنى يعلم لأن ذلك اذا كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء كما لا يقال هو يعلم بزيد بمعنى يعلم زيدا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به و بآياته فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذى بينت لكم أنه تحل به الذبيحة لكم وذلك ما ذبحه المؤمنون بى من أهل دينكم دين الحق أو ذبحه من دان بتوحيدى من أهل الكتاب دون ما ذبحه أهل الاوثان ومن لا كتاب له من المجوس ان كنتم بآياته مؤمنين يقول ان كنتم بحجج الله التى أتتكم وأعلامه باحلال ما أحللت لكم وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدقين ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها الى بعض من زخرف القول لكم وتلبيس دينكم عليكم غرورا وكان عطاء يقول فى ذلك ما حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح وكل شئ يدل على ذكره يأمر به ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ﴾ اختلف أهل العلم بكلام العرب فى تأويل قوله ومالكم أن لا تأكلوا فقال بعض نحويى البصريين معنى ذلك وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا قال وذلك نظير قوله ومالنا أن لا نقاتل يقول أى شئ لنا فى ترك القتال قال ولو كانت لا زائدة لا يقع الفعل ولو كانت فى معنى ومالنا وكذا لكانت ومالنا وأن لا نقاتل وقال غيره انما دخلت لا للمنع لان تأويل مالك ومامنعك واحد ما منعك لا تفعل ذلك ومالك لا تفعل واحد فلذلك دخلت لا قال وهذا الموضع تكون فيه لا وتكون فيه أن مثل قوله يبين الله لكم أن تضلوا وأن لا تضلوا يمنعكم من الضلال بالبيان * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال معنى قوله ومالكم فى هذا الموضع وأى شئ يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وذلك أن الله تعالى ذكره تقدم الى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه واباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة وتحريم ما أهل به لغيره من الحيوان وزجرهم

(٢ - ابن جرير - ثامن) عليهم فى الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه و بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه أو نقول المراد اجعلوا أكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله أعلم أما قوله (وقد فصل لكم) فأكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل فى أول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضى أن يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى أن يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما

الى آخرها فان هذا القدر من التأخير غير ضائر وقوله (الا ما اضطررتم) أى دعتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة (وان كثيرا ليضلون) المبالغة فى قراءة ضم الياء أكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحى فمن دونه من المشركين لانه أول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب وأكل الميتة وقوله (بأهوائهم بغير علم) يريد أن عمرو بن لحى أقدم على هذه المذاهب عن الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون (١٠) الميتة ويناظرون فى احلالها أو يحتجون عليها بقولهم اذا حل ما تذبحونه أنتم فلأن يحل ما يذبحه الله تعالى أولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن فى نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفى الآية دلالة على أن النزاع فى الدين بمجرد التقليد حرام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر آية جامعة فقال (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) فقيل ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر قال الضحاك كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالا ما كان سرا والأصح أن النهى عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما أعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانبارى يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما أخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا أى ما أخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهى عن الاثم مع بيان أنه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهى عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك أن الداعى له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمنى والندم على أفعال الخيرات ومنه يعلم أن ما يوجد فى القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أى يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف يمحو الاقتراف كما يقال التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا أن المسلمين أجمعوا على أنه اذا تاب لم يعاقب وأهل السنة على أنه اذا لم يتب احتمل العفو (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام أو شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية وأجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فما لك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه فهو حرام ترك الذكر عمدا

عن الاصغاء لما يوحى الشياطين بعضهم الى بعض من زخرف القول فى الميتة والمنخنقة والمتردية وسائر ما حرم الله من المطاعم ثم قال وما يمنعكم من أكل ما ذبح بدينى الذى ارتضيته وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وبينته لكم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الى قوله فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فلا لبس عليكم فى حرام ذلك من حلاله فتمتنعوا من أكل حلاله حذرا من مواقعة حرامه فاذا كان ذلك معناه فلا وجه لقول متأول ذلك وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا الان ذلك انما يقال كذلك لمن كان كف عن أكله رجاء ثواب بالكف عن أكله وذلك يكون ممن آمن بالكف فكف اتباعا لامر الله وتسليما لحكمه ولا نعلم أحدا من سلف هذه الامة كف عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك واعتقادا منه أن الله حرمه عليه فبين بذلك اذ كان الامر كما وصفنا أن أولى التأويلين فى ذلك بالصواب ما قلنا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله فصل وفصلنا وفصل بين أو بين بما يغنى عن اعادته فى هذا الموضع كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقد فصل لكم ما حرم عليكم يقول قد بين لكم ما حرم عليكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد مثله * واختلفت القراء فى قول الله جل ثناؤه وقد فصل لكم ما حرم عليكم فقرأه بعضهم بفتح أول الحرفين من فصل وحرم أى فصل ما حرمه من مطاعمكم فبينه لكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقد فصل بفتح فاء فصل وتشديد صاده ما حرم بضم حائه وتشديد رائه بمعنى وقد فصل الله لكم المحرم عليكم من مطاعمكم وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وقد فصل لكم بضم فائه وتشديد صاده ما حرم عليكم بضم حائه وتشديد رائه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وروى عن عطية العوفى انه كان يقرأ ذلك وقد فصل بتخفيف الصاد وفتح الفاء بمعنى وقد أتاكم حكم الله فيما حرم عليكم * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان كل هذه القراآت الثلاث التى ذكرناها سوى القراءة التى ذكرنا عن عطية قراآت معروفات مستفيضة القراءة بها فى قراء الامصار وهن متفقات المعانى غير مختلفات فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب فيه الصواب وأما قوله الا ما اضطررتم اليه فانه يعنى تعالى ذكره أن ما اضطررنا اليه من المطاعم المحرمة التى بين تحريمها لنا فى غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا اليه مضطرين حتى تزول الضرورة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا ما اضطررتم اليه من الميتة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس يجادلونكم فى أكل ما حرم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة ليضلون أتباعهم باهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون الا ركوبا منهم لاهوائهم واتباعا منهم لدواعى نفوسهم اعتداء وخلافا لامر الله ونهيه وطاعة للشياطين ان ربك هو أعلم بالمعتدين يقول ان ربك يا محمد الذى أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها الى خلافها وهو لهم بالمرصاد * واختلفت القراء فى قراءة قوله ليضلون فقرأته عامة أهل الكوفة ليضلون بمعنى

أونسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين أبو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا وسهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى (وانه لفسق) والضمير عائد الى الاكل الذي دل عليه الفعل أو الى الموصول على أنه في نفسه فسق مثل رجل عدل أو على تقدير حذف المضاف أي وان أكله لفسق وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) وهذه المناظرة كانت في مسئلة الميتة (١١) وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى أوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا وأصحابه في أكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى أوليائهم من مشركي قريش وذلك أنه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من أهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا وأصحابه يزعمون أن ما يذبحونه حلال وأن ما يذبحه الله حرام فوقع في أنفس ناس من المسلمين شئ فنزلت الآية ثم قال (وان أطعتموهم) يعني في استحلال الميتة (انكم لمشركون) قال الزجاج وفيه دليل على أن كل من أحل شيأ مما حرم الله تعالى أو حرم شيأ مما أحل الله فهو مشرك لانه أثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعي الفسق في آية أخرى وهي قوله قل لا أجد فيما أوحي الي محرما الى قوله أو فسقا أهل لغير الله به مفسر بما أهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق في هذه الآية أيضا مفسر به نزلنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه لم يوجد ذكر الله ههنا لما روى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب أو نقول هب أن هذا الدليل يوجب الحرمة الا أن معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل في الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا كلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال أحل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى بالمسلم أن يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبي في الآية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا وأجيب بأنه لم لا يجوز أن يراد بالشرك ههنا اعتقاد

أنهم يضلون غيرهم وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين ليضلون بمعنى انهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بمعنى أنهم يضلون غيرهم وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم الى ما يدعونه اليه فقال وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذي أخبره عنهم ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه فقال لهم وان كثيرا منهم ليضلونكم بأهوائهم بغير علم نظير الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ يقول تعالى ذكره وودعوا أيها الناس علانية الاثم وذلك ظاهره وسره وذلك باطنه كذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه أي قليله وكثيره وسره وعلانيته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال سره وعلانيته حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع ابن أنس في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه يقول سره وعلانيته وقوله ما ظهر منها وما بطن قال سره وعلانيته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه أن يعمل به سرا أو علانية وذلك ظاهره وباطنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه معصية الله في السر والعلانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال هو ما ينوى مما هو عامل * ثم اختلف أهل التأويل في المعني بالظاهر من الاثم والباطن منه في هذا الموضع فقال بعضهم الظاهر منه ما حرم جل ثناؤه بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية والباطن منه الزنا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال الظاهر منه لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف والامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا * وقال آخرون الظاهر أولات الرايات من الزواني والباطن ذوات الاخدان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وذروا ظاهر الاثم وباطنه أما ظاهره فالزواني في الحوانيت وأما باطنه فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثني عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ما ظهر منها يعني العلانية وما بطن يعني السر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مكين وأبيه عن خصيف عن مجاهد لا تقربوا الفواحش ما ظهر

ان الله شريكا في الحكم ۞ التاويل وكلهم الموتى أي قلوبهم الميتة وحشرنا أي أريناهم جميع الآيات المودعة في المكونات الا أن يشاء الله فان المشيئة تغير السجية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن أكثرهم يجهلون أن الهدى ليس بالمنى وانه بمشيئة المولى ثم أخبر ان البلايا للسائرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس هي النفس الامارة التي هي أعدى الاعداء والذين آتيناهم الكتاب هديناهم بنور الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن نهي التكوين في الازل وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر وأحسن شئ خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وكذلك شر شئ هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه أسفل سافلين ولاهل الكمال ترق في كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل في القبح الى الابد أيضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يستأهله كل موجود وان تطع أكثر من في الارض وهم أهل الاهواء وأقلهم أهل الحق وانهم الا يخرصون في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا يسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فمن أمارات الايمان أن يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذبحوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله أذبحوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان من الجنان وقد فصل لكم يا أهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والآخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضروريات البشر في الدارين بأمر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو أعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الآية الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان الاخلاق الظلمانية توجب صدأ مرآة القلب وتزيد هارينا الى أن يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تأكلوا طعاما الا بأمر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله لينتفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الكلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون فان للشيطان مجالا في الوسوسة اذا كانت النفوس

منها وما بطن قال ما ظهر منها الجمع بين الاختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا * وقال آخرون الظاهر التعري والتجرد من الثياب وما يستر العورة في الطواف والباطن الزنا ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ظاهره العرية التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت وباطنه الزنا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره تقدم الى خلقه بترك ظاهر الاثم وباطنه وذلك سره وعلانيته والاثم كل ما عصى الله به من محارمه وقد يدخل في ذلك سر الزنا وعلانيته ومعاهرة أهل الرايات وأولات الاخدان منهن ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات والطواف بالبيت عريانا وكل معصية لله ظهرت أو بطنت واذ كان ذلك كذلك وكان جميع ذلك مما وكان الله عم بقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه جميع ما ظهر من الاثم وجميع ما بطن لم يكن لاحد أن يخص من ذلك شيأ دون شئ الا بحجة للعذر قاطعة غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك الى الخصوص بغير برهان كان توجيهه الى أنه عنى بظاهر الاثم وباطنه في هذا الموضع ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم وما بين الله تحريمه في قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية أولى اذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه في سياقها ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك وأدخل فيها الامر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله فخرج الامر عاما بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الاثم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويركبون معاصي الله ويأتون ما حرم الله سيجزون يقول سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعه له في كتاب منزل فانه حرام عليكم ولا ما أهل به لغير الله مما ذبحه المشركون لاوثانهم فان أكل ذلك فسق يعني معصية كفر فكنى بقوله وانه عن الاكل وانما ذكر الفعل كما قال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا يريد به فزاد قولهم ذلك ايمانا فكنى عن القول وانما جرى ذكره بفعل وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقال بعضهم عنى بذلك شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس الى أوليائهم من مردة مشركي قريش يوحون اليهم زخرف القول ليصدوا النبي الله وأصحابه في أكل الميتة ذكر من قال ذلك **حدثني** عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري قال ثنا موسى بن عبد العزيز القنباري قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة لما نزلت هذه الآية تحريم الميتة قال أوحت فارس الى أوليائهم من قريش أن خاصموا محمدا وكانت أولياءهم في الجاهلية وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله قال ابن عباس بشمشار من ذهب فهو حرام فأنزل الله هذه

في المجادلة مع القلوب لتدعوها الى متابعة الهوى الله حسبي (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل (١٣) صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء

الآية وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال الشياطين فارس وأولياؤهم قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عمرو بن دينار عن عكرمة ان مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس وكتبت فارس الى مشركي قريش ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله فاذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة وأما ما ذبحوا هم يأكلون وكتب بذلك المشركون الى أصحاب محمد عليه السلام فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فنزلت وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الآية ونزلت يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وقال آخرون انما عنى بالشياطين الذين يغرون بني آدم انهم أوحوا الى أوليائهم من قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة قال كان مما أوحى الشياطين الى أوليائهم من الانس كيف تعبدون شيأ لا تأكلون مما قتل وتأكلون أنتم ما قتلتم فروى الحديث حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال ابليس الذي يوحي الى مشركي قريش قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس يوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعت أن الشياطين يوحون الى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا ما الذي يموت وما الذي تذبحون الاسواء يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وان أطعتموهم انكم لمشركون قال قول المشركين اما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون وأما ما ذبحتم بأيديكم فحلال حدثنا محمد بن عمار الرازي قال ثنا سعيد بن سليمان قال ثنا شريك عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ان المشركين قالوا للمسلمين ما قتل ربكم فلا تأكلون وما قتلتم أنتم تأكلونه فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما حرم الله الميتة أمر الشيطان أولياءه فقال لهم ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم فقال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال جادل المشركون المسلمين فقالوا ما بال ما قتل الله لا تأكلونه وما قتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة ان ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم

كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿القراآت﴾ ميتا بالتشديد أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء أبو جعفر ونافع وسهل وأبو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء في الصاد أبو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون ﴿الوقوف﴾ يخارج منها ط يعملون ٥ فيها ط ومايشعرون ٥ رسل الله ط رسالاته ط يمكرون ٥ للاسلام ج لابتداء شرط آخر مع العطف في السماء ج لا يؤمنون ٥ مستقيما ط يذكرون ٥ يعملون ٥ جميعا ج للحذف أي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاول ج لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين أجلت لنا ط قال النار بغلط الصوت على النار اشارة الى أن النار مبتدأ بعد القول وليست فاعله يشاء الله ط عليم ٥ يكسبون ٥ يومكم هذا ط كافرين ٥ ﴿التفسير﴾ لما ذكر أن المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا وأعطاه نورا يهتدي به في مصالحه

وأن الكافر بمنزلة من هو فى الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان أو عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقلك وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن (١٤) أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأنزلت الآية وعن مقاتل نزلت فى النبى صلى الله عليه وآله وأبى جهل وذلك أنه قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن به الا أن يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت فى عمار بن ياسر وأبى جهل وعن الضحاك هى فى عمر بن الخطاب وأبى جهل والقول الثانى انها عامة فى كل مؤمن وكافر لحصول المعنى فى الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذى يوجب السكون وأيضا الميت لا يهتدى الى شئ وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحياة والنور قال بعض العلماء قوله أو من كان ميتا اشارة الى أول مراتب النفس الانسانية وهى الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولانى عند الحكيم وقوله فأحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهى أن يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله (وجعلنا له نورا) اشارة الى ثالثة المراتب وهى التى قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل أى الفعل القريب وقوله (يمشى به فى الناس) اشارة الى رابعة المراتب وهى النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن أن يقال الحياة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحى والتنزيل فانه لا بد فى الابصار من أمرين سلامة الحاسة والنور الخارجى من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها فى الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحى فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين أو نور

الله عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمى أن نفرا من المشركين قالوا أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين قال قالوا يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه وأما ما قتل ربكم فتحرمونه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وان أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه انكم اذا لمشركون حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حويبر عن الضحاك قال قال المشركون ما قتلتم فتأكلونه وما قتل ربكم لا تأكلونه فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان أطعتموهم انكم لمشركون قول المشركين أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون منه وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال جادلهم المشركون فى الذبيحة فقالوا أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه يعنون الميتة فكانت هذه مجادلتهم اياهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية يعنى عدو الله ابليس أوحى الى أوليائه من أهل الضلالة فقال لهم خاصموا أصحاب محمد فى الميتة فقولوا اما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله فأنزل الله على نبيه وان أطعتموهم انكم لمشركون وانا والله ما نعلمه كان شرك قط الا باحدى ثلاث ان يدعو مع الله الها آخر أو يسجد لغير الله أو يسمى الذبائح لغير الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله لئن أطعتموهم فأكلتم الميتة انكم لمشركون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال كانوا يقولون ما ذكر الله عليه وما ذبحتم فكلوا فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله ليجادلوكم قال يقول يوحى الشياطين الى أوليائهم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله فقال ان الذى قتلتم يذكر اسم الله عليه وان الذى مات لم يذكر اسم الله عليه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت

الحكم والاقوال متقاربة وأما مثل الكافر فهو (كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا تكاد تزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة أى كمن صفته هذه والمراد كمن هو فى الظلمات ثم قال (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة أو الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة أو المجاز أولى بدليل قوله (وكذلك جعلنا) أى وكما جعلنا فى مكة (١٥) صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا أو وكما زينا للكافرين أعمالهم كذلك جعلنا (فى كل قرية أكابر) وهى جمع الاكبر و (مجرميها) مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها أكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين أكابر لانهم لاجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولأن كثرة المال وقوة الجاه تحمل الناس على المبالغة فى حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والأيمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام فى (ليمكروا) على أصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل فى قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال فى معرض التهديد (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان وباله يعود عليهم (وما يشعرون) وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول أبى جهل وأضرابه زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لانى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فقال (واذا جاءتهم آية) أى معجزة

سمعت الضحاك فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم هذا فى شأن الذبيحة قال قال المشركون للمسلمين تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم وحرم عليكم ما ذبح هو لكم وكيف هذا وأنتم تعبدونه فأنزل الله هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله لمشركون * وقال آخرون كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوما من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع قالا ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عبد الأعلى خاصمت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن وكيع جاءت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أ كل ما قتلنا ولا تأكل ما قتل الله فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أن الشياطين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما فى الآية الاخرى التى يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تأويله عندى لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحى بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش * وقال آخرون هى الميتة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حميد بن يزيد قال سئل الحسن وأنا سائله رجل قال له أتيت بطير كذا فنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث

بن سوار عن الشعبى قال سألته عن ذبائح أهل الكتاب فقال كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقد علم ما هو قول لهم فأحل ذبائحهم وقال آخرون بل عنى بذلك الميتة وانما دخل فيها ما ذبح على النصب لان الله أخبر أنه فسق وقد بين ذلك فى سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب فكان معلوما بذلك أن الذى عنى بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الميتة وأن الذى عنى بقوله وانه لفسق ما ذبح على النصب وأن الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوا المؤمنين فى أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما فى الآية الاخرى التى يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تأويله عندى لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحى بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش * وقال آخرون هى الميتة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حميد بن يزيد قال سئل الحسن وأنا سائله رجل قال له أتيت بطير كذا فنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث

بن سوار عن الشعبى قال سألته عن ذبائح أهل الكتاب فقال كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقد علم ما هو قول لهم فأحل ذبائحهم وقال آخرون بل عنى بذلك الميتة وانما دخل فيها ما ذبح على النصب لان الله أخبر أنه فسق وقد بين ذلك فى سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب فكان معلوما بذلك أن الذى عنى بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الميتة وأن الذى عنى بقوله وانه لفسق ما ذبح على النصب وأن الشياطين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما فى الآية الاخرى التى يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تأويله عندى لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحى بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش * وقال آخرون هى الميتة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حميد بن يزيد قال سئل الحسن وأنا سائله رجل قال له أتيت بطير كذا فنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث

بن سوار عن الشعبى قال سألته عن ذبائح أهل الكتاب فقال كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقد علم ما هو قول لهم فأحل ذبائحهم وقال آخرون بل عنى بذلك الميتة وانما دخل فيها ما ذبح على النصب لان الله أخبر أنه فسق وقد بين ذلك فى سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب فكان معلوما بذلك أن الذى عنى بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الميتة وأن الذى عنى بقوله وانه لفسق ما ذبح على النصب وأن الشياطين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما فى الآية الاخرى التى يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تأويله عندى لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحى بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش * وقال آخرون هى الميتة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حميد بن يزيد قال سئل الحسن وأنا سائله رجل قال له أتيت بطير كذا فنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث

الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى أبي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا آيات فلو
ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستهزاء
(الله أعلم حيث يجعل رسالته) على القول الاول ظاهر وأما على القول الثاني فوجهه أن القوم اذ اقترحوا تلك الآيات فلو أظهر الله تعالى تلك
المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية مختلفة

النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة من علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية منورة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين أو أكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من آمن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار أمره على التغليظ والتشديد وفي الآية تعريض بأن حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب أخلاقهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وهوان (عند الله) أي في الآخرة أو في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل أو المراد من عند الله فحذف من أو قوله عند الله مستأنف أي معد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا بد فيه من أمرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين أنه يقابلهم بضد مقصودهم فأول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يقال شرح فلان أمره اذا أظهره وأوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح أي وسعه لقبول ذلك الاثر ولا شك أن توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوى طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان

عن ابن سيرين عن عبد الله بن يزيد قال كنت أجلس اليه في حلقة فكان يجلس فيها ناس من
الانصار هو رأسهم فاذا جاء سائل فانما يسأله ويسكتون قال فجاءه رجل فسأله فقال رجل ذبح
فنسي أن يسمي فتلا هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حتى فرغ منها * والصواب
من القول في ذلك أن يقال ان الله عنى بذلك ما ذبح للاصنام والآلهة وما مات أو ذبحه من لا تحل
ذبيحته وأما من قال عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد من الصواب لشذوذه
وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله وكفى بذلك شاهدا على فساده وقد بينا فساده من جهة
القياس في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الدين فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع
وأما قوله لفسق فانه يعني وان أكل مما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما أهل به لغير الله لفسق
واختلف أهل التأويل في معنى الفسق في هذا الموضع فقال بعضهم معناه المعصية فتأويل الكلام
على هذا وان أكل مما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وانما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن
سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وانه لفسق
قال الفسق المعصية * وقال آخرون معنى ذلك الكفر وأما قوله وان الشياطين ليوحون الى
أوليائهم فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون والصواب من
القول فيه وأما ايحاؤهم الى أوليائهم فهو اشارتهم الى ما أشار والهم اليه اما بقول واما برسالة
واما بكتاب وقد بينا معنى الوحي فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس
فجاءه رجل من أصحابه فقال يا أبا عباس زعم أبو اسحق أنه أوحى اليه الليلة يعني المختار بن أبي عبيد
فقال ابن عباس صدق فنفرت فقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي
الله ووحي الشيطان فوحي الله الى محمد ووحي الشياطين الى أوليائهم ثم قرأ وان الشياطين ليوحون
الى أوليائهم وأما الأولياء فهم النصراء والظهراء في هذا الموضع ويعني بقوله ليجادلوكم ليخاصموكم
بالمعنى الذي قد ذكرت قبل وأما قوله وان أطعتموهم انكم لمشركون فانه يعني وان أطعتموهم
في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني
معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان أطعتموهم يقول وان أطعتموهم في أكل
ما نهيتكم عنه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن
السدي وان أطعتموهم فأكلتم الميتة وأما قوله انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم اذ كان
هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا فاذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين
* واختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شئ أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها
شئ وهي محكمة فيما عنيت به وعلى هذا قول عامة أهل العلم وروى عن الحسن البصري
وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد عن
عكرمة والحسن البصري قالا قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا

حصل فى القلب علم أو اعتقاد أو ظن يكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل فى النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لأن المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه وأكثر استعمال شرح الصدر فى جانب الحق والاسلام وقد ورد فى الكفر أيضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا * قال المفسرون لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه (١٧) وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من أمارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد أن تترتب على اعتقاد أن عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافى عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة أما قوله (حرجا) فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج فى اللغة أضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذى لا تناله الراعية حكى الواحدى باسناده عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية وقال هل ههنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الاشجار المشتبك الذى لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى (يصعد فى السماء) كأنما يزاول أمرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكأن الكافر فى نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد أن قلبه يتباعد عن الاسلام

مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فنسخ واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والصواب من القول فى ذلك عندنا أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شئ وأن طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه بمعزل لأن الله انما حرم علينا بهذه الآية الميتة وما أهل به لغير الله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها أو لم يسموا لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها يذبحون الذبائح بأديانهم كما يذبح المسلم بدينه سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه الا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل أو بعبادة شئ سوى الله فيحرم حينئذ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسم * القول فى تأويل قوله ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾ وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة بما ذكرنا عنهم من جدالهم اياهم به وأمره اياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرا فهداه جل ثناؤه لرشده ووفقه للايمان فقال لهم أطاعة من كان ميتا يقول من كان كافرا فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده وشرائع دينه وتركه الاخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه الى نجاته بمنزلة الميت الذى لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه نازلة فأحييناه يقول فهديناه للاسلام فأنعشناه فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ويعمل فى خلاصها من سخط الله وعقابه فى معاده فجعل ابصاره الحق تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضيء به فيمشى على قصد السبيل ومنهج الطريق فى الناس كمن مثله فى الظلمات لا يدرى كيف يتوجه وأى طريق يأخذ لشدة ظلمة الليل واضلاله الطريق فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر لا يبصر رشدا ولا يعرف حقا يعنى فى ظلمات الكفر يقول أفطاعة هذا الذى هديناه للحق وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردد لا يعرف المخرج منها فى دعاء هذا الى تحريم ما حرم الله وتحليل ما أحل وتحليل هذا ما حرم الله وتحريمه ما أحل وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين بأعيانهما معروفين أحدهما مؤمن والآخر كافر ثم اختلف أهل التأويل فيهما فقال بعضهم أما الذى كان ميتا فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا سليمان ابن أبى هوذة عن شعيب السراج عن أبى سنان عن الضحاك فى قوله أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كمن مثله فى الظلمات قال أبو جهل بن هشام * وقال آخرون بل الميت الذى أحياه الله عمار بن ياسر رضى الله عنه وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سفيان بن عيينة عن بشر بن تيم عن رجل عن عكرمة أومن كان ميتا فأحييناه

وقوله تباعد ما بين الارض والسماء (كذلك يجعل) أى كما جعل ضيق الصدر فى قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج أى مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان يسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على أن الهداية والضلال من الله تعالى بيانه أن العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا الداعية ولا معنى

للداعية الا علمه أو اعتقاده أو ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا بد أن تنتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد أن الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقاد أن الايمان بمحمد سبب للمفسدة الدينية والدنيوية تباطبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الآية أن من أراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن أراد منه (١٨) الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الآية على قولكم لانه ليس فيها أكثر من أنه اذا أراد أن يهدي انسانا أو يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها أنه أراد ذلك أو لم يرده نظيره قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فيقين أنه كيف يفعل اللهو لو أراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وأيضا لم قلتم انه أراد ومن يرد أن يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله أن يهديه يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو أنه يفعل به ألطافا تدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد أن يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقى في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وأيضا لم لا يجوز أن يقال المعنى فمن يرد الله أن يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنة لما رأى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فتزداد رغبته فيه ومن يرد أن يضله يوم القيامة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذي ناله عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أي يخذله فعلهم ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وأجيب عن قولهم ليس في الآية أنه أراد ذلك أو لم يرده بأن قوله في آخر الآية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بأنه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل وفيه أيضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد أن يضله هو

وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال نزلت في عمار بن ياسر **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن بشر بن تيم عن عكرمة أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس عمار بن ياسر كمن مثله في الظلمات أبو جهل بن هشام ونحو الذي قلنا في الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أو من كان ميتا فأحييناه قال ضالا فهديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هدى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها قال في الضلالة أبدا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو من كان ميتا فأحييناه هديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات في الضلالة أبدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد أو من كان ميتا فأحييناه قال ضالا فهديناه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو من كان ميتا فأحييناه يعني من كان كافرا فهديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني بالنور القرآن من صدق به وعمل به كمن مثله في الظلمات يعني بالظلمات الكفر والضلالة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يقول الهدى يمشي به في الناس يقول فهو الكافر يهديه الله للاسلام يقول كان منكرا فهديناه كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو من كان ميتا فأحييناه هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ واليها ينتهي كتاب الله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وهذا مثل الكافر في الضلالة متحير فيها متسكع لا يجد مخرجا ولا منفذا **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يقول من كان كافرا فجعلناه مسلما وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وهو الاسلام يقول هذا كمن هو في الظلمات يعني الشرك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال الاسلام الذي هداه الله اليه كمن مثله في الظلمات ليس من أهل الاسلام وقرأ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور قال والنور يستضيء به ما في بيته ويبصره وكذلك الذي آتاه الله هذا النور يستضيء به في دينه ويعمل به في فوره كما يستضيء صاحب هذا السراج قال كمن مثله في الظلمات لا يدري ما يأتي ولا ما يقع عليه ۞ القول في تأويل قوله ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله في أكل ما حرمت عليكم من المطاعم عن الحق فزينت له سوء عمله فرآه حسنا يستحق به ما أعددت له من أليم العقاب كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصي الله ليستوجبوا بذلك من

يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان أكثر من يعتريه الحزن فى الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالآخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل أحد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه فى ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف مما مر من أن فعل الايمان يتوقف على أن تحصل فى القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا القول فى جانب الكفر فان سمى الداعيتين أحد

فعلهم مالهم عند ربهم من النكال وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوض الامور الى خلقه فى أعمالهم فلا صنع له فى أفعالهم وأنه قد سوى بين جميعهم فى الاسباب التى بها يصلون الى الطاعة والمعصية لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان قد زين لانبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلك لاعدائه وأهل الكفر به وزين لاهل الكفر به من الايمان به نظير الذى زين منه لانبيائه وأوليائه وفى اخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان وخص أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان وكره اليهم الايمان به والطاعة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون﴾ يقول جل ثناؤه وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا بكل قرية عظماءها مجرميها يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له ليمكروا فيها بغرور من القول أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه وما يمكرون أى ما يحيق مكرهم ذلك الا بأنفسهم لان الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله وهم لا يشعرون يقول لا يدرون ما قد أعد الله لهم من أليم عذابه فهم فى غيهم وعتوهم على الله يتمادون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة نزلت فى المستهزئين قال ابن جريج عن عمرو عن عطاء عن عكرمة أكابر مجرميها الى قوله بما كانوا يمكرون بدين الله وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين والأكابر جمع أكبر كما الأفاضل جمع أفضل ولو قيل هو جمع كبير جمع أكابر لأنه قد يقال أكبر كما قيل قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا واحدهم الخاسر لكان صوابا وحكى عن العرب سماع الاكابرة والاصاغرة والاكابر والاصاغر بغير الهاء على نية النعت كما يقال هو أفضل منك وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على أفعل اذا أخرجوها الى الاسماء مثل جعهم الاحمر والاسود الاحامر والاحامرة والاساود والاساودة ومنه قول الشاعر

ان الأحامرة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين أديمه * والزعفران فلن أزال مبقعا

وأما المكر فانه الخديعة والاحتيال للمكور به بالغدر ليورطه المكر به مكروها من الامر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يقول تعالى ذكره واذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ليصدوا عن سبيل الله آية يعنى حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته قالوا لنبى الله وأصحابه لن نؤمن بما يقول يقولون

بالله والخذلان فلا مشاحة فى الاسامى * قال القاضى فى تفسيره روى عن محمد بن كعب القرظى أنه قال تذاكرنا أمر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيامة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل أين خصماء الله فتقوم القدرية قال ولا يخفى أنهم الذين ينسبون أفعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فأى ذنب لنا حتى تعاقبنا أنت الذى خلقته فينا وأردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسرت لنا غيره فهؤلاء لا بد أن يكونوا خصماء الله أما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وأزاح العلة وانما أتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماؤه هذا كلام القاضى وتعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب فى العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعى عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطنى ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية

وكنت من السفهاء (١) وان من واظب على الكفر سبعين سنة ثم انه فى آخر زمن حياته قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين أعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى أن الشيخ أبا الحسن الاشعرى لما فارق مجلس أستاذه أبى على الجبائى وترك مذهبه وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق أن أبا على عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ أبو الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائى وقال لبعض من حضر هناك من العجائز انى أعلمك

(١) بمراجعة الفخر فى هذا المقام تعلم ما سقط من الكلام اه

مسئلة فاذكر يها لهذا الشيخ قولى له كان لى ثلاثة من البنين واحد فى غاية الزهد وآخر فى غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فأخبرنى أيها الشيخ عن أحوالهم فقال الجبائى أما الزاهد ففى درجات الجنة وأما الكافر ففى دركات النار وأما الصبى فمن أهل السلامة فقال قولى له ان الصبى لو أراد أن يذهب الى تلك الدرجات العالية التى حصل فيها أخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائى لا لأن الله تعالى يقول له انما أخولك وصل الى تلك الدرجات لأنه أتعب نفسه فى العلم والعمل وأنت فليس معك ذلك فقال أبو الحسن قولى له لو أن الصبى يقول يارب العالمين ليس الذنب لى لانك أمتنى قبل بلوغى ولو أبلغتنى فربما زدت على أخى الزاهد فى الزهد فقال الجبائى يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال لها أبو الحسن قولى له لو أن الاخ الكافر الفاسق رفع رأسه من الدرك الاسفل من النار وقال يارب العالمين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالى ومصلحتى قال الراوى فانقطع الجبائى فنظر فرأى أبا الحسن فعلم أن المسئلة منه لا من العجوز ثم ان أبا الحسين البصرى جاء بعد أربعة أدوار وأكثر مجيبا عن الجبائى قائلا نحن لا نرضى بهذا الجواب وانما نقول الجواب مبنى على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهى أنه هل يجب على الله تعالى أن يكلف العبد أم لا فقال البصريون انه غير واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب وعلى الاول لله تعالى أن يقول لذلك الصبى انى طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كونى متفضلا على أحد بشئ أن أتفضل على غيره مثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمر أخيك وتوجيه التكليف فى حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته أما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته وظهر الفرق وأورد على القسم الاول بها انه تعالى لما أوصل التفضل الى أحدهما فالامتناع من ايصاله الى الثانى قبيح منه عقلا لأنه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شئ من ملكه والصبى محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح فى الشاهد كمن منع غيره من النظر فى مرآته المنصوبة على الجواد لعامة الناس فان كان حكم العقل فى التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا أيضا مقبولا والا فلا يقبل فى شئ من الصور وتبطل كلية مذهبكم وأورد على الشق الثانى أن

لن نصدق بما دعانا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان به وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرمه علينا حتى نؤتى يعنون حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذى أعطى موسى من فلق البحر وعيسى من إحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص يقول تعالى ذكره الله أعلم حيث يجعل رسالته يعنى بذلك جل ثناؤه ان آيات الانبياء والرسل لم يعطها من البشر الا رسول مرسل وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها يقول جل ثناؤه فأنا أعلم بمواضع رسالاتى ومن هو لها أهل فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم لان تخير الرسول الى المرسل دون المرسل اليه والله أعلم اذا أرسل رسالة بموضع رسالاته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلما ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الاثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره صغار يعنى ذلة وهوان كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله قال الصغار الذلة وهو مصدر من قول القائل صغر يصغر صغارا وصغرا وهو أشد الذل وأما قوله صغار عند الله فان معناه سيصيبهم صغار من عند الله كقول القائل سيأتينى رزق من عند الله بمعنى من عند الله يراد بذلك سيأتينى الذى لى عند الله وغير جائز لمن قال سيصيبهم صغار عند الله أن يقول جئت عند عبد الله بمعنى جئت من عند عبد الله لان معنى سيصيبهم صغار عند الله سيصيبهم الذى عند الله من الذل بتكذيبهم رسوله فليس ذلك بنظير جئت من عند عبد الله وقوله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون يقول يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله المستحلين ما حرم الله عليهم من الميتة مع الصغار عذاب شديد بما كانوا يكيدون للاسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا لأهل دين الله وطاعته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾ يقول تعالى ذكره فمن يرد الله أن يهديه للايمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه فيوفقه له يشرح صدره للاسلام يقول فسح صدره لذلك وهوّنه عليه وسهله له بلطفه ومعونته حتى يستنير الاسلام فى قلبه فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول كالذى جاء الاثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبى جعفر قال لما نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا فهل لذلك آية يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا قال وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف

قولنا تكليفه يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذات التكليف تتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه اذا انه تعالى علم أنه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا آخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر أن يترك الله تعالى تكليفه وجب أن يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والالزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال (وهذا صراط ربك) فى المشار اليه وجوه منها أنه المذكور فى الآية المتقدمة أما (٢١) على مذهب الاشاعرة وهو أن الفعل يتوقف على الداعى وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره وأما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا الذى قررنا طريقته التى اقتضتها الحكمة وعادته الجارية فى عباده من التوفيق والخذلان ومعنى (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما فى اسم الاشارة من معنى الفعل أو هو محذوف أى أحقه وعن ابن عباس يريد هذا الذى أنت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعنى القرآن (قد فصلنا الآيات) ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال فى التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر فى آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله (لقوم يذكرون) لانه تقرر فى عقل كل واحد أن أحد طرفى الممكن لا يترجح عن الآخر الا لمرجح فكأنه يقول للمعتزلى تذكر ما تقرر فى عقلك ان الممكن لا يترجح أحد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعى مع تساوى طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء فى كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفى الصانع وابطال القول والفعل

بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت **حدثنا** هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال نور يقذف فى القلب فينشرح وينفسح قالوا يا رسول الله هل له من أمارة يعرف بها ثم ذكر باقى الحديث مثله **حدثنى** محمد بن العلاء قال ثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحرانى قال ثنا محمد بن سلمة عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت **حدثنى** سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن أبى كريمة عن عبد الله بن المسور قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة تعرف قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت **حدثنى** ابن سنان القزاز قال ثنا محبوب بن الحسن الهاشمى عن يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا يا رسول الله وكيف يشرح صدره قال يدخل فيه النور فينفسح قالوا وهل لذلك من علامة يا رسول الله قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أما يشرح صدره للاسلام فيوسع صدره للاسلام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله يجعل لها فى صدره متسعا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ يقول تعالى ذكره ومن أراد الله اضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره وصده عن سبيله يجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا والحرج أشد الضيق وهو الذى لا ينفذ من شدة ضيقه وهو ههنا الصدر الذى لا تصل اليه الموعظة ولا يدخله نور الايمان لرين الشرك عليه وأصله من الحرج والحرج جمع حرجة وهى الشجرة الملتف بها الاشجار لا يدخل بينها ولا بينها شئ لشدة التفافها بها كما **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن عن أبى الصلت الثقفى أن عمر بن الخطاب رحمة الله

فاعل والتأثير والمؤثر ثم لما بين عظمة نعمته فى الصراط المستقيم بين ما أعد وهيأ للمتذكرين فقال (لهم دار السلام) أى دار الله يعنى الجنة لاضافتها للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله أو دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان أنواع السلامة حاصلة فى الجنة ومعنى (عند ربهم) أنها معدة عنده وفى ضمانه كما يقال لفلان عندى حق لا ينسى وذلك نهاية فى بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها (وهو وليهم) أى قريب منهم بالرحمة والرضوان أو

موالهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم وذلك أن القوم قد عرفوا أن المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وأن النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وتعالى انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يظن العمل ولا يتكلوا وذلك أن بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيآت النفسانية قد تؤثر فى البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيآت البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على أعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها فى جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم أردفها بذكر من تعلق بضده فقال (ويوم نحشرهم) والمراد واذكر يوم كذا أو يوم نحشرهم قلنا أو متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان مالا يوصف لفظاعته والضمير اما أن يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله شياطين الانس والجن أو يعود الى جميع المكلفين الذين علموا أن الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا فى الدنيا انتهى حالهم فى الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم (يا معشر الجن) لانه يبعد أن يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله (قد استكثرتم من الانس) لا بد فيه من اضمار لان الجن أى الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود أما قوله (وقال أولياؤهم من الانس) فان

عليه قرأ هذه الآية ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بنصب الراء قال وقرأ بعض من عند من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرجا قال صفوان فقال عمر ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا وليكن مدلجيا قال فأتوه به فقال له عمر يا فتى ما الحرجة قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شئ قال فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الاسلام عليه ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول وما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول ما جعل عليكم فى الاسلام من ضيق * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه شاكا ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث ابن سعيد قال ثنا حميد عن مجاهد ضيقا حرجا قال شاكا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ضيقا حرجا أما حرجا فشاكا * وقال آخرون معناه ملتبسا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يجعل صدره ضيقا حرجا قال ضيقا ملتبسا حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسن عن قتادة انه كان يقرأ ضيقا حرجا يقول ملتبسا * وقال آخرون معناه أنه من شدة الضيق لا يصل اليه الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجد مسلكا الا صعد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى ضيقا حرجا قال ليس للخير فيه منفذ حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله لا يجد لها فى صدره مساغا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فى قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخله * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته بعضهم ضيقا حرجا بفتح الحاء والراء من حرجا وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين بمعنى جمع حرجة على ما وصفت وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ضيقا حرجا بفتح الحاء وكسر الراء ثم اختلف الذين قرأوا ذلك فى معناه فقال بعضهم هو بمعنى الحرج وقالوا الحرج بفتح الحاء والراء والحرج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد وهما لغتان مشهورتان مثل الدنف والدنف والوحد والوحد والفرد والفرد * وقال آخرون منهم بل هو بمعنى الاثم من قولهم فلان آثم حرج وذكر عن العرب سماعا منها حرج عليك ظلمى بمعنى ضيق وإثم * والقول عندى فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لاتفاق معنييهما وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى الوحد والفرد بفتح الحاء من الوحد والراء من الفرد وكسرهما بمعنى واحد وأما الضيق

فالأقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس أيضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) وفيه قولان الاول أن المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففى الاستمتاع وجهان أحدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بأرض منفردا وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا

الوادى من سفهاء قومه فبيت آمنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن وأما استمتاع الجن بالانس فهو أن الانسى اذا عاذ بالجنى كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجنى يقول قد سدت الجن والانس لان الانسى قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبى وابن جريج وبعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثانى الوجهين أن الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالأتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس (٢٣) بالخادم وأما انتفاع الانس بالجن فهو أن دلوهم على الشهوات واللذات الى أن بلغوا هذا المبلغ الذى أيقنوا أنه يسوء عاقبتهم وهذا اختيار الزجاج والقول الثانى أن البعضين كليهما من الانس لأن استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر قليل نادر (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) أى ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت بأجله لأنهم أقروا بأنهم بلغوا أجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة فى القيامة (قال) الله تعالى فى جوابهم (النار مثواكم) مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوى ثويا اذا أقام به قال أبو على الفارسى المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى (خالدين فيها) حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار أهل أن يقيموا فيها خالدين (الا ما شاء الله) قيل المراد منه أوقات المحاسبة ووقت كونهم فى المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم فى محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق فى علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبى صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم أن يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو أن الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذى يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير روى أنهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال فى الكشاف أو يكون هذا من قول الموتور الذى ظفر بوتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكنى الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع أنهم لانه اطماع محض ويأس كلى وقال أبو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كأنهم قالوا وبلغنا

فان عامة القراء على فتح ضاده وتشديد يائه خلا بعض المكيين فانه قرأه ضيقا بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد كما قيل هين لين بمعنى هين لين والآخر أن يكون سكنه بنية المصدر من قولهم ضاق هذا الامر يضيق ضيقا كما قال رؤبة

وقد علمنا عند كل مأزق * ضيق بوجه الامر أى مضيق

ومنه قول الله ولا تك فى ضيق مما يمكرون وقال رؤبة أيضا * وشفها اللوح بمأزول ضيق * بمعنى ضيق وحكى عن الكسائى أنه كان يقول الضيق بالكسر فى المعاش والموضع وفى الامر الضيق وفى هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن أن السبب الذى به توصل الى الايمان والطاعة غير السبب الذى به توصل الى الكفر والمعصية وأن كلا السببين من عند الله وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للاسلام ويجعل صدر من أراد اضلاله ضيقا عن الاسلام حرجا كأنما يصعد فى السماء ومعلوم أن شرح الصدر للايمان خلاف تضييقه له وانه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الايمان اليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ولكان من ضيق صدره عن الايمان قد شرح صدره له ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه اذ كان موصولا بكل واحد منهما أعنى من التضييق والشرح (٣) الى ما يوصل به الى الآخر ولو كان ذلك كذلك وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبى جهل للايمان به وضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وهذا القول من أعظم الكفر بالله وفى فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذى به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون وأن كلا السببين من عند الله وبيده لانه أخبر جل ثناؤه أنه هو الذى يشرح صدر هذا المؤمن به للايمان اذا أراد هدايته ويضيق صدر هذا الكافر عنه اذا أراد اضلاله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ كأنما يصعد فى السماء ﴾ وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضييقه اياه عن وصوله اليه مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه لان ذلك ليس فى وسعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى كأنما يصعد فى السماء يقول مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد فى السماء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله * وبه قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخله كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كأنما يصعد فى السماء من ضيق صدره * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق كأنما يصعد بمعنى يتصعد فأدغموا التاء فى الصاد فلذلك شددوا الصاد وقرأ ذلك بعض الكوفيين يصاعد بمعنى يتصاعد فادغم التاء فى الصاد وجعلها

(٣) لعله الى ما يوصل له بالآخر فتنبه

أجلنا الذى سميته لنا الامن أهلكته قبل الاجل المسمى يعنى الآجال الاختر امية (ان ربك حكيم) فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه التجاوز (عليم) بما يستأهله كل طائفة فكأنه تعالى يقول انما حكمت لهؤلاء بعذاب الأبد لعلمى أنهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن أن بعضهم يتولى بعضا بين أن ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) وذلك أن القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح أحد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله قطعا للتسلسل وأيضا لما بين أنه سبحانه ولى أهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر أن أولياء أهل النار من يشبههم فى الظلم والخزى والنكال وأشار اليه بقوله (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذه مناسبة فى غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفى الآية دلالة على أن الرعية متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان أرادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء فى بعض الكتب السموية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليهم رحمة ومن عصانى جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى أعطفهم عليكم ثم بين أن كفار الثقلين لا يكون لهم الى الخلود يوم القيامة سبيل وأنهم لا يعذبون الا بالحجة فقال (يا معشر الجن والانس) قال أهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم أمير واحد (ألم يأتكم رسل منكم) استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية وبقوله وان من أمة الا خلا فيها نذير على أن من الجن رسلا كالانس ولان استئناس الجنس بالجنس أكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والأكثرون على أنه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بنى آدم وزعموا أن ذلك مجمع عليه وردبأنه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع وأجيب عن قول الضحاك بأن الآية تقتضى أن رسل الجن والانس تكون بعضا من أبعاض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا فى حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وأيضا لا يبعد أن يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس

صادا مشددة وقرأ ذلك بعض قراء المكيين كانما يصعد من صعد يصعد وكل هذه القراآت متقاربات المعانى وبايها قرأ القارئ فهو مصيب غير أنى أختار القراءة فى ذلك بقراءة من قرأ كانما يصعد بتشديد الصاد بغير ألف بمعنى يتصعد لكثرة القراء بها ولقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما تصعدنى شئ ما تصعدتنى خطبة النكاح ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره كما يجعل الله صدر من أراد اضلاله ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء من ضيقه عن الايمان فيجزيه بذلك كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الحق وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الرجس فقال بعضهم هو كل ما لا خير فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الرجس ما لا خير فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ما لا خير فيه * وقال آخرون الرجس العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال الرجس عذاب الله * وقال آخرون الرجس الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله الرجس قال الشيطان * وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول الرجس والنجس لغتان ويحكى عن العرب انها تقول ما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة وكان بعض نحويى البصريين يقول الرجس والرجز سواء وهما العذاب * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس ومن قال ان الرجس والنجس واحد للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا دخل الخلاء اللهم انى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم حدثنى بذلك عبد الرحمن بن البخترى الطائى قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد بين هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر الذى لا خير فيه وأنه من صفة الشيطان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى بينا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يقول طريق ربك ودينه الذى ارتضاه لنفسه دينا وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه فاثبت عليه وحرم ما حرمته عليك وأحل ما أحللته لك فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذكرون يقول لمن يتذكر مما احتج الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها وخص بها الذين يتذكرون لانهم هم أهل التمييز والفهم وأولوا الحجا والفضل فقيل يذكرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى

وينذرون قومهم بذلك قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ أرسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه أزال العذر وأزاح العلة بسبب أنه أرسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدى أراد رسل من أحدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ أى من أحدهما وهو الملح الذى ليس بعذب وعن الكلبى كانت الرسل قبل أن يبعث محمد (٢٥) يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وآله بعث الى الجن والانس أما قوله (يقصون عليكم آياتى) فالمراد منه التنبيه على الأدلة بالتأويل وبالتلاوة (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم يجحدوا بدا من الاعتراف فلذلك (قالوا شهدنا على أنفسنا) والسبب فى أنهم أقروا فى هذه الآية وجحدوا فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو أنهم مختلفو الأحوال فى يوم القيامة مضطربون فتارة يقرون وأخرى يجحدون ومنهم من جعل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فى الدنيا بقوله (وغرتهم الحياة الدنيا) وعن حالهم فى الآخرة بقوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) والمقصود من شرح أحوالهم فى القيامة زجر أمثالهم فى الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على أن لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة ۞ التأويل أو من كان ميتا فى حالة العدم فأحييناه بالحياة الحقيقية أى بالحى الذى لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقى الذى يمشى به فى الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس فى ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا فى كل قرية أى كل قالب أكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات

به الاسلام ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك فيصدقون بما وصلوا بها الى علمه من ذلك وأما دار السلام فهى دار الله التى أعدها لأوليائه فى الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا فى الدنيا فى ذات الله وهى جنته والسلام اسم من أسماء الله تعالى كما قال السدى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم دار السلام عند ربهم الله هو السلام والدار الجنة وأما قوله وهو وليهم فانه يقول والله ناصرهؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله بما كانوا يعملون يعنى جزاء بما كانوا يعملون من طاعة الله وبتبعون رضوانه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ويوم يحشرهم جميعا ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون اليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين فيجمعهم جميعا فى موقف القيامة يقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وحذف يقول للجن من الكلام اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه وعنى بقوله قد استكثرتم من الانس استكثرتم من اضلالهم واغوائهم كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس يعنى أضللتم منهم كثيرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس قال قد أضللتم كثيرا من الانس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله قد استكثرتم من الانس قال كثر من أغويتم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قد استكثرتم من الانس يقول أضللتم كثيرا من الانس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ يقول تعالى ذكره فيجيب أولياء الجن من الانس فيقولون ربنا استمتع بعضنا ببعض فى الدنيا فاما استمتاع الانس بالجن فكان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض قال كان الرجل فى الجاهلية ينزل الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادى فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم اياهم فى استعاذتهم بهم فيقولون قد سدنا الجن والانس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا﴾ يقول تعالى ذكره قالوا وبلغنا الوقت الذى وقت لموتنا وانما يعنى جل ثناؤه بذلك أنهم قالوا استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا الى حال موتنا كما حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله وبلغنا أجلنا الذى

الطبع ما أوتى رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره أى ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع فى القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى أن يصير الايمان يقينا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا لتراحم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كأنما يصعد فى السماء لانه سفلى بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذى بينا من الهداية والضلالة صراط

ربك باللطف والقهر فبجذبات اللطف يهدى السعيد وبسطوات القهر يضل الشقى لهم دار السلام أى السلامة عن القطيعة فى مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الانانية ويوم يحشرهم فى موقف القالب البشرى بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يامعشر الجن أى الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس أى غلبتم على الصفات الانسانية وقال أولياؤهم من الانس يعنى النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو أن يستعين بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو أن يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء آدم وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا يعنى أن مدة الاستمتاع وماجرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بأن الثوى فى النار أيضا بقضاء الله الا أن يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم فى تقدير الاستمتاع عليم بأهل الجنة وبأهل النار وكذلك أى كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم أولياء بعض فكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطرى ألم يأتكم رسل منكم يعنى الالهامات الربانية وشهدوا على أنفسهم أقروا واعندالحرمان عن السعادة العظمى أنهم بذواتهم كانوا صدأ مرآة قلوبهم وأن ليس للانسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى وما التوفيق الا منه ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا

أجلت لنا فالموت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به فى الدنيا الأوثان ولقرنائهم من الجن فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدم الكلام قبله بمعناه والمراد منه فقال قال الله لأولياء الجن من الانس الذين قد تقدم خبره عنهم النار مثواكم يعنى نار جهنم مثواكم الذى تثوون فيه أى تقيمون فيه والمثوى هو المفعل من قولهم ثوى فلان بمكان كذا اذا أقام فيه خالدين فيها يقول لابثين فيها الا ماشاء الله يعنى الا ماشاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم الى مصيرهم الى جهنم فتلك المدة التى استثناها الله من خلودهم فى النار ان ربك حكيم فى تدبيره فى خلقه وفى تصريفه اياهم فى مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله عليم بعواقب تدبيره اياهم وما اليه صائر أمرهم من خير وشر وروى عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم فى مبلغ عذابه اياهم الى مشيئته حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم قال ان هذه الآية آية لا ينبغى لاحد أن يحكم على الله فى خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل نولى فقال بعضهم معناه نجعل بعضهم لبعض وليا على الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال ثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وانما يولى الله بين الناس بأعمالهم فالمؤمن ولى المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى * وقال آخرون معناه نتبع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة وهو المتابعة بين الشئ والشئ من قول القائل واليت بين كذا وكذا اذا تابعت بينهما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا فى النار يتبع بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك نسلط بعض الظلمة على بعض ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا قال ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس * وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء لان الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين فقال جل ثناؤه وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته اياهم فقال وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والانس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض فى كل الامور بما كانوا يكسبون من معاصى الله ويعملونه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يامعشر الجن

وان لم يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ۞ القراآت عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان أبو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء التأنيث بزعمهم بضم الزاى على وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للفعول قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الآخرون زين على (٢٧) البناء للفاعل قتل بالنصب أولادهم بالجر

الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الانس والجن يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي يقول يخبرونكم عما أوحي اليهم من تنبيهي اياكم على مواضع حججي وتعريفي لكم أدلتي على توحيدي وتصديق أنبيائي والعمل بأمري والانتهاء الى حدودي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول يحذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وعقابي على معصيتكم اياي فتنتهوا عن معاصي وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي ومعناه قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطا ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين فلم تقبلوا ذلك ولم تتذكروا ولم تعتبروا * واختلف أهل التأويل في الجن هل أرسل منهم اليهم أم لا فقال بعضهم قد أرسل اليهم رسل كما أرسل الى الانس منهم رسل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن قال سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم نبي قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع الى قول الله يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن فقالوا بلى * وقال آخرون لم يرسل منهم اليهم رسول ولم يكن له من الجن قط رسول مرسل وانما الرسل من الانس خاصة فأما من الجن فالنذر قالوا وانما قال الله ألم يأتكم رسل منكم والرسل من أحد الفريقين كما قال مرج البحرين يلتقيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما وانما معنى ذلك يخرج من بعضهما أو من أحدهما قال وذلك كقول القائل لجماعة أدور إن في هذه الدور لسراوان كان السر في واحدة منهن فيخرج الخبر عن جميعهن والمراد به الخبر عن بعضهن وكما يقال أكلت خبزا ولبنا اذا اختلطا ولو قيل أكلت لبنا كان الكلام خطأ لان اللبن يشرب ولا يؤكل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم قال جمعهم كما جمع قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ولا يخرج من الانهار حلية قال ابن جريج قال ابن عباس هم الجن الذين لقوا قومهم وهم رسل الى قومهم فعلى قول ابن عباس هذا ان من الجن رسلا للانس الى قومهم فتأويل الآية على هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس ألم يأتكم أيها الجن والانس رسل منكم فأما رسل الانس فرسل من الله اليهم وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بني آدم وهم الذين اذ سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين وأما الذين قالوا بقول الضحاك فانهم قالوا ان الله تعالى ذكره أخبر أن من الجن رسلا أرسلوا اليهم كما أخبر أن من الانس رسلا أرسلوا اليهم قالوا ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الانس جاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن قالوا وفي فساد هذا المعنى ما يدل على ان الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل

شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التأنيث ابن عامر ويزيد وأبو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد وقرأ ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف ۞ الوقوف غافلون ○ مما عملوا ط يعملون ○ ذو الرحمة ط آخرين ○ لآت لا لان الواو بعده للحال معجزين ○ عامل ج لابتداء التقرير مع فاء التعقيب تعلمون ○ لا لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية أو موصولة عاقبة الدار ط الظالمون ○ لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق حكما شركائهم ط يحكمون ○ دينهم ط يفترون ○ افتراء عليه ط يفترون ○ أزواجنا ج للشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم ○ على الله ط مهتدين ○ ۞ التفسير (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف أي الأمر ذلك ويحتمل أن يكون مبتدأ خبره (أن لم يكن) وهو للتعليل والمعنى الأمر ما قصصنا عليك أو ذلك الذي ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وأن هي الناصبة للافعال أو مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشأن محذوفا أي أن الحديث كذا ويجوز أن يكون أن لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله (بظلم) أي بسبب ظلم أقدموا عليه وهذا أليق باصول الاشاعرة أو المراد ظالما لكم فيكون من فعل الله وهذا أنسب باصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو أهلكهم قبل بعثة الرسل ولم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة أن يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظلما ولكنه يكون في صورة الظلم فأطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لأحد في شئ من أفعاله وأما قوله (وأهلها غافلون) فليس المراد من هذه الغفلة أن يتغافل المرء

عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وأن لا يزيل عذرهم وعلتهم قالت الأشاعرة في الآية دلالة على أنه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب أحدا على أمر من الأمور قبل بعثة الرسل لكن بعد والمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن أن يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله (٣٨) تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح أحوال أهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال (ولكل درجات) أي ولكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى (مما عملوا) أي من جزاء أعمالهم وقيل ان أول الآية مختصة بأهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولأهل المعصية تكون الدركات واليه الاشارة بقوله (وما ربك بغافل عما يعملون) قالت الاشاعرة في الآية دليل على مسألة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب فعل معين وأثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ وأشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين أنه ليس يحتاج الى طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال (وربك الغني ذو الرحمة) اما أنه غني في ذاته وصفاته وأفعاله وفي أحكامه عن كل ماسواه فلوجوب وجوده وأن ماسواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غنى الا هو وأما انه ذو الرحمة فلأن كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على أن الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا لرحمته الكاملة ورأفته الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكن الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بأنه ذو الرحمة كان لقائل أن يظن أن للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فين تعالى بقوله تعالى (ان يشأ يذهبكم) أنه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على أن يخلق قوما آخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن

الغنى

الله لان ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره ۞ القول في تأويل قوله ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والانس عند تقريعه اياهم بقوله لهم ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا أنهم يقولون شهدنا على أنفسنا بأن رسلك قد أتتنا بآياتك وأنذرتنا لقاء يومنا هذا فكذبناها وجحدنا رسالتها ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها قال الله خبرا مبتدأ وغرت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وأولياءهم من الجن الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرتهم وخدعتهم فيها اذ كان في ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره يقول الله تعالى وشهدوا على أنفسهم يعني هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله لتتم حجة الله عليهم باقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يقول تعالى ذكره ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي انما أرسلنا الرسل يا محمد الى من وصفت أمره وأعلمتك خبره من مشركي الانس والجن يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم الى من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم وقد يتجه من التأويل في قوله بظلم وجهان أحدهما ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها كما قال لقمان ان الشرك لظلم عظيم وأهلها غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم اليه ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا اما جاءنا من بشير ولا نذير * والآخر ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يقول لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام للعبيد * وأولى القولين بالصواب عندي القول الأول أن يكون معناه أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون ارسال الرسل اليهم والاعذار بينه وبينهم وذلك أن قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم عقيب قوله ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم انما هو وانما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه وأما قوله ذلك فانه يجوز أن يكون نصبا بمعنى فعلنا ذلك ويجوز أن يكون رفعا بمعنى الابتداء كأنه قال ذلك كذلك وأما أن فانها في موضع نصب بمعنى فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى فاذا حذف ما كان يخفضها تعلق بها الفعل فنصب ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله اياها ويثيبه بها ان خيرا فخير وان شرا فشر وما ربك بغافل عما يعملون يقول جل ثناؤه وكل ذلك من عملهم يا محمد يعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم اياه ومعادهم اليه ۞ القول في تأويل قوله ﴿وربك

العالمين أكمل وأتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف (ويستخلف من بعدكم) أى من بعد ذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله (ما يشاء) أى خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا آخرين من أمثال الجن والانس لكن أطوع وقال أبو مسلم يعنى خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون أقوى فى دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر (٣٩) على تصويرها بصور أخرى مخالفة لها وقال فى الكشاف المعنى كما أنشأكم من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال المعاد فقال (انما توعدون لآت) قال الحسن أى من مجىء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيامة ويحتمل أن يقال انما توعدون لآت اشارة الى لطفه أى ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله (وما أنتم بمعجزين) أى خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال أعجزه الشئ أى فاته فالجزم فى جانب الوعد والتعريض فى جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان أغلب ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بتهديد منكرى البعث فقال (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) قال الواحدى قراءة الافراد أوجه لان المصدر لا يجمع فى أغلب الاحوال وقال فى الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن ويعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الآية اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم ومكانتكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها يقال للرجل على مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه (انى عامل) على مكانتى التى أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليهم على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعادى أى قل اعملوا فستجزون وهكذا فى سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فصار استئنافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذى أو رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى أى و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه الدار لها وهى مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وأدب ووثوق بأن المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة عليه

الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) يقول جل ثناؤه وربك يا محمد الذى أمر عباده بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه وأثابهم على الطاعة وعاقبهم على المعصية الغنى عن عباده الذين أمرهم بما أمرهم ونهاهم عما نهى وعن أعمالهم وعبادتهم اياه وهم المحتاجون اليه لانه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ونفعهم وضرهم يقول عز ذكره فلم أخلقهم يا محمد ولم آمرهم بما أمرتهم به وأنهيهم عما نهيتهم عنه لحاجة لى اليهم ولا الى أعمالهم ولكن لأتفضل عليهم برحمتى وأثيبهم على احسانهم ان أحسنوا فانى ذو الرأفة والرحمة وأما قوله ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء فانه يقول ان يشأ ربك يا محمد الذى خلق خلقه لغير حاجة منه اليهم والى طاعتهم اياه يذهبكم يقول يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ويستخلف من بعدكم ما يشاء يقول ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم يخلفونكم فى الارض من بعدكم يعنى من بعد فنائكم وهلاككم كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينار ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لا أن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد بالخبار هم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خلق خلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم والذرية الفعلية من قول القائل ذرأ الله الخلق بمعنى خلقهم فهو يذرؤهم ثم ترك الهمزة فقيل ذرا الله ثم أخرج الفعلية بغير همز على مثال العلية وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ من ذريئة قوم آخرين على مثال فعيلة وعن آخر انه كان يقرأ ومن ذرية على مثال علية والقراءة التى عليها القراء فى الامصار ذرية بضم الذال وتشديد الياء على مثال علية وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ههنا وأصل الانشاء الاحداث يقال قد أنشأ فلان يحدث القوم بمعنى ابتدأ وأخذ فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به أيها العادلون بالله الاوثان والاصنام ان الذى يوعدكم به ربكم من عقابه على اصراركم على كفركم واقع بكم وما أنتم بمعجزين يقول لن تعجزوا ربكم هربا منه فى الارض فتفوتوه لانكم حيث كنتم فى قبضته وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم اياه قادر يقول فاحذروه وأنيبوا الى طاعته قبل نزول البلاء بكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله الها آخر اعملوا على مكانتكم يقول اعملوا على حالكم وناحيتكم كما حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ياقوم اعملوا على مكانتكم يعنى على ناحيتكم يقال منه هو يعمل على مكانته ومكنته وقرأ ذلك بعض الكوفيين على مكاناتكم على جمع المكانة والذى عليه قراء الأمصار على مكانتكم على التوحيد انى عامل يقول جل ثناؤه لنبيه قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون فانى عامل ما أنا عامله مما أمرنى به ربى فسوف تعلمون يقول فسوف تعلمون عند نزول

لاله ثم حكى أنواعا من جهالاتهم وركاكات أقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى أقوال أمثالهم فقال (وجعلوا لله) قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا لشركائهم نصيبا بدليل قوله (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونها عليها ثم قال (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفى تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله (٣٠) تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم أنفقوه عليه وما كان لله أطعموه الضيفان والمساكين ولا يأكلون منه البتة ثم ان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ مما جعلوا للاوثان فى نصيب الله تعالى أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدى كان اذا هلك لاوثانهم شئ أخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه وقال قتادة اذا أصابهم شدة استعانوا بالله واذا أصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الآلهة وقالوا الوشاء زكى نصيب نفسه وأما ان زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة قالوا لابد لآلهتنا من نفقة وأخذوا نصيب الله تعالى فأعطوه السدنة فعنى (فلا يصل الى الله) أنه لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم أنهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان أولى بأن يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه أى خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال (ساء ما يحكمون) وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا من جانب الاصنام فى الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثانى جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم أحدثوه من قبل أنفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع وأشار اليه بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الأصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر ومدر الخامس لا تأثير للاصنام فى حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث

نقمة الله بكم أينا كان المحق فى عمله والمصيب سبيل الرشاد أنا أم أنتم وقوله تعالى ذكره لنبيه قل لقومك يا قوم اعملوا على مكانتكم أمر منه له بوعيدهم وتهددهم لا اطلاق لهم فى عمل ما أرادوا من معاصى الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه من تكون له عاقبة الدار فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب من الذى تكون له عاقبة الدار منا ومنكم يقول من الذى يعقب دنياه ما هو خير له منها أو شر منها بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيئها ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا وذلك معنى ظلم الظالم فى هذا الموضع «فى من التى فى قوله من تكون له وجهان من الاعراب الرفع على الابتداء والنصب بقوله تعلمون لاعمال العلم فيه والرفع فيه أجود لان معناه فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار فالابتداء فى من أصح وأفصح من اعمال العلم فيه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام لربهم مما ذرأ خالقهم يعنى مما خلق من الحرث والانعام يقال منه ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ وذروا اذا خلقهم نصيبا يعنى قسما وجزأ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة النصيب الذى جعلوا لله والذى جعلوه لشركائهم من الاوثان والشيطان فقال بعضهم كان ذلك جزأ من حروثهم وأنعامهم يقررونه لهذا وجزأ آخر لهذا ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق ابن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله الآية قال كانوا اذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما جعلوا منها لله سهما وسهما لآلهتهم وكان اذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم الى الذى جعلوه لله رذوه الى الذى جعلوه لآلهتهم واذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لله الى الذى جعلوه لآلهتهم أقروه ولم يردوه فذلك قوله ساء ما يحكمون حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا قال جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا وللشيطان والاوثان نصيبا فان سقط من ثمرة ما جعلوا لله فى نصيب الشيطان تركوه وان سقط مما جعلوه للشيطان فى نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه الى نصيب الشيطان وان انفجر من سقى ما جعلوه لله فى نصيب الشيطان تركوه وان انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله سدوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقى الماء وأما ما جعلوا للشيطان من الانعام فهو قول الله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم الآية وذلك أن أعداء الله كانوا اذا احترثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منها جزأ وللوثن جزأ فما كان من حرث أو ثمرة أو شئ

النوع الثانى من أحكامهم الفاسدة قوله (وكذلك زين) كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياء خوفا من الفقر أو من التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين أطاعوهم فى معصية الله تعالى وعلى الثانى هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثانى للكلبى وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله والآلهة أو مثل ذلك التزيين البليغ الذى علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام (قتل أولادهم) بالوأد أو بالنحر ثم ان وجه القراءة الاكثرى ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به وأما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشرى من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد جوز بالظرف كقوله

* لله در اليوم من لامها *

وضعف بغير الظرف كقوله

فزججتها بمزجة * زج القلوص أبى مزاده

وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندى فى هذا المقام أن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراآت السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير فى أشعار العرب وتراكيبهم أم لا وان ورد فكثير أم لا ومع ذلك فقد وجه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله * بين ذراعى وجبهة الاسد * والمضاف مضمر مع الثانى كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير عرض الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم ومعنى (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم فى النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان (وليلبسوا عليهم دينهم) ليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذى وجب أن يكونوا عليه وقيل وليوقعوهم فى دين ملتبس (ولو شاء الله ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم أولما فعل الشياطين والسدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر ثم قال (فذرهم وما يفترون) على قانون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على

من نصب الأوثان حفظوه وأحصوه فان سقط منه شئ فيما سمى لله ردوه الى ما جعلوا للوثن وان سبقهم الماء الى الذى جعلوه للوثن فسقى شيأ جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وان سقط شئ من الحرث والنعم التى جعلوا لله فاختلط بالذى جعلوا للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله وان سبقهم الماء الذى جعلوا لله فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من انعامهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للاوثان ويزعمون انهم يحرمونه لله فقال الله فى ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال يسمون لله جزأ من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزأ فما ذهبت به الريح مما سموا لله الى جزء أوثانهم تركوه وما ذهب من جزء أوثانهم الى جزء الله ردوه وقالوا الله عن هذا غنى والانعام السائبة والبحيرة التى سموا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية عمد ناس من أهل الضلالة فجزؤا من حروثهم ومواشيهم جزأ لله وجزأ لشركائهم وكانوا اذا خالط شئ مما جزؤا لله فيما جزؤا لشركائهم خلوه فاذا خالط شئ مما جزؤا لشركائهم فيما جزؤا لله ردوه على شركائهم وكانوا اذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزؤا لله وأقروا ما جزؤا لشركائهم قال الله ساء ما يحكمون **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال كانوا يجزؤن من أموالهم شيأ فيقولون هذا لله وهذا للاصنام التى يعبدون فاذا ذهب مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردوه وان ذهب مما جعلوه لله فخالط شيأ مما جعلوه لشركائهم تركوه وان أصابتهم سنة أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم فقال الله ساء ما يحكمون **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى يحكمون قال كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله ويزرعون زرعا فيجعلونه لله ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك فما خرج للآلهة أنفقوه عليها وما خرج لله تصدقوا به فاذا هلك الذى يصنعون لشركائهم وكثر الذى لله قالوا ليس بدل لآلهتنا من نفقة وأخذوا الذى لله فانفقوه على آلهتهم واذا أجدب الذى لله وكثر الذى لآلهتهم قالوا الوشاء أزكى الذى له فلا يردون عليه شيأ مما للآلهة قال الله لو كانوا صادقين فيما قسموا البئس اذا ما حكموا أن يأخذوا منى ولا يعطونى فذلك حين يقول ساء ما يحكمون * وقال آخرون النصيب الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه الى شركائهم أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا حتى بلغ وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قال كل شئ جعلوه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية

المأمور بأنه لا يأتى منه الا الشر والشر لم قيل انما قال فى هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآيات * النوع الثالث من أحكامهم الباطلة أنهم قسموا أنعامهم أقساما فأولها أن قالوا (هذه أنعام وحرث حجر) وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وأصل (٣٢) الحجر المنع وسمى العقل الحجر لمنعه من القبائح وفلان فى حجر القاضى أى فى منعه كانوا اذا عينوا شيأ من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء (و) ثانيها أن قالوا (هذه أنعام حرمت ظهورها) وهى البحائر والسوائب والحوامى وقد سبق فى المائدة (و) ثالثها (أنعام لا يذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل هى أنعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل (افتراء عليه) وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك فى معنى الافتراء ثم قال (سيجزيهم بما كانوا يفترون) والمقصود منه الوعيد * (و) النوع الرابع من قضاياهم الفاسدة أن (قالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) هذا ان ولد حيا (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أى اشتركوا فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان يكن ما فى بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى أن كان تامة أو لان التقدير وان يكن لهم أو هنالك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتأنيثه لان تأنيث الميتة غير حقيقى أو لان الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا فى قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير فى قوله فهم للتغليب (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم على الله الكذب فى التحليل والتحريم (انه حكيم عليم) ثنا ليكون الزجر واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف أنث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حمل على المعنى لان ما فى بطون الانعام فى معنى الأجنة والثانى حمل على اللفظ وفى الاول وجهان آخران أن تكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وأن يكون مصدرا كالعافية والعافية أى ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح أحكامهم وأفعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم والضلال وعدم الاهتداء

حتى بلغ ساء ما يحكمون * وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله فى ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدرا فقالوا هذا لله وجعلوا منه لشركائهم وهم أوثانهم باجماع من أهل التأويل عليه فقالوا هذا الشرك أنا وان نصيب شركائهم لا يصل منه الى الله بمعنى لا يصل الى نصيب الله وما كان لله وصل الى نصيب شركائهم فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل جائزا أن تكون قد وصلت وما أخبر عنه انه قد وصل لم يصل وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر الكلام لان الذبيحتين تذبح احداهما لله والاخرى للآلهة جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوها اذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحا للآلهة دون اختلاط الاعيان واتصال بعضها ببعض وأما قوله ساء ما يحكمون فانه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم يقول جل ثناؤه وقد أساؤا فى حكمهم اذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ولم يعطونى من نصيب شركائهم وانما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحق بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنم عليهم بالنعم التى لا تحصى مالا يضرهم ولا ينفعهم حتى فضلوه فى اقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ يقول تعالى ذكره وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام لهم ما زينوا لهم من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم وتركهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لله الى قسم شركائهم فى قسمهم وردهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لشركائهم الى قسم نصيب الله الى قسم شركائهم كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين فحسنوا لهم وأد البنات ليردوهم يقول ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرم الله عليهم ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه بأن كان يهديهم للحق ويوفقهم للسداد فكانوا لا يقتلونهم ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم وأطاعوا الشياطين التى أغوتهم يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون فى الأنصباء التى يقسمونها هذا لله وهذا لشركائنا وفى قتلهم أولادهم ذرهم يا محمد وما يفترون وما يتقولون على من الكذب والزور فانى لهم بالمرصاد ومن وراء العذاب والعقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم زينوا لهم من قتل أولادهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله قتل أولادهم شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة حدثنى المثنى قال

فقال (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) الآية وذلك أن الولد نعمة عظيمة من الله تبقى ذكره ونسله فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة ضرر مظنون هو الفقر أو نحوه أو لفائدة موهومة هي القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما أحل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم آخرا بالضلال ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن (٣٣) والله أعلم ﴿ التأويل مهلك القرى أي قرى أشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطرى في استيفاء اللذات الفانية وأهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغنى عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم ليرحموا عليه لا ليرجع عليهم اعملوا على مكانتكم أي على ما جبلتم عليه انى عامل على ما جبلت عليه قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا أولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب أهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال أهل التحقيق من أمارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات

ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم الآية قال شركاؤهم زينوا لهم ذلك ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم قال شياطينهم التي عبدوها زينوا لهم قتل أولادهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وأما ليردوهم فيهلكوهم وأما ليلبسوا عليهم دينهم فيخلطوا عليهم دينهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الحجاز والعراق وكذلك زين بفتح الزاى من زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بنصب القتل شركاؤهم بالرفع بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم فيرفعون الشركاء بفعلهم وينصبون القتل لانه مفعول به وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وكذلك زين بضم الزاى لكثير من المشركين قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالخفض بمعنى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم وذلك في كلام العرب فصيح غير فصيح وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه وذلك قول قائلهم

فزججته متمكنا * زج القلوص أبي مزاده

والقراءة التي لا أستجيز غيرها وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم بفتح الزاى من زين ونصب القتل بوقوع زين عليه وخفض أولادهم باضافة القتل اليهم ورفع الشركاء بفعلهم لانهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل وانما قلت لا أستجيز القراءة بغيرها لاجماع الحجة من القراء عليه وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد في ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ثم قرأ قارئ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم بضم الزاى من زين ورفع القتل وخفض الاولاد والشركاء على أن الشركاء مخفوضون بالرد على الاولاد بأن الاولاد شركاء آبائهم في النسب والميراث كان جائزا ولو قرأه كذلك قارئ غير أنه رفع الشركاء وخفض الاولاد كما يقال ضرب عبد الله أخوك فيظهر الفاعل بعد ان جرى الخبر بما لم يسم فاعله كان ذلك صحيحا في العربية جائزا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشئ من ذلك يقول تعالى ذكره وقال

(٥ - ابن جرير ثامن) الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا

عادفان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة (٣٤) فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا

فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴿ القراآت حصاده بفتح الحاء أبو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضان بغير همزة أبو عمرو وغير شجاع وأوقية والأعشى والاصبهانى عن ورش ويزيد وحمزة فى الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وأبو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعى عن البزى والقواس غير ابن مجاهد وأبى عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا أن تكون بتاء التأنيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن روى عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر وزاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا مماله على وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهرا الحلوانى عن قالون والبرجمى ﴿ الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا ط المسرفين ○ لا لأن قوله حمولة منصوب بأنشأ وفرشا ط الشيطان ط مبين ○ لا لأن ثمانية منصوب بانشأ جنات أزواج ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط أرحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين ○ لا لأن اثنين منصوب بأنشأ أيضا ومن البقر اثنين ط أرحام الانثيين ط لأن أم فى قوله أم كنتم يعنى ألف استفهام توبيخ بهذا ج للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين ○ لغير الله ج رحيم ○ ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ط ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا وللوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فيما أخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة ط لاختلاف الجملتين المجرمين ○ من شئ ط بأسنا ط لنا ط تخرصون ○ البالغة ج للشرط مع الفاء أجمعين ○ حرم هذا ج لذلك معهم ج

هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلا منهم لأن العام لهم وحرث هذه أنعام وهذا حرث حجر يعنى بالانعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التى قد مضى ذكرها فى الآية قبل هذه وقيل ان الانعام السائبة والوصيلة والبحيرة التى سموا حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الانعام السائبة والبحيرة التى سموا والحجر فى كلام العرب الحرام يقال حجرت على فلان كذا أى حرمت عليه ومنه قول الله ويقولون حجرا محجورا ومنه قول المتلمس

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلمين الدهاريس

وقول رؤبة

* وجارة البيت لها (٣) حجرى * يعنى المحرم ومنه قول الآخر

فبت مرتفقا والعين ساهرة * كأن نومى على الليل محجور

أى حرام يقال حجر وحجر بكسر الحاء وضمها وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسين وقتادة حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة انه كان يقرؤها وحرث حجر يقول حرام مضمومة الحاء وأما القراء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها وهى القراءة التى لا أستجيز خلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وأنها اللغة الجودى من لغات العرب وروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وحرث حرج بالراء قبل الجيم حدثنى بذلك الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه كان يقرؤها كذلك وهى لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد وهذا كما قالوا جذب وجبذ وناء ونأى ففى الحجر اذا لغات ثلاث حجر بكسر الحاء والجيم قبل الراء وحجر بضم الحاء والجيم قبل الراء وحرج بكسر الحاء والراء قبل الجيم وبنحو الذى قلنا فى تأويل الحجر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد وأبى عمرو وحرث حجر يقول حرام حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وحرث حجر فالحجر ما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وحرث حجر قال حرام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذه أنعام وحرث حجر الآية تحريم كان عليهم من الشياطين فى أموالهم وتغليظ وتشديد وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله وقالوا هذه أنعام وحرث حجر فيقولون حرام أن نطعم الا من شئنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذه أنعام وحرث حجر نحتجرها على من نريد وعمن نريد لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال انما احتجروا ذلك لآلهتهم وقالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قالوا نحتجرها عن النساء ونجعلها للرجال حدثت عن الحسين بن

لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون ۝ التفسير إنه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وإنه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح أحوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم أتبعه حكاية أقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته و وجوب توحيده فقال (وهو الذي أنشأ) الآية نشأ الشيء ينشأ نشأ (٣٥) اذا ظهر وارتفع وأنشأه الله ينشئه انشاء أظهره

الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أنعام وحرث حجر أما الحجر يقول محرم وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ويعزلون من حرثهم شيأ معلوما لآلهتهم ويقولون لا يحل لنا ما سميناه لآلهتنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنعام وحرث حجر ما جعلوه لله ولشركائهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۝ القول في تأويل قوله ﴿وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وحرم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهور بعض أنعامهم فلا يركبون ظهورها وهم ينتفعون برسلها ونتاجها وسائر الاشياء منها غير ظهورها للركوب وحرموا من أنعامهم أنعاما أخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها ان ركبوها بحال ولا ان حلبوها ولا ان حملوا عليها وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي أبو وائل أتدري ما أنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال أنعام لا يحجون عليها حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال ثنا شاذان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي أبو وائل أتدري ما قوله حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال ثنا محمد بن سعيد الشهيد قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال لا يحجون عليها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما أنعام حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الانعام التي لا يذكرون اسم الله عليها قال اذا ولدوها ولا ان نحروها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال كان من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها الا ان ركبوها ولا ان حلبوا ولا ان حملوا ولا ان منحوا ولا ان عملوا شيأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها وأما قوله افتراء على الله فانه يقول فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا وقالوا ما قالوا من ذلك كذبا على الله وتخرصا الباطل عليه لانهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه الى أن الله هو الذي حرمه فنفى الله ذلك عن نفسه وأكذبهم وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدعون ثم قال عز ذكره سيجزيهم يقول سيثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الله الكذب ثوابهم ويجزيهم بذلك جزاءهم ۝ القول في تأويل قوله ﴿وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ما في بطون هذه الانعام فقال بعضهم عني بذلك اللبن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل

ورفعه (جنات معروشات وغير معروشات) يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى أن يتخذ له عروش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وحشيا في البراري والجبال فيبقى غير معروش (والنخل والزرع) فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي تقتات (مختلفا أكله) والاكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على أحدهما كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أي اليهما والمراد أن لكل شيء منهما طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة أي أنشأه مقدرا اختلاف أكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك (متشابها وغير متشابه) في القدر واللون والطعم ثم قال (كلوا من ثمره) وقد قال في الآية المتقدمة أعني نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء الآية الى قوله انظروا

الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية أبدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة وقدم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن أنه يحرم على المالك تناوله لمكان شركة المنشار كين فيه وفي الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم إما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن أن يستدل به على ان الاصل عدم وجوب

الصوم وأن من ادعى اتجابه فهو المحتاج الى الدليل وأن المجنون اذا أفاق فى أثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وأن الشارع فى صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب أن صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة أو الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله (اذا أثمر) وقد علم أنه اذا لم يثمر لم يؤكل منه هى أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك وأينع أما قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) فعن ابن عباس فى رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك أن الآية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب فى السنبل والجواب أن المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق فى المال سوى الزكاة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه وكذا اذا دسته واذا عرفت كيله فاعزل زكاته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس فى المال حق سوى الزكاة وبأن قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير أن هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرض العشر أو نصف العشر فيما سقى بالسواقى نسخ والقول الاول أصح ثم ان أبا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكاة فى الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهى العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بأن لفظ الحصاد مخصوص بالزرع وأجيب بأن الحصد فى اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو أيضا بها على أن العشر واجب فى القليل والكثير للاطلاق والجواب أن بيانه فى الحديث ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ثم قال تعالى (ولا تسرفوا) ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابى السرف تجاوز ما حد لك دون فعلى هذا اذا أعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيأ فقد أسرف كما جاء فى الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها فقسمها فى يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيأ فنزلت الآية ولا تسرفوا أى لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد أسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد تكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه فى غير منفعة وعلى

عن أبى اسحق عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا قال اللبن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن ابن أبى الهذيل عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء وان كانت ميتة اشتركوا فيها ذكورهم واناثهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال ما فى بطون البحائر يعنى ألبانها كانوا يجعلونه للرجال دون النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى ابن يونس عن زكريا عن عامر قال البحيرة لا يأكل من لبنها الا الرجال وان مات منها شئ أكله الرجال والنساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية فهو اللبن كانوا يحرمونه على اناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت أنثى تركب فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك * وقال آخرون بل عنى بذلك ما فى بطون البحائر والسوائب من الأجنة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فهذه الانعام ما ولد منها من حى فهو خالص للرجال دون النساء وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن مجاهد ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا السائبة والبحيرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا فى أنعام بأعيانها ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون اناثنا واللبن مما فى بطونها وكذلك أجنتها ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام على بعض دون بعض واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يقال انهم قالوا ما فى بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حل لذكورهم خالصة دون إناثهم وانهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم الا أن يكون الذى فى بطونها من الاجنة ميتا فيشتركوا حينئذ فى أكله الرجال والنساء * واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أنثت الخالصة فقال بعض نحويى البصرة وبعض الكوفيين أنثت لتحقيق الخلوص كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة فجرى مجرى راوية ونسابة وقال بعض نحويى الكوفة أنثت لتأنيث الانعام لان ما فى بطونها مثلها فأنثت لتأنيثها ومن ذكره فلتذكيرها قال وهى فى قراءة عبد الله خالص قال وقد تكون الخالصة فى تأنيثها مصدرا كما تقول العافية والعاقبة وهو مثل قوله إنا أخلصناهم بخالصة * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال أريد بذلك المبالغة فى خلوص ما فى بطون الانعام التى كانوا حرموا ما فى بطونها على أزواجهم لذكورهم

هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الأصنام في الانعام والحرث وقال الزهري ولا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان أبو قبيس ذهبا فأنفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو أنفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى أراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الآية بقوله (انه لا يحب المسرفين) والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من أهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله (حمولة وفرشا) معطوف على (٣٧) جنات أي وأنشأ من الانعام هذين الجنسين

دون اناثهم كما فعل ذلك بالراوية والنسابة والعلامة اذا أريد بها المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته كما يقال فلان خالصة فلان وخلصانه وأما قوله ومحرم على أزواجنا فان أهل التأويل اختلفوا في المعني بالأزواج فقال بعضهم عني بها النساء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومحرم على أزواجنا قال النساء * وقال آخرون بل عني بالازواج البنات ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومحرم على أزواجنا قال الازواج البنات وقالوا ليس للبنات منه شئ * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الانعام يعني أنعامهم هذا محرم على أزواجنا والازواج انما هي نساؤهم في كلامهم وهن لا شك بنات من هن أولاده وحلائل من هن أزواجه وفي قول الله عز وجل ومحرم على أزواجنا الدليل الواضح على أن تأنيث الخالصة كان لما وصفت من المبالغة في وصف ما في بطون الانعام بالخلوصة للذكور لأنه لو كان لتأنيث الانعام لقيل ومحرمة على أزواجنا ولكن لما كان التأنيث في الخالصة لما ذكرت ثم لم يقصد في المحرم ما قصد في الخالصة من المبالغة رجع فيها الى تذكير ما واستعمال ما هو أولى به من صفته وأما قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فاختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرف في آخرين وان تكن ميتة بالتاء في تكن ورفع ميتة غير أن يزيد كان يشدد الياء من ميتة ويخففها طلحة حدثني بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي حماد قال ثنا عيسى عن طلحة بن مصرف وحدثنا أحمد بن يوسف عن القاسم واسمعيل بن جعفر عن يزيد وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة والبصرة وان يكن ميتة بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء وكأن من قرأ وان يكن بالياء ميتة بالنصب أراد وان يكن ما في بطون تلك الانعام فذكر يكن لتذكير ما ونصب الميتة لانه خبر يكن وأما من قرأه وان تكن ميتة فانه ان شاء الله أراد وان يكن ما في بطونها ميتة فأنث تكن لتأنيث ميتة وقوله فهم فيه شركاء فانه يعني أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله لا يحرمونه على أحد منهم كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان يكن ميتة فهم فيه شركاء قال تأكل النساء مع الرجال ان كان الذي يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء وقالوا ان شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا وان شئنا لم نجعل وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوله ابن زيد لان ظاهرها يدل على أنهم قالوا ان يكن ما في بطونها ميتة فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك الى مشيئتهم * القول في تأويل قوله ﴿سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم﴾ يقول جل ثناؤه سيجزي أي سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب في تحريمهم ما لم يحرمه الله وتحليلهم ما لم يحلله الله واضافتهم كذبهم في ذلك الى الله وقوله وصفهم يعني بوصفهم الكذب على الله وذلك كما قال جل ثناؤه في موضع آخر من كتابه وتصف ألسنتهم الكذب والوصف والصفة في كلام العرب واحد وهما مصدران مثل الوزن والزنة وبنحو الذي قلنا في معنى الوصف

فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) قالت المعتزلة أي مما أحلها لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) بين العداوة وفي انتصاب (ثمانية أزواج) وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره أن يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وجاوهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والأنثى وقال ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله (من الضأن اثنين) أي زوجين اثنين (ومن المعز اثنين) وفي الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضائن خلاف الماعز والجمع يعني اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن أيضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الأنثى من الضأن وهي النعجة والأنثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار أن يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعي ذكورها واناثها ولا مما يشتمل عليه أرحام الانثيين أي مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك

أنهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا أو اناثا أو من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم وأكد ذلك بقوله (نبئوني بعلم) أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرمه * واعلم أنه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم وإباحتها لهم الا أنه فصل بين بعض (٣٨) المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك بأجنبي وانما هي جملة معترضة جيء بها تأكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات في الكلام لاتساق الا للتوكيد أما قوله (أم كنتم شهداء) فأم منقطعة أي بل أكنتم شهداء ومعناه الانكار وفحواه أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فتهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى أمثالهم بالظلم بقوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل عليه السلام وبحر البحائر وسيب السوائب والاقرب أن اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الآية دلالة على أن الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز أن ينسب الى الله تعالى وأجيب بأنه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبيد من أسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم مناد ونه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه أنه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم أتبعه هؤلاء

البيان الصحيح في الباب فقال (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما) أي طعاما محرما (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون) ذلك المأكول الموجود أو الطعام (ميتة أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي أحياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما وما يختلط باللحم من الدم فانه غير سائل وسئل أبو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي ترى فيها

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب في ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية سيجزيهم وصفهم قال كذبهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيجزيهم وصفهم أي كذبهم وأما قوله انه حكيم عليم فانه يقول جل ثناؤه ان الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه حكيم في سائر تدبيره في خلقه عليم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم * القول في تأويل قوله ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ يقول تعالى ذكره قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب العادلون به الاوثان والاصنام الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم فقتلوا طاعة لها أولادهم وحرموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقا من أنعامهم سفها منهم يقول فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم ونقص عقول وضعف أحلام منهم وقلة فهم بعاجل ضره وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم افتراء على الله يقول تكذيبا على الله وتخرصا عليه الباطل قد ضلوا يقول قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك وزالوا عن سواء السبيل وما كانوا مهتدين يقول ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ولا موفقين له ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات من قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الذين كانوا يحرمون البحائر ويسيبون السوائب ويئدون البنات كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم قال نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى فاذا كانت الجارية التي تؤأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت علي كظهر أمي ان رجعت البك ولم تئديها فتخذ لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى اذا أبصرنه راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم ذكر ما صنعوا في أولادهم وأموالهم فقال قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم فقال هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه وقوله وحرموا ما رزقهم الله الآية وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا تحكما من الشياطين في أموالهم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الآية وكان أبو رزين يتأول قوله قد ضلوا أنه معنى به قد ضلوا قبل

حرمة الدم فقال لا بأس به انما النهى عن الدم المسفوح وباقى الآية ظاهر مما سلف فى أمثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوبات قبله وأهل صفة له منصوبة المحل سمى ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله فى باب الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وعلى هذا فقد عطف أهل على يكون والضمير فى به يعود الى ما يرجع اليه المستكن فى يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين فى الآية أنه لم يجد فيما أوحى اليه قرآنا أو غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد أكد هذا (٣٩) بما فى النحل وفى البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة

هؤلاء الافعال من قتل الاولاد وتحريم الرزق الذى رزقهم الله بأمور غير ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن سفيان عن الاعمش عن أبى رزين فى قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم الى قوله قد ضلوا قال قد ضلوا قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ وهذا اعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله وتنبيه منه لهم على موضع احسانه وتعريف منه لهم ما أحل وحرم وقسم فى أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقا يقول تعالى ذكره وربكم أيها الناس أنشأ أى أحدث وابتدع خلق الا الآلهة والاصنام جنات يعنى بساتين معروشات وهى ما عرش الناس من الكروم وغير معروشات غير مرفوعات مبنيات لا ينبته الناس ولا يرفعونه ولكن الله يرفعه وينبته وينميه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله معروشات يقول مسموكات * وبه عن ابن عباس وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما خرج فى البر والجبال من الثمرات حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما جنات فالبساتين وأما المعروشات فما عرش كهيئة الكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات قال ما يعرش من الكروم وغير معروشات قال ما لا يعرش من الكرم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر﴾ يقول جل ثناؤه وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله يعنى بالا كل الثمر يقول وخلق النخل والزرع مختلفا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه فى الطعم منه الحلو والحامض والمز كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله متشابها وغير متشابه قال متشابها فى المنظر وغير متشابه فى الطعم وأما قوله كلوا من ثمره اذا أثمر فانه يقول كلوا من رطبه ما كان رطبا من ثمره كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازى قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا موسى بن عبيدة فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم هذا أمر من الله بايتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنا عمرو قال ثنا عبد الصمد قال ثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة المفروضة حدثنا عمرو قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانى بن سعيد عن حجاج عن محمد بن عبيد الله عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس وآتوا

على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذى جاء فى المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما أكل السبع الا ما ذكيتم من أقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من أولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقى الكلام فى الخمر وفى سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بأنه رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا أن النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم أكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روى انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بأن تحريم شئ خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه أنه حرم على اليهود أشياء أخر سوى هذه الاربعة فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا) وذلك نوعان الاول أنه حرم عليهم (كل ذى ظفر) وفيه لغات ضم الفاء والعين وهى الفصحى وكسرهما وهى قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهى قراءة الحسن واختلف فى ذى الظفر فعن ابن عباس فى رواية عطاء انه الابل فقط وعنه فى رواية أخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بأن الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبأن البقر والغنم مباحان لهم كما يجىء مع أن لهما حافرا اذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا قدم الجار فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل

بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للآية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير * النوع الثانى قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال فى الكشاف هو كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة يعنى اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذى ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وذلك شحومهما فقط وهذا أيضا ليس على الاطلاق لقوله (الا ما حملت ظهورهما) قال (٤٠) ابن عباس الا ما علق بالظهر من الشحم فانى لم أحرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهى الشحمة التى على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وهى بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا يأكل الشحم فأكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثانى قوله (أو الحوايا) قال الجوهرى الحوايا الامعاء واحدها حوية وفى معناها حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدى هى المباعر والمصارين والفحوى أو ما اشتمل على الامعاء يعنى أن الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث (أو ما اختلط بعظم) قال جمهور المفسرين يعنى شحم الألية وقال ابن جريج كل شحم فى القوائم والجنب والرأس وفى العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذى حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة أو كدخولها فى قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا والمعنى كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا (ذلك) الجزاء وهو تحريم الطيبات (جزيناهم ببغيهم) بسبب قتلهم الانبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح أفعالهم (وانا لصادقون) فى هذه الاخبار أو فيما يوعد به العصاة قال القاضى نفس التحريم لا يجوز أن يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان وأجيب بأن المنع من الانتفاع يمكن أن يكون لمزيد الثواب ويمكن أن يكون بشؤم الجرم المتقدم (فان كذبوك) فى ادعاء النبوة والرسالة أو فى تبليغ الاحكام وعلى أصول المعتزلة فان كذبوك فى انجاز ما يعدك العصاة وزعموا أن

حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنا** عمرو بن على وابن وكيع وابن بشار قالوا ثنا عبد الرحمن قال ثنا ابراهيم بن نافع المكى عن ابن عباس عن أبيه فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثنا** عمرو قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو هلال عن حيان الاعرج عن جابر بن زيد وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هى الصدقة قال ثم سئل عنها مرة أخرى فقال هى الصدقة من الحب والثمار **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليمن وغيره عن سعيد بن المسيب أنه قال وآتوا حقه يوم حصاده قال الصدقة المفروضة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هى الصدقة من الحب والثمار **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعنى بحقه زكاته المفروضة يوم يكال أو يعلم كيله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده وذلك أن الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده وهو أن يعلم ما كيله وحقه فيخرج من كل عشرة واحدا وما يلتقط الناس من سنبله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا حقه يوم حصاده وحقه يوم حصاده الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء أو العين السائحة أو سقاه الطل والطل الندى أو كان بعلا العشر كاملا وان سقى برشاء نصف العشر قال قتادة وهذا فيما يكال من الثمرة وكان هذا اذا بلغت الثمرة خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد حق فيها الزكاة وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وطاوس وآتوا حقه يوم حصاده قالا هو الزكاة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا شريك عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه وعن قتادة وآتوا حقه يوم حصاده قالا الزكاة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس مثله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعنى يوم كيله ما كان من بر أو تمر أو زبيب وحقه زكاته **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده قال كل

الله واسع الرحمة وأنه يخلف الوعيد جودا وكرما (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فلذلك لا يعجل بالعقوبة (ولا يرد بأسه) اذا جاء وقت عذابه (عن القوم المجرمين) يعني المكذبين وعلى أصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فماتوا قبل التوبة ثم حكى أعذار الكفار الواهية فقال (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان أكد بالمنفصل لامكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزائدة لتأكيد النفي أخبر الله (٤١) تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل أشياء وتحريم أشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه وأما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا تدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الآية لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن لتطرد الآية في حكم التخفيف أما تفسير الآية فزعمت المعتزلة أنها تدل على قولهم في مسئلة ارادة لكائنات من سبعة أوجه * الاول أن الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما * الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على أنهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئته القبائح وارادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو

منه واذا حصدتم فآتوا حقه وحقه عشوره **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يونس بن عبيد عن الحسن أنه قال في هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة اذا كلته **حدثنا** عمرو قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثني** ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله وآتوا حقه يوم حصاده فقلت له هو العشور قال نعم فقلت له عن أبيك قال عن أبي وغيره * وقال آخرون بل ذلك حق أوجبه الله في أموال أهل الاموال غير الصدقة المفروضة ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا محمد بن جعفر عن أبيه وآتوا حقه يوم حصاده قال شيأ سوى الحق الواجب قال وكان في كتابه عن علي بن الحسين **حدثنا** عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال القبضة من الطعام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال من النخل والعنب والحب كله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ما حصدت من الفواكه قال ومنها أيضا تؤتى وقال من كل شيء حصدت تؤتى منه حقه يوم حصاده من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو خضر أو قصب من كل شيء من ذلك قلت لعطاء أواجب على الناس ذلك كله قال نعم ثم تلا وآتوا حقه يوم حصاده قال قلت لعطاء وآتوا حقه يوم حصاده هل في ذلك شيء مؤقت معلوم قال لا **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يعطى من حصاده يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن عبد الملك عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال ليس بالزكاة ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حصده **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن حماد وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون رطبا **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حضرك المساكين طرحت لهم منه واذا أنقيته وأخذت في كيله حثوت لهم منه واذا عملت كيله عزلت زكاته واذا أخذت في جذاذ النخل طرحت لهم من التفاريق واذا أخذت في كيله حثوت لهم منه واذا عملت كيله عزلت زكاته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال سوى الفريضة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال يلقى الى السؤال عند الحصاد من السنبل فاذا طبن (٣) أوطبن «الشك من أبي جعفر» ألقى اليهم فاذا حمله فأراد أن يجعله كدسا ألقى اليهم واذا داس أطعم منه واذا فرغ وعلم كم كيله عزل زكاته وقال في النخل عند الجذاذ يطعم من الثمرة والشماريخ فاذا كان عند كيله أطعم من التمر فاذا فرغ عزل زكاته **حدثنا** عمرو بن علي ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد الزرع ألقى من السنبل واذا جذ النخل ألقى من الشماريخ

(٣) كذا في أصله وحرر

(٦ - ابن جرير - ثامن) تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ أدلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتأخرين في تكذيب الانبياء وفي دفع دعوتهم عن أنفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى * الثالث قوله حتى ذاقوا بأسنا وذلك يدل على أنهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب * الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار أي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة * الخامس ان تتبعون الا الظن * السادس وان أنتم الا تخرصون * السابع قل فلله الحجة البالغة

لانه أزال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك أنكم تقولون لو أتينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم أن يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على أن يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا أن ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم أجمعين * وبوجه آخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان (٤٢) تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوا جميع أهل الاديان ولا تعادوهم * أجابت الاشاعرة بأنا قد بينا بالدلائل القاطعة من أول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تأويل هذه الآية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله تعالى أن ذلك من تكاذيبهم وآكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وأمر بالايمان وورد الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس أول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر آخر الآية معناه وهو قوله فلو شاء لهداكم أجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر تعسف والله أعلم ثم لما أبطل جميع حجج الكفار بين أنه ليس لهم على قولهم شهود فقال (قل هلم) ومعناه اذا كان لازما أقبل واذا كان متعديا أحضر قال الخليل أصله هالم من قولهم لم الله شعثه أي جمعه كأنه قال لم نفسك الينا أي اقرب والهاء للتنبيه واستعطاف المأمور ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث في لغة أهل الحجاز وأهل نجد يصرفونها هلما هلموا وآتوا هلمي هلممن والاول أفصح وقد يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء أصلها هل أم أرادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى أم اقصدوا قيل ان أصل استعماله أن قالوا هل لك في الطعام أم أي اقصد ثم شاع في الكل أمر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر أن لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداءكم يشهدون لانه ليس الغرض احضار أناس يشهدون بالتحريم وانما

فاذا كاله زكاه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عند الحصاد وعند الدياس وعند الصرام يقبض لهم منه فاذا كاله عزل زكاته * وبه عن سفيان عن مجاهد مثله الا أنه قال سوى الزكاة حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال شئ سوى الزكاة في الحصاد والجذاذ اذا حصدوا واذا جذوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح في قول الله وآتوا حقه يوم حصاده قال واجب حين يصرم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد أطعم واذا أدخله البيدر واذا داسه أطعم منه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أشعث عن ابن عمر قال يطعم المعتر سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر * وبه عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال قبضة عند الحصاد وقبضة عند الجذاذ حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن ابن سيرين قال كانوا يعطون من اعتراهم الشئ حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال الضغث حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى مثل الضغث حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حماد عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال مثل هذا من الضغث ووضع يحيى اصبعه الابهام على المفصل الثاني من السبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال نحو الضغث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى ضغثا حدثنا عمرو بن علي قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم قال كان النخل اذا صرم يجيء الرجل بالعذق من نخله فيعلقه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فاذا تناثر أكل منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين فتناول تمرة فانتزعها من فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصدقة ولا أهل بيته فذلك قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران ويزيد بن الاصم قالا كان أهل المدينة اذا صرموا يجيؤن بالعذق فيضعونه في المسجد ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه فيسقط منه وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن جعفر عن زيد وميمون في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قالا كان الرجل اذا جذ النخل يجيء بالعذق فيعلقه في جانب المسجد فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه فيأكل ما يتناثر منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وآتوا حقه يوم حصاده قال لقط السنبل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد قال كانوا يعلقون العذق في المسجد عند الصرام فيأكل منه الضعيف * وبه عن معمر قال قال مجاهد

المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال (فان شهدوا) أى فان وقعت شهادتهم (فلا تشهد معهم) أى لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب ولاجل ذلك قال أيضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقى الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة

التأويل وهو الذى أنشأ جنات فى القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان (٤٣) والاحسان وغير معروشات هى الصفات

وآتوا حقه يوم حصاده يطعم النبى عند صرامه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال الضغث وما يقع من السنبل * وبه عن سالم عن سعيد وآتوا حقه يوم حصاده قال العلف حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال ما قل منه أو كثر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع يعطى القبض وعند الصرام يعطى القبض ويتركهم فيتتبعون آثار الصرام * وقال آخرون كان هذا شيأ أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة ثم نسخته الصدقة المعلومة فلا فرض فى مال كائنا ما كان زرعا كان أو غرسا الا الصدقة التى فرضها الله فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال نسخها العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن الحجاج عن الحكم عن ابن عباس قال نسخها العشر ونصف العشر * وبه عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية قال نسخها العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال هذا قبل الزكاة فلما نزلت الزكاة نسختها فكانوا يعطون الضغث حدثنا ابن حميد وأبو وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يفعلون ذلك حتى سن العشر ونصف العشر فلما سن العشر ونصف العشر ترك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال هى منسوخة نسختها العشر ونصف العشر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر * وبه عن سفيان عن يونس عن الحسن قال نسختها الزكاة * وبه عن سفيان عن السدى قال نسختها الزكاة وآتوا حقه يوم حصاده حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن شبالك عن ابراهيم فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر قلت عمن قال عن العلماء * وبه عن سفيان عن مغيرة عن شبالك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما وآتوا حقه يوم حصاده فكانوا اذا مر بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاذ أطعموه منه فنسخها الله عنهم بالزكاة وكان فيما أنبتت الأرض العشر ونصف العشر حدثنا

الروحانية التى جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص بالشواهد والاحوال متشابها أعمالها وغير متشابه أحوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوى والقيل والقال وآتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويوم حصاده أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذى يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع فى الكلام فى غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها ومن الانعام أى ومن الصفات الحيوانية التى هى مركوزة فى الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر

ما ينبغى انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها اذا كور وبعضها اذا يتولد منها صفات أخر كلها محمودة اذا استعملت فى محالها وبقدر ما ينبغى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحولية والذكر من الضأن والمعز هما صفة شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية والجهولية وأنثاهما الحولية والاستسلام للاستعمال فهذه الصفات

انسانية صار الانسان حاملا أعباء الامانة التى أبت المكونات عن حملها وهن أيضا حملة عرش القلب فافهم وقد أحل الله تعالى استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم أنه يجب تركها وفصلها بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما أشركنا الكلام فى نفسه حق وصدق الا أنهم لما ذكروه فى معرض الالزام دفعا للاذية والا لام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه أعلم بالصواب ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين (٤٤) احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن

ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن يونس عن الحسن قال كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية وآتوا حقه يوم حصاده قال نسخه العشر ونصف العشر كانوا يعطون اذا حصدوا واذا ذروا فنسختها العشر ونصف العشر * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين فى طعامهم وثمارهم التى تخرج جهازروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ الا بعد الدياس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ الا بعد الجفاف فاذا كان ذلك كذلك وكان قوله جل ثناؤه وآتوا حقه يوم حصاده بنبئ عن أنه أمر من الله جل ثناؤه بايتاء حقه يوم حصاده وكان يوم حصاده هو يوم جذه وقطعه والحب لا شك أنه فى ذلك اليوم فى سنبله والثمر وان كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه وكانت الصدقة من الحب انما تؤخذ بعد يباسه وتذريته وتنقيته كيلا والثمر انما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلا علم ان ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذى يجب ايتاؤه المساكين يوم حصاده فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك ايجابا من الله فى المال حقا سوى الصدقة المفروضة قيل لانه لا يخلو أن يكون ذلك فرضا واجبا أو نفلا فان يكن فرضا واجبا فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التى من فرط فى أدائها الى أهلها كان بربه آثما ولأمره مخالفا وفى قيام الحجة بأن لا فرض لله فى المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبئ عن أن ذلك ليس كذلك أو يكون ذلك نفلا فان يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار فى اعطاء ذلك الى رب الحرث والثمر وفى ايجاب القائلين بوجوب ذلك ما ينبئ عن ان ذلك ليس كذلك واذا خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب وكان غير جائز أن يكون لها مخرج فى وجوب الفرض بها فى هذا الوقت علم أنها منسوخة ومما يؤيد ما قلنا فى ذلك من القول دليلا على صحته انه جل ثناؤه أتبع قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومعلوم أن من حكم الله فى عباده مذ فرض فى أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم واذا كان ذلك كذلك فما وجه نهى رب المال عن الاسراف فى ايتاء ذلك والآخذ مجبر وانما يأخذ الحق الذى فرض الله فيه فان ظن ظان أن ذلك انما هو نهى من الله القيم بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدى فى مال رب المال والتجاوز الى أخذ ما لم يجعل له أخذه فان آخر الآية وهو قوله ولا تسرفوا معطوف على أوله وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده فان كان المنهى عن الاسراف القيم بقبض ذلك فقد يجب أن يكون المأمور باتيانه المنهى عن الاسراف فيه وهو السلطان وذلك قول ان قاله قائل كان خارجا من قول جميع أهل التأويل ومخالفا المعهود من الخطاب وكفى بذلك شاهدا على خطئه فان قال قائل وما تنكر أن يكون معنى قوله وآتوا حقه يوم حصاده وآتوا حقه يوم كيله لا يوم فصله وقطعه ولا يوم جذاذه وقطافه فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل وذلك ما حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال

ثنا

جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴿ القراآت تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد فحذفوا احدى التاءين الباقون بالتشديد لأجل ادغام تاء التفعل في الذال وأن هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح أن يأتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل (٤٥) علي وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية

فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين أمثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء المتكلم أبو عمرو وأبو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون مماتي بالفتح أبو جعفر ونافع الباقون بالعكس وأنا أول بالمد نافع وأبو جعفر

﴿ الوقوف شيأ ط للحذف أي وأحسنوا بالوالدين احسانا ج لابتداء النهي مع احتمال العطف أي وأن لا تقتلوا من املاق ط واياهم ج للعطف مع العارض ومابطن ط للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء للاحكام تعقلون ٥ أشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ط لاحتمال مابعده الحال أو الاستئناف ذاقربى ج لتناهي جواب اذا وتقدم مفعول أوفوا تذكرون ٥ لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ٥ يؤمنون ٥ ترحمون ٥ لا لأن التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا ص لغافلين ٥ لا للعطف أهدى منهم ج للفاء مع أن قد لتوكيد الابتداء

ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله وحدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله يعطي العشر ونصف العشر مع آخرين قد ذكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك قيل لان يوم كيله غير يوم حصاده ولن يخلو معنى قائلي هذا القول من أحد أمرين اما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد الى معنى الكيل فذلك مالا يعقل في كلام العرب لان الحصاد والحصد في كلامهم الجذ والقطع لا الكيل أو يكونوا وجهوا تأويل قوله وآتوا حقه يوم حصاده الى وآتوا حقه بعد يوم حصاده اذا كلتموه فذلك خلاف ظاهر التنزيل وذلك ان الامر في ظاهر التنزيل بايتاء الحق منه يوم حصاده لا بعد يوم حصاده ولا فرق بين قائل انما عنى الله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده بعد يوم حصاده وآخر قال عني بذلك قبل يوم حصاده لانهما جميعا قائلان قولا دليل ظاهر التنزيل بخلافه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ اختلف أهل التأويل في الاسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ومن المنهي عنه فقال بعضهم المنهي عنه رب النخل والزرع والثمر والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية مجاوزة القدر في العطية الى مايجحف برب المال ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنا عاصم عن أبي العالية في قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا الآية قال كانوا يعطون شيأ سوى الزكاة ثم تسارفوا فأنزل الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عاصم الأحول عن أبي العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون شيأ سوى الزكاة ثم تبار وا فيه وأسرفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عاصم الأحول عن أبي العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ ثم تسارفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال تزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلا فقال لا يأتين اليوم أحد الا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا تسرفوا يقول لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد أم في كل شئ قال بلى في كل شئ ينهى عن السرف قال ثم عاودته بعد حين فقلت ماقوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قال ينهى عن السرف في كل شئ ثم تلا ولم يسرفوا ولم يقتروا حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن أبي بشر قال أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة فسألوه ما السرف فقال ماتجاوز أمر الله فهو سرف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تسرفوا لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء وقال آخرون الاسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع منع الصدقة والحق الذي أمر الله رب المال بايتائه أهله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط يصدفون ٥ بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ٥ في شئ ط يفعلون ٥ أمثالها ج لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون ٥ مستقيم ج لاحتمال أن دينا نصب على البدل من محل الى صراط أو على الاغراء أي الزموا حنيفا ج لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين ٥ العالمين ٥ لا لا شريك له ج المسلمين ٥ كل شئ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الاعليها ج لتفصيل الأمرين على التهويل مع اتفاق الجملتين أخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ٥

آتاكم ط العقاب ز للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف أوضح رحيم ۝ التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم أتبعه البيان الشافي في الباب فقال (قل تعالوا) وهو من الخاص الذي صار عاما لان أصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم فالعائد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا بأتل أو بحرم واما منصوب بحرم على أن ما استفهامية فلا راجع والمعنى أقل (٤٦) أي شئ حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما أجمله في قوله ما حرم فيلزم أن يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب أن المراد من التحريم البيان المضبوط أو الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتدأ فقال عليكم أن لا تشركوا أو أن مفسرة أي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح وأما الاوامر فيعلم بالقرينة أن التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز أن يجعل أن ناصبة والا لزم عطف الطلب أعني الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة أحسن بيان وذلك أن منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فأشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين أبطل قولهم بقوله لا أحب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيأ ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة أن جعله تاليا لتوحيده ثم أوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى (من املاق) أي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الآية الاخرى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك أزيل ذلك الوهم بقوله (نحن نرزقكم واياهم) فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر أملق لازم ومتعد أملق الرجل افتقر وأملق الدهر ما عنده اذا أفسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الآية من املاق بكم نحن

قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرني أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليم وغيره عن سعيد بن المسيب في قوله ولا تسرفوا قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا محمد بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والسرف أن لا يعطى في حق * وقال آخرون انما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي ألزم الله ماله ذكر من قال ذلك **حدثنا** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا قال قال للسلطان لا تسرفوا لا تأخذوا بغير حق فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس يعني قوله كلوا من ثمره اذا أثمر الآية * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى بقوله ولا تسرفوا عن جميع معاني الاسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى واذ كان ذلك كذلك وكان الاسراف في كلام العرب الاخطاء باصابة الحق في العطية اما بتجاوز حده في الزيادة واما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما ان المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته مسرف بتجاوزه حد الله الى ما كفقه وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه وذلك كمنعه ما ألزمه ايتاءه منه أهل سهمان الصدقة اذا وجبت فيه أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها وكذلك السلطان في أخذه من رعيته مالم يأذن الله بأخذه كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الاسراف بقوله ولا تسرفوا في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم اذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بايتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده فان الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الامور والحكم بها على العام بل عامة آي القرآن كذلك فكذلك قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الاسراف أنه على ما قلنا قول الشاعر

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف

يعني بالسرف الخطأ في العطية ۝ القول في تأويل قوله ﴿ومن الانعام حمولة وفرشا﴾ يقول تعالى ذكره وأنشأ من الانعام حمولة وفرشا مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات والحمولة ما حمل عليه من الابل وغيرها والفرش صغار الابل التي لم تدرك أن يحمل عليها * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم الحمولة ما حمل عليه من كبار الابل ومسانها والفرش صغارها التي لا يحمل عليها الصغر ها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار من الابل وفرشا الصغار من الابل * وقال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الابل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد قال الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل * وبه عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وفرشا قال صغار الابل
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص
عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار والفرش الصغار حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود في قوله حمولة
وفرشا الحمولة ما حمل من الابل والفرش هن الصغار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن
جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله أنه قال في هذه الآية حمولة
وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه من الابل والفرش الصغار * قال ابن المثنى قال محمد قال شعبة انما
كان حدثني سفيان عن أبي اسحق حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن
أبيه قال قال الحسن الحمولة من الابل والبقر وقال بعضهم الحمولة من الابل ومالم يكن من الحمولة
فهو الفرش حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن
حمولة وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه والفرش حواشيها يعني صغارها حدثني محمد بن سعد قال
ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا
فالحمولة ما حمل من الابل والفرش صغار الابل الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل ويقال الحمولة من
البقر والابل والفرش الغنم * وقال آخرون الحمولة ما حمل عليه من الابل والخيل والبغال وغير ذلك
والفرش الغنم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية
عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا فأما الحمولة فالابل والخيل والبغال
والحمير وكل شئ يحمل عليه وأما الفرش فالغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي
جعفر عن الربيع بن أنس الحمولة من الابل والبقر وفرشا المعز والضأن حدثنا بشر بن معاذ قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الانعام حمولة وفرشا قال أما الحمولة فالابل والبقر
قال وأما الفرش فالغنم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كان
غير الحسن يقول الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد
ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن الانعام حمولة وفرشا اما الحمولة فالابل وأما الفرش
فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت
أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله حمولة وفرشا الحمولة الابل والفرش
الغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن الحسن وفرشا قال الفرش الغنم
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة ما تركبون
والفرش ما تأكلون وتحلبون شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا *
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الحمولة هي ما حمل من الانعام لان ذلك من صفتها
اذا حملت لا أنه اسم لها كالابل والخيل والبغال فاذا كانت انما سميت حمولة لانها تحمل فالواجب
أن يكون كل ما حمل على ظهره من الانعام فحمولة وهي جمع لا واحد لها من لفظها كالركوبة

وأنشأ لكم وإياهم وهنالك زيدت الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم وإياكم ثم نهى عن قربان الفواحش
كما مر ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في
الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال أمره ولكن لاجل الخوف من منمة الناس ثم أفرد من جملة الفواحش
قتل النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا
بحرم صدر عنها كما جاء في الحديث
لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى
ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد
احصان وقتل نفس بغير حق
ويخرط في سلكه جزاء قاطع
الطريق والحاصل أن الأصل في
قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت
الا لأمر منفصل ثم لما بين النواهي
الخمسة أتبعه الكلام الذي يقرب
الى القلوب القبول فقال (ذلكم
وصاكم) لما في لفظ التوصية من الرأفة
والاستعطاف ومعنى (لعلكم تعقلون)
لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف
ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر
أربعة أنواع أخر من التكاليف
وذلك قوله (ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي) أي بالخصلة أو الطريقة التي
(هي أحسن) وهي السعي في تثميره
وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله
كما مر في أول سورة النساء (حتى يبلغ
أشده) أي احفظوا ماله الى هذه
الغاية أي أوان الاحتلام ولكن
بشرط أن يؤنس منه الرشد قال
القراء واحد الأشد شد في القياس
ولم يسمع وقال أبو الهيثم
الواحد شدة كنعم في نعمة والشدة
القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته
وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع
كآنك ولا نظير لهما (وأوفوا الكيل
والميزان بالقسط) بالعدل والسوية
وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس
وقوله والميزان أي الوزن بالميزان فان

قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا أمر الله المعطي بايفاء ايتاء ذي الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق
بأخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال (لا نكلف نفسا الا وسعها) ليعلم أن الواجب هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق المؤدي الى
الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حيث لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه أو
يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه ويعرض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان) المقول له أو عليه

(ذا قربى) حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهى والاولى أن يحمل على الأقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل فى الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهى وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يستوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا الى رضا الله وختم الاوامر بقوله (وبعهد الله أوفوا) كما قال (٤٨) أوفوا بالعقود ويندرج فى هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة (وان هذا صراطى) من قرأ بالفتح والتخفيف فباعمال ضمير الشأن والتقدير تعالوا اتل ما حرم وأتل انه هذا صراطى وكذا فيمن قرأ بالتشديد وبالفتح الا أن ضمير الشأن لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله أى ذلكم وصاكم به وبان هذا أو بما بعده والتقدير وبان هذا صراطى مستقيما (فاتبعوه) ومن كسر فلأن التلاوة فى معنى القول أو على الاستئناف والمعنى اتبعوا صراطى انه مستقيم (ولا تتبعوا السبل) المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم) الباء للتعدية أى فيفرقكم ذلك الاتباع (عن سبيله) المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية فهذه الآية بالحقيقة اجمال لما فى الآيتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد وختم الأولى بقوله لعلكم تعقلون لانها أمور ظاهرة جلية يكفى فى تعقلها أدنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكور فيها أمور خفية تحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال أو نقول الأمور الخمسة المذكورة فى الآية الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا فختم الآية بأن عاقل الانسان من أشرف السجايا وهو العقل الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة فى الثانية فأشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون أى تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله (ثم آتينا موسى الكتاب) معطوف على وصاكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل وأجيب بأن التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف

والجزورة وكذلك الفرش انما هو صفة لما لطف فقرب من الارض جسمه ويقال له الفرش وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الارض وهى الارض المستوية التى يتوطؤها الناس فأما الحمولة بضم الحاء فانها الاحمال وهى الحمول أيضا بضم الحاء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين﴾ يقول جل ثناؤه كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم أنعامكم ولم يحرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللشيطان مثله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا تتبعوا خطوات الشيطان كما اتبعها باحرو البحيرة ومسيبو السوائب فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه فتطيعوا بذلك الشيطان وتعصوا به الرحمن كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تتبعوا طاعته هى ذنوب لكم وهى طاعة للخبيث ان الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم مبين قد أبان لكم عداوته بمناصبته أباكم العداوة حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه وحسده منه وبغيا عليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين﴾ وهذا تقريع من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وتعليم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به الحجة عليهم فى تحريمهم ما حرموا من ذلك فقال للمؤمنين به وبرسوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ومن الانعام أنشأ حمولة وفرشا ثم بين جل ثناؤه الحمولة والفرش فقال ثمانية أزواج وانما نصب الثمانية لانها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها كأن معنى الكلام ومن الانعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد فقال ثمانية أزواج على ذلك المعنى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فذلك أربعة لان كل واحد من الاثنين من الضأن زوج فالأنثى منه زوج الذكر والذكر منه زوج الانثى وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان فلذلك قال جل ثناؤه ثمانية أزواج كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين لان الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر فهما وان كانا اثنين فهما زوجان كما قال جل ثناؤه وجعل منها زوجها ليسكن اليها وكما قال أمسك عليك زوجك وكما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك من الضأن اثنين ذكر وأنثى ومن البقر اثنين ذكر وأنثى ومن الابل اثنين ذكر وأنثى ويقال للاثنين هما زوج كما قال لبيد

من كل محفوف يظل عصيه * زوج عليه كلة وقرامها

ثم قال لهم كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون فلا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمرى إياهم بذلك قل يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما حرموا من الحرث والانعام اتباعا للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا

بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس أن هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لأول شئ فى التوراة وأما الشرائع التى كانت التوراة مختصة بها فهى انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان فى الآية حذفا تقديره ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى

أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك آلذكرين حرم ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز فانهم ان ادعوا ذلك وأقروا به كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم لانهم اذا قالوا يحرم الذكرين من ذلك أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها وفى ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم أم الأنثيين فانهم ان قالوا حرم ربنا الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها وفى ذلك أيضا تكذيب لهم ودحض دعواهم أن ربهم حرم ذلك عليهم اذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يقول أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يعنى أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز فلذلك قال أرحام الأنثيين وفى ذلك أيضا لو أقروا به فقالوا حرم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين بطول قولهم وبيان كذبهم لانهم كانوا يقرون باقرارهم بذلك أن الله حرم عليهم ذكور الضأن والمعز وانا أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وانا ثها وما التى فى قوله أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نصب عطفا بها على الأنثيين نبئونى بعلم يقول قل لهم خبرونى بعلم ذلك على صحته أى ذلك حرم ربكم عليكم وكيف حرم ان كنتم صادقين فيما تنحلونه ربكم من دعواكم وتضيفونه اليه من تحريمكم وانما هذا اعلام من الله جل ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيأ من ذلك وأنهم انما اتبعوا فى ذلك خطوات الشيطان وخالفوا أمره وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الآية ان كل هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرا ذكرا ولا أنثى **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال سلهم آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أى لم أحرم من هذا شيأ بعلم ان كنتم صادقين فذكر من الابل والبقر نحو ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ثمانية أزواج فى شأن ما نهى الله عنه من البحيرة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثمانية أزواج قال هذا فى شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب قال ابن جريج يقول من أين حرمت هذا من قبل الذكرين أم من قبل الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وانها لا تشتمل الا على ذكر أو أنثى فمن أين جاء التحريم فأجابوا هم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين يقول أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذى عددت ذكر وأنثى فالذكرين حرمت عليكم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يقول أى ما اشتملت عليه أرحام الانثيين ما تشتمل الا على ذكر أو أنثى فما حرمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية انما ذكر هذا من أجل ما حرموا من الانعام **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال

اتل ما أوحى اليك ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله (تماما على الذى أحسن) مفعول له أى لتتم نعمتنا على الذى أحسن أى على من كان محسنا صالحا أو المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ وكل ما أمر به أو تماما على الذى أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشئ اذا أجاد معرفته أى زيادة على علمه وقرئ أحسن بالرفع أى على الدين الذى هو أحسن دين وأرضاه (وتفصيلا لكل شئ) فيدخل فى ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه (وهدى) دلالة (ورحمة) لكى يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب (وهذا كتاب أنزلناه) لاشك أنه القرآن (مبارك) كثير الخير والنفع أو ثابت لا يتطرق اليه النسخ كما فى الكتابين (فاتبعوه واتقوا) لكى ترحموا الان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى أو اتقوا الترحم جزاء على التقوى أو اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء قوله (أن تقولوا) مفعول واتقوا وقال الكسائى التقدير انا أنزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا أنزلناه كراهة أن تقولوا والخطاب لاهل مكة (انما أنزل الكتاب)

(٧ - ابن جرير - ثامن) أى التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى (وان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام فى (لغافلين) هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأمثالها مع كونهم أميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال (فقد جاءكم) أى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو أنزل عليكم الكتاب لكنتم أهدى منهم فقد جاءكم (بينة من ربكم) فيما يعلم سمعا (وهدى) فيما يعلم سمعا وعقلا (ورحمة

من الله فى صلاح المعاش و المعاد (فمن أظلم) بعد هذه المعجزات والبينات (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى منع غيره منها لان الاول ضلال
والثانى اضلال ثم ختم الآية بأشد الوعيد وأبلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الأدلة وازاحة العذر لا يؤمنون البتة وشرح أحوالا توجب المبادرة
الى الايمان والتوبة فقال (هل ينظرون) أى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجىء أحد هذه الامور
مجىء الملائكة أو مجىء الرب ويعنى به عذابه (٥٠) وبأسه كما سلف فى البقرة أو مجىء المعجزات القاهرة قال فى الكشاف الملائكة ملائكة الموت
أو ملائكة العذاب ومجىء الرب
مجىء كل آية ثم قال (يوم يأتى بعض
آيات ربك) وأجمعوا على ان المراد
بهذه الآيات علامات القيامة عن
البراء بن عازب قال كنا نتذاكر
أمر الساعة اذ أشرف النبى صلى
الله عليه وآله فقال أتتذاكرون
الساعة انها لا تقوم حتى تروا
قبلها عشر آيات الدخان ودابة
الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى
ونارا تخرج من عدن والمراد أنه اذا
بدت أشراط الساعة ذهب أوان
التكليف عندها فلم ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل
ولا نفسا ما كسبت فى ايمانها
خيرا ثم أوعدهم بقوله (قل انتظروا
انا منتظرون) ثم سلى رسول الله صلى
الله عليه وآله بقوله (ان الذين فارقوا
دينهم) أو فرقوا ومعنى القراءتين فى
الحقيقة واحد لان الذى فرق دينه
بمعنى أنه أقر ببعض وكفر ببعض
فقد فارقه أى تركه قال ابن عباس
يريد ان المشركين بعضهم يعبدون
الملائكة ويقولون انهم بنات الله
وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا
شيعا أى فرقا واخوانا فى الضلالة
والشيعة كل فرقة تشيع امامها
وقال مجاهد وقتادة هم اليهود والنصارى تفرقوا فرقا وكفر بعضهم بعضا وأخذوا بعضا وتركوا بعضا كقوله
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد أيضا أنهم من هذه الامة وهم أهل البدع والشبهات وفى الحديث افترقت اليهود على
احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق
أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة (لست منهم فى شىء) أى انك بعيد من أقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل

ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن أما اشتملت عليه أرحام الانثيين قال ما حملت الرحم حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل آلذكرين حرم أم الانثيين قال هذا قولهم
ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال وقال ابن زيد فى قوله ثمانية أزواج
من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال الانعام هى الابل والبقر والضأن والمعز هذه الانعام التى قال
الله ثمانية أزواج قال وقال فى قوله هذه أنعام وحرث حجر نحتجرها على من نريد وعمن نريد وقوله
وأنعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها فقال آلذكرين حرم أم
الانثيين أى هذين حرم على هؤلاء أى ان تكون لهؤلاء حل وعلى هؤلاء حرام حدثنى المثنى
قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله
ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه
أرحام الانثيين يعنى هل تشتمل الرحم الا على ذكر أو أنثى فهل يحرمون بعضا ويحلون بعضا
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله
ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
قل آلذكرين حرم أم الانثيين يقول لم أحرم شيأ من ذلك نبئونى بعلم ان كنتم صادقين يقول كله حلال
والضأن جمع لا واحد له من لفظه وقد يجمع الضأن الضئين والضئين مثل الشعير والشعير كما يجمع
العبد على عبيد وعبيد وأما الواحد من ذكوره فضائن والانثى ضائنة وجمع الضائنة ضوائن وكذلك
المعز جمع على غير واحد وكذلك المعزى وأما الماعز فجمعه مواعز ۞ القول فى تأويل قوله
﴿ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم
كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى
القوم الظالمين﴾ وتأويل قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما
اشتملت عليه أرحام الانثيين نحو تأويل قوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وهذه أربعة أزواج
على نحو ما بينا من الازواج الاربعة قبل من الضأن والمعز فذلك ثمانية أزواج كما وصف جل ثناؤه
وأما قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم
فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين
قص قصصهم فى هذه الآيات التى مضت يقول له عز ذكره قل لهم يا محمد أى هذه سألتكم عن تحريمه
حرم ربكم عليكم من هذه الازواج الثمانية فان أجابوك عن شىء مما سألتهم عنه من ذلك فقل لهم أخبرا
قلتم ان الله حرم هذا عليكم أخبركم به رسول عن ربكم أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذى
تقولون وتردون على الله فان هذا الذى تقولون من اخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على
ما تزعمون لا يعلم الا بوحى من عنده مع رسول يرسله الى خلقه أو بسماع منه فبأى هذين الوجهين
علمتم أن الله حرم ذلك كذلك برسول أرسله اليكم فأنبئونى بعلم ان كنتم صادقين أم شهدتم ربكم
فأوصاكم بذلك وقال لكم حرمت ذلك عليكم فسمعتم تحريمه منه وعهده اليكم بذلك فانه لم يكن
واحد

مقصور عليهم لا يتعداهم اليك وقال السدى معناه لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهى عن القتال فى وقت لا ينافى الامر فى وقت آخر فلا نسخ (انما أمرهم الى الله) بالاستئصال والاهلاك (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وفيه من الوعيد ما فيه وفى الآية حث على أن كلمة المسلمين يجب أن تكون واحدة ليستأهلوا الثواب الجزيل كما قال (من جاء بالحسنة) هى لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم (فله عشر أمثالها) أقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره (٥١) عشر حسنات أمثالها كقراءة من قرأ عشر أمثالها بالرفع والتنوين قيل هذا أقل الموعود وقد وعد سبعمائة وبغير حساب وقيل ليس المراد التحديد بل أراد الاضعاف مطلقا كقول القائل لئن أسديت الىّ معروفا لأكافئنك بعشرة أمثاله وفى الوعيد لئن كلمتنى واحدة لأكلمنك عشرا روى أبو ذر أن النبى صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة وان لم يعملها فان عملها فعشر أمثالها وان هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيآتهم * أسئلة * ما الحكمة فى الاضعاف جوابه كان للامم أعمار طويلة وطاعات كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خيرا من ألف شهر وأضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأيضا لو أن الخصماء يتعلقون بهم يوم القيامة فيذهبون بأعمالهم الى أن تبقى الأضعاف فيقول الله أضعافهم ليست من فعلهم هى من رحمتى فلا أقتص منهم أبدا * آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه أن الكافر كان على عزم الكفر لو عاش أبدا فاستحق العقاب الابدى بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم تكون عقوبته منقطعة وأيضا الذى جهله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شئ لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه * آخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو فى كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام أيام قلائل * آخر أحدث فى رأس انسان موضحتين فوجب أرشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب أرش موضحة واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب * آخر قد يجتمع بسبب أطراف تبان ولطائف تزال

واحد من هذين الامرين يقول جل ثناؤه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يقول فمن أشد ظلما لنفسه وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله قيل الكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم وتحليل ما لم يحلل ليضل الناس بغير علم يقول ليصدهم عن سبيله ان الله لا يهدى القوم الظالمين يقول لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم كفرا بالله وجحودا لنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الذى تقولون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كانوا يقولون يعنى الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب ان الله أمر بهذا فقال الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ولشركائهم من الآلهة والانداد مثله والقائلين هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم والمحرمين من أنعام أخر ظهورها والتاركين ذكر اسم الله على أخر منها والمحرمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على اناثهم وأزواجهم ومحللى ذلك ذكورهم المحرمين ما رزقهم الله افتراء على الله واضافة منهم ما يحرمون من ذلك الى أن الله هو الذى حرمه عليهم أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم فأنبئونا به أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه فانكم كذبة ان ادعيتم ذلك ولا يمكنكم دعواه لأنكم اذا ادعيتموه علم الناس كذبكم فانى لا أجد فيما أوحى الىّ من كتابه وآى تنزيله شيئا محرما على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الانعام التى تصفون تحريم ما حرم عليكم منها بزعمكم الا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية أو دما مسفوحا وهو المنصب أو الا أن يكون لحم خنزير فانه رجس أو فسقا يقول أو الا أن يكون فسقا يعنى بذلك أو الا أن يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الاوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه فان ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرمه ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك لانه ميتة وهذا اعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبى الله وأصحابه فى تحريم الميتة بما جادلوهم به أن الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرمه الله وأن الذى زعموا أن الله حرمه حلال قد أحله الله وأنهم كذبة فى اضافتهم تحريمه الى الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما قال كان أهل الجاهلية يحرمون أشياء ويحلون أشياء فقال قل لا أجد مما كنتم تحرمون وتستحلون الا هذا الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما الآية قال كان

ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد ترتقى الى نيف وعشرين الاذنان أو ابطال حسهما العينان أو البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان أو النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر والانثيان الحلمتان الشفران الاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء أو الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال لذة الطعام الافضاء البطش المشى وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجاج فان عاد الجانى قبل الاندمال وحز الرقبة أو قده بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على أن رعاية المماثلة غير معتبرة فى الشرع

والجواب عن الاسئلة الثلاثة أن هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن أن يجاب عن الثالث بأن بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل فى دية النفس لعسر ضبط ذلك والجزاء الحقيقى موكول الى يوم الجزاء والله أعلم

قال أهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لأن الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التى لا تكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائى العشرة تفضل والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم أن يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد أن يكون الواحد ثوابا الا أنه يكون أعلى شأنا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله أنواع الدلائل والرد على أصناف المشركين وبالغ فى تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على أهل الجاهلية أباطيلهم أمره بأن يقول (انني هدانى ربى) ليعلم أن الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل وقيما فيعل من قام كسيد من ساد ومن قرأ قيما فعلى أنه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة و(ملة ابراهيم) عطف بيان و(حنيفا) حال من ابراهيم أو من الملة والمعنى هدانى وعرفنى ملة ابراهيم حال كونه أو كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال فى صفة ابراهيم قالت (وما كان من المشركين) ردا على من زعم عليه شيأ من ذلك ثم كما عرفه الدين القويم والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال (قل ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى وتقربى اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك ههنا الذبائح جمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله فصل لربك

أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء فقال الله لنبيه قل لا أجد فيما أوحى الى محرما مما كنتم تستحلون الا هذا وكانت أشياء يحرمونها فهى حرام الآن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه قال ما يؤكل قلت فى الجاهلية قال نعم وكذلك كان يقول الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا * قال ابن جريج وأخبرنى ابراهيم بن أبى بكر عن مجاهد قل لا أجد فيما أوحى الى محرما قال مما كان فى الجاهلية يأكلون لا أجد محرما من ذلك على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وأما قوله أو دما مسفوحا فان معناه أو دما مسالا مهراقا يقال منه سفحت دمه اذا أرقته أسفحه سفحا فهو دم مسفوح كما قال طرفة بن العبد

إلى وجدلٍ ماهجوتك والأنصاب يسفح فوقهن دم

وكما قال عبيد بن الابرص

اذا ما عاده منا نساء * سفحن الدمع من بعد الرنين

يعنى صببن وأسلن الدمع وفى اشتراطه جل ثناؤه فى الدم عند اعلامه عباده تحريمه اياه المسفوح منه دون غيره الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحا فحلال غير نجس وذلك كالذى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة أو دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه الا أنه قال لاتبع المسلمون **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه **حدثنا** أبو كريب قال أخبرنا وكيع عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى القدر يعلوها الحمرة من الدم قال انما حرم الله الدم المسفوح **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز قال سألته عن الدم وما يتلطخ بالمذبح من الرأس وعن القدر يرى فيها الحمرة قال انما نهى الله عن الدم المسفوح **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو دما مسفوحا قال حرم الدم ما كان مسفوحا وأما لحم نخاطه دم فلا بأس به **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا يعنى مهراقا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أخبرنى ابن دينار عن عكرمة او دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يحيى بن سعيد قال ثنى القاسم بن محمد عن عائشة

والنحر وقيل صلاتى وحجى أخذا من مناسك الحج (ومحياى ومماتى) أى حياتى وموتى مصدران ميميان وقال فى الكشاف المراد وما آتيه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه أنه لا يكفى فى العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل لابد أن يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين (وبذلك) من الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته وقال فى التفسير الكبير انه تعالى أمر رسوله أن يبين أن صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته (٥٣) كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك أن المحيا والممات بخلق الله فكذا الصلاة والنسك وبذلك من التوحيد أمرت ثم لما أمر نبيه بالتوحيد المحض أمره أن يذكر ما يجرى مجرى الدليل عليه فقال (قل أغير الله أبغى ربا) وتقريره أن طوائف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب ومن اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بأن الله تعالى خالق الكل فكأنه سبحانه قال قل يا محمد منكرا أغير الله أطلب ربا مع أن هؤلاء الذين اتخذوا من دونه آلهة مقرون بأنه خالق تلك الاشياء ولا يدخل فى العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه آخر الموجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته وقد ثبت أن الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شئ وصريح العقل شاهد بأن المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر أنه لا يرجع اليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال (ولا تكسب كل نفس الا عليها) ومعناه أن اثم الجانى عليه لا على غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تؤخذ نفس آثمة باثم نفس أخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم

قالت (٣) وذكرت هذه الآية أو دما مسفوحا قلت وان البرمة ليرى فى مائها الصفرة وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا وأنه النجس والنتن وما يعصى الله به بشواهده فاغنى عن اعادته فى هذا الموضع وكذلك القول فى معنى الفسق وفى قوله أهل لغير الله به قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره واعادته * واختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن يكون ميتة فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة الا أن يكون بالياء ميتة مخففة الياء منصوبة على أن فى يكون مجهولا والميتة فعل له فنصبت على انها فعل يكون وذكروا يكون لتذكير المضمر فى يكون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والكوفة الا أن تكون بالتاء ميتة بتخفيف الياء من الميتة ونصبها وكأن معنى نصبهم الميتة معنى الاولين وأنثوا تكون لتأنيث الميتة كما يقال انها قائمة جاريتك وله قائم جاريتك فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذى بعده وقرأ ذلك بعض المدنيين الا أن تكون ميتة بالتاء فى تكون وتشديد الياء من ميتة ورفعها لفعل الميتة اسم تكون وأنث تكون لتأنيث الميتة وجعل تكون مكتفية بالاسم دون الفعل لان قوله الا أن تكون ميتة استثناء والعرب تكتفى فى الاستثناء بالاسماء عن الافعال فيقولون قام الناس الا أن يكون أخاك ولا أن يكون أخوك فلا تأتى ليكون بفعل وتجعلها مستغنية بالاسم كما يقال قام القوم الا أخاك والا أخوك فلا يعتد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء نفلا * والصواب من القراءة فى ذلك عندى الا أن يكون بالياء ميتة بتخفيف الياء ونصب الميتة لان الذى فى يكون من المكنى من ذكر المذكر وانما هو فعل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا فأما قراءة ميتة بالرفع فانه وان كان فى العربية غير خطا فانه فى القراءة فى هذا الموضع غير صواب لأن الله يقول أو دما مسفوحا فلا خلاف بين الجميع فى قراءة الدم بالنصب وكذلك هو فى مصاحف المسلمين وهو عطف على الميتة فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله أو فسقا مرفوعين ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم﴾ وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأن معناه فمن اضطر الى أكل ما حرم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به غير باغ فى أكله اياه تلذذا لا ضرورة حالة من الجوع ولا عاد فى أكله بتجاوزه ما حده الله وأباحه له من أكله وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك الى أكثر منه فلا حرج عليه فى أكله ما أكل من ذلك فان الله غفور فيما فعل من ذلك فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ولو شاء عاقبه عليه رحيم بأباحته اياه أكل ذلك عند حاجته اليه ولو شاء حرمه عليه ومنعه منه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر﴾ يقول تعالى ذكره وحرمنا على اليهود

---

(٣) فيه اختصار يعلم مما قبله

بعد أن رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد على سبيل الاجمال فقال (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) قيل الخطاب لبنى آدم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة محمد صلى الله عليه وآله لأنه خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف

والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) فأدخل اللام في قرينة الترغيب وأسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض (٥٤) لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهو آت قريب وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة أصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب ذكر المسخ فناسب التأكيد باللام وانما أخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون أدل على كمال رأفته ووفور احسانه ۞ التأويل من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم الثقة بالله وأوفوا الكيل أوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله أوفوا بأن لا تعبدوا ولا تحجبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى أن الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم تماما على الذي أحسن أي على من أحسن من أمتك اسلامه وفيه أن الكتب المنزلة كلها وشرائع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام ولهذا أمر بأن يقتدى بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل أن يراد بالذي أحسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه أنزلناه مباركا وبركته أنه أنزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله أتم وأكمل مما جاء في الكتابين ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا أن تأتيهم داخل الملائكة عيانا وتسوقهم الى الله قهرا والحاء أو يأتي ربك الهم اذلم يأتوا اليه في متابعتك قل انتظروا للمستحيلات انا منتظرون للمعاند الذين فارقوا الدين الحقيقي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المبتدعة والزنادقة والمتزيدة رياء وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شئ لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما أمرهم الى الله في بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم

كل ذي ظفر وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وهو البعير والنعامة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال هو الذي ليس بمنفرج الأصابع حدثني علي بن الحسين الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال كل شئ (١) متفرق الأصابع ومنه الابل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل ذي ظفر النعامة والبعير حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر فكان يقال البعير والنعامة وأشباههما من الطير والحيتان حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كل ذي ظفر قال الابل والنعام ظفر يد البعير ورجله والنعام أيضا كذلك وحرم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه وكل شئ ليس بمشقوق الأصابع حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما كل ذي ظفر فالابل والنعام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قال قلت ما شقا شقا قال كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لانها قد فرجت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قلت للقاسم بن أبي برزة وحدثنيه ما شقا شقا قال كل شئ لم يفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته اليهود قال انفرجت قوائم الدجاج والعصافير فيهود تأكلها قال ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خف النعامة ولا قائمة الوزين فلا تأكل اليهود الابل ولا النعام ولا الوزين ولا كل شئ لم تنفرج قائمته وكذلك لا تأكل حمار وحش وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الابل فقط * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه حرم على اليهود كل ذي ظفر فغير جائز اخراج شئ من عموم هذا الخبر الا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه واذا كان ذلك كذلك وكان النعام وكل ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلا في ظاهر التنزيل وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر اذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل في الآية خبر عن الله ولا عن رسوله وكانت الامة أكثرها مجمع على أنه فيه

(١) لعله غير متفرق ليوافق ما قبله تامل كتبه مصححه

ويوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قبل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة وهى حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه فى أحسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيآت وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص فى الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع فى أرض النفس والنفس خبيثة لانها أمارة بالسوء والحسنة بذر يزرع فى أرض القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق أنه كما للاعداد ثلاث مراتب الآحاد والعشرات والمئات وبعد ذلك تكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان أربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد فى مرتبة النفس أى اذا صدر عنها يكون واحدا وفى مرتبة القلب يكون بعشر أمثالها وفى مرتبة الروح يكون بمائة وفى مرتبة السر يكون بألف الى أضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء فى القرآن والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى أعلم ورسوله قل انني هداني ربي من أسفل سافلين القالب بجذبة العناية الأزلية ونسكي أى سيرى على منهاج الصلاة معراج المؤمن ومحياى أى حياة قلبي وروحي ومماتي أى موت نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وأنا أول المستسلمين عند الايجاد لأمر كن كما قال أول ما خلق الله نورى قل أغير الله كيف أطلب غير الله وهو حبيبي والمحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شئ فيكون ماله لى وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير على لا الى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس أمارة بالسوء والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر أخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا يتألم بعذابها وانما تكون النفس فقط مأخوذة بوزرها معاقبة بما هى أهله وان كان القلب منقلب الحال وأزاغه الله تعالى باصبع القهر الى محاذاة النفس فتصدأ مرآة القلب بصفات النفس وأخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول عنه الصفاء والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظائف العبودية فيكون مأخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو

داخل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما﴾ اختلف أهل التأويل فى الشحوم التى أخبر الله تعالى أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم فقال بعضهم هى شحوم الثروب خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قاتل الله اليهود حرم الله عليهم الثروب ثم أكلوا أثمانها * وقال آخرون بل ذلك كان كل شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثرب وكل شحم كان كذلك ليس فى عظم * وقال آخرون بل ذلك شحم الثرب والكلى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله حرمنا عليهم شحومهما قال الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول انما حرمه اسرائيل فنحن نحرمه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثروب والكليتين هكذا هو فى كتابى عن يونس وأنا أحسب انه الكلى * والصواب فى ذلك من القول أن يقال ان الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما الا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم فكل شحم سوى ما استثناه الله فى كتابه من البقر والغنم فانه كان محرما عليهم وبنحو ذلك من القول تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها وأما قوله الا ما حملت ظهورهما فانه يعنى الاشحوم الجنب وما علق بالظهر فانها لم تحرم عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا ما حملت ظهورهما يعنى ما علق بالظهر من الشحوم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما ما حملت ظهورهما فالأليات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح قال الأليات مما حملت ظهورهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو الحوايا﴾ «قال أبو جعفر» والحوايا جمع واحدها حاوياء وحاوية وحوية وهى ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار وهى بنات اللبن وهى المباعر وتسمى المرابض وفيها الامعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا فالحوايا رفع عطفا على الظهور وما التى بعدا لا نصب على الاستثناء من الشحوم وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهى المبعر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أو الحوايا قال المبعر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الحوايا المبعر والمربض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح

الذى جعل كل واحد من بنى آدم وقته خليفة ربه فى الارض وسر الخلافة أن صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق بأخلاقه منكم القائم به وبأوامره فى العباد والبلاد ومن الذى رجع القهقرى الى صفات البهائم وأبطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس فى سجين الطبيعة لغفور رحيم لمن وفقه لمرضاته ورفعه درجاته الله حسبى

۞ سورة الاعراف مكية الا خمس آيات واسألهم عن القرية الى قوله وقطعناهم

حروفها ١٤٢١٠ كلمها ٣٣٢٥ آياتها مائتان وست

﴿تفسير سورة الاعراف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ ۞ القراآت يتذكرون بياء الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر والباقون كما مر فى آخر الانعام ۞ الوقوف المص ○ كوفى للمؤمنين ○ أولياء ط تذكرون ○ قائلون ○ ظالمين ○ المرسلين ○ لا للعطف غائبين ○ الحق ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون ○ يظلمون ○ معايش ط تشكرون ○ ۞ التفسير قد تقدم فى أول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص أنا الله أعلم وأفصل وقال السدى معناه أنا المصور وقيل معناه ألم نشرح لك صدرك هؤلاء بدليل فلا يكن فى صدرك حرج منه كما زاد فى الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز أن يكون المص مبتدأ وكتاب يعنى به السورة خبره والجملة بعده صفته وجاز أن يكون المص خبر مبتدا محذوف وكذا كتاب أى هذه المص هو كتاب أنزل اليك والدليل على أنه منزل من الله تعالى هو أنه ما تلمذ لأستاذ ولا تعلم من معلم ولا طالع

عن مجاهد أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير أو الحوايا قال المباعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير أو الحوايا قال المباعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة والمحاربى عن جويبر عن الضحاك قال المبعر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو الحوايا يعنى البطون غير الثروب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو الحوايا هو المبعر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو الحوايا قال المباعر وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو الحوايا قال الحوايا المرابض التى تكون فيها الامعاء تكون وسطها وهى بنات اللبن وهى فى كلام العرب تدعى المرابض ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ يقول تعالى ذكره ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما أو ما حملت حواياهما فانا أحللنا ذلك لهم والا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضا حلال فرد قوله أو ما اختلط بعظم على قوله الا ما حملت ظهورهما فما التى فى قوله أو ما اختلط بعظم فى موضع نصب عطفا على ما التى فى قوله الا ما حملت ظهورهما وعنى بقوله أو ما اختلط بعظم شحم الأليه والجنب وما أشبه ذلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو ما اختلط بعظم قال شحم الأليه بالعصعص فهو حلال وكل شئ فى القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم فهو حلال حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو ما اختلط بعظم مما كان من شحم على عظم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون﴾ يقول تعالى ذكره فهذا الذى حرمنا على الذين هادوا من الانعام والطير ذوات الاظافير غير المنفرجة ومن البقر والغنم ما حرمنا عليهم من شحومهما الذى ذكرنا فى هذه الآية حرمناه عليهم عقوبة منالهم وثوابا على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون انما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم فعلنا ذلك بهم ببغيهم وقوله وانا لصادقون يقول وانا لصادقون فى خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الانعام والطير التى ذكرنا أنا حرمنا عليهم وفى غير ذلك من أخبارنا وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك انما حرمه اسرائيل على نفسه وأنهم انما حرموه لتحريم اسرائيل اياه على نفسه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يا محمد

كتابا ولم يخالط أهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك أربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والآخرين فلن تبقى شبهة فى انه مستفاد بطريق الوحى القائلون بخلق القرآن زعموا أن الانزال يقتضى الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات وأجيب بأن الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع فى كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف أعراض غير باقية بل يمتنع انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالى وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها (٥٧) بالنزول أجيب بأنه تعالى أحدث هذه

هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم كما بينا فى هذه الآية فقل ربكم ذو رحمة بنا وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه واسعة تسع جميع خلقه المحسن والمسىء لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحرمه ثواب عمله رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه وذلك سطوته وعذابه لا يرده اذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شئ والمجرمون هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود فقل ربكم ذو رحمة واسعة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كانت اليهود يقولون انما حرمه اسرائيل يعنى الثرب وشحم الكليتين فنحن نحرمه فذلك قوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾ يقول جل ثناؤه سيقول الذين أشركوا وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركى قريش لو شاء الله ما أشركنا يقول قالوا احتجارا من الاذعان للحق بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحق وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والانعام على ما قد بين تعالى ذكره فى الآيات الماضية قبل ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وما بعد ذلك لو أراد الله منا الايمان به وافراده بالعبادة دون الاوثان والآلهة وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ما جعلنا لله شريكا ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الاشياء التى نحن على تحريمها مقيمون لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك حتى لا يكون لنا الى فعل شئ من ذلك سبيل اما بأن يضطرنا الى الايمان وترك الشرك به والى القول بتحليل ما حرمنا واما بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير الى الاقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الانداد والاصنام والى تحليل ما حرمنا ولكنه رضى منا ما نحن عليه من عبادة الاوثان والاصنام واتخاذ الشريك له فى العبادة والانداد وأراد ما نحرم من الحروث والانعام فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك قال الله مكذبا لهم فى قيلهم ان الله رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم وراد اعليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم فى ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم بقول كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحق والبيان كذب من قبلهم من فسقة الامم الذين طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه وردوا عليهم نصائحهم حتى ذاقوا بأسنا يقول حتى أسخطونا فغضبنا عليهم فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه فعطبوا بذوقهم اياه فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة يقول وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ان هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عندربهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

الرقوم فى اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال (فلا يكن فى صدرك حرج) أى شك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعنى (منه) أى من شأن الكتاب أى لا تشك فى انه منزل من عند الله أو من تبليغه أى لا يضق صدرك من الاداء وتوجه النهى الى الحرج كقولهم لا أرينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره أمر للمشركين وأنه فى الحقيقة أمر للمؤمنين بأن يغلظوا على المشركين وفى متعلق قوله (لتنذر) أقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفى الكلام تقديم وتأخير أى أنزل اليك لتنذر به فلا يكن فى صدرك حرج وفائدة التقديم والتأخير أن الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانبارى انه متعلق بالنهى واللام بمعنى كى والتقدير فلا يكن فى صدرك شك كى تقدر على انذار غيرك لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب

النظم اللام بمعنى أن كقوله يريدون أن يطفؤا وفى موضع آخر ليطفؤا والتقدير لا يضق صدرك ولا تضعف عن أن تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب أنزله الله عليك واذا علمت أنه تنزيل الله تعالى فاعلم أن عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن فى صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف أحدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا تبال بأحد من أهل الضلال والابطال ثم قال (وذكرى للمؤمنين) قال ابن عباس يريد مواعظ

للمصدقين وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للانذار وللذكرى وانما لم نقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين (٥٨) والتحقيق فيه أن النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا أنها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف وأما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها أنوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وأبصرت مركزها واشتاقت الى ماهنالك من الروح والراحة والريحان فلم تحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه أنزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة وذكرى في شأن طائفة ثم كما أمر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح أمر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) ومعنى كونه منزلا اليهم أنهم مخاطبون بذلك مكلفون به والافهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الآية دلالة على أن تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفادا من القرآن وهو قوله فاعتبروا واعمل بالقرآن أيضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء أولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم أكد الامر المذكور بقوله (ولا تتبعوا من دونه) أي لا تتخذوا من دون الله (أولياء) من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل أي لا تتبعوا من دون دين الله أولياء احتج نفاة القياس بأن الآية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما أنزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما أنزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقال كذلك كذب الذين من قبلهم ثم قال ولو شاء الله ما أشركوا فانهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا الى الله زلفى فأخبرهم الله أنها لا تقربهم وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قال قول قريش يعني ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قول قريش بغير يقين ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة فان قال قائل وما برهانك على أن الله تعالى انما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم رضي الله منا عبادة الاوثان وأراد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والانعام دون أن يكون تكذيبه اياهم كان على قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ وعلى وصفهم اياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون قيل له الدلالة على ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما آتاهم به من عند الله من النهي عن عبادة شئ غير الله تعالى وتحريم غير ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الامم الخالية المكذبة الله ورسوله والتكذيب منهم انما كان لمكذب ولو كان ذلك خبرا من الله عن تكذيبهم في قيلهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بتخفيف الذال وكان ينسبهم في قيلهم ذلك الى الكذب على الله لا الى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام المحرمين ما هم له محرمون من الحروث والانعام القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ولكنه رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم هل عندكم بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه باشراككم في عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا يقول فتظهروا ذلك لنا وتبينوه كما بيناكم مواضع خطاقولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع ان تتبعون الا الظن يقول له قل لهم ان تقولون ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من الاوثان والاصنام ما تعبدون وتحرمون من الحروث والانعام ما تحرمون الا ظنا وحسبانا أنه حق وأنكم على حق وهو باطل وأنتم على باطل وان أنتم الا تخرصون يقول وان أنتم وما أنتم في ذلك كله الا تخرصون يقول الا تتقولون الباطل على الله ظنا بغير يقين علم ولا برهان واضح ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء

العمل بمقتضى القياس كافر لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت الامة على عدم تكفيره أجاب مثبتو القياس بأن كون القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بأنكم أثبتم أن الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع أمتي على الضلالة والفرع لا يكون أقوى من الاصل أجاب المثبتون بأن الآيات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوى الظن وحصل الترجيح * ومن الحشوية من أنكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالآية وأجيب بأن العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال (قليلا ما تذكرون) أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال (وكم من قرية) فوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتأكيد والبيان أي كثير من القرى (أهلكناها) مثل زيد ضربته وتقدير النصب أيضا عربي جيد وفي الآية حذف للقرينة الاهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك أهلها ولكنه يقال التقدير وكم من أهل قرية لقوله (فجاءها بأسنا) والبأس بالاهل أنسب ولقوله أو هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا بهلاكهم ولان معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ أو كما يقال الرجال فعلت * وهنا سؤال وهو ان قوله فجاءها بأسنا يقتضي ان يكون الهلاك مقدما على مجيء البأس ولكن الامر بالعكس والعلماء أجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها أو أردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا

لهداكم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام القائلين على ربهم الكذب في تحريمهم ما حرموا من الحروث والانعام ان عجزوا عن اقامة الحجة عند قيلك لهم هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا وعن اخراج علم ذلك واظهاره وهم لا شك عن ذلك عجزة وعن اظهاره مقصرون لانه باطل لا حقيقة له فتله الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيأ وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والانعام الحجة البالغة دونكم أيها المشركون ويعني بالبالغة أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه وقطع عذره اذا انتهت اليه فيما جعلت حجة فيه فلو شاء لهداكم أجمعين يقول فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للاجماع على افراده بالعبادة والبراءة من الانداد والآلهة والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله وترك اتباع خطوات الشيطان وغير ذلك من طاعاته ولكنه لم يشأ ذلك فخالف بين خلقه فيما شاء منهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لا حجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقال فلو شاء لهداكم أجمعين قال لا يسئل عما يفعل وهو يسئلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الاوثان الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم هلم شهداءكم يقول هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم وأهل العالية من تهامة توحد هلم في الواحد والاثنين والجمع وتذكر في المؤنث والمذكر فتقول للواحد هلم يا فلان وللاثنين والجمع كذلك وللانثى مثله ومنه قول الاعشى

وكان دعا قومه دعوة * هلم الى أمركم قد صرم

بنشدهلم وهلموا وأما أهل السافلة من نجد فانهم يوحدون للواحد وينونون للاثنين ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال هلم وللواحدة من النساء هلمي وللاثنين هلما وللجماعة من الرجال هلموا وللنساء هلممن قال الله لنبيه فان شهدوا يقول يا محمد فان جاؤك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم فلا تشهد معهم فانهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم والمراد به أصحابه والمؤمنون به ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا يقول ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل لهم ولكن اتبع ما أوحي اليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة فتكذب بما هم به مكذبون من احياء الله خلقه بعد مماتهم ونشره اياهم بعد فنائهم وهم بربهم يعدلون يقول وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات وجودهم قيام الساعة

ومنها أن معنى الاهلاك ومعنى مجيء البأس واحد فكأنه قيل وكم من قرية أهلكناها جاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد تجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء البأس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا بعد أن يقال البأس والهلاك يقعان معا

كما يقال أعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها أن ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير أهلكناهم فجاءهم بجيء البأس لأن الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء البأس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله (بياتا) قال الجوهري بيت العدو أي أوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين أو (٦٠) مبيتين ثم قال (أوهم قائلون) والجملة حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءها بأسنا مبيتين أو بائتين أو قائلين وانما حسن ترك الواو وههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا الان واو الحال قريب من واو العطف لانها استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا أما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وكأنه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاه والأمن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق أمارة

أيا راقد الليل مسرورا بأوله
ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

فقوم لوط أهلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجيء البأس فقال (فما كان دعواهم) أي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على أنفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على أنفسهم بالشرك وقال أهل اللغة الدعوى ابن اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين أي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعواهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز أن يكون نصبا أو رفعا كما سبق في اعراب قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا آجلا فقال (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) نسأل

بالله يعدلون الاوثان والاصنام فيجعلونها له عدلا ويتخذونها له ندا يعبدونها من دونه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا يقول قل أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب وقالوا أمرنا الله به قال الله لرسوله فان شهدوا فلا تشهد معهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا قال البحائر والسيب ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقا يقينا لا الباطل تخرصكم على الله الكذب والفرية تظنا ولكن وحيا من الله أوحاه الي وتنزيلا أنزله علي أن لا تشركوا بالله شيأ من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والاصنام ولا تعبدوا شيأ سواه وبالوالدين احسانا يقول وأوصى بالوالدين احسانا وحذف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب وأما أن في قوله أن لا تشركوا به شيأ فرفع لان معنى الكلام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم هو أن لا تشركوا به شيأ واذا كان ذلك معناه كان في قوله تشركوا وجهان الجزم بالنهي وتوجيه لا الى معنى النهي والنصب على توجيه الكلام الى الخبر ونصب تشركوا بأن لا كما يقال أمرتك أن لا تقوم وان شئت جعلت أن في موضع نصب ردا على ما وبيانا عنها ويكون في قوله تشركوا أيضا من وجهي الاعراب نحوما كان فيه منه وأن في موضع رفع ويكون تأويل الكلام حينئذ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أتل أن لا تشركوا به شيأ فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون قوله تشركوا نصبا بأن لا أم كيف يجوز توجيه قوله أن لا تشركوا به على معنى الخبر وقد عطف عليه بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق وما بعد ذلك من جزم النهي قيل جاز ذلك كما قال تعالى ذكره قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم فجعل أن أكون خبرا وأن اسلم عطف عليه وكما قال الشاعر

حج وأوصى بسلمى الأعبدا * أن لا ترى ولا تكلم أحدا * ولا يزل شرابها مبردا

فجعل قوله أن لا ترى خبرا ثم عطف بالنهي فقال ولا تكلم ولا يزل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم فان الله هو رازقكم واياهم ليس عليكم رزقهم فتخافوا بإحيائهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم والاملاق مصدر من قول القائل أملقت من الزاد فانا أملق املاقا وذلك اذا فنى زاده وذهب ماله وأفلس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله

المرسل اليهم عما أجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (ولنسئلن المرسلين) عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ثم قال (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة فى سؤال المرسل اليهم بعد ما أخبر عنهم أنهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب أنهم لما أقروا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم أو التقصير تقريعا وتوبيخا (٦١) فان قيل ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلتحق كل التقصير بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف أسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان أن القوم لعلهم لا يسئلون عن الأعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسئلون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنها أو المراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة فلا تناقض وفى الآية ابطال قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ فى الأرض ولا فى السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة أحوال يوم القيامة وزن الأعمال فقال (والوزن) وهو مبتدأ خبره (يومئذ) وقوله (الحق) صفة المبتدا أى الوزن العدل يوم يسأل الله الأمم ورسلهم وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا أن يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا

ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق الاملاق الفقر قتلوا أولادهم خشية الفقر **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق أى خشية الفاقة **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقتلوا أولادكم من املاق قال الاملاق الفقر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله من املاق قال شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فى قوله من املاق يعنى من خشية فقر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ يقول تعالى ذكره ولا تقربوا الظاهر من الاشياء المحرمة عليكم التى هى علانية بينكم لا تناكرون ركوبها والباطن منها الذى تأتونه سرا فى خفاء لا تجاهرون به فان كل ذلك حرام وقد قيل انما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن لانهم كانوا يستقبحون من معانى الزنا بعضا وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهى عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ولا خبر يقطع العذر بأنه عنى به بعض دون جميع وغير جائز احالة ظاهر كتاب الله الى باطن الا بحجة يجب التسليم لها ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال الآية خاص المعنى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن أما ما ظهر منها فزوانى الحوانيت وأما ما بطن فما خفى **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ما ظهر منها يعنى العلانية وما بطن يعنى السر **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال كانوا فى الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا فى السر ويستقبحونه فى العلانية فحرم الله الزنا فى السر والعلانية ۞ وقال آخرون فى ذلك بمثل الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها **حدثنى** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه ۞ وقال آخرون ما ظهر نكاح الأمهات وحلائل الآباء وما بطن الزنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر جمع بين الأختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا ۞ وقال آخرون فى ذلك بما **حدثنى** اسحق بن زياد العطار البصرى قال ثنا محمد بن اسحق البلخى قال ثنا تميم بن شاكر الباهلى عن عيسى بن أبى حفصة قال سمعت الضحاك يقول

والوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفى كيفية الميزان قولان الأول ما جاء فى الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرها وكيف توزن فيه وجهان أحدهما ان المؤمن تتصور أعماله بصور حسنة وأعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التى تكون فيها أعمال العباد يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتى الميزان

على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع فى الآخر فترجح قال القاضى يجب أن يحمل هذا على (٦٢) انه يأتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية وردا

خلاف الظاهر وبأنه لا يبعد أن يكون ثواب كلمة الشهادة أوفى وأوفر من سائر الأعمال لان معرفة الله تعالى أشرف العقائد والأعمال وروى الواحدى فى البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجزته بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وخلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك وهذه صلواتك التى كنت تصلها على قد وافتك أحوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والأعمش وكثير من المتأخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل فى الأخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك أن أعمال العباد أعراض وأنها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا وقدر بقاؤها وأما قولهم الموزون صحائف الاعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فنقول المكلف يوم القيامة اما أن يكون مقربا بأنه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى عمله بأنه عدل وصواب واما أن لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقية الرجحان أجاب الأولون بأن جميع المكلفين يعترفون يوم القيامة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لأهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر * واختلف العلماء أيضا فى كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيآت وقال آخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف أيضا فى الموازين فقيل انها جمع موزون وأراد الأعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب

فى قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر الخمر وما بطن الزنا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق يعنى بالنفس التى حرم الله قتلها نفس مؤمن أو معاهد وقوله الا بالحق يعنى بما أباح قتلها من أن تقتل نفسا فتقتل قودا بها أو تزنى وهى محصنة فترجم أو ترتد عن دينها الحق فتقتل فذلك الحق الذى أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التى حرم على المؤمنين قتلها به ذلكم يعنى هذه الأمور التى عهد الينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه هى الأمور التى وصانا والكافرين بها أن نعمل بها به لعلكم تعقلون يقول وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن ولا تقربوا ماله الا بما فيه صلاحه وتثميره كما **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال التجارة فيه **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن فليثمر ماله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا فضيل بن مرزوق العنزى عن سليط بن بلال عن الضحاك بن مزاحم فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال يبتغى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيأ **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال التى هى أحسن أن يأكل بالمعروف ان افتقر وان استغنى فلا يأكل قال الله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال وسئل عن الكسوة فقال لم يذكر الله الكسوة انما ذكر الأكل وأما قوله حتى يبلغ أشده فان الأشد جمع شد كما الأضر جمع ضر وكما الأشر جمع شر والشد القوة وهو استحكام قوة شبابه وسنه كما شد النهار ارتفاعه وامتداده يقال أتيته شد النهار ومد النهار وذلك حين امتداده وارتفاعه وكان المفضل فيما بلغنى ينشد بيت عنترة

عهدى به شد النهار كأنما * خضب اللبان ورأسه بالعظلم

ومنه قول الآخر

يطيف به شد النهار ظعينة * طويلة أنقاء اليدين سحوق

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشد اسم مثل الآنك فأما أهل التأويل فانهم مختلفون فى الحين الذى اذا بلغه الانسان قيل بلغ أشده فقال بعضهم يقال ذلك له اذا بلغ الحلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال أخبرنى يحيى بن أيوب عن عمرو بن الحرث عن ربيعة فى قوله حتى يبلغ أشده قال الحلم **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال ثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مثله * قال ابن وهب وقال لى مالك مثله **حدثت** عن

الحمانى

قد توقع لفظا لجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر والمصير الى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأيضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر أهل الموقف فى قسمين منهم من تزيد حسناته على سيآته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم أهل الكفر لانه حكم عليهم بأنهم الذين خسروا أنفسهم بسبب الظلم بآيات الله أى التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم ان العاصى معاقب لكنه يعاقب أياما ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله أبد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل فى الآية دلالة على أن الذى تكون حسناته وسيآته متعادلتين متساويتين غير موجود والله أعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الآجل رغب الخلائق فى قبول دعوة الأنبياء بطريق آخر وهو تذكير النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال (ولقد مكناكم فى الأرض) أقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) هى جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التى تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالأثمار أو بواسطة كالاكتساب والوجه فى معايش تصريح الياء لانها أصلية لا زائدة كصحائف بالهمز فى صحيفة وعن ابن عامر أو نافع فى بعض الروايات الهمز تشبيها بصحائف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بأنهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال (قليلا ما تشكرون)

الحمانى قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر حتى يبلغ أشده قال الأشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيآت * وقال آخرون انما يقال ذلك له اذا بلغ ثلاثين سنة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى حتى يبلغ أشده قال أما أشده فثلاثون سنة ثم جاء بعدها حتى اذا بلغوا النكاح وفى الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف وذلك أن معنى الكلام ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا فادفعوا اليه ماله لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يقرب مال اليتيم فى حال يتمه الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ويحل لوليه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتى هى أسوأ ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له وحفظا عليه ليسلموه اليه اذا بلغ أشده * القول فى تأويل قوله ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها﴾ يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن أوفوا الكيل والميزان يقول لا تبخسوا الناس الكيل اذا كلتموهم والوزن اذا وزنتموهم ولكن أوفوهم حقوقهم وايفاؤهم ذلك اعطاؤهم حقوقهم تامة بالقسط يعنى بالعدل كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقد بينا معنى القسط بشواهده فيما مضى وكرهنا اعادته وأما قوله لا نكلف نفسا الا وسعها فانه يقول لا نكلف نفسا من ايفاء الكيل والوزن الا ما يسعها فيجعل لها ولا تحرج فيه وذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له فأمر المعطى بايفاء رب الحق حقه الذى هو له ولم يكلفه الزيادة لما فى الزيادة عليه من ضيق نفسه بها وأمر الذى له الحق بأخذ حقه ولم يكلفه الرضا بأقل منه لما فى النقصان عنه من ضيق نفسه فلم يكلف نفسا منهما الا ما لا حرج فيه ولا ضيق فلذلك قال لا نكلف نفسا الا وسعها وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده فى موضع غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته * القول فى تأويل قوله ﴿واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذا قلتم فاعدلوا واذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذى يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحق فيما احتكم اليكم فيه وبعهد الله أوفوا يقول وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا وايفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الوفاء بعهد الله وأما قوله ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك هذه الأمور التى ذكرت لكم فى هاتين الآيتين هى الأشياء التى عهد اليكم بها ووصاكم بها وأمركم بالعمل بها لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الأولاد وأد البنات واتباع خطوات الشيطان لعلكم تذكرون يقول أمركم بهذه الأمور التى أمركم بها فى هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد اليكم فيها لتتذكروا عواقب

وفيه اشارة الى أنهم قد يشكرون وقليل من عبادى الشكور * التأويل المص هو الله من لطفه أفرد عباده للمحبة وللمعرفة وأنعم عليهم بالصدق والصبر لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما أنزل من الكتب فى الألواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطن فألقى الألواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن شرف أمته بأن أمرهم باتباع ما أنزل اليهم ليتخلقوا بأخلاق الله وكم من قرية قلب أفسدناها استعدادها لجفاء ها بأسنا أى ازاغة لوهم باصبع

القهارية وأهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون فى نهار الخذلان فما كان ادعاؤهم الايان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الأدب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى أنفسهم ولم يعلموا أن الله تعالى مقلب أفئدتهم وأبصارهم فلنسئلن الذين أرسل اليهم وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما أمرتم أم لا فيكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيب أوهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلن المرسلين سؤال انعام واكرام هل بلغتم (٦٤) وهل وجدتم أممكما قابلى الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فليعلمن انا ما أرسلنا الرسل اليهم عبثا وانما أرسلناهم لأمر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لأهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى أنه يوم القيامة يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والأحوال الكاملة فأولئك هم المفلحون من شر أنانيتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به أعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به أوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به أحواله ولخفيه ميزانا يوزن به أخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق وذلك أنه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو خلق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق بأخلاقه خسروا أنفسهم أفسدوا استعدادها ولقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش ولكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الأمارة بالسوء وقد حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم تمكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى

أمركم وخطأما أنتم عليه مقيمون فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا الى طاعة ربكم وكان ابن عباس يقول هذه الآيات هن الآيات المحكمات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن أبى صالح عن أبى اسحق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس قال هن الآيات المحكمات قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا وهب ابن جرير قال ثنا أبى قال سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال سمع كعب الاحبار رجلا يقرأ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقال والذى نفس كعب بيده ان هذا الأول شئ فى التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن رجل عن الربيع بن خيثم أنه قال لرجل هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد ثم قرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن عمرو بن مرة قال قال الربيع ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفل خاتمها فقرأ هذه الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال جاء اليه نفر فقالوا قد جالست أصحاب محمد فحدثنا عن الوحى فقرأ عليهم هذه الآيات من الانعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ قالوا ليس عن هذا نسألك قال فما عندنا وحى غيره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قلتم فاعدلوا قال قولوا الحق

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى وصاكم به ربكم أيها الناس فى هاتين الآيتين من قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعنى طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده مستقيما يعنى قويما لا اعوجاج به عن الحق فاتبعوه يقول فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يقول ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا منهاجا غيره ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فانها بدع وضلالات فتفرق بكم عن سبيله يقول فيشتت بكم ان اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان اتباعكم اياها عن سبيله يعنى عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه وهو الاسلام الذى وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وصاكم به لعلكم تتقون يقول لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحل بكم نقمته وعذابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن

من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم
شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما (٦٥) ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما

ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال البدع والشبهات
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبعوا السبل البدع
والشبهات حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس قوله فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله وأقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم
أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
يقول لا تتبعوا الضلالات حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حماد عن عاصم
عن أبي وائل عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله
ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها
ثم قرأ هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال سبيله الاسلام وصراطه الاسلام نهاهم أن
يتبعوا السبل سواه فتفرق بكم عن سبيله عن الاسلام حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا
محمد بن ثور عن معمر عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم قال تركنا محمد صلى الله
عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم
فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن
مسعود وان هذا صراطي مستقيما الآية * واختلفت القراء في قراءة قوله وان هذا صراطي
مستقيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وأن بفتح الالف من أن وتشديد
النون رداعلى قوله أن لا تشركوا به شيأ بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ
وأن هذا صراطي مستقيما وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وان بكسر الالف من ان وتشديد النون
منها على الابتداء وانقطاعها عن الاول اذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله
بها عباده دونه عندهم والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء
الامصار وعوام المسلمين صحيح معناهما فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته
وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله كما أمر عباده بالاشياء وان أدخل ذلك مدخل فيما أمر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به ففتح على
ذلك أن فصيب وان كسرها اذ كانت التلاوة قولا وان كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله أتل وهو
يريد اعمال ذلك فيه فصيب وان كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الاول والتلاوة وأن ما أمر النبي

ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا
ملكين أو تكونا من الخالدين
وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين
فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة ونادا هما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة
وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون ۞ القراآت
لأملأن بتليين الهمزة الثانية
حيث كان الاصبهاني عن ورش
وحمزة في الوقف تخرجون من
الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل
ويعقوب وابن ذكوان الباقون
مبنيا للمفعول من الاخراج والله
أعلم ۞ الوقوف الابليس ط لانه
معرفة فلا تصلح الجملة صفة له
الساجدين ○ اذ أمرتك ط
منه ج لانقطاع النظم مع اتحاد
المقول طين ○ الصاغرين ○
يبعثون ○ المنظرين ○ المستقيم
○ لا للعطف شمائلهم ط شاكرين ○
مدحورا ط لان ما بعده ابتداء
قسم محذوف أجمعين ○ الظالمين
○ الخالدين ○ الناصحين ○
بغرور ج لأن جواب لما منتظر
مع الفاء ورق الجنة ط لان الواو
للاستئناف مبين ○ أنفسنا ساكتة للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة
الخاسرين ○ عدو ط لعطف المختلفين الى حين ○ تخرجون ○ ۞ التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا أن خلق أبانا آدم فجعله مسجودا
للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم
منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا

من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة في الارض مسجود الملائكة والغرض من الكل أن التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف وفي طه وفي ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى * وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي أن أمر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس وأجاب المفسرون بوجوه منها أن المضاف محذوف أي خلقنا

أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورنا أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلام أصل البشر نظير قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أي ميثاق أسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل وانما قتله أحدهم ومنها ان المراد من خلقناكم آدم ثم صورناكم أي صورنا ذرية آدم في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم أنا قلنا للملائكة ومنها أن الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيئته بتخصيص كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما أنه أثبت صور كل كائن كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم بعد هذين الامرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رضي الله عنه وهذا التأويل عندي أقرب الوجوه في تأويل هذه الآية وأما أن ابليس هل هو من الملائكة أم لا فقد تقدم في أوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته أما قوله سبحانه (ما منعك أن لا تسجد) فظاهره يقتضي أنه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رضي الله عنهم أقوال أولها وهو الاشهر أن لا صلة زائدة كما في لا أقسم وكما في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم أهل الكتاب وفي ما منعك أن لا تسجد ما منعك أن

صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك فصيب وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي اسحق البصري وأن بفتح الألف من أن وتخفيف النون منها بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن هذا صراطي فخففها اذ كانت أن في قوله أن لا تشركوا به شيأ مخففة وكانت أن من قوله وأن هذا صراطي معطوفة عليها فجعلها نظيرة ما عطفت عليه وذلك وان كان مذهبا فلا أحب القراءة به لشذوذها عن قراءة قراء الامصار وخلاف ما هم عليه في أمصارهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شئ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ثم آتينا موسى الكتاب ثم قل بعد ذلك يا محمد آتى ربك موسى الكتاب فترك ذكر قل اذ كان قد تقدم في أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها ذلك قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقص ما حرم عليهم وأحل ثم قال ثم قل آتينا موسى فحذف قل لدلالة قوله قل عليه وانه مراد في الكلام وانما قلنا ذلك مراد في الكلام لان محمدا صلى الله عليه وسلم لا شك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه انما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ومعلوم أن موسى أوتي الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه وثم في كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله تماما على الذي أحسن فقال بعضهم معناه تماما على المحسنين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تماما على الذي أحسن قال على المؤمنين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تماما على الذي أحسن المؤمنين والمحسنين وكأن مجاهدا وجه تأويل الكلام ومعناه الى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده فان قال قائل فكيف جاز أن يقال على الذي أحسن فيوحد الذي والتأويل على الذين أحسنوا قيل ان العرب تفعل ذلك خاصة في الذي وفي الألف واللام اذا أرادت به الكل والجميع كما قال جل ثناؤه والعصر ان الانسان لفي خسر وكما قالوا أكثر الذي هم فيه في أيدي الناس وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك تماما على الذين أحسنوا وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد واذا كان المعنى كذلك كان قوله أحسن فعلا ماضيا فيكون نصبه لذلك وقد يجوز أن يكون أحسن في موضع خفض غير أنه نصب اذ كان أفعل وأفعل لا يجري في كلامها فان قيل فبأي شئ خفض قيل رد على الذي اذ لم يظهر له ما يرفعه فيكون تأويل الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي هو أحسن ثم حذف هو وجاور أحسن الذي فعرف بتعريفه اذ كان كالمعرفة من أجل أن الألف واللام لا يدخلانه والذي مثله كما تقول العرب مررت بالذي خير منك وشر منك وكما قال الراجز

تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله أراد أن زيادة لا اشارة الى نفي ماعدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور وثانيها أن اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار أي لم يمنعك من ترك السجود شئ كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك والمعنى أنه لم يوجد أحد هذه فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه قال ما دعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة أمر الله تعالى حالة يتجنب منها ويستثقل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد وأقول يمكن ان لا يعلق قوله أن لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا التقدير ما منعك من السجود أن لا تسجد أي لئلا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ماسببه (اذ أمرتك) أمر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على أن مجرد الامر يقتضي الوجوب والالم يترتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والالم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استأنف اللعين قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه أن مثله مستبعد أن يؤمر بما أمر به وتلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال (أنا خير منه) ثم بين هذه المقدمة بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الأجرام اللطيفة كلها وأيضا النار قوية التأثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل أشرف من الانفعال وأيضا النار مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة والنضج وأما الارض فللبرد واليبس تناسب الموت والحياة أشرف من الموت وأيضا فبين التميز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كانت أفضل أوقات عمر الحيوان بخلاف وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية والمخلوق من الافضل أفضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع وأما أن الأشرف لا يجوز أن يؤمر بخدمة الادون فما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات بأسرها ممنوعة أما أن النار أفضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي

ان الزبيري الذي مثل الحلم * مسى (١) بأسلابكم أهل العلم

فأتبع مثل الذي في الاعراب ومن قال ذلك لم يقل مررت بالذي عالم لان عالما نكرة والذي معرفة ولا تتبع نكرة معرفة * وقال آخرون معنى ذلك تماما على الذي أحسن موسى فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن فيما أعطاه الله حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن قال من أحسن في الدنيا تم له ذلك في الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن يقول من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة وعلى هذا التأويل الذي تأوله الربيع يكون أحسن نصبا لأنه فعل ماض والذي بمعنى ما وكان الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن موسى أي آتيناه الكتاب لاتمم له كرامتي في الآخرة تماما على احسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته * وقال آخرون في ذلك معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما على احسان الله الى أنبيائه وأياديه عندهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن قال تماما من الله واحسانه الذي أحسن اليهم وهداهم للاسلام وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعمته عليهم واحسانه وأحسن على هذا التأويل أيضا في موضع نصب على أنه فعل ماض والذي على هذا القول والقول الذي قاله الربيع بمعنى ما وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك تماما على الذي أحسن رفعا بتأويل على الذي هو أحسن حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا الحجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر «قال أبو جعفر» وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وان كان لها في العربية وجه صحيح لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الامصار * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام وأن ايتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسنا أو ثم آتى الله موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بايتائه الكتاب ثم صرفه الخبر بقوله أحسن الى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه الذي الى معنى الجميع فلا دليل في الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه واذا تنوزع في تأويل الكلام كان

(١) في نسخة بأسلافكم بالفاء ولم نعثر على البيت لغيره كتبه مصححه

التركيب فلكل فضيلة فى مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تأمل ماذكرناه فى تفسير قوله سبحانه وتعالى الذى جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم أن طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن فى النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفى الارض الا الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به ردا للكلام وأما ان المخلوق من الافضل أفضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان من النار والتكليف يتناول الحى بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال صلى الله عليه وسلم اثنونى باعمالكم ولا تأتونى بانسابكم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفى كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت أن دعوى اللعين فى قوله أنا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال أو لتشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس أخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول فى جملة المتكبرين على الله فدل ذلك على أنه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس انه كانت الطاعة بابليس أولى من القياس فعصى ربه وقاس وأول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن أن يجاب بأنه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح أمر من كان مخلوقا من النار بسجود من كان مخلوقا من الارض لكان قبح أمر من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق من الارض أولى ويحتمل أن يزيف هذا الجواب بأن الشريف اذا رضى بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح أمره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا بأس وأما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح أمره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا (قال) أى الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف أو قال على لسان بعض ملائكته (فاهبط) يعنى اذا لم تمتثل أمرى فاهبط (منها)

أولى معانيه به أغلبه على الظاهر الا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنى به غير ذلك وأما قوله وتفصيلا لكل شئ فانه يعنى وتبيينا لكل شئ من أمر الدين الذى أمر وابه فتأويل الكلام اذا ثم آتينا موسى التوراة تماما للنعمة عنده وأيادينا قبله تتم به كرامتنا عليه على احسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه وتبيينا لكل ما لقومه وأتباعه اليه الحاجة من أمر دينهم كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتفصيلا لكل شئ فيه حلاله وحرامه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره آتينا موسى الكتاب تماما وتفصيلا لكل شئ وهدى يعنى بقوله وهدى تقويما لهم على الطريق المستقيم وبيانا لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا ورحمة يقول ورحمة منا بهم ورأفة لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة وأما قوله لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون فانه يعنى ايتائى موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى على احسان موسى وتفصيلا لشرائع دينه وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة وليؤمن بلقاء ربه اذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به وبلقائه بعد مماته فيطيع ربه ويصدق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهذا القرآن الذى أنزلناه الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه يقول فاجعلوه اماما تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس واتقوا يقول واحذروا الله فى أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه وتتعدوا حدوده وتستحلوا محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام فاتبعوه بقول فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه وقوله لعلكم ترحمون يقول لترحموا فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين﴾ اختلف أهل العربية فى العامل فى أن التى فى قوله أن تقولوا وفى معنى هذا الكلام فقال بعض نحويى البصرة (١) معنى ذلك ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن كراهية أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا * وقال بعض نحويى الكوفة بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر قال ومعنى الكلام فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اتقوا ان تقولوا قال ومثله بقول الله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * وقال آخرون منهم هو فى موضع نصب قال ونصبه من مكانين أحدهما أنزلناه لئلا يقولوا انما أنزل الكتاب على والآخر من قوله اتقوا قال ولا يصلح فى موضع أن كقوله يبين الله لكم أن تضلوا * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال نصب ان لتعلقها بالانزال لان معنى الكلام وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب

---

(١) الذى فى الفخر أنزلناه «أى القرآن» كراهة أن تقولوا اه وهو الظاهر من المقام تأمل

قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا فى جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة أمر بالهبوط من السماء التى هى مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التى هى مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون) فما يصح (لك أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا أهين وفى ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال النبى صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرنى الى يوم (٦٩) يبعثون) طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده أنه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل (قال) مطلقا (انك من المنظرين) قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله فى موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم أى اليوم الذى يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال آخرون لم يوقت الله تعالى له أجلا والمراد الوقت المعلوم فى علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز أن يعلم أجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب أجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصى فيكون قبيحا أجاب الاولون بأن من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء أو على الكفر والمعاصى كابليس فان اعلامه بوقت أجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام (قال فبما أغويتنى) الاغواء ضد الارشاد وأصل الغى الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض فى جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن أن يتعلق الباء بقوله لأقعدن لان لام القسم تأبى ذلك لا يقال والله بزيد لأمرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفى الذى هو ما وهى تعمل من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فكأنها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شئ من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما أغويتنى أى فبسبب اغوائك اياى أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أى فأقسم باغوائك لأقعدن ومعنى القسم بالاغواء انه من جملة آثار القدرة أى بقدرتك على ونفاذ سلطانك فى لأقعدن وقال فى الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد فكان جديرا بأن يقسم به وهذا يناسب أصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات

على طائفتين من قبلنا فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله وأخبر أنه انما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ولم نؤمر ولم ننه فليس علينا حجة فيما نأتى ونذر اذ لم يأتنا من الله كتاب ولا رسول وانما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا فانهما اليهود والنصارى وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى نخاف ان تقوله قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اليهود والنصارى قال ان تقول قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أما الطائفتان فاليهود والنصارى وأما وان كنا عن دراستهم لغافلين فانه يعنى أن تقولوا وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذى أنزلت عليهم غافلين لا ندرى ما هى ولا نعلم ما يقرؤن وما يقولون وما أنزل اليهم فى كتابهم لانهم كانوا أهله دوننا ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه ولا هو بلساننا فيتخذوا ذلك حجة فقطع الله بانزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن تلاوتهم لغافلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كنا عن دراستهم لغافلين أى عن قراءتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كنا عن دراستهم لغافلين قال الدراسة القراءة والعلم وقرأ ودرسوا ما فيه قال علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هى ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ يقول تعالى ذكره وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا يقول المشركون من عبدة الاوثان من قريش انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أو لئلا يقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا فأمر نافيه ونهينا وبين لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه لكنا أهدى منهم أى لكنا أشد استقامة على طريق الحق واتباعا للكتاب وأحسن عملا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا يقول الله فقد جاءكم بينة من ربكم يقول فقد جاءكم كتاب بلسانكم

كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز أن يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كأنه قيل بأي شئ أغويتني ثم ابتدأ فقال لأقعدن ويرد على هذا القول أن اثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس أضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم أضاف الاغواء الى نفسه والاول يدل على (٧٠) الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة أجابت المعتزلة عن قوله فبما أغويتني بأن قول ابليس واعتقاده ليس بحجة أو المراد انه تعالى لما أمره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى أضاف الغي الى الله وقد يقال لا تحملني على ضربك أي لا تفعل ما أضربك عنده أو المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الأشاعرة نحن لا نبالغ في أن المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيفما كان يرجع الى حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا أنا نقطع بأن الغاوي لا بد له من مغوو ليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور أو التسلسل محال فلا بد أن ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود أما قوله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) فانتصابه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه *

فيه كما عسل الطريق الثعلب

قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيدا الظهر والبطن أي على الظهر والبطن والمراد لأعترضن لهم أي لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل أنه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من أراد المبالغة في تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود * واعلم ان العلماء اختلفوا في أن كفر ابليس كفر عناد أو كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله

عربي مبين حجة عليكم واضحة بينة من ربكم وهدى يقول وبيان للحق وفرقان بين الصواب والخطا ورحمة لمن عمل به واتبعه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم يقول قد جاءكم بينة لسان عربي مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين وحين قلتم لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فهذا قول كفار العرب فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ يقول جل ثناؤه فمن أخطأ فعلا وأشد عدوانا منكم أيها المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته وهي آياته وصدف عنها يقول وأعرض عنها بعد ما أتته فلم يؤمن بها ولم يصدق بحقيقتها وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله فمن أظلم ممن كذب بآيات الله مخرج الخبر عن الغائب والمعني به المخاطبون به من مشركي قريش وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وصدف عنها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وصدف عنها يقول أعرض عنها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يصدفون عن آياتنا يعرضون عنها والصدف الاعراض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصدف عنها أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون أي يعرضون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وصدف عنها فصد عنها وقوله سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب يقول سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله وحقية نبوة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم سوء العذاب يقول شديد العقاب وذلك عذاب النار التي أعدها الله لكفرة خلقه به بما كانوا يصدفون يقول يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يقول جل ثناؤه هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام الا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة أو يأتي بعض آيات ربك يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك من أهل التأويل ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين توفاهم أو يأتي ربك ذلك يوم القيامة أو يأتي بعض آيات ربك طلوع الشمس من مغربها

حدثنا

صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قائل بالثاني لقوله فبما أغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده ورد بأنه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب وهو المعني بكفر العناد ويمكن ان يجاب بأنه أراد بالاغواء أيضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الآية دلالة

على انه لايجب على الله رعاية مصالح العبد فى دينه ولا فى دنياه والا لم يمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الأنبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لايدعوا الا الى الكفر والضلال ثم انه أمات الأنبياء وأبقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك قال الجبائى فى دفع هذا الاعتراض انه لايختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله أحد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل أيضا بدليل قوله تعالى فانكم وما تعبدون (٧١) ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالى الجحيم ولانه لو ضل به أحد لكان بقاؤه مفسدة وقال أبو هاشم يجوز أن يضل به قوم ويكون خلقه جاريا مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة فى الثواب وضعف قول الجبائى بأنا نعلم بالضرورة أن الانسان اذا جلس عنده جلساء السوء وحسنوا فى عينه أمرا من الأمور مرة بعد أخرى فانه لايكون حاله فى الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان المزين للقبائح فى قلوب الكفار والفساق وزيف قول أبى هاشم بأن خلق الزيادة فى الشهوة حجة أخرى لنا فى أنه تعالى لايراعى المصلحة وتقرير الحجة أن خلق تلك الزيادة يوقع فى الكفر وعقاب الأبد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته أن يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شئ لاحاجة اليه والأهم رفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الأهم لطلب الزيادة التى لاضرورة اليها أما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه أحدها (من بين أيديهم) أى أشككهم فى صحة البعث والقيامة (ومن خلفهم) ألقى اليهم أن الدنيا قديمة أزلية وثانيها من بين أيديهم أنفرهم عن الرغبة فى سعادات الآخرة ومن خلفهم أقوى رغبتهم فى لذات الدنيا وطيباتها فالآخرة بين أيديهم لانهم يردون عليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدى من بين أيديهم يعنى الدنيا لانها بين يدى الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الآخرة لانها تأتى بعد ذلك وأما قوله (وعن ايمانهم وعن شمائلهم) فقيل عن أيمانهم فى الكفر والبدعة وعن شمائلهم فى أنواع المعاصى وقيل عن ايمانهم فى الصرف عن الحق وعن شمائلهم فى الترغيب فى الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم أقوى دواعيهم الى السيآت قال ابن الانبارى وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلنى عن يمينك أى من المقدمين

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا أن تأتيهم الملائكة بالموت أو يأتى ربك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك قال آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ماشاء الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول بالموت أو يأتى ربك وذلك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة عند الموت أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يقول طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله فى قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك قال يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد ابن حميد فى حديثه فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا وقال كالبعيرين المقترنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة تقبض الانفس بالموت أو يأتى ربك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا﴾ يقول تعالى ذكره يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية وقيل ان تلك الآية التى أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لاينفعه ايمانه عند مجيئها طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك وماذكر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى عيسى بن عثمان الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل وجرير عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها قال فاذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى واسحق بن شاهين قالا أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان عن يونس عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى الى أن تنتهى الى مستقر لها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لاينكر الناس منها شيأ حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقر لها تحت العرش فيصبح الناس لاينكرون منها شيأ فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة

ولا تجعلني عن شمالك أي من المؤخرين وعن الاصمعي هو عندنا باليمين أي بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى أربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية احداها القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ والها الاشارة بقوله من بين أيديهم وثانيتها القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثتها الشهوة ومحلها الكبد التي عن يمين البدن ورابعتها الغضب ومنشؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة مما لم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين أيديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات أو في الصفات كشبه المجسمة واما في الافعال كشبه المعتزلة في التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه ومحضر منه فيعتقد أن الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات أهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المأمورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق رضي الله عنه ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فأقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأما من يميني فيأتيني من قبل النساء فأقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود قريبا في الطريق والرصد من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك * بقي ههنا بحث وهو انه تعالى كيف قال من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد تختلف حروف الظروف كما تختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فعنى على

من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** مؤمل بن هشام ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية عن يونس عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فاذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** المفضل بن اسحق قال ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد اليامي عن أبيه عن زبيد عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادي قال ذكرت التوبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للتوبة باب بالمغرب مسيرة سبعين عاما أو أربعين عاما فلا يزال كذلك حتى يأتي بعض آيات ربك **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال أنه قال ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما فاذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فيومئذ يؤمن الناس كلهم أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها **حدثنا** أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ثنا ابن عياش قال ثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن مالك بن يخامر عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة وجعفر بن عون بنحوه **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة قال جلس ثلاثة من المسلمين الى مروان بن الحكم بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات ان أولها خروج الدجال فانصرف القوم الى عبد الله ابن عمرو فحدثوه بذلك فقال لم يقل مروان شيأ قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيأ لم أنسه لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة على الناس ضحى أيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها

انه يمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره ونظيره فى المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى و يبتدئ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما طرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقال بعض المفسرين (٧٣) خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة وعلى جهتى اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد أن يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت الحكماء من بين أيديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن أيمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصى مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على أنهما فى اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التى منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هى هذه الموضوعة فى الحوانب الاربعة من البدن وأما فى الظاهر فقد روى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليه من الجهات فأوحى الله تعالى اليهم انه قد بقى للانسان جهتا الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة * قال القاضى هذا

فريبا ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب أظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع فيؤذن لها فى الرجوع حتى اذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع فلم يرد عليها شيأ فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يرد عليها بشئ حتى اذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق قالت ما أبعد المشرق رب من لى بالناس حتى اذا صار الافق كأنه طوق استأذنت فى الرجوع فقيل لها اطلعى من مكانك فتطلع من مغربها ثم قرأ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد أبى حيان عن الشعبى ان ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم فذكر نحوه عن عبد الله بن عمرو **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت عاصم بن أبى النجود يحدث عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن حجاج عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان ابن عسال قال اذا طلعت الشمس من مغربها فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال غدونا الى صفوان بن عسال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان باب التوبة مفتوح من قبل المغرب عرضه مسيرة سبعين عاما فلا يزال مفتوحا حتى تطلع من قبله الشمس ثم قرأ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك الى خيرا **حدثنى** الربيع بن سليمن قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب قال فاذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه **حدثنى** المثنى قال ثنا فهد قال ثنا حماد عن يونس بن عبيد عن ابراهيم بن يزيد التيمى عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت أتت تحت العرش فسجدت فيقال لها اطلعى من حيث غربت ثم قرأ هذه الآية هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن

(١٠ - ابن جرير - ثامن) القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه أن يدخل فى بدن ابن آدم ويخالطه لانه لو أمكنه ذلك لكان بأن يذكره فى باب المغالبة أحق قلت هذا مناف لما فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم أما قوله (ولا تجد أكثرهم شاكرين) فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف وأجاب بعضهم بأنه كان قد رآه فى اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال آخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة فى تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدقه الله

تعالى فى ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادى الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع الكامنة وهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهى بأسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وأما التى تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهى العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة أكثر من استيلاء واحدة لاسيما وهى فى أول الخلقة تكون قوية (٧٤) والعقل يكون ضعيفا وهى بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجدا كثرهم شاكرين (قال) الله تعالى فى جوابه اذا كان هذا عزمك فـ (اخرج منها مذؤما مدحورا) الذام العيب والذأم يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفى المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون أى انكم وانهم على هذا فقوله لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره * قال القاضى كما أن الكافر يتبعه كذلك الفاسق يتبعه فلذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار وأجيب بشرط عدم العفو قوله (و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الآية فيها من المسائل ان قوله اسكن امر تعبد أو أمر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف وأن زوج آدم هى حواء وأن تلك الجنة كانت جنة الخلد أو جنة من جنان السماء أو جنة من جنان الارض وان قوله وكلا أمر اباحة لا أمر تكليف وأن قوله ولا تقربا نهى تنزيه أو نهى تحريم وأن الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص أو بالنوع وانها أى شجرة كانت وأن ذلك الذنب كان صغيرا أو كبيرا وأن الظلم فى قوله فتكونا من الظالمين بأى معنى هو وأن هذه الواقعة وقعت قبل نبوة آدم أو بعدها ونحن قد قضينا الوطر

آمنت من قبل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة عن موسى بن المسيب عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم يوما الى الشمس فقال يوشك أن تجىء حتى تقف بين يدى الله فيقول ارجعى من حيث جئت فعند ذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فهو انه لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع أهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم يا عباد الله توبوا الى الله فانكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الايمان فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس فبيناهم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أنه سمعه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها الآية * وبه قال **حدثنى** حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى بن أبى عتيق انه سمع عبيد بن عمير يتلو يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال يقول تتحدث والله أعلم أنها الشمس تطلع من مغربها * قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك * قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن أبى مليكة أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الآية التى لا ينفع نفسا ايمانها اذا طلعت الشمس من مغربها * قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها **حدثنا** محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ابن عوف عن ابن سيرين قال ثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال كان عبد الله بن مسعود يقول ماذكر من الآيات فقد مضين غير أربع طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض والدجال وخروج يأجوج ومأجوج والآية التى تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله قال يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا

عن جميعها فى سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة (فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب والمصدر الوسواس أيضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه ألقاها اليه أى تكلم معه كلاما خفيا يكرره (ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) قيل اللام لام العاقبة

لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما آل أمرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذى كان غرضه أو لعله رأى فى اللوح المحفوظ أو سمع من الملائكة انه اذا أكل من الشجرة بدت عورته وفى ذلك سقوط حشمته وقوله روري مجهول وارى أى ستر والسوءة فرج الرجل والمرأة ثم بين وسوسة ابليس بانه (قال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) أى الا كراهة أن تكونا ملكين الى قوله انى لكما لمن الناصحين * سؤال كيف يطمع (٧٥) ابليس آدم فى أن يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد سجود الملائكة له ان هذا أحد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا والآدم هم ملائكة الارض أما ملائكة السموات وملائكة العرش والكرسى والملائكة المقربون فما سجدوا البتة لآدم والا كان هذا التطميع فاسدا ورعا يجاب بأنه أراد انه يصير مثل الملك فى البقاء والدوام وزيف بلزوم التكرار من قوله أو تكونا من الخالدين قال الواحدى كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كأن الملعون أتاهما من جهة الملك كقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى واعترض بأنه لا نزاع فى هذه القراءة الشاذة وانما النزاع فى القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بأن آدم لعله رغب فى أن يصير من الملائكة فى القدرة والقوة والبطش والخلقة بأن يصير جوهرا نوريا نيا مقره العرش والكرسى نقل أن عمرو بن عبيد قال للحسن ان آدم وحواء هل صدقاه فى قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين أراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيامة وانه كفر ويمكن أن يقال لو أراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم أن الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعى لم يصل الى آدم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم لا قطعا ولا ظنا وانما أقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من أنفسنا عند الشهوة أن نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم أن الترغيب كان فى مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير * سؤال المقاسمة من الجانبين فكيف يتصور التقاسم بين آدم وابليس والجواب كأنه قال لهما اقسم بالله انى لكما لناصح

خيرا قال فهى طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان * قال شعبة وحدثنا قتادة عن زرارة عن عبد الله بن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور والاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين القرينين * وقال ثنا أبى عن اسرائيل وأبيه عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن عبد الله قال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول لا يزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رأى الناس ذلك آمنوا وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا بشر قال ثنا عبد الله بن جعفر قال ثنا العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال حدثنا أبى عن الحسن بن عقبة أبى ٣ كبران عن الضحاك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنى أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن ابن مسعود فى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه كان يقول فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يقول اذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا ايمانها يقول طلوع الشمس من مغربها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن وهب ابن جابر عن عبد الله بن عمرو يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال آخرون بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها

وقالا له نقسم بالله انك ان صدقت ناصح أو اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها أو أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم (فدلاهما بغرور) أى أوقعهما فيما أراد من تغرير وأصله ان الرجل العطشان يدلى رجليه فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه وقيل أى جرأهما على أكل الشجرة من قولهم فلان يدل على أقرانه فى الحرب كالبازى يدل على صيده قال ابن عباس غرهما بالله يمين

وكان آدم يظن ان لا يحلف أحد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من بعض عبيده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدع عنه (فلما ذاقا الشجرة) فيه دلالة على انهما تناولا اليسير قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر فى آية أخرى فأكلا منها لم يدل على الأكل لان الذوق قد يكون من غير أكل (بدت لهما سوآتهما) ظهرت عوراتهما أى عوراتهما مثل صغت قلوبكما مكان قلبا كما (وطفقا يخصفان) أخذا فى الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج أى يجعلان ورقة على ورقة ليستترا بهما كما تخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم ألا ترى أنهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقلهما من قبح كشف العورة (ألم أنهكما) عتاب من الله وتوبيخ وباقى الآيات مفسر فى سورة البقرة عن ثابت البنانى لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما أصابنى الذى أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقى علينا من التفسير أسرار المتشابهات الواقعة فى هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفى ص يا ابليس ما منعك وفى الحجر يا ابليس مالك حذف المنادى فى هذه السورة لان مضى ذكره هنا أقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك أن لا تسجد وفى ص ما منعك أن تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا فى هذه السورة لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة فى النفى واعلاما بأن المخاطب به ابليس وان شئت قلت جمع فى السورتين ما فى ص وما فى الحجر فقال ما منعك أن تسجد ومالك أن لا تسجد وحذف أن تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقى

ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون عن المسعودى عن القاسم قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث ما لم تطلع الشمس من مغربها أو الدابة أو فتح يأجوج ومأجوج **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت الاقلام وحبس الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجت لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا معاوية بن عبد الكريم قال ثنا الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فذكر نحوه * وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها وأما قوله أو كسبت فى ايمانها خيرا فانه يعنى أو عملت فى تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قيله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها لا ينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك ايمانه بالله ان آمن وصدق بالله ورسله لانها حالة لا تمتنع نفس من الاقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم ايمانهم كحكم ايمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا يمتنع الخلق من الاقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم الى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقا ولفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة اذا هى طلعت من مغربها أعماله ان عمل وكسبه ان اكتسب لتفريطه الذى سلف قبل طلوعها فى ذلك كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا يقول كسبت فى تصديقها خيرا عملا صالحا فهؤلاء أهل القبلة وان كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وان عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال من أدرك بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾ يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انتظروا

ما منعك أن لا تسجد قوله أناخير منه الآية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا أنه زاد في الحجر لفظ الكون فقال لم أكن لأسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل مالك أن لا تكون مع الساجدين قوله أنظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر رب فأنظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا أيضا على الخطاب دون ذكر المنادى بخلاف السورتين وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعو وأنادي نحو قوله ربنا فاغفر أي أدعوك فاغفر فلما حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء وكذلك من قوله انك من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما أغويتني وفي الحجر رب بما أغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه السورة الفاء وكذا في ص فبعزتك لأغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤما ليس في القرآن غيره وانما اختص هذا الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لأقعدن لهم الى آخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذا الذام أشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى اجمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تأخير الأكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسائل ان اقتصاص ما مضى انما لم يقصد به أداء الالفاظ بأعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا أدى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة السهر الى

أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم أو أن يأتي ربك لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها فتطوى صحف الاعمال ولا ينفعكم ايمانكم حينئذ ان آمنتم حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبطل والمسيء من المحسن والصادق من الكاذب وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ومن الناجي منا ومنكم ومن الهالك انا منتظرو ذلك ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا اياه واخلاصنا العبادة له وافرادناه بالربوبية دون ماسواه ويفصل بيننا وبينكم بالحق وهو خير الفاصلين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ اختلف القراء في قراءة قوله فرقوا فروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن دينار أن عليا رضي الله عنه قرأ ان الذين فارقوا دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير قال قال حمزة الزيات قرأها علي رضي الله عنه فارقوا دينهم ۞ وقال ثنا الحسن بن علي عن سفيان عن قتادة فارقوا دينهم وكأن عليا ذهب بقوله فارقوا دينهم خرجوا فارتدوا عنه من المفارقة وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن زائدة عن زهير قال ثنا أبو اسحق أن عبد الله كان يقرؤها فرقوا دينهم وعلى هذه القراءة أعني قراءة عبد الله قراء المدينة والبصرة وعامة قراء الكوفيين وكأن عبد الله تأول بقراءته ذلك كذلك أن دين الله واحد وهو دين ابراهيم الحنيفية المسلمة ففرق ذلك اليهود والنصارى فتهود قوم وتنصر آخرون فجعلوه شيعا متفرقة ۞ والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك ان كل ضال فلدينه مفارق وقد فرق الاحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده فتهود بعض وتنصر آخرون وتمجس بعض وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرقين غير مجتمعين فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفرقون فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب غير أني أختار القراءة بالذي عليه عظم القراء وذلك تشديد الراء من فرقوا ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ان الذين فارقوا دينهم فقال بعضهم عنى بذلك اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكانوا شيعا قال يهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فرقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من اليهود والنصارى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء هؤلاء اليهود والنصارى وأما قوله فرقوا دينهم فيقول تركوا دينهم وكانوا شيعا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك أن

سحر والله أعلم ۞ التأويل ولقد خلقنا أرواحكم ثم صورنا كم أي خلقنا الارواح كم أجسادا كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي ألف عام ولتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط صوركم في الارحام كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولية في الاغلب ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وأنتم في صلبه وهذا من التمكين أيضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولائتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود لما فيه من الاستكبار الناري قال ما منعك خطاب

الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال فى الجواب منعنى تقديرك وقضاؤك ولكنه كان أعور العين اليمنى بصيرا بالعين التى رأى بها أنانيته فقال أنا خير منه أى منعنى خيريتى منه أن أسجد لمن هو دونى واستدل على خيريته بأنه خلق من نار وهى علوية نورانية لطيفة وآدم خلق من طين وهو سفلى ظلمانى كثيف وهذا القياس معارض بأن النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشوء والانماء والاستمساك الذى (٧٨) بقوته يصير الانسان مستمسكا للفيض الالهى ونفخ الروح فيه فاستحق سجود الملائكة لانه صار كعبة حقيقية فلما ابتلى ابليس بالصغار وطرد من الجوار أخذ فى النوح وأيس من الروح ورضى بالبعد واطمأن بالحياة فقال أنظرنى فأجيب الى ما سأل ليكون وبالا عليه ويزيد فى شقوته ولكن لم يجبه بأن لا يذيقه ألم الموت لقوله فى موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما أغويتنى لم تكن حوالته الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لأغوينهم لأقعدن ثم لآتينهم من الجهات التى فيها حظوظ النفس من بين أيديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل الطعن فى الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن أيمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة تركه النصيحة مع أهاليهم وأقاربهم وتركه الأمر بالمعروف مع عامة المسلمين أو المراد من بين أيديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على أنفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال أو من بين أيديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل تركه حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول أن أو من بين أيديهم أثور عليهم أهاليهم وأولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم أثور عليهم آباءهم وأمهاتهم وعن ايمانهم أثور عليهم أحباءهم وعن شمائلهم أثور عليهم أعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعنى شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين على أنفسكما لأن للمحبة نارا ونورا فمن لم يرد نارها لم يجد نورها ومن يرد نارها احترقت أنانيته فيبقى بلا هوية نفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة

اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرقوا فلما بعث محمد أنزل الله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعنى اليهود والنصارى حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن على عن شيبان عن قتادة فارقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى * وقال آخرون عنى بذلك أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن طاوس عن أبى هريرة قال ان الذين فرقوا دينهم قال نزلت هذه الآية فى هذه الأمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن طاوس عن أبى هريرة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال هم أهل الضلالة حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية ابن الوليد قال كتب الى عباد بن كثير قال ثنى ليث عن طاوس عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه برئ ممن فارق دينه الحق وفرقه وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا وأنه ليس منهم ولا هم منه لأن دينه الذى بعثه الله به هو الاسلام دين ابراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فكان من فارق دينه الذى بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنى ويهودى ونصرانى ومتحنف مبتدع قد ابتدع فى الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة ابراهيم المسلم فهو برئ من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه برئ وهو داخل فى عموم قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وأما قوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم نزلت هذه الآية على نبى الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم ثم نسخها الأمر بقتالهم فى سورة براءة وذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله لم يؤمر بقتالهم ثم نسخت فأمر بقتالهم فى سورة براءة * وقال آخرون بل نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم اعلاما من الله له أن من أمته من يحدث بعده فى دينه وليست بمنسوخة لانها خبر لا أمر والنسخ انما يكون فى الامر والنهى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مالك بن مغول عن على بن الأقمر عن أبى الاحوص أنه تلا هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ ثم يقول برئ نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وابن ادريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم عن مالك بن مغول بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا شجاع أبو بدر عن عمرو بن قيس الملائى قال قالت أم سلمة ليتق امرؤ

أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ ثم قرأت ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ قال عمرو بن قيس قالها مرة الطيب وتلا هذه الآية * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قوله لست منهم فى شئ اعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة فى دينه برىء ومن الأحزاب من مشركى قومه ومن اليهود والنصارى وليس فى اعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم لانه غير محال أن يقال فى الكلام لست من دين اليهود والنصارى فى شئ فقاتلهم فان أمرهم الى الله فى أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ويهلك من أراد اهلاكه منهم كافرا فيقبض روحه أو يقتله بيدك على كفره ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه واذ كان غير مستحيل اجتماع الامر بقتالهم وقوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ولم يكن فى الآية دليل واضح على أنها منسوخة ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر كان غير جائز أن يقضى عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة فى كتابنا كتاب اللطيف عن أصول الاحكام وأما قوله انما أمرهم الى الله فانه يقول أنا الذى الى أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ودون كل أحد إما بالعقوبة ان أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يقول ثم أخبرهم فى الآخرة عند ورودهم على يوم القيامة بما كانوا يفعلون فأجازى كلا منهم بما كانوا فى الدنيا يفعلون المحسن منهم بالاحسان والمسىء بالاساءة ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالاحسان أو بالاساءة فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره من وافى ربه يوم القيامة فى موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا بالتوبة والايمان والاقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته وذلك هو الحسنة التى ذكرها الله فقال من جاء بها فله عشر أمثالها و يعنى بقوله فله عشر أمثالها فله عشر حسنات أمثال حسنته التى جاء بها ومن جاء بالسيئة يقول ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله فلا يجزى الا ما ساءه من الجزاء كما وافى الله به من عمله السئ وهم لا يظلمون يقول ولا يظلم الله الفريقين لا فريق الاحسان ولا فريق الاساءة بأن يجازى المحسن بالاساءة والمسىء بالاحسان ولكنه يجازى كلا الفريقين من الجزاء ما هو له لانه جل ثناؤه حكيم لا يضع شيأ الا فى موضعه الذى يستحق أن يضعه فيه ولا يجازى أحدا الا بما يستحق من الجزاء وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع فان قال قائل فان كان الأمر كما ذكرت من أن معنى الحسنة فى هذا الموضع الايمان بالله والاقرار بوحدانيته والتصديق برسوله والسيئة فيه الشرك به والتكذيب لرسوله فلا يجازى أمثال فيجازى

المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على
نارهما فلما التهبت احترقت بلظى
نارها حبة الوصلة ونعب غراب البين
بالفرقة

فبينما نحن فى لهو وفى طرب
بدا سحاب فراق صوبه هطل
وان من كنت مشغوفا بطلعته
مضى وأقفر منه الرسم والطلل
فالصبر مرتحل والوجد متصل
والدمع منهمل والقلب مشتعل

وناداهما ربهما نداء العزة والكبرياء ألم أنهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن فى عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين

واخجلتا من وقوفى باب دارهم
لو قيل لى مغضبا من أنت يا رجل
فانغسل بماء الخجل منهما رعونات
البشرية ولوث العجب والانانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لديه وعلما ان لا منجا ولا ملجأ منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا أنفسنا بأن أوقعناها فى شبكة المحبة لا المحبة تبقينا بالوصال ولا المحنة تفتينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا بتجلى الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما

سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح فى أرض البدن مقام وتمتع فى الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق الخطاب ارجعى من الهبوط وارقى بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

قال فيها أى فى المحبة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى

عالم الحقيقة (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم (٨٠) عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ۞ القراآت وريشا أبو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب أبو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الآخرون بالنصب ربى الفواحش مرسلة الياء حمزة ۞ الوقوف وريشا ط لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب وقف على التقوى خير ط يذكرون ٥ سوآتهما ط لا يؤمنون ٥ أمرنا بها ط بالفحشاء ط ما لا تعلمون ٥ الدين ط تعودون ٥ على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة ج مهتدون ٥ ولا تسرفوا ج لاحتمال الفاء أو اللام المسرفين ٥ من الرزق ط يوم القيامة ط يعلمون ٥ ما لا تعلمون ٥ أجل ج لأن جواب اذا منتظر مع دخول الفاء فيها ولا يستقدمون ٥ ۞ التفسير لما ذكر أن الارض مستقر قال لبنى آدم ذكرانه أنزل كل ما يحتاجون اليه فى الدين والدنيا فقال (يابنى آدم قد أنزلنا) وأيضا لما ذكر واقعة آدم فى انكشاف العورة وانه كان يخصف عليها أتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بأن الستر باب من أبواب التقوى ومعنى انزال اللباس أنه قضى ثمة وكتب أو أنه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال

بها المؤمن وان كان له مثل فكيف يجازى به والايمان انما هو عنده قول وعمل والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة فى الآخرة والانعام عليه بما أعد لأهل كرامته من النعيم فى دار الخلود وذلك أعيان ترى وتعاين وتحس ويلتذ بها لا قول يسمع ولا كسب جوارح قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما معناه من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا فان له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها فان قلت فهل لقول لا اله الا الله من الحسنات مثل قيل له مثل هو غيره وليس له مثل هو قول لا اله الا الله وذلك هو الذى وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التى هى الشرك الا أنه لا يجازى صاحبها عليها الا ما يستحقه عليها من غير اضعافه عليه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد ابن جبير قال لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل من القوم فان لا اله الا الله حسنة قال نعم أفضل الحسنات حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن الأعمش والحسن ابن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة لا اله الا الله حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص قال ثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله قال من جاء بالحسنة قال من جاء بلا اله الا الله قال ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية بن عمرو المعنى عن زائدة عن عاصم عن شقيق من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد وعن عثمان بن الاسود عن مجاهد والقاسم بن أبى بزة من جاء بالحسنة قالوا لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قالوا بالشرك وبالكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن غير وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال لا اله الا الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى المحجل عن ابراهيم من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن أبى المحجل عن أبى معشر عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى المحجل عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أبى المحجل عن أبى معشر قال كان ابراهيم يحلف بالله ما يستثنى أن من جاء بالحسنة لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة من جاء بالشرك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء فى قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثنا ابن وكيع

ومن قرأ رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهرى الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شئ يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا أصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال أما قوله (ولباس التقوى) فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التى هى ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء (٨١) الاشارة كالضمائر فى صلاح العود بسببها واما المفرد الذى هو خير وذلك بدل أو عطف بيان أو صفة بتأويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما لتعظيم لباس التقوى واما أن يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس الموارى للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس أى اللباس الذى أنزله الله تعالى ليوارى به السوأة هو لباس التقوى لأن قوما من أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفت الصدق فى أبواب البر والصدق خير لك من غيره فيعيده أو المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها فى الحروب أو يراد الملبوسات المعدة لأجل اقامة الصلاة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدى وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما يظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الآية ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به وأقرب الى الله

قال ثنا أبى وحدثنا المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم جميعا عن سفيان عن الأعمش عن أبى صالح من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عثمان بن الاسود عن القاسم بن أبى برة من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر عن أشعث عن الحسن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الاعمال ستة موجبة وموجبة ومضعفة ومضعفة ومثل ومثل فاما الموجبتان فمن لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ومن لقى الله مشركا به دخل النار وأما المضعف والمضعف فنفقة المؤمن فى سبيل الله سبعمائة ضعف ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها وأما مثل ومثل فاذا هم العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا الأعمش عن شمر بن عطية عن شيخ من التيم عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله علمنى عملا يقربنى الى الجنة ويباعدنى من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها قال قلت يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هى أحسن الحسنات

وقال قوم عنى بهذه الآية الأعراب فأما المهاجرون فان حسناتهم سبعمائة ضعف أو أكثر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى فى قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال هذه للأعراب وللمهاجرين سبعمائة حدثنا محمد بن نشيط بن هرون الحربى قال ثنا يحيى بن أبى بكر قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن عبد الله بن عمر قال نزلت هذه الآية فى الأعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال قال رجل فما للمهاجرين قال ما هو أعظم من ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما واذا قال الله لشئ عظيم فهو عظيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع قال نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدون عشر أموالهم ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة فان قال قائل وكيف قيل عشر أمثالها فأضيف العشر الى الامثال وهى الامثال وهل يضاف الشئ الى نفسه قيل أضيفت اليها لانه مراد بها فله عشر حسنات أمثالها فالامثال حلت محل المفسر وأضيف العشر اليها كما يقال عندى

(١١ - (ابن جرير) - ثامن)

تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذى يتجمل به فأضاف اللباس الى التقوى كما أضيف الى الجوع والخوف فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده (لعلهم يذكرون) فيعرفون عظيم النعمة فيه ثم حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام أن تكون عبرة لمن يسمعها فقال (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان) الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين

أى فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على منع أولاده عن ان يدخلوا الجنة أقدر ومحل كما أخرج نصب على المصدر أى فتنة مثل اخراج أبويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة ومحل (ينزع عنهما لباسهما) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا فى ان نزع عنهما واللام فى (ليريهما سوآتهما) لام العاقبة أو لام الغرض وقد تقدم فى قوله ليبدى لهما قال ابن عباس يرى آدم (٨٢) سوأة حواء ويرى حواء سوأة آدم وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر

وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى وحمله العلماء على الكراهية لا على التحريم واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار وقيل اللباس الذى هو ثياب الجنة قال الكعبى فى الآية دلالة على أن المعاصى والفتن كلها منسوبة الى الشيطان وأجيب بأنه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعى ثم علل النهى وأكد التحذير بقوله (انه يراكم هو وقبيله) أى جماعته من الثلاثة فصاعدا والقبيل بنو أب واحد وقال ابن قتيبة أى أصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله أى وجماعته (من حيث لا ترونهم) أى يكيدون ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه فى أن الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن الانس كثافة أجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوى شعاع أبصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله فى قوة أبصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو أنه تعالى كشف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال أهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق فى عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك فى عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص ذلك ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم أنفسهم ليس فى استطاعتهم وأن زعم من يدعى رؤيتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صور أنفسهم بأى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل عنهم لكان أولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس أشد وعن مجاهد قال ابليس أعطينا

عشر نسوة (١) فلانه أريد بالامثال مقامها فقيل عشر أمثالها فأخرج العشر مخرج عدد الآبين والمثل مذكر لا مؤنث ولكنها لما وضعت موضع الآيات وكان المثل يقع للمذكر والمؤنث فجعلت خلفا منها فعل بها ما ذكرت ومن قال عندى عشر أمثالها لم يقل عندى عشر صالحات لان الصالحات فعل لا يعد وانما تعد الاسماء والمثل اسم ولذلك جاز العدد به وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك فله عشر بالتنوين أمثالها بالرفع وذلك وجه صحيح فى العربية غير أن القراء فى الامصار على خلافها فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مجتمعة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انى هدانى ربى الى صراط مستقيم يقول قل لهم انى أرشدنى ربى الى الطريق القويم هو دين الله الذى ابتعثه به وذلك الحنيفية المسلمة فوفقنى له دينا قيما يقول مستقيما ملة ابراهيم يقول دين ابراهيم حنيفا يقول مستقيما وما كان من المشركين يقول وما كان من المشركين بالله يعنى ابراهيم صلوات الله عليه لأنه لم يكن ممن يعبد الاصنام واختلفت القراء فى قراءة قوله دينا قيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين دينا قيما بفتح القاف وتشديد الياء الحاقا منهم ذلك بقول الله ذلك الدين القيم وبقوله ذلك دين القيمة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين دينا قيما بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها وقالوا القيم والقيم بمعنى واحد وهما لغتان معناهما الدين المستقيم * والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب الى لانه أفصح اللغتين وأشهرهما ونصب قوله دينا على المصدر من معنى قوله انى هدانى ربى الى صراط مستقيم وذلك ان المعنى هدانى ربى الى دين قويم فاهتديت له دينا قيما فالدين منصوب من المحذوف الذى هو اهتديت الذى ناب عنه قوله انى هدانى ربى الى صراط مستقيم * وقال بعض نحويى البصرة انما نصب ذلك لانه لما قال هدانى ربى الى صراط مستقيم قد أخبر أنه عرف شيأ فقال دينا قيما كأنه قال عرفت دينا قيما ملة ابراهيم وأما معنى الحنيف فقد بينته فى مكانه فى سورة البقرة بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والاوثان ان صلاتى ونسكى يقول وذبحى ومحياى يقول وحياتى ومماتى يقول ووفاتى لله رب العالمين يعنى أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الاوثان لا شريك له فى شئ من ذلك من خلقه ولا لشئ منهم فيه نصيب لانه لا ينبغى أن يكون

---

(١) لا يخفى ما فيه ولعل الأصل ولأنه أريد بالأمثال الآيات وأقيمت الأمثال مقامها قيل الحق تأمل

أربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخا فانى وعن مالك بن دينار ان عدوا يراله ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله والضمير فى انه للشأن وهو تأكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال (انا جعلنا الشياطين) الآية واحتج أهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى أضلهم وأغواهم وبتأكيد هذا النص بقوله انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا اعتذر القاضى بأن المراد من الجعل الحكم بأن الشيطان ولى لمن لا يؤمن أو المراد التخلية بينهم وبينهم (٨٣) كمن يربط الكلب فى داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل وأجيب بأن حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب أنه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبأن الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله (واذا فعلوا فاحشة) قال بعضهم نزلت فى اتخاذهم البحائر والسوائب وقيل فى الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة فى القبح أعنى الكبيرة والمراد أنهم كانوا يفعلون أشياء هى فى أنفسها فواحش ويعتقدون أنها طاعات فوبخوا على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند كل عاقل والثانية ان الله أمرهم بذلك فأجاب عنها بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) فالمعتزلة أن يحتجوا به على أن الشئ انما يقبح لوجه عائد اليه وأن كونه فى نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهى ولهذا أكد هذا المعنى بقوله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) والجواب أن عدم الامر بالفحشاء لا ينافى ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعى الا أنه تعالى مريد لجميع الكائنات وأن شيأ منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال (قل امر ربى بالقسط) قال عطاء والسدى أى بالعدل وعاطهر فى العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وأفعاله

ذلك الا له خالصا وبذلك أمرت يقول وبذلك أمرنى ربى وأنا أول المسلمين يقول وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الامة لربه بأن ذلك كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال النسك فى هذا الموضع الذبح **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ان صلاتى ونسكى قال النسك الذبائح فى الحج والعمرة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونسكى ذبيحتى فى الحج والعمرة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ونسكى ذبيحتى فى الحج والعمرة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل وليس بابن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال ذبحى **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن اسمعيل عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال ذبيحتى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن سفيان عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال ابن مهدى لا أدرى من اسمعيل هذا صلاتى ونسكى قال صلاتى وذبيحتى **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال وذبيحتى **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ونسكى قال ذبحى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ونسكى قال ذبيحتى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك صلاتى ونسكى قال الصلاة الصلاة والنسك الذبح * وأما قوله وأنا أول المسلمين فان محمد بن عبد الأعلى **حدثنا** قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنا أول المسلمين قال أول المسلمين من هذه الأمة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان الداعيك الى عبادة الاصنام واتباع خطوات الشيطان أغير الله أبغى ربا يقول أسوى الله أطلب سيدا يسودنى وهو رب كل شئ يقول وهو سيد كل شئ دونه ومدبره ومصلحه ولا تكسب كل نفس الا عليها يقول ولا تجترح نفس انما الا عليها أى لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى وركبت من الخطيئة سواها بل كل ذى اثم فهو المعاقب باثمه والمأخوذ بذنبه ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول ولا تأثم نفس آثمة باثم نفس أخرى غيرها ولكنها تأثم باثمها وعليه تعاقب دون اثم أخرى غيرها وانما يعنى بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم يقول قل لهم انا لسنا مأخوذين بآثامكم وعليكم عقوبة اجرامكم ولنا جزاء أعمالنا وهذا كما أمره الله جل ثناؤه فى موضع آخر أن يقول لهم لكم دينكم ولى دين وذلك كما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال كان فى ذلك الزمان لا مخرج للعلماء

وأحكامه أما قوله (وأقيموا) فليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل أقيموا (وجوهكم) أى استقبلوا القبلة واستقيموا وأخلصوا (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود كان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدانى لا أصلى الا فى مسجد قومى ثم لما أمر بالتوجه الى القبلة أمر بعده بالدعاء والأظهر أن المراد به أعمال الصلاة سميت دعاء لان أشرف أجزاء الصلاة هو الدعاء والذكر ويمكن أن يقال الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله

وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء فقال (كما بدأكم تعودون) قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون أحياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم مؤمنا أو كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في أول الامر للشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل أهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك (٨٤) (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) وانتصاب فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده أي وخذل أو أضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت به قال القاضي المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة أي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق أن يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز أن يأمر أنبياءه باضلالهم عن الدين كما أمرهم باقامة الحدود المستحقة وأجيب بأن قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبأن الهدى الى الجنة أو الضلال عنها لابد أن يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لأجله حقت على هذه الفرقة الضلالة أعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الأسباب فقال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم بين أن جهلهم مركب لا بسيط فقال (ويحسبون أنهم مهتدون) وفيه أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في أصول الدين بل لابد فيه من القطع واليقين ثم لما أمر بالقسط وكان من جملته أمر اللباس والمأكول والمشروب وأيضا أمر باقامة الصلاة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال (يا بني آدم خذوا زينتكم) عن ابن عباس قال كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر تقيها من الذباب وهي تقول ونهاء اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليتعر وامن الذنوب كما تعروا من الثياب وقال الكلبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم

العابدين الا احدى خلتين احداهما أفضل من صاحبتها اما أمر ودعاء الى الحق أو الاعتزال فلا تشارك أهل الباطل في عملهم وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك وتحب لله وتبغض لله ولا تشارك أحدا في اثم قال وقد أنزل في ذلك آية محكمة قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ الى قوله فيه تختلفون وفي ذلك قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقال من الوزر وزر يوزر فهو وزير ووزر يوزر فهو موزور ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله وعليه وزره فاعملوا ما أنتم عاملوه ثم الى ربكم أيها الناس مرجعكم يقول ثم اليه مصيركم ومنقلبكم فينبئكم بما كنتم فيه في الدنيا تختلفون من الاديان والملل اذ كان بعضكم يدين باليهودية وبعض بالنصرانية وبعض بالمجوسية وبعض بعبادة الاصنام وادعاء الشركاء مع الله والانداد ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر فتعلموا حينئذ من المحسن منا والمسيء ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته والله الذي جعلكم أيها الناس خلائف الارض بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كما الوصائف جمع وصيفة وهي من قول القائل خلف فلان فلانا في داره يخلفه خلافة فهو خليفة فيها كما قال الشماخ

تصيبهم وتخطيني المنايا * وأخلف في ربوع عن ربوع

وذلك كما حدثني الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وهو الذي جعلكم خلائف الارض قال أما خلائف الأرض فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم وأما قوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات فانه يقول وخالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض بأن رفع هذا على هذا بما بسط له من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوله من أسباب الدنيا وهذا على هذا بما أعطاه من الايد والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا وذلك كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ورفع بعضكم فوق بعض درجات يقول في الرزق وأما قوله ليبلوكم فيما آتاكم فانه يعني ليختبركم فيما خولكم من فضله ومنحكم من رزقه فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي ومن المؤدي مما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه والمفرط في أدائه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به

يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يارسول الله نحن أحق بذلك فأنزل الله الآية قال أكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعنى الثياب وأيضا الزينة لاتحصل الا بالستر التام للعورات ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر الوجوب وكل ماسوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة فيه أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية تقتضى وجوب اللبس

ونهاه ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوله تولى وادبارا عنه مع انعامه عليه وتمكينه إياه فى الارض كما فعل بالقرون السالفة وانه لغفور يقول وانه لساتر ذنوب من ابتلى منه اقبالا اليه بالطاعة عند ابتلائه اياه بنعمته واختباره اياه بأمره ونهيه فغط عليه فيها وتارك فضيحته بها فى موقف الحساب رحيم بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التى سلفت بينه وبينه اذ تاب وأناب اليه قبل لقائه ومصيره اليه

(تفسير السورة التى يذكر فيها الاعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿المص﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل قول الله تعالى المص فقال بعضهم معناه أنا الله أفصل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس المص أنا الله أفصل حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عمار بن محمد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله المص أنا الله أفصل * وقال آخرون هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذى هو المصور ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى المص قال هى هجاء المصور * وقال آخرون هى اسم من أسماء الله أقسم ربنا به ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله المص قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة المص قال اسم من أسماء القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هى حروف هجاء مقطعة * وقال آخرون هى من حساب الجمل * وقال آخرون هى حروف تحوى معانى كثيرة دل الله بها خلقه على مراده من كل ذلك * وقال آخرون هى حروف اسم الله الأعظم وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه وتعليل كل فريق قال فيه قولا وما الصواب من القول عندنا فى ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿كتاب أنزل اليك﴾ « قال أبو جعفر » يعنى تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد كتاب أنزله الله اليك ورفع الكتاب بتأويل هذا كتاب ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يضق صدرك يا محمد من الانذار به من أرسلتك لانذاره به وابلاغه من أمرتك بابلاغه اياه ولا تشك فى انه من عندى واصبر بالمضى لامر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولو العزم من الرسل فان الله معك والحرج هو الضيق

فى القدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقى الباقى داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب فى الصلاة والا فسدت صلاته قال أصحاب أبى حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على أقصى وجوه النظافة أخذ للزينة فيكفى فى صحة الصلاة وأجيب بأن اللام فى قوله وأقيموا الصلاة تنصرف الى المعهود السابق وهو صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه يصلى فى الثوب المغسول بماء الورد أما قوله (وكلوا) أى اللحم والدسم (واشربوا) فقد قيل انهما أمر اباحة بالاتفاق فوجب أن يكون أخذ الزينة أيضا على الاباحة وأجيب بأنه لا يلزم من ترك الظاهر فى المعطوف تركه فى المعطوف عليه مع أن الاكل والشرب قد يكونان واجبين أيضا فى الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات و يتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل أيضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل فى المنافع الحل والاباحة وفى قوله (ولا تسرفوا) وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثانى وهو قول أبى بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم أخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وأيضا انهم حرموا على أنفسهم فى وقت الحج ما أحله الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغى أولى من حمله على المنع مما يجوز و ينبغى وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد صاحب المغازى لبس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم أبدان وعلم أديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه قال وما هى قال قوله

كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شئ في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لحالينوس طبا قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله (قل من حرم زينة الله) قال ابن عباس وأكثر المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال (٨٦) آخرون انها تتناول جميع أنواع الزينة من الملابس والمراكب والحلى وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال مهلا يا عثمان فان خصاء أمتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب فقال ان ترهب أمتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال تحدثني نفسي بالسياحة قال سياحة أمتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان أخرج مما أملك فقال الاولى أن تكفي نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتعطيه ما فضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان أطلق خولة فقال ان الهجرة في أمتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني ان لا أغشاها فقال ان المسلم اذا غشي أهله وما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة قال فان نفسي تحدثني ان لا آكل اللحم قال مهلا اني آكل اللحم اذا وجدته ولو سألت الله أن يطعمنيه كل يوم فعله قال فان نفسي تحدثني ان لا أمس الطيب قال مهلا فان جبريل يأمرني بالطيب غبا وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي ومات فليس مني ولو مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي

في كلام العرب وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته في قوله ضيقا حرجا مما أغنى عن اعادته وقال أهل التأويل في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فلا يكن في صدرك حرج منه قال لا تكن في شك منه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فلا يكن في صدرك حرج منه قال شك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة فلا يكن في صدرك حرج منه شك منه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فلا يكن في صدرك حرج منه قال أما الحرج فشك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال سمعت مجاهدا في قوله فلا يكن في صدرك حرج منه قال شك من القرآن * قال أبو جعفر وهذا الذي ذكرته من التأويل عن أهل التأويل هو معنى ما قلنا في الحرج لان الشك فيه لا يكون الا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التي هي وجهته الصحيحة وانما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق لان ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب كما قد بيناه قبل ۞ القول في تأويل قوله ﴿لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ يعني بذلك تعالى ذكره هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره وذكرى للمؤمنين وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ومعناه كتاب أنزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه واذا كان ذلك معناه كان موضع قوله وذكرى نصبا بمعنى أنزلنا اليك هذا الكتاب لتنذر به وتذكر به المؤمنين ولو قيل معنى ذلك هذا كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكر به المؤمنين كان قولا غير مدفوعة صحته واذا وجه معنى الكلام الى هذا الوجه كان في قوله وذكرى من الاعراب وجهان أحدهما النصب بالرد على موضع لتنذر به والآخر الرفع عطفا على الكتاب كأنه قيل المص كتاب أنزل اليك وذكرى للمؤمنين ۞ القول في تأويل قوله ﴿اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الاوثان والاصنام اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى واعملوا بما أمركم به ربكم ولا تتبعوا شيأ من دونه يعني شيأ غير ما أنزل اليكم ربكم يقول لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الاوثان فانهم يضلونكم ولا يهدونكم فان قال قائل وكيف قلت معنى الكلام قل اتبعوا وليس في الكلام موجودا ذكر القول قيل انه وان لم يكن مذكورا صريحا فان في الكلام دلالة عليه وذلك قوله فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به ففي قوله لتنذر به الامر بالانذار وفي الامر بالانذار الامر بالقول لان الانذار قول فكان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولو قيل معناه لتنذر به

واعلم ان كل واقعة تقع فاما أن لا يكون فيها نفع ولا ضر أو يتساوى ضرها ونفعها فوجب الحكم في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وجب لاطلاق الآية وان كان الضرر خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقي القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الآية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا أن نجد نصا خاصا

فى الواقعة فنقضى به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما أن يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضائعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص أولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى أعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت فى الحياة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة وللكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا (٨٧) واما فى الآخرة فانها خالصة لهم فقال (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة) من قرأ بالرفع فلانه خبر بعد خبر فقال أبو على أو على الخبر وللذين آمنوا متعلق به والتقدير هى خالصة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا (يوم القيامة) وعلى هذا يكون فى الحياة ظرفا لآمنوا ويوم القيامة ظرفا للخالصة فيفهم من ذلك انها فى غير يوم القيامة غير خالصة لهم بل تكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون فى الحياة ظرفا للمحذوف أى هى للذين آمنوا غير خالصة فى الحياة الدنيا وهى لهم خالصة يوم القيامة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقى التقدير كما ذكرنا آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين أصول الافعال المحرمة وحصرها فى ستة أنواع لان الجناية اما على الفروج وأشار اليها بقوله (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) واما أن تكون على العقول وهى شرب الخمر واليها الاشارة بقوله (والاثم) وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كأنه خصص أولا ثم عم واما أن تكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض والدين الاشارة بقوله (والبغى بغير الحق) ومعنى بغير الحق أن لا يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا أن يكون لهم فيه

وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم كان غير مدفوع وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله اتبعوا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه اتبع ما أنزل اليك من ربك ويرى أن ذلك نظير قول الله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن اذ ابتدأ خطاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جعل الفعل للجميع اذ كان أمر الله نبيه بأمر أمرا منه لجميع أمته كما يقال للرجل يفرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته أما تستحيون من الله ونحو ذلك من الكلام وذلك وان كان وجها غير مدفوع فالقول الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه وقوله قليلا ما تذكرون يقول قليلا ما تتعظون وتعتبرون فترجعون الحق ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حذر هؤلاء العابدين غيرى والعادلين بى الآلهة والاوثان سخطى لأحل بهم عقوبتى فأهلكهم كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم فكثيرا ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصونى وكذبوا رسلى وعبدوا غيرى فجاءها بأسنا بياتا يقول فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا أو جاءتهم قائلين يعنى نهارا فى وقت القائلة وقيل وكم لان المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الامم السالفة من المثلات بتكذيبهم رسله وخلافهم عليه وكذلك تفعل العرب اذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد كما قال الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة ✻ فدعاء قد حلبت على عشارى

فان قال قائل فان الله تعالى ذكره انما أخبر أنه أهلك قرى فما فى خبره عن اهلاكه القرى من الدليل على اهلاكه أهلها قيل ان القرى لا تسمى قرى ولا القرية قرية الا وفيها مساكن لاهلها وسكان منهم ففى اهلاكها اهلاك من فيها من أهلها وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية والمراد به أهلها والذى قلنا فى ذلك أولى بالحق لموافقته ظاهر التنزيل المتلو فان قال قائل وكيف قيل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وهل هلكت قرية الا بمجىء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها فكيف قيل أهلكناها فجاءها وان كان مجىء بأس الله اياها بعد هلاكها فما وجه مجىء ذلك قوما قد هلكوا وبادوا ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بساكنهم قيل ان لذلك من التأويل وجهين كلاهما صحيح واضح منهجه أحدهما أن يكون معناه وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا اياها عن اتباع ما أنزلنا اليها من البينات والهدى واختيارها اتباع أمر أوليائها المغوين لها عن طاعة ربها فجاءها بأسنا اذ فعلت ذلك بيانا أو هم قائلون فيكون اهلاك الله اياها خذلانه لها عن طاعته ويكون مجىء بأس الله اياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه اياهم والآخر منهما أن يكون الاهلاك هو البأس بعينه فيكون فى ذكر الاهلاك الدلالة على ذكر مجىء البأس وفى ذكر مجىء البأس الدلالة على ذكر الاهلاك واذا كان ذلك كذلك كان سواء عند العرب بدئ بالاهلاك ثم عطف عليه بالبأس أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالاهلاك وذلك

حق فحينئذ يخرج عن أن يكون بغيا واما أن تكون الجناية على الاديان اما بالطعن فى التوحيد واليه أشار بقوله (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أى لا سلطان حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فان قيل الفاحشة وغيرها هى التى نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الآية انما حرم ربى المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله فى ذاته على أمور باعتبارها يجب النهى عنه فيزول الاشكال ثم شدد أمر التكاليف بالآجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال (ولكل أمة أجل) عن

ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى أمهل كل أمة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخرهم عنه والمقصود وعيد أهل مكة وقيل معناه ان أجل العمر لا يتقدم ولا يتأخر سواء الهالك والمقتول وأورد على القول الاول أنه ليس لكل أمة من الامم وقت معين فى نزول عذاب الاستئصال وعلى الثانى انه كان ينبغى أن يقال ولكل انسان أو أحد أجل ويمكن أن يقال الامة هى الجماعة فى كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت فى الآجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته أزيد من ذلك ولا أنقص ولا يقدر على أن يميته الا فى ذلك الوقت لان هذا يقتضى خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا أو صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اختار أن الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان أقل ما يستعمل فى تقليل الاوقات عرفا والساعة فى اصطلاح أهل النجوم جزء من أربعة وعشرين جزأ من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل فى الوقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون وأجيب بأن مجىء الاجل محمول على قرب حضور الاجل كقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتأخر عنه أخرى ۞ التأويل قد أنزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يوارى سوآت الافعال القبيحة فى الظاهر وسوآت الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية بآداب الطريقة فى الباطن وريشا زينة وجمالا فى الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو لباس القلب والروح والسر والخفى فلباس القلب من التقوى هو الصدق فى طلب المولى فيوارى به سوآت الطمع فى الدنيا ومافيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فيوارى به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى فيوارى بها رؤية غير المولى ولباس الخفى من التقوى بقاؤه بهوية المولى فيوارى بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالفتوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك من آيات الله أى ازال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتنكم الشيطان بالدنيا ومافيها ومتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق فى طلب الحق كما أخرج أبويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة

كقولهم زرتنى فأكرمتنى اذا كانت الزيارة هى الكرامة فسواء عندهم قدم الزيارة وأخر الكرامة أو قدم الكرامة وأخر الزيارة فقال أكرمتنى فزرتنى وكان بعض أهل العربية يزعم أن فى الكلام محذوفا ولولا ذلك لم يكن الكلام صحيحا وأن معنى ذلك وكم من قرية أهلكناها فكان مجىء بأسنا اياها قبل اهلاكنا وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ولا من خبر يجب التسليم له واذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التى يجب التسليم لها كان بنا فساده ۞ وقال آخرمنهم أيضا معنى الفاء فى هذا الموضع معنى الواو وقال تأويل الكلام وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتا وهذا قول لا معنى له اذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو فى الكلام فصرفها الى الأغلب من معناها عندهم ما وجد الى ذلك سبيل أولى من صرفها الى غيره فان قال وكيف قيل فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون وقد علمت أن الأغلب من شأن أو فى الكلام اجتلاب الشك وغير جائز أن يكون فى خبر الله شك قيل ان تأويل ذلك خلاف ما اليه ذهبت وانما معنى الكلام وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتا وبعضها وهم قائلون ولو جعل مكان أو فى هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال ولصار الأغلب من معنى الكلام ان القرية التى أهلكها الله جاءها بأسه بياتا وفى وقت القائلة وذلك خبر عن البأس انه أهلك من قد هلك وأفنى من قد فنى وذلك من الكلام خلف ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل اذ لم يفصل القرى التى جاءها البأس بياتا من القرى التى جاءها ذلك قائلة ولو فصلت لم يخبر عنها الا بالواو وقيل فجاءها بأسنا خبرا عن القرية أن البأس أتاها وأجرى الكلام على ما ابتدئ به فى أول الآية ولو قيل فجاءهم بأسنا بياتا لكان صحيحا فصيحا ردا للكلام الى معناه اذ كان البأس انما قصد به سكان القرية دون بنيانها وان كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحو من الذى نال سكانها وقد رجع فى قوله أوهم قائلون الى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها مما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان وان كان فى هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها ولو قيل أوهى قائلة كان صحيحا اذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام فان قال قائل أوليس قوله أوهم قائلون خبرا عن الوقت الذى أتاهم فيه بأس الله من النهار قيل بلى فان قال أوليس المواقيت فى مثل هذا تكون فى كلام العرب بالواو والدال على الوقت قيل ان ذلك وان كان كذلك فانهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالا للجمع بين حرفى عطف اذ كان أو عندهم من حروف العطف وكذلك الواو فيقولون لقيتنى مملقا أو أنا مسافر بمعنى أو وأنا مسافر فيحذفون الواو وهم مريدوها فى الكلام ولما وصفت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن دعوى أهل القرية التى أهلكناها اذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتا أو هم قائلون الا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا الى أنفسهم مسيئين وبربهم آثمين ولأمره ونهيه مخالفين وعنى بقوله جل ثناؤه دعواهم فى هذا الموضع دعاءهم والدعوى فى كلام العرب وجهان أحدهما الدعاء والآخر الادعاء للحق ومن الدعوى التى معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى

الحق وما علما أن فيها هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فأراهما بعد تناول الشجرة إنه يراكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما رأوا في آدم وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم أي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشؤها الصفات الحيوانية فأنتم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم (٨٩) الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام

فما زالت تلك دعواهم ومنه قول الشاعر

وان مذلت رجلي دعوتك أشتفي * بدعوالك من مذل بها فيهون

وقد بينا فيما مضى قبل أن البأس والبأساء الشدة بشواهد ذلك الدالة على صحته بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم وقد تأول ذلك كذلك بعضهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال فقرأ هذه الآية فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الآية فان قال قائل وكيف قيل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك وقد جاءهم بأس الله بالهلاك أقالوا ذلك قبل الهلاك فان كانوا قالوه قبل الهلاك فانهم قالوا قبل مجيء البأس والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم لا قبل ذلك أو قالوه بعد ما جاءهم فتلك حالة قد هلكوا فيها فكيف يجوز وصفهم بقبول ذلك اذا عاينوا بأس الله وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله قيل ليس كل الأمم كان هلاكها في لحظة ليس بين أوله وآخره مهل بل كان منهم من غرق بالطوفان فكان بين أول ظهور السبب الذي علموا أنهم به هالكون وبين آخره الذي عم جميعهم هلاكه المدة التي لا اخفاء بها على ذي عقل ومنهم من متع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياما ثلاثة كقوم صالح وأشباههم فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذي كانت رسل الله تتوعدهم به وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم دعوا ويلنا انا كنا ظالمين فلم يك ينفعهم ايمانهم مع مجيء عبد الله وحلول نقمته بساحتهم فحذر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل اليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله ما حل بمن كان قبلهم من الأمم اذ عصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ۞ القول في تأويل قوله ﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره لنسألن الأمم الذين أرسلت اليهم رسلي ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمري أم عصوني فخالفوا ذلك ولنسألن المرسلين يقول ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم الى الامم هل بلغتهم رسالاتي وأديت اليهم ما أمرتهم بأدائه اليهم أم قصروا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين قال يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم الى قوله غائبين قال يوضع الكتاب يوم القيامة فتكلم بما كانوا يعملون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن

وأنتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين أولياء خلقناهم مستعدين لتولية أمور أهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وحبها قالوا اما وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله أمرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل أمر ربي بالقسط كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون فأهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة وأهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العندية كما قال أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث تضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع

(١٢ - ابن جرير ثامن) وآثارها وزين النفوس بالآداب واقدارها وزين القلوب بالشواهد وأنوارها وزين الارواح بالمعارف وأسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها فمن تصدى لطلب هذه المقامات فهي مباحة له من غير تأخير وقصور وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشواهد الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع على

العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ماظهر منها ارتكاب المناهى وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ماظهر منها تتبع مالانفسهم نصيب منه ولو بذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ماظهر منها ترك أدب من الآداب أو التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون الى شئ فى الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى وهو حد غير الله فانه وضع فى غير موضعه وأن يستغيثوا (٩٠) بغير الله مالم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وأن تقولوا بفتوى النفس وهواها

أو بنظر العقل على الله مالا تعلمون حقيقتها أو تقولوا فى معرفة الله وبيان أحوال السائرين ماليتم به عارفين ولكل أمة من السائرين الى الله أو الى الجنة مدة مضروبة فى الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم ﴿يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴿ القرآن حتى اذا ادّاركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تدارك بالتاء سهل مخير وكذلك قوله تعالى قلتم وقالوا انا اطيرنا وافق الكسائى

السدى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين يقول فلنسألن الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ولنسألن الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال قال مجاهد فلنسألن الذين أرسل اليهم الامم ولنسألن الذين أرسلنا اليهم عما ائتمناهم عليه هل بلغوا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ يقول تعالى ذكره فلنخبرن الرسل ومن أرسلتهم اليه بيقين علم بما عملوا فى الدنيا فيما كنت أمرتهم به وما كنت نهيتهم عنه وما كنا غائبين عنهم وعن أفعالهم التى كانوا يفعلونها فان قال قائل وكيف يسأل الرسل والمرسل اليهم وهو يخبر أنه يقص عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم فى ذلك قيل ان ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد ولا مسئلة تعرّف منهم ما هو به غير عالم وانما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر كما يقول الرجل للرجل ألم أحسن اليك فأسأت وألم أصل فقطعت فكذلك مسئلة الله المرسل اليهم بأن يقول لهم ألم يأتكم رسلى بالبينات ألم أبعث اليكم النذر فتنذركم عذابى وعقابى فى هذا اليوم من كفر بى وعبد غيرى كما أخبر جل ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ونحو ذلك من القول الذى ظاهره ظاهر مسألة ومعناه الخبر والقصص وهو بعد توبيخ وتقرير وأما مسألة الرسل الذى هو قصص وخبر فان الامم المشركة لما سئلت فى القيامة قيل لها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم أنكر ذلك كثير منهم وقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقيل للرسل هل بلغتم ما أرسلتم به أو قيل لهم ألم تبلغوا الى هؤلاء ما أرسلتم به كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال جل ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا اليه من الامم وللمرسل اليهم على وجه التقرير والتوبيخ وكل ذلك بمعنى القصص والخبر فأما الذى هو عن الله منفى من مسألته خلقه فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسؤل ليعلم السائل علم ذلك من قبله فذلك غير جائز أن يوصف الله به لانه العالم بالاشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها وهى المسألة التى نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وبقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون يعنى لا يسأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه لانه العالم بذلك كله وبكل شئ غيره وقد ذكرنا ما روى فى معنى ذلك من الخبر فى غير هذا الموضع فكرهنا اعادته وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم وهذا قول غير بعيد من الحق غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فيقول له أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا حتى يذكره ما فعل فى الدنيا والتسليم لخبر رسول الله صلى الله

فى تنافلتم أخراهم لأولاهم بالامالة الشديدة ابراهيم بن حماد وحمزة وعلى وخلف وقرأ أبو عمرو وغيرابراهيم بن حماد أولاهم بالامالة اللطيفة أخراهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق النجارى والخزاز عن هبيرة فى أخراهم بالامالة الشديدة فآتهم بضم الهاء رويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الا قوله ومن يولهم لا يعلمون بياء الغيبة أبو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التأنيث والتخفيف أبو عمرو وقرأ حمزة وعلى وخلف بفتح ياء تحتانية وبالتخفيف الباقون بتاء التأنيث والتشديد (٩١) غواشى بالياء فى الوقف يعقوب وكذلك كل

عليه وسلم أولى من التسليم لغيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ الوزن مصدر من قول القائل وزنت كذا وكذا أزنه وزنا وزنة مثل وعدته أعده وعدا وعدة وهو مرفوع بالحق والحق به ومعنى الكلام والوزن يوم نسأل الذين أرسل اليهم والمرسلين الحق ويعنى بالحق العدل وكان مجاهد يقول الوزن فى هذا الموضع القضاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ القضاء وكان يقول أيضا معنى الحق ههنا العدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال العدل

* وقال آخرون معنى قوله والوزن يومئذ الحق وزن الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله والوزن يومئذ الحق توزن الاعمال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يوسف بن صهيب عن موسى عن بلال بن يحيى عن حذيفة قال صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام قال ياجبريل زن بينهم فرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات حمل عليه من سيآت صاحبه فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال فذلك قوله والوزن يومئذ الحق

* واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فمن ثقلت موازينه فقال بعضهم معناه فمن كثرت حسناته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد فمن ثقلت موازينه قال حسناته * وقال آخرون معنى ذلك فمن ثقلت موازينه التى توزن بها حسناته وسيآته قالوا وذلك هو الميزان الذى يعرفه الناس له لسان وكفتان ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال لى عمرو ابن دينار قوله والوزن يومئذ الحق قال انا نرى ميزانا وكفتين سمعت عبيد بن عمير يقول يجعل الرجل العظيم الطويل فى الميزان ثم لا يقوم بجناح ذباب * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك هو الميزان المعروف الذى يوزن به وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيآت كما قال جل ثناؤه فمن ثقلت موازينه موازين عمله الصالح فأولئك هم المفلحون يقول فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات والخلود والبقاء فى الجنات لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق ونحو ذلك من الاخبار التى تحقق أن

كلمة سقطت الياء لاجل التنوين أو لاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغيروا والعطف ابن عامر الآخرون بالواو أورثموها وبابه باد غام الثاء أبو عمرو وحمزة وعلى وهشام ۞ الوقوف آياتى لا لان الفاء بعده لجواب الشرط ولاهم يحزنون ○ النار ط خالدون ○ بآياته ط من الكتاب ط يتوفونهم لا لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين ○ فى النار ط أختها ط جميعا لا لما قلنا من النار ط لا يعلمون ○ يكسبون ○ الخياط ط المجرمين ○ غواش ج الظالمين ○ وسعها ط وجعل أولئك خبر الموصول أوجه بناء على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة الجنة ط خالدون ○ الأنهار ط للعطف مع العارض هدانا الله ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق ط لابتداء النداء بانها جزاء بعد انتهاء الحمد والثناء على أنها عطاء تعملون ○

۞ التفسير لما بين أحوال التكليف وأن لكل أحد أجلا معينا لا يتقدم ولا يتأخر بين أنهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا متمردين وقعوا فى أشد العذاب فقال (يا بنى آدم اما يأتينكم) واعرابه مثل ما مر فى سورة البقرة فاما يأتينكم

منى هدى والراجع محذوف أى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون أقطع لعذرهم وأقرب الى الفهم والانس ومعنى آياتى أحكامى وشرائعى الدالة على صحة المبدا والمعاد ثم قطع شأن الجاحدين بقوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كأقوال أصناف المشركين وطوائف المبتدعة والثانى انكار حكم وجد من نبى أو كتاب ثم أخبر عن عاقبة أمرهم فقال (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قيل أى العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج أى أنواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من

السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا فى ذمتنا أن ننصفهم ولا نتعدى عليهم وأن ننذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن النصيب هو ما سبق لهم فى حكم الله تعالى ومشيئته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك أو على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعنى ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كأنه سبحانه بين أنهم وان بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم الا أن ذلك ليس بمانع من أن ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكى يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) وذلك أن حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وانه ههنا جملة شرطية فدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت وأعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون فى الآخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار أى يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم أحد قال فى الكشاف ما وقعت موصولة بأين فى خط المصحف قلت والى رأيت النقل على العكس كما ذكرته فى المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب ومعنى الآية أين الآلهة التى تدعون أى تعبدونهم وتدعونهم فى الشدائد (قالوا) على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف (ضلوا عنا) أى غابوا وذهبوا ولم ينتفع بهم (وشهدوا على أنفسهم) بالاعتراف أو بشهادة الجوارح عند معاينة الموت (أنهم كانوا كافرين) ثم شرح بقية أحوال الكفار وذلك قوله (قال) أى الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبنى على انه سبحانه لا يجوز أن يكلم الكفار وان كان كلام سخط (ادخلوا فى أمم) قيل أى ادخلوا فى النار مع أمم والاولى ان لا يلتزم أمر الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين فى جملة أمم تقدم زمانهم زمانكم فى النار وفيه دليل على ان أصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق (كلما دخلت أمة لعنت أختها) فى الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودى يلعن اليهودى والنصرانى يلعن النصرانى وكذا المجوس وسائر أديان الضلالة واذا لعنت نظيرها فلأن تلعن غيرها أولى (حتى اذا ادارکوا فيها) أى تداركوا بمعنى تلاحقوا

ذلك ميزان يوزن به الاعمال على ما وصفت فان أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته وقال أو بالله حاجة الى وزن الاشياء وهو العالم بمقدار كل شئ قبل خلقه اياه وبعده وفى كل حال أو قال وكيف توزن الاعمال والاعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة وانما توزن الاشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها وذلك لا يجوز الا على الاشياء التى توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة قيل له فى قوله وما وجه وزن الله الاعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها وزن ذلك نظير اثباته اياه فى أم الكتاب واستنساخه ذلك فى الكتاب من غير حاجة به اليه ومن غير خوف من نسيانه وهو العالم بكل ذلك فى كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده بل ليكون ذلك حجة على خلقه كما قال جل ثناؤه فى تنزيله كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم اما بالتقصير فى طاعته والتضييع واما بالتكميل والتتميم وأما وجه جواز ذلك فانه كما حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا عبد الرحمن بن زياد الافريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة الى الميزان فيوضع فى الكفة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياه وذنوبه قال ثم يخرج له كتاب مثل الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فتوضع فى الكفة فترجح بخطاياه وذنوبه فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته فى كفة من كفتى الميزان وكتب سيآته فى الكفة الاخرى ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة فى الكفة التى الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهادا بذلك عليهم وما أشبه ذلك من حججه ويسئل من أنكر ذلك فيقال له ان الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم فى القيامة ويخفف موازين آخرين وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك فما الذى أوجب لك انكار الميزان أن يكون هو الميزان الذى وصفنا صفته الذى يتعارفه الناس أحجة عقل فقد يقال وجه صحته من جهة العقل وليس فى وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة ولا دخول فى جور فى قضية فما الذى أحال ذلك عندك من حجة أعقل أو خبر اذ كان لا سبيل الى حقيقة القول بافساد ما لا يدفعه العقل الا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل الى ذلك وفى عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحق فى ذلك وليس هذا الموضع من مواضع الاكثار فى هذا المعنى على من أنكر الميزان الذى وصفنا صفته اذ كان قصدنا فى هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ولولا ذلك لقرنا الى ما ذكرنا نظائر وفى الذى ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يقول جل ثناؤه ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل باقراره بتوحيد الله والايمان به وبرسوله واتباع

واجتمعوا فى النار وأدرك بعضهم بعضا واستقر معه (قالت أخراهم) أى آخرتهم دخولا فى النار (لاولاهم) دخولا فيها أو أتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لابد وأن يكون مقدما على الضال فى دخول النار واللام بمعنى التعليل أى لاجل أولاهم بذلك لأن خطابهم مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم) الفاء للجزاء (عذابا ضعفا) أى مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه فى أعينهم والسعى فى اخفاء الدلائل قال أبو عبيدة الضعف مثل الشئ مرة واحدة وهو قول الشافعى فى رجل أوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدى يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الأزهرى العرب تريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور على المثلين بدليل قوله عز من قائل فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وأقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وانما قال الشافعى ما قال لان ذلك متيقن وما فوقه مشكوك (قال) أى الله أو خازن النار (لكل) من القادة والأتباع (ضعف) اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم وروجوا أمرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب للشخص الذى يستحق العذاب ظلم وأجيب فى التفسير الكبير بأن عذاب الكفار مؤبد فكل ألم يحصل فانه يعقبه حصول ألم آخر الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب أن يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع أن ذلك العذاب زائد على مقدار ما نستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيثية التابعية والمتبوعية والله أعلم (ولكن لا تعلمون) من قرأه على الغيبة فعناه لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب أو لا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك (وقالت أولاهم لأخراهم) اذ قد حكم الله بأن لكل منا ضعفا (فما كان) أى فما ثبت (لكم علينا من فضل) لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) يحتمل أن يكون من قول القادة وأن يكون من قول الله تعالى فيهم قال فى التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيامة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا أن الكذب يجوز أن يصدر عنهم يوم القيامة الا أن هذا الكلام لا يجوز أن يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بأن لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال (ان

أمره ونهيه فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا بآياتنا يظلمون يقول بما كانوا يجحج الله وأدلته يجحدون فلا يقرون بصحتها ولا يوقنون بحقيقتها كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن مجاهد ومن خفت موازينه قال حسناته وقيل فأولئك ومن فى لفظ الواحد لان معناه الجمع ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد وطنا لكم أيها الناس فى الارض وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ومهادا تمهدونها وفراشا تفترشونها وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة منى عليكم واحسانا منى اليكم قليلا ما تشكرون يقول وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التى أنعمتها عليكم لعبادتكم غيرى واتخاذكم الها سواى والمعايش جمع معيشة * واختلفت القراء فى قراءتها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار معايش بغير همز وقرأه عبد الرحمن الاعرج معائش بالهمز والصواب من القراءة فى ذلك عندنا معايش بغير همز لانها مفاعل من قول القائل عشت نعيش فالميم فيها زائدة والياء فى الحكم متحركة لان واحدها مفعلة معيشة متحركة الياء نقلت حركة الياء منها إلى العين فى واحدها فلما جمعت ردت حركتها اليها السكون ما قبلها وتحركها وكذلك تفعل العرب بالياء والواو اذا سكن ما قبلهما وتحركتا فى نظائر ما رصفنا من الجمع الذى يأتى على مثال مفاعل وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التى تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل فان ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم هذه مدائن وصحائف ونظائر لان مدائن جمع مدينة والمدينة فعيلة من قولهم مدنت المدينة وكذلك صحائف جمع صحيفة والصحيفة فعيلة من قولك صحفت الصحيفة فالياء فى واحدها زائدة ساكنة فاذا جمعت همزت لخلافها فى الجمع الياء التى كانت فى واحدها وذلك انها كانت فى واحدها ساكنة وهى فى الجمع متحركة ولو جعلت مدينة مفعلة من دان يدين وجمعت على مفاعل كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء وربما همزت العرب جمع مفعلة فى ذوات الياء والواو وان كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها اذا جاءت على مفاعل تشبيها منهم جمعها بجمع فعيلة كما تشبه مفعلا بفعيل فتقول مسيل الماء من سال يسيل ثم تجمعها جمع فعيل فتقول هى أمسلة فى الجمع تشبيها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه أبعرة وكذلك يجمع المصير وهو مفعل مصران تشبيها له بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه بعران وعلى هذا همز الأعرج معايش وذلك ليس بالفصيح فى كلامها وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك ولقد خلقناكم فى ظهر آدم أيها الناس ثم صورناكم فى أرحام النساء خلقا مخلوقا ومثالا ممثلا فى صورة آدم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى

الذين كذبوا بآياتنا) وهى الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد (واستكبروا عنها) أى ترفعوا عن قبولها (لا تفتح لهم أبواب السماء) قال ابن عباس أى لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشئ مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقال السدى وغيره لا تفتح لارواحهم أبواب السماء التى هى موضع بهجة الارواح وأما كن سعاداتها كما جاء فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء (٩٤) فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء وقيل بناء على أن الجنة فى السماء معناه ولا يؤذن لهم فى الصعود الى السماء ولا تطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل أى لا تنزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلاثة وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب فى البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه فى مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل من أعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال

لا عيب بالقوم من طول ومن عظم
جسم الجمال وأحلام العصافير

وكان سم الابرة مثلا فى ضيق المسلك حتى قيل أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه فى المضايق المشبهة بأخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل بوزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل ومعناه لانه حبل ضخم من ليف أو خوص من آلات السفن واختار ابن عباس هذا التفسير قائلا ان الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعنى أن الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة والبعير لا يناسبه وأهل التناسخ أولوا الآية بأن الارواح التى كانت فى الابدان البشرية لما عصت وأذنبت فانها بعد موت الابدان ترد من بدن الى بدن

طلحة عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قوله خلقناكم يعنى آدم وأما صورناكم فذريته **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية قال أما خلقناكم فآدم وأما صورناكم فذريته آدم من بعده **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى الارحام **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن ابن سعد قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقناكم خلق آدم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقنا آدم ثم صورنا الذرية فى الارحام **حدثنا** بشر بن آدم قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله آدم من طين ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خلق الله آدم ثم صور ذريته من بعده **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر بن هرون عن نصر بن مشاوش عن الضحاك خلقناكم ثم صورناكم قال ذريته **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى ذريته * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقناكم فى أصلاب آبائكم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سماك عن عكرمة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم فى أصلاب الرجال وصورناكم فى أرحام النساء **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة مثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت الاعمش يقرأ ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم فى أصلاب الرجال ثم صورناكم فى أرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى ظهره ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولقد خلقناكم قال آدم ثم صورناكم قال فى ظهر آدم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد خلقناكم ثم صورناكم فى ظهر آدم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال صورناكم فى ظهر آدم **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال فى ظهر آدم لما تصيرون اليه من الثواب فى الآخرة * وقال آخرون معنى ذلك ولقد خلقناكم فى بطون أمهاتكم ثم صورناكم

ولا تزال تبقى فى التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فتنفذ فى سم الخياط وحينئذ تصير مطهرة عن تلك الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون المارذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين أنهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال (لهم من جهنم مهاد) أى فراش (ومن فوقهم غواش) هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك أى يجللك (٩٥) والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثله فى جوار أعنى انه للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء أو عن اسكان الياء (وكذلك نجزى الظالمين) هم المشركون أو الفسقة الذين ظلموا أنفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وقوله (لا نكلف نفسا الا وسعها) وقدم تفسيره فى آخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبى والا لم يحسن وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل السهل من غير ما حرج وصعوبة فبعدا لمن فاتته وسحقا لمن فارقته ومن جعله خبرا فالعائد محذوف أى لا نكلف نفسا منهم ثم وصف أخلاق أهل الجنة فقال (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى أن يغل وللآية تفسيران الاول أزلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من أن يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن الثانى ان درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة فان أولياء الله تعالى فى دار الدنيا أيضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجة لغيره أحسن من زوجته ولا الى مشتهى ألذ مما رزقه الله وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون

فيها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله الانسان فى الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره وأصابعه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويله ولقد خلقناكم ولقد خلقنا آدم ثم صورناكم بتصويرنا آدم كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالافعال تضيفها اليه والمعنى فى ذلك سلفه وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه الى الحى الموجود والمراد به السلف المعدوم فكذلك ذلك فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم معناه ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان الذى يتلو ذلك قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصور ذريته فى بطون أمهاتهم بل قبل أن يخلق أمهاتهم وثم فى كلام العرب لا تأتى الا بايذان انقطاع ما بعدها عما قبلها وذلك كقول القائل قمت ثم قعدت لا يكون القعود اذ عطف به بثم على قوله قمت الا بعد القيام وكذلك ذلك فى جميع الكلام ولو كان العطف فى ذلك بالواو جاز أن يكون الذى بعدها قد كان قبل الذى قبلها وذلك كقول القائل قمت وقعدت فجائز أن يكون القعود فى هذا الكلام قد كان قبل القيام لان الواو تدخل فى الكلام اذا كانت عطفا لتوجب للذى بعدها من المعنى ما وجب للذى قبلها من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان فى وقت واحد أو وقتين مختلفين أو ان كانا فى وقتين أيهما المتقدم وأيهما المتأخر فلما وصفنا قلنا ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم لا يصح تأويله الا على ما ذكرنا فان ظن ظان أن العرب اذ كانت ربما نطقت بثم فى موضع الواو وفى ضرورة شعر كما قال بعضهم

سألت ربيعة من خيرها * أبا ثم أما فقالت لمه

بمعنى أبا وأما فان ذلك جائز أن يكون نظيره فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شئ منه الى الشاذ من لغاتها وله فى الأفصح الاشهر معنى مفهوم ووجه معروف وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك الى أنه من المؤخر الذى معناه التقديم وزعم أن معنى ذلك ولقد خلقناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم وذلك غير جائز فى كلام العرب لانها لا تدخل ثم فى الكلام وهى مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر وان كانوا قد يقدمونها فى الكلام اذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير وذلك كقولهم قام ثم عبد الله عمرو فأما اذا قيل قام عبد الله ثم قعد عمرو فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان الا بعد قيام عبد الله اذا كان الخبر صدقا فقول الله تبارك وتعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا نظير قول القائل قام عبد الله ثم قعد عمرو وفى أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان الا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل وأما قوله

كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة أولئك الكرام (تجرى من تحتهم الانهار) وهذه من جملة أسباب التنزه والترفه ان أجرى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان أريد بها أنواع المكاشفات وأصناف التجليات (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) النعيم المقيم والفوز العظيم بأن يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف أو بأن أعطى العقل ونصب الادلة وأزاح العلة (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) من قرأ بواو العطف فظاهر ومن حذف (٩٦) الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكأنها تفسرها فلا حاجة الى العطف

المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) بجعله واسطة لهدايتنا أو لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف (ونودوا أن تلكم) بأنه تلكم (الجنة) والضمير للشأن والحديث ويجوز كونه بمعنى أى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكأنه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز أن يكون التبعيد للتعظيم ومعنى (أورثتموها) صارت اليكم كما يصير الميراث الى أهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورث الشرف أو العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان أهل الجنة يرثون منازل أهل النار لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة ترثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله (بما كنتم تعملون) يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل أمارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا أو الملك الموكل بذلك والله تعالى أعلم ﴿التأويل يا بنى آدم اما يأتينكم رسل الهامات من أنفسكم من طريق قلوبكم وأسراركم وفيه ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول أكرمنى الله بالكرامات والمقامات ولم يعط أو كذب بمقامات أعطاها بعض أوليائه أولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى انه

للملائكة اسجدوا لآدم فانه يقول جل ثناؤه فلما صورنا آدم وجعلناه خلقا سويا ونفخنا فيه من روحنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ابتلاء منا واختبارا لهم بالأمر ليعلم الطائع منهم من العاصى فسجدوا يقول فسجد الملائكة الا إبليس فانه لم يكن من الساجدين لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود وقد بينا فيما مضى المعنى الذى من أجله امتحن جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم وأمر إبليس وقصصه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿القول فى تأويل قوله ﴿قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لابليس اذ عصاه فلم يسجد لآدم اذ أمره بالسجود له يقول قال الله لابليس ما منعك أى شئ منعك أن لا تسجد أن تدع السجود لآدم اذ أمرتك أن تسجد قال أنا خير منه يقول قال ابليس أنا خير من آدم خلقتنى من نار وخلقته من طين فان قال قائل أخبرنا عن ابليس ألحقته الملامة على السجود أم على ترك السجود وان تكن لحقته الملامة على ترك السجود فكيف قيل له ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وان كان النكير على السجود فذلك خلاف ما جاء به التنزيل فى سائر القرآن وخلاف ما يعرفه المسلمون قيل ان الملامة لم تلحق ابليس الا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم اذ أمره بالسجود له غير أن فى تأويل قوله ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافا أبدأ بذكر ما قالوا ثم أذكر الذى هو أولى ذلك بالصواب فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك ما منعك أن تسجد ولا ههنا زائدة كما قال الشاعر

أبى جوده لا البخل واستعجلت به * نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

وقال فسرته العرب أبى جوده البخل وجعلوا الزائدة حشوا ههنا وصلوا بها الكلام قال وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجر البخل ويجعل لا مضافة اليه أراد أبى جوده لا التى هى للبخل ويجعل لا مضافة لأن لا قد تكون للجود والبخل لأنه لو قال له امنع الحق ولا تعط المسكين فقال لا كان هذا جودا منه * وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله غير أنه زعم أن العلة فى دخول لا فى قوله أن لا تسجد أن فى أول الكلام جحدا يعنى بذلك قوله لم يكن من الساجدين فان العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد الجحد كالاستيثاق والتوكيد له قال وذلك كقولهم

ما ان رأينا مثلهن لمعشر * سود الرؤس فوالج وفيول

فأعاد على الجحد الذى هو ما جحدا وهو قوله ان فجمعهما للتوكيد * وقال آخر منهم ليست لا بحشو فى هذا الموضع ولا صلة ولكن المنع ههنا بمعنى القول وانما تأويل الكلام من قال لك لا تسجد اذ أمرتك بالسجود ولكن دخل فى الكلام أن اذ كان المنع بمعنى القول لا فى لفظه كما يفعل ذلك فى سائر الكلام الذى يضارع القول وهو له فى اللفظ مخالف كقولهم ناديت أن لا تقم وحلفت أن لا تجلس وما أشبه

جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد أن كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون أنهم كانوا كافرين ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار وقدم الجن لان الله تعالى خلق أولا بنى الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى أهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة (٩٧) وقيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت أمة فى أعمال أهل النار لعنت أختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا تدارك الكل فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الكل ضعف لأن المتأخر أيضا متقدم الذى يتلوه و بستن بسنته ولكن لا تعلمون أنكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم أبواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط أحكام الشريعة وآداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ماسوى الله أدق من الشعرة بألف مرة فلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صارت أنفسهم فى حمل الاوزار كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فتذهبهم وتحرق أنانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا

ذلك من الكلام وقال بعض من روى أبى جوده لا البخل بمعنى كلمة البخل لان لاهى كلمة البخل فكأنه قال كلمة البخل وقال بعضهم معنى المنع الحول بين المرء وما يريده قال والممنوع مضطر به الى خلاف ما منع منه كالممنوع من القيام وهو يريده فهو مضطر من الفعل الى ما كان خلافا للقيام اذ كان المختار للفعل هو الذى له السبيل اليه والى خلافه فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله قال فلما كانت صفة المنع ذلك خوطب ابليس بالمنع فقيل له ما منعك ألا تسجد كان معناه كأنه قيل له أى شئ اضطرك الى أن لا تسجد * قال أبو جعفر والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال ان فى الكلام محذوفا وقد كفى دليل الظاهر منه وهو أن معناه ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين قوله الا ابليس لم يكن من الساجدين أن ذلك معنى الكلام من ذكره ثم عمل قوله ما منعك فى أن ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لوظهر اذ كان قد ناب عنه وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شئ لا معنى له وأن لكل كلمة معنى صحيحا فتبين بذلك فساد قول من قال لا فى الكلام حشو لا معنى لها وأما قول من قال معنى المنع ههنا القول فلذلك دخلت لا مع أن فان المنع وان كان قد يكون قولا وفعلا فليس المعروف فى الناس استعمال المنع فى الامر بترك الشئ لان المأمور بترك الفعل اذا كان قادرا على فعله وتركه ففعله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله الا على استكراه للكلام وذلك ان المنع من الفعل حول بينه و بينه فغير جائز ان يكون وهو محول بينه و بينه فاعلا له لانه ان جاز ذلك وجب ان يكون محولا بينه و بينه لا محولا وممنوعا لا ممنوعا وبعد فان ابليس لم يأمر لامر الله تعالى بالسجود لآدم كبرا فكيف كان يأمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم فيجوز أن يقال له أى شئ قال لك لا تسجد لآدم اذ أمرتك بالسجود له ولكن معناه ان شاء الله ما قلت ما منعك من السجود له فأحوجك أو فأخرجك أو فاضطرك الى أن لا تسجد له على ما بينت وأما قوله أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فانه خبر من الله جل ثناؤه عن جواب ابليس اياه اذ سأله ما الذى منعه من السجود لآدم فاحوجه الى أن لا يسجد له واضطره الى خلافه أمره به وتركه طاعته أن المانع كان له من السجود والداعى له الى خلافه أمر ربه فى ذلك أنه أشد منه يدا وأقوى منه قوة وأفضل منه فضلا لفضل الجنس الذى منه خلق وهو النار من الذى خلق منه آدم وهو الطين فجهل عدو الله وجه الحق وأخطأ سبيل الصواب اذ كان معلوما أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوا والذى فى جوهرها من ذلك هو الذى حمل الخبيث بعد الشقاء الذى سبق له من الله فى الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه فاورثه العطب والهلاك وكان معلوما أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبت وذلك الذى فى جوهره من ذلك كان الداعى لآدم بعد السعادة التى كانت سبقت له من ربه فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس يعنيان بذلك

(١٣ ابن جرير - ثامن) نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن

أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ (٩٨) القراآت نعم بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح مؤذن بغير همز النجاري عن ورش

ويزيد والشموني وحمزة في الوقف أن مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب ۞ الوقوف حقاج لانتهاء الاستفهام نعم ج للعطف مع الابتداء بالتأذين على الظالمين ○ لا لأن الذين صفتهم عوجا ج لاحتمال الواو الاستئناف أو الحال كافرون ○ لان ما بعده لم يدخل في التأذين ولم يجز أن يكون حالا لاجاب ج لتناهي حال الفئتين واتفاق الجملتين بسماهم ط يطمعون ○ أصحاب النار لا لأن ما بعده جواب اذا الظالمين ○ تستكبرون ○ برحمة ط لتناهي الاستفهام والاقسام تحزنون ○ رزقكم الله ط الكافرين ○ الحياة الدنيا ج للابتداء مع فاء التعقيب هذا لا وما مصدرية كما في كما نسوا والتقدير ننساهم كنسيانهم وجحودهم يجحدون ○ يؤمنون ○ الا تأويله ط بالحق ج لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا نعمل ط يفترون ○ ۞ التفسير ولما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار أتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال (ونادى) وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه من حيث تحقق وقوعه كالماضي والظاهر أن هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قيل الجنة في أعلى السموات والنار في أسفل الارض هو ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء وأجيب بأن البعد الشديد والقرب القريب عند الله ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلا يسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل أهل الجنة لكل أهل النار لان أصحاب الجنة وأصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وأن في أن قد وجدنا مفسرة أو مخففة من الثقيلة كما مر في

القياس الخطا وهو هذا الذي ذكرنا من خطا قوله وبعده من اصابة الحق في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه من خلقه اياه بيده ونفخه فيه من روحه واسجاده له الملائكة وتعليمه أسماء كل شئ مع سائر ما خصه به من كرامته فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحا وقصد الى الاحتجاج بأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين وهو في ذلك أيضا له غير كفؤ ولم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شئ غيره فكيف والذي خص به من كرامته يكثر تعداده وعلى احصاؤه حدثني عمرو بن مالك قال ثنا يحيى بن سليم الطائفي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد ابن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن قوله خلقتني من نار وخلقته من طين قال قاس ابليس وهو أول من قاس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس استكبر لما كان حدث نفسه من كبره واغتراره فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله خلقتني من نار قال ثم جعل ذريته من ماء ○ قال أبو جعفر وهذا الذي قاله عدو الله ليس لما سأله عنه بجواب وذلك ان الله تعالى ذكره قال له ما منعك من السجود فلم يجب بأن الذي منعه من السجود انه خلقه من نار وخلق آدم من طين ولكنه ابتدأ خبرا عن نفسه فيه دليل على موضع الجواب فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه قال الله لابليس عند ذلك فاهبط منها وقد بينا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فما يكون لك أن تتكبر فيها يقول تعالى ذكره فقال الله له اهبط منها يعني من الجنة فما يكون لك يقول فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمري فان قال قائل هل لأحد ان يتكبر في الجنة قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك فاهبط من الجنة فانه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله فأما غيرها فانه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكبر لطاعته وقوله فاخرج انك من الصاغرين يقول فاخرج من الجنة انك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذل والمهانة يقال منه صغر يصغر صغرا وصغارا وصغرانا وقد قيل صغر يصغر صغرا وصغارة وبنحو الذي قلنا قال السدي حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين﴾ وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله اليه وذلك انه سأل النظرة الى قيام الساعة وذلك

قوله أن تلكم الجنة وكذا قوله أن لعنة الله لان النداء والتأذين فى معنى القول قال ابن عباس (وجدنا ما وعدنا ربنا) فى الدنيا من الثواب (حقا) صحيحا مطابقا للواقع (فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العقاب (حقا) والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن فى قلب العدو وفى هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما فى سائر الاخبار وانما حذف المفعول فى وعد ربكم لدلالة المفعول فى وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين (٩٩) ويحتمل أن يكون الاطلاق ليتناول كل

هو يوم يبعث فيه الخلق ولو أعطى ما سأل من النظرة كان قد أعطى الخلود وبقاء لا فناء معه وذلك أنه لا موت بعد البعث فقال جل ثناؤه له انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك الى اليوم الذى قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء لأنه لا شئ يبقى فلا يفنى غير ربنا الحى الذى لا يموت يقول الله تعالى ذكره كل نفس ذائقة الموت والانظار فى كلام العرب التأخير يقال منه أنظرته بحق عليه أنظره به انظارا فان قال قائل فان الله قد قال له اذ سأله الانظار الى يوم يبعثون انك من المنظرين فى هذا الموضع فقد أجابه الى ما سأل قيل له ليس الامر كذلك وانما كان مجيبا له الى ما سأل لو كان قال له انك من المنظرين الى الوقت الذى سألت أو الى يوم البعث أو الى يوم يبعثون أو ما أشبه ذلك مما يدل على اجابته الى ما سأل من النظرة وأما قوله انك من المنظرين فلا دليل فيه لولا الآية الاخرى التى قد بين فيها مدة انظاره اياه اليها وذلك قوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم على المدة التى أنظره اليها لانه اذا أنظره يوما واحدا أو أقل منه أو أكثر فقد دخل فى عداد المنظرين وتم فيه وعد الله الصادق ولكنه قد بين قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه فعلم بذلك الوقت الذى أنظر اليه وبنحو ذلك كان السدى يقول حدثنى يونس بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فلم ينظره الى يوم البعث ولكن أنظره الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ فى الصور النفخة الاولى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فمات فتأويل الكلام قال ابليس لربه أنظرنى أى أخرنى وأحلنى وأنسئ فى أجلى ولا تمتنى الى يوم يبعثون يقول الى يوم يبعث الخلق فقال تعالى ذكره انك من المنظرين الى يوم ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فان قال قائل فهل أحد منظر الى ذلك اليوم سوى ابليس فيقال له انك منهم قيل نعم من لم يقبض الله روحه من خلقه الى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة فهم من المنظرين بآجالهم اليه ولذلك قيل لابليس انك من المنظرين بمعنى انك ممن لا يميته الله الا ذلك اليوم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ يقول جل ثناؤه قال ابليس لربه فبما أغويتنى يقول فبما أضللتنى كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فبما أغويتنى يقول أضللتنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فبما أغويتنى قال فبما أضللتنى وكان بعضهم يتأول قوله فبما أغويتنى بما أهلكتنى من قولهم غوى الفصيل يغوى غوى وذلك اذا فقد اللبن فمات من قول الشاعر

معطفة الاثناء ليس فصيلها ✻ برازئها درا ولا ميت غوى

وأصل الاغواء فى كلام العرب تزيين الرجل للرجل الشئ حتى يحسنه عنده غار الله وقد حكى عن بعض قبائل طى أنها تقول أصبح فلان غاويا أى أصبح مريضا وكان بعضهم يتأول ذلك أنه بمعنى القسم كأن معناه عنده فبأغوائك إياى لأقعدن لهم صراطك المستقيم كما يقال بالله لأفعلن

ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة (قالوا نعم) قال سيبويه نعم عدة وتصديق أى تستعمل تارة عدة وتارة تصديقا فاذا قال أتعطينى قال نعم فهو عدة واذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل أن نعم للتصديق فى الخبر والتحقيق فى الاستفهام مثبتين كانا أو منفيين فلو قيل قام زيد أو أقام زيد فتقول نعم كان معناه نعم قام زيد مصدقا أو محققا ولو قيل ما قام زيد أو ألم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا أو محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا فى جواب ألست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل ألیس لى عليك دينار فقلت نعم التزمت بالدينار بناء على العرف الطارئ بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروى عن عمر أنه سأل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر أما النعم فالابل قولوا نعم وأنكر هذه الرواية أبو عبيد (فأذن مؤذن) قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يأمره الله فينادى نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار ومعنى التأذين النداء والتصويت للاعلام ومنه الاذان لأنه اعلام بالصلاة وبوقتها والظالمون فى الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر أنهم الكفار لان الصد عن سبيل الله

أى المنع عن قبول الدين الحق بالقهر أو بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات فى الدلائل وهو المراد بقوله (ويبغونها عوجا) وقد مر فى آل عمران والكفر بالآخرة كلها من أوصاف الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا لفواصل الآى ولم يزد لفظة هم هنا على القياس وأما فى سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وقال ألا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك التبس أنهم هم أم غيرهم فكرر ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف أهل الجنة والنار فقال (وبينهما) يعنى بين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور فى قوله سبحانه

فضرب بينهم بسور له باب قيل أى حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم فى أسفل سافلين وأجيب بأن بعد أحدهما عن الآخر لا يمنع أن يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه والاعراف فى الآية يفسر بالمكان تارة وبغيره أخرى أما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الأعراف أعلى أعالى السور المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس وعنه أيضا أن الأعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان أحدهما أنهم أقوام يكونون فى الدرجة العليا من الثواب وثانيهما أنهم فى الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه فقال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه أن الرجل لغة يطلق على من يصلح أن يكون من نوعه أنثى بل يطلق على الذكر من بنى آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالى اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثانى قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أوقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم تؤل عاقبة أمرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امهاتهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفى هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحرث انهم مساكين أهل الجنة وقال قوم هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف وأما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة أهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام أو بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا أدرى لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال قوم يعرفون أهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة مبيضة وأهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بأن هذا النوع من المعرفة عام لاهل الجنة فلا وجه لتخصيص أصحاب الاعراف بذلك ويمكن أن يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة آمنين وقال المحققون انهم كانوا

كذا وكان بعضهم يتاول ذلك بمعنى المجازاة كأن معناه عنده فلأنك أغويتنى أو فبأنك أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم وفى هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك اليه وأن السبب الذى به يصل المؤمن الى الايمان هو السبب الذى به يصل الكافر الى الكفر وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا لكان الخبيث قد قال بقوله فبما أغويتنى فبما أصلحتنى اذ كان سبب الاغواء هو سبب الاصلاح وكان فى اخباره عن الاغواء اخبار عن الاصلاح ولكن لما كان سبباهما مختلفين وكان السبب الذى به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك اليه فقال فبما أغويتنى وكذلك قال محمد بن كعب القرظى فيما حدثنى موسى ابن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو مودود سمعت محمد بن كعب القرظى يقول قاتل الله القدرية لابليس أعلم بالله منهم وأما قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فانه يقول لأجلسن لبنى آدم صراطك المستقيم يعنى طريقك القويم وذلك دين الله الحق وهو الاسلام وشرائعه وانما معنى الكلام لأصدن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم كما أغويتنى ولأضلنهم كما أضللتنى وذلك كما روى عن سبرة بن الفاكه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه فجاهد وروى عن عون بن عبد الله فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق مكة والذى قاله عون وان كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله وانما أخبر عدو الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيأ دون شئ فالذى روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل لان الخبيث لا يألو عباد الله الصد عن كل ما كان لهم قربة الى الله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل فى معنى المستقيم فى هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صراطك المستقيم قال الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا يقول لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال سبيل الحق فلا ضلنهم الا قليلا

* واختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة معناه لأقعدن لهم على صراطك المستقيم كما يقال توجه مكة أى الى مكة وكما قال الشاعر

كأنى اذ أسعى لأظفر طائرا * مع النجم من جو السماء يصوب

يعنى لأظفر بطائر فألقى الباء وكما قال أعجلتم أمر ربكم يعنى أعجلتم عن أمر ربكم وقال بعض نحويى الكوفة

يعرفون أهل الخير والايمان والصلاة وأهل الشر والكفر والافساد وهم كانوا فى الدنيا شهداء الله على أهل الايمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الأعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به ثم قال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على أهلها ثم أخبر على سبيل الاستئناف أن أهل الاعراف لم يدخلوا الجنة (وهم يطمعون) كأن سائلا سأل عن حالهم أو على انه صفة أخرى لرجال فان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الأشراف (١٠١) فيكون الله تعالى أخر دخالهم الجنة ليطلعوا على أحوال أهل الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلا فى الجنة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى وسط السماء وان أبا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ولا يخفى ما فى هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا أصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه أن ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) قال الواحدى التلقاء جهة اللقاء وهى جهة المقابلة وهو فى الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانه فى الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى ان لا يجعلهم من زمرتهم وفى بناء الفعل للمفعول وأن لم يقل واذا أبصروا فائدة هى أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا ثم بين أن أصحاب الاعراف ينادون رجالا من أكابر أهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق الا بهم فقال (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال أو كثرتكم واجتماعكم (وما كنتم تستكبرون) عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا فى التبكيت مشيرين الى فريق من أهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون أحوالهم وربما استهزؤا بهم وأنفوا من مشاركتهم فى دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) أما قوله (ادخلوا الجنة) الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف أو من قول الملائكة لهم بأمره أو من قول بعضهم لبعض وذلك بعد أن يحبسوا ويجلسوا على

الكوفة المعنى والله أعلم لأقعدن لهم على طريقهم وفى طريقهم قال والقاء الصفة من هذا جائز كما تقول قعدت لك وجه الطريق وعلى وجه الطريق لان الطريق صفة فى المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام اذ قيل آتيك غدا وآتيك فى غد * وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك عندى بالصواب لان القعود مقتض مكانا يقعد فيه فكما يقال قعدت فى مكانك يقال قعدت على صراطك وفى صراطك كما قال الشاعر

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

فلا تكاد العرب تقول ذلك فى أسماء البلدان لا يكادون يقولون جلست مكة وقعت بغداد * القول فى تأويل قوله ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله لآتينهم من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم من قبل الحق وعن شمائلهم من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يقول أشككهم فى آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم فى دنياهم وعن ايمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى وقد روى عن ابن عباس بهذا الاسناد فى تأويل ذلك خلاف هذا التأويل وذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يعنى من الدنيا ومن خلفهم من الآخرة وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وتحقق هذه الرواية الاخرى التى حدثنى بها محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال أما بين أيديهم فمن قبلهم وأما من خلفهم فامر آخرتهم وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيآتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم الآية أتاهم من بين أيديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيآت والمعاصى ودعاهم اليها وأمرهم بها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله * وقال آخرون بل معنى قوله من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم قال من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال من بين أيديهم من دنياهم ومن خلفهم من آخرتهم وعن ايمانهم من

الاعراف وينظروا الى الفريقين ويقولوا قال المفسرون الرجال ههنا الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمى ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وأمثالهم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا خدمنا ورعاتنا أقسموا أن لا يخصهم بفضل دونهم فناداهم أصحاب الاعراف ثم ختم المناظرات بقوله (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس لما صار أصحاب الأعراف الى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد (١٠٢) اليأس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فأمر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر أهل جهنم الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم وقالوا (أفيضوا علينا من الماء) طلبوا الماء أولا لما فى بواطنهم من الاحتراق الشديد وفى الافاضة نوع دلالة على أن أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال آخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الآيس من الشئ قد يطلبه كما يقال فى المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله (أو مما رزقكم الله) قيل أى سائر الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة وقيل أى من الثمار أو الطعام والمراد ألقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * فيكون فى الآية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كأن سائلا سأل فماذا أجابهم أهل الجنة فقيل (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) أى منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة أعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة) وقد مر تفسير الوصفين فى أوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر أن الانسان يطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته فى هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا فى بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيامة على سبيل الحكاية فقال (فاليوم ننساهم) أى نتركهم فى عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قاله الحسن ومجاهد والسدى والاكثرون وقيل أى نعاملهم معاملة من نسى بتركهم فى النار كما فعلوا هم فى الاعراض عن آياتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل أنه

حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا سفيان قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم قال من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يبطئهم عنها وعن ايمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يرغبهم فيه ويزينه لهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أما من بين أيديهم فالدنيا أدعوهم اليها وأرغبهم فيها ومن خلفهم فمن الآخرة أشككهم فيها وأبعدها عليهم وعن أيمانهم يعنى الحق فاشككهم فيه وعن شمائلهم يعنى الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله من بين أيديهم من دنياهم أرغبهم فيها ومن خلفهم آخرتهم أكفرهم بها وأزهدهم فيها وعن ايمانهم حسناتهم أزهدهم فيها وعن شمائلهم مساوى أعمالهم أحسنها اليهم * وقال آخرون معنى ذلك من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول الله من بين أيديهم وعن ايمانهم قال حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور قال ثنا كرنا عند مجاهد قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فقال مجاهد هو كما قال يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم زاد ابن حميد قال يأتيهم من ثم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال قال مجاهد فذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبى عاصم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معناه ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل وذلك أن ذلك عقب قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر أنه يقعد لبنى آدم على الطريق الذى أمرهم الله أن يسلكوه وهو ما وصفنا من دين الله دين الحق فيأتيهم فى ذلك من كل وجوهه من الوجه الذى أمرهم الله به فيصدهم عنه وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم ومن الوجه الذى نهاهم الله عنه فيزينه لهم ويدعوهم اليه وذلك من خلفهم وعن شمائلهم وقيل ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم ذكر من قال ذلك حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وأما قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فانه يقول ولا تجد رب أكثر بنى آدم شاكرين لك نعمتك التى أنعمت عليهم كتكرمتك اياهم آدم بما أكرمته به من اسجادك له ملائكتك وتفضيلك اياه على وشكرهم اياه طاعتهم له بالاقرار بتوحيده واتباع أمره ونهيه وكان ابن عباس يقول فى ذلك بما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد

لايجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن أبي الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لايسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى أهل الجنة كما في هذه الآية فتقول أهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ماقيل بعد ألف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون (١٠٣) من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن

عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين يقول موحدين ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال اخرج منها مذؤما مدحورا﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن احلاله بالخبيث عدوالله ما أحل به من نقمته ولعنته وطرده اياه عن جنته اذ عصاه وخالف أمره وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به يقول قال الله له عند ذلك اخرج منها أي من الجنة مذؤما مدحورا يقول معيبا والذأم العيب يقال منه ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم ويتركون الهمز فيقولون ذمته أذيمه ذيما وذاما والذأم والذيم أبلغ في العيب من الذم وقد أنشد بعضهم هذا البيت

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة ۞ فلما انجلت قطعت نفسي أذيمها

وأكثر الرواة على انشاده ألومها وأما المدحور فهو المقصى يقال دحره يدحره دحرا ودحورا اذا أقصاه وأخرجه ومنه قولهم ادحر عنك الشيطان ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اخرج منها مذؤما مدحورا يقول اخرج منها العينا منفيا حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مذؤما ممقوتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال اخرج منها مذؤما يقول صغيرا منفيا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله اخرج منها مذؤما مدحورا أما مذؤما فمنفيا وأما مدحورا فمطرودا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مذؤما قال منفيا مدحورا قال مطرودا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله اخرج منها مذؤما قال منفيا والمدحور قال المصغر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن الزبير عن ابن عيينة عن يونس واسرائيل عن أبي اسحق عن التيمي عن ابن عباس اخرج منها مذؤما قال منفيا حدثني أبو عمرو القرقساني عثمان بن يحيى قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن التيمي سأل ابن عباس ما اخرج منها مذؤما مدحورا قال مقيتا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اخرج منها مذؤما مدحورا فقال ما نعرف المذؤم والمذموم الا واحدا ولكن يكون (١) منتقصة وقال العرب لعامر يا عام ولحارث يا حار وانما أنزل القرآن على كلام العرب ۞ القول في تأويل قوله ﴿لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ وهذا قسم من الله جل ثناؤه أقسم أن من اتبع من بني آدم عدوالله ابليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ من جميعهم يعني من كفرة بني آدم تباع ابليس ومن ابليس وذريته جهنم فرحم الله امرأ كذب ظن عدوالله في نفسه وخيب فيها أمله وأمنيته ولم يكن ممن طمع فيها عدوه

(١) بياض في الاصل بقدر كلمة

ابن عباس في صفة أهل الجنة انهم يرون الله عزوجل في كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم ألف باب فاذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لأهل الجنة وثمرتها أمثال القلال أشد بياضا من الفضة وألين من الزبد وأحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فتأهب لايهما شئت والله الموفق ۞ ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل (على علم) بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريئا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله (وهدى ورحمة) حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما (لقوم يؤمنون) لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة

علة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال (هل ينظرون الا تأويله) والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعل فيهم أقواما تشككوا وتوقفوا ولهذا السبب انتظروه وأيضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لامحالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب أي الاعاقبة أمره وما يؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد أو عاقبة ما وعد به على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشئ ومصيره من

قولهم آل الشئ يؤل (يوم يأتى) يريد يوم القيامة وانتصابه على أنه ظرف (يقول) ومعنى (نسوه) تركوا العمل به والايمان أوانهم صاروا فى الاعراض عنه بمنزلة من نسيه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى متلبسين بما هو الحق أو الباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر والنشر وأحوال القيامة وأهوالها اذا عاينوها (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) منصوب باضمار أن بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع (أو) هل (نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك (١٠٤) ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على أن أهل الآخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار

ومن تبعه والالم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون فى الحال ثم حكم بأن ذلك التمنى لا يفيدهم شيأ وأن مطلوبهم لا يكون البتة فقال (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى لا ينتفعون بالاصنام التى عبدوها فى الدنيا وليس تفيدهم نصرة الأوثان التى بالغوا فى نصرها ﴿ التأويل نادى أهل المحبة أهل القطيعة أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعنى قوله ألا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيرى لم يجدنى فأذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وبينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى أهل النار أهل الجنة وكذا بين أهل الجنة وأهل الله وهم أصحاب الاعراف حجاب من أوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت أعرافا لانها موطن أهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شئ منه فالأعراف مرتبة فوق الجنان فى حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النيران بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته ونادوا أصحاب الجنة قال أن سلام عليكم يعنى هنيئا لكم ما أنتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم أخبر عن همة أهل الاعراف فقال لم يدخلوها أى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ابتلاء ليعرفوا أنه تعالى من أى دركة خلصهم وبأى كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما يسنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية وما أتاهم الله شيأ من الدنيا والجاه والقبول والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والانس مع الله فى الخلوات رجالا يعرفونهم بسيماهم يعنى أهل الجنة وأهل النار ما أغنى

واستغشه ولم يستنصحه وان الله تعالى ذكره انما نبه بهذه الآيات عباده على قدم عداوة عدوه وعدوهم ابليس لهم وسالف ما سلف من حسده لأبيهم وبغيه عليه وعليهم وعرفهم مواقع نعمه عليهم قديما فى أنفسهم ووالدهم ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم الى طاعته وينيبوا اليها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ يقول الله تعالى ذكره وقال الله لآدم يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما فاسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها ابليس وأخرجه منها وأباح لهما ان يأكلا من ثمارها من أى مكان شاءا منها ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك وما نرى من القول فيه صوابا فى غير هذا الموضع فنكرهنا اعادته فتكونا من الظالمين يقول فتكونا ممن خالف أمر ربه وفعل ما ليس له فعله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فوسوس لهما فوسوس اليهما وتلك الوسوسة كانت قوله لهما ما نهاهما كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ليبدى لهما ما وارى الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذى ستره عليهما وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله ستر هما به ما حدثنى به حوترة بن محمد المنقرى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن منبه فى قوله فبدت لهما سوآتهما قال كان عليهما نورا لا يرى سوآتهما ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ يقول جل ثناؤه وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها الا لئلا تكونا ملكين وأسقطت لا من الكلام لدلالة ما ظهر عليها كما أسقطت من قوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى يبين الله لكم أن لا تضلوا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة أن تكونا ملكين كما يقال اياك أن تفعل كراهية أن تفعل أو تكونا من الخالدين فى الجنة الماكثين فيها أبدا فلا تموتا والقراءة على فتح اللام بمعنى ملكين من الملائكة وروى عن ابن عباس ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى الأعمى عن السدى قال كان ابن عباس يقرأ الا أن تكونا ملكين بكسر اللام * وعن يحيى ابن أبى كثير ما حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنى القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون

عنكم جمعكم يا أهل الجنة وأهل الله من الطاعات و يا أهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله أولاء الذين أقسمتم يعنى أن من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر فى بعض الاوقات من يقول لدناءة همته لأهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى فى حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا * اعلم ان أهل الجنة وأهل النار يرون أهل الله وهم أصحاب الأعراف بالصورة ما داموا فى مواطن الكونين فاذا دخلوا الجنة الحقيقية المضافة الى الله فى حظائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن بابا جعفر الابهرى انه دخل على بابا طاهر الهمدانى فقال أين كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثمة فقال يا باطاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الأخص فما رأيتنى أفيضوا علينا من الماء كانوا فى الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان أهل الجنة لما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس والمضايقة بها فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمهما عليهم فى الأزل فلم يوفقوا لمعاملات تورث الجنة هل ينظرون الا تأويله أى ما يؤل اليه عاقبته فى شأنهم فالمؤمنين كشف الغطاء وسبوغ العطاء ولأهل الجحود الفرقة والافتقار وعذاب النار أعاذنا الله تعالى منها ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر

قال ثنا يعلى بن حكيم عن يحيى بن أبى كثير أنه قرأها ملكين بكسر اللام وكأن ابن عباس يحيى وجها تأويل الكلام الى أن الشيطان قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين من الملوك وأنهما تأولا فى ذلك قول الله فى موضع آخر قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة فى ذلك بغيرها القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فتح اللام من ملكين يعنى ملكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا فى أن كل ما كان مستفيضا فى قرأة الاسلام من القراءة فهو الصواب الذى لا يجوز خلافه * القول فى تأويل قوله ﴿وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وقاسمهما وحلف لهما كما قال فى موضع آخر تقاسموا بالله لنبيتنه يعنى تحالفوا بالله وكما قال خالد بن زهير عم أبى ذؤيب

وقاسمها بالله جهد الأنتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

يعنى وحالفها بالله وكما قال أعشى بنى ثعلبة

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما * بأسحم داج عوض لا نتفرق

يعنى تحالفا وقوله انى لكما لمن الناصحين أى لمن ينصح لكما فى مشورته لكما وأمره اياكما بأكل ثمر الشجرة التى نهيتكما عن أكل ثمرها وفى خبرى اياكما بما أخبركما به من أنكما ان أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين خلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعانى أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خادعنا بالله خدعنا * القول فى تأويل قوله ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فدلاهما بغرور فخدعهما بغرور يقال منه ما زال فلان يدلى فلانا بغرور بمعنى ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل فلما ذاقا الشجرة يقول فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة يقول طعماه بدت لهما سوآتهما يقول انكشفت لهما سوآتهما لأن الله أعراهما من الكسوة التى كان كساهما قبل الذنب والخطيئة فسلبهما ذلك بالخطيئة التى أخطآ أو المعصية التى ركبا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما كما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوآتهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آدم كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته وكان لا يراها فانطلق فارا فتعرضت له شجرة فحبسته بشعره فقال لها أرسلينى فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا ولكنى استحييتك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان بن

والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ * القرآت

يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وحماد وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين ابن عامر وبفتح النون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف وأبو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير أبى زيد الباقون بضم النون والشين بين بالتشديد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها ۞ الوقوف حثيثا ط لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بأمره ط والامر ط العالمين ٥ وخفية ط المعتدين ٥ للعطف مع الآية وطمعا ط المحسنين ٥ رحمته ط الثمرات ط تذكرون ٥ باذن ربه ج للابتداء مع العطف نكدا ط يشكرون ٥ ۞ التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير أمر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدا وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تأكيدا للمعاد والمعنى ان الذى ربيكم ويصلح شأنكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام وأودع فيها أنواع المنافع وأصناف الفوائد فكيف يليق أن يرجع الى غيره فى طلب الخيرات ويعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الأدب أصل ست سدس بدليل سديس وأسداس ثم ان العرب كانوا يخاطبون اليهود فالظاهر أنهم سمعوا بعض أوصاف الخالق منهم فكأنه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى سمعتم من عقلاء الناس أنه هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتهما ونهاية جلالتهما فى ستة أيام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادهما دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر أنه خلقهما فى ستة أيام فى أثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع ونادى وأجيب بأنه أراد أن يعلم عباده الرفق والتأنى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تأخير الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم أن ذلك اتفاقى أما اذا أحدثت الأشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك أقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم عليم

عيينة وابن مبارك عن الحسن عن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وكان الذى وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وورق التين يلصقان بعضها الى بعض فانطلق آدم موليا فى الجنة فأخذت برأسه شجرة من الجنة فناداه أى آدم أمنى تفر قال لا ولكنى استحييتك يا رب قال أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قال فبعزتى لأهبطنك الى الأرض ثم لا تنال العيش الا كدا قال فأهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فأهبطا فى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يخصفان قال يرقعان كهيئة الثوب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وكانا قبل ذلك لا يريانها وطفقا يخصفان الآية ۞ وقال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن عن أبى بن كعب أن آدم عليه السلام كان رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بما وقع به من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا فى الجنة فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها أرسلينى قالت انى غير مرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال رب انى استحييتك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جعفر ابن عون عن سفيان الثورى عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال وورق التين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال وورق التين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن حسام بن معبد عن قتادة وأبى بكر عن غير قتادة قال كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوأته قال أبو بكر قال غير قتادة فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال وورق التين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بدت لهما سوآتهما قال كانا لا يريان سوآتهما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب بن منبه يقول ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين﴾ يقول تعالى ذكره

قادر رحيم وأيضا ثبت بالدليل أنه تعالى يخلق العاقل أولا ثم يخلق السموات والارض بعده لان خلق مالا ينتفع به فى الحال بحر الى العبث ثم ان ذلك العاقل ملكا كان أو جنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ آخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك أقوى فى افادة اليقين لانه ينكر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة وأما تقدير المدة بستة أيام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على أى مقدار فرض وقيل ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا خصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الأيام قبل خلق الشمس التى نيط تقدير الازمنة بطلوعها وغروبها فالجواب أن المراد خلق السموات والارض فى مقدار ستة أيام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشى فى الدنيا لانه لاصباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس أن هذه الايام أيام الآخرة كل يوم ألف سنة مما تعدون والأكثرون على أنها أيام الدنيا لان التعريف بها يقع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن أن تحمل الايام الستة على الاطوار الستة التى للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدنى والنباتى والحيوانى والله تعالى أعلم بمراده أما قوله سبحانه (ثم استوى على العرش) فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذى يلى العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لامحالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد باستقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه فى الكل لا كاحاطة الفلك الحاوى بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس فى الشرف بل على نحو آخر نعوزه العبارة ومنها انه تعالى لو كان فى مكان وجهة لكان اما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى للقاذورات ومع ذلك فالشئ الذى هو محل السموات اما أن يكون عين الشئ الذى هو محل الارض أو غيره وعلى الاول يلزم أن يكون السماء والارض حالين فى محل واحد فهما شئ واحد لا شيآن وعلى الثانى يلزم التركيب

ونادى آدم وحواء ربهما ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التى أكلتما ثمرها وأعلمكما أن ابليس لكما عدو مبين يقول قد أبان عداوته لكما بتركه السجود لآدم حسدا وبغيا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قوله وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لم أكلتها وقد نهيتك عنها قال يارب أطعمتنى حواء قال لحواء لم أطعمته قالت أمرتنى الحية قال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال ملعون مدحور أما أنت ياحواء فكما دميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك اهبطوا بعضكم لبعض عدو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فانى قد أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجابا به ربهما حين عاتبهما على أكلهما من الشجرة التى نهاهما عنها وعرفهما عداوة ابليس لهما وحسده اياهما على ما أعطاهما ربهما من الكرامة التى حرمها ابليس بمعصيته ربه وخلافه أمره وما أحل بهما من الهبوط من الجنة الى الارض بعد الذى كانا فيه من الرغد والعيش الهنى والسرور الدائم فاعترفا لربهما بما سبق فى علمه فيهما من قضائه عليهما بالشقاء والعناء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة وسألاه أن يتوب عليهما ويغفر لهما ما كان منهما من الذنب الذى كان منهما فعرفهما التوبة التى تاب عليهما بها وغفر لهما بها ما سلف منهما من الذنب الذى كان منهما فقالا ربنا ظلمنا أنفسنا يقول فعلنا بأنفسنا ما يستوجب به العقوبة منك لنا لو لم تتب علينا ونغفر لنا ما كان منا من الذنب الذى كان منا بمعصيتك وخلاف أمرك وبطاعتنا عدوا وعدوك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها وان لم تغفر لنا يقول وان أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا وتتركه فضيحتنا به بعقوبتك ايانا عليه وترحمنا بتعطفك علينا وتركك أخذنا به لنكونن من الخاسرين يعنى لنكونن من الهالكين وقد بينا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم عليه السلام يارب أرأيت ان تبت واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأل النظرة فأعطى كل واحد منهما ما سأل حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا الآية قال هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بابليس وذريته وآدم وولده والحية يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا من السماء الى الارض بعضكم لبعض عدو كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن طلحة عن أسباط عن السدى اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشى على بطنها وجعل رزقها من التراب واهبطوا الى الارض آدم وحواء وابليس والحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى عوانة عن اسمعيل بن سالم عن أبى صالح اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء والحية وقوله ولكم فى الارض مستقر يقول ولكم يا آدم وحواء

والتجزئة فى ذاته تعالى وأما ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل فى جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل فى حيز واحد فلو كان جوهرا فرد لزم أن يكون واجب الوجود أحقر الأشياء والالزم التبعيض لان جهة الفوق منه تكون مغايرة لمقابلتها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز أن يكون الشئ المحدود من جانب أو جوانب قديما أزليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز أن يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر أو كوكب آخر وأيضا يصح على الشق المتناهى أن يكون غير متناه وعلى غير المتناهى أن يكون متناهيا لان الأشياء المتساوية فى تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقى فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل أن يكون انه غير متناه ولا يلزم من ذلك أن يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشئ للمحل غير كونه نفس المحل أو مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا أصل له عند الرجل البرهانى ومنها أنه لو كان البارى تعالى حاصلا فى المكان والجهة لكان الامر المسمى بالجهة اما أن يكون موجودا مشارا اليه أو لا يكون فان كان موجودا كان له بعد وامتداد والمحاصل فيه أيضا بعد وامتداد فيلزم تداخل البعدين ومع ذلك يلزم كون الجهة والحيز أزليين ضرورة كون البارى تعالى أزليا ومحال أن يكون ماسوى الواجب أزليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بأن ذلك أيضا وارد عليكم فى قولكم الجسم حاصل فى الحيز والجهة وأجيب بأن مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوى وهذا المعنى بالاتفاق فى حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل أن يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا فى حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز أن يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم فى الاجسام أيضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام فى الخارج ومنها انه لو امتنع وجود البارى تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة فى تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب مامر من أن استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة

وابليس والحية فى الارض قرار تستقرونه وفراش تمهدونه كما حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولكم فى الارض مستقر قال هو قوله هو الذى جعل لكم الارض فراشا وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا عن عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس قوله ولكم فى الارض مستقر قال القبور * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر آدم وحواء وابليس والحية اذ أهبطوا الى الأرض أنهم عدو بعضهم لبعض وأن لهم فيها مستقرا يستقرون فيه ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرا فى حال حياتهم دون حال موتهم بل عم الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرا فذلك على عمومه كما عم خبر الله ولهم فيها مستقر فى حياتهم على ظهرها وبعد وفاتهم فى بطنها كما قال جل ثناؤه ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما قوله ومتاع الى حين فانه يقول جل ثناؤه ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا وذلك هو الحين الذى ذكره كما حدثت عن عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس ومتاع الى حين قال الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا والحين نفسه الوقت غير أنه مجهول القدر يدل على ذلك قول الشاعر

وما مر احلك بعد الحلم والدين * وقد علاك مشيب حين لاحين

أى وقت لاوقت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله للذين أهبطهم من سمواته الى أرضه فيها تحيون يقول فى الارض تحيون يقول تكونون فيها أيام حياتكم وفيها تموتون يقول فى الارض تكون وفاتكم ومنها تخرجون يقول ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم اليه لبعث القيامة أحياء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم﴾ يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف اتباعا منهم أمر الشيطان وتركا منهم طاعة الله فعرفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذى أنعم به عليهم حتى أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يعنى بانزاله عليهم ذلك خلقه لهم ورزقه اياهم واللباس ما يلبسون من الثياب يوارى سوآتكم يقول يستر عوراتكم عن أعينكم وكنى بالسوآت عن العورات واحدتها سوأة وهى فعلة من السوء وانما سميت سوأة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده كما قال الشاعر

خرقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا سوأة الرجله

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمر وقال ثنا أبو

لامعنى له الا الفراغ المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية فى تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث فحصوله فى الحيز محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل أن يقول مالا يتناهى لا يعقل له حيز معين ولو فرض لا تناهى الاحياز أيضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشئ الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشئ والمعية بعد ذلك لا تضر ومنها لو كان فى الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزى والا لكان نقطة أو جوهرا فردا فلا يبعد أن يقال ان الله العالم جزء من ألف جزء من رأس ابرة ملتصقة بذنب قملة أو نملة ولقائل أن يقول لا نسلم أن كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقى الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليها بحسب الحس فلا بد أن يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبنى على نفى الجوهر الفرد ومنها لو كان فى حيز لكان اما أعظم من العرش أو مساويا له أو أصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوى للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان القدر الذى فضل به عليه مغاير لما سواه ولقائل أن يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتستحيل هذه التقادير ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهى الابعاد وانه محال لبرهان تناهى الابعاد ولقائل أن يقول ان برهان تناهى الأبعاد لا يسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسمانى ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا فى الحيز لكان كونه هناك اما أن يمنع من حصول جسم آخر فيه أو لا يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام فى هذا المعنى ثم انه ان لم تحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه ما يصح عليها من التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان مابه المشاركة مغاير المابه المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وأيضا ان مابه المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما أن يكون محلا لمابه المخالفة أو حالا فيه أو لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لباسا يوارى سوآتكم قال كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قال أربع آيات نزلت فى قريش كانوا فى الجاهلية لا يطوفون بالبيت الا عراة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف قال سمعت معبدا الجهنى يقول فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قال اللباس الذى يلبسون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال كانت قريش تطوف عراة لا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال اللباس الذى يوارى سوآتكم هو لبوسكم هذا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لباسا يوارى سوآتكم قال هى الثياب **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول اللباس الثياب **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال يعنى ثياب الرجل التى يلبسها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وريشا﴾ اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار وريشا بغير ألف وذكر عن زر بن حبيش والحسن البصرى أنهما كانا يقرآنه ورياشا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن آبان العطار قال حدثنا عاصم أن زر بن حبيش قرأها ورياشا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك قراءة من قرأ وريشا بغير ألف لاجماع الحجة من القراء عليها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر فى اسناده نظر أنه قرأه ورياشا فمن قرأ ذلك ورياشا فانه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش كما تجمع الذئب ذئابا والبئر بئارا ويحتمل أن يكون أراد به مصدرا من قول القائل راشه الله يريشه رياشا وريشا كما يقال لبسه يلبسه لباسا ولبسا وقد أنشد بعضهم

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه * بأطراف طفل زان غيلا موشما

بكسر اللام من اللبس والرياش فى كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار والريش انما هو المتاع والأموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال يقولون أعطاه سرجا بريشه ورحلا بريشه أى بكسوته وجهازه ويقولون انه لحسن ريش الثياب وقد يستعمل الرياش فى الخصب ورفاهة العيش وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال الرياش المال **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله

والامور التى بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية فى تمام الماهية فكل ما يصح على بعضها يصح على البواقى وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة محالا وذوان وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له أيضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل آخر الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان أجنبيا مباينا فتكون ذات الله تعالى مساوية لتمام الاجسام فى الماهية ويصح عليه ما يصح عليها هذا محال وعلى التقدير الثانى وهو أن ذاته تعالى لا تمنع من حصول جسم آخر فى حيزه لزم سريانه فى ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى فى حيز محال ولقائل أن يقول كون البارئ تعالى مع الحيز مغايرا لكون الجسم فى الحيز فأين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك فى اللوازم لا يوجب الاشتراك فى الملزومات فمن أين يلزم التركيب قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التى بها حصلت المخالفة أعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بلا وجوب به والكلام فى سريانه فى الموجودات قدم ومنها انه لو كان فى حيز فان أمكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر فى حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن المحدث أولى بأن يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وأيضا لا يبعد فرض أجسام أخرى مختصة بأحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكرامية يساعدون على أنه كفر ولقائل أن يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى احياز فأما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز يسلم وجوب اتصافه بأحدهما فلم لا يجوز أن لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتداخل والتكاثف

قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وريشا يقول مالا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وريشا قال المال **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وريشا قال امارياشا فرياش المال **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول الرياش المال **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله وريشا يعنى المال * ذكر من قال هو اللباس ورفاهة العيش **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وريشا قال الرياش اللباس والعيش والنعيم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى وريشا قال الرياش المعاش **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهنى وريشا قال هو المعاش * وقال آخرون الريش الجمال ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وريشا قال الريش الجمال ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم لباس التقوى هو الايمان ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولباس التقوى هو الايمان **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنى حجاج عن ابن جريج ولباس التقوى الايمان * وقال آخرون هو الحياء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى فى قوله ولباس التقوى الذى ذكر الله فى القرآن هو الحياء **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهنى فذكر مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن معبد بنحوه * وقال آخرون هو العمل الصالح ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولباس التقوى ذلك خير قال لباس التقوى العمل الصالح * وقال آخرون بل ذلك هو السمت الحسن **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود عن محمد بن موسى عن الزباء بن عمرو عن ابن عباس ولباس التقوى قال السمت الحسن فى الوجه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن سليمن بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قوهى محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله فى هذه السرائر فانى سمعت رسول

ونحو ذلك فتستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولان العالم النورانى الذى لانهاية له مملوء منه فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان له العالم جبلا واتفافى الحيز العالى وان كان نورا محضا جاز أن تفرض هذه الانوار التى تشرق على الجدران الها وأيضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق ومخن كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا فى غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منها ألف ألف مرة قلت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سرا الا ألبسه الله رداءه علانية ان خيرا فخير او ان شرا فشر ثم تلا هذه الآية ورياشا ولم يقرأها وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله قال السمت الحسن * وقال آخرون هو خشية الله ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول لباس التقوى خشية الله * وقال آخرون لباس التقوى فى هذه المواضع ستر العورة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولباس التقوى ينقى الله فيوارى عورته ذلك لباس التقوى * واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المكيين والكوفيين والبصريين ولباس التقوى ذلك خير برفع ولباس وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ولباس التقوى بنصب اللباس وهى قراءة بعض قراء الكوفيين فمن نصب ولباس فانه نصبه عطفا على الريش بمعنى قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا وأنزلنا لباس التقوى وأما الرفع فان أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به اللباس فكان بعض نحويى البصرة يقول هو مرفوع على الابتداء وخبره فى قوله ذلك خير وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال هذا غلط لانه لم يعد على اللباس فى الجملة عائد فيكون اللباس اذا رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبرا * وقال بعض نحويى الكوفة ولباس يرفع بقوله ولباس التقوى خير ويجعل ذلك من نعته وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع اللباس لانه لا وجه للرفع الا أن يكون مرفوعا بخبر واذا رفع بخبر لم يكن فى ذلك وجه الا أن يجعل للباس نعتا لا أنه عائد على اللباس من ذكره فى قوله ذلك خير فيكون خير مرفوعا بذلك وذلك به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام اذا رفع لباس التقوى ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه خيرا لكم يا بنى آدم من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ومن الرياش التى أنزلناها اليكم فالبسوه وأما تأويل من قرأه نصبا فانه يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى يوارى سوآتكم والريش ولباس التقوى خير لكم من التعرى والتجرد من الثياب فى طوافكم بالبيت فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرى من الثياب فان ذلك سخرية منه بكم وخدعة كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذى كان ألبسهما بطاعتهما اله فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصياه بأكلها وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب أعنى نصب قوله ولباس التقوى لصحة معناه فى التأويل على ما بينت وان الله انما ابتدأ الخبر عن انزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش تو بيخا للمشركين الذين كانوا يتجردون فى حال طوافهم بالبيت ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها فى كل حال مع الايمان به واتباع طاعته ويعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم لانه أعلمهم أن بعض ما أنزل اليهم خير من بعض ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك الآيات التى بعد هذه الآية وذلك قوله يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما

ان أمثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشئ القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب أن هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء أن الأجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة واللين واذا جاز أن يكون فى أنواع الاجسام نوع لا يمكن أن يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع أجل وأشرف من أن يتصف بأحدهما فلم لا يجوز أن يكون فيما هو أشرف من ذلك النوع شئ لا يتصف بهما ومنها لو كان الله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش أو مباينا له بعد متناه أو غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له مخن كان سطحا رقيقا كما مر وان كان له مخن فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا بعد متناه فلا يمتنع أن يرتفع العالم من حيزه الى أن يماسه ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا بعد غير متناه لزم أن يكون غير المتناهى محصورا بين الحاصرين ولقائل أن يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل وأشباه ذلك

ومنها أن الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت أقوى كانت الفاعلية والتأثير أضعف وبالعكس ولهذا كان تأثير الارض أقل من تأثير الماء وتأثير الماء من تأثير الهواء وتأثير الهواء من تأثير النار بالاحراق والطبخ وتأثير النار من تأثير الافلاك المؤثرة فى العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة أشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريأ من الحجم والجرم والكثافة والرزانة قلت فى الاستقراء نزاع انه صحيح تام أولا ولكن لا نزاع فى ان واجب الوجود تعالى شأنه برئ عن الجسمية والكثافة وعن كل شئ يقدح فى قيوميته وههنا حجج قد أوردت فى أوائل

سورة الانعام فى تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية عول عليها الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه فى تفسيره الكبير وقد أوردنا عليها ما كانت ترد من المنوع والاعتراضات لاعتقاد التشبيه والتجسيم أو تقليد الاولئك الاقوام بل تشحيذا للذهن وتقريبا الى المعارف والحقائق وجذبا بضبع المتأمل فى المضايق والمزالق فليختر المنصف ما أراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف المقال عنه غير الخيال والله أعلم بحقيقة الحال ثم قال رضى الله عنه وأما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى

قل هو الله أحد والأحد مبالغة فى كونه واحدا والذى يتلىء منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركبا من أجزاء فوق أجزاء العرش وذلك ينافى كونه أحدا وأجيب بأنه ذات واحدة حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة وزيف بأن هذا معلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يقال جميع العرش الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا أن ذلك الجزء الذى لا يتجزأ حصل فى جملة الاحياز فظن انه أشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان هذا الجزء الذى لا يتجزأ لصغره غير الشىء الذى لا يقبل التجزئة والانقسام لذاته وأيضا المتحيز الذى مقداره ذراع فى ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه أن لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم فى ذاته حاصل فى جميع الأشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العرض السارى فى الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه أن يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب أنا ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغنى فوجب أن يكون غير مفتقر الى المكان والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها

عن

ان فرعون طلب حقيقة الاله فى قوله ومارب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف وأما فرعون فقد طلب الاله فى السماء فى قوله فأطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع فى أن حقيقة ذاته كما هى لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا بلوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور أن يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم

لباسهما ليريهما سوآتهما وما بعد ذلك من الآيات الى قوله وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فانه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرد والتعرى وبالايمان به واتباع أمره والعمل بطاعته وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكدا فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير * وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله ولباس التقوى استشعار النفوس تقوى الله فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الايمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن لأن من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمر به عاملا ومنه خائفا وله مراقبا ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهديه ورؤيت عليه بهجة الايمان ونوره وانما قلنا عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ذلك لان اللباس انما هو ادراع ما يلبس واحتباء ما يكتسى أو تغطية بدنه أو بعضه به فكل من ادرع شيأ واحتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه فهو له لابس ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا وهن لهم لباسا وجعل الليل لعباده لباسا ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله اذا قرئ قوله ولباس التقوى رفعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان ذلك خير يقول ذلك خير من الرياش واللباس يوارى سوآتكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولباس التقوى قال لباس التقوى خير وهو الايمان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره ذلك الذى ذكرت لكم أنى أنزلته اليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة لعلهم يذكرون يقول جل ثناؤه جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت ليذكر وا فيعتبروا ويثنيوا الى الحق وترك الباطل رحمة منى بعبادى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾ يقول تعالى ذكره يا بنى آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم اياه عند اختباره لكم كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره اياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه من الجنة ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما واظهارها الأعينهما بعد أن كانت مستترة وقد بينا فيما مضى ان معنى الفتنة الاختبار والابتلاء بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل التأويل فى صفة اللباس الذى أخبر الله جل ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا وما كان فقال بعضهم كان ذلك أظفارا ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عكرمة ينزع عنهما لباسهما قال لباس كل دابة منها ولباس الانسان الظفر فأدركت آدم التوبة عند ظفره أو قال أظفاره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحمانى عن نصر بن عمر

من الله غيرى ومنها هذه الآية لانها تدل على أنه استقر على العرش بعد تخليق السموات والأرض و كان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شئ فاذا خلق ما خلق من عالم الأجسام والاختلاط بقى ما وراءه نورا محضا ومنها قصة ابراهيم وتبرئه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا فى أفق الامكان والجواب أن نور الأنوار أجل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الأحياز ومع ماسواها أن يكون فى مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها أن أول الآية (١١٣) أعنى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشى الليل النهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان أجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه أنه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته فى تدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب أن الاستقرار بالتفسير الذى ذكرناه أدل شئ على المدح والثناء وحديث البق والبعوض خراف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا أو بعوضا صدق عليه أنه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها أنه سبحانه حكم فى آيات كثيرة بأنه خالق السموات فلو كان فوق العرش كان سماء لما كنى العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم أن يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم أن كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار أنه نور أو جسم أن ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شئ هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة فى الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن

عن عكرمة عن ابن عباس قال تركت أظفاره عليه زينة ومنافع فى قوله ينزع عنهما لباسهما حدثنى أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال أخبرنا مخلد بن الحسين عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت الاظفار تذكرة وزينة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسه الظفر فانتهت توبته الى أظفاره * وقال آخرون كان لباسهما نورا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه ينزع عنهما لباسهما النور حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب ابن منبه يقول فى قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما قال كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا * وقال آخرون انما عنى الله بقوله ينزع عنهما لباسهما يسلبهما تقوى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا مطلب بن زياد عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء وأن يجردهم من لباس الله الذى أنزله اليهم كما نزع عن أبويهم لباسهما واللباس المطلق من الكلام بغير اضافة الى شئ فى متعارف الناس هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء أو غطى بدنه أو بعضه واذ كان ذلك كذلك فالحق أن يقال ان الذى أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذى نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفرا ويجوز أن يكون كان ذلك نورا ويجوز أن يكون غير ذلك ولا خبر عندنا بأى ذلك تثبت به الحجة فلا قول فى ذلك أصوب من أن يقال كما قال جل ثناؤه ينزع عنهما لباسهما وأضاف جل ثناؤه الى ابليس اخراج آدم وحواء من الجنة ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما وان كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما اياه اذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تشبيه ذلك لهما بمكره وخداعه فأضيف اليه أحيانا بذلك المعنى والى الله أحيانا بفعله ذلك بهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ يعنى جل ثناؤه بذلك ان الشيطان يراكم هو والهاء فى انه عائدة على الشيطان وقبيله يعنى وصنفه وجنسه الذى هو منه واحد جمعه قبل وهم الجن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انه يراكم هو وقبيله قال الجن والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه يراكم هو وقبيله قال قبيله نسله وقوله من حيث لا ترونهم يقول من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان

المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها الى الله والثانى الخوض فى التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء أى استعلى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق وثالثها ذكر القفال أن العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه اذا استقام له أمره

واطرد وفى ضده خلا عرشه أى انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذى ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم لتستقر عظمة الله تعالى فى قلوبهم الا أن ذلك مشروط بنفى التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شئ ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة أو روية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا منه أنه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا أنه غنى فى ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكر والروية وكذا القول فى كل من صفاته واذا أخبر أن له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه أنه نصب موضعا يقصدونه لما لهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفى التشبيه وأنه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا أنه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا أخبر أنه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه أنه بعد أن خلقهما استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخى أنه يظهر تصرفه فى هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تأثير الفاعل لا يظهر الا فى القابل وقال أبو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش البانى قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد أنه بعد أن خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قوله سبحانه (يغشى الليل النهار) قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال القفال لما أخبر بالاستواء على العرش وان أمر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيئته أراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر يعنى وقدم ذكر الليل والنهار لما فى تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما تتم أمور الحياة ثم وصف الحركة التى يحصلان منها بالسرعة والشدة فقال (يطلبه حثيثا) قال الليث الحث الاعجال وذلك أن حركة الفلك الأعظم أشد الحركات سرعة حتى انها فى مقدار ما تقول واحد واحد واحد يتحرك ألفا وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخا من مقعر فلكه والله أعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى فمستأنفة

وقبيله انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون يقول جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ ذكر أن معنى الفاحشة فى هذا الموضع ما حدثنى على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا أبو يحيى عن منصور عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشئ فتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن مفضل عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير والشعبى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة فاذا قيل لم تفعلون ذلك قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا فعلوا فاحشة قال طوافهم بالبيت عراة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال فى طواف الحمس فى الثياب وغيرهم عراة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة فتلك الفاحشة التى وجدوا عليها آباءهم قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية فتأويل الكلام اذا واذا فعل الذين لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعونبوا عليه قالوا وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ونقتدى بهديهم ونسن بسنتهم والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء يقول لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها أتقولون أيها الناس على الله ما لا تعلمون يقول أتزورون على الله أنه أمركم بالتعرى والتجرد من الثياب والتماس للطواف وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله ما أمر ربى بما تقولون بل أمر ربى بالقسط

كأنه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فاجيب يغشى الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل أن تكون هذه الجملة مبينة وأما الثانية ففي محل النصب على الحال من الملحق كما أن حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه ثم قال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) من قرأهن منصوبات فمعناه وخلق هذه الأجرام حال كونهن تحت تسخيره ومن قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استقام أن يقال زيد مضروب وقوله (بأمره) متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف سمي ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ومنهم من حمل هذا الأمر على الأمر الذي هو الكلام وعلى هذا لا يبعد أن يكون بأمره متعلقا بخلق بدأ بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تأثيرها بالتسخين والقمر تأثيره بالترطيب وتوليد المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان لا يتم ولا يكمل الا بتأثير الحرارة في الرطوبة ثم انه سبحانه وتعالى خص كل كوكب بخاصية عجيبة وتأثير غريب لا يعلمه بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم أن الأجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة أخرى لا بد أن يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بأمره وأيضا ان لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المغرب الى المشرق وسيرا آخر سريعا بسبب حركة الفلك الأعظم فقوله يغشى الليل النهار تنبيه على أن حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الأعظم المسمى بالعرش وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره اشارة الى أن العرش يحرك جميع الأفلاك والكواكب وأنه سبحانه أودع في جرمه قوة قاهرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وأيضا أن أقسام الأجسام ثلاثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط

يعني بالعدل كما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل أمر ربي بالقسط بالعدل **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قل أمر ربي بالقسط والقسط العدل وأما قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة الى الكعبة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد الى الكعبة حيثما صليتم في الكنيسة وغيرها **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال اذا صليتم فاستقبلوا الكعبة في كنائسكم وغيرها **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد هو المسجد الكعبة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن عبد الرحمن عن عمر بن ذر عن مجاهد في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال الكعبة حيثما كنت **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال أقيموها للقبلة هذه القبلة التي أمركم الله بها * وقال آخرون بل عنى بذلك واجعلوا سجودكم لله خالصا دون ما سواه من الآلهة والأنداد ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال في الاخلاص أن لا تدعوا غيره وأن تخلصوا له الدين * قال أبو جعفر وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قاله الربيع وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم الى ربهم لا الى ما سواه من الأوثان والأصنام وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا لا مكاء ولا تصدية وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله انما خاطب بهذه الآية قوما من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع وانما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بيعة وجه وجهك الى الكعبة في كنيسة أو بيعة وأما قوله وادعوه مخلصين له الدين فانه يقول واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكا كما **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين قال أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ثم توجهون الى البيت الحرام ۞ القول في تأويل قوله ﴿كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله كما بدأكم تعودون فقال بعضهم تأويله كما بدأكم أشقياء وسعداء كذلك تبعثون يوم القيامة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال ان الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال جل ثناؤه هو الذي

وهى الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولأمر ما أكثر الله سبحانه فى كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية بدل الضياء بالظلام وبالعكس وأحوال الشمس والقمر والنجوم وأمر بالنظر فى ملكوت السماء والغبراء وبالتفكر فيهما فقال أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون فى شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب أن اعتقاد الفريق الثانى يكون أكمل وأقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع أما الذى ضم الى هذه المعرفة البحث عن أحوال هذا العالم العلوى والعالم السفلى على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد و بصيرته تتكامل الى أن يصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات أنزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب وأما قوله عز من قائل (ألا له الخلق والامر) فالخلق عبارة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم وجسمانى لانه خص بمقدار معين فكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه أوجد بأمر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق ابن فى تسخيره وعالم الامر فى تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره * وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى أنه تعالى متكلم آمر ناه مخبر مستخبر لان قوله ألا له الخلق والامر دل على أن له الامر فوجب أن يكون له النهى وسائر أنواع الكلام ضرورة أنه لا قائل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله ألا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم أنه لا يفيده فلا أقل من افادة أنه خالق بعض الاشياء

خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور قال ثنا أصحابنا عن ابن عباس كما بدأكم تعودون قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن الضريس عن أبى جعفر عن الربيع عن رجل عن جابر قال يبعثون على ما كانوا عليه المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية قال عادوا الى علمه فيهم ألم تسمع الى قول الله فيهم كما بدأكم تعودون ألم تسمع قوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيدة عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية كما بدأكم تعودون قال ردوا الى علمه فيهم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازى قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله كما بدأكم تعودون قال من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدأ الله خلقه عليه وان عمل بأعمال أهل السعادة كما أن ابليس عمل بأعمال أهل السعادة ثم صار الى ما ابتدئ عليه خلقه ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا الى ما ابتدئ عليه خلقهم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن وقاء بن اياس أبى يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو دكين قال ثنا سفيان عن أبى يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول كما بدأكم كما خلقنا كم فريق مهتدون وفريق ضال كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن سفيان عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تبعث كل نفس على ما كانت عليه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن شريك عن سالم عن سعيد ابن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما بدأكم تعودون شقيا وسعيدا **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك كما خلقكم ولم تكونوا شيأ تعودون بعد الفناء ذكر من قال ذلك **حدثنا**

وحينئذ يثبت المطلوب لأن افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في وجود شئ واحد يجب أن يكون هو المؤثر في جميع الممكنات ولا يحتاج الى الممكنات الثالثة قالت الأشاعرة كل أثر يصدر عن فلك أو ملك أو جني أو انسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله ألا له الخلق والامر ويتفرع على هذا أنه لا اله الا الله والا كان الثاني مدبرا وخالقا وأنه لا تأثير للكواكب في أحوال هذا العالم وأن القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة وأصحاب الطلسمات باطل وأن خالق أعمال العباد هو الله تعالى والقول بأن العلم يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان أمر الله مخلوقا لما صح هذا التمييز أجاب الجبائي بأنه لا يلزم من افراد الأمر بالذكر عقيب الخلق أن لا يكون الأمر داخلا في الخلق كقوله ومن ملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم أن تكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق فكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على أنه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد به نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا بعد أن يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه أمرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية * وقال آخرون معنى قوله ألا له الخلق أنه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب أن يكون معناه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر ويلزم منه أن يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن ذلك الامر بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق أنه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر هذا خلف وأجيب بأنه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة

ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم ولم تكونوا شيأ فأحياكم كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كما بدأكم تعودون قال بدأ خلقهم ولم يكونوا شيأ ثم ذهبوا ثم يعيدهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى يقول كما خلقناكم أول مرة كذلك تعودون **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كما بدأكم تعودون يحييكم بعد موتكم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كما بدأكم تعودون قال كما خلقهم أولا كذلك يعيدهم آخرا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب القول الذي قاله من قال معناه كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيأ تعودون بعد فنائكم خلقا مثله يحشركم الى يوم القيامة لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم بما في هذه الآية قوما مشركين أهل جاهلية لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدقون بالقيامة فأمره أن يدعوهم الى الاقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ومثيب من أطاعه ومعاقب من عصاه فقال له قل لهم أمر ربي بالقسط وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأن ادعوه مخلصين له الدين وأن أقروا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر وأن أقروا بأن كما ترك ذكر أن مع أقيموا اذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات الى الاقرار بالصفة التي عليها ينشر من نشر وانما يؤمر بالدعاء الى ذلك من كان بالبعث مصدقا فأما من كان له جاحدا فانما يدعى الى الاقرار به ثم يعرف كيف شرائط البعث على أن في الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي **حدثناه** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني المغيرة ابن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس عراة غرلا وأول من يكسى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك من أن معناه أن الخلق يعودون الى الله يوم القيامة خلقا أحياء كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء يقال منه بدأ الله الخلق يبدؤهم وأبدأهم يبدئهم ابداء بمعنى خلقهم لغتان فصيحتان ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عما سبق من

في الآية دلالة على أنه ليس لاحد أن يلزم غيره شيأ الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الألم لا يوجب العوض السادسة دلت الآية على أن القبيح لا يجوز أن يقبح لوجه عائد اليه وأن الحسن لا يحسن لامر عائد اليه والامر بأمر انما حصل فيه وجه الحسن ولم ينه الا عما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء وأراد السابعة أطلق الخلق والامر فيعلم أنه لو أراد خلق ألف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في أقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان أهل السنة يقولون معنى قوله الامر لله أنه صفة له فكذا الخلق صفة قائمة بذاته فلا يكون مخلوقا وأجيب بأن الخلق لو كان غير المخلوق فاما أن يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما أن يكون حادثا فيفتقر الى خلق آخر ويتسلسل ويمكن أن يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضي أن لا أمر الا الله وقول النبي صلى الله عليه وآله اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لأمره في الحقيقة هو أمر الله تعالى العاشرة في الآية دلالة على أن لله تعالى أمرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع كان واجب الوقوع فكان الأمر به تحصيلا للحاصل وان كان غير معلوم الوقوع كان ممتنع الوقوع فكان الأمر به أمرا بما يمتنع وقوعه وهو محال وأيضا انه تعالى ان خلق الداعي الى فعله كان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وأيضا الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم أنه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الأمر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وأيضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الأمر فهو عبث وان كان لفائدة فلا بد أن تعود الى المكلف لانه سبحانه غني بجميع الفوائد منحصرة في تحصيل نفع أو دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلهما للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف اضرارا محضا والجواب أن أول الآية دل على انه تعالى هو

علمه في خلقه وجرى به فيهم قضاؤه فقال هدى الله منهم فريقا فوفقهم لصالح الاعمال فهم مهتدون وحق على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد باتخاذهم الشيطان من دون الله وليا واذا كان التأويل هذا كان الفريق الاول منصوبا باعمال هدى فيه والفريق الثاني بوقوع فوا حق على عائد ذكره في عليهم كما قال جل ثناؤه يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ومن وجه تأويل ذلك الى أنه كما بدأكم في الدنيا صنفين كافرا ومؤمنا كذلك تعودون في الآخرة فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة نصب فريقا الاول بقوله تعودون وجعل الثاني عطفا عليه وقد بينا الصواب عندنا من القول فيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة انما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء جهالا منهم بخطإ ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق وأن الصواب ما أتوه وركبوا وهذا من أبين الدلالة على خطإ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها الا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيها الأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هادو فريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرون عند طوافهم ببيته الحرام ويبدون عوراتهم هنالك من مشركي العرب والمحرمين منهم أكل ما لم يحرمه الله عليهم من حلال رزقه تبرا عند نفسه لربه يا بني آدم خذوا زينتكم من الكساء واللباس عند كل مسجد وكلوا من طيبات ما رزقتكم وحللته لكم واشربوا من حلال الأشربة ولا تحرموا الا ما حرمت عليكم في كتابي أو على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى ابن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا شعبة عن سلمة عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النساء كن يطفن بالبيت عراة وقال في موضع آخر بغير ثياب الا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف ان شاء الله وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

قال فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

فقال الله خذوا زينتكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس خذوا

زينتكم

الخالق لكل العبيد واذا كان خالقالهم كان مالكالهم وتصرف المالك فى ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعالى أن يأمر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا كما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا أو من كونه موجب عوض أو ثواب ولما بين أن له الأمر والنهى والحكم والتكليف ذكر أنه يستحق الثناء والتقديس فقال (تبارك الله رب العالمين) وللبركة تفسيران أحدهما الثبات والدوام ولا ريب أنه الواجب لذاته القائم بذاته الدائم الغنى بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة ولا شك أن كل الخيرات والكمالات فائضة من جوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وأرشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين أتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) قال فى الكشاف نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم أو الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشئ على نفسه فى قوله وادعوه خوفا وطمعا والأظهر أنه على الأصل ومن الناس من أنكر الدعاء قال لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع أو كان مرادا فى الأزل أو كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لامحالة والا فلا فائدة فيه وأيضا انه نوع من سوء الأدب وعدم الرضا بالقضاء وقد يطلب ما ليس بنافع له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق أن الدعاء نوع من أنواع العبادة ورفضه يستدعى رفض كثير من الوسائل والوسائط والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روى عنه صلى الله عليه وآله ما من شئ أكرم على الله سبحانه من الدعاء الا أنه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء والسمعة والبهما أشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد أطنبنا فى تحقيق الدعاء وشرائطه فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذا سألك عبادى عنى ثم ختم الآية بقوله (انه لا يحب المعتدين) وللمسلمين اتفاق على أنه ليس معنى المحبة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصاله الثواب والخير الى العبد وهذا مبنى

زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر ووهب بن جرير عن شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت مسلما البطين يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة قال غندر وهى عريانة قال وهب كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وماهنالك قال غندر وتقول من يعيرنى تطوافا تجعله على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يوارى السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء خذوا زينتكم قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا ثيابهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء بنحوه حدثنى عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد البسوا ثيابكم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما يوارى العورة ولو عباءة حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد وأبو عاصم وعبد الله بن داود عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما يوارى عورتك ولو عباءة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خذوا زينتكم عند كل مسجد فى قريش لتركهم الثياب فى الطواف حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم عن نافع عن ابن طاوس عن أبيه خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الشملة من الزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاوس خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد وأبو اسامة عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فطافت امرأة بالبيت

على قول الكعبي وأبي الحسين انه تعالى غير موصوف بالارادة وأن كونه مريدا الأفعال نفسه عبارة عن ايجادها وفعلها وكونه مريدا لأفعال غيره هو كونه آمرا بها وأما الأشاعرة ومعتزلة البصرة القائلون بصفة الارادة فانهم فسروا المحبة بارادة ايصال الثواب وقال بعض العلماء انا نجد في الشاهد أن الأب يحب ابنه فيترتب على تلك المحبة أرادة ايصال الخيرات الى ذلك الابن وكانت هذه الارادة أثرا من آثار تلك المحبة وثمرة من ثمراتها غاية ما في الباب أن هذه المحبة في الشاهد عبارة عن الشهوة وميل الطبع ورغبة في النفس وذلك في حقه تعالى محال الا أنا نقول لم لا يجوز أن يقال ان محبة الله صفة أخرى يترتب عليها ايصال الثواب أو ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ماهي وكيف هي لأن عدم العلم بالشئ لا يوجب العلم بعدم ذلك الشئ نظير ذلك أن أهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الأجسام والألوان ويعني بالمعتدين المجاوزين ما أمر وابه فيشمل كل من خالف أمر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده أنه أمر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره الوجوب اذ قد أثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف أرباب الطريقة ان الأولى في العبادات الاخفاء أم الاظهار فقيل الأولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الأولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالأولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا من شائبة الرياء فالأولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التأمين أفضل وقال أبو حنيفة الاخفاء أفضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من أسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة فان لم يثبت الوجوب فلا أقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله (ولا تفسدوا في الأرض) فيدخل فيه خمسة أشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الأموال

وهي عريانة فقالت

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان حي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر على ذلك والا طاف عريانا فأنزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يقول ما يواري العورة عند كل مسجد حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس قريش وأحلافهم فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد * وبه عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه الشملة من الزينة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية كان ناس من أهل اليمن والاعراب اذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلا فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا في المسجد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد خذوا زينتكم قال زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرون و حدثني به مرة أخرى باسناده عن ابن زيد في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال كانوا اذا جاؤا البيت فطافوا به حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها فان وجدوا من يعيرهم ثيابا والا طافوا بالبيت عراة فقال من حرم زينة الله قال ثياب الله التي أخرج لعباده الآية * وكالذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين في الطعام والشراب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم فقال الله لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يقول لا تسرفوا في التحريم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا لا تأكلوا حراما ذلك الاسراف وقوله انه لا يحب

المسرفين يقول ان الله لا يحب المتعدين حده فى حلال أو حرام الغالين فيما أحل الله أو حرم باحلال الحرام وبتحريم الحلال ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذى أمر به * القول فى تأويل قوله ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتجملوا بلباسها والحلال من رزق الله الذى رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم * واختلف أهل التأويل فى المعنى بالطيبات من الرزق بعد اجماعهم على أن الزينة ما قلنا فقال بعضهم الطيبات من الرزق فى هذا الموضع اللحم وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه فى حال احرامهم ذكر من قال ذلك منهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو الودك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الذى حرموا على أنفسهم قال كانوا اذا احجوا أو اعتمروا حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها **وحدثنى** به يونس مرة أخرى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل من حرم زينة الله الى آخر الآية قال كان قوم يحرمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها فقال الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال والزينة من الثياب **حدثنى** المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن رجل عن الحسن قال لما بعث الله محمدا فقال هذا نبى هذا خيارى استنوا به خذوا فى سنته وسبيله لم تغلق دونه الابواب ولم تقم دونه الحجبة ولم يغد عليه (١) بالجبار ولم يرجع عليه بها وكان يجلس بالارض ويأكل طعامه بالارض ويلعق يده ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف عبده وكان يقول من رغب عن سنتى فليس منى قال الحسن فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها ثم علو جافسا قا أكلة الربا والغلول قد سفههم ربى ومقتهم زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا ونبروا وزخرفوا هذه البيوت يتأولون هذه الآية قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وانما جعل ذلك لاولياء الشيطان قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان * وقال آخرون بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسوائب ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ان الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق * القول فى تأويل قوله ﴿قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق أدعيوا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك زينة الله التى أخرج لعباده وطيبات رزقه للذين صدقوا الله

(١) كذا فى أصله وفى نسخة بالجباب بجيم وموحدتين بينهما ألف وحرر كتبه مصححه

بالكفر والبدعة وذلك أن قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد فى الوجود والمنع من الماهية يقتضى المنع من جميع أنواعه ومعنى (بعد اصلاحها) بعد ان أصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين أو المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضى وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن فى الارض وفى الآية دلالة على أن الاصل فى المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا يدل على جواز الاقدام على بعض المضار قضيناه تقديما للخاص على العام وفيها أيضا دلالة على أن كل عقد وقع التراضى به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لأن رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالأخص فى جميع أحكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على أن الاصل فى المضار والآلام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل فى المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين أن الدعاء لابد أن يكون مقرونا

عليه أحد الامرين الخوف من العقاب والطمع فى الثواب واعترض عليه بأن أهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى

الالهية والعبودية أى كونه الهالنا وكوننا عبيد اله اقتضى أن يحسن منه أن يأمر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه فى نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها فى نفسها مصالح فعلى القولين من أتى بها للخوف من العقاب والطمع فى الثواب لم يأت بها لوجه وجوبها فوجب أن لا يصح وأجيب بأن المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة فى قبول ذلك الدعاء ومع الطمع فى حصول تلك الشرائط بأسرها أى كونوا جامعين فى نفوسكم بين الخوف والرجاء فى جميع أعمالكم ولا تقطعوا أنكم وان اجتهدتم قد أديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندى أن غاية التكليف من الآمر غير غايته من المأمور اذا فهب أن الغاية الاولى هى المصلحة أو الالهية والعبودية فلم لا يجوز أن تكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظاهره أن يقال قريبة وذكروا فى حذف علامة التأنيث وجوها فقيل لان تأنيث الرحمة غير حقيقى وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد أولأن المراد بالرحمة الترحم أو الرحم وقيل انه صفة موصوف محذوف أى شئ قريب أو شبه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذلك

ورسوله واتبعوا ما أنزل اليك من ربك فى الدنيا وقد شركهم فى ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وهى للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة لا يشركهم فى ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول شاركهم المسلمون الكفار فى الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها وخلصوا بها يوم القيامة **وحدثنى** به المثنى مرة أخرى بهذا الاسناد بعينه عن ابن عباس فقال قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يعنى يشاركهم المسلمون المشركين فى الطيبات فى الحياة الدنيا ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شئ **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول قل هى فى الآخرة خالصة لمن آمن بى فى الدنيا لا يشركهم فيها أحد وذلك أن الزينة فى الدنيا لكل بنى آدم فجعلها الله خالصة لاوليائه فى الآخرة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال اليهود والنصارى يشركونكم فيها فى الدنيا وهى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة خالصة للمؤمنين فى الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار فأما فى الدنيا فقد شاركوهم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة من عمل بالايمان فى الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ومن ترك الايمان فى الدنيا قدم على ربه لا عذر له **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يشترك فيها معهم المشركون خالصة يوم القيامة للذين آمنوا **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول المشركون يشاركون المؤمنين فى الدنيا فى اللباس والطعام والشراب ويوم القيامة يخلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين وليس للمشركين فى شئ من ذلك نصيب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ويخلص خير الآخرة للمؤمنين وليس للكافر فيها نصيب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة هذه يوم القيامة للذين آمنوا لا يشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها فى الدنيا واذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير * وقال سعيد بن جبير فى ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن أبان وحيوة الرازى أبو يزيد عن يعقوب القمى عن سعيد بن جبير قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم اثمها * واختلفت القراء فى قراءة قوله خالصة فقرأ ذلك بعض قراء المدينة خالصة برفعها بمعنى قل هى خالصة للذين آمنوا وقرأه سائر قراء الامصار خالصة بنصبها على الحال من لهم وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها على ما قد وصفت فى تأويل الكلام ان معنى الكلام قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا

به فقيل قتلاء وأسراء وقيل لانه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان أو الدجاجة والضغيب صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان مشرف

قريب كلابن وتامر وروى الواحدى باسناده عن ابن السكيت تقول العرب هو قريب منى وهما قريب منى وهى قريب لانه فى تأويل هو فى مكان قريب منى قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الماضى وقربا من المستقبل أى الآخرة التى هى مقام رحمة الله ويمكن أن يقال المراد به قرب الحصول سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة كقوله ألا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب أن لا يحصل للكافر والفاسق منها شئ والغرض أن صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو وأجيب بأن المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى وأقر بالتوحيد والنبوة فقد أحسن والدليل عليه الاجماع على أن الصبى اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على أن قوله ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر أيضا فى رحمة الله ونعمته فى الدنيا بدليل قوله ومن كفر فأمتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى أتبعه ذكر الدلائل من أحوال هذا العالم وهى الآثار العلوية من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها أحوال الرياح والسحب والامطار وأيضا لما أقام الدلالة فى الآية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم أقام الدلالة فى هذه الآية على صحة القول بالحشر والنشر ليتم بالآيتين تقرير المبدا والمعاد فقال (وهو الذى يرسل الرياح) الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والادام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل

مشتركة وهى لهم فى الآخرة خالصة ومن قال ذلك بالنصب جعل خبرها فى قوله للذين آمنوا * قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندى بالصحة قراءة من قرأ نصبا لايثار العرب النصب فى الفعل اذا تأخر بعد الاسم والصفة وان كان الرفع جائزا غير أن ذلك أكثر فى كلامهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره كما بينت لكم الواجب عليكم فى اللباس والزينة والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها وميزت بين ذلك لكم أيها الناس كذلك أبين جميع أدلتى وحججى وأعلام حلالى وحرامى وأحكامى لقوم يعلمون ما يبين لهم ويفقهون ما ميز لهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه أيها القوم ان الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيبه لهم وانما حرم ربى القبائح من الاشياء وهى الفواحش ما ظهر منها فكان علانية وما بطن منها فكان سرا فى خفاء وقد روى عن مجاهد فى ذلك ما حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر منها طواف أهل الجاهلية عراة وما بطن الزنا وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك بالروايات فيما مضى فكرهت اعادته وأما الاثم فانه المعصية والبغى الاستطالة على الناس يقول تعالى ذكره انما حرم ربى الفواحش مع الاثم والبغى على الناس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والاثم والبغى أما الاثم فالمعصية والبغى أن يبغى على الناس بغير الحق حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى قال نهى عن الاثم وهى المعاصى كلها وأخبر ان الباغى بغيه كائن على نفسه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ يقول جل ثناؤه انما حرم ربى الفواحش والشرك به أن تعبدوا مع الله الها غيره ما لم ينزل به سلطانا يقول حرم ربكم عليكم أن تجعلوا معه فى عبادته شركا لشئ لم يجعل لكم فى اشراككم اياه فى عبادته حجة ولا برهانا وهو السلطان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يقول وأن تقولوا ان الله أمركم بالتعرى والتجرد للطواف بالبيت وحرم عليكم أكل هذه الانعام التى حرمتموها وسيبتموها وجعلتموها وصائل وحوامى وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرمه أو أمر به أو أباحه فتضيفوا الى الله تحريمه وحظره والامر به فان ذلك هو الذى حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه أو تقولون ان الله أمركم به جهلا منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه الى الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره مهددا للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه وعلى اصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم ومذكرا لهم ما أحل بأمثالهم من الامم الذين كانوا قبلهم ولكل أمة أجل يقول ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردنصائحهم والشرك بالله مع متابعة ربهم حجته عليهم أجل يعنى وقت لحلول العقوبات بساحتهم ونزول المثلات بهم على شركهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذى وقته الله لهلاكهم وحلول العقاب بهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول لا يتأخرون بالبقاء فى الدنيا ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان ولا يستقدمون يقول ولا يتقدمون بذلك أيضا عن

المختار قالت الحكماء من أسباب الريح أن يرتفع من الارض أجزاء أرضية لطيفة تسخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملتصق بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تشيعا للفلك فحينئذ ترجع الأدخنة وتتفرق فى الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضا أشد فكانت الرياح أقوى وزيف بأن صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا أنها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك عنه بسرعة وأيضا ان حركة تلك الاجزاء لا تكون قاهرة فان الرياح اذا أصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس أحد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وأيضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول الاجزاء الغبارية الارضية أكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة فى وجه البحر وليس فيها شئ من الغبار ويمكن أن يجاب بأن الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبنى على ان الريح هى تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء حدث فيما يجاوره

(أن يرتفع من الارض أجزاء أرضية لطيفة تسخنت تسخينا شديدا فبسب)

الوقت الذى جعله الله لهم وقتا للهلاك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يقول تعالى ذكره معرفا خلقه ما أعد لحزبه وأهل طاعته والايمان به وبرسوله وما أعد لحزب الشيطان وأولياء والكافرين به وبرسله يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقول ان يجئكم رسلى الذين أرسلهم اليكم بدعائكم الى طاعتى والانتهاء الى أمرى ونهيى منكم يعنى من أنفسكم ومن عشائركم وقبائلكم يقصون عليكم آياتى يقول يتلون عليكم آيات كتابى ويعرفونكم أدلتى وأعلامى على صدق ما جاؤكم به من عندى وحقيقة ما دعوكم اليه من توحيدى فمن اتقى وأصلح يقول فمن آمن منكم بما أتاه به رسلى مما قص عليه من آياتى وصدق واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله وأصلح يقول وأصلح أعماله التى كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصى الله بالتحوب منها فلا خوف عليهم يقول فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله ولا هم يحزنون على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها وشهواتهم التى تجنبوها اتباعا منهم لنهى الله عنها اذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبد الله قال ثنا هياج قال ثنا عبد الرحمن بن زياد عن أبى سيار السلمى قال ان الله جعل آدم وذريته فى كفه فقال يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم نظر الى الرسل فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ثم بثهم فان قال قائل ما جواب قوله اما يأتينكم رسل منكم قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعضهم فى ذلك الجواب مضمر يدل عليه ما ظهر من الكلام وذلك قوله فمن اتقى وأصلح وذلك لانه حين قال فمن اتقى وأصلح كأنه قال فأطيعوهم * وقال آخرون منهم الجواب فمن اتقى لان معناه فمن اتقى منكم وأصلح قال ويدل على أن ذلك كذلك تبعيضه الكلام فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر منكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول جل ثناؤه وأما من كذب بآياتى رسلى التى أرسلتها اليهم وجحد توحيدى وكفر بما جاءه به رسلى واستكبر عن تصديق حججى وأدلتى فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يقول هم فى نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها أبدا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ يقول تعالى ذكره فمن أخطأ فعلا وأجهل قولا وأبعد مذهبا عن الحق والصواب ممن افترى على الله كذبا يقول ممن اختلق على الله زورا من القول فقال اذا فعل فاحشة قال الله أمرنا بها أو كذب بآياته يقول أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه فجحد حقيقتها ودافع صحتها أولئك يقول من فعل ذلك فافترى على الله الكذب وكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول يصل اليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك النصيب الذى لهم فى الكتاب وما هو فقال بعضهم هو عذاب الله الذى أعده لأهل الكفر به ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولئك ينالهم نصيبهم من

(الكتاب)

الكتاب يقول ما كتب لهم من العذاب حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبى سهل عن الحسن قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن رجل عن الحسن قال من العذاب * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الشقوة والسعادة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كشقى وسعيد حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمى عن الحكم قال سمعت مجاهدا يقول أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو ما سبق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة كشقى وسعيد * قال حدثنا ابن المبارك عن شريك عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب من الشقاوة والسعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وابن ادريس عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما قد سبق من الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما سبق لهم فى الكتاب * قال ثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم قال من الشقاوة والسعادة * قال حدثنا أبو معاوية عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ما قضى أو قدر عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ينالهم نصيبهم من الكتاب ينالهم الذى كتب عليهم من الاعمال حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل ابن سميع عن بكر الطويل عن مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال قوم يعملون أعمالا لا بد لهم أن يعملوها * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذى كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا من خير وشر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيرا جزى به ومن عمل شرا جزى به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم نصيبهم فى الآخرة من أعمالهم التى عملوا وأسلفوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى أعمالهم أعمال السوء التى عملوها وأسلفوها حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال قال أبى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب زعم قتادة من أعمالهم التى عملوا حدثت عن الحسين بن الفرج

المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وزيف بأنه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب أن وصول الكوكب الى الموضع الفلانى انما يوجب تحرك الهواء بتسخين أو تلطيف أو تكثيف يحدث فى بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل مكانا أكثر أو أقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يتدافع الى أن يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض أجزاء الهواء ثم يستقر كل فى موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتأثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قال فى هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا فى الروم لان ما قبله هناك ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل وأما فى الروم فلينا سب ما قبل ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وقال فى الفرقان أرسل الرياح بلفظ الماضى لينا سب ما قبله كيف مد الظل وما بعده وهو الذى جعل وكذا فى فاطر مبنى على أول السورة فاطر السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضى والله تعالى أعلم أما قوله (نشرا) بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال بمعنى منتشرات وأما لان أرسل ونشر متقاربان كأنه قيل نشرها نشرا ومن قرأ أنشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف

قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم نصيبهم من العمل يقول ان عمل من ذلك نصيب خيرجزى خيرا وان عمل شرا جزى مثله * وقال آخرون معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير أو شر ذكر من قال ذلك **حدثنا** على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس فى هذه الآية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الخير والشر * قال **حدثنا** زيد عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ماوعدوا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ماوعدوا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ماوعدوا فيه من خير أو شر * قال **حدثنا** أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ليث عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ماوعدوا مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال ماوعدوا فيه من خير أو شر **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ماوعدوا فيه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ماوعدوا من خير أو شر **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم ماسبق لهم من الكتاب * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذى كتبه الله على من افترى عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم ما كتب عليهم يقول قد كتب لمن يفترى على الله ان وجهه مسود * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الرزق * قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن أبى صخر عن القرظى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمله ورزقه وعمره **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فنى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقد فرغوا من هذه الاشياء كلها * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشر فى الدنيا ورزق وعمل وأجل وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله فأبان باتباعه ذلك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أن الذى ينالهم من ذلك انما هو ما كان مقضيا عليهم فى الدنيا أن ينالهم لانه قد أخبر ان ذلك ينالهم الى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعدلهم فى الآخرة لم يكن محدودا بأنه ينالهم الى مجىء رسل الله لوفاتهم لان رسل الله لا تجيئهم للوفاة فى الآخرة وان عذابهم فى الآخرة لا آخر له ولا انقضاء فان الله قد قضى عليهم بالخلود فيه فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا الى أن جاءتهم رسلنا يقول جل ثناؤه وهؤلاء الذين افتروا على الله

هو من أجل النعم وأحسنها وهذا والعرب تستعمل اليدين بدل قدام وأمام مجازا الأن اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين (حتى اذا أقلت) حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذى يقدر على حمل الثقيل يزعم أن ما رفعه قليل (سحابا) جمع سحابة ولهذا قال (ثقالا) على الجمع جمع ثقيلة والضمير فى (سقناه) يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم فى سقناه على أصله أما الذى فى قوله وهو الذى فعلى طريقة الالتفات والاقاظاهر أن يقال نحن أرسلنا واعلم أن السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا فى الهواء لانه تعالى دبر بحكمته أن يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها أن أجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم تصير متفرقة ومنها ان تتحرك الرياح عنة ويسرة فتمنع الاجزاء المائية الرشية عن النزول فيبقى معلقا فى الهواء ومنها ان ينساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها من النشو والنماء وهى اللواقح ومنها مبطلة لها كما فى الخريف ومنها طيبة لاذنة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم أو البرد الشديد ومنها شرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد غليان شديد فى البحر بسبب تولد الرياح فى قعره ثم لا يزل يتزايد ذلك الغليان الى أن ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ

يعظم هبوب الرياح فى وجه البحر وعن ابن عمر الرياح ثمان أربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبى صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر الارض وعن السدى أنه تعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهى المطر ومعنى (لبلد ميت) أى لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الأرض عامر أو غير عامر خال أو مسكون (فأنزلنا به الماء) قال الزجاج وابن الأنبارى أى بالبلد وجائز أن يراد بالسحاب أو بالسوق فالباء للسببية (فأخرجنا به) قال الزجاج أى بالبلد (من كل الثمرات) ويجوز أن يراد أى بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى أودع فى الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال أكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما أجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء بالتراب (كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى) فالتشبيه انما وقع فى أصل الاحياء أى كما أحيا هذا البلد وأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الموتى بعد أن كانوا ترابا لأن من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحياة فى بدن الميت وقال كثير من المفسرين المراد أنه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال الماء كذلك يحيى الموتى

الكذب أو كذبوا بآيات ربهم ينالهم حظوظهم التى كتب الله لهم وسبق فى علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر فى الدنيا الى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم فاذا جاءتهم رسلنا يعنى ملك الموت وجنده يتوفونهم يقول يستوفون عددهم من الدنيا الى الآخرة قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله يقول قالت الرسل أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه فأجابهم الاشقياء فقالوا ضلوا عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله يعنى بقوله ضلوا جاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا يقول الله جل ثناؤه وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله جاحدين وحدانيته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه المكذبين آياته يوم القيامة يقول تعالى ذكره قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة ادخلوا أيها المفترون على ربكم المكذبون رسله فى جماعات من ضربائكم قد خلت من قبلكم يقول قد سلفت من قبلكم من الجن والانس فى النار ومعنى ذلك ادخلوا فى أمم هى فى النار قد خلت من قبلكم من الجن والانس وانما يعنى بالامم الاحزاب وأهل الملل الكافرة كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول تناوه كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها يقول شتمت الجماعة الاخرى من أهل ملتها تبرءا منها وانما عنى بالاخت الأخوة فى الدين والملة وقيل أختها ولم يقل أخاها لانه عنى بها أمة وجماعة أخرى كأنه قيل كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا ﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا تدارك الامم فى النار جميعا يعنى اجتمعت فيها يقال قد ادارك القوم وتدارك القوم اذا اجتمعوا يقول اجتمع فيها الاولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الاحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة يقول الله تعالى ذكره فاذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فادّاركوا قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار الذين كانوا فى الدنيا بعدا أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفا وأماما فى الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ودعونا الى عبادة غيرك وزينوا لنا طاعة الشيطان فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قالت أخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وأما قوله قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون فانه خبر من الله عن جواب لهم يقول قال الله للذين يدعونه فيقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار لكل كم أو لكم وآخركم وتابعوكم ومتبعوكم ضعف يقول مكرر عليه العذاب وضعف الشئ مثله مرة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف مضعف حدثنى المثنى قال ثنا أبو

بواسطة انزال مطر على الاجساد الرميم يروى أنه يمطر على أجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمنى أربعين يوما فينبتون عند ذلك أحياء وعن مجاهد تمطر السماء عليهم حتى تنشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحياة فى الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما أنه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والممزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الآية بقوله (لعلكم تذكرون) والمعنى انكم شاهدتم أن الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم أحياها مرة أخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر وذلك أن الارض الحرة اذا نزل بها المطر حصل فيها أنواع الأزهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من شوائب الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها أنوار القرآن ظهرت عليها أنواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفى حنين وقيل ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد أن الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه فى اصلاحها طمعا منه فى تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به فى الدار الآخرة بالمشقة التى لا بد منها ومن تحملها فى أداء الطاعات كان أولى

حدثنا حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال الله لكل ضعف الاولى وللآخرة ضعف حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنى غير واحد عن السدى عن مرة عن عبد الله ضعفا من النار قال أفاعى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله فآتهم عذابا ضعفا من النار قال حيات وأفاعى وقيل ان الضعف فى كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك وقوله ولكن لا تعلمون يقول ولكنكم يا معشر أهل النار لا تعلمون ما قدر ما أعد الله لكم من العذاب فلذلك تسأل الضعف من الامة الكافرة الاخرى لاختها الاولى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ يقول جل ثناؤه وقالت أولى كل أمة وملة سبقت فى الدنيا الاخراها الذين جاؤا من بعدهم وحدثوا بعد زمانهم فيها فسلكوا سبيلهم واستنوا استنانهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بمعصيتنا اياه وكفرنا به وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر هل انتهيتم الى طاعة الله وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم فانقضت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جوابا بأن يقولوا فضلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله قال الله لجميعهم فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم بما كنتم فى الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصى وتجترحون من الذنوب والأجرام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران عن أبى مجلز وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال يقول فما فضلكم علينا وقد بين لكم ما صنع بنا وحذرتم حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فقد ضللتم كما ضللنا وكان مجاهد يقول فى هذا بما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من التخفيف من العذاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من تخفيف وهذا القول الذى ذكرناه عن مجاهد قول لا معنى له لان قول القائلين فما كان لكم علينا من فضل لمن قالوا ذلك انما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال يدل على ذلك دخول كان فى الكلام ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قيلهم الذى قالوا لربهم آتهم عذابا ضعفا من النار لكان التوبيخ أن يقال فما لكم علينا من فضل فى تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا ولم يقل فما كان لكم علينا من فضل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها يقول وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا لا تفتح لهم لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ولا يصعد لهم فى حياتهم الى الله قول ولا عمل لان أعمالهم خبيثة وانما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال جل ثناؤه واليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا تفتح لهم أبواب السماء فقال بعضهم معناه لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء ذكر من قال ذلك

وفى الآية دلالة على أن السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على أن

حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبى سنان عن الضحاك عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء قال عنى بها الكفار ان السماء لا تفتح لارواحهم وتفتح لأرواح المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن أبى سنان عن الضحاك قال قال ابن عباس تفتح السماء لروح المؤمن ولا تفتح لروح الكافر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تفتح لهم أبواب السماء قال ان الكافر اذا أخذ روحه ضربته ملائكة الارض حتى يرتفع الى السماء فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط فضربته ملائكة الأرض فارتفع فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط الى أسفل الارضين واذا كان مؤمنا أخذ روحه وفتحت له أبواب السماء فلا يمر بملك الا حياه وسلم عليه حتى ينتهى الى الله فيعطيه ماجنه ثم يقول الله ردوا روح عبدى فيه الى الارض فانى قضيت من التراب خلقه والى التراب يعود ومنه يخرج * وقال آخرون معنى ذلك أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء الى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن ليث عن عطاء عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم قول ولا عمل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء يعنى لا يصعد الى الله من عملهم شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء يقول لا تفتح لخير يعملون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يصعد لهم كلام ولا عمل حدثنا مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم فى قوله لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سعيد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء * وقال آخرون معنى ذلك لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لا تفتح لهم أبواب السماء قال لأرواحهم ولا لأعمالهم * قال أبو جعفر وانما اخترنا فى تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم فى شئ فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم فى شئ مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا فى ذلك وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بأقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت

الارواح قسمان منها ما تكون فى أصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لأن تعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومنها ما تكون بالضد لا تقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التى لا يتولد فيها الاشجار والانهار والثمار ومما يقوى هذا الكلام أن النفوس نراها مختلفة فى الصفات فمنها مجبولة على حب الالهيات منصرفة عن اللذات الجسمانيات كقوله تعالى ترى أعينهم تفيض من الدمع للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ومنها قاسية قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة فى المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين فى المال من يرغب فى العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعانى قوله سبحانه وتعالى باذن ربه أى بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه فى طباق نكدا والنكد الذى لا خير فيه وتقدير الآية ونبات البلد الخبيث لا يخرج أو البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات وأقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد أن كان مجرورا بارزا من قر أنكدا بفتح الكاف فعلى المصدر أى ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الآية بالحث على الشكر لان الذى

سبق ذكره هو أن الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذى هو سبب الملاذ والطيبات

فهذا يدل من أحد الوجهين على الوجه مقابلتها بالشكر والله أعلم

﴿التأويل﴾ عرّف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الآية وانما خص ستة أيام لان أنواع المخلوقات ستة الاول الارواح الانسانية ب الملكوتيات منها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة ج النفوس السماوية والارضية د الاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسى والسموات والجنة والنار ه الاجسام البسيطة السفلية وهى العناصر و الأجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف فى العالم ومافيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحمانى والاستواء كالعلم صفة من صفاته لا يشبه استواء المخلوقين كما أن علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن أسرار الخلافة الروح تتصرف فى النطفة أيام الحمل فتجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض ورأسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسى والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما أن العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات يغشى أى يستولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار أنوار القلب وبالعكس ألاله الخلق بواسطة والامر بلا واسطة أدعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب أو تضرعا بأداء حق العبودية وخفية بمطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين

فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء التى فيها الله واذا كان الرجل السوء قال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنى ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة لا يفتح لهم أبواب السماء بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها بمعنى لا يفتح لهم جميعها بمرة واحدة وفتحة واحدة وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين لا تفتح بالتاء وتشديد التاء الثانية بمعنى لا يفتح لهم باب بعد باب وشئ بعد شئ * قال أبو جعفر والصواب فى ذلك عندى من القول أن يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرة واحدة ولا مرة بعد مرة و باب بعد باب فكلا المعنيين فى ذلك صحيح وكذلك الياء والتاء فى يفتح وتفتح لان الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء لان الابواب جماعة فيخبر عنها خبر الجماعة

﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين﴾ يقول جل ثناؤه ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التى أعدها الله لأوليائه المؤمنين أبدا كما لا يلج الجمل فى سم الخياط أبدا وذلك ثقب الابرة وكل ثقب فى عين أو أنف أو غير ذلك فان العرب تسميه سما وتجمعه سموما وسماما والسمام فى جمع السم القاتل أشهر وأفصح من السموم وهو فى جمع السم الذى هو بمعنى الثقب أفصح وكلاهما فى العرب مستفيض وقد يقال لواحد السموم التى هى الثقوب سم وسم بفتح السين وضمها ومن السم الذى بمعنى الثقب قول الفرزدق

فنفست عن سميه حتى تنفسا * وقلت له لا تخش شيأ وراءنا

يعنى بسميه ثقبى أنفه وأما الخياط فانه المخيط وهى الابرة قيل لها خياط ومخيط كما قيل قناع ومقنع وازار ومئزر وقرام ومقرم ولحاف وملحف وأما القراء من جميع الامصار فانها قرأت قوله فى سم الخياط بفتح السين وأجمعت على قراءة الجمل بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير فانه حكى عنهم أنهم كانوا يقرؤن ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم على اختلاف فى ذلك عن سعيد وابن عباس فأما الذين قرؤه بالفتح من الحرفين والتخفيف فانهم وجهوا تأويله الى الجمل المعروف وكذلك فسروه ذكر من قال ذلك **حدثنا** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو زوج الناقة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين عن ابراهيم عن عبد الله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل زوج الناقة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى حصين عن ابراهيم عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال الجمل زوج الناقة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة قال سمعت الحسن يقول الجمل الذى يقوم فى المربد

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال حتى يدخل البعير فى خرق الابرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال هو الجمل فلما أكثروا عليه قال هو الاشتر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن مثله حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن يحيى قال كان الحسن يقرؤها حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال فذهب بعضهم يستفهمه قال أشتر أشتر حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب عن أبى العالية حتى يلج الجمل قال الجمل الذى له أربع قوائم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى حصين أو حصين عن ابراهيم عن ابن مسعود فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال زوج الناقة يعنى الجمل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك أنه كان يقرأ الجمل وهو الذى له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عبيد عن الضحاك حتى يلج الجمل الذى له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن قرة عن الحسن حتى يلج الجمل قال الذى يلمربد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل الاصفر حدثنا نصر بن على قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا عبد الكريم بن أبى المخارق عن الحسن فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو بعل الناقة وأما الذين خالفوا هذه القراءة فانهم اختلفوا فروى عن ابن عباس فى ذلك روايتان احداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل ذكر الرواية بذلك عنه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط والجمل ذو القوائم وذكر أن ابن مسعود قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط وهو الجمل العظيم لا يدخل فى خرق الابرة من أجل أنه أعظم منها والرواية الاخرى ما حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال هو قلس السفينة حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل عن خالد ابن عبد الله الواسطى عن حنظلة السدوسى عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل فى سم الخياط يعنى الحبل الغليظ فذكرت ذلك للحسن فقال حتى يلج الجمل قال عبد الاعلى قال أبو غسان قال خالد يعنى البعير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن فضيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ الجمل مثقلة وقال هو حبل السفينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال الجمل حبال السفن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن حنظلة عن عكرمة عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الحبل الغليظ حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال هو الجمل الذى يكون على السفينة * واختلف عن سعيد بن جبير أيضا فى ذلك فروى عنه روايتان احداهما مثل الذى ذكرنا عن ابن عباس بضم الجيم وتثقيل الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حسين المعلم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأها حتى يلج الجمل يعنى قلوس السفن يعنى الحبال الغلاظ والاخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمرو عن سالم بن عجلان الافطس قال

وطمعا فى الاصطناع أو خوفا من الاثنينية وطمعا فى الوحدة أو خوفا من الانفصال وطمعا فى الوصال ان رحمة الله قريب من المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فأنزلنا به ماء المحبة فأخرجنا به ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موت القلوب من قبور الصدور ولعلكم تذكرون أيام حياتكم فى عالم الارواح اذ كنتم فى رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحى يتخلق باخلاقه الحميدة كذلك نصرف الآيات أى النفوس وصفاتها الى أوصاف القلب وأخلاقه ﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا

آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من

الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴿ القرا آت اله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى الباقون بالرفع حملا على محل من اله انى أضاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير أبلغكم بالتخفيف حيث كان أبو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل وعاصم وعلى وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيرا ۞ الوقوف غيره ط عظيم ○ مبين ○ العالمين ○ لا يعلمون ○ ترحمون ○ بآياتنا ط عمين ○ هودا ط غيره ط تتقون ○ الكاذبين ○ العالمين ○ أمين ○ لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة ج تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ○ آباؤنا ج للعدول مع فاء التعقيب الصادقين ○ وغضب ط من سلطان ج لانتهاء الاستفهام الى أمر التهديد المنتظرين ○ مؤمنين ○ ۞ التفسير لما ذكر في تقرير المبدا والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على أن اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول

قرأت على أبي حتى يلج الجمل فقال حتى يلج الجمل خفيفة هو حبل السفينة هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير وأما عكرمة فانه كان يقرأ ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم ويتأوله كما حدثني ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عيسى بن عبيد قال سمعت عكرمة يقرأ الجمل مثقلة ويقول هو الحبل الذي يصعد به الى النخل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الحبل الغليظ في خرق الابرة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال حبل السفينة في سم الخياط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير سمعت مجاهدا يقول الحبل من حبال السفن وكان من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضم الجيم على ما ذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصرد والجعل وجهه الى جماع جملة من الحبال جمعت جملا كما تجمع الظلمة ظلما والخربة خربا * وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم ويقول انما أراد الراوي الجمل بالتخفيف فلم يفهم ذلك منه فشدده وحدثت عن الفراء عن الكسائي أنه قال الذي رواه عن ابن عباس كان أعجميا وأما من شدد الميم وضم الجيم فانه وجهه الى أنه اسم واحد وهو الحبل أو الخيط الغليظ * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو حتى يلج الجمل في سم الخياط بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها وفتح السين من السم لانها القراءة المستفيضة في قراء الامصار وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراء وكذلك ذلك في فتح السين من قوله سم الخياط واذ كان الصواب من القراءة ذلك فتأويل الكلام ولا يدخلون الجنة حتى يلج والولوج الدخول من قولهم ولج فلان الدار يلج ولوجا بمعنى دخل الجمل في سم الابرة وهو ثقبها وكذلك نجزي المجرمين يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الاليم في الآخرة ومثل الذي قلنا في تأويل قوله سم الخياط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن مهدي وسويد الكلبي عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق قال سألت الحسن عن قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم ابن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في سم الخياط قال جحر الابرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في سم الخياط يقول جحر الابرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في سم الخياط قال في ثقبه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ﴾ يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها من جهنم مهاد وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يفرش والبساط الذي يبسط ومن فوقهم غواش وهو جمع غاشية وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم وانما معنى الكلام لهم من جهنم مهاد من تحتهم فرش ومن فوقهم منها لحف وانهم بين ذلك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب لهم من جهنم مهاد قال الفراش ومن فوقهم غواش قال اللحف حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قال المهاد الفرش والغواشي اللحف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش أما المهاد لهم كهيئة الفراش والغواشى تتغشاهم من فوقهم وأما قوله وكذلك نجزى الظالمين فانه يقول وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فاكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ يقول جل ثناؤه والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع دينه وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا ما يسعها فلا تحرج فيه أولئك يقول هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب الجنة يقول هم أهل الجنة الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله وعمل بسيآتهم فيها خالدون يقول هم فى الجنة ماكثون دائم فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يسلبون نعيمهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار﴾ يقول تعالى ذكره وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم وأخبر أنهم أصحاب الجنة ما فيها من حقد وغمر وعداوة كان من بعضهم فى الدنيا على بعض فجعلهم فى الجنة اذا أدخلهموها على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه تجرى من تحتهم أنهار الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن سعيد بن بشير عن قتادة ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال هى الاحن حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن اسرائيل أبى موسى عن الحسن عن على قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسرائيل قال سمعته يقول قال على عليه السلام فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال على رضى الله عنه انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل رضوان الله عليهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار قال ان أهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عندبابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبدا حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى نضرة قال يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها اياه ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها اياه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات حين أدخلوا الجنة ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته وما صرف عنهم من العذاب المهين الذى ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسله الحمد لله الذى هدانا لهذا يقول الحمد لله الذى وفقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله يقول وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا

تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على أن الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبار بالغيب لانه أمى لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحى لا محالة فمن القصص أولاها قصة آدم وقد مرت فى أول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه بشكر فسمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فأهلكوا فندم أو حين راجع ربه فى شأن ابنه أو حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك قال الله له أعبتنى اذ خلقته أم عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة فى المسمى والصحيح أنه اسم أعجمى قال ابن عباس معنى أرسلنا بعثنا * وقال آخرون معناه أنه تعالى جعله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير تكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع لا أنه أصل قال فى التفسير الكبير وهذا البحث مبنى على مسئلة أصولية هى أن الرسول أرسل الى قوم ليعرفهم أحكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم أو الغرض من بعثته مجرد تأكيد ما فى العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة أليق أمرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بأنه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيامة أو الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى

في مواضع كثيرة فيعلم أن نبي الله
أول سورة البقرة الى ههنا غير مرة
فوقع التعويل على ذلك هذا مع أن
الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم
يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل
عندهم من وجوه النفع والاحسان
والبر واللطف حاصلا منه ونهاية
الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا
قال بعض العلماء لا يحسن منا
عبادة الله تعالى قبل العلم بأنه واحد
لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم
فتقع العبادة ضائعة والاله معناه
المستحق للعبادة والا فهو في الازل
غير معبود ومعنى الخوف في الآية
قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان
جازما بنزول العذاب بهم عاجلا
وآجلا * وقال آخرون الشك لانه
كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز
كيف يجزم بالعذاب أو لعل السمع
لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا أو لعله
وصف العذاب بالعظم ولكنه جر
على الجوار ثم انه تردد في وصف
العذاب بالعظم لا في نفس
العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله اني أخاف بيان
للداعي الى عبادته لانه هو المحذور
عقابه دون الاصنام فقال الملأ من
قومه أي الاشراف وصدور المجالس
الذين هم بعض قومه في جواب نوح
انا لنراك في ضلال في ذهاب عن
طريق الحق والصواب مبين بين
والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والبديهة
نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من
التكليف والتوحيد والنبوة
والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم
يقل ضلال ليكون أبلغ في عموم
السلب كأنه قال ليس بي نوع من
أنواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه بأشرف الصفات وأجلها فاستدرك

الله له ووفقنا عنه وطوله كما **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا الاعمش
عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من
الجنة فيقولون لو هدانا الله فتكون عليهم حسرة وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقولون لولا أن
هدانا الله فهذا شكرهم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت
أبا اسحق يحدث عن عاصم بن ضمرة عن علي قال ذكر عمر لشيء لا أحفظه ثم ذكر الجنة فقال
يدخلون فاذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان قال فيغتسلون من احداهما فتجري عليهم نضرة
النعيم فلا تشعث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم ويشربون من الاخرى فيخرج كل قذى وقذر أو شيء
في بطونهم قال ثم يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال فتستقبلهم
الولدان فيحفون بهم كما تحف الولدان بالحميم اذا جاء من غيبته ثم يأتون فيبشرون أزواجهم فيسمونهم
بأسمائهم وأسماء آبائهم فيقلن أنت رأيته قال فيستخفهن الفرح قال فيجيء حتى يقفن على
أسكفة الباب قال فيجيؤن فيدخلون فاذا أس بيوتهم بجندل اللؤلؤ واذا صروح صفر وخضر وحمر
ومن كل لون وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فلولا أن الله
قدرها لهم لا لتمعت أبصارهم مما يرون فيها فيعانقون الازواج ويقعدون على السرر ويقولون
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق الآية ﴿ القول
في تأويل قوله ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾
يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات انهم يقولون عند دخولهم الجنة
ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها وهوان أعداء الله في النار والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء
الذين في النار رسل ربنا بالحق من الاخبار عن وعد الله أهل طاعته والايمان به وبرسله ووعيده
أهل معاصيه والكفر به وأما قوله ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون فان معناه ونادى
منادي هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعدلهم من كرامته أن يا هؤلاء هذه تلكم الجنة
التي كانت رسلي في الدنيا تخبركم عنها أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله لتصديقكم اياهم
وطاعتكم ربكم وذلك هو معنى قوله بما كنتم تعملون وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدي ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال ليس من كافر ولا مؤمن الا وله في
الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ودخلوا منازلهم رفعت الجنة لاهل
النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رؤوسهم
بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر بن سعد أبو
داود الحفري عن سعيد بن بكر عن سفيان الثوري عن أبي اسحق عن الاغر ونودوا أن تلكموا
الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا وانعموا فلا
تبأسوا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن أبي اسحق عن الاغر عن أبي
سعيد ونودوا أن تلكموا الجنة الآية قال ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا * واختلف
أهل العربية في أن التي مع تلكم فقال بعض نحويي البصرة هي أن الثقيلة خففت وأضمر
فيها ولا يستقيم أن يجعلها الخفيفة لان بعدها اسما والخفيفة لا تليها الاسماء وقد قال الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا * أن هالك كل من يحفى وينتعل

(وقال آخر)

أكاشره وأعلم أن كلانا * على ما ساء صاحبه حريص

قال

قال فمعناه أنه كلانا قال ويكون كقوله أن قد وجدنا فى موضع أى وقوله أن أقيموا ولا تكون أن التى تعمل فى الافعال لانك تقول غاظنى أن قام وأن ذهب فتقع على الافعال وان كانت لا تعمل فيها وفى كتاب الله وانطلق الملأ منهم أن امشوا أى امشوا وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة فقال غير جائز أن يكون مع أن فى هذا الموضع هاء مضمرة لان أن دخلت فى الكلام لتلقى ما بعدها قال وأن هذه التى مع تلكم هى الدائرة التى يقع فيها ما ضارع الحكاية وليس بلفظ الحكاية نحو ناديت أنك قائم وأن زيد قائم وأن قمت فتلى كل الكلام وجعلت أن وقاية لان النداء يقع على ما بعده وسلم ما بعد أن كما سلم ما بعد القول ألا ترى أنك تقول قلت زيد قائم وقلت قام فتلها ما شئت من الكلام فلما كان النداء بمعنى الظن وما أشبهه من القول سلم ما بعد أن ودخلت أن وقاية قال وأما أى فانها لا تكون على أن لا يكون أى جواب الكلام وان تكفى من الاسم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فى الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الايمان به وبهم وعلى طاعته فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب فأجابهم أهل النار بأن نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم قال وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب وأهل النار ما وعدوا من عقاب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه ووعد أهل النار كل خزى وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه فذلك قوله وآخر من شكله أزواج قال فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم يقول من الخزى والهوان والعذاب قال أهل الجنة فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من النعيم والكرامة فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين واختلفت القراء فى قراءة قوله قالوا نعم فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة قالوا نعم بفتح العين من نعم وروى عن بعض الكوفيين أنه قرأ قالوا نعم بكسر العين وقد أنشد بيت لبنى كلب

نعم اذا قالها منه محققة ۞ ولا تجىء عسى منه ولا لعن

بكسر نعم قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا نعم بفتح العين لانها القراءة المستفيضة فى قراء الامصار واللغة المشهورة فى العرب وأما قوله فأذن مؤذن بينهم يقول فنادى منادو أعلم معلم بينهم أن لعنة الله على الظالمين يقول غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به وقد بينا القول فى أن اذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية وليس بصريح الحكاية بأنها تشددها العرب أحيانا وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحيانا وتعمل الفعل فيها فتنصبها به وتبطل عملها عن الاسم الذى يليها فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واذ كان ذلك كذلك فسواء شددت أن أو خففت فى القراءة اذ كان معنى الكلام بأى ذلك قرأ القارئ واحدا وكانتا قراءتين مشهورتين فى قراءة الامصار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون﴾ يقول جل ثناؤه ان المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول ان لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله ويبغونها عوجا يقول حاولوا سبيل الله وهو دينه أن يغيروه ويبدلوه

بيان فرط جهالتهم وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذى لا ضلال بعده وفيه أن مدح الانسان نفسه اذا كان فى موضع الضرورة جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو أمران الاول تبليغ الرسالة والثانى تقرير النصيحة فقال أبلغكم الآية والجملة استئناف بيان لكونه رسولا من رب العالمين أو صفة لرسول وانما جاز أن تكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره *

رسالات ربى ما أوحى الىّ فى الاوقات المتطاولة أو ما أوحى الىّ فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى وشرح مقادير الثواب والعقاب فى الآخرة ومقادير الحدود والزواجر فى الدنيا ويجوز أن يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة وأنصح لكم قال الفراء العرب لا تكاد تقول نصحتك وان كان جائزا ولكن تقول نصحت لك قال فى الكشاف وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على اخلاص النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكر ومعنى الآية وأبلغكم تكاليف الله ثم أرشدكم الى الاصلح الاصوب وأدعوكم الى ما دعانى الله تعالى وأحب لكم ما أحب لنفسى وأعلم من الله ما لا تعلمون أى أعلم أنكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان وذلك أنهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم أو أعلم أن الله يعاقبكم فى الآخرة عقابا أو أعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون ويكون المقصود حمل القوم على أن يرجعوا اليه فى طلب تلك العلوم

(أوعجبتم) الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به * وقال آخرون الذكر المعجز كتابا أو غير كتاب وقيل هو الموعظة على رجل أي على لسانه قاله ابن قتيبة ونظيره آتنا ماوعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخير على وجهك ومع وجهك كلاهما جائز وقيل أي منزل على رجل ومعنى منكم من بني نوعكم كأنهم استبعدوا أن يكون الله رسول الى خلقه لاعتقادهم أن المقصود من الارسال التكليف وأن التكليف لا منفعة فيه للمعبود لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال وأما في المآل فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وأيضا ان العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح ومالا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه فعل لانه تعالى لا يكلف مالا يطاق وان لم يكن مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وبتقدير أنه لابد من الرسول فان ارسال الملائكة أولى لشدة بطشهم ووفور عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا أن من كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فأنكر نوح عليه السلام كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية أن يأمر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز أن يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز أن يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس أسكن وقدم في أول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الآية وانه ترتيب أنيق لان المقصود من

عما جعله الله له من استقامته وهم بالآخرة كافرون يقول وهم لقيام الساعة والبعث في الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون والعرب تقول للميل في الدين والطريق عوج بكسر العين وفي صفة الرجل على الشئ والعطف عليه عاج اليه يعوج عيا جا وعوجا وعوجا بالكسر من العين والفتح كما قال الشاعر (١) ففانبكي منازل آل ليلى * على عوج اليها واتئناء

ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده اياه بكسر العين من عوج فأما ما كان خلقة في الانسان فانه يقال فيه عوج ساقه بفتح العين ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ ﴿ وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وبينهما حجاب وبين الجنة والنار حجاب يقول حاجز وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الاعراف التي يقول الله فيها وعلى الاعراف رجال كذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبينهما حجاب يعني السور وهو الاعراف وأما قوله وعلى الاعراف رجال فان الاعراف جمع واحدها عرف وكل مرتفع من الارض عند العرب فهو عرف وانما قيل لعرف الديك عرف لارتفاعه على ماسواه من جسد ومنه قول الشماخ بن ضرار

وظلت بأعراف تعالى كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز

يعني بقوله بأعراف بنشوز من الارض ومنه قول الآخر

كل كناز لحمه نياف * كالعلم الموفى على الاعراف

وكان السدي يقول انما سمي الاعراف أعرافا لان أصحابه يعرفون الناس حدثني بذلك محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الله بن يزيد سمع ابن عباس يقول الاعراف هو النبي المشرف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبيد الله بن يزيد قال سمعت ابن عباس يقول مثله حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الديك حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب قال أبو موسى وحدثني عبيد الله بن يزيد انه سمع ابن عباس يقول ان الاعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعني بالاعراف السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور له عرف كعرف الديك حدثنا

(١) في اللسان ففانسأل منازل آل ليلى * متى عوج اليها واتئناء ولاختلاف حركة الروي وابهام الشاعر أمسكنا كتبه مصححه

ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الاعراف سور بين الجنة والنار
حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول الاعراف السور الذى بين الجنة والنار * واختلف أهل التأويل فى صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الاعراف وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك فقال بعضهم هم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيآتهم فجعلوا هنالك الى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته اياهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبى اسحق قال قال الشعبى أرسل الىّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش واذا هما قد ذكرا من أصحاب الاعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما ان شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت ان حذيفة ذكر أصحاب الاعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة فاذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك اطلع اليهم ربك تبارك وتعالى فقال اذهبوا وادخلوا الجنة فانى قد غفرت لكم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وعمران بن عيينة عن حصين عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فيقول ادخلوا الجنة بفضلى ومغفرتى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال فمن استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا أبصارهم الى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فيتعوذون بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الأعراف فان النور كان فى أيديهم فلم ينزع من أيديهم فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال فقال ابن مسعود على أن العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم يقول هلك من غلب وحدانه أعشاره حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى عيسى الخياط عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار وهم آخر من

لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى والفوز بالجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا (فكذبوه) فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف وأصروا قال بعض العلماء ما فى حق العقلاء من التكذيب فبغير الباء نحو كذبوا رسلى وكذبوه وما فى حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا بآياتنا والتحقيق أن المراد كذبوا رسلنا بردّ آياتنا (فأنجيناه والذين) استقروا (معه فى الفلك) وأنجيناهم فى السفينة من الطوفان قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل كانوا تسعة وهم بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به وانما قال فى سورة يونس فنجيناه ومن معه فى الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من أدل على العموم ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين (انهم كانوا قوما عمين) قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال أهل اللغة يقال رجل عم فى البصيرة وأعمى فى البصر فالعمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث * القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه (والى عاد أخاهم هودا) والتقدير لقد أرسلنا نوحا الى قومه وأرسلنا الى عاد أخاهم هودا واتفقوا على أن هودا ما كان أخاهم فى الدين ثم قال الزجاج معناه أنه كان من آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل أراد واحدا منهم قاله الكلبى وهو من قولك يا أخا العرب لواحد منهم وقيل خص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا أعرف بحاله فى صدقه وأمانته

وقيل معناه صاحبهم والعرب تسمي صاحب صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لأخاهم وأما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم أن ألفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين أسرارها فمنها قوله هنالك فقال ياقوم اعبدوا الله وههنا قال ياقوم والفرق أن نوحا عليه السلام كان مواظبا على دعوتهم وما كان يؤخر الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة وأما هود فما كان جده الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود و يمكن أن يقال لما أضمر أرسلنا أضمر الفاء لان الداعي الى الفاء أرسلنا وفي الكشاف أن هذا وارد على سبيل الاستئناف ومنها قوله مالكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وفي قصة هود مالكم من اله غيره أفلا تتقون لأن واقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك أي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملأ من قومه وفي قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه اما أن هذا وصف وارد للذم لا غير واما أنه لم يكن في أشراف قوم نوح من يؤمن وكان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فأريد التفرقة بالوصف ومنها أن قوم نوح قالوا انا لنراك في ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنراك في سفاهة أي متمكنا منها تمكن المظروف من الظرف وذلك أن نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة فقتلوا

يدخل الجنة قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام عن قتادة قال قال ابن عباس أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فلم تزد حسناتهم على سيآتهم ولا سيآتهم على حسناتهم **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف بذلك المكان حتى اذا بدا لله أن يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم و يبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن فقال تمنوا ما شئتم قال فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين الجنة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث قال أصحاب الاعراف يؤمر بهم الى نهر يقال له الحياة ترابه الورس والزعفران وحافتاه قضب اللؤلؤ قال وأحسبه قال مكلل باللؤلؤ وقال فيغتسلون فيه فتبدو في نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم تمنوا فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا وانهم مساكين أهل الجنة * قال حبيب **وحدثني** رجل انهم استوت حسناتهم وسيئاتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث قال أصحاب الأعراف ينتهي بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب من ذهب قال سفيان أراه قال مكلل باللؤلؤ قال فيغتسلون منه اغتسالة فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا فيقال لهم تمنوا ما شئتم فيتمنون ما شاؤا فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا قال فهم مساكين أهل الجنة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حصين عن الشعبي عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم على سور بين الجنة والنار لم يدخلوها وهم يطمعون **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول الأعراف بين الجنة والنار حبس عليه أقوام بأعمالهم وكان يقول قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس أهل الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم * وقال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن منصور عن سعيد بن جبير قال أصحاب الاعراف استوت أعمالهم **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك على السور **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن سفيع أو سميع « قال أبو جعفر كذا وجدت في كتاب سفيع » عن أبي علقمة قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم * وقال آخرون كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي مسعر عن شرحبيل بن سعد قال هم قوم خرجوا في الغزو بغير اذن آبائهم **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني الليث قال ثني خالد عن سعيد عن يحيى بن شبل أن رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم

مدة طويلة فوصفوه بضعف الرأى والبعد عن السداد وأما هود فاذكر شيأ الا أنه زيف معتقدهم فى عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوه بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين فى ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه أن الشك والتجويز فى أصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وأنصح لكم وقال هود وأنا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عليه السلام العود الى تجديد تلك الدعوة فى كل يوم وفى كل ساعة وصيغة الفعل دلت على التجدد المستمر ولهذا قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الى آخر الآيات وأما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه السلام قال وأعلم من الله مالا تعلمون لانه كان يعلم من أسرار الله تعالى مالم يصل اليه هود فلا جرم أمسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه أمينا ثقة أى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقى أن آتى بالكذب والغش أو المراد تقرير الرسالة فانها تدور على الأمانة أى أنا لكم ناصح فيما أدعوكم اليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه وفى هذين الجوابين عن مثل ذينك الشخصين مع جلالة قدرهما دليل على أن الحكيم يجب أن لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبنى على الحلم والاغضاء ومنها أن هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر فى قصة نوح أن فائدة الانذار هى حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك شيأ آخر يختص بهم فقال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء

فقتلوا فأعقبهم الله من النار بقتلهم فى سبيله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر من يدخل الجنة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن أبى معشر عن يحيى بن شبل مولى بنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال قوم قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم قتلهم فى سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة * وقال آخرون بل هم قوم صالحون فقهاء علماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء * وقال آخرون بل هم ملائكة وليسوا بنى آدم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى مجلز قوله وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم الى قوله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قال فنادى أصحاب الاعراف رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابى مجلز يقول الله وعلى الاعراف رجال وتزعم أنت أنهم الملائكة قال فقال انهم ذكور وليسوا باناث **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمى عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم أهل النار وأهل الجنة وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبى عدى عن التيمى عن أبى مجلز بنحوه * وقال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن التيمى عن أبى مجلز قال أصحاب الاعراف الملائكة **حدثنى** المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد قال أخبرنا التيمى عن أبى مجلز وعلى الأعراف رجال قال هم الملائكة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال هم الملائكة قلت يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال وأنت تقول ملائكة قال انهم ذكران ليسوا باناث **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال الملائكة قال قلت يقول الله رجال قال الملائكة ذكور * قال أبو جعفر والصواب من القول فى أصحاب الاعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ولا انه متفق على تأويلها ولا اجماع من الامة على انهم ملائكة فاذ كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك قياسا وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بنى آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق غيرهم كان بينا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له وأن الصحيح من القول فى ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الاخبار وان كان فى أسانيدها ما فيها وقد **حدثنى** القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم آخر من يفصل بينهم من العباد واذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلكم الجنة وأنتم عتقائى فارعوا من الجنة حيث شئتم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ يقول

من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لاظرف أى اذكروا وقت جعلكم خلفاء (وزادكم فى الخلق بسطة) فالخلق التقدير وقلما يطلق الا على الشئ الذى له مقدار وجملة والمراد حصول الزيادة فى أجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تذكر فى معرض الامتنان قال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وقال آخرون تلك الزيادة هى مقدار ما تبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على أهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة فى القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين فى القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وفيما سواهما من عطاياه وآلاء الله نعمه واحدها الى ونحوه انى وآناء كعنب وأعناب قال الجوهرى واحدها ألى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون فى وجوب الأعمال الظاهرة بالآية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر وأجيب بأن الآيات الدالة على وجوب العمل مخصصة أو مقيدة والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نبيهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا أن العبادة نهاية التعظيم ولا تليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شئ من النعم لانها جماد والجماد لا قدرة له أصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة

تعالى ذكره وعلى الاعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم فاذا رأوا أهل الجنة نادوهم سلام عليكم ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال يعرفون أهل النار بسواد الوجوه وأهل الجنة ببياض الوجوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من فى الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم فى ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها ان شاء الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام اذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين واذا نظروا الى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه فذلك قوله ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم زعموا أن أصحاب الاعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا وكان حسم أمرهم لله فجعلهم الله على الاعراف فاذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فتعوذوا بالله من النار واذا نظروا الى أهل الجنة نادوهم أن سلام عليكم قال الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال وهذا قول ابن عباس حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يعرفون كلا بسيماهم يعرفون الناس بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعرفون كلا بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه وأهل النار بسيماهم سود الوجوه قال وقوله يعرفون كلا بسيماهم قال أصحاب الجنة وأصحاب النار ونادوا أصحاب الجنة قال حين رأوا وجوههم قد ابيضت حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك يعرفون كلا بسيماهم قال بسواد الوجوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون * والسيماء العلامة الدالة على الشئ فى كلام العرب وأصله من السمة نقلت واوها التى هى فاء الفعل الى موضع العين كما يقال اضمحل وامضحل وذكر سماعا عن بعض بنى عقيل هى أرض خامة يعنى ونجمة ومنه قولهم له جاه عند الناس بمعنى وجه نقلت واوه الى موضع عين الفعل وفيها

لغات

لغات ثلاث سيما مقصورة وسيماء ممدودة وسيماء بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ومدها على مثال الكبرياء كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن اذ رمى * له سيماء لا تشق على البصر

وأما قوله ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون أى حلت عليكم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله لم يدخلوها وهم يطمعون فقال بعضهم هذا خبر من الله عن أهل الاعراف أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الاعراف غير أنهم قالوه وهم يطمعون فى دخولها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أهل الاعراف يعرفون الناس فاذا مروا عليهم بزمرة يذهب بها الى الجنة قالوا سلام عليكم يقول الله لاهل الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن لم يدخلوها وهم يطمعون قال والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قال أبى الله بمكانهم من الطمع حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال أما أصحاب الاعراف فان النور كان فى أيديهم ما انتزع من أيديهم يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال فى دخولها قال ابن عباس فأدخل الله أصحاب الاعراف الجنة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعطاء لم يدخلوها وهم يطمعون قالا فى دخولها * وقال آخرون انما عنى بذلك أهل الجنة وان أصحاب الاعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة سلام عليكم وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها ولم يدخلوها بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا وكيع قال ثنا جرير عن سليمان التيمى عن أبى مجلز ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون قال الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الاعراف ينادون أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى حيالهم ووجاههم فنظروا الى تشويه الله لهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال واذا مروا بهم يعنى أصحاب الاعراف بزمرة يذهب بها الى النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن أخيه عن عكرمة واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار يحرد وجوههم للنار فاذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم زرقة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾ يقول جل ثناؤه

اختصاص الله وحده بالعبادة وفى المجىء أوجه منها أن يكون لهود معتزل يتحنث فيه أى يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجىء الملك ومنها أن يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أتعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده أى منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التى وقعت حالا بتأويل ولا يمكن أن يكون وحده ههنا اعترافا كما يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان الفرض أنهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل أفلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم (فأتنا بما تعدنا) فأجابهم هود بقوله (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) ولا بد أن يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف أما الغضب فى حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا وأما الرجس فقيل العذاب واعترض عليه بلزوم التكرار وقيل العقائد المذمومة والصفات القبيحة وذلك أن الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه فى صفة أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد فى الكفر

من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه أنه تعالى أحدث ارادة فى ذلك الوقت وقيل أراد هود أنه أخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذى لاشك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد أنها ستكون البتة وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء أباه يبكى فقال له يابنى مالك فقال لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حبرة فضمه الى صدره وقال يابنى قد قلت الشعر ثم أنكر عليهم قبيح فعالهم فقال (أتجادلوننى فى أسماء) تناظروننى فى شأن آلهة أشياء ماهى الا أسماء (سميتموها) أحدثتموها (أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) أى لا حجة على حقيقتها فتنزل والحاصل انها أسماء بلا مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما أعطاه الله تعالى عزا أصلا وسموا آخر منها باللات من الالهية وماله من الالهية أثر وانما قال فى هذه السورة نزل وفى غيرها مما سيجىء أنزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجرى مابعده مجرى التفصيل للجملة أو أنواع للجنس والله أعلم ثم انه ذكرهم وعيدا محدودا فقال (فانتظروا) سوء عاقبة هذه الاصنام (انى معكم من المنتظرين) عاقبة السوء أو عاقبة الحسنى وذلك قوله (فأنجيناه والذين معه برحمة) بسبب رحمة كانوا يستحقونها (منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم ودمرناهم عن آخرهم وقد مر مثله فى الانعام وفائدة نفى الايمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع اثبات التكذيب بآيات ربهم أن يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد وغيره كانه قيل ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا

ونادى أصحاب الاعراف رجالا من أهل الارض يعرفونهم بسيماهم سيما أهل النار قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا وما كنتم تستكبرون يقول وتكبركم الذى كنتم تتكبرون فيها كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال فربهم يعنى بأصحاب الاعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال يقول قال أصحاب الاعراف ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ونادى أصحاب الاعراف رجالا قال فى النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وتكبركم وما كنتم تستكبرون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمى عن أبى مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة الآية قلت لابى مجلز عن ابن عباس قال لابل عن غيره **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمى عن أبى مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال نادت الملائكة رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال رجال عظماء من أهل الدنيا قال فبهذه الصفة عرف أهل الاعراف أهل الجنة من أهل النار وانما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ورئيس أهل الشر يوم القيامة قال وقال ابن زيد فى قوله ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال على أهل طاعة الله ﴿القول فى تأويل قوله﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذا الكلام فقال بعضهم هذا قيل الله لاهل النار توبيخا لهم على ما كان من قيلهم فى الدنيا لاهل الاعراف عند ادخاله أصحاب الاعراف الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله يقومون على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها واذا نظروا الى أهل النار تعوذوا بالله منها فأدخلوا الجنة فذلك قوله تعالى أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك قال قال ابن عباس ان الله أدخل أصحاب الاعراف الجنة لقوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الله لاهل التكبر والاموال أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أهؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون قال فقال حذيفة أصحاب الاعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيآتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى بين العباد أذن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم عليه السلام فقالوا يا أبانا أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسجد

رحمه

سل من آمن منهم أو معنى وما كانوا مؤمنين فى علم الله تعالى اى لم يكونوا من المكذبين الذين لو بقوا لآمنوا قال فى الكشاف

رحمة الله اليه غضبه وسجدت له الملائكة غيرى فيقولون لا قال فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى ابراهيم قال فيأتون ابراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه فيقول هل تعلمون من أحد اتخذه الله خليلا هل تعلمون أحدا أحرقه قومه فى النار فى الله غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقولون اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب غيرى فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله غيرى قال فيقولون لا قال فيقول أنا حجيج نفسى ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فأثنى على ربى فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لى يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول رب أمتى فيقال هم لك فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب الا غبطنى يومئذ بذلك المقام وهو المقام المحمود قال فآتى بهم باب الجنة فأستفتح فيفتح لى ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب من ذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريحهم ويصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال لهم مساكين أهل الجنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك قال ان الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة وهو قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون يعنى أصحاب الاعراف وهذا قول ابن عباس فتأويل الكلام على هذا التأويل الذى ذكرنا عن ابن عباس ومن ذكرنا قوله فيه قال الله لأهل التكبر عن الاقرار بوحدانية الله والاذعان لطاعته وطاعة رسله الجامعين فى الدنيا الأموال مكاثرة ورياء أيها الجبابرة الذين كنتم فى الدنيا أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلى ورحمتى أدخلوا يا أصحاب الاعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم فى الدنيا من الآثام والاجرام ولا أنتم تحزنون على شئ فاتكم فى دنياكم * وقال أبو مجلز بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لاهل النار بعد ما دخلوا النار تعييرا منهم لهم على ما كانوا يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته وأما قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى مجلز قال نادت الملائكة رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم فى الدنيا من زلل طاعة الله وأداء ما كان فرض عليهم فيها فى أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة يقول تعالى ذكره ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله أى أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام

وان عادا قد بسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله هودا نبيا وكان من أوسطهم وأشرفهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فهزت عاد الى مكة من أمائلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية احداهما وردة والاخرى جرادة ولما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قد موا الاجله أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا أنه ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل قولا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

ويسقى أرض عاد إن عادا * قد آمسوا ما يبينون الكلاما

الهينمة اخفاء الكلام فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا

قوله ما يبينون الكلام أى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم

وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم ربكم سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدم من معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادمن السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادلهم يقال له المغيث فاستبشر وابها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فتعبدوا الله فيها حتى ماتوا ﴿(التأويل)﴾ لقد أرسلنا نوح الروح الى قومه ببلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فأنجيناه والذين معه في الفلك الشريعة وأغرقنا النفس وصفاتها في البحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عميين عن رؤية الله والوصول اليه وزادكم في الخلق بسطة كما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود الى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي مقالتكم تدل على حالتكم انه أصابكم سطوات العذاب فمن أمارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتغريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والجدال ﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم

كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال من الطعام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال يستطعمونهم ويستسقونهم فأجابهم أهل الجنة ان الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده وكذبوا في الدنيا رسله والهاء والميم في قوله ان الله حرمهما عائدتان على الماء وعلى ما التي في قوله أو مما رزقكم الله * وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه أو أباه فيقول قد احترقت أفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين وحدثني المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا سفيان عن عثمان عن سعيد بن جبير ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه يا أخي قد احترقت فأغثني فيقول ان الله حرمهما على الكافرين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال طعام أهل الجنة وشرابها ﴿القول في تأويل قوله ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين يقول تعالى ذكره فأجاب أهل الجنة أهل النار ان الله حرمهما على الكافرين الذين كفروا بالله ورسله الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهوا ولعبا يقول سخرية ولعبا وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا الآية قال وذلك أنهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به اغترارا بالله وغرتهم الحياة الدنيا يقول وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا أي في هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم يقول نتركهم في العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له باتعاب أبدانهم في طاعة الله وقد بينا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نسوا في العذاب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ننساهم قال نتركهم في النار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا الآية يقول نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا في قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نؤخرهم في النار وأما قوله وما كانوا بآياتنا يجحدون فان معناه اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا بآياتنا يجحدون فما التي في قوله وما كانوا معطوفة على ما التي في قوله كما نسوا

وتأويل الكلام فاليوم نتركهم في العذاب كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة وكما كانوا بآيات الله يجحدون وهي حججه التي احتج بها عليهم من الانبياء والرسل والكتب وغير ذلك يجحدون يكذبون ولا يصدقون بشيء من ذلك ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب يعني القرآن الذي أنزله اليه يقول لقد أنزلنا اليهم هذا القرآن مفصلا مبينا فيه الحق من الباطل على علم يقول على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذي ميز فيه بينه وبين الحق هدى ورحمة يقول بيناه ليهتدي ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه وأخباره ووعده ووعيده فينقذهم به من الضلالة الى الهدى وهذه الآية مردودة على قوله كتاب أنزلناه اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم والهدى في موضع نصب على القطع من الهاء التي في قوله فصلناه ولو نصب على فعل فصلناه فيكون المعنى فصلنا الكتاب كذلك كان صحيحا ولو كان قرئ هدى ورحمة كان في الاعراب فصيحا وكان خفض ذلك بالرد على الكتاب ۞ القول في تأويل قوله ﴿هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ يقول تعالى ذكره هل ينظرون الا تأويله هل ينظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه الا تأويله يقول الا ما يؤل اليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به وقد بينا معنى التأويل فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا تأويله أي ثوابه يوم يأتي تأويله أي ثوابه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله قال تأويله عاقبته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا تأويله قال جزاءه يوم يأتي تأويله قال جزاؤه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هل ينظرون الا تأويله أما تأويله فعواقبه مثل وقعة بدر والقيامة وما وعد فيه من موعد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتم تأويله يوم القيامة ففي ذلك أنزل هل ينظرون الا تأويله حيث أتاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم يقول يومئذ الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله قال يوم القيامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوم يأتي تأويله قال يوم يأتي تحقيقه وقرأ قول الله تعالى هذا تأويل رؤياي من قبل قال هذا تحقيقها وقرأ قول الله وما يعلم تأويله الا الله قال ما يعلم حقيقته ومتى يأتي الا الله تعالى وأما قوله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل فان معناه يوم يجيء ما يؤل اليه أمرهم من عقاب الله يقول الذين نسوه من قبل أي يقول الذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل اليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك في الدنيا لقد جاءت رسل ربنا بالحق أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحل بهم العقاب أن رسل الله التي أتتهم بالنذارة وبلغتهم عن الله الرسالة قد كانت نصحت لهم وصدقتهم عن الله وذلك حين لا ينفعهم التصديق

هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) ۞ القراآت وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام أبو جعفر ونافع وحفص وسهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وهشام يدخل بينهما مدة

آينكم بالمد وبالياء أبو عمرو وزيد أينكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد ۞ الوقوف صالحا ج لئلا يظن أن صالحا صفة لاعلم فالجملة بعده نعته وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية غيره ط من ربكم ط أليم ٥ بيوتا ط لما مر في قصة هود مفسدين ٥ من ربه ج مؤمنون ٥ كافرون ٥ المرسلين ٥ جاثمين ٥ ناصحين ٥ من العالمين ٥ من دون النساء ط لمكان الاضراب مسرفون ٥ من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء الامر أنه ز لاحتمال الاستئناف والأشبه أنها حال المرأة من الغابرين ٥ مطرا ط المجرمين ٥ ۞ التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف تارة بتأويل القبيلة وينصرف أخرى بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لانه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود أخو جديس وطسم وقد ورد القرآن بالصرف ومنعه جميعا قال تعالى ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة دالة على صدقي وكأنه قيل ما تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وانتصابها على الحال والعامل فيها

ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل ۞ وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق أما الذين نسوه فتركوه فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا قد جاءت رسل ربنا بالحق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يقول الذين نسوه قال أعرضوا عنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم ووروده أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا فتجيبنا شفاعتهم عند ما قد حل بنا من سوء فعالنا في الدنيا أو نرد الى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضيه ونعتبه من أنفسنا قال هذا القول المساكين هنالك لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم فيذكر واذلك في وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة يقول الله جل ثناؤه قد خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأسلمهم لعذاب الله وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله قد خسروا أنفسهم يقول شروها بخسران وانما رفع قوله أو نرد ولم ينصب عطفا على قوله فيشفعوا لنا لان المعنى هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ولم يرد به العطف على قوله فيشفعوا لنا ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا﴾ يقول تعالى ذكره ان سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة كما حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وكان بدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كألف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وأما قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا فانه يقول يورد الليل على النهار فيلبسه اياه حتى يذهب نضرته ونوره يطلبه يقول يطلب الليل النهار حثيثا يعني سريعا ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يطلبه حثيثا يقول سريعا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا قال يغشى الليل النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعا حتى يدركه ۞ القول في تأويل قوله ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم كل ذلك بأمره أمرهن الله فأطعن أمره ألا لله الخلق كله والامر الذي لا يخالف ولا يرد أمره دون ما سواه من الاشياء كلها ودون ما عبده المشركون من الآلهة والاوثان

التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر تبارك الله معبودنا الذى له عبادة كل شئ رب العالمين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبد الرحمن قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى عبد الغفار ابن عبد العزيز الانصارى عن عبد العزيز الشامى عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه قل شكره وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الامر شيأ فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين﴾ يقول تعالى ذكره ادعوا أيها الناس ربكم وحده فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والاصنام تضرعا يقول تذللا واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مرآة وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله كما حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك ابن فضالة عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا فرضى فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم الاحول عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فقال أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا معكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال السر وأما قوله انه لا يحب المعتدين فان معناه ان ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذى حده لعباده فى دعائه ومسألته ربه ورفعه صوته فوق الحد الذى حد لهم فى دعائهم اياه ومسألتهم وفى غير ذلك من الامور كما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمن قال أنبأنا اسمعيل بن حماد بن أبى سليمن عن عباد بن عباد عن علقمة عن أبى مجلز ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قال لا يسأل منازل الانبياء عليهم السلام حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس انه لا يحب المعتدين فى الدعاء ولا فى غيره قال ابن جريج ان من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها لا تشركوا بالله فى الارض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى وبينا معناه بشواهده بعد اصلاحها يقول بعد اصلاح الله اياها لاهل طاعته باتباعه فيهم الرسل دعاة الى الحق وايضاحه حجه لهم وادعوه خوفا وطمعا يقول وأخلصوا له الدعاء والعمل ولا تشركوا فى عملكم له شيأ غيره من الآلهة والاصنام وغير ذلك وليكن ما يكون منكم فى ذلك خوفا من عقابه وطمعا فى ثوابه وان من كل دعاؤه اياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذبين لان من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه ليبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه ان رحمة الله قريب من المحسنين يقول تعالى ذكره ان ثواب الله الذى وعد المحسنين على احسانهم فى الدنيا قريب منهم وذلك هو رحمته لانه ليس

ما فى اسم الاشارة أو حرف التنبيه من معنى الفعل أى أشير اليها أو أنبه عليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص أولئك الاقوام بهامع أنها آية لكل أحد أنهم عاينوها وغيرهم أخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة أو لعله يثبت سائر المعجزات الا أن القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فأظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فعل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وبيت الله وبالحقيقة هى آية تشتمل على آيات نفر وجها من الجمل آية وكونها لا من ذكر وأنثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام فى قوتها المناسب للماء وفى غزارة لبنها وأنكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط ويروى أن جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود فى يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم (فذروها تأكل فى أرض الله) أى الناقة ناقة الله والارض أرض الله فدعوها تأكل فى أرض ربها ومما أنبتت منها (ولا تمسوها بسوء) من الضرب والطرد وسائر أنواع الاذى اكراما لآية الله (فيأخذكم

عذاب أليم) يعنى أخذ الاستفزاز والاستئصال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) تفسيره كما فى قصة هود (وبوأكم فى الارض) أنزلكم فيها والمباءة المنزل والارض أرض الحجر (تتخذون من سهولها) أى تبنون من سهول الارض قصورا بما تعملون من الاراضى السهلة لبناء وآجرا ورهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا لان الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة ويجوز أن تكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما جاءت فى موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على أنه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء (فاذكروا آلاء الله) يعنى انى قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا أنتم تمامها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) قيل نهى عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر فى أوائل سورة البقرة (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) أى المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله (لمن آمن منهم) بدل من قوله للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير فى منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على أن المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما أن يرجع

بينهم وبين أن يصيروا الى ذلك من رحمته وما أعد لهم من كرامته الا أن تفارق أرواحهم أجسادهم وذلك من المعنى ذكر قوله قريب وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة لانه أريد به القرب فى الوقت لا فى النسب والاوقات بذلك المعنى اذا رفعت أخبارا للاسماء أجريتها العرب مجرى الحال فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع وذكرتها مع المؤنث فقالوا كرامة الله بعيد من فلان وهى قريب من فلان كما يقولون هند قريب منا والهندان مناقريب والهندات مناقريب لأن معنى ذلك هى فى مكان قريب منا فاذا حذفوا المكان وجعلوا القريب خلفا منه ذكروه ووحدوه فى الجمع كما كان المكان مذكرا وموحدا فى الجمع وأما اذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنين ومجموعا مع الجميع فقالوا هى قريبة منا وهما منا قريبتان كما قال عروة بن الورد

عشية لا عفراء منك قريبة * فتدنو ولا عفراء منك بعيد

فأنث قريبة وذكر بعيدا على ما وصفت ولو كان القريب من القرابة فى النسب لم يكن مع المؤنث الا مؤنثا ومع الجميع الا مجموعا وكان بعض نحويى البصرة يقول ذكر قريب وهو صفة للرحمة وذلك كقول العرب ريح خريق وساحفة حديد وشاة سديس قال وان شئت قلت تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه فلذلك ذكر كما قال وان كان طائفة منكم آمنوا فذكر لانه أراد الناس وان شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث كقول الشاعر * ولا أرض أبقل ابقالها *

وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية ورأى أنه يلزمه ان جاز أن يذكر قريبا توجيها منه للرحمة الى معنى المطر أن يقول هند قام توجيها منه لهند وهى امرأة الى معنى انسان ورأى أن ما شبهه به قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين بقوله وان كان طائفة منكم آمنوا غير مشبهه وذلك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف كما الصيحة والصياح بمعنى ولذلك قيل وأخذ الذين ظلموا الصيحة

القول فى تأويل قوله ﴿وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾

يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره هو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته والنشر بفتح النون وسكون الشين فى كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التى تنشئ السحاب وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهى نشر ومنه قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفيين خلا عاصم بن أبى النجود فانه كان يقرؤه بشرا على اختلاف عنه فيه فروى ذلك بعضهم عنه بشرا بالباء وضمها وسكون الشين وبعضهم بالباء وضمها وضم الشين وكان يتأول فى قراءته ذلك كذلك قوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات تبشر بالمطر وانه جمع بشير بشرا كما يجمع النذير نذرا وأما قراء المدينة وعامة المكيين والبصريين فانهم قرؤا ذلك وهو الذى يرسل الرياح نشرا بضم النون والشين بمعنى جمع نشور جمع نشرا كما يجمع الصبور صبرا والشكور شكرا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول معناها اذا قرئت كذلك انها الريح التى تهب من كل ناحية وتجىء من كل وجه وكان بعضهم يقول اذا قرئت بضم النون فينبغى أن تسكن شينها لان ذلك لغة بمعنى النشر بالفتح وقال العرب تضم النون من النشر أحيانا وتفتح أحيانا بمعنى واحد قال فاختلاف القراء فى ذلك على قدر اختلافها فى لغتها فيه وكان يقول هو نظير الخلف والخلف بفتح الخاء وضمها * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قراءة من قرأ ذلك نشرا ونشرا بفتح النون وسكون الشين وبضم النون والشين قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار

(١) فلا أحب القراءة بها وان كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والاعراب لما ذكرنا من العلة وأما قوله بين يدى رحمته فانه يقول قدام رحمته وأمامها والعرب كذلك تقول لكل شئ حدث قدام شئ وأمامه جاء بين يديه لان ذلك من كلامهم جرى فى أخبارهم عن بنى آدم وكثر استعماله فيهم حتى قالوا ذلك فى غير ابن آدم ومالا يدله والرحمة التى ذكرها جل ثناؤه فى هذا الموضع المطر فمعنى الكلام اذا والله الذى يرسل الرياح لينا هبوبها طيبا نسيمها أمام غيثه الذى يسوقه بها الى خلقه فينشئ بها سحابا ثقالا حتى اذا أقلتها والاقلال بها حملها كما يقال استقل البعير بحمله وأقله اذا حمله فقام به ساقه الله لاحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه ودرست مشاربه وأجدب أهله فأنزل به المطر وأخرج به من كل الثمرات ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته الى قوله لعلكم تذكرون قال ان الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والارض من حيث يلتقيان فيخرجه من ثم ثم ينشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وأما رحمته فهو المطر وأما قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون فانه يقول تعالى ذكره كما نحيى هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذى ننزله من السحاب فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم ودروس آثارهم لعلكم تذكرون يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الاصنام المكذبين بالبعث بعد الممات المنكرين للثواب والعقاب ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذى ذكرت لكم من احياء البلد الميت بقطر المطر الذى يأتى به السحاب الذى تنشره الرياح التى وصفت صفتها لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير فى قدرته احياء الموتى بعد فنائها واعادتها خلقا سويا بعد دروسها ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك تخرجون وكذلك النشور كما نخرج الزرع بالماء * وقال أبو هريرة ان الناس اذا ماتوا فى النفخة الاولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور الثانية عاشوا وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فنادا هم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كذلك نخرج الموتى قال اذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تشقق عنهم الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض * القول فى تأويل قوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه يخرج نباته اذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا باذنه طيبا ثمره فى حينه ووقته والذى خبث فردؤت تربته وملحت مشاربه لا يخرج نباته الا نكدا يقول الا عسرا فى شدة كما قال الشاعر

الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على أن الاستضعاف من شأن أهل الايمان يستحقرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم فى حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفى الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشأ من قلتهما (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) جعلوا ارساله أمرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام فى وجود الايمان فتخبركم انا به مؤمنون ولذلك (قال الذين استكبروا) فى جوابهم (انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة) قال الازهرى العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم أطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب وأسند العقر الى جميعهم مع أنه ما باشره الا بعضهم لانه كان برضاهم وقد يقال للقبيلة العظيمة أنتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم (وعتوا عن أمر ربهم) استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو فى الباطل وأمر ربهم شأنه أى دينه أو المراد ما أمر به صالح من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى أمر ربهم بتركها كان هو السبب فى عتوهم فان الانسان حريص على ما منع (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) أطلقوا

(١) قوله فلا أحب الخ يظهر أن قبله سقطا ولعله وأما قراءة الباء فلا أحب الخ وحرره اه مصححه

لاتنجز الوعدان وعدت وان * أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر يقال منه نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد والنكد المصدر ومن أمثالهم نكدا وجحدا ونكدا وجحدا والجحد الشدة والضيق ويقال اذا شفه وشل قد نكدوه ينكدونه نكدا كما قال الشاعر

وأعط ما أعطيته طيبا * لاخير في المنكود والناكد

واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل المدينة الانكدا بفتح الكاف وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف نكدا وخالفهما بعد سائر القراء في الامصار فقرؤه الانكدا بكسر الكاف كأن من قرأه نكدا بنصب الكاف أراد المصدر وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال هذه فخذ وكتد وكان الذي يجب عليه اذا أراد ذلك أن يكسر النون من نكد حتى يكون قد أصاب القياس * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه نكدا بفتح النون وكسر الكاف لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقوله كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون يقول كذلك نبين آية بعد آية ونأتي بحجة بعد حجة ونضرب مثلا بعد مثل لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتبصيره اياهم سبيل أهل الضلالة باتباعهم ما أمرهم باتباعه وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالبلد الطيب الذي يخرج نباته باذن ربه مثل للمؤمن والذي خبث فلا يخرج نباته الانكدا مثل للكافر ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله والبلد الطيب والذي خبث قال كل ذلك من الارض السباخ وغيرها مثل آدم وذريته فيهم طيب وخبيث **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا قال هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد يعني ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث هي السبخة لا يخرج نباتها الانكدا والنكد الشيء القليل الذي لا ينفع فكذلك القلوب لما نزل القرآن فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الايمان فيه والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه ولم يثبت فيه من الايمان شيء الا ما لا ينفع كما لم يخرج هذا البلد الا ما لا ينفع من النبات **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا قال الطيب ينفعه المطر فينبت والذي خبث السباخ لا ينفعه المطر لا يخرج نباته الانكدا قال هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم انما خلقوا من نفس واحدة فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبث ۞ القول في تأويل قوله ﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحا الى قومه منذرهم بأسه ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم يا قوم

الوعد وأرادوا ما وعدهم من العذاب واستعجالهم العذاب انما كان لأجل تكذيبهم بكل ما أخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين (فأخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا أرجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع آخر أنهم أهلكوا بالطاغية وفي آخر أنهم أهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب أن الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة (فأصبحوا في دارهم) أي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد بالدار ما لكل واحد من منزله الخاص الا أنه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كأنها من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة ومعنى (جاثمين) موتى لا حراك بهم قال أبو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى (فتولى عنهم) الفاء للتعقيب فالظاهر أن صالحا

اعبدوا الله الذى له العبادة وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة ودعوا عبادة ماسواه من الانداد والآلهة فانه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره فانى أخاف عليكم ان لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم مجيئه اياكم بسخط ربكم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله غيره فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة مالكم من اله غيره بخفض غير على النعت لاله وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة مالكم من اله غيره برفع غير ردّا لها على موضع من لان موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعا وقيل مالكم اله غير الله فالعرب لما وصفت (١) من أن المعلوم بالكلام أدخلت من فيه أو أخرجت وانها تدخلها أحيانا فى مثل هذا من الكلام وتخرجها منه أحيانا ترد ما نعتت به الاسم الذى عملت فيه على لفظه فاذا خفضت فعلى كلام واحد لانها نعت للاله وأما اذا رفعت فعلى كلامين مالكم غيره من اله وهذا قول يستضعفه أهل العربية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب مشركى قوم نوح لنوح وهم الملأ والملأ الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم أنهم قالوا له حين دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له انا لنراك يا نوح فى ضلال مبين يعنون فى أمر زائل عن الحق مبين زواله عن قصد الحق لمن تأمله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح لقومه مجيبا لهم يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من اخلاص التوحيد لله وافراده بالطاعة دون الانداد والآلهة زوالا منى عن محجة الحق وضلالا لا سبيل الصواب وما بى ما تظنون من الضلال ولكنى رسول اليكم من رب العالمين بما أمرتكم به من افراده بالطاعة والاقرار له بالوحدانية والبراءة من الانداد والآلهة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه ولكنى رسول من رب العالمين أرسلنى اليكم فأنا أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم فى تحذيرى اياكم عقاب الله على كفركم به وتكذيبكم اياى وردّكم نصيحتى وأعلم من الله ما لا تعلمون من أن عقابه لا يردّ عن القوم المجرمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾ وهذا أيضا خبر من الله عز ذكره عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم اذ ردّوا عليه النصيحة فى الله وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيا وقالوا له ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم يقول أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم قيل معنى قوله على رجل منكم مع رجل منكم لينذركم يقول لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه على كفركم به ولتتقوا يقول ولكى تتقوا عقاب الله وبأسه بتوحيده واخلاص الايمان به والعمل بطاعته ولعلكم ترحمون يقول ولير حمكم ربكم ان اتقيتم الله وخفتموه وحذرتم بأسه وفتحتم الواو من قوله أوعجبتم لانها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين﴾ يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه اذ أخبرهم أنه لله رسول اليهم يأمرهم بخلع الانداد والاقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته وخالفوا أمر ربهم ولجوا فى طغيانهم يعمهون فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة فيما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم وستة أناسى ممن كان آمن به وكان حمل معه فى الفلك من كل زوجين اثنين كما قال تبارك وتعالى ومن آمن وما آمن معه الا قليل والفلك هو السفينة وأغرقنا

عليه السلام أدبر عنهم بعدما أبصرهم جاثمين وكأنه تولى وهو مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) وحد الرسالة بخلاف ما مر فى قصتى نوح وهود لأن المراد هنالك أشياء كانا يأمران بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع فى آخر القصة فأراد بها مجموع ما أدى من الرسالة أو أراد بذلك أداء حديث الناقة فقط (ونصحت لكم) لم آل جهدا فى النصيحة (ولكن لا تحبون الناصحين) حكاية لحال ماضية واعترض على هذا التفسير بأنه كيف يصح خطاب الموتى وأجيب بأنه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فى حياته فلم يصغ اليه يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى حتى ألقيت بنفسك الى التهلكة والفائدة فى مثل هذا الكلام أن يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل أيضا يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء

(١) قوله من أن المعلوم بالكلام الخ سقط خبر أن من الناسخ ولعل الاصل من أن المعلوم بالكلام ملحوظ أدخلت الخ والحاصل ان العرب تردما نعتت به الاسم الذى عملت من فيه تارة الى لفظه فيكون كلاما واحدا وأخرى الى محله فيكون فى قوة كلامين تأمل كتبه مصححه

الذين كذبوا بآياتنا يقول وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ولم يتبعوا رسله ولم يقبلوا نصيحته اياهم في الله بالطوفان إنهم كانوا قوما عميين يقول عميين عن الحق كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عميين قال عن الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قوما عميين قال العمى العامي عن الحق ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى عاد أخاهم هودا ولذلك نصب هودا لانه معطوف به على نوح عليهما السلام قال هود ياقوم اعبدوا الله فأفردوا له العبادة ولا تجعلوا معه الها غيره فانه ليس لكم اله غيره أفلا تتقون ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره وهو خالقكم ورازقكم دون كل ماسواه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عما أجاب هودا به قومه الذين كفروا بالله قال الملأ الذين كفروا يعني الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا رسالة الله هودا اليهم انا لنراك ياهود في سفاهة يعنون في ضلالة عن الحق والصواب بترك دينا وعبادة آلهتنا وانا لنظنك من الكاذبين في قيلك انى رسول من رب العالمين قال ياقوم ليس بي سفاهة يقول أي ضلالة عن الحق والصواب ولكني رسول من رب العالمين أرسلني فأنا أبلغكم رسالات ربي وأؤديها اليكم كما أمرني أن أؤديها ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾ يعني بقوله أبلغكم رسالات ربي أؤدي ذلك اليكم أيها القوم وأنا لكم ناصح يقول وأنا لكم في أمري اياكم بعبادة الله دون ماسواه من الانداد والآلهة ودعائكم الى تصديق فيما جئتكم به من عند الله ناصح فاقبلوا نصيحتي فاني أمين على وحي الله وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدل بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يقول أوعجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول فاتقوا الله في أنفسكم واذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب اذ عصوا رسولهم وكفروا بربهم فانكم انما جعلكم ربكم خلفاء في الارض منهم لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها فاتقوا الله أن يحل بكم نظير ما حل بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم سنته في قوم نوح قبلكم على معصيتكم اياه وكفركم به وزادكم في الخلق بسطة زادكم في أجسامكم طولا وعظما على أجسام قوم نوح وفي قوامكم على قوامهم نعمة منه بذلك عليكم فاذكروا نعمه وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقوامكم واشكروا الله على ذلك باخلاص العبادة له وترك الاشراك به وهجر الاوثان والانداد لعلكم تفلحون يقول كي تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة وتنجحوا في طلباتكم عنده وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول ذهب بقوم نوح واستخلفكم من بعدهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي ساكني الارض بعد قوم نوح وبنحو الذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله بسطة ذكر من قال ذلك

الحلف فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب * وتفسير آخر وهو أن يكون تولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن أمر الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فندعو آلهتنا وتدعو الهك فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وزادكم فى الخلق بسطة قال ما القوام قوم عاد وأما الآلاء فانها جمع واحدها إلى بكسر الالف فى تقدير معى ويقال الى فى تقدير قفا بفتح الالف وقد حكى سماعا من العرب الى مثل حسى والآلاء النعم وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذكروا آلاء الله أى نعم الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما آلاء الله فنعم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذكروا آلاء الله قال آلاؤه نعمه قال أبو جعفر وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم وبعث اليهم هودا يدعوهم الى توحيد الله واتباع ما أتاهم به من عنده هم فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر من أرض اليمن وما والى بلاد حضرموت الى عمان كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر بخالطه مدرة حمراء أرالد وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت هل رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين والله انك لتنعته نعت رجل قد رآه قال لا ولكنى قد حدثت عنه فقال الحضرمى وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود صلوات الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الاحقاف قال والاحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت باليمن وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر والله أعلم بغير ذلك فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن آمن به وصدقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا فى الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود فقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون فقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أى ما هذا الذى جئتنا به الا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التى تعيب قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون الى قوله صراط مستقيم فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء أو جهد فطلبوا الى الله الفرج منه كانت طلبتهم الى الله عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة يعرف حرمتها ومكانها من الله قال ابن اسحق وكان البيت فى ذلك الزمان معروفا مكانه والحرم قائم فيما يذكرون وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن لاوذ ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلا يقال له معاوية بن بكر وكان أبوه حيا فى ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر وكان ابنه برأس قومه وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون فى أهل ذلك البيت وكانت أم معاوية بن بكر كاهدة ابنة الخيبرى رجل من عاد فلما قحط

أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وكانت فى غاية العظم حتى قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعنى موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك أن الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدى وكانت الناقة فى اليوم الذى تشرب فيه الماء تحلب فيكفى الكل فكأنها كانت تصب اللبن صبا وفى اليوم الذى يشربون الماء لا تأتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطن الوادى واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد فى شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من أبنائهم ثم ولد العاشر فأبى أن يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام جلس مع قوم

يشربون الشراب فأرادوا ماء يمزجونه به وكان يوم شرب الناقة فما وجدوا الماء فاشتد ذلك عليهم فقال الغلام هل لكم فى أن أعقر هذه الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وأظهروا حينئذ كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق فصيلها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم أن العاقل مع مشاهدة هذه المعجزات والعلامات كيف يبقى مصرا على كفره وأجيب بأنهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وأن تكون توبتهم مقبولة عن جابر أن رسول الله

المطر عن عاد وجهدوا فقالوا اجهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل ابن عنز ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما بكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر أخو أمه ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان ابن صد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدتهم وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية ابن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه فقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى نازلون على والله ما أدرى كيف أصنع بهم ان أمرتهم بالخروج الى ما بعثوه فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا أو كما قال فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد آمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى
وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعادى سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية ذلك الشعر غنتهم به الجرادتان فلما سمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم اليه سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك فقال لهم جلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل والصداء مع الصمود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بها فقال لا أدعو الله بشئ مما خرجوا له فلما انتهى اليهم قام يدعو الله بمكة وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون يقول اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شئ مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد وقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فأعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا بالهنا

ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادٍ من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقى من آل عاد أحدا لا والدا تترك ولا ولدا الا جعلته همدا الا بني اللوذية المهدا وبنوا اللوذية بنو لقيم بن هزال بن هذيلة ابن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ولم يكونوا مع عاد بارضهم فهم عاد الآخرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أي كل شئ أمرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تيقنت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أن أفاقت قالوا ما ذا رأيت يا مهدد قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا هلك فاعتزل هود فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ به الانفس وانها لتمر على عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم عن الحرث ابن حسان البكري قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فررت على امرأة بالربذة فقالت هل أنت حاملي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فحملتها حتى قدمت المدينة فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر واذا بلال متقلد السيف واذا رايات سود قال قلت ما هذا قالوا عمرو بن العاص قدم من غزوته فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتيته فاستأذنت فأذن لي فقلت يا رسول الله ان بالباب امرأة من بني تميم وقد سألتني أن أحملها اليك قال يا بلال ائذن لها قال فدخلت فلما جلست قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم فان رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزا فعلت قال تقول المرأة فالى أين يضطر مضطرك يا رسول الله قال قلت ان مثلي مثل ما قال الاول معزى حملت حتفها قال قلت وحملتك تكونين على خصما أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وافد عاد قال قلت على الخبير سقطت ان عادا قحطت فبعثت من يستسقي لها فبعثوا رجالا فمروا على بكر بن معاوية فسقاهم الخمر وتغنتهم الجرادتان شهرا ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة فدعوا فجاءت سحابات قال وكلما جاءت سحابة قال اذهبي الى كذا حتى جاءت سحابة فنودي خذها رمادا رمددا لا تدع من عاد أحدا قال فسمعه وكلهم حتى جاءهم العذاب قال أبو كريب قال ابو بكر بعد ذلك في حديث عاد قال فأقبل الذين أتاهم فأتى جبال مهرة فصعد فقال اللهم اني لم أجئك لاسير فأفاديه ولا لمريض فأشفيه

صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان بعثه الى قوم فخالف أمره وروى أن نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك * القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه

تقديره أرسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز أن يكون معناه واذكر لوطا اذ قال لقومه على أن اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم أحد السببين أتأتون الفاحشة أتفعلون الخصلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها قال فى الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله أى ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل أن تكون الباء فيه مثله فى قولك كتبت بالقلم وفى قوله تنبت بالدهن أى ما سبقكم ملتبسا بها من أحد من العالمين من الاولى زائدة لتأكيد النفى وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استئناف لانه أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وأنتم أول من عملها أو هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها من أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز أن تكون صفة للفاحشة كقوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى *

وههنا سؤال وهو أنه كيف يجوز دعوى عدم السبق فى هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها وينفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات أو المراد أن الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم

فاسق عادا ما كنت مسقيه قال فرفعت له سحابات قال فنودى منها اختر قال فجعل يقول اذهبى الى بنى فلان اذهبى الى بنى فلان قال فمرت آخرها سحابة سوداء فقال اذهبى الى عاد فنودى منها خذها رمادا مددا لا تدع من عاد أحدا قال وكلمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون قال وكر بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل انهم عنده وانهم فى طعامه قال فأخذ فى الغناء وذكرهم حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا سلام أبو المنذر النحوى قال ثنا عاصم عن أبى وائل عن الحرث بن يزيد البكرى قال خرجت لاشكو العلاء بن الحضرمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فررت بالربذة فاذا عجوز منقطع بها من بنى تميم فقالت يا عبد الله ان لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغى اليه قال فحملتها فقدمت المدينة قال فاذا رايات قلت ما شأن الناس قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست حتى فرغ قال فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فقعدت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم وقد مررن بالربذة فاذا عجوز منهم منقطع بها فسألتنى أن أحملها اليك وها هى بالباب فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت فقلت يا رسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزا فجعل العجوز واستوفزت وقالت الى أين يضطر مضطرك يا رسول الله قال قلت أنا كما قال الاول معزى حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال وما وافد عاد قال على الخبير سقطت قال وهو يستطعمنى الحديث قلت ان عادا قحطوا فبعثوا قيلا وافدا فنزل على بكر فسقاه الخمر شهرا وغنته جاريتان يقال لهما الحرادتان فخرج الى جبال مهرة فنادى انى لم أجئ لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت مسقيه فمرت به سحابات سود فنودى منها خذها رمادا مددا لا تبق من عاد أحدا قال فكانت المرأة تقول لا تكن كوافد عاد ففيما يلغنى أنه ما أرسل عليهم من الريح يا رسول الله الا قدر ما يجرى فى خاتمى * قال أبو وائل فكذلك يلغنى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان عادا أتاهم هود فوعظهم وذكرهم بما قص الله فى القرآن فكذبوه وكفروا وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به وان عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر حتى جهدوا وذلك جهدا شديدا وذلك أن هودا دعا عليهم فبعث الله عليهم الريح العقيم وهى الريح التى لا تلقح الشجر فلما نظروا اليها قالوا هذا عارض ممطرنا فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تنادوا البيوت فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فأصابتهم فى يوم نحس والنحس هو الشؤم ومستمر استمر عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما حسمت كل شئ مرت به فلما أخرجتهم من البيوت قال الله تنزع الناس من البيوت كانهم أعجاز نخل منقعر انقعر من أصوله خاوية تخوت فسقطت فلما أهلكهم الله أرسل اليهم طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فألقتهم فيه فذلك قوله فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وذلك قوله فأهلكوا بريح صرصر عاتية والصرصر ذات الصوت الشديد ثم القول فى تأويل قوله ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان

كنت من الصادقين ﴾ يقول تعالى ذكره قالت عاد لهود أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة مخالصا ونهجر عبادة الآلهة والاصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا اليه فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا اخلاص التوحيد لله وعبادتنا ما نعبد من دونه من الاوثان ان كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد ۞ القول في تأويل قوله ﴿ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين ﴾ يقول تعالى ذكره قال هود لقومه قد حل بكم عذاب وغضب من الله وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لنا عنه يزعم أن الرجز والرجس بمعنى واحد وأنهما مقلوبة قلبت السين زايا كما قلبت شنر وهي من شنس بسين وكما قالوا قربوس وقربوز وكما قال الراجز

ألا لحى الله بني السعلات ۞ عمرو بن يربوع لئام النات

۞ ليسوا بأعفاف ولا أكيات ۞

يريد الناس وأكياس فقلبت السين تاء كما قال رؤبة

كم قد رأينا من عديد مبزى ۞ حتى وقمنا كيده بالرجز

روى عن ابن عباس أنه كان يقول الرجز السخط حدثني بذلك المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله قد وقع عليكم من ربكم رجس يقول سخط وأما قوله أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم فانه يقول أتخاصمونني في أسماء سميتموها أصناما لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان يقول ما جعل الله لكم في عبادتكم اياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها لان العبادة انما هي لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فانه لا نفع فيه ولا ضر الا أن تتخذ منه آلة ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته اياه لان الله لم يأذن بذلك فيعذر من عبده بأنه يعبده اتباعا منه أمر الله في عبادته اياه ولا هو اذ كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضره في عاجل أو آجل فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضره فانتظروا اني معكم من المنتظرين يقول فانتظروا حكم الله فينا وفيكم اني معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا والذين معه من أتباعه على الايمان به والتصديق به وعبادته اليه من توحيد الله وهجر الآلهة والاوثان برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا يقول وأهلكنا الذين كذبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم فلم نبق منهم أحدا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا قال استأصلناهم وقد بينا فيما مضى معنى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا بشواهده بما أغنى عن اعادته وما كانوا مؤمنين يقول لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا وثمود هو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عابر وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله وبمعنى الكلام والى بني ثمود أخاهم صالحا وانما منع ثمود لان ثمود قبيلة كما بكر قبيلة وكذلك تميم وقوله ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره يقول قال صالح لثمود ياقوم اعبدوا الله وحده لا شريك

يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في أدبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض أئنكم لتأتون الرجال بيان لما أجمله في قوله أتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني أكثر ولهذا زيد فيه ان ومثله في النمل أتأتون وبعده أئنكم لتأتون وفي العنكبوت انكم لتأتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرجال فجمع بين ان وأئن لموافقة آخر القصة انا منجوك انا منزلون وانتصب شهوة على أنها مفعول له أي لا حامل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة أو مصدر وقع حالا يقال شهى يشهى شهوة بل أنتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شئ وختم هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التي تقدمت العالمين الناصحين جائين المرسلين وفي النمل قال بل أنتم قوم تجهلون أما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف وأما العدول من الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها من الآيات وكلها أفعال ينصرون تتقون يعلمون واعلم أن قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع

ووجوه القبح فيه كثيرة منها أن أكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس فى وجوه المكاسب الا أنه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة و يقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة فى الوقاع يشبه وضع الشئ الذى يشتهيه الحيوان فى الفخ والغرض ابقاء النوع الانسانى الذى هو أشرف الانواع فكل لذة لا تؤدى الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها أن الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها أن الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب أن الفاعل يلتذ بذلك العمل الا أنه سعى فى الحاق العار العظيم بالمفعول مادام حيا والعاقل لا يرضى لاجل لذة زائلة الحاق منقصة دائمة بغيره ومنها أنه يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل أو على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لنفور طبعه عن رؤيته وأما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال تعالى خلق لكم من

له فما لكم اله يجوز لكم أن تعبدوه غيره وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما أدعو من اخلاص التوحيد لله وافراده بالعبادة دون ما سواه وتصديق على انى له رسول و بينتى على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربى وحجتى عليه هذه الناقة التى أخرجها الله من هذه الهضبة دليلا على نبوتى وصدق مقالتى فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التى لا يقدر على مثلها أحد الا الله وانما استشهد صالح فيما بلغنى على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة لانهم سألوه اياها آية ودلالة على حقيقة قوله ذكر من قال ذلك وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى الطفيل قال قالت ثمود لصالح ائتنا بآية ان كنت من الصادقين قال فقال لهم صالح اخرجوا الى هضبة من الارض فخرجوا فاذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انها انفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال صالح هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فلما ملوها عقروها فقال لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب قال عبد العزيز وحدثنى رجل آخر أن صالحا قال لهم ان آية العذاب أن تصبحوا غدا حمرا واليوم الثانى صفرا واليوم الثالث سودا قال فصبحهم العذاب فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والى ثمود أخاهم صالحا قال ان الله بعث صالحا الى ثمود فدعاهم فكذبوه فقال لهم ماذكر الله فى القرآن فسألوه أن يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم وقال ذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها جميعا فذلك قوله فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وكانوا قد أقروا به على وجه النفاق والتقية وكانت الناقة لها شرب فيوم تشرب فيه الماء تمرى بين جبلين فيرجونها ففيهما أثرها حتى الساعة ثم تأتى فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيروبهم فكانت تصب اللبن صبا و يوم يشربون الماء لا تأتيهم وكان معها فصيل لها فقال لهم صالح انه يولد فى شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شئ فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فاذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه أمرهم بذبح أبنائهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لولى ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى المسجد أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون يصدقوننا يعلمون أنا قد خرجنا الى سفر فانطلقوا فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل فسقط عليهم الغار فقتلهم فذلك قوله وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون حتى بلغ ههنا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وكبر الغلام ابن العاشر ونبت نباتا عجبا من السرعة فجلس مع قوم يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا فى شأن الناقة ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشرب به هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحروثنا كان خيرا لنا فقال الغلام ابن العاشر هل لكم فى أن أعقرها لكم قالوا نعم فأظهر وادينهم فأتاها الغلام فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها فلما رأى ذلك دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها فقال أجيشوها على فأجاشوها عليه فلما جازت به ناداه عليك فقتلها فعقرها فسقطت فذلك قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وأظهر واحينئذ

أمرهم وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وفزع ناس منهم الى صالح وأخبروه أن الناقة قد عقرت فقال على بالفصيل فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الارض فطلبوه فارتفعت به حتى حلقت به فى السماء فلم يقدروا عليه ثم دعا الفصيل الى الله فأوحى الله الى صالح أن مرهم فليتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام فقال لهم صالح تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أول يوم مصفرة والثانى محمرة واليوم الثالث مسودة واليوم الرابع فيه العذاب فلما رأوا العلامات تكفنوا وتحنطوا واطخوا أنفسهم بالمر ولبسوا الأنطاع وحفروا الآبار فدخلوها ينتظرون الصيحة حتى جاءهم العذاب فهلكوا فذلك قوله فدمرناهم وقومهم أجمعين

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا فى الارض فنزلوا فيها وانتشروا ثم عتوا على الله فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله بعث اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا وكانت منازلهم الحجر الى قرح وهو وادى القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام فبعث الله اليهم غلاما شابا فدعاهم الى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء وأكثر لهم التحذير وخوفهم من الله العذاب والنقمة سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فيما يدعوهم اليه فقال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله فى يوم معلوم من السنة فتدعو الهتك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم الى الله فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شئ مما يدعوه به ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو فان فعلت آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو حق وأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت وفعل الله لتصدقنى ولتؤمنن بى قالوا نعم فأعطوه على ذلك عهودهم فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفوا

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث أنهم نظروا الى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعاه به تتمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة ثم أسقطت الناقة فانصدعت عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء نتوج ما بين جنبيها الا يعلمه الا الله عظما فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوا فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر بن جلهس وكانوا من أشراف ثمود وردوا أشرافها عن الاسلام والدخول فيما دعاهم اليه صالح من الرحمة والنجاة وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس فأراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط عن ذلك فأطاعهم وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل وكان مسلما

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبى دعواشهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم بأن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذئابا

أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها أنه تعالى أودع فى الرحم قوة جاذبة للمنى بحيث لا يبقى شئ منه فى مجاريه وأوعيته أما اذا واقع الذكر فانه يبقى شئ من أواخر المنى فى المجارى فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام فى الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم يقتضى حل وطء المملوك مطلقا ذكرا كان أو أنثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين أعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احداهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل وذلك لان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد أولى من شرع لوط وأجيب بأن الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال تعالى وما كان جواب قومه بالواو كيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفى النمل تجهلون فما كان وفى العنكبوت وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفعل الفعل الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم وفى النمل أخرجوا آل لوط ليكون ما فى النمل تفسير الهذه

الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح فى الأولى وكنى فى الثانية قال فى الكشاف يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد أن ذلك العمل فى موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد أنهم يتباعدون عن المعاصى والآثام فأنجيناه وأهله أى أنصاره وأتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس أراد المتصلين به فى النسب بدليل قوله الا امرأته أنه يقال امرأة الرجل بمعنى زوجته ولا يقال مرء المرأة يعنى زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفى النمل قدرناها من الغابرين أى كانت فى علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتأخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء أى من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا أو التذكير لتغليب

فعكثت الناقة التى أخرجها الله لهم معها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فقال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقال الله لصالح ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر أى ان الماء نصفان لهم يوم ولها يوم وهى محتضرة فيومها لا تدع شربها وقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت فيما بلغنى والله أعلم اذا وردت وكانت ترد غبا وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فيزعمون أنهم منها كانت تشرب اذا وردت تضع رأسها فيها فما ترفعه حتى تشرب كل قطرة ماء فى الوادى ثم ترفع رأسها فتفسح يعنى تفحج لهم فيحتلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا كل آنيتهم ثم تصدر من غير الفج الذى منه وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لضيقه عنها فلا ترجع منه حتى اذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاؤا من الماء ويدخرون ما شاؤا اليوم الثانى فهم من ذلك فى سعة وكانت الناقة فيما يذكرون تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها المواشى أغنامهم وأبقارهم وابلهم فتهبط الى بطن الوادى فى حره وجدبه وذلك أن المواشى تنفر منها اذا رأتها وتستوفى بطن الوادى اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار وكانت مراتعها فيما يزعمون الحباب وحسمى كل ذلك ترعى مع وادى الحجر فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وأجمعوا فى عقر الناقة رأيهم وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بأم غنم وهى من بنى عبيد بن المهل أخى دميل بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وكانت ذات مال من ابل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير بن المحيا سيد بنى عبيد وصاحب أوثانهم فى الزمن الاول وكان الوادى يقال له وادى المحيا وهو المحيا الاكبر جد المحيا الاصغر أبى صدوف وكانت صدوف من أحسن الناس وكانت غنية ذات مال من ابل وغنم وبقر وكانتا من أشد امرأتين فى ثمود عداوة لصالح وأعظمهم به كفرا وكانتا يحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرت به من مواشيهما وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بنى هليل فأسلم فحسن اسلامه وكانت صدوف قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رق المال فاطلعت على ذلك من اسلامه صدوف فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله والى الاسلام فأبت عليه وسبت ولده فأخذت بنيه وبناته منه ففيهم فى بنى عبيد بطنها الذى هى منه وكان صنتم زوجها من بنى هليل وكان ابن خالها فقال لها ردى على ولدى فقالت حتى أنا فرك الى بنى صنعان بن عبيد أو الى بنى جندع بن عبيد فقال لها صنتم بل أنا أفرك الى بنى مرداس بن عبيد وذلك ان بنى مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا فى الاسلام وأبطأ عنه الآخرون فقالت لا أنا فرك الا الى من دعوتك اليه فقال بنو مرداس والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته اياهم ثم ان صدوف وعنيزة تحيلا فى عقر الناقة للشقاء الذى كتب فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقره الناقة وعرضت عليه نفسها بذلك ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وكانت غنية كثيرة المال فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح وكان قدار رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنية من رجل يقال له صهياد ولم يكن لابيه سالف الذى يدعى اليه ولكنه فدوك على فراش سالف وكان يدعى له وينسب اليه فقالت أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود وكان

قدار

قدار عزيزا منيعا فى قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستنفرا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فكانوا تسعة نفر أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له (١) هويل بن ميلغ خال قدار بن سالف أخو أمه لابيها وأمها وكان عزيزا من أهل حجر ودعير بن غنم بن داعر وهو من بنى حلاوة بن المهل ودأب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل أخرى فرمت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فأسفرت عنه لقدار وأرته اياه ثم ذمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن فى لبتها فنحرها وانطلق سقبها حتى أتى جبلا منيعا ثم أتى صخرة فى رأس الجبل فرغا ولاذ بها واسم الجبل فيما يزعمون صور فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت قال انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه فلما قال لهم صالح أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزؤن به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهم الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس يعنى يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة يعنى يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار يعنى يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول يعنى يوم الاحد فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا بكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك والنفر الذين رضختهم الملائكة بالحجارة التسعة الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون الى قوله لآية لقوم يعلمون فأصبحوا من تلك الليلة التى انصرفوا فيها عن صالح ووجوههم مصفرة فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح هاربا منهم حتى لجأ الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل يكنى بأبى هدب وهو مشرك فغيبه فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح فعذبوهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم يا نبى الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلهم عليه ميدع بن هرم فلما علموا بمكان صالح أتوا أبا هدب فكلموه فقال لهم عندى صالح وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرة ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرة ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة حتى اذا كان ليلة الاحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين وتخلف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم فنزل قرح وهى وادى القرى وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلا فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك

(١) وقع فى هذه القصة أسماء لم نقف عليها بعد البحث فلتحرر

الذكور وكانت كافرة موالية لاهل سدوم روى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال (وأمطرنا عليهم مطرا) أى أرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم

فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر) يا محمد أو كل من له أهلية النظر والاعتبار (كيف كان عاقبة المجرمين) وهذه الأمة وان أمنت من عذاب الاستئصال الا أن الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي أن ينفك عنه على أن عذاب الآخرة أشد وأبقى ولم يأمنوه بعد ۞ مسائل الاولى مذهب الشافعي أن اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة

في قتلها فقال له ميدع بن هرم يا عمرو بن غنم اخرج من هذا البلد فان صالحا قال من أقام فيه هلك ومن خرج منه نجا فقال عمرو ما شركت في عقرها وما رضيت ما صنع بها فلما كانت صبيحة الاحد أخذتهم الصيحة فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك الا جارية مقعدة يقال لها الدريعة وهي كليبة ابنة السلق كانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع ما يرى شئ قط حتى أتت حيا من الأحياء فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود منه ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر أخبرني من سمع الحسن يقول لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلا فقال يا رب أين أمي ثم رغا رغوة فنزلت الصيحة فأخذتهم **حدثني** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن بنحوه الا انه قال أصعد تلا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة تمتعوا ثلاثة أيام وقال لهم آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرة ثم تصبح اليوم الثاني محمرة ثم تصبح اليوم الثالث مسودة فأصبحت كذلك فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم قال قتادة قال عاقر الناقة لهم لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم والصبي حتى رضوا أجمعين فعقرها **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم الصيحة أهمدتهم من تحت أديم السماء منهم الا رجلا واحدا كان في حرم الله قيل من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه * قال عبد الرزاق قال معمر وأخبرني اسمعيل بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبي رغال قالوا ومن أبو رغال قال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن * قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن جابر قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر ثم ذكر نحوه الا انه قال في حديثه قالوا من هو يا رسول الله قال أبو رغال **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة قال كان يقال ان أحمر ثمود الذي عقر الناقة كان ولد زنية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي اسحق قال قال أبو موسى أتيت أرض ثمود فنذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وأخبرني اسمعيل بن أمية بنحوه يعني بنحو حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن جابر قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رغال قالوا ومن أبو رغال قال أبو ثقيف كان في الحرم فلما أهلك الله قومه منعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب قال فابتدروه بأسيافهم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغصن * وقال الحسن كان للناقة يوم ولهم يوم فأضر بها **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي

أصابهم ثم قال هذا وادى النفر ثم رفع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى وأما قوله ولا تمسوها بسوء فانه يقول ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر فيأخذكم عذاب أليم يعنى موجع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه واعظالهم واذكروا أيها القوم نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء يقول تخلفون عادا فى الارض بعد هلاكها وخلفاء جمع خليفة وانما جمع خليفة خلفاء وفعلاء انما هى جمع فعيل كما الشركاء جمع شريك والعلماء جمع عليم والحلماء جمع حليم لانه ذهب بالخليفة الى الرجل فكأن واحدهم خليف ثم جمع خلفاء فأما لو جمعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب اذ كانت من صفات الاناث وانما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن لانها جمعت مرة على لفظها ومرة على معناها وأما قوله وبوأكم فى الارض فانه يقول وأنزلكم فى الارض وجعل لكم فيها مساكن وأزاجا تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا اذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتنحتون الجبال بيوتا كانوا ينقبون فى الجبال البيوت وقوله فاذكروا آلاء الله يقول فاذكروا نعمة الله التى أنعمها عليكم ولا تعثوا فى الارض مفسدين وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول لا تسيروا فى الارض مفسدين وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والايمان بالله وبه للذين استضعفوا يعنى لاهل المسكنة من اتباع صالح والمؤمنين به منهم دون ذوى شرفهم وأهل السؤدد منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه أرسله الينا واليكم قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم انا بما أرسل الله به صالحا من الحق والهدى مؤمنون يقول مصدقون مقرون أنه من عند الله وأن الله أمر به وعن أمر الله دعانا صالح اليه قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح انا أيها القوم بالذى آمنتم به يقول صدقتم به من نبوة صالح وأن الذى جاء به حق من عند الله كافرون يقول جاحدون منكرون لا نصدق به ولا نقر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ﴾ يقول تعالى ذكره فعقرت ثمود الناقة التى جعلها الله لهم آية وعتوا عن أمر ربهم يقول تكبروا وتجبروا عن اتباع الله واستعلوا عن الحق كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعتوا علوا عن الحق لا يبصرونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد عتوا عن أمر ربهم علوا فى الباطل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله فعتوا عن أمر ربهم قال عتوا فى الباطل وتركوا الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وعتوا عن أمر ربهم قال علوا فى الباطل وهو من قولهم جبار عات اذا كان عاليا فى تجبره وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا

لوط فالأصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ فى شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالآية دلت على أن هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص وقال أبو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول ففى عقوبة الفاعل قولان أحدهما أن عقوبته القتل محصنا كان أو لم يكن لما روى

يقول قالوا جئنا ياصالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته استعجالا منهم للعذاب ان كنت من المرسلين يقول ان كنت لله رسولا الينا فان الله ينصر رسله على أعدائه فعجل ذلك لهم كما استعجلوه يقول جل ثناؤه فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ يقول تعالى ذكره فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة وهى الصيحة والرجفة الفعلة من قول القائل رجف بفلان كذا يرجف رجفا وذلك اذا حركه وزعزعه كما قال الاخطل

إما ترينى حنانى الشيب من كبر * كالنسر أرجف والانسان مهدود

وانما عنى بالرجفة ههنا الصيحة التى زعزعتهم وحركتهم للهلاك لان ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الرجفة قال الصيحة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأخذتهم الرجفة وهى الصيحة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فأخذتهم الرجفة قال الصيحة وقوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين يقول فأصبح الذين أهلك الله من ثمود فى دارهم يعنى فى أرضهم التى هلكوا فيها وبلدتهم واذلك وحد الدار ولم يجمعها فيقول فى دورهم وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور ولكن وجه بالواحدة الى الجمع كما قيل والعصران الانسان لفى خسر وقوله جاثمين يعنى سقوطا صرعى لا يتحركون لانهم لا أرواح فيهم قد هلكوا والعرب تقول للبارك على الركبة جاثم ومنه قول جرير

عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدإ الجثوم

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين قال ميتين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ يقول تعالى ذكره فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم من بين أظهرهم لان الله تعالى ذكره أوحى اليه انى مهلكهم بعد ثلاثة وقيل انه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله احلال عقوبته بهم فقال فتولى عنهم صالح وقال لقومه ثمود لقد أبلغتكم رسالة ربى وأديت اليكم ما أمرنى بادائه اليكم ربى من أمره ونهيه ونصحت لكم فى أدائى رسالة الله اليكم فى تحذيركم بأسه باقامتكم على كفركم به وعبادتكم الاوثان ولكن لا تحبون الناصحين لكم فى الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادين لكم عن شهوات أنفسكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا لوطا ولو قيل معناه واذكر لوطا يا محمد اذ قال لقومه اذ لم يكن فى الكلام صلة الرسالة كما كان فى ذكر عاد وثمود كان مذهبا وقوله اذ قال لقومه يقول حين قال لقومه من سدوم واليهم كان أرسل لوط أتأتون الفاحشة وكانت فاحشتهم التى كانوا يأتونها التى عاقبهم الله عليها اتيان الذكور ما سبقكم بها من أحد من العالمين يقول ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين وذلك كالذى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار قوله ما سبقكم

انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه الفاعل والمفعول وأصحهما أن حده حد الزنا فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطء ويختلف فيه البكر والثيب كالاتيان فى القبل وعلى قول القتل فيه وجوه أحدها يقتل بالسيف كالمرتد والثانى وبه قال مالك وأحمد يرجم تغليظا ويروى عن على عليه السلام أيضا والثالث يهدم عليه جدار أو يرمى من شاهق جبل ليموت أخذا من عذاب قوم لوط وأما المفعول فان

بهامن أحد من العالمين قال مارُوِى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه توبيخا منه لهم على فعلهم انكم أيها القوم لتأتون الرجال فى أدبارهم شهوة منكم لذلك من دون الذى أباحه الله لكم وأحله من النساء بل أنتم قوم مسرفون يقول انكم لقوم تاتون ماحرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا وذلك هو الاسراف فى هذا الموضع والشهوة الفعلة وهى مصدر من قول القائل شهيت هذا الشئ أشهاه شهوة ومن ذلك قول الشاعر

وأشعث يشهى النوم قلت له ارتحل * اذا ما النجوم أعرضت واسبطرت

فقام يجر البرد لو أن نفسه * يقال له خذها بكفيك جرت

۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان جواب قوم لوط للوط اذ ينهاهم على فعلهم القبيح وركوبهم ماحرم الله عليهم من العمل الخبيث الا أن قال بعضهم لبعض أخرجوا لوطا وأهله ولذلك قيل أخرجوهم بجمع وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره وقد يحتمل أن يكون انما جمع بمعنى أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريتكم فاكتفى بذكر لوط فى أول الكلام عن ذكر أتباعه ثم جمع فى آخر الكلام كما قيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع انهم أناس يتطهرون يقول ان لوطا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحن من اتيان الرجال فى الادبار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد النخعى عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد انهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله انهم أناس يتطهرون قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الحسن بن عمارة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال ومن أدبار النساء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انهم أناس يتطهرون قال يتحرجون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انهم أناس يتطهرون يقول عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط اياهم على ما يأتون من الفاحشة وابلاغه اياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم الا التمادى فى غيهم أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به إلا امرأته فانها كانت للوط خائنة وبالله كافرة وقوله من الغابرين يقول من الباقين وقيل من الغابرين ولم يقل الغابرات لانه يريد أنها ممن بقى مع الرجال فلما ضم ذكرها الى ذكر الرجال قيل من الغابرين والفعل منه غبر يغبر غبورا وغبرا وذلك اذا بقى كما قال الأعشى

عض بما أبقى المواسى له * من أمه فى الزمن الغابر

(وكما قال الآخر)

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه * فأذلها لبنى أبان الغابر

يعنى الباقى فان قال قائل فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط قيل لا بل

كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنا فيجلد ويغرب محصنا كان أو لم يكن وان أتى امرأة فى دبرها ولا ملك ولا نكاح فالأظهر أنه لواط لانه اتيان فى غير المأتى ويجىء فى الفاعل والمفعول ماذكرنا وقيل انه زنا لانه وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل فعلى هذا حده حد الزنا بلا خلاف وترجم المرأة ان كانت

كانت فيمن هلك فان قال فكيف قيل الا امرأته كانت من الغابرين وقد قلت ان معنى الغابر الباقى فقد وجب أن تكون قد بقيت قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما عنى بذلك الا امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ومر بهم زمن كثير حتى هرمت فيمن هرم من الناس فكانت ممن غبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب وقيل معنى ذلك من الباقين فى عذاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا عجوزا فى الغابرين فى عذاب الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطا ولم يؤمنوا به مطرا من حجارة من سجيل أهلكناهم به فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يقول جل ثناؤه فانظر يا محمد الى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط فاجترموا معاصى الله وركبوا الفواحش واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال كيف كانت والى أى شئ صارت هل كانت الا البوار والهلاك فان ذلك أو نظيره من العقوبة عاقبة من كذب واستكبر عن الايمان بالله وتصديق ان لم يتوبوا من قومك ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ولد مدين ومدين هو ولد مدين بن ابراهيم خليل الرحمن فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ان كان الامر كما قال فمدين قبيلة كتميم وزعم أيضا ابن اسحق أن شعيبا الذى ذكر الله أنه أرسله اليهم من ولد مدين هذا وانه شعيب بن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية ثيرون فتأويل الكلام على ما قاله ابن اسحق ولقد أرسلنا الى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل يدعوهم الى طاعة الله والانتهاء الى أمره وترك السعى فى الارض بالفساد والصد عن سبيله فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله وحده لا شريك له مالكم من اله يستوجب عليكم العبادة غير الاله الذى خلقكم وبيده نفعكم وضركم قد جاءتكم بينة من ربكم يقول قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعوكم اليه فأوفوا الكيل والميزان يقول أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به وبالوزن الذى تزنون به ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها ومن ذلك قولهم تحسبها حمقاء وهى باخسة بمعنى ظالمة ومنه قول الله وشروه بثمن بخس يعنى به رديء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول لا تظلموا الناس أشياءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبخسوا الناس أشياءهم قال لا تظلموا الناس أشياءهم وقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها يقول ولا تعملوا فى أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله اليكم نبيه من عبادة غير الله والاشراك به وبخس الناس فى الكيل والوزن بعد اصلاحها يقول بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبى عليه السلام فيكم ينهاكم عما لا يحل لكم ومما يكرهه الله لكم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وايفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد فى الأرض خير لكم فى عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى فيما أقول لكم وأؤدى اليكم عن الله من أمره ونهيه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقعدوا بكل صراط

محصنة واذا الاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة ﴿التأويل هذه ناقة الله معجزة الخواص أن يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بسقب سر السر وهو الخفى وناقة الله هى التى تحمل أمانة معرفته وتعطى ساكنى بلد القالب من القوى والحواس لين الواردات الالهية فذروها ترتع فى رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات

توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تجلسوا بكل طريق وهو الصراط توعدون المؤمنين بالقتل وكانوا فيما ذكر يقعدون على طريق من قصد شعيبا وأراده ليؤمن به فيتوعدونه ويخوفونه ويقولون انه كذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بكل صراط توعدون قال كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه فأراد الاسلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون والصراط الطريق يخوفون الناس أن يأتوا شعيبا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله قال كانوا يجلسون في الطريق فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا عليه السلام كذاب فلا يفتننكم عن دينكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى بكل صراط توعدون كل سبيل حق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبد الرحمن عن قيس عن السدي ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال العشارون حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر الرازي قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا خرقته قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون وهذا الخبر الذي ذكرناه عن أبي هريرة يدل على أن معناه كان عند أبي هريرة أن نبي الله شعيبا انما نهى قومه بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون عن قطع الطريق وأنهم كانوا قطاع الطريق وقيل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولو قيل في غير القرآن لا تقعدوا في كل صراط كان جائزا فصيحا في الكلام وانما جاز ذلك لان الطريق ليس بالمكان المعلوم فجاز ذلك كما جاز أن يقال قعد له بمكان كذا وعلى مكان كذا وفي مكان كذا وقال توعدون ولم يقل تعدون لان العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد تقول أوعدته بالالف وتقدم مني اليه وعيد فاذا بينت عما أوعدت وأفصحت به قالت وعدته خيرا ووعدته شرا بغير ألف كما قال جل ثناؤه النار وعدها الله الذين كفروا وأما قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به فانه يقول وتردون عن طريق الله وهو الرد عن الايمان بالله والعمل بطاعته من آمن به يقول تردون عن طريق الله من صدق بالله ووحده وتبغونها عوجا يقول وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته عوجا عن القصد والحق الى الزيغ والضلال كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتصدون عن سبيل الله قال أهلها وتبغونها عوجا تلتمسون لها الزيغ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وتبغونها عوجا قال تبغون السبيل عن الحق عوجا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وتصدون عن سبيل الله عن الاسلام

الطريقة فيأخذكم عذاب أليم بالانقطاع عن مواصلات الحقيقة اذ جعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوأكم في أرض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان وتنحتون من جبال أطوار القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب تلويح السر فالترويح بوجود المسار والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب

تبغون السبيل عوجا هلا كا وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلا عددهم وأن رفعهم من الذلة والخساسة يقول لهم فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة واتقوا عقوبته بالطاعة واحذروا نقمته بترك المعصية وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يقول وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من المثلات والنقمات وكيف وجدوا عقبى عصيانهم اياه ألم يهلك بعضهم غرقا بالطوفان وبعضهم رجما بالحجارة وبعضهم بالصيحة والافساد فى هذا الموضع معناه معصية الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره وان كان طائفة منكم وان كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا يقول صدقوا بالذى أرسلت به من اخلاص العبادة لله وترك معاصيه وظلم الناس وبخسهم فى المكاييل والموازين فاتبعونى على ذلك وطائفة لم يؤمنوا يقول وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه فاصبروا حتى يحكم الله بيننا يقول فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين يقول والله خير من يفصل وأعدل من يقضى لانه لا يقع فى حكمه ميل الى أحد ولا محاباة لأحد والله أعلم

﴿تم الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء التاسع أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾

بالفساد للاستعداد الفطرى الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا من أوصاف القلب والروح أتعلمون أن صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القلب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا أى النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فأخذتهم رجفة الموت فأصبحوا فى دارقالبهم جاثمين والله العزيز

تم الجزء الثامن من تفسير النيسابورى ويليه الجزء التاسع وأوله والى مدين أخاهم شعيبا الآيات

* (فهرست الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى) *

صحيفة		صحيفة	
٣	ذكر من أرسل اليهم شعيب عليه السلام والعذاب الذى عذبوا به	٥٠	ذكر خبر خروج موسى للميقات واختياره السبعين من قومه
١٠	ذكر طرف من أمر فرعون حين أرسل اليه موسى عليه السلام وألقى عصاه	٥٦	بيان ما أخبر الله أن يجعله لبنى اسرائيل فاختار واغيره فجعله لهذه الامة
١٣	ذكر ما فعله فرعون من تعليم طائفة السحر ليناظروا موسى	٦١	ذكر القرية التى مسخ أهلها بعدوانهم فى السبت وسوق قصتهم
١٩	ذكر ما قالته بنو اسرائيل لموسى حين أدركهم فرعون	٧٠	ذكر ما وعدت به اليهود من الذلة والصغار الى يوم القيامة
٢١	ذكر ما أرسل على فرعون وقومه من الآيات وما عذبوا به	٧٢	ذكر ما كانت عليه اليهود من أخذهم الرشا وحكمهم بغير الحق
٣٠	بيان أن بنى اسرائيل لم تملك مصر بعد فرعون وأن مشارق الارض ومغاربها التى ملكتها هى الشأم	٧٤	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل مع موسى حتى رفع فوقهم الجبل
٣١	بيان أن بنى اسرائيل حين خرجوا من البحر مروا على قوم لهم تماثيل بقر يعبدونها فتمنوا أن يكون لهم منها ما يعبد	٧٥	ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره
٣٢	ذكر خروج موسى الى مناجاة ربه بعد غرق فرعون	٨٢	ذكر قصة الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها
٣٤	ذكر السبب فى سؤال موسى رؤية الله	٩٠	ذكر صفة من خلقه للنار
٣٤	ذكر طرف مما يقوله أهل الكتاب فى قصة موسى عند طلب الرؤية	٩٨	ذكر قصة ابليس مع حواء فى أول حملها
٣٦	ذكر ما تم للجبل حين التجلى	١٠٤	بيان الاخلاق التى أمر النبى أن يأخذ بها
٤٠	ذكر ما قاله موسى لآدم وما قاله آدم له	١٠٦	بيان ما عليه أهل التقوى من تذكرهم عقاب الله عند ما يطرأ لهم طيف من غضب أو غيره
٤٢	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل من اتخاذ العجل بعد مفارقة موسى لهم	١١٠	بيان المحال التى يجب الانصات فيها للقراءة القرآن وذكر الخلاف فيها
٤٥	ذكر طرف مما كان فى ألواح موسى من صفات هذه الامة	١١٤	* (تفسير سورة الانفال) *
٤٦	بيان ما قيل فى من أى شئ كانت الالواح	١١٤	بيان الصواب فى معنى الانفال وبيان ما كان لهم من الاختلاف فى أمر الغنائم يوم بدر وكيف قسمة رسول الله لها
٤٨	بيان ما يجب تعميمه من آى الكتاب	١٢٧	ذكر غزوة بدر وما تم فيها من امداد الملائكة
		١٣٣	بيان ما يجب على المحارب من المصابرة وما يجوز له الفرار
		١٣٥	بيان معجزة الرمى الذى فعله النبى فى بدر

صحيفة		صحيفة	
١٤٦	بيان ما فعله بعض المنافقين فى مكاتبة المشركين حتى نزل يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الآية	١٥٢	ذكر ما كان يدعوبه المشركون
١٤٩	ذكر ما اتفق عليه المشركون فى دار الندوة من أذية رسول الله أو قتله	١٥٤	ذكر فوائد الاستغفار
		١٥٧	ذكر ما كان تفعله المشركون فى صلاتهم

(تم فهرست الجزء التاسع من تفسير ابن جرير)

* (فهرست الجزء التاسع من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء التاسع من تفسير ابن جرير) *

صحيفة	
٢	تفسير قوله والى مدين أخاهم شعيبا الآيات وبيان مافيها من القراآت والوقوف
٣	بيان أن الانبياء يبدؤن قومهم فى الموعظة بصدهم عما كانوا مقبلين عليه
٩	تأويل تلك الآيات
١٠	تفسير قوله وما أرسلنا فى قرية الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٤	تأويل تلك الآيات
١٤	تفسير قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٧	ذكر صفة الثعبان الذى تبدلت به العصا وما تم لفرعون عند رؤيته
٢٢	بيان الخلاف فى أن فرعون فعل بالسحرة ما هم به أم لا
٢٤	تأويل تلك الآيات
٢٦	تفسير قوله وقال الملا الآيات وبيان القراآت والوقوف
٢٨	ذكر ما حصل بين عمرو بن عبيد والمنصور العباسى
٣٠	ذكر ما حصل لقوم فرعون حين دعا عليهم موسى
٣٢	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل بعد ما جاوزوا البحر
٣٤	تأويل تلك الآيات
٣٥	تفسير قوله وواعدنا موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
٣٨	بيان المذاهب فى كلام الله
٤٠	بيان ما استدل به الاشاعرة والمعتزلة على عدم الرؤية وجوازها
٤٤	ذكر قصة العجل الذى اتخذه السامرى لبنى اسرائيل وبيان الخلاف فى الخوار
٤٩	تأويل تلك الآيات
٥١	تفسير قوله واختار موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
٥٩	بيان الاوصاف التسعة التى وصف بها النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الآيات
٦٠	بيان ماذكره جماعة من المفسرين من أن طائفة من بنى اسرائيل دخلوا فى نفق فى الارض حتى خرجوا وراء الصين
٦٠	تأويل تلك الآيات
٦٣	تفسير قوله وقطعناهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
٦٧	بيان أن أهل القرية المسوخ أهلها كانوا ثلاث فرق أو اثنتين
٧٠	تأويل تلك الآيات
٧١	تفسير قوله واذ أخذ ربك الآيات وبيان القراآت والوقوف
٧٦	ذكر قصة بلعم بن باعوراء
٧٩	بيان ما تمسكت به الاشاعرة على أن الهداية والضلال بخلق الله وما أولت به المعتزلة الآية وما ورد عليهم به
٨٥	تأويل تلك الآيات
٨٦	تفسير قوله أولم يتفكروا ما بصاحبهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
٩٣	ذكر ما وقع لآدم مع ابليس حين حملت زوجته
٩٧	تأويل تلك الآيات
٩٨	تفسير قوله خذ العفو الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٠٠	بيان أن الغضب متى يهيج وانه كيف تخف وطأته على الانسان
١٠٢	بيان الخلاف فى الانصات للقرآن متى يجب
١٠٥	تأويل تلك الآيات
١٠٦	*(تفسير سورة الانفال)*
١١٠	بيان الخلاف فى أن الانسان يجوز له أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله أم لا
١١٢	ذكر قصة بدر
١١٧	بيان الاختلاف فى قتال الملائكة يوم بدر

صحيفة	
١١٨	تأويل تلك الآيات
١٢٢	تفسير قوله اذ يغشيكم النعاس الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١٣٠	بيان الرمى الذى رماه صلى الله عليه وسلم وهل هو فى بدر أو غيرها
١٣٣	تأويل تلك الآيات
١٣٦	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وبيان القرا آت والوقوف
١٣٩	بيان أن الانسان يلزمه اجابة الرسول ولو فى الصلاة
١٤٣	بيان ماوقع فى أهل الجمل من الآيات
١٤٤	بيان حصار يهود بنى قريظة
١٥٠	تأويل تلك الآيات
١٥٢	تفسير قوله واذا تتلى عليهم الآيات وبيان القرا آت والوقوف
١٥٨	بيان المطعمين يوم بدر من كفار قريش

(تم فهرست الجزء التاسع من النيسابورى)

الجـــزء التـاسع

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه فى التفسير أبى جعفر

محمد بن جرير الطبرى المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره ﴾

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سـنة ١٣٢٧ هجريه

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ القراءة كما مر

* الوقوف شعيبا ط غيره ط اصلاحها ط مؤمنين ج ه لعطف المتفقتين أو وقوع العارض أو رأس الآية عوجا ج لاتفاق الجملتين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول في تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾ يقول تعالى ذكره قال الملأ الذين استكبروا يعني بالملأ الجماعة من الرجال ويعني بالذين استكبروا الذين تكبروا عن الايمان بالله والانتهاء الى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم وكفرهم به لنخرجنك ياشعيب ومن تبعك وصدق وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا بقول لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه قال شعيب مجيبا لهم أولو كنا كارهين ومعنى الكلام أن شعيبا قال لقومه أتخرجوننا من قريتكم وتصدوننا عن سبيل الله ولو كنا كارهين لذلك ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو ولو ﴿ القول في تأويل قوله ﴿قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ يقول جل ثناؤه قال شعيب لقومه اذ دعوه الى العود الى ملتهم والدخول فيها وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم ان لم يفعل ذلك هو وهم قد افترينا على الله كذبا يقول قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن عدنا في ملتكم فرجعنا فيها بعد اذ أنقذنا الله منها بأن بصرنا خطأها وصواب الهدى الذي نحن عليه وما يكون لنا أن نرجع فيها فنرتد بها ونترك الحق الذي نحن عليه الا أن يشاء الله ربنا الا أن يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها فيمضي فينا حينئذ قضاء الله فينفذ مشيئته علينا وسع ربنا كل شيء علما يقول فان علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن فان يكن سبق لنا في علمه أنا نعود في ملتكم فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن فلا بد من أن يكون

مع طول الكلام فكثركم ج لعطف المتفقتين المفسدين ○ بيننا ج لاحتمال الواو والحال والاستئناف الحاكمين ○ ملتنا
ط كارهين ○ وقيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان أقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه
منها ط الله ط ربنا ط علما ط توكلنا ز للعدول الفاتحين ○ الخاسرون (٣) ○ جاثمين ○ ج ان وصل وقف على

ما قد سبق فى علمه والا فانا غير عائدين فى ملتكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول ما ينبغى لنا أن نعود فى شرككم بعد اذ نجانا الله منها الا أن يشاء الله ربنا فالله لا يشاء الشرك ولكن يقول الا أن يكون الله قد علم شيأ فانه وسع كل شئ علما وقوله على الله توكلنا يقول على الله نعتمد فى أمورنا واليه نستند فيما تعدوننا به من شركم أيها القوم فانه الكافى من توكل عليه ثم فزع صلوات الله عليه الى ربه بالدعاء على قومه اذ أيس من فلاحهم وانقطع رجاؤه من اذعانهم لله بالطاعة والاقرار له بالرسالة وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه من فسقتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذى لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ولكنه عدل وحق وأنت خير الفاتحين يعنى خير الحاكمين ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد وأنشد لبعضهم بيتا وهو (١) ألا أبلغ بنى عصم رسولا * فانى عن فتاحتكم غنى

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال ما كنت أدرى ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك يعنى أقاضيك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول اقض بيننا وبين قومنا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو كريب قال ثنا مسعر قال سمعت قتادة يقول قال ابن عباس ما كنت أدرى ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق أى اقض بيننا وبين قومنا بالحق **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة افتح بيننا وبين قومنا بالحق اقض بيننا وبين قومنا بالحق **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله افتح بيننا فيقول احكم بيننا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصرى افتح احكم بيننا وبين قومنا وانا فتحنا لك فتحا مبينا احكمنا لك حكما مبينا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس افتح اقض **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال ثنا مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال لم أكن أدرى ما افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها انطلق أفاتحك ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا

(١) الذى فى اللسان * ألا من مبلغ عمرا رسولا * الخ قال والبيت للاشعر الجعفى اه مصححه

كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا من الضمير فى أصبحوا وكأن لم يغنوا حال لمعنى الفعل فى الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الاول وقف على شعيب و يبتدأ بكانوا ولا يحسن من تعسف الخاسرين ○ ونصحت لكم ط لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع أن فيه فاء التعقيب كافرين ○ والله أعلم ﴿التفسير﴾ القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن توبب بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه أمرهم باشياء الاول عبادة الله أمرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر فى شرائع جميع الانبياء الثانى تصديق ما ادعاه من النبوة وأشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة أى معجزة دالة على نبوتى ففى الآية دلالة مجملة على أن لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغى لكل مدعى نبوة والا كان متنبئا غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه يحكى أنه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا ثربت التنين وأيضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد أولادا عنقها أسود وسائرها أبيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما أخبر

وكل ذلك قبل أن يستنبأ موسى فقال أهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى و يسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على أن الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فأوفوا الكيل الآية واعلم أن للانبياء عليهم السلام أن يبدؤا فى الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فكانه يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشئ القليل وهو أمر

مستقبح فى العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل والميزان قال فى الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما فى سورة هود لانه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل و وزن الميزان أو الميزان مصدر (٤) كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس قال ثعلب وان شئت قلت باخسة وذلك بتأويل الانسان أو النسمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة خص أولا ثم عم ليشمل جميع أنواع الظلم كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال روى أنهم كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هى زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر وأعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا فى الارض وهذا أعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة دنيوية أو دينية والمعنى بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف أو هو كقوله بل مكر الليل والنهار أى بعد الاصلاح فيها يعنى اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العالمين بشرائعهم ذلكم الذى ذكر من الامور الخمسة خير لكم فى الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس فى متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى أن حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لى فى قولى ثم فصل بعض ما أجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط قيل الصراط حقيقة وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم أو كانوا يقطعون الطرق أو كانوا عشارين وقيل انه مجاز عن الدين أى لا تقعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل أن تمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا أى التصق به وعلى مكان كذا

فى غيهم لآخرين منهم لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول وأجبتموه الى ما يدعوكم اليه من توحيد الله والانتهاء الى أمره ونهيه وأقررتم بنبوته انكم اذا لخاسرون يقول لمغبونون فى فعلكم وتركتكم ملتكم التى أنتم عليها مقيمون الى دينه الذى يدعوكم اليه وهالكون بذلك من فعلكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ يقول فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة وقد بينت معنى الرجفة قبل وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله فأصبحوا فى دارهم جاثمين على ركبهم موتى هلكى وكانت صفة العذاب الذى أهلكهم الله به كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والى مدين أخاهم شعيبا قال ان الله بعث شعيبا الى مدين والى أصحاب الايكة والايكة هى الغيضة من الشجر وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن ومارد وا عليه فلما عتوا وكذبوه سألوه العذاب ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم فأهلكهم الحر منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء ثم انه بعث سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها فنادوا الظلة عليكم بها فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم انطبقت عليهم فأهلكتهم فهو قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى اسحق قال كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله فى القرآن كانوا أهل بخس للناس فى مكاييلهم وموازينهم مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم وكان يدعوهم الى الله وعبادته وترك ظلم الناس و بخسهم فى مكاييلهم وموازينهم فقال نصحا لهم وكان صادقا ما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لى يعقوب ابن أبى سلمة اذا ذكر شعيبا قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادبهم فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفى من بلادهم وعتوا على الله أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فبلغنى أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم سميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على صمانة الوادى
وانكم ان تروا فيها ضحاة غد * ما فيها الا الرقيم يمشى بين أبجاد

وسمير وعمران كاهناهم والرقيم كلبهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى أبو اسحق قال فبلغنى والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى أنضجهم ثم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحر حتى اذا دخلوا تحتها أطبقت عليهم فهلكوا جميعا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمته **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى أبو عبد الله البجلى قال أبو جاد وهوز وحطى وسعفص وقرشت أسماء ملوك مدين وكان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب كلمون فقالت أخت كلمون تبكيه

كلمون هدركنى * هلكه وسط المحله سيد القوم أتاه الـ * ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم

أى على ذلك المكان وفيه اذا حل حروف الجر تتعاقب فى مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال
نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال بأحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع أن صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معالم
وحدود وأحكام كثيرة كل منها فى نفسه سبيل وكانوا اذا رأوا أحدا يشرع فيها أوعدوه (٥) وصدوه والضمير فى به راجع الى كل صراط

الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به فأبادهم فصارت قريتهم منهم
خاوية خلاء كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم ينزلوا قط ولم يعيشوا بها حين هلكوا يقال غنى فلان
بمكان كذا فهو يغنى به غنى وغنيا اذا نزل به وكان به كما قال الشاعر

ولقد يغنى بها جيرانك المـ * ـتمسكو منك بعهد ووصال

وقال رؤبة * وعهد مغنى دمنة بضلفعا * انما هو مفعل من غنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر
عن قتادة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا كأن لم ينعموا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس كان لم يغنوا فيها يقول كان لم يعيشوا فيها حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يكونوا فيها قط وقوله الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يقول تعالى ذكره لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين بل
الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الها لكين لانه أخبر عنهم جل ثناؤه أن الذين كذبوا شعيبا
قالوا للذين أرادوا اتباعه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فكذبهم الله عما أحل بهم من
عاجل نكاله ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما خسر تباع شعيب بل كان الذين كذبوا شعيبا لما
جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدقوا وآمنوا بالقول فى تأويل قوله ﴿فتولى عنهم
وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ يقول تعالى
ذكره فأدبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أيقن بنزول نقمة
الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى وأديت اليكم ما بعثنى به اليكم
من تحذيركم غضبه على اقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم ونصحت لكم بأمرى اياكم
بطاعة الله ونهيكم عن معصيته فكيف آسى يقول فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله
وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس
قوله فكيف آسى يعنى فكيف أحزن حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال
ثنا أسباط عن السدى فكيف آسى يقول فكيف أحزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن
ابن اسحق قال أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نقمة الله ثم قال يعزى نفسه فيما ذكر
الله عنه ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين القول فى
تأويل قوله ﴿وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون﴾ يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته فى الامم التى قد خلت من قبل أمته ومذكر
من كفر به من قريش ليتزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وما أرسلنا فى قرية من نبى قبلك الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء وهو البؤس وشظف
المعيشة وضيقها والضراء وهى الضر وسوء الحال فى أسباب دنياهم لعلهم يضرعون يقول فعلنا ذلك
ليتضرعوا الى ربهم ويستكينوا اليه وينيبوا بالاقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا

والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة فى التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا أى تصفونها للناس بأنها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال فى الكشاف أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا تعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم أى وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة الغنى بعد الفقر وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا فى العدة والعدد والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من أفسد قبلهم من الامم وكانوا قريبى العهد مما أصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم أولا ثم رهبهم ثانيا وأكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا

معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا أى أحد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو أن الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وجوابه أن قول الكفار ليس حجة أليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا فى ملتكم وأجيب بأن الكلام بنى على التغليب وأن شعيبا أراد عود قومه الا أنه نظم نفسه فى جملتهم لما ذكرنا أو لعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على القوم وشعيب

أجرى كلامه على وفق ذلك أو انه كان فى أول أمره يخفى مذهبه فتوهموا أنه على دينهم أو أريد بالملة الشريعة التى صارت منسوخة بشرعنا
أو يطلق العود على الابتداء كقوله وان تكن الايام أحسن مرة * الىّ فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب فى جوابهم أولو كنا
كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير (٦) أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهيتنا ثم صرح بأنه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا
على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك أن أصل الباب فى النسوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب والعود فى ملتكم ينافى ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد أن علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانه أو المراد نجى قومه فغلب أو المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال فى الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان الارتداد أعظم من الكفر حيث ان المرتد يزعم أنه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل وكفره أزيد والثانى أن يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا أى ما ينبغى لنا وما يصح أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا قال أهل السنة فى الآية دلالة على أن المنجى من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدى ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبنى وبنىّ أن نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفنى مسلما أجابت المعتزلة بوجوه الاول أن

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء يقول بالفقر والجوع وقد
ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا فى معنى البأساء والضراء بما أغنى عن اعادته فى
هذا الموضع وقيل يضرعون والمعنى يتضرعون ولكن أدغمت التاء فى الضاد لتقارب مخرجهما
* القول فى تأويل قوله ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم بدلنا أهل القرية التى أخذنا أهلها بالبأساء
والضراء مكان السيئة وهى البأساء والضراء وانما جعل ذلك سيئة لانه مما يسوء الناس ولا تسوهم
الحسنة وهى الرخاء والنعمة والسعة فى المعيشة حتى عفوا يقول حتى كثروا وكذلك كل شئ كثر
فانه يقال فيه قد عفا كما قال الشاعر ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا
محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكان السيئة الحسنة قال مكان الشدة رخاء حتى عفوا حدثنى محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مكان السيئة
الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الرخاء والمال والولد حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مكان السيئة الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الخير حدثنى
المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة يقول مكان الشدة الرخاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم
بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا قال بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا فى الدنيا حتى عفوا عن
ذلك العذاب وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء واختلفوا فى تأويل قوله حتى عفوا فقال بعضهم
نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن
على عن ابن عباس قوله حتى عفوا يقول حتى كثروا وكثرت أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حتى عفوا قال جوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى عفوا قال كثرت أموالهم وأولادهم
حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى حتى عفوا حتى كثروا حدثنى
ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم حتى عفوا قال حتى جوا وكثروا قال ثنا ابن
ابن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس حتى عفوا قال حتى جوا قال ثنا المحاربى عن
جويبر عن الضحاك حتى عفوا يعنى جوا وكثروا قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن مجاهد
حتى عفوا قال حتى كثرت أموالهم وأولادهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله حتى عفوا كثروا كما يكثر النبات والريش ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون وقد
آخرون معنى ذلك حتى سروا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن
عن معمر عن قتادة حتى عفوا يقول حتى سروا بذلك وهذا الذى قاله قتادة فى معنى عفوا قول

قوله الا أن يشاء قضية شرطية أى ان شاء بعد وليس فيه بيان أنه شاء أم أبى الثانى أن هذا على طريق التبعيد والاحالة لا وجه
كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو أكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان
الصبر أفضل وما كان جائزا صح أن يكون مرادا لله تعالى كما أن المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين أفضل الرابع يحتمل
يعود الضمير فى فيها الى قرية كأنه قال ان أخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشيئة عند أهل السنة لا

جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذى يوجب الجواز هو الامر فيحتمل أن يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون
التقدير الا أن يأمر الله أن نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يعد أن يأمر الله تعالى بالعمل به مرة أخرى السادس قال
الجبائى المراد من الملة الشريعة التى يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلاة فمن الجائز أن يكون بعض أحكام

الشريعة المنسوخة باقيا فيكون
المعنى الا أن يشاء الله ابقاء بعض
تلك الملة فدللنا عليها ثم ان المعتزلة
تمسكوا بالآية على صحة قولهم من
وجهين أحدهما ان قوله وما يكون
لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان
لنا أن نعود وذلك يقتضى أن كل
ما شاء الله تعالى وجوده كان فعله
جائزا ماذونا فيه وما كان حراما ممنوعا
منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما
أن قوله لنخرجنك أو لتعودن
لا وجه للفصل بينهما فان كان العود
بخلق الله كان الاخراج أيضا بخلقه
قلت للسنى أن يلتزم ذلك أما قوله
وسع ربنا كل شئ فوجه تعلقه بما
تقدمه على قول الجبائى هو أن
التكليف بحسب المصالح فيكون
معنى قول شعيب الا أن يشاء الله
الا أن تختلف المصلحة فى تلك
العبادات فحينئذ يكلفنا بها والعلم
بالمصالح لا يكون الا بأن وسع كل شئ
علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق
هو أن القوم لما قالوا لنخرجنك أو
لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل
شئ علما فرب ما كان فى علمه قسم
ثالث وهو أن يبقينا فى القرية
مؤمنين ويجعلكم مقهورين
خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله
عقيب ذلك على الله توكلنا أى لا على
غيره وانتصاب علما على التمييز
وفى قوله وسع بلفظ الماضى
دلالة على أنه تعالى كان فى

لا وجه له فى كلام العرب لانه لا يعرف العفو بمعنى السرور فى شئ من كلامها الا أن يكون أراد
حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم فيكون ذلك وجها وان بعدوا أما قوله وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء فانه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التى كانوا فيها استدراجا
وابتلاء أنهم قالوا اذ فعل ذلك بهم هذه أحوال قد أصابت من قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا ونحن
لا نعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة فى المعايش والرخاء فيها وهى السراء لانها
تسر أهلها وجهل المساكين شكر نعمة الله وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالانابة الى طاعته
والمسارعة الى الاقلاع عما يكرهه بالتوبة حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون يقول جل جلاله
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون يقول فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة أتاهم على غرة منهم بمجيئه
وهم لا يدرون ولا يعلمون أنه يجيئهم بل هم بأنه آتيهم مكذبون حتى يعاينوه ويروه ﴿القول
فى تأويل قوله﴾ ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره
أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته استدراج الله اياهم بما أنعم به عليهم
فى دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش كما استدرج الذين قص عليهم قصصهم من الامم قبلهم
فان مكر الله لا يأمنه يقول لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم واصرارهم على
معصيتهم الا القوم الخاسرون وهم الهالكون ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿أولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ يقول
أولم يبين للذين يستخلفون فى الارض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا
أعمالهم وعتوا عن أمر ربهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يقول أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن
قبلهم فأخذناهم بذنوبهم وعجلنا لهم بأسنا كما عجلنا لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الارض
فاهلكناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا
تذكيرا سماع منتفع بهما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولم يهد قال يبين
حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا
عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولم يهد أولم يبين حدثنى محمد
ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد أهلها يقول أولم يبين لهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل
قال ثنا أسباط عن السدى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها يقول أولم يتبين للذين
يرثون الارض من بعد أهلها هم المشركون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله أولم نهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أولم نبين لهم أن لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم قال والهدى البيان الذى بعث هاديا لهم مبينا لهم حتى يعرفوا ولولا البيان لم يعرفوا
﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره
هذه القرى التى ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها يعنى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب

لا زال عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شئ عن مقتضى علمه وهو معنى جفاف الاقلام وطى الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد
وشقاوة الشقى ويعلم من عموم كل شئ أنه علم الماضى والحال والمستقبل وعلم المعدوم أنه لو كان كيف يكون فهذه أقسام أربعة يقع
كل منها على أربعة أوجه لانه علم الماضى كيف كان وعلم أنه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا أو مستقبلا أو معدوما محضا فانه كيف يكون

وكذا الكلام فى الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس أو نوع أو صنف أو شخص من الجو
أو الاعراض صار مبلغا تتحير فيه عقول العقلاء بل تقف دون أوّل قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما أعرض عن الاسباب وارتفع
التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء قائلا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدى

واقض وعن ابن عباس ما أدرى
ما معناه حتى سمعت ابنة ذى يزن
تقول لزوجها تعال أفاتحك أى
أى أحاكمك وجوز الزجاج أن يكون
معنى الآية أظهر أمرنا حتى يتضح
وينكشف ما بيننا وبين قومنا والمراد
أن ينزل عليهم عذابا يدل على
كونهم مبطلين وعلى كون شعيب
وقومه محقين ثم أثنى على الله بقوله
وأنت خير الفاتحين كما قال وهو
خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان
فتح باب الخيرات وهو أشرف صفات
المحدثات فلو كان موجد الايمان
هو العبد كان خير الفاتحين هو العبد
وللمعتزلة أن يقولوا لولا ألطافه
المرجحة الداعية لم يوجد الايمان من
العبد فصح أن الله هو خير الفاتحين ثم
بين أن رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على
الضلال بل بادروا الى الاضلال قائلين
لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا
لخاسرون أى فى الدين أو فى الدنيا
لانه يمنعكم من ازدياد الاموال بطريق
البخس والتطفيف فأخذتهم
الرجفة قد سبق تفسيرها الذين
كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يقال
غنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم
فيها والمغانى المنازل اذا كان فيها
أهلها وقال الزجاج أى كأن لم يعيشوا
فيها مستغنين من الغنى الذى هو
ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه
حال المكذبين بحال من لم يكن قط
فى تلك الديار كقوله
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال فى الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى
الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا فازوا بخير
الله الذين كذبوا شعيبا هم المختصون بالخسران العظيم دون أتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء والتكرير مبالغة فى ردهم

نقص عليك من أنبائها فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسل الله
أرسلت اليهم لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا وبهم
مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذب رسل الله فيرتدعوا عن تكذيبك وينيبوا الى توحيد
الله وطاعته ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يقول ولقد جاءت أهل القرى التى قصصت عليك
رسلهم بالبينات يعنى بالحجج البينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف أهل التأويل
فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى
ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم بما كذبوا من قبل ذلك وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر
آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال
ثنا أسباط عن السدى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فأقروا
كرها * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا ليؤمنوا عند مجىء الرسل بما سبق فى علم الله أنهم
يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى
كعب فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان فى علمه يوم أقروا له بالميثاق حدثنى
قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال يحق على العلماء
أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والانبياء ويدعوا علم ما أخفى الله عليهم فان علمه نافذ فيما
كان وفيما يكون وفى ذلك قال ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصى حيث خلقهم
فى زمان آدم وتصديق ذلك حيث قال لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم وقال فى ذلك ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فى
ذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفى ذلك قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ولا حجة لأحد على الله * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا ليؤمنوا حين جاءهم بعد هلاكهم ومعاينتهم
ما عاينوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم كما قال جل ثناؤه ولو ردّوا لعادوا لما
نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بما كذبوا من قبل قال كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
* قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب القول الذى ذكرناه عن ابن
ابن كعب والربيع وذلك أن من سبق فى علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به فلن يؤمن أبدا وقد
سبق فى علم الله تعالى لمن هلك من الامم التى قص نبأهم فى هذه السورة أنه لا يؤمن أبدا فأخبر
ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون فى سابق علمه قبل مجىء الرسل عند مجيئهم اياهم
ولو قيل تأويله فما كان هؤلاء الذين ورثوا الارض بما محمد من مشركى قومك من بعد أهلها الذين
كانوا بها من عاد وثمود ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده وعيده على كل
وجه ومذهب غير أنى لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن وأما الذى قاله مجاهد
أن معناه لو ردّوا وأما كانوا ليؤمنوا فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا من خبر عن الرسول

الملا لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت والعرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول أخولك
الذى ظلمنا أخولك الذى أخذ أموالنا أخولك الذى هتك أعراضنا وأيضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى أن الذين
اتبعوه وخالفوهم هم الخاسرون وفى الآية فوائد أخر منها أن ذلك العذاب (٩) انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك أثر الكواكب
والطبيعة والاحصل فى أتباع شعيب كما
حصل فى حق الكفار ومنها أن ذلك
الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه
التمييز بين المطيع والعاصى ومنها
أن يكون معجزة لشعيب حيث وقع
ذلك العذاب على قوم دون قوم مع
كونهم مجتمعين فى بلد واحد فتولى
عنهم قد تقدم أن هذا التولى جائز
أن يكون قبل نزول العذاب وجائز
أن يكون بعده قال الكلبى خرج
من بينهم ولم يعذب قوم نبى حتى أخرج
من بين أظهرهم ولما اشتد حزنه
على قومه من جهة الوصلة والقرابة
والمجاورة وطول الالفة لانهم كانوا
كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة
للايمان عزى نفسه وقال فكيف
آسى على قوم كافرين لانهم الذين
أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم
على الكفر والأسى شدة الحزن وقيل
المراد لقد أعذرت اليكم فى الابلاغ
والنصيحة والتحذير مما حل بكم
فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى
فكيف آسى عليكم لانكم لستم
مستحقين لذلك ﴿التأويل﴾ ولا
تبخسوا فيه أن البخاسة والدناءة
والحرص والظلم من الصفات التى يجب
تزكية النفس عنها فان الله تعالى
يحب معالى الامور ويبغض سفسافها
ولا تفسدوا فى الارض أرض الطبيعة
التى جبل الانسان عليها ولا تقعدوا
بكل صراط لا تقطعوا الطريق على
الطالبين بأنواع الحيل والمكايد
اذكنتم قليلا فكثركم بالتناصر
والتعاون فى الامور وبكثرة العدد
والعدد نعمة تامة يجب أن تصرف
فى اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة

صحيح واذ كان ذلك كذلك فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل وأما
قوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فانه يقول تعالى ذكره كما طبع الله على قلوب هؤلاء
الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الامم التى قصصنا عليك نبأهم يا محمد فى هذه السورة حتى
جاءهم بأس الله فهلكوا به كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم
لا يؤمنون أبدا من قومك ﴿القول فى تأويل قوله﴿ وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا
أكثرهم لفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التى أهلكناها واقتصصنا
عليك يا محمد نبأها من عهد يقول من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله واتباع رسله والعمل بطاعته
واجتناب معاصيه وهجر عبادة الاوثان والاصنام والعهد هو الوصية وقد بينا ذلك فيما مضى بما
أغنى عن اعادته وان وجدنا أكثرهم يقول وما وجدنا أكثرهم الا فسقة عن طاعة ربهم تاركين
عهده ووصيته وقد بينا معنى الفسق قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى
قول الله تعالى وان وجدنا أكثرهم لفاسقين قال القرون الماضية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد الآية قال القرون الماضية
وعهده الذى أخذه من بنى آدم فى ظهر آدم ولم يفوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب وما وجدنا لاكثرهم من عهد قال
فى الميثاق الذى أخذه فى ظهر آدم عليه السلام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى
قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين
وذلك أن الله انما أهلك القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به ﴿القول فى تأويل قوله
﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران
والهاء والميم اللتان فى قوله من بعدهم هى كناية ذكر الانبياء عليهم السلام التى ذكرت من أول
هذه السورة الى هذا الموضع بآياتنا يقول بحججنا وأدلتنا الى فرعون وملئه يعنى الى جماعة
فرعون من الرجال فظلموا بها يقول فكفروا بها والهاء والالف اللتان فى قوله بها عائدتان على
الآيات ومعنى ذلك فظلموا بآياتنا التى بعثنا بها موسى اليهم وانما جاز أن يقال فظلموا بها بمعنى كفروا
بها لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن اعادته
والكفر بآيات الله وضع لها فى غير موضعها وصرف لها الى غير وجهها الذى عنيت به فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان
عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا فى الارض يعنى فرعون وملأه اذ ظلموا بآيات الله التى جاءهم بها موسى
عليه السلام وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا فى البحر ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وقال موسى
يا فرعون انى رسول من رب العالمين﴾ يقول جل ثناؤه وقال موسى لفرعون يا فرعون انى
رسول من رب العالمين ﴿القول فى تأويل قوله ﴿حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد
جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت

(٢ - (ابن جرير) - تاسع) منكم أى الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل
الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة فى العذاب واذا قة ألم الهجران أو لتعودن فى ملتنا اشارة الى أن كل جنس لا يميل الا الى أشكاله
والاوجد فى بابه من يأمن نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها فى القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت لنا من خاتمة

الخير واظهار ما قدرت لهم من خاتمة السوء فأخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا جاثمي الارواح في ديار الاشباح كأن لم يغنوا فيها الان الباطل زاهق لا محالة ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم (١٠) بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ * القراآت لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد أو أمن بسكون الواو أبو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وابن كثير غير ابن فليح وقرأ ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها أولم نهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان أبو عمرو * (الوقوف) يضرعون ○ لا يشعرون ○ يكسبون ○ نائمون ○ لمن قرأ أوأمن بفتح الواو على أن الهمز للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لأن أو للعطف يلعبون ○ مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع أن الفاء للتعقيب الخاسرون ○ بذنوبهم ج للفصل بين الماضي والمستقبل والتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون ○ من أنبائها ج لعطف المختلفتين بالبينات ط لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءهم للامم الماضية مع أن الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين ○ من عهد ج لعطف الجملتين المختلفتين لفاسقين ○ * ﴿ التفسير ﴾ انه سبحانه لما عزفنا أحوال هؤلاء الانبياء وما جرى على أممهم ذكر ما يدل على أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم

من الصادقين ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة حقيق على أن لا أقول بارسال الياء من على وتركه تشديدها بمعنى أنا حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فوجهوا معنى على الى معنى الباء كما يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول اذا قرئ ذلك كذلك فمعناه حريص على أن لا أقول الا بحق وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة حقيق علي أن لا أقول بمعنى واجب علي أن لا أقول وحق علي أن لا أقول * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم يقول قال موسى لفرعون وملئه قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من ارسال الله اياي اليكم رسولا فأرسل يا فرعون معي بني اسرائيل فقال له فرعون ان كنت جئت بآية يقول بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول فأت بها ان كنت من الصادقين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يعني حية مبين يقول تتبين لمن يراها أنها حية وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هي ثعبان مبين قال تحولت حية عظيمة وقال غيره مثل المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا هي ثعبان مبين يقول فاذا هي حية كادت تتسوره يعني كادت تثب عليه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاذا هي ثعبان مبين والثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الاسفل في الارض والأعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب فأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان بن عيينة قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فاذا هي ثعبان مبين قال ألقى العصا فصارت حية فوضعت فقمالها أسفل القبة وفقمالها أعلى القبة قال عبد الكريم قال ابراهيم وأشار سفيان باصبعه الابهام والسبابة هكذا شبه الطاق فلما أراد أن تأخذه قال فرعون يا موسى خذها فأخذها موسى بيده فعادت عصا كما كانت أول مرة حدثنا العباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة اليه اقتحم عن سريره فاستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثعبان مبين قال الحية الذكر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما دخل موسى على فرعون قال له موسى

وبين العلة التى لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة أيضا وتقدير الكلام وما أرسلنا فى قرية من نبى فكذبه أهلها الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة فى الاموال والضراء الامراض فى الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون أى يتضرعون فأدغم التاء فى الضاد والمعنى ليحطوا أردية التعزز والاستكبار ويتبعوا نبيهم ثم بين أن تدبيره فى أهل القرى لا يجرى على نمط واحد فقال (ثم بدلنا مكان السيئة) وهى كل ما يسوء صاحبه (الحسنة) وهى (١١) ما يستحسنه الطبع والعقل أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما هو دأب الأشرين يقولون هذه عادة الدهر فى أهله يوم محنة ويوم منحة والمراد أنهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وأمن بعد خوف وراحة بعد عناء فأخذناهم بغتة آمن ما كانوا عليه ليكون ذلك أعظم فى الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة فى جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف أن العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع أبواب السعادات ولهذا قال (ولو أن أهل القرى) أى جنسها أو القرى المذكورة فى قوله وما أرسلنا فى قرية (آمنوا) بما يجب به الايمان فى باب المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض أى لاتيناهم بالخير من كل وجه أو أراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسير أسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا يسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بالجدب والمحل وهو ضد البركة والخير بما كانوا يكسبون أى بشؤم كسبهم وهو الكفر والمعاصى ثم خوف

أعرفك قال نعم قال ألم نربك فينا وليدا قال فردّ اليه موسى الذى ردّ فقال فرعون خذوه فبادره موسى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فحملت على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله فألقى عصاه فاذا هى حية تسعى قال ما بين لحييها أربعون ذراعا حدثنا وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك فاذا هى ثعبان مبين قال الحية الذكر قال أبو جعفر وأما قوله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فانه يقول وأخرج يده فاذا هى بيضاء تلوح لمن نظر اليها من الناس وكان موسى فيما ذكر لنا آدم فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص له آية وعلى صدق قوله انى رسول من رب العالمين حجة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص ثم أعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله بيضاء للناظرين يقول من غير برص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ونزع يده أخرجها من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ونزع يده قال نزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين وكان موسى رجلا آدم فأخرج يده فاذا هى بيضاء أشد بياضا من اللبن من غير سوء قال من غير برص آية لفرعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال للملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ يقول تعالى ذكره قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم ان هذا يعنون موسى صلوات الله عليه لساحر عليم يعنون أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه اياهم حتى يخيل اليهم العصا حية والآدم أبيض والشئ بخلاف ما هو به ومنه قيل سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من أصوله وقلب الارض ظهرا لبطن فهو يسحرها سحرا والارض مسحورة اذا أصابها ذلك فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله الى من سحره أنه يرى الشئ بخلاف ما هو به ومنه قول ذى الرمة فى صفة السراب

وساحرة العيون من الموامى * ترقص فى نواشزها الأروم

وقوله عليم يقول ساحر عليم بالسحر يريد أن يخرجكم من أرضكم أرض مصر معشر القبط السحرة

للمكلفين نزول العذاب عليهم فى الوقت الذى يكونون فيه فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على المرء فيه التشاغل باللذات والمهمات فقال أفأمن قال فى الكشاف الهمزة لانكار والفاء للعطف على قوله فأخذناهم بغتة والآية بينهما اعتراض والتقدير أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو وأما قوله أفأمنوا مكر الله تكرير لقوله أفأمن أهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى أفعلوا ما فعلوا فأمن وأما

من قرأ أوساكنة فعناه اما أحد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احدى هذه العقوبات واما للاضراب كما تقول أنا أخرج ثم تقول أو أقيم على أن المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات للاقامة أى لا بل أقيم ومعنى بيانا قد تقدم فى أول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهرى ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على أنه مفرد كصرد وتؤنث على أنها جمع ضحوة ثم بعده الضحاء ممدودا مذكرا وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وقوله وهم يلعبون يحتمل التشاغل بما لا يجدى عليهم من أمور الدنيا فهى لهو ولعب ويحتمل خوضهم فى كفرهم لان ذلك كاللعب فى أنه يضر ولا ينفع ومكر الله كما تقدم فى آل عمران عذاب بعد الاستدراج أو سمى جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له مالى أرى الناس ينامون ولا أرالك تنام قال يا بنية ان أباك يخاف البيات يعنى المذكور فى الآية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الآمنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر أن الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال أولم يهد من قرأ بالياء ففاعله أن لو نشاء والمعنى أولم يهد الذين يخلفون أولئك المتقدمين فيرثون أرضهم وديارهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أى بعقابها كما أصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله أن لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين ولهذا عدى فعلها باللام والمفعول على القراءة الاولى محذوف والتقدير أولم يكشف لهم الحال والشأن المذكور وأما قوله ونطبع على قلوبهم فاما أن يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع كما مر فى الوقوف واما أن يكون متصلا بما قبله قال فى الكشاف وذلك هو يرثون أو مادل عليه معنى أولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع ثم قال ولا يجوز أن يكون معطوفا على أصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل أن يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين أن يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب أولا أو يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وأيضا جاز أن يراد وشئنا لو نا فى طبعهم أولا دمناه والله سبحانه أعلم بمراده ثم أخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهى مبتدأ وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة أو خبر بعد خبر أو القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة وأما على الاولين فترجع الفائدة الى الحال أو الخبر الثانى كما ترجع الى الصفة فى قولك هو الرجل الكريم

وقال فرعون للملا فماذا تأمرون يقول فأى شئ تأمرون أن نفعل فى أمره بأى شئ تشيرون فى وقيل فماذا تأمرون والخبر بذلك عن فرعون ولم يذكر فرعون وقلما يجئ مثل ذلك فى الكلام وذلك نظير قوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب فقيل ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول يوسف ولم يذكر يوسف ومن ذلك أن يقول قلت لزيد قم فانى قائم وهو يريد فقال زيد انى قائم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين﴾ يقول تعالى ذكره قال الملا من قوم فرعون لفرعون أرجئه أى أخره وقال بعضهم معناه احبس والارجاء فى كلام العرب التأخير يقال منه أرجيت هذا الامر وأرجأته اذا أخرته ومنه قول الله تعالى ترجى من تشاء منهن تؤخر فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون أرجأت هذا الامر وترك الهمز من لغة تميم وأسد يقولون أرجيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين أرجه بغير الهمز وبحر الهاء وقرأه بعض قراء الكوفيين أرجه بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء فى المكنى فى الوصل اذا تحرك ما قبلها كما قال الراجز

ألحى على الدهر رجلا ويدا * فقسمه لا نصلح الا أفسدا

فنصلح اليوم ويفسده غدا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون هذه طلحه قد أقبلت كما قال الراجز

لما رأى أن لا دعه ولا شبع * مال الى أرطاة حقف فاضطجع

وقرأه بعض البصريين أرجئه بالهمز وضم الهاء على لغة من ذكرت من قيس * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها فى كلام العرب وذلك ترك الهمز وجر الهاء وان كانت الأخرى جائزة غير أن الذى اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أرجه فقال بعضهم معناه أخره ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أرجه وأخاه قال أخره وقال آخرون معناه احبسه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرجه وأخاه أى احبسه وأخاه وأما قوله وأرسل فى المدائن حاشرين يقول من يحشر السحرة فيجمعهم اليك وقيل هم الشرط ذكر من قال ذلك حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن ابن عباس وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن ابراهيم ابن مهاجر عن أبيه عن مجاهد وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط قال ثنا حميد عن قيس عن السدى وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله فى المدائن حاشرين

والحاصل أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك وأيضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض أنبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا أقرب الامم الى العرب فذكرنا أحوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل أعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام (١٣) لتأكيد النفي وأن الايمان كان منافيا لحالهم

قال الشرط حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأرسل في المدائن حاشرين قال الشرط ۞ القول في تأويل قوله ﴿يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملا من قوم فرعون على فرعون أن يرسل في المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر من اظهاره وهو فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا يقول ان لنا الثوابا على غلبتنا موسى عندك انا كنا يا فرعون نحن الغالبين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فأرسل في المدائن حاشرين فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا يا فرعون يعمل هذا الساحر قالوا يعمل بالحيات قالوا والله ما في الارض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا فأجرنا ان غلبنا فقال لهم أنتم قرابتي وحامتي وأنا صانع اليكم كل شئ أحببتم حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال فرعون لا تغالبه يعني موسى الا بمن هو منه فأعد علماء من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية بمصر يقال لها الفرما يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكتاب في الكتاب قال فعلموهم سحرا كثيرا قال وواعد موسى فرعون موعدا فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون فجاء بهم وجاء بعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت قال قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لهم به فأما سحر أهل الارض فانه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فحشر واعليه السحرة فلما جاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يقول عطية تعطينا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم أي كاثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهرون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه وبعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا الا أتى به فذكر لي والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا اليه أمرهم أمره وقال لهم قد جاء نا ساحر ما رأينا مثله قط وانكم ان غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتي قالوا وان لنا ذلك ان غلبناه قال نعم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قال السحرة كانوا سبعين قال أبو جعفر أحسبه أنا قال ألفا قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن ابن المنذر قال كان السحرة ثمانين ألفا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد العزيز ابن رفيع عن خيثمة عن أبي سودة عن كعب قال كان سحرة فرعون اثني عشر ألفا ۞ القول

قال ابن عباس والسدي فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم أقروا باللسان كرها وأضمروا التكذيب وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى أن ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك أي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذي كتب أن لا يؤمنوا أبدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو أن يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها أن صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما أضاف الطبع الى نفسه لأجل أن القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند أمره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله للذر ألست بربكم أقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة في قوله لفاسقين وقد عملت في ضمير شأن مقدر والتقدير وان الشأن والحديث علمنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والآية اعتراض ويحتمل أن يعود الضمير على الامم

المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن لنكشوه بعد كشف الضر ﴿التأويل﴾ الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء الولى يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو أن أهل القرى يعني صفات النفس آمنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من ألطاف الحق واتقوا مشتبهات النفس لفتحنا عليهم أسباب العواطف من سماء الروح وأرض القلب فأخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع بياتا في صور القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من أهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن أهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴿القراآت حفص

في تأويل قوله ﴿قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين﴾ يقول جل ثناؤه قال فرعون للسحرة اذ قالوا له ان لنا عندك ثوابا ان نحن غلبنا موسى قال نعم لكم ذلك وانكم لمن أقرب به وأدنيه مني قالوا يا موسى يقول قالت السحرة لموسى يا موسى اختر أن تلقي عصاك أو نلقي نحن عصينا ولذلك أدخلت أن مع اما في الكلام لانها في موضع أمر بالاختيار فأن اذا في موضع نصب لما وصفت من المعنى لان معنى الكلام اختر أن تلقي أنت أو نلقي نحن والكلام مع اما اذا كان على وجه الامر فلا بد من أن يكون فيه أن كقولك للرجل اما أن تمضي واما أن تقعد بمعنى الامر امض أو اقعد فاذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهذا هو الذي يسمى التخيير وكذلك كل ما كان على وجه الخبر واما في جميع ذلك مكسورة ﴿القول في تأويل قوله ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة ألقوا ما أنتم ملقون فألقت السحرة ما معهم فلما ألقوا ذلك سحروا أعين الناس خيلوا الى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع أنها تسعى واسترهبوهم يقول واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم حتى خافوا من العصي والحبال ظنا منهم أنها حيات وجاؤا كما قال الله بسحر عظيم بتخييل عظيم كثير من التخييل والخداع وذلك كالذي **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل الا معه حبل وعصا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم يقول فرقوهم فأوجس في نفسه خيفة موسى **حدثني** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قال فأقبلت تخيل اليه من سحرهم أنها تسعى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته قالت السحرة يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال فاذا هي حيات كأمثال الحبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا فأوجس في نفسه خيفة موسى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعد وهذه أو كما حدث نفسه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ﴿القول في تأويل قوله ﴿وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فألقاها فاذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبا وباطلا يقال منه لقفت الشيء فأنا ألقفه لقفا ولقفانا وذلك كالذي **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن

علي بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف معى بفتح الياء حيث كان حفص أرجه باسكان هاء الضمير حمزة وعاصم غير المفضل أرجه بكسر الجيم
والها من غير اشباع يزيد وقالون أرجهي بالاشباع نافع غير قالون وعلى وعباس وخلف المفضل أرجئه بالهمزة أبو عمرو وغير عباس وسهل ويعقوب
وابن الأخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني أرجئهو بالاشباع ابن كثير (١٥) والحلواني عن هشام أرجئه بكسر الهاء ابن مجاهد
والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلى وخلف وكذلك في يونس وقر أقتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وأبو جعفر ونافع وحفص أئن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة آين لنا بالمدة وقلب الهمزة ياء أبو عمرو وزيد أين لنا بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل آمنتم بهمزة واحدة ممدودة حفص أآمنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وأبي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالصة الهاشمي عن قنبل وآمنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وأبو عون والهرندي عن قنبل (الوقوف) فظلموا بها ج للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ٥ العالمين ٥ ج وقف لمن قرأ حقيق علي بالتشديد أي واجب علي ومن قرأه مخففا جاز له الوصل على جعل

عن قتادة وأوحينا الى موسى أن ألق أعصالك فألقى موسى عصاه فتحولت حية فأكلت سحرهم
كله حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا
أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فألقى عصاه فاذا هي حية تلقف ما يأفكون لا تمر بشئ من
حبالهم وخشبهم التي ألقوها الا التقمته فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء وليس هذا بسحر
فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون حدثني موسى بن هرون قال ثنا
عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أوحى الله الى موسى لا تخف وألق ما في يمينك تلقف
ما يأفكون فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أوحى الله اليه أن ألق ما في
يمينك فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون
وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه ثم
أخذها موسى فاذا هي عصاه في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون لو كان هذا سحرا ما غلبنا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام
الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال أوحى الله اليه أن ألق عصاك فألقى عصاه فاذا هي ثعبان
فاغر فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فخروا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار
وثواب أهلها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد في قول الله يأفكون قال يكذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن
ابن جريج عن مجاهد فاذا هي تلقف ما يأفكون قال يكذبون حدثنا ابراهيم ابن المستمر قال ثنا
عثمان بن عمر قال ثنا قرة بن خالد السدوسي عن الحسن تلقف ما يأفكون قال حبالهم وعصيهم
تسترطها استراطا ۞ القول في تأويل قوله ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره
فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى وانه لله رسول يدعو الى الحق وبطل ما كانوا
يعملون من افك السحر وكذبه ومخايله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوقع الحق
قال ظهر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه
عن مجاهد في قوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون قال ظهر الحق وذهب الافك الذي كانوا يعملون
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فوقع الحق قال
ظهر الحق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
فوقع الحق ظهر موسى ۞ القول في تأويل قوله ﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ يقول
تعالى ذكره فغلب موسى فرعون وجوعه هنالك عند ذلك وانقلبوا صاغرين يقول وانصرفوا
عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين يقال منه صغر الرجل يصغر صغرا وصغرا وصغارا ۞ القول
في تأويل قوله ﴿وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ يقول
تعالى ذكره وألقي السحرة عند ما عاينوا من عظيم قدرة الله ساقطين على وجوههم سجدا لربهم
يقولون آمنا برب العالمين يقولون صدقنا بما جاء به موسى وان الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن

حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين ٥ مبين ٥ للفصل بين الجملتين والوصل أجود للجمع
بين المحتين للناظرين ٥ عليم ٥ لا لأن ما بعده وصف لساحر من أرضكم ج لاحتمال أن ما بعده من تمام قول الملا لفرعون وحده والجمع
لتعظيم أوله ولعظماء حضرته وأن يكون ابتداء جواب من فرعون أي فماذا تشيرون قاهرون ٥ حاشرين ٥ لا لأن ما بعده جواب

الامر عليم ٥ الغالبين ٥ المقربين ٥ الملقين ٥ ألقوا ج للعطف عظيم ٥ عصاك ط لحق المحذوف لان التقدير فألقاها فاذا هي ما يأفكون ٥ وكذلك يعملون ٥ صاغرين ٥ ج لمكان حروف العطف ساجدين ٥ ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين ٥ لا للبدل وهرون آذن لكم ج للابتداء مع اتحاد القائل أهلها ج (١٦) لأن سوف للتهديد مع العطف تعلمون ٥ أجمعين ٥ منقلبون ٥ للآية مع اتحاد المقول جاءتنا ط للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين ٥ ۞ التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لأن جهل قومه أعظم وأفحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته أقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل أو الى الامم المذكورين وفي قوله بآياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها أي بتلك الآيات والمراد كفروا بها لأن وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع للشيء في غير موضعه أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وأذوا من آمن بها فانظر أيها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذه قصة اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين أي اله قادر عليم حكيم وفيه أن العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على أن لا أقول من قرأ بالتشديد في علي حقيق اما بمعنى فاعل أي واجب علي ترك القول على الله الا بالحق أو بمعنى مفعول أي حق علي ذلك تقول العرب الى لمحقوق على أن أفعل خيرا وأما قراءة العامة حقيق على أن لا أقول مرسلة الياء ففيه وجوه أحدها أن يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط أي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة أبي حقيق بأن لا أقول أي أنا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته فكأن الحق

والانس وجميع الاشياء وغير ذلك ويدبر ذلك كله رب موسى وهرون لا فرعون كالذي حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رأت السحرة ما رأت عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله يعني صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه آمنتم يقول أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوته قبل أن آذن لكم بالايمان به ان هذا يقول تصديقكم اياه واقراركم بنبوته لمكر مكرتموه في المدينة يقول لخدعة خدعتموني بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها فسوف تعلمون ما أفعل بكم وتلقون من عقابي اياكم على صنيعكم هذا وكان مكرهم ذلك فيما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في حديث ذكره عن أبي مالك وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق قال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر اليهم فهو قول فرعون ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اذ التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها ۞ القول في تأويل قوله ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى فيخالف بين العضوين في القطع فخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف ويقال ان أول من سن هذا القطع فرعون ثم لأصلبنكم أجمعين وانما قال هذا فرعون لما رأى من خذلان الله اياه وغلبة موسى عليه السلام وقهره له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري وحبوبة الرازي عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قال أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ۞ القول في تأويل قوله ﴿قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره قال السحرة مجيبة لفرعون توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف والصلب انا الى ربنا منقلبون يعني بالانقلاب الى الله الرجوع اليه والمصير وقوله وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا يقول ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا الا من أجل أن آمنا أي صدقنا بآيات ربنا يقول بحجج ربنا وأعلامه وأدلته لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد سوى الله الذي له ملك السموات والارض ثم فزعوا الى الله بمسألته الصبر على عذاب فرعون وقبض أرواحهم على الاسلام فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا يعنون بقولهم أفرغ أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون ايانا وتوفنا مسلمين يقول واقبضنا اليك على الاسلام دين خليلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا على الشرك بك فحدثني موسى

ثابت مستمر على أن لا أقول الا الحق وثالثها أن يضمن حقيق معنى حريص ورابعها أن يكون من القلب الذى يشجع عليه أمن الالباس
قول المعنى الى قراءة نافع وخامسها أن يكون اغراقا فى الوصف ومبالغة بالصدق والمراد أنا حقيق على قول الحق أى واجب على أن أكون
قائله والقائم به ولا يرضى الا عثلى ناطقا به وسادسها أن يكون على هذه هى التى تقرن (١٧) بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة

الله التى فطر الناس عليها ويقال جاءنى فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية لم أتحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى دالا على وجود الاله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم أى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فأرسل معى بنى اسرائيل أى أطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم فى الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان أحدهما لفظى وهو أن ههنا شرطين فأين جوابهما والجواب أن المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما أن قوله ان كنت جئت بآية وقوله فأت بها كلاهما واحد فى المعنى فكيف يفيد تعليق أحدهما بالآخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى عليه السلام باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته

بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف فقتلهم وصلبهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا فى أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير قال كانت السحرة أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقى السحرة ساجدين قال ذكر لنا أنهم كانوا فى أول النهار سحرة وآخره شهداء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون أتدع موسى وقومه من بنى اسرائيل ليفسدوا فى الارض يقول كى يفسدوا اخدمك وعبيدك عليك فى أرضك من مصر ويذرك وآلهتك يقول ويذرك ويدع خدمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك وفى قوله ويذرك وآلهتك وجهان من التأويل أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وقد ترك ذلك وترك عبادتك وعبادة آلهتك واذا وجه الكلام الى هذا الوجه من التأويل كان نصب فى قوله ويذرك على الصرف لا على العطف به على قوله ليفسدوا والثانى أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ولذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل فى هذين الفعلين واذا وجه الكلام الى هذا الوجه كان نصب ويذرك على العطف على ليفسدوا والوجه الاول أولى الوجهين بالصواب وهو أن يكون نصب ويذرك على الصرف لان التأويل من أهل التأويل به جاء وبعد فان فى قراءة أبى بن كعب الذى حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال فى حرف أبى بن كعب وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف وقد روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك ويذرك وآلهتك عطفا بقوله ويذرك على قوله أتذر موسى كأنه وجه تأويله الى أتذر موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا فى الارض وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وهو يذرك وآلهتك فيكون يذرك مرفوعا على ابتداء الكلام وأما قوله وآلهتك فان قراء الامصار على فتح الالف منها ومدها بمعنى وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التى تعبدها وقد ذكر عن ابن عباس أنه قال كان له بقرة يعبدها وقد روى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها ويذرك والاهتك بكسر الالف بمعنى ويذرك وعبودتك والقراءة التى لا نرى القراءة بغيرها هى القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليها ذكر من قال كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ ويذرك وآلهتك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ويذرك وآلهتك وآلهته فيما زعم ابن عباس كانت البقر كانوا اذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن عمرو عن الحسن قال كان لفرعون

(٣ - ابن جرير تاسع) قلب العصا ثعبانا وأظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا أن أمره ظاهر لا يشك فى أنه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات والمراد أنه أبان قول موسى عن قول المدعى الكاذب والثعبان فى اللغة الحية الضخم الذكر روى أنه كان أشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا

وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأخذه البطر
أربعمائة مرة وكان لم يرمنه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل
البيت وصاحوا يا موسى خذه وأنا أومن (١٨) بدّ وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا والنزع فى اللغة القلع والاخراج
أخرجها من جيبه أو من جناحه بدليل قوله فى موضع آخر وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء روى انه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدى ثم أدخلها فى جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للناظرين الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم أن القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطربت أقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا فى الانسان وسائر أنواع الحيوان أن يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا فى الجوهر الفرد أن يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا فى الاعمى الذى بالاندلس أن يبصر فى ظلمة الليل البقة التى تكون بأقصى المشرق وفى سليم البصر أن لا يرى الشمس فى كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات فى بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا أن يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون أنكروا ذلك على الاطلاق وزعموا أنه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها فى الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز أن تنقلب العصا ثعبانا جاز فى الشخص الذى شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح فى النبوة والرسالة فان زعم زاعم أن هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المخصص فى ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل على

جمانة معلقة فى نحره يعبدها ويسجد لها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى
قال ثنا أبان بن خالد قال سمعت الحسن يقول بلغنى أن فرعون كان يعبد الها فى السر ويذر
ويذرك وآلهتك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن أبى بكر عن الحسن قال كان
لفرعون اله يعبده فى السر ذكر من قال معنى ذلك ويذرك وعبادتك على قراءة من قرأ والاهتك
حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو عن الحسن عن ابن
عباس ويذرك والاهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد قال ثنا أبى عن نافع عن ابن عمر
عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ ويذرك والاهتك قال وعبادتك ويقول انه كان يعبد
ولا يعبد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة
عن ابن عباس قوله ويذرك وإلاهتك قال يترك عبادتك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة
قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ والاهتك يقول وعبادتك حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويذرك والاهتك
قال عبادتك حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن
عمرو بن حسين عن ابن عباس أنه كان يقرأ ويذرك والاهتك وقال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد
وقد زعم بعضهم أن من قرأ وإلاهتك انما يقصد الى نحو معنى قراءة من قرأ وآلهتك غير أنه أفرد
وهو يريد بها واحدا كأنه يريد ويذرك وإلاهك ثم أنث الاله فقال وإلاهتك وذكر بعض البصريين
أن أعرابيا سئل عن الالاهة فقال هى علمة يريد علما فأنث العلم فكأنه شئ نصب للعبادة يعبد والله
قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعى

تروحنا من اللعباء عصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤبا

يعنى بالالاهة فى هذا الموضع الشمس وكأن هذا المتأول هذا التأويل وجه الالاهة اذا أدخلت
فيها هاء التأنيث وهو يريد واحد الآلهة الى نحو ادخالهم الهاء فى ولدتى وكوكبتى وأماتى وهو أفعل
ذلك وكما قال الراجز

يا مضر الحمراء أنت أسرتى * وأنت ملجاتى وأنت ظهرتى

يريد ظهرى وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى فى قراءتهما ذلك على ما قرآ فلا وجه لقول
هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا اليه من معنى ذلك وقوله قال سنقتل أبناءهم
يقول قال فرعون سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بنى اسرائيل ونستحيى نساءهم يقول ونستبقى
اناثهم وانا فوقهم قاهرون يقول وانا عالون عليهم بالقهر يعنى بقهر الملك والسلطان وقد بينا أن كل
شئ عال بقهر وغلبة على شئ فان العرب تقول هو فوقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ يقول
تعالى ذكره قال موسى لقومه من بنى اسرائيل لما قال فرعون للملا من قومه سنقتل أبناءهم
اسرائيل ونستحيى نساءهم استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم واصبروا
على ما نالكم من المكاره فى أنفسكم وأبنائكم من فرعون وكان قد تبع موسى من بنى اسرائيل

يدفع فى تيه الاشكال والضلال مع أن زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم أبدا فلا ينقضى التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع أن المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المتحذلقين هما شئ واحد والمراد أن حجة موسى كانت قوية ظاهرة فمن حيث ان الحجة أبطلت أقوال المخالفين كانت كالثعبان الذى يلقف ما يأفكون ومن (١٩) حيث انها كانت باهرة ظاهرة فى نفسها

على ما حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بنى اسرائيل وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يقول ان الارض لله لعل الله أن يورثكم ان صبرتم على ما نالكم من مكروه فى أنفسكم وأولادكم من فرعون واحتسبتم ذلك واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها فان الله يورث أرضه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين يقول والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه ۞ القول فى تاويل قوله ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا أوذينا بقتل أبنائنا من قبل أن تأتينا يقول من قبل أن تأتينا برسالة الله الينا لان فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا وقوله ومن بعد ما جئتنا يقول ومن بعد ما جئتنا برسالة الله لان فرعون لما غلبت سحرته وقال للملأ من قومه ما قال أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقيل ان قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون وقد رأى الجمعان فقالوا له يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من قبل أن تأتينا من قبل ارسال الله اياك وبعده حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما تراءى الجمعان نظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد ردفهم قالوا انا لمدركون وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال سار موسى ببنى اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون وقوله قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم يقول جل ثناؤه قال موسى لقومه لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم يقول يجعلكم تخلفونهم فى أرضهم بعد هلاكهم لا تخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم فينظر كيف تعملون يقول فيرى ربكم ما تعملون بعدهم من مسارعتكم فى طاعته وتثاقلكم عنها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين يقول بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط يقال منه أسنت القوم اذا أجدبوا ونقص من الثمرات يقول واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم الا القليل لعلهم يذكرون يقول عظة لهم وتذكيرا لهم ليتزجروا عن

وصفت باليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء فى الامر الفلانى أى قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق أن انقلاب العصا وغير ذلك أمور ممكنة فى ذواتها لان الاجسام متماثلة فى الجسمية فكل ما صح على شئ صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ودفع ثم ان السحر كان غالبا فى ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين فى ذلك فزعم أتباع فرعون أن موسى عليه السلام كان لكونه فى النهاية من علم السحر أتى بتلك الصفة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم ولا ينافى هذا ما حكاه الله تعالى فى سورة الشعراء أنه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول فى تلك الحالة منه ومنهم أو لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملا منه فقالوه لغيرهم أو قالوا عنه لسائر الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر أن قوله فماذا تأمرون من كلام فرعون اما لأن الامر لا يجوز أن يكون من الادنى للاعلى أو لانه من قولهم أمرته فأمرنى بكذا اذا شاورته فأشار على برأى ولهذا قال الملا فى جوابه أرجه وأخاه أى أخر أمره وأمر أخيه ولا تعجل بقضاء فى شأنهما

فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهرى أرجأت الامر أخرته بهمز ولا يهمز وعن الكلبى وقتادة أن المعنى احبسه وزيف بأنه خلاف اللغة الا أن يقال حبس المرء نوع من التأخير فى أمره وبأن فرعون ما كان يظن أنه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا (وأرسل فى المدائن حاشرين) أى جامعين جمع مدينة وهى فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا أقام به ولهذا أطبق القراء على همز مدائن لانه كصحائف وقيل انها

مفعلة من دنت أى ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال المبرد أصلها مدينة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بنحو مبيع فى مبيوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد (يأتوك بكل سحار) الباء بمعنى مع أو للتعدية قيل كانوا (٣٠) سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بأن المجوس من أتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى وفى الآية دلالة على كثرة السحرة فى ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كانت مخالفة له فى الحقيقة كما أن الطب لما كان غالبا على أهل زمن عيسى كانت معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة والبلاغة غالبة فى عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهى القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر فى سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء للكلام على سؤال مقدر كأن سائلا سأل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب قالوا ان لنا لأجرا أى جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم أى ان لكم أجرا وانكم لمن المقربين أرادا لى لا أقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى أنه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفى الآية اشارة الى أن أهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا قلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون عن الى أنفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل أن لا يغتر بأكاذيبهم ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب فخيروا موسى أولا وقدموه فى الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين مع أن فى قولهم واما أن نكون نحن

ضلالتهم ويفزعوا الى ربهم بالتوبة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين قال سنى الجوع **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بالسنين الجائحة ونقص من الثمرات دون ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** القاسم بن دينار قال ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة فى قوله ونقص من الثمرات قال حيث لا تحمل النخلة الا تمرة واحدة **حدثنى** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة عن كعب قال يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة ونقص من الثمرات قال يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما ونقص من الثمرات فأما السنين فكان ذلك فى باديتهم وأهل مواشيهم وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك فى أمصارهم وقراهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ يقول تعالى ذكره فاذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون فى دنياهم قالوا لنا هذه نحن أولى بها وان تصبهم سيئة يعنى جدوب وقحوط وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يقول يتشاءموا بهم ويقولوا ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية منذ جاءنا موسى عليه السلام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فاذا جاءتهم الحسنة العافية والرخاء قالوا لنا هذه نحن أحق بها وان تصبهم سيئة بلاء وعقوبة يطيروا يتشاءموا بموسى **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قالوا ما أصابنا هذا الا بك يا موسى وبمن معك ما رأينا شرا ولا أصابنا حتى رأينا وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه قال الحسنة ما يحبون واذا كان ما يكرهون قالوا ما أصابنا هذا الا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا قال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك فقال الله انما طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر الا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله يقول مصائبهم عند الله قال الله ولكن أكثرهم لا يعلمون **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

مايدل على رغبتهم فى أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أومن جهة تعريف الخبر واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بينا ماوأن فى هذه الآية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا فى موضع أمر بالاختيار أعنى فى موضع نصب كقول القائل اخترذا أوذا كانهم قالوا اختر أن تلقى بخلاف تلك الآية فان الامر لا يصلح هنالك قال موسى للسحرة ألقوا ماترغبون فيه ازدراء بشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بأن الامر الالهى يغلب ولن يغلب فان قيل ان (٢١) القاءهم الحبال والعصى معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه أحدها أنه انما أمرهم بشرط أن يعلموا فى فعلهم أن يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا أمر البتة كقول القائل اسقنى الماء من الجرة فهذا انما يكون أمرا بشرط حصول الماء فى الجرة والثانى أن موسى علم أنهم جاؤا لذلك فلا بد أن يفعلوه ودفع النزاع فى التقديم والتأخير الثالث انه أذن لهم فى الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل ومراده أن يجيب عنها ويبين لكل أحد ضعفها وسقوطها فلما ألقوا سحروا أعين الناس قال القاضى لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا أعينهم فثبت أنهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدى بل المراد أنهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروى أنهم أتوا بالحبال والعصى ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق دواخل العصى فلما أثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس أنها تسعى واسترهبوهم أى أرهبوهم والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله قال الامر من قبل الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال آل فرعون لموسى يا موسى مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا يقول لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين يقول فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا اليه وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن اعادته وكان ابن زيد يقول فى معنى مهما تأتنا به من آية ما حدثنى يونس قال قال ابن زيد فى قوله مهما تأتنا به من آية قال ان ما تأتنا به من آية وهذه فيها زيادة ما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الطوفان فقال بعضهم هو الماء ذكر من قال ذلك حدثنى ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاء موسى بالآيات كان أول الآيات الطوفان فأرسل الله عليهم السماء حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى مالك قال الطوفان الماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الطوفان الماء قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الطوفان الغرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الماء والطاعون على كل حال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الموت على كل حال حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الطوفان الماء وقال آخرون بل هو الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا المنهال ابن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن مينا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء ما الطوفان قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عطاء عن حدثه عن مجاهد قال الطوفان الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عبد الله بن كثير فأرسلنا عليهم الطوفان قال الموت قال ابن جريج وسألت عطاء عن الطوفان قال الموت قال ابن جريج وقال مجاهد الموت على كل حال حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن حجاج عن رجل عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطوفان الموت وقال آخرون بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس فأرسلنا عليهم الطوفان قال أمر الله الطوفان ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن الطوفان من السيل البعاق والدباش وهو الشديد ومن الموت المتتابع الذريع السريع وقال بعضهم هو كثرة المطر والريح وكان بعض نحويى الكوفيين يقول الطوفان مصدر مثل الرجحان والنقصان لا يجمع وكان بعض نحويى البصرة يقول هو جمع واحدها فى القياس الطوفانة ۞ والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس على ما رواه

فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا أن ذلك سحر لا يطيقه سحرة أهل الارض عن ابن عباس أنه خيل الى موسى عليه السلام أن حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فأوحى الله عز وجل اليه أن ألق عصاك وفى رواية الواحدى عنه ان المراد بالوحى ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فألقاها فاذا هى تلقف قال الجوهرى لقفت الشئ بالكسر ألقفه ولقفته أيضا تناولته بسرعة وما فى ما يأفكون موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم

تسمية للمأفوك بالافك قال المفسرون لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألفوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت فى الحجم والمقدار أصلا فلعل الله سبحانه أعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن ظهر وقال الفراء فتبين الحق من السحر وقيل الوقوع ظهور الشئ ووجوده نازلا الى مستقره (٣٢) وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ولم تفقد ولما فقدت ثبت أن ذلك بخلق الله وتقديره وبهذا تميز المعجزة عن السحر وقال القاضى معناه قوة الظهور بحيث لا يصح فيه نقيضه كما لا يصح فى الواقع أن يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التى أفكوها وهى تلك الحبال والعصى وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون أى الذى عملوه أو عملهم فغلبوا هنالك أى حين التحدى وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار أعظم فى حق المبطل من دحوض حجته روى أن تلك الحبال والعصى كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو أمر الهى قال المحققون انهم لاجل كمالهم فى علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل فى علم التوحيد والشريعة والحكمة وفى قوله وألقى السحرة ساجدين دليل على أن ملقيا ألقاهم وماذا الا الله سبحانه الموجد للدواعى والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم أنهم سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين وأجيب بأنه لا يبعد أنهم عند الذهاب الى

عنه أبو طيبان انه أمر من الله طاف بهم وانه مصدر من قول القائل طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا كما يقال نقص هذا الشئ ينقص نقصانا واذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد وجاز أن يكون الموت الذريع ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا قول الحسن بن عرفطة غير الجدة من آياتها * خرق الريح وطوفان المطر

ويروى خرق الريح بطوفان المطر وقول الراعى

تضحى اذا العيس أدركنا كائنها * خرقاء يعتادها الطوفان والزود

وقول أبى النجم قد مد طوفان فبث مددا * شهرا شآبيب وشهرا بردا

وأما القمل فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو السوس الذى يخرج من الحنطة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه وقال آخرون بل هو الدبى وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال القمل الدبى حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال الدبى القمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال القمل هو الدبى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال القمل الدبى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة قال القمل هى الدبى وهى أولاد الجراد حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال القمل الدبى قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عمن ذكره عن عكرمة قال القمل بنات الجراد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القمل الدبى وقال آخرون بل القمل البراغيث ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل قال زعم بعض الناس فى القمل أنها البراغيث وقال بعضهم هى دواب سود صغار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا القمل دواب سود صغار وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الحمنان والحمنان ضرب من القردان واحدتها حمنانة فوق القمقامة والقمل جمع واحدتها قملة وهى دابة تشبه القمل تأكلها الابل فيما بلغنى وهى التى عناها الاعشى فى قوله

قوم تعالج قملا أبناؤهم * وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا

وكان الفراء يقول لم أسمع فيه شيأ فان لم يكن جمعا فواحده قامل مثل ساجد وراكع وان يكن اسما على معنى جمع فواحدته قملة ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب

السجود قالوا ذلك أو أنهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله فى الحال شكرا على الفوز بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياى يعنون فلما قالوا رب موسى قال اياى يعنون لانى أنا الذى ربيته فلما زادوا هرون زالت الشبهة وعرف الكل أنهم آمنوا بالله السماء وكفروا بفرعون وقيل أفرد بالذكر من جملة العالمين ليعلم أن الداعى الى ايمانهم

هو موسى وقيل خصابالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما رأى أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف أن يصير ذلك حجة عليه عند قومه فألقى فى الحال شبهة فى البين بعدما أنكر عليهم ايمانهم أما الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يزد حرف الاستفهام على انه اخبار توبيخا أى فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وفى قوله قبل أن آذن لكم دلالة على مناقضة فرعون فى ادعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز أن يأذن لهم فى أن يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والدحوض الذى يظهر على المبطلين وأما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها أى هذه حيلة احتلتموها أنتم وموسى أوتواطأتم عليها لغرض لكم وهو أن تخرجوا القبط وتسكنوا بنى اسرائيل وروى محمد ابن جرير عن السدى فى حديث عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أن موسى وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جئت به حق فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتنى لأومنن بك وفرعون ينظر اليهما و يسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمالى وتفصيله لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أى من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه أم لا فمن قائل انه لم يقع لانهم سألوا ربهم أن يتوفاهم من جهته لابهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملا انهم قالوا لفرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ولو انه ترك أولئك السحرة لذكروهم أيضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بأنهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثانى بأنهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفى آخره شهداء برره ثم حكى عن القوم أنهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون أى نحن لا نبالى بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثبتنا على شدائد القطع والصلب

الذى من أجله أحدثها الله فيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال لما أتى موسى فرعون قال له أرسل معى بنى اسرائيل فأبى عليه فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيأ خافوا أن يكون عذابا فقالوا لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فأنبت لهم فى تلك السنة شيأ لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلا فقالوا هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلا فلما رأوا أثره فى الكلا عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فداسوا وأحرزوا فى البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذى يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فقال لقد نعوما تلقى أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيدهذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع وهم أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فكان ما استقوا من الانهار والآبار وما كان فى أوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا الى فرعون فقالوا انا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد فى أوعيتنا شيأ من الماء الا وجدناه دما عبيطا فأتوه فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر عن ابن عباس قال لما خافوا الغرق قال فرعون يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن يعقوب حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم ان الله أرسل عليهم يعنى على قوم فرعون الطوفان وهو المطر فغرق كل شئ لهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم فقالوا ما يسرنا أنا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه و يؤمنوا به فدعا فكشفه وقد بقى من زروعهم بقية فقالوا لم نؤمن وقد بقى من زرعنا بقية تكفينا فبعث الله عليهم الدبى وهو القمل فلحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم و بين جلده فيعضه وكان لاحدهم الطعام فيمتلئ دبى حتى ان أحدهم لبنى الاسطوانة بالجص فيزلقها حتى لا يرتقى فوقها شئ يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملآن دبى فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من الدبى وهو الرجز الذى ذكر الله فى القرآن انه وقع عليهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشف عنهم و يؤمنوا به فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فكان الاسرائيلى يأتى هو والقبطى يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء هذا القبطى دما و يخرج للاسرائيلى ماء فلما اشتد ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه و يؤمنوا به

أوانا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا أوانا لا محالة مستون فما تقدر أن تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما أتينا بذنب تعد بنا عليه وما تعيب منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله (٢٤) ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ثم لما لجؤا الى الدعاء كما هو دأب الصديقين عند نزول البلاء فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا سجال الثبات على متابعة الدين أو على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى أخبروا عن ايمانهم أولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن أن يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالآية على أن الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون أمثال ذلك على منح الالطاف واعلم أن مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة وأما قوله ههنا وأرسل في المدائن وهناك وابعث فلأن الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان ضمير به في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل آمنت به وآمنت له واحد وقال ههنا لأصلبنكم وفي السورتين لأصلبنكم لانه لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلاث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه (التأويل) فظلموا بها بأن جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين أفسدوا الاستعداد الفطري باركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق لاني قائم

فكشف ذلك فأبوا أن يؤمنوا وذلك حين يقول الله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فأرسلنا عليهم الطوفان قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ثم كشف عنهم فلم يؤمنوا وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله فأرسل الله عليه الجراد فأكله الا القليل فلم يؤمنوا أيضا فأرسل الله القمل وهي الدبى وهي أولاد الجراد فأكلت ما بقي من زروعهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع فدخلت عليهم بيوتهم ورفعت في آنيتهم وفرشهم فلم يؤمنوا ثم أرسل الله عليهم الدم فكان أحدهم اذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما قال الله آيات مفصلات **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلنا عليهم الطوفان حتى بلغ مجرمين قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم ثم عادوا لسوء ما يحضر بهم فأنبتت أرضهم ثم أرسل الله عليهم الجراد فأكل عامة حروثهم وثمارهم ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم فأرسل الله عليهم القمل هذا الدبى الذي رأيتم فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم فلحسه فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم فدعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم فأرسل الله عليهم الدم فكانوا لا يغترفون من مائهم الا دما أحمر حتى لقد ذكر أن عدو الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون مما يلي الاسرائيلي ماء ومما يلي القبطي دما فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم في تسع آيات السنين ونقص من الثمرات وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فأرسلنا عليهم الطوفان وهو المطر حتى خافوا الهلاك فأتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم المطر فأنبت الله به حروثهم وأخصب به بلادهم فقالوا ما نحب أنا لم نمطر بترك ديننا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الجراد فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد وكان قد بقي من زرعهم ومعاشهم بقايا فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم القمل وهو الدبى فتتبع ما كان ترك الجراد فجزعوا وأحسوا بالهلاك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدبى فقالوا ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الضفادع فملأ بيوتهم منها ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله انها كانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع فقد لقينا منها بلاء وأذى فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع فقالوا لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الدم فجعلوا لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه

فكشف

بحقائق الجمع فان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه أضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه أن كل شيء أضفته الى نفسك وجعلته محل حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل ألقها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه أن الايدي قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية

روحانية وأن اليد لموسى كانت روحانية فى جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى فى بعض الاوقات خرقا
للعادات على يده الجسمانية يريد أن يخرجكم لاشك أن موسى أراد أن يخرجهم من أرضهم ولكن من أرض بشريتهم الى نور الروحانية
قالوا أرجه وأخاه توهموا أن التأخير وحسن التدبير يغير شيأ من التقدير ولم يعلموا (٢٥) أن عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم

فكشف عنهم الدم فقالوا ياموسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فكانت آيات
مفصلات بعضها على اثر بعض ليكون لله عليهم الحجة فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم فى اليم
حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن
عباس قال أرسل على قوم فرعون الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قال
فكان الرجل من بنى اسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون فى السفينة فيغترف
الاسرائيلى ماء ويغترف الفرعونى دما قال وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب فيكثر عليه
القمل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر فلم يزالوا كذلك حتى أوحى الله الى
موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال
ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بنى
اسرائيل فاستكبر قال لن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو الماء أمطر عليهم
السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كل شئ فقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا هذا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا الله فكشف عنهم المطر فأنبت الله لهم
حروثهم وأحيا بذلك المطر كل شئ من بلادهم فقالوا والله ما نحب أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر ولقد
كان خيرا لنا فلن نرسل معك بنى اسرائيل ولن نؤمن لك ياموسى فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة
حروثهم فأسرع الجراد فى فسادها فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فانا مؤمنون لك
ومرسلون معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم الجراد وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية فقالوا
قد بقى لنا من حروثنا ما كان كافينا فنحن بتاركى ديننا ولن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل
فأرسل الله عليهم القمل والقمل الدبى وهو الجراد الذى ليست له أجنحة فتتبع ما بقى من حروثهم
وشجرهم وكل نبات كان لهم فكان القمل أشد عليهم من الجراد فلم يستطيعوا للقمل حيلة وجزعوا من
ذلك وأتوا موسى فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فانه لم يبق لنا شيأ قد أكل ما بقى من
حروثنا ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم القمل
فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها
البيوت فلم يبق لهم طعام ولا شراب الا وفيه الضفادع فلقوا منها شيأ لم يلقوه فيما مضى فقالوا ياموسى
ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل قال فكشف الله عنهم
فلم يفعلوا فأنزل الله فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون الى وكانوا عنها غافلين
حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسن بن واقد عن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال
كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تغرق أنفسها
فى القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فأتابها الله بحسن طاعتها برد الماء قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق قال فرجع عدو الله يعنى فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلولا ثم أبى الا الاقامة على الكفر
والتمادى فى الشر فتابع الله عليه بالآيات وأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل
ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الارض ثم ركد
لا يقدرون على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا ياموسى ادع لنا ربك

أئن لنا لأجرا لم يعلموا أن أجرهم
فى المغلوبية لا فى الغالبية قال نعم
وانكم لمن المقربين أجرى الله تعالى
هذا على لسان فرعون حقا وصدقا
فصاروا مقربين عند الله قالوا
ياموسى اما أن تلقى أكرموا موسى
بالتقديم والاستئذان فأكرمهم
الله تعالى بالسجود والايمان بسحر
عظيم أى عظيم فى الاثم كما قال
سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمة
اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هى
تلقف ما يأفكون فيه أن عصا
الذكر اذا ألقيتها عند القاء سحر
سحرة صفات النفس تبتلع بفم
لا النفى جميع ما سحروا به أعين
الناس فوقع الحق باثبات لا اله الا الله
وبطل ما كانوا يعملون من تزيين
زخارف الدنيا فى العيون فغلبوا أى
سحرة صفات النفس اذ تنورت بنور
الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت
أوامر الشرع ونواهيه وألقى
السحرة ساجدين أى صارت صفات
النفس بعد التمرد منقادة للعبودية
رب موسى الروح وهرون القلب
واعلم أن صفات النفس اذا تنورت
بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان
ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا
تتبدل اللهم الا عند غرقها فى بحر
الواردات والمواهب الربانية كحال
فرعون وايمانه عند الغرق وفى
القصة دلالة على أنه تعالى قد يبرز
العدو فى صورة الولى مثل بلعام
وبالعكس كالسحرة قبل أن آذن
لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن
أن الايمان باذنه ولم يعلم أن الايمان

 باذن الله لمكر مكروه فى موافقة موسى الروح فى مدينة القالب لتخرجوا منها أهلها وهو اللذات
والشهوات البدنية لأقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لأصلبنكم فى جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله أعلم (وقال الملأ من
قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه (٣٦) وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

* القرآت ستقتل بالتخفيف ابن كثير وأبو جعفر ونافع يورثها بالتشديد الخزاز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم أنجاكم ابن عامر الاخرون ولقومي أنجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف نافع * الوقوف وآلهتك ط نساءهم ج للابتداء بواو العطف واتحاد القائل قاهرون ٥ واصبروا ج لما قلنا من عباده ط للمتقين ٥ ماجئتنا ط تعملون ٥ يذكرون ٥ لنا هذه ج لبيان تباين الاضافتين على التناقض ومن

لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما يبلغني حتى ان كان ليأكل مسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي الى كثيب حتى يضربه بعصاه فمضى الى كثيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا اناء الا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من اناء الا عاد دما عبيطا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من مائك فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى ان كانت لتقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته في فيها صار دما فكثوا في ذلك سبعة أيام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الجراد يأكل زروعهم ونباتهم والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم قال ثنا شبل عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لما سال النيل دما فكان الاسرائيلي يستقي ماء طيبا ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء طيبا وما يلي الفرعوني دما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر قال ثني سعيد بن جبير أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الاربع العصا واليد ونقص من الثمرات والسنين قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض وعتا في الارض وبغى عليّ وعلا عليك وعالى بقومه رب خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة وتجعلها لقومي عظة ولمن بعدي آية في الامم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من حبس منهم غرق ولم يدخل في بيوت بني اسرائيل قطرة فجعلت القبط تنادي موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل قال فوا لله موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهودهم وكان الماء أخذهم يوم السبت فأقام عليهم سبعة أيام الى السبت الآخر فدعا موسى ربه فرفع عنهم الماء فأعشبت بلادهم من ذلك الماء فأقاموا شهرا في عافية ثم جحدوا وقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا لبلادنا ما نحب أنه لم يكن قال وقد قال قائل لابن عباس اني سألت ابن عمر عن الطوفان فقال ما أدري موتا كان أو ماء فقال ابن عباس أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أرأيت لو ماتوا الى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الاربع بعد الطوفان قال فقال موسى يا رب ان عبادك قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدي رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة

معه ج لايعلمون ○ بهابمؤمنين ○ مجرمين ○ بماعهد عندك ج لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بنى اسرائيل ج لان
جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون ○ غافلين ○ باركنافيها ط للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا ط لعكسه
يعرشون ○ يعكفون ○ أصنام لهم ج لاتحاد القائل بلاعطف آلهة ط (٢٧) تجهلون ○ يعملون ○ العالمين ○ سوء

ولقومى عظة ولمن بعدهم آية فى الامم الباقية قال فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة
ولا زهرة ولا ثمرة الا أكلها حتى لم يبق جنى حتى اذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب حتى أكل الابواب
وسقوف البيوت وابتلى الجراد بالجوع فجعل لايشبع غير أنه لايدخل بيوت بنى اسرائيل فجعوا
وصاحوا الى موسى فقالوا ياموسى هذه المرة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا لهم ربه فكشف الله عنهم
الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم أقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا لتكذيبهم
ولانكارهم ولاعمالهم أعمال السوء قال فقال موسى يارب عبادك قد نقضوا عهدى وأخلفوا
موعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فأرسل الله
عليهم القمل قال أبو بكر سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان كان الى جنبهم كثيب أعفر بقرية
من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه ضربة صار قملا تدب
اليهم وهى دواب سود صغار فدب اليهم القمل فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم
وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب ولا نعود فادع
لنا ربك فدعا ربه فرفع عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا
شهرا فى عافية ثم عادوا وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم جعل الرمل دواب وعزة
فرعون لانصدقه أبدا ولا نتبعه فعادوا لتكذيبهم وانكارهم فدعا موسى عليهم فقال يارب ان
عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى
آية فى الامم الباقية فأرسل الله عليهم الضفادع فكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون
عليه ركاما حتى ما يستطيع أن ينصرف الى الشق الآخر ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته
الى فيه ولا يعجن عجينا الا تشدخت فيه ولا يطبخ قدرا الا امتلأت ضفادع فعذبوا بها أشد العذاب
فشكوا الى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ عهدهم وميثاقهم ثم دعا ربه
فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية ثم
عادوا لتكذيبهم وانكارهم وقالوا قد تبين لكم سحره يجعل التراب دوابا ويجىء بالضفادع فى غير
ماء فآذوا موسى عليه السلام فقال موسى يارب ان عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم
بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فابتلاهم الله بالدم فأفسد
عليهم معايشهم فكان الاسرائيلى والقبطى يأتيان النيل فيستقيان فيخرج للاسرائيلى ماء
ويخرج للقبطى دما ويقومان الى الحب فيه الماء فيخرج للاسرائيلى فى انائه ماء وللقبطى دما

حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله فأرسلنا عليهم
الطوفان قال الموت والجراد قال الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم والقمل هو الدبى
سلطه الله عليهم بعد الجراد قال والضفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم وقال
بعضهم الدم الذى أرسله الله عليهم كان رعافا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أحمد
ابن خالد قال ثنا محيى بن أبى بكير قال ثنا زهير قال قال زيد بن أسلم أما القمل فالقمل وأما
الدم فسلط الله عليهم الرعاف وأما قوله آيات مفصلات فان معناه علامات ودلالات على صحة نبوة

العذاب ج لاحتمال كون ما بعده
مستأنفا أو حالا نساءكم ط عظيم
○ والله أعلم ﴿التفسير﴾ ثم ان فرعون
بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض لموسى
ولا أخذه ولا حبسه لانه كان كلما
يرى موسى يخافه أشد الخوف الا
ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على
أخذه وحبسه فقالوا أتذر موسى
أتتركه وقومه ليفسدوا فى الارض
أى يغيروا على الناس دينهم الذى كانوا
عليه فيتوسلوا بذلك الى أخذ الملك
وقوله ويذرك عطف على ليفسدوا
وقوله وآلهتك مفعول معه والمراد
أنه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك
مؤديا الى تركه مع آلهته فقط ويحتمل
أن يكون منصوبا على أنه جواب
الاستفهام والمعنى أيكون منك أن
تذر موسى ويكون من موسى أن
يذرك وآلهتك قال كثير من
المفسرين ان فرعون كان قد وضع
لقومه أصناما صغارا وأمرهم
بعبادتها وسمى نفسه الرب الأعلى
وقال الحسن كان فرعون يعبد
الاصنام ووجه بأنه لعله كان اتخذ
أصناما على صور الكواكب
على أن الكواكب مدبرات العالم
السفلى وأما المجدى فى هذا العالم
للخلق والمربى لهم فهو نفسه
ولذلك قال أنا ربكم الاعلى أى أنا
مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم
وكل ذلك بناء على أنه كان دهريا
ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون
أوهم قومه انه انما لم يحبسه ولم يمنعه
لعدم التفاته اليه لا للخوف منه فقال
سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم

فكأنه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى فى تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون أى سنعيد عليهم ما كنا
محناهم به قبل من قتل الابناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة أنه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال
موسى لما وصله ما جرى بين فرعون وملئه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب أن الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من علم أنه لا مدبر للعالم

الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم أن الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما أمرهم بشيئين بشرهم بآخرين فقال (ان الارض) يعنى أرض مصر أو جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية (لله يورثها من يشاء من عباده) ويعنى بالتوريث جعل الشئ للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من كلام المنصف والا فمعلوم أن القبط لا تقوى لهم أو المراد أن كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغنى الكريم يعينه فى الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم فى قوله سنقتل الى غير ذلك من أنواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) أرض مصر ولا ريب أن فى عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبى المؤيد بالمعجزات القاهرة الناظر بنور الحق أفاد قوة اليقين وأزال ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج أى يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قد يما وانما يجازيهم على ما يقع منهم حديثا فتتعلق الرؤية الازلية به عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكره ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون وكيف نصب بتعملون لا ينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما يتقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ولما

أى بسنى القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت على القحط كالدابة والنجم وقد يراد بها فى غير هذا الموضع الحول والعام قال أبو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب النون ومنه قول الشاعر * دعانى من نجد فان سنينه * لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

موسى وحقيقة ما دعاهم اليه مفصلات قد فصل بينها فجعل بعضها يتلو بعضا وبعضها فى اثر بعض وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال فكانت آيات مفصلات بعضها فى اثر بعض ليكون لله الحجة عليهم فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم فى اليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله آيات مفصلات قال يتبع بعضها بعضا ليكون لله عليهم الحجة فينتقم منهم بعد ذلك وكانت الآية تمكث فيهم من السبت الى السبت وترفع عنهم شهرا قال الله عز وجل فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق آيات مفصلات أى آية بعد آية يتبع بعضها بعضا وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى المفصلات ما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى آيات مفصلات قال معلومات ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) يقول تعالى ذكره فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر فى هذه الآيات من الآيات والحجج عن الايمان بالله وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما دعاهم اليه وتعظموا على الله وعتوا عليه وكانوا قوما مجرمين يقول كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصى والفسق عتوا وتمردا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) يقول تعالى ذكره ولما وقع عليهم الرجز ولما نزل بهم عذاب الله وحل بهم سخطه ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك الرجز الذى أخبر الله انه وقع بهؤلاء القوم فقال بعضهم كان ذلك طاعونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال وأمر موسى قومه من بنى اسرائيل وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس الطوفان وما ذكر الله فى هذه الآية فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال ليذبح كل رجل منكم كبشا ثم ليخضب كفه فى دمه ثم ليضرب به على بابه فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله يرسل علينا عذابا فنسلم وتهلكون فقالت القبط فما يعرفكم الله الا بهذه العلامات فقالوا هكذا أمرنا به نبينا فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا فماسوا وهم لا يتدافنون فقال فرعون عند ذلك ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز وهو الطاعون لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشفه عنهم فكان أوفاهم كلهم فرعون فقال لموسى اذهب ببنى اسرائيل حيث شئت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازى وأبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال حبوية عن ابن عباس لئن كشفت عنا الرجز قال الطاعون وقال آخرون هو العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الرجز العذاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما كشفنا عنهم الرجز أى العذاب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولما وقع عليهم الرجز يقول العذاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله

والسنون من الجموع المصححة الشاذة عن ابن عباس السنون لأهل البوادي وأصحاب المواشي ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط
من أن يعلم أن كل الثمرات لم تنقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر مما يلين
الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم يرمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولم أصابه في تلك المدة وجع

ولما وقع عليهم الرجز قال الرجز العذاب الذي سلط الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده المغنية عن اعادتها * وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب والسخط من الله عليهم فزعوا الى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان كل ذلك كان عذابا عليهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا ولم يخبرنا الله أي ذلك كان ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي ذلك كان خبر فنسلم له فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه ولما وقع عليهم الرجز ولا تعداه الا بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يقول بما أوصاك وأمرك به وقد بينا معنى العهد فيما مضى لئن كشفت عنا الرجز يقول لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنؤمنن لك يقول لنصدقن بما جئت به ودعوت اليه ولنقرن به لك ولنرسلن معك بني اسرائيل يقول ولنخلين معك بني اسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاؤا ﴿القول في تأويل قوله ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون﴾ يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه فأجابه فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم الى أجل هم بالغوه ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلا الى وقت هلاكهم اذا هم ينكثون يقول اذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ويقيمون على كفرهم وضلالهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى الى أجل هم بالغوه قال عدد مسمى لهم من أيامهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون قال ما أعطوا من العهود وهو حين يقول الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وهو الجوع ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴿القول في تأويل قوله ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم يقول انتصرنا منهم لاحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليم وهو البحر كما قال ذو الرمة

داوية ودجى ليل كأنهما * يم تراطن في حافاته الروم

وكما قال الراجز * كما دح اليم سقاه اليم * بأنهم كذبوا بآياتنا يقول فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة والهاء والالف في قوله عنها كناية من ذكر النقمة فلو قال قائل هي كناية من ذكر الآيات ووجه تأويل الكلام الى وكانوا عنها معرضين فجعل اعراضهم عنها غفولا منهم عنها اذ لم يقبلوها كان مذهبا يقال من الغفلة غفل الرجل عن كذا يغفل عنه غفلة وغفولا وغفلا ﴿القول في تأويل قوله ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع

أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية قال القاضي في الآية دلالة على أنه تعالى أراد منهم أن يتذكروا لا أن يقيموا على ما هم عليه من الكفر وأحب بأنه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء وأراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكي عن فرعون وقومه (فاذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس أي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا أنها من الله فيشكروه عليها ويقوموا بحق نعمته (وان تصبهم سيئة) اضداد ما ذكرنا (يطيروا) يتشاءموا بموسى ومن معه وأصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله وأما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء (ألا انما طائرهم عند الله) قال الازهري يقال للشؤم طائر وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا أي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير لان

قال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي وذلك لان الارواح الانسانية أقوى وأصفى من الارواح البهيمية فيمكن استدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الآية أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن أكثرهم يظنون أن الكل رهين بمشيئته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان أو بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله في المدينة

فقالوا غلت أسعارنا وقلت أمطارنا مذ أتانا قال في الكشاف و يجوز أن يكون معناه ألا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله و يعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم أنهم لجهلهم أسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم أنهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تأتنا به الآية وفي مهما قولان فعن البصريين أن أصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي أن مه بمعنى اكفف وما للشرط كأنه قيل كف ما تأتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى أي شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أي شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية بيان لمهما والضمير في به وكذا في بها يعود الى مهما لان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شيء ما أمكن العود الى المبين الا أن الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وأنث أخرى حملا على المعنى وسموها آية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها و بقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فأرسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح أنه المطر وأصله ما طاف وغلب من مطر أو سيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون و بيوت بني اسرائيل و بيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا أن هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل غير بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فأرسل الله تعالى بحارا فاحتملت الجراد فألقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا اما نحن بتارك ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم

فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ يقول تعالى ذكره وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم و يستخدمونهم تسخيرا واستعبادا من بني اسرائيل مشارق الارض الشأم وذلك ما يلي الشرق منها ومغاربها التي بارك فيها يقول التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لاهلها وانما قال جل ثناؤه وأورثنا لانه أورث ذلك بني اسرائيل بعملا من كان فيها من العمالقة و بمثل الذي قلنا في قوله مشارق الارض ومغاربها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها قال الشأم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سمعت الحسن يقول فذكر نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن فرات القزاز عن الحسن الارض التي باركنا فيها قال الشأم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها هي أرض الشأم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها قال التي بارك فيها الشأم وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الارض ومغاربها نصب على المحل بمعنى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الارض ومغاربها وان قوله وأورثنا انما وقع على قوله التي باركنا فيها وذلك قول لا معنى له لان بني اسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ولم يكن له سلطان الا بمصر فغير جائز والامر كذلك أن يقال الذين يستضعفون في مشارق الارض ومغاربها فان قال قائل فما معناه في مشارق أرض مصر ومغاربها فان ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير وأما قوله وتمت كلمة ربك الحسنى فانه يقول وفى وعده الذي وعد بني اسرائيل بتمامه على ما وعدهم من تمكينهم في الارض ونصرهم اياهم على عدوهم فرعون وكلمته الحسنى قوله جل ثناؤه ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل قال ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم في الارض وما ورثهم منها **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه وأما قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه فانه يقول وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون يقول وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وأخرجناهم من ذلك كله وخرجوا من جميع ذلك وقد بينا معنى التعريش فيما مضى بشواهده و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وما كانوا يعرشون يقول يبنون **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعرشون يبنون البيوت والمساكن ما بلغت وكان عنبهم

القمل وهو الحنان كبار القردان عن أبى عبيدة وقيل الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما ممتلئا فملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا

غير معروش حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يعرشون بكسر الراء سوى عاصم ابن أبى النجود فانه قرأه بضمها وهما لغتان مشهورتان فى العرب يقال عرش يعرش ويعرش فاذا كان ذلك كذلك فبأيتهما قرأ القارئ فصيب لاتفاق معنى ذلك وأنهما معروفان من كلام العرب وكذلك تفعل العرب فى فعل اذا ردته الى الاستقبال تضم العين منه أحيانا وتكسره أحيانا غير أن أحب القراءتين الى كسر الراء لشهرتها فى العامة وكثرة القراءة بها وأنها أصح اللغتين

القول فى تأويل قوله ﴿وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره وقطعنا ببنى اسرائيل البحر بعد الآيات التى أريناهموها والعبر التى عاينوها على يدى نبى الله موسى فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكرهم معها البهائم اذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يقول يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله اجعل لنا يا موسى الها يقول مثالا نعبده وصنما نتخذه الها كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ولا تنبغى العبادة لشئ سوى الله الواحد القهار وقال موسى صلوات الله عليه انكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشئ سوى الله الذى له ملك السموات والارض وذكر عن ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال ابن جريج على أصنام لهم قال ثمانيل بقر فلما كان عجل السامرى شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وقيل ان القوم الذين كانوا عكوفا على أصنام لهم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية قوم كانوا من لخم ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار قال ثنا بشر بن عمر قال ثنا العباس بن المفضل عن أبى العوام عن قتادة فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال على لخم وقيل انهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى أن أبا واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فررنا بسدرة قلت يا نبى الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم ستركبون سنن الذين من قبلكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فررنا بسدرة فقلنا يا نبى الله اجعل لنا هذه ذات أنواط فذكر نحوه

حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن محمد بن اسحق عن الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن أبى واقد الليثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى سنان بن أبى سنان الديلى عن أبى واقد الليثى أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها

فأخذ فى أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فأخذ عليهم العهود فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم وكان أحدهم اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها فى القدور وهى تغلى فشكوا الى موسى فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صارت ماؤها الطيب ملحا أجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها معجزات أو فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه أحوالهم وينظر أيوفون بالعهد أم ينكثون كما روى أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولا شك أن كل واحدة من هذه معجزة فى نفسها واختصاصها بالقبطى دون الاسرائيلى معجزة أخرى فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز أى الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير أنه الطاعون وهو العذاب السادس الذى كان أصابهم فمات من القبط سبعون ألف انسان فى يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أى بعهده

عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم أى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك أو تعلق بما علمه بالفعل فتكون باء الاستعطاف أى أسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر هو أن يكون قسما مجابا بلئن مؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام (٣٢) أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك

اسرائيل أى تخليهم وشأنهم فتذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقائع بل الى أجل هم بالغوه لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما أى لما كشفنا عنهم فاجؤا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فأغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المنتفعين به يتيممونه أى يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا أى كان اغراقهم بسبب التكذيب وبأنهم كانوا عنها أى عن الآيات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا أى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين أى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى أرض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون وقوله التى باركنا فيها أى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بأرض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جلتها كداود وسليمان (وتمت كلمة ربك الحسنى) تأنيث الاحسن صفة للكلمة قيل يريد بالكلمة قوله

و يعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط قال قلتم والذى نفسى بيده ما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون أنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقوم من بنى اسرائيل يقول تعالى ذكره قال لهم موسى ان هؤلاء العكوف على هذه الاصنام لهالك ما هم فيه من العمل ومفسده ومخسر هم فيه باثابته اياهم عليه العذاب المهين و باطل ما كانوا يعملون من عبادتهم اياها فمضمحل لانه غير نافع عند مجئ أمر الله وحلوله بساحتهم ولا مدافع عنهم بأس الله اذا نزل بهم ولا منقذهم من عذابه اذا عذبهم فى القيامة فهو فى معنى ما لم يكن ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل وحدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قالا جميعا حدثنا أسباط عن السدى ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول مهلك ما هم فيه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول خسران حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون قال هذا كله واحد كهيئة غفور رحيم عفو غفور قال والعرب تقول انه البائس المتبر وانه البائس المخسر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لقومه أسوى الله ألتمسكم الها وأجعل لكم معبودا تعبدونه والله الذى هو خالقكم فضلكم على عالمى دهركم وزمانكم يقول أفأبغيكم معبودا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق ان هذا منكم لجهل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم و يستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لليهود من بنى اسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذكروا مع قيلكم هذا الذى قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر و بعد النعم التى سلفت منى اليكم والأيادى التى تقدمت فعلكم ما فعلتم اذ أنجيناكم من آل فرعون وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته فى الكفر بالله من قومه يسومونكم سوء العذاب يقول اذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذى كان يسومهم سيئه يقتلون أبناءكم الذكور من أولادهم و يستحيون نساءكم يقول يستبقون اناثهم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم يقول وفى سومهم اياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم وتعمد عظيم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ يقول تعالى ذكره وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وقيل انها ثلاثون ليلة من ذى القعدة وأتممناها بعشر يقول وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة وقيل ان العشر التى أتممناها بها أربعين عشر ذى الحجة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة وعشر

فى سورة القصص ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت مضت ذى واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا (بما صبروا) أى بسبب صبرهم وفيه أن الصبر عنوان الظفر وضمن

بالمصر والفرج ودمرنا أى أهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعانى والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون (٣٣) والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى اسرائيل بعد ذلك فقال (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) روى أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم أى فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة أصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزلوا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد فى المعبود أنه اله أو اعتقد أنه مقرب الى الله ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بنى اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال على ما اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف أقدامكم ان هؤلاء يعنى عبدة تلك

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة هو ذو القعدة وعشر من ذى الحجة فذلك قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن الثلاثين التى كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذى الحجة التى تم الله بها الاربعين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قال ذو القعدة وأتممناها بعشر قال عشر ذى الحجة قال ابن جريج قال ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة والعشر الاول من ذى الحجة قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مسروق وأتممناها بعشر قال عشر الاضحى وأما قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة فأنه يعنى فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فتم ميقات ربه قال فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره ولما مضى لموعد ربه قال لاخيه هرون اخلفنى فى قومى يقول كن خليفتى فيهم الى أن أرجع يقال منه خلفه يخلفه خلافة وأصلح يقول وأصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله وعبادته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح وكان من اصلاحه أن لا يدع العجل يعبد وقوله ولا تتبع سبيل المفسدين يقول ولا تسلك طريق الذين يفسدون فى الارض بمعصيتهم ربهم ومعونتهم أهل المعاصى على عصيانهم ربهم ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ونجى منه بنى اسرائيل فيما قال أهل العلم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآية قال يقول ان ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق آل فرعون وخلص الى الارض الطيبة أنزل الله عليهم فيها المن والسلوى وأمره ربه أن يلقاه فلما أراد لقاء ربه استخلف هرون على قومه وواعدهم أن يأتيهم الى ثلاثين ليلة ميعادا من قبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجه ليلقى ربه فلما تمت ثلاثون ليلة قال عدو الله السامرى ليس يأتيكم موسى وما يصلحكم الا اله تعبدونه فناشدهم هرون وقال لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم فقالوا نعم فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامرى لمثل قوله بالأمس قال وأحدث الله الاجل الذى جعله بينهم عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة فعاد هرون فناشدهم الا ما نظروا يومهم ذلك أيضا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم ثم عاد السامرى الثالثة لمثل قوله لهم وعاد هرون فناشدهم أن ينتظروا فلما لم يروه قال القاسم قال الحسن حدثنى حجاج قال ثنى أبو بكر بن عبد الله الهذلى قال قام السامرى الى هرون حين انطلق موسى فقال يا نبى الله

(٥ - ابن جرير تاسع)

التماثيل متبرأى مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم انا عمتبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون أى يتبر الله أصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبر الان اشارة الى أن عبدة الاصنام ليسوا على شئ البتة وأن مصيرهم الى النار لا محالة قال أغير الله

أبغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة كما تقول أبغيكم الها غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدي يقال بغيت فلانا شيأ و بغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون أبناء زمانكم ومعنى

الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين في نعم الله فان الاله ليس شيأ يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الباقية قد مر تفسيرها في البقرة والفائدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون لتناسب قوله سنقتل أبناءهم والله أعلم ﴿ التأويل وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس أتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا في أرض البشرية و يذرك وآلهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل أبناءهم يعني أعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيي نساءهم أي الصفات التي عنها يتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى الروح لقومه هم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله أي أرض البشرية يورثها من يشاء من عباده يورث أرض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته و يورث أرض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعني عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء بصفاتها أوذينا من قبل أن تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من أوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعي البشرية عسى ربكم أن يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى أن الواردات الروحانية لا تكفي لافناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من تجلي صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفور لا يرى فضل المنعم وكذا الملول اذا أراد قطيعة * مل الوصال وقال كان وكانا ولكن أكثرهم

انا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليا كثيرا من زينتهم وان الذين معك قد أسرعوا في الحلي يبيعونه و ينفقونه وانما كان عارية من آل فرعون فليسوا باحياء فنردها عليهم ولا ندري لعل أجلك نبي الله موسى اذا جاء يكون له فيها رأي اما يقر بها قربانا فتأكلها النار واما يجعلها للفقراء دون الاغنياء فقال له هرون نعم ما رأيت وما قلت فأمر مناديا فنادى من كان عنده شيء من حلي آل فرعون فليأتنا به فأتوه به فقال هرون يا سامري أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة فقذفها السامري وكان عدو الله الخبيث صائغا فصاغ منه عجلا جسدا ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام اذ رآه في البحر فجعل يخور ولم يخر الا مرة واحدة وقال لبني اسرائيل انما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا الهكم واله موسى فنسي يقول ان موسى عليه السلام نسي ربه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه وكلمه ربه وناجاه قال موسى لربه أرني أنظر اليك قال الله له مجيبا لن تراني ولكن انظر الى الجبل كان سبب مسئلة موسى ربه النظر اليه ما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر اليه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني خف حول الجبل وحف حول الملائكة بنار وحف حول النار بملائكة وحف حول الملائكة بنار ثم تجلى ربه للجبل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وقربناه نجيا قال ثني من لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قربه الرب حتى سمع صريف القلم فقال عند ذلك من الشوق اليه رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر الهذلي قال لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله اشتاق الى النظر اليه فقال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني وليس لبشر أن يطيق أن ينظر الي في الدنيا من نظر الي مات قال الهي سمعت منطقك واشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك قال فانظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أرني أنظر اليك قال أعطى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استخلف موسى هرون على بني اسرائيل وقال اني متعجل الى ربي فاخلفني في قومي ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى الى ربه متعجلا للقيه شوقا اليه وأقام هرون في بني اسرائيل ومعه السامري يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى طمع في رؤيته فسأل ربه أن ينظر اليه فقال الله لموسى انك لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني الآية قال ابن اسحق فهذا ما وصل الينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر الى ربه وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأت في كتاب الله والله أعلم قال ابن اسحق عن بعض أهل العلم الاول بأحاديث أهل الكتاب انهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك الى ربه انه كان من كلامه

لايعلمون لان بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة فأرسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل الالهامات والضفادع الخواطر والدم أصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا غب حين فاستكبروا عن قبولها والعمل بها وكانوا قوما مجرمين فى الازل فلهذا لم تفدهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعه (٣٥) فأغرقناهم فى يم الدنيا وشهواتها وما كانوا

اما حين طمع فى رؤيته وطلب ذلك منه ورد عليه ربه منه ما رد أن موسى كان تطهر وطهر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سيناء ونادا الله له فى الغمام فكلمه سبحه وحمده وكبره وقدسه مع تضرع وبكاء حزين ثم أخذ فى مدحته فقال رب ما أعظمك وأعظم شأنك كله من عظمتك انه لم يكن شئ من قبلك فأنت الواحد القهار كان عرشك تحت عظمتك نارا توقدلك وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور فما أعظمك رب وأعظم ملكك جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام فما أعظمك رب وأعظم ملكك فى سلطانك فاذا أردت شيأ تقضيه فى جنودك الذين فى السماء أو الذين فى الارض وجنودك الذين فى البحر بعثت الريح من عندك لا يراها شئ من خلقك الا أنت ان شئت فدخلت فى جوف من شئت من أنبيائك فبلغوا ما أردت من عبادك وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيأ من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك فقد أنعمت علىّ وأعظمت علىّ فى الفضل وأحسنت الىّ كل الاحسان عظمتنى فى أمم الارض وعظمتنى عند ملائكتك وأسمعتنى صوتك وبذلت لى كلامك وآتيتنى حكمتك فان أعد نعمائك لا أحصيها وان أردت شكرك لا أستطيعها دعوتك رب على فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة فضربت بعصاى التى فى يدى البحر فانفلق لى ولمن معى ودعوتك حين جزت البحر فأغرقت عدوك وعدوى وسألتك الماء لى ولأمتى فضربت بعصاى التى فى يدى الحجر فنه أرويتنى وأمتى وسألتك لأمتى طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم فأمرتنى أن أدعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب فناديتك من شرقى أمتى فأعطيتهم المن من مشرقى لنفسى وآتيتهم السلوى من غربهم من قبل البحر واشتكيت الحر فناديتك فظللت عليهم بالغمام فما أطيق نعمائك على أن أعدها ولا أحصيها وان أردت شكرها لا أستطيعها فحثثتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرعا لتعطينى ما منعت غيرى أطلب اليك وأسألك باذا العظمة والعزة والسلطان أن ترينى أنظر اليك فانى قد أحببت أن أرى وجهك الذى لم يره شئ من خلقك قال له رب العزة فلا ترى يا ابن عمران ما تقول تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يرانى أحد فيحيا أليس فى السموات معمرى فانهن قد ضعفن أن يحملن عظمتى وليس فى الارض معمرى فانها قد ضعفت أن تسع بحندى فلست فى مكان واحد فأتجلى لعين تنظر الىّ قال موسى يارب أن أراك وأموت أحب الىّ من أن لا أراك وأحيا قال له رب العزة يا ابن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يرانى أحد فيحيا قال رب تمم علىّ نعمائك وتمم علىّ فضلك وتمم علىّ احسانك هذا الذى سألتك ليس لى أن أراك فاقبض ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلبى قال له يا ابن عمران لن يرانى أحد فيحيا قال موسى رب تمم علىّ نعمائك وتمم علىّ فضلك وتمم على احسانك هذا الذى سألتك ليس لى أن أراك فأموت على اثر ذلك أحب الى من الحياة فقال الرحمن المترحم على خلقه قد طلبت يا موسى وأعطيتك سؤلك ان استطعت أن تنظر الى فاذهب فاتخذ لوحين ثم انظر الى الحجر الاكبر فى رأس الجبل فان ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع الا مجلسك يا ابن عمران ثم انظر فانى أهبط اليك وجنودى من قليل وكثير ففعل موسى كما أمره ربه نحت لوحين ثم صعد بهما الى الجبل فجلس على الحجر فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين فى السماء الدنيا فقال ضعى أكنافك حول الجبل فسمعت ما قال الرب ففعلت أمره ثم أرسل الله الصواعق

يعرشون أى يرفعون بالتجبر والتكبر أنفسهم يقال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على أصنام لهم من المعانى المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وأرادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الربانى عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته معكم ان هؤلاء يعنى صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعانى المعقولة وباطل ما كانوا يعملون فى غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات الى الوصول الى المعارف والحقائق الالهيات ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى

وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم

هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم (٣٦) وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴿القرا آت﴾ أرني أنظر بسكون الراء وفتح الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعي عن البزي الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف اني اصطفيتك بفتح ياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو برسالتي على التوحيد أبو جعفر ونافع وابن كثير الباقون برسالاتي آياتي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف الباقون بضم الراء وسكون الشين من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب والنداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي أعجلتم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو قال ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن أم في طه * (الوقوف)

والظلمة والضباب على ما كان على الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمروا بموسى فاعترضوا عليه فمروا به طيران النغر تتبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى بن عمران عليه السلام رب لو كنت عن هذا غنيا ما ترى عيناي شيأ قد ذهب بصري هما من شعاع النور المتصعد على ملائكة ربي ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال الاسد لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع فاقشعرت كل شعرة في رأسه وجلده ثم قال ندمت على مسئلتي اياك فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فأقبلوا أمثال النسور لهم نحف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم أو كلهب النار ففزع موسى وأيس نفسه وأساء ظنه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورأسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مر وا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقار بهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم وامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران واعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبد الابدين في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا ان خرجت أحرقت وان مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلئ جوفك وينخلع قلبك ويشتد بكاؤك فاصبر للذي جلست لتنظر اليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلا عظيما فأمر الله أن يحمل عرشه ثم قال مر وا بي على عبدي ليراني فقليل من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الرب وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعا فارتج الجبل فاندك وكل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى بن عمران صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله الحياة برحمته فتغشاه برحمته وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فأقامه الروح مثل الام أقامت جنينها حين يصرع قال فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت أنك ربي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظم ذنب

أربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ○ ربه لا لأن ما بعده جواب لما البتة ط فسوف وأعظم ترانى ج صعقا ط المؤمنين ○ الشاكرين ○ لكل شيء ج للعدول مع فاء التعقيب بأحسنها ج الفاسقين ○ بغير الحق ج بها ج لابتداء شرط آخر ولبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا ○ غافلين ○ أعمالهم ط يعملون ○ خوار ط سبيلا

وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك لا تستنكف من ذلك ولا يعدل شيء ولا يقوم لشيء رب تبت عليك الحمد لله الذي لا شريك له ما أعظمك وأجل رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ يقول تعالى ذكره فلما اطلع الرب للجبل جعل الله الجبل دكا أي مستويا بالارض وخر موسى صعقا أي مغشيا عليه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن محمد بن عمر والعنقزي قال ثني أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ما تجلى منه الا قدر الخنصر جعله دكا قال ترابا وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط قال زعم السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال تجلى منه مثل الخنصر فجعل الجبل دكا وخر موسى صعقا فلم يزل صعقا ما شاء الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال انقعر بعضه على بعض وخر موسى صعقا أي ميتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وخر موسى صعقا أي ميتا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله دكا قال دك بعضه بعضا حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول في قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين عن حجاج عن أبي بكر الهذلي فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا الاعمش عن رجل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى ربه للجبل أشار باصبعيه فجعله دكا وأرانا أبو اسمعيل باصبعه السبابة حدثني المثنى قال ثني الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال هكذا باصبعه ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل حدثني المثنى قال ثنا هدبة بن خالد قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال وضع الابهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل فقال حميد لثابت تقول هذا قال فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوله أنس وأنا أكتمه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وذلك أن الجبل حين انكشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فانه أكبر مني وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل يندك على أثره فلما رأى موسى ما يصنع

يوصل لان الواو للحال تحسبنا للدعاء بالثناء الراجحين ○ الدنيا ط المفترين ○ وآمنوا ج لظاهران والوجه الوصل لان ما بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم ○ الالواح ج صلى لاحتمال ما بعده الحال يرهبون ○ ﴿التفسير﴾ لما أهلك الله سبحانه أعداء بني اسرائيل سأل موسى ربه أن يؤتيه الكتاب الذي وعده فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل أنه تعالى أمره بصوم ثلاثين وأن يعمل فيها ما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقال أبو مسلم الاصفهاني من الجائز أن يكون موسى عند تمام الثلاثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما أعجلك عن قومك يا موسى فلما أعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة أخرى فتم أربعون ليلة وقيل لا يمتنع أن يكون الوعد الأول لحضرة موسى وحده والوعد الثاني لحضرة موسى والمختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم أن الميقات كان عشرين ثم بعشر فصار ثلاثين والفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدرا أم لا وانتصب أربعين على الحال أي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح كن مصلحا أو وأصلح

ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل ومن دعائه الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع أنه شريكه في النبوة بدليل وأشركه في أمري والشريك أعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تأكيدا واطمئنانا والا فالنبي لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي نحن له كما يقال أتيته لعشر خلون من شهر كذا (وكلمه ربه) للناس في كلام الله مذاهب فقيل هو عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية أو جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤيته عندنا مع أنه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع أنه ليس بحرف ولا صوت وقال أبو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام أصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة (٢) واختلف العلماء أيضا في أن الله تعالى كلم موسى وحده لظاهر الآية أو مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره قال رب أرني أنظر اليك أي أرني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك وأراك عن ابن عباس أن موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في أسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب أرني أنظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سأل الرؤية وأنه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضي

الجبل خر صعقا واختلفت القراء في قراءة قوله دكا فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة مقصورا بالتنوين بمعنى دكه الله الجبل دكا أي فتته واعتبارا بقول الله كلا اذا دكت الارض دكا وقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد

بدك أركان الجبال هدمه ۞ تخطر بالبيض الرقاق بهمه

وقرأته عامة قراء الكوفيين جعله دكاء بالمد وترك الجر والتنوين مثل حمراء وسوداء وكان من يقرؤه كذلك عكرمة ويقول فيه ما حدثني به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن عباد عن يزيد بن حازم عن عكرمة قال دكاء من الدكاوات وقال لما نظر الله تبارك وتعالى الى الجبل صار صخرة ترابا واختلف أهل العربية في معناه اذا قرئ كذلك فقال بعض نحويي البصرة العرب تقول ناقة دكاء ليس لها سنام وقال الجبل مذكر فلا يشبه أن يكون منه الا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى واسأل القرية وكان بعض نحويي الكوفة يقول معنى ذلك جعل الجبل أرضا دكاء ثم حذفت الارض وأقيمت الدكاء مقامها اذ أدت عنها ۞ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ جعله دكاء بالمد وترك الجر لدلالة الخبر الذي روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجبل ولم يقل فتفتت ولا تحول ترابا ولا شك أنه اذا ساخ فذهب ظهر وجه الارض فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها وصارت دكاء بلا سنام وأما اذا دك بعضه فانما يكسر بعضه بعضا ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فانها خلف من الارض فلذلك أتت على ما قد بينت فمعنى الكلام اذا فلما تجلى ربه للجبل ساخ فجعل مكانه أرضا دكاء وقد بينا معنى الصعق بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره فلما تاب الى موسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو الافاقة من الصعقة التي خرلها موسى صلى الله عليه وسلم قال سبحانك تنزيها لك يا رب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش تبت اليك من مسئلتي اياك ما سألتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد الا هلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما رأى موسى ذلك وأفاق عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له فقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أبو العالية يعني أي أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال قال سفيان قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وخر موسى صعقا فمرت به الملائكة وقد صعق فقالت يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما فلما أفاق قال سبحانك لا الا أنت تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك يعني في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قال

للحصلين من العلماء في هذا المقام أقوال أحدها قول الحسن وغيره أن موسى ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد أن يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم أن يكون موسى أدون حالا من علماء الامة

(٢) لم يتم كلام الماتريدي وانظره في الفخر ليتم لك الفرق بينه وبين المعتزلة كتبه مصححه

سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين يقول أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شئ من خلقك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك قال من مسئلتي الرؤية حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد قال سبحانك تبت اليك أن أسألك الرؤية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك أن أسألك الرؤية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عيسى بن ميمون عن مجاهد في قوله سبحانك تبت اليك قال تبت اليك من أن أسألك الرؤية وقال آخرون معناه قوله وأنا أول المؤمنين بك من بني اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين قال أول من آمن بك من بني اسرائيل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين يعني أول المؤمنين من بني اسرائيل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأنا أول المؤمنين أنا أول قومي ايمانا حدثنا ابن وكيع والمثنى قالا ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد وأنا أول المؤمنين يقول أول قومي ايمانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنا أول المؤمنين قال أنا أول قومي ايمانا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وأنا أول المؤمنين قال أول قومي آمن وانما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله وأنا أول المؤمنين على قول من قال معناه أنا أول المؤمنين من بني اسرائيل لانه قد كان قبله في بني اسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولد اسرائيل لصلبه وكانوا مؤمنين وأنبياء فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى يا موسى اني اصطفيتك على الناس يقول اخترتك على الناس برسالاتي الى خلقي أرسلتك بها اليهم وبكلامي كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي فخذ ما آتيتك يقول فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي وتمسك به واعمل به يريد وكن من الشاكرين له على ما آتاك من رسالته وحصل به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه والمسارعة الى رضاه ﴿القول في تاويل قوله﴾ ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ﴾ يقول تعالى ذكره وكتبنا لموسى في ألواحه وأدخلت الألف واللام في الألواح بدلا من الاضافة كما قال الشاعر * والاحلام غير عوازب * وكما قال جل ثناؤه فان الجنة هي المأوى يعني هي مأواه وقوله من كل شئ يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه موعظة لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب في الالواح وتفصيلا لكل شئ يقول وتبيينا لكل شئ من أمر الله ونهيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو سعيد بن جبير وهو في أصل كتابي عن سعيد بن جبير

والذين يمتنعون من امتناع الرؤية على الله تعالى و بأنهم يدعون العلم الضروري بأن كل ما كان مرئيا فانه يجب أن يكون مقابلا أو في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو أيضا محال وثانيها طريقة أبي علي وأبي هاشم أن موسى عليه السلام سأل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بأنه لو كان كذلك لقال موسى أرهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني و بأنه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها و بأن ذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تأخيره مع أنهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم أن يقولوا لا نسلم أن هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار أبي القاسم الكعبي أن موسى سأل ربه المعرفة الضرورية بحيث تزول عندها الخواطر والوساوس كما في معرفة أهل الآخرة ورد بأنه تعالى أراه من الآيات كالعصا واليد وغيرها ما لا غاية بعدها فكيف يليق به أن يقول أظهر لي آية تدل على أنك موجود ولو فرض أنه لائق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل أن يقول منعه في الدنيا لحكمة علمها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول أبي بكر الاصم أن موسى أراد تأكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل أمر مطلوب للعقلاء وضعف بأنه كان الواجب عليه حينئذ أن يقول أريد يا الهي أن يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل أن يقول هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو أنه تعالى لم قال لن ترائي دون لن تنظرائي ليناسب قوله أنظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل أرني ومن حجج الاشاعرة أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ورد بأنه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه أي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها

قوله فلما تجلى ربه أى ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا أبرزتها أو ظهر للجبل اقتداره وتصدى له أمره وارادته جعله دكا أى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق أخوان ومن قرأ بالمد أراد أرضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء أيضا اسم للرابية النائئة من الارض كالدكة والغرض من الجميع (٤٠) تعظيم شأن الرؤية وان أحدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتأييده وقال المعتزلة الرؤية أمر محال لقوله لن ترانى وكلمة لن ان لم تفد التأبيد فلا أقل من التأكيد وأيضا الاستدراك فى قوله ولكن انظر معناه أن النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر الى الجبل لتشاهد تدكك أجزائه وتفرق أبعاضه من عظمة التجلى واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت الاشاعرة ههنا لم يبعد أن يخلق الله تعالى حينئذ فى الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية وأيضا قوله وخر موسى صعقا أى مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وأيضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك أنزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك انى تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس وقالت الاشاعرة وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى فى الدنيا أو بأنه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله اياها أخذ فى تعداد سائر نعمه عليه وأمره أن يشتغل بشكرها فقال يا موسى انى اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى بالمنهى عن منع الرؤية قيل وفى هذا دليل على جواز الرؤية فى نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض أنه تعالى خصه من دون الناس بمجموع أمرين الرسالة

فى قول الله وتفصيلا لكل شئ قال ما أمر وابه ونهوا عنه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ من الحلال والحرام **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وتفصيلا لكل شئ قال ما أمروا به ونهوا عنه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قال عطية أخبرنى ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما ذكر به الموت قال هذا من أجل أنه قد كان الله جعلنا فى دار مثوى لا نموت فخطأ آدم أنزلناهم هنا فقال الله لموسى أبعث اليك آدم فتخاصمه قال نعم فلما بعث الله آدم سأله موسى فقال أبونا آدم عليهما السلام يا موسى سألت الله أن يبعثنى لك قال موسى لولا أنت لم نكن ههنا قال له آدم ألم يكن قد آتاك الله من كل شئ موعظة وتفصيلا أفلست تعلم أنه ما أصاب فى الارض من مصيبة ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها قال موسى بلى فخصمه آدم صلى الله عليهما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول فى قوله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قال كتب له لا تشرك بى شيأ من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقى لا تحلف باسمى كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ووقر والديك ﴿القول﴾ فى تأويل قوله ﴿فخذها بقوة﴾ يقول تعالى ذكره وقلنا لموسى اذ كتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ خذ الالواح بقوة وأخرج الخبر عن الالواح والمراد ما فيها واختلف أهل التأويل فى معنى القوة فى هذا الموضع فقال بعضهم معناها بجد ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فخذها بقوة قال بجد **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى فخذها بقوة قال بجد واجتهاد وقال آخرون معنى ذلك فخذها بالطاعة لله ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله فخذها بقوة قال بالطاعة وقد بينا معنى ذلك بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه فى سورة البقرة عند قوله خذوا ما آتيناكم بقوة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ﴿القول﴾ فى تأويل قوله ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ يقول تعالى ذكره قلنا لموسى وأمر قومك بنى اسرائيل يأخذوا بأحسنها يقول يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وأمر قومك يأخذوا بأحسنها بأحسن ما يجدون فيها **حدثنى** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال أمر موسى أن يأخذها بأشدها مما أمر به قومه فان قال قائل وما معنى قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن قيل لا ولكن كان فيها أمر ونهى فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل

والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بلا وسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء فى الخبر أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج بعين الرأس وفى ذلك دليل على أفضليته على موسى شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب والمراد بالرسالات ههنا أسفار التوراة فخذما آتيتك من شرف الرسالة

بالمنهى عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره لموسى اذ كتب فى الالواح من كل شئ خذها بجد فى العمل بما فيها واجتهاد وأمر قومك يأخذوا بأحسن مافيها وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى فان من أشرك بى منهم ومن غيرهم فانى سأريه فى الآخرة عند مصيره الى دار الفاسقين وهى نار الله التى أعدها لاعدائه وانما قال سأريكم دار الفاسقين كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غدا الامر يصير اليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم فى الآخرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا مبارك عن الحسن فى قوله سأريكم دار الفاسقين قال جهنم وقال آخرون معنى ذلك سأدخلكم أرض الشأم فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سأريكم دار الفاسقين منازلهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دار الفاسقين قال منازلهم وقال آخرون معنى ذلك سأريكم دار قوم فرعون وهى مصر ذكر من قال ذلك [٧] وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لان الذى قبل قوله حل ثناؤه سأريكم دار الفاسقين أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة فأولى الامور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرط فى العمل لله وحاد عن سبيله دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه سأنزع عنهم فهم الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور المروزى قال ثنى محمد بن عبد الله ابن بكر قال سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال يقول أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتى وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث اليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى لان القرآن انما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام وقال آخرون فى ذلك معناه سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج سأصرف عن آياتى عن خلق السموات والارض والآيات فيها سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه سيصرف عن آياته وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته فى توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه والسموات والارض وكل موجود من خلقه فمن آياته والقرآن أيضا من آياته وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين فى الارض بغير الحق وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون

[٧] هكذا بياض بالاصل والذى فى الدر عن قتادة دار الفاسقين قال مصر اه قال العراقى انه تصحيف

والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بأن تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له فى الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرائيل وقيل من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب أنها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى قطعها بيده وشققها بأصابعه وقيل طولها كان عشرة أذرع والتحقيق أن أمثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والاوجب السكوت عنه اذ ليس فى الآية ما يدل على ذلك وأما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرائيل بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل أيضا كما قلنا (من كل شئ) مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو أخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل فى الموعظة كل ما يوجب الرغبة فى الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد وأراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من أقسام الاحكام ويجوز أن يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له فى الالواح موعظة من كل شئ وتفصيلا لكل شئ قيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منها فى سنة لم يقرأها الا

أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب فى الالواح انى أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ولا تزنوا ولا تقتلوا ولا تعقوا الوالدين

فخذها على ارادة القول أى وكتبنا فقلنا له خذها أو بدل من قوله فخذما آتيتك والضمير للالواح أو لكل شئ لانه فى معنى الاشياء أو للرسالات

أو للتوراة بقوة بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما فى التوراة وجب كون الكل مأمورا به فظاهر قوله يأخذوا بأحسنها يقتضى أن فيه ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الاخذ به وأجاب العلماء بوجوه منها أن تلك التكاليف منها ما هو حسن ومنها ما هو أحسن كالاقتصاص (٤٣) والعفو والانتصار والصبر فرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والأحسن الواجب والمندوب وقال فى الكشاف يجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف أحر من الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعنى جهنم أى ليكن ذكر جهنم حاضرا فى أذهانكم لتحذروا أن تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشأم ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما أصابهم وقال الكلبى هى منازل عاد وثمود وأقرانهم يمرون عليها فى أسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بأن الله تعالى سيرزقهم أرض أعدائهم ويؤيده ما قرئ سأورثكم وقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما به يعامل الفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن آياتى الآية فاحتجت الاشاعرة بها على أنه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الحبائى قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم فى الزمان الماضى فعلم أن المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وأيضا الصرف مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف ولا تكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تأويل الآية وقال الكعبى وأبو مسلم الاصفهانى ان هذا الكلام تمام لما وعد الله به موسى من النصرة والعصمة أى أصرفهم عن آياتى فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليك الى قوله والله يعصمك

لانهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا الى الحق وذلك غير كائن منهم لأنه جل ثناؤه قال وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها فلا تبديل لكلمات الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ يقول تعالى ذكره وان يرهؤلاء الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وتكبرهم فيها بغير الحق تجبرهم فيها واستكبارهم عن الايمان بالله ورسوله والاذعان لأمره ونهيه وهم لله عبيد يغدوهم بنعمته ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيا كل آية يقول كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته وكل دلالة على أنه لا تنبغى العبادة الا له خالصة دون غيره لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هى فيه حجة ولكنهم يقولون هى سحر وكذب وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يقول وان يرهؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذى ان سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا الى نعيم الأبد لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا جهلا منهم وحيرة وان يروا سبيل الغى يقول وان يروا طريق الهلاك الذى ان سلكوه ضلوا وهلكوا وقد بينا معنى الغى فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته يتخذوه سبيلا يقول يسلكوه ويجعلوه لانفسهم طريقا لصرف الله اياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم فهم لا يفلحون ولا ينجحون ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول تعالى ذكره صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا لعقوبة مثالهم على تكذيبهم بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقية ما أمرناهم به ونهيناهم عنه غافلين لا يتفكرون فيها لاهين عنها لا يعتبرون بها فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعطبوا واختلف القراء فى قراءة قوله الرشد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين الرشد بضم الراء وتسكين الشين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين الرشد بفتح الراء والشين ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك اذا ضممت راءه وسكنت شينه وفيه اذا فتحتا جميعا فذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول معناه اذا ضممت راءه وسكنت شينه الصلاح كما قال الله فان آنستم منهم رشدا يعنى صلاحا وكذلك كان يقرؤه هو ومعناه اذا فتحت راءه وشينه الرشد فى الدين كما قال جل ثناؤه تعلمنى مما علمت رشدا بمعنى الاستقامة والصواب فى الدين وكان الكسائى يقول هما لغتان بمعنى واحد مثل السقم والسقم والحزن والحزن وكذلك الرشد والرشد * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما فى قراءة الامصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب بها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المستكبرون فى الارض بغير الحق وكل مكذب بحج الله ورسله وآياته وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ومنكر لقاءه فى آخرته ذهبت أعمالهم فبطلت وحصلت لهم أوزارها فثبتت لانهم عملوا لغير الله وأتعبوا أنفسهم فى غير ما يرضى الله فصارت أعمالهم عليهم وبالا يقول الله جل ثناؤه هل يجزون الا ما كانوا يعملون يقول هل ينالون الا ثواب ما كانوا يعملون فصار ثواب أعمالهم الخلود فى نار أحاط بهم سرادقها

من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما فى آياتى من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد صيروا أنفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه آخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح أن يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ فى كفره وينتهى الى الحد الذى اذا وصل اليه مات قلبه وهى بالطبع والخذلان فالمراد بالمصر وفين هؤلاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى قوله بغير الحق اما أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما أن يكون صلة للفعل أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذى لا أصل له ومنه يعلم أن للحق أن يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قاله الكسائى وفرق أبو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وبفتحتين الاستقامة فى الدين قوله تعالى مما علمت رشدا وسبيل الغى ضد ما ذكرنا ثم بين أن ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء أو النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب أنهم كذا وكذا ثم بين أن أولئك المتكبرين مجزيون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أى جحدوا المعاد حبطت أعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول أبى هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا الآية تدل على أنه لا جزاء الا على عمل

كانت أعمالهم فى طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بالله من غضبه وقد بينا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره واتخذ بنو اسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقهم موسى ماضيا الى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذى كان ربه وعده من حليهم عجلا وهو ولد البقرة فعبدوه ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال جسدا له خوار والخوار صوت البقر يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل وذلك أن الرب جل جلاله الذى له ملك السموات والارض ومدبر ذلك لا يجوز أن يكون جسدا له خوار لا يكلم أحدا ولا يرشد الى خير وقال هؤلاء الذين قص الله قصصهم لذلك هذا الهنا واله موسى فعكفوا عليه يعبدونه جهلا منهم وذهابا عن الله وضلالا وقد بينا سبب عبادتهم اياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن اعادته وفى الحلى لغتان ضم الحاء وهو الاصل وكسرها وكذلك ذلك فى كل ماشاكله من مثل صلى وجثى وعتى وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب لاستفاضة القراءة بهما فى القراءة لا تفارق بين معنييهما وقوله ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ألم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ولا يرشدهم الى طريق وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقا بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ويرشد خلقه الى سبيل الخير وينهاهم عن سبيل المهالك والردى يقول الله جل ثناؤه اتخذوه أى اتخذوا العجل الها وكانوا باتخاذهم اياه ربا معبودا ظالمين لانفسهم لعبادتهم غير من له العبادة واضافتهم الالوهة الى غير الذى له الالوهة وقد بينا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سقط فى أيديهم ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى اليهم واستسلموا لموسى وحكمه فيهم وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شئ قد سقط فى يديه وأسقط لغتان فصيحتان وأصله من الاستسرار وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه فيرمى به من يديه الى الارض ليأسره فيكتفه فالمرمى به مسقوط فى يدى الساقط به فقيل لكل عاجز عن شئ ومصارع لعجزه متندم على ما فاته سقط فى يديه وأسقط وعنى بقوله ورأوا أنهم قد ضلوا ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله وكفروا بربهم قالوا تائبين الى الله منيبين اليه من كفرهم به لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة لئن لم يرحمنا ربنا بالرفع على وجه الخبر وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لئن لم ترحمنا ربنا بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا على وجه الخطاب منهم لربهم واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه فى احدى القراءتين قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا وذلك دليل على الخطاب والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء فى يرحمنا وبالرفع فى قوله ربنا لانه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجها الى الخطاب والقراءة التى حكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا لئن لم ترحمنا ربنا لا نعرف

وترك الواجب ليس بعمل أجاب أبو هاشم بأنى لا أسمى ذلك العقاب جزاء ورد بأن الجزاء ما يجزى أى يكفى فى المنع عن النهى أو فى الحث على المأمور لكن العقاب على ترك الواجب كاف فى الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بنى اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلى فاستعاروها مرة فأغرق الله (٤٤) القبط فبقيت تلك الحلى فى أيدى بنى اسرائيل فلهذا أضيفت اليهم على أن مجرد ملابسة الاستعارة أيضا تحقق الاضافة وتصحح وا الحلى جمع حلى كثدى وثدى ومن كسر الحاء فللاتباع لجمع السامرى تلك الحلى وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامرى لهم عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال قوم كان قد أخذ تراب حافر فرس جبرائيل فألقاه فى جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامرى هذا الهكم وإله موسى وقال أكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهر منه صوت شديد يشبه خوار العجل وقال آخرون انه صير ذلك التمثال أجوف وخبأ تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع أن المتخذ هو السامرى وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه أو لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده أى من بعد مضيه الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الآية لقول موسى فى الدعاء رب اغفر لى ولاخى ولو كان غيرهما أهلا للدعاء لأشركهم فى ذلك وقال آخرون بل كان قد بقى فى بنى اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما أو بقى ذهبا كما كان مال بعضهم الى

ضلوا

الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار والجسد اسم للجسم ذى اللحم والدم والخوار انما يكون للبقرة لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش فى أن الجسد مختص بذى الروح ثم قال ان ذلك الصوت لما أشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ على كرم الله وجهه جؤار بالجيم

صحتها من الوجه الذى يجب التسليم اليه ومعنى قوله لئن لم يرحمنا بنا ويغفر لنا لئن لم يتعطف علينا بنا بالتوبة برحمته ويتغمد بها ذنوبنا لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم ﴾ يقول تعالى ذكره ولما رجع موسى الى قومه من بنى اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامرى قد أضلهم فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك والاسف شدة الغضب والتغيظ به على من أغضبه كما حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمى قال ثنى شريح بن يزيد قال سمعت نصر بن علقمة يقول قال أبو الدرداء قول الله غضبان أسفا قال الاسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك وتفسير ذلك فى كتاب الله ذهب الى قومه غضبان وذهب أسفا وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أسفا قال حزينا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا يقول أسفا حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والأسف على وجهين الغضب والحزن حدثنا نصر بن على قال ثنا سليمان بن سليمان قال ثنا مالك بن دينار قال سمعت الحسن يقول فى قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال غضبان حزينا وقوله قال بئسما خلفتمونى من بعدى يقول بئس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وأوليتمونى فيمن خلفت ورائى من قومى فيكم ودينى الذى أمركم به ربكم يقال منه خلفه بخير وخلفه بشر اذا أولاه فى أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا وقوله أعجلتم أمر ربكم يقول أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبتم عنه يقال منه عجل فلان هذا الامر اذا سبقه وعجل فلان فلانا اذا سبقه ولا تعجلنى يا فلان لا تذهب عنى وتدعنى وأعجلته استحثثته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾ يقول تعالى ذكره وألقى موسى الالواح ثم اختلف أهل العلم فى سبب القائه اياها فقال بعضهم ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير قال قال ابن عباس لما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فأخذ برأس أخيه يجره اليه وألقى الالواح من الغضب وحدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رجع موسى الى قومه وكان قريبا منهم سمع أصواتهم فقال انى لأسمع أصوات قوم لاهين فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الالواح فكسرها وأخذ برأس أخيه يجره اليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أخذ موسى الالواح ثم رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فقال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا الى قوله فكذلك ألقى السامرى فألقى موسى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انتهى موسى الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ألقى الالواح من يده ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول ما منعك اذ رأيتهم

لوا الا تتبعنى أفعصيت أمرى وقال آخرون انما ألقى موسى الالواح لفضائل أصابها فيها لغير
ه واشتد ذلك عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
ى قتادة قوله أخذ الالواح قال رب انى أجد فى الالواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون
عروف و ينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة هم
آخرون السابقون أى آخرون فى الخلق سابقون فى دخول الجنة رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة
حمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن كتابهم
ر حتى اذا رفعوه لم يحفظوا شيأ ولم يعرفوه قال قتادة وان الله أعطاكم أيتها الامة من الحفظ شيأ
عطه أحدا من الامم قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة
يؤمنون بالكتاب الاول و بالكتاب الآخر و يقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب
اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم
يؤجرون عليها وكان من قبلهم من الامم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها
ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع قال وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب
عهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة
حمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فاذا عملها
كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة هم
المجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة هم
الشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال وذكر لنا أن نبى الله موسى عليه
السلام نبذ الالواح وقال اللهم اجعلنى من أمة أحمد قال فأعطى نبى الله موسى عليه السلام ثنتين
علهما نبى قال الله يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى و بكلامى قال فرضى نبى الله ثم
على الثانية ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون قال فرضى نبى الله صلى الله عليه
سلم كل الرضا حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما
ذ موسى الالواح قال يارب انى أجد فى الالواح أمة هم خير الامم يأمرون بالمعروف و ينهون عن
نكر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة هم الآخرون السابقون
القيامة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ الا أنه قال فى حديثه
ى موسى عليه السلام الالواح وقال اللهم اجعلنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم • والذى هو
به الصواب من القول فى ذلك أن يكون سبب القاء موسى الالواح كان من أجل غضبه على قومه
نهم العجل لان الله جل ثناؤه بذلك أخبر فى كتابه فقال ولما رجع موسى الى قومه غضبان
قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه
ذ أن الله لما كتب لموسى عليه السلام فى الالواح التوراة أدناه منه حتى سمع صريف القلم ذكر
قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدى عن أبى عمارة
ى على عليه السلام قال لما كتب الله الالواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الاقلام

والحق أن الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا أن كل اله يجب أن يكون متكلما هاديا والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على أنه يمكن أن يقال لا متكلم ولا هادى فى الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال فى البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم أخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط فى أيديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا فى وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج أريد بالايدى القلوب والانفس كما يقال حصل فى يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ورى بالعين وقال فى الكشاف ان من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فأصل الكلام سقط فوه فى يده فحذف الفاعل و بنى الفعل للمفعول فيه كما يحذف الفعل و يبنى للمفعول فيه فى قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد أن ذلك العمل خير وصواب وانه يورثه رفعة ورتبة فاذا بان أن ذلك العمل باطل فكأنه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا أخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كأنه

ل الحالة التى لاجلها حصل له الندم وكأنه قد سقط فى يد نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافى وحكى
لى أنه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن وقع فى يده السقيط لم يحصل منه على شئ قط لانه يذوب بأدنى حرارة
ثل من خسر فى عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية فى أكثر الاعمال اليد والعاجز فى حكم الساقط فسقوط

اليد هو العجز التام كما يقال فى العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدى الى صلاحه وقيل ان فى بمعنى على أى سقط على أيديهم فان من عادة
أن يطأطئ رأسه ويضعه على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا أنهم قد ضلوا أى قد تبينوا ضلالهم كأنهم أبصروه بعيونهم قال القاضى
على التقديم والتأخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطا والترتيب الاصلى ولما رأوا أنهم قد ضلوا

فى أيديهم ويمكن أن يقال الواو لا تفيد الترتيب أو يقال الاقدام على ما لا يعلم كونه صوابا أو خطأ فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر أنه خطأ جزما ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر أبونا آدم وأمنا حواء ان لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول أبى مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان أسفا فانه يدل على أن هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء فى سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على أنه تعالى أخبره بوقوع الواقعة فى الميقات والأسف الشديد الغضب وهو قول أبى الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدى هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه أسفا من فتنة ربه بئسما خلفتمونى خاطب عبدة العجل أو ووجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتمونى والمخصوص محذوف التقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى مع قوله خلفتمونى من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الانداد أو من بعد ما كنت أجل

القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فخلف من بعدهم خلف أى من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة أعجلتم أم قال الواحدى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة فى الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشئ فى أول وقته قال ابن

فى الالواح قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أدناه حتى سمع صرير الاقلام وقيل ان التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شئ الذى قال الله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وبقى الهدى والرحمة فى السبع الباقى وهو الذى قال الله أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقر بعير يقرأ منها الجزء فى سنة كما حدثنى المثنى قال ثنا محمد بن خالد المكفوف قال ثنا عبد الرحمن عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس قال أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ منها الجزء فى سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى وعمران وعيسى وعزير ويوشع بن نون صلوات الله عليهم واختلفوا فى الالواح فقال بعضهم كانت من زمرد أخضر وقال بعضهم كانت من ياقوت وقال بعضهم كانت من برد ذكر الرواية بما ذكرنا ذلك حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى موسى الالواح فتكسرت فرفعت الا سدسها قال ابن جريج وأخبرنى ان الالواح من زبرجد وزمرد من الجنة وحدثنى موسى بن سهل الرملى قال ثنا ابن داود وعبد الله بن أحمد بن شبويه وأحمد بن الحسن الترمذى قالوا أخبرنا آدم العسقلانى قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال كانت ألواح موسى عليه السلام من برد حمدان ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى الجنيد عن جعفر بن أبى المغيرة قال سألت سعيد بن جبير عن الالواح من أى شئ كانت قال كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده فسمع أهل السماء صريف القلم وهو يكتبها حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن ابن أبى الوضاح عن خصيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال كانت الالواح زمردا فلما ألقى ما فى الالواح بقى الهدى والرحمة وذهب التفصيل قال ثنا القاسم قال ثنا الاشجعى عن محمد بن سفيان عن خصيف عن مجاهد قال كانت الالواح من زمرد أخضر وزعم بعضهم أن الالواح كانت لآدم فان كان الذى قال كما قال فانه قيل وكتبنا له فى الالواح وهما لوحان كما قيل فان كان له اخوان أخوان وأما قوله وأخذ برأس أخيه يجره اليه فان ذلك من فعل نبى الله صلى الله عليه وسلم لموجدته على أخيه هرون فى تركه اتباعه واقامته مع بنى اسرائيل فى الموضع الذى تركه فيه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى حين أخبره هرون بعذره فقبل عذره وذلك قيله لموسى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقال يا ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء الآية واختلفت القراء فى قراءة قوله يا ابن أم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة يا ابن أم بفتح الميم من الأم وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض البصرة يا ابن أم بكسر الميم من الأم واختلف أهل العربية فى فتح ذلك وكسره مع اجماع جميعهم على أن اللغتان مستعملتان فى العرب فقال بعض نحويى البصرة قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلا اسما واحدا كما قيل يا ابن عم وقال هذا شاذ لا يقاس عليه وقال من قرأ ذلك يا ابن أم فهو على لغة الذين يقولون هذا غلام قد جاء جعله اسما واحدا آخره مكسور مثل قوله خازباز وقال

نحويو

أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعد ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك أنهم قدروا أنه لما لم يأت على رأس الثلاثين
فقدمات وروى أن السامرى قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فعلوها أربعين ثم أحدثوا
حدثوا وقال الكلبى أعجلتم عبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم وقال عطاء أعجلتم سخط ربكم وفى الكشاف يقال عجل
عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم
عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى
سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت
الامر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم
وهو انتظار موسى حافظين لعهده
وما وصاكم به وألقى الالواح التى فيها
التوراة لما لحقه من الدهش
والضجر غضبا لله عن النبى صلى
الله عليه وآله أنه قال رحم الله أخى
موسى ما الخبر كالمعاينة لقد أخبره
الله تعالى بفتنة قومه فعرف أن
ما أخبره الله تعالى به حق وانه مع
ذلك متمسك بما فى يده وروى أن
التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى
الالواح تكسرت فرفع منها ستة
أسباعها وبقى سبع واحد وكان
فيما رفع تفصيل كل شئ وفيما بقى
الهدى والرحمة قال فى التفسير
الكبير القاء الالواح ثابت بالقرآن
فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا
وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق
بالانبياء وأقول الجراءة تحصل
بنفس الالقاء لا بالتكسر الذى
لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل
عذرا عن نفس الالقاء يصح أن
يجعل عذرا عن التكسر وأخذ
برأس أخيه أى بشعر رأسه يجره
اليه بذؤابته واعلم أن موسى عليه
السلام كان فى نفسه حديد اشديد
الغضب وكان هرون ألين منه
جانبا ولذلك كان أحب الى بنى
اسرائيل من موسى وقد استتبع
غضبه أمرين أحدهما القاء
الالواح والآخر أخذ رأس أخيه

يجوز فى الكوفة قيل يا ابن أم و يا ابن عم فتنصب كما ينصب المعرب فى بعض الحالات فيقال يا حسرتا
ويلتا قال فكانهم قالوا يا أماه ويا عماه ولم يقولوا ذلك فى أخ ولو قيل ذلك لكان صوابا قال والذين
يحضرونه ذلك فانه كثر فى كلامهم حتى حذفوا الياء قال ولا تكاد العرب تحذف الياء الا من الاسم
المنادى يضيفه المنادى الى نفسه الا قولهم يا ابن أم و يا ابن عم وذلك أنهما يكثر استعمالهما
فى كلامهم فاذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء فقالوا يا ابن أبى و يا ابن أخى وأخى و يا ابن خالتى
و يا ابن خالى والصواب من القول فى ذلك أن يقال اذا فتحت الميم من ابن أم فمرادبه الندبة يا ابن
أماه وكذلك من ابن عم فاذا كسرت فمرادبه الاضافة ثم حذفت الياء التى هى كناية اسم المخبر عن
نفسه وكأن بعض من أنكر نسبته كسر ذلك اذا كسر ككسر الزاى من خازباز لان خازبازا لا يعرف
الا ثانى الا بالاول ولا الاول الا بالثانى فصار كالاصوات وحكى عن يونس الجرمى تأنيث أم وتأنيث
عم وقال لا يجعل اسما واحدا الا مع ابن المذكر قالوا وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة
من قال يا ابن أمى باثبات الياء كما قال أبو زبيد

يا ابن أمى و يا شقيق نفسى ✻ أنت خلفتنى لدهر شديد

وكما قال الآخر يا ابن أمى ولو شهدتك اذ تد ✻ عو تميما وأنت غير مجاب

وانما أثبت هؤلاء الياء فى الام لانها غير منادا وانما المنادى هو الابن دونها وانما تسقط العرب الياء
من المنادى اذا أضافته الى نفسها الا اذا أضافته الى غير نفسها كما قد بينا وقيل ان هرون انما قال لموسى
عليه السلام يا ابن أم ولم يقل يا ابن أبى وهما لاب واحد وأم واحدة استعطافا له على نفسه برحم الام
وقوله ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى يعنى بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا هذا
الهنا واله موسى وخالفوا هرون وكان استضعافهم اياه تركهم طاعته واتباع أمره وكادوا يقتلوننى
بقول فارطوا ولم يفعلوا واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تشمت فقرأ قراء الامصار ذلك فلا تشمت
بى الاعداء بضم التاء من تشمت وكسر الميم منها من قولهم أشمت فلان فلانا بفلان اذا سره فيه بما
يكرهه المشمت به وروى عن مجاهد أنه قرأ ذلك فلا تشمت بى الاعداء حدثنى بذلك عبد الكريم
قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال قال حميد بن قيس قرأ مجاهد فلا تشمت بى الاعداء
حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد
فلا تشمت بى الاعداء حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ثنا سفيان بن عيينة عن رجل عن
مجاهد أنه قال لا تشمت وقال الفراء قال الكسائى ما أدرى فلعلهم أرادوا فلا تشمت بى الاعداء فان
تكن صحيحة فلها نظائر العرب تقول فرغت وفرغت فمن قال فرغت قال أنا أفرغ ومن قال فرغت
قال أنا أفرغ وكذلك ركبت وركبت وشملهم أمر وشملهم فى كثير من الكلام قال والاعداء رفع لان
الفعل لهم لمن قال تشمت أو تشمت والقراءة التى لا أستجيز القراءة الا بها قراءة من قرأ فلا تشمت
بضم التاء الاولى وكسر الميم من أشمت به عدوه أشمته به ونصب الاعداء لاجماع الحجة من قراء
الامصار عليها وشذوذ ما خالفها من القراءة وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها هذا مع انكار معرفة
عامة أهل العلم بكلام العرب شمت فلان فلانا بفلان وشمت فلان بفلان يشمت به وانما المعروف
من كلامهم اذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوه شمت به بكسر الميم يشمت به بفتحها فى الاستقبال

جارا اليه فزعم مبتو عصمة الانبياء أنه جر برأس أخيه الى نفسه ليسارّه ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لأجل الاهانة والاستخفاف ثم ان
هرون خاف أن يتوهم جهال بنى اسرائيل أن موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن أم من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها
بخمسة عشر لكثرة الاستعمال أو على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما أضافه الى الام اشارة الى أن أمهما واحدة على ما روى أنه كان

أخاه لامه ليكون أدعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هى التى تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان
استضعفونى استذلونى وقهرونى ولم يبالوا بى لقلة أنصارى وكادوا يقتلوننى حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بى الاعداء العبا
العجل فانهم يحملون هذا الذى تفعل بى على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فى اشتراك العقوبة والا
ولا تعتقد أنى واحد منهم ولا يخفى

ما فى بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق أن هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح فى العصمة وغايته أن يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لى ما أقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولأخى ان عساه فرط فى شأن الخلافة ثم أخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما فى الحياة الدنيا فالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بأن قوله سينالهم للاستقبال وفى وقت نزول الآية كان القتل واقعا وأجيب بأن هذا الكلام حكاية عما أخبر الله تعالى موسى به فى الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم فى الغضب والذلة قلت ويجوز أن يكون الآيتان من تتمة قول موسى الا أن قوله وكذلك نجزى المفترين ينبو عن ذلك الا أن يحمل على الاعتراض ولما فى هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى أن المضاف فى الآية محذوف والتقدير ان الذين اتخذ آباؤهم العجل يعنى الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا بضرب الجزية أو غضب وذلة كلاهما فى الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بنى قريظة والنضير أو التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال أولادهم وكذلك

وأما قوله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فانه قول هرون لاخيه موسى يقول لا تجعلنى فى موجدة
على وعقوبتك لى ولم أخالف أمرك محل من عصانى فخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلم نف
وعبد غيرمن له العبادة ولم أشايعهم على شئ من ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عا
قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال أصحاب العج
حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله ﴿ القول
فى تأويل قوله ﴿ قال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ يقول تعا
ذكره قال موسى لما تبين له عذر أخيه وعلم أنه لم يفرط فى الواجب الذى كان عليه من أمر ر
فى ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل رب اغفر لى مستغفرا من فعله بأخيه ولاخيه من سا
له بينه وبين الله تعمد ذنوبنا بسترمنك تسترها به وأدخلنا فى رحمتك يقول وارحمنا برحمتك الوا
عبادك المؤمنين فانك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيأ ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿
الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴾ يقو
تعالى ذكره ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم بتعجيل الله لهم ذلك وذلة و
الهوان لعقوبة الله اياهم على كفرهم بربهم فى الحياة الدنيا فى عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة وك
ابن جريج يقول فى ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جري
قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفتر
قال هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام ومن فر منهم حين أمر
موسى أن يقتل بعضهم بعضا وهذا الذى قاله ابن جريج وان كان قولا له وجه فان ظاهر كتاب الله
مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه وذلك أن الله عم بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب
من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وتظاهرت الاخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله
رجع الى بنى اسرائيل موسى عليه السلام تاب على عبدة العجل من فعلهم عما أخبر به عن قيل
موسى عليه السلام فى كتابه وذلك قوله واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذ
العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم فكان أمر الله اياهم
بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفس بعض عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل فكان قتل
بعضهم بعضا هو انالهم وذلة أذلهم الله بها فى الحياة الدنيا وتوبة منهم الى الله قبلها وليس لأحد أن
يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه فى خاص مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خبر أو عقل ولا
خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الى باطن خاص
ولا من العقل عليه دليل فيجب احالة ظاهره الى باطنه ويعنى بقوله وكذلك نجزى المفترين ك
جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها من احلال الغضب بهم والاذلال فى الحياة الدنيا على كفرهم
ربهم وردتهم عن دينهم بعد ايمانهم بالله كذلك نجزى كل من افترى على الله فكذب عليه وأقر بألوهية
غيره وعبد شيأ سواه من الاوثان بعد اقراره بوحدانية الله وبعد ايمانه به وبأنبيائه ورسله وقبل ذلك
اذا لم يتب من كفره قبل قتله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب قال تلا أبو قلابة سينالهم غضب

من

نجزى المفترين أى كل مفتر فى دين الله فجزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا وتجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية والذ
عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ظاهر الآية يدل على أن التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما أصعب

المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على أن من أتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها له فما أحسن حال التائبين (الغفور) ستور عليهم محاء لما صدر منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وفيه أن الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه أعظم وأجل ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان (٤٩) انه خرج على قانون الاستعارة فكأن

من ربهم وذلة في الحياة الدنيا الآية قال فهو جزاء كل مفتر يكون الى يوم القيامة أن يذله الله عز وجل حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين قال هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ثابت أن حميد بن قيس ابن عباد وحارثة بن قدامة دخلا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالا أرأيت هذا الامر الذي أنت فيه وتدعوا اليه أعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته قال ما كل هذا ولهذا أعرضا عن هذا فقالا والله لا نعرض عنه حتى تخبرنا فقال ما عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كتابا في قراب سيفي هذا فاستله فأخرج الكتاب من قراب سيفه واذا فيه انه لم يكن نبي الا له حرم واني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم عليه السلام مكة لا يحمل فيها السلاح لقتال من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه أما ترى هذا الكتاب فرجعا وتركاه وقالا انا سمعنا الله يقول ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الآية وان القوم قد افتروا فرية ولا أدري الا سينزل بهم ذلة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة في قوله وكذلك نجزي المفترين قال كل صاحب بدعة ذليل ۞ القول في تأويل قوله ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كل تائب اليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة كفرا كانت أو غير كفر كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم يقول جل ثناؤه والذين عملوا الاعمال السيئة ثم رجعوا الى طلب رضا الله بانابتهم الى ما يحب مما يكره والى ما يرضى مما يسخط من بعد سيئ أعمالهم وصدقوا بأن الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين باخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك لغفور لهم يقول لساتر عليهم أعمالهم السيئة وغير فاضحهم بها رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ولما سكت عن موسى الغضب ولما كف موسى عن الغضب وكذلك كل كاف عن شئ ساكت عنه وانما قيل للساكت عن الكلام ساكت لكفه عنه وقد ذكر عن يونس الجرمي أنه قال يقال سكت عنه الحزن وكل شئ فيما زعم ومنه قول أبي النجم

وهمت الافعى بأن تسبحا ۞ وسكت المكاء أن يصيحا

أخذ الالواح يقول أخذها بعدما ألقاها وقد ذهب منها ما ذهب وفي نسختها هدى ورحمة يقول وفيما نسخ فيها أي منها هدى بيان للحق ورحمة للذين هم لربهم يرهبون يقول للذين يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله لربهم يرهبون مع استقباح العرب أن يقال في الكلام رهبت لك بمعنى رهبتك وأكرمت لك بمعنى أكرمتك فقال بعضهم ذلك كما قال جل ثناؤه ان كنتم للرؤيا تعبرون أوصل الفعل باللام وقال بعضهم من أجل ربهم يرهبون وقال بعضهم انما دخلت عقب الاضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لانها عقيب الاضافة لا على التعليق وقال بعضهم

الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول ألقى الالواح وغير ذلك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب كما يقال أدخلت الخف في رجلي وانما أدخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به أخذ الالواح التي ألقاها منبها على زوال غضبه لانه أوكد ما تقدم من أمارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ والكتب أي وفي مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تتكسر وأخذها موسى بأعيانها بعدما ألقاها أو قلنا انها تكسرت وأخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما ألقى الالواح تكسرت فصام أربعين يوما فأعاد الله تعالى الالواح وفيها غير ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون أدخل اللام في المفعول لتقدمه فان تأخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز أن يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم أن تكون اللام صلة نحو ردف لكم ۞ التأويل ثلاثين ليلة لئلا تستكثر النفس الا ربعين من ضعف البشرية وأتممناها بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى

الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية وأصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع

عليه كاسات الشرب أثر فيه سماع الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب أرنى أنظر اليك فقيل هيهات أنى بعد فى بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن ترانى لأنه لا يرانى الا من كنت له بصرا فبى يبصر ولكن انظر الى جبل الأنانية فان استقر مكانه عند التجلى فسوف ترانى ببصر أنانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد أن بان مابان وأشرقت الارض بنور ربها قد كان ما كان سر الا أبوح به * فظن خيرا (٥٠) ولا تسأل عن الخبر فلو لم يكن جبل أنانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى الحال وما عاش ولولا أن القلب يحيا عند الفناء بالتجلى لما أمكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلى ولا بالتحلى فافهم فلما أفاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلا هويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتى وبكلامى دون رؤيتى وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هى الرؤية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة أى بقوة الصدق والاخلاص أو بقوة واعانة منا سأريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الآخرة أو الدنيا سأصرف عن آياتى فيحجاب التكبر يحجب المتكبر عن رؤية الآيات واتخذ قوم موسى أى سامرى الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلى زينة الدنيا ورعونات البشرية التى استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط فى أيديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص له قائلة ان لم يرحمنا

انما فعل ذلك لان الاسم تقدم الفعل فحسن ادخال اللام وقال آخرون قد جاء مثله فى تأخير الاسم فى قوله ردف لكم بعض الذى تستعجلون وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال سمعت الفرزدق يقول نقدت له مائة درهم يريد نقدته مائة درهم قال والكلام واسع * القول فى تأويل قوله ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای﴾ يقول تعالى ذكره واختار موسى من قومه سبعين رجلا للوقت والاجل الذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم فى أمر العجل كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ان الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وايای حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى أطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای قد سفهوا أفتهلك من ورائى من بنى اسرائيل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر عن ميمون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال لموعدهم الذى وعدهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا قال اختارهم لتمام الوعد وقال آخرون انما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هرون ذكر من قال ذلك

حدثنا

بجذبات العناية ربنا الآية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا أسفا على ما فاتها من عبودية الحق أعجلتم أمر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل أوانه من غير أن يأمركم به ربكم وفيه اشارة الى أن أصحاب السلوك لا ينبغى أن يلتفتوا الى شئ من الدنيا فى أثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيأمرهم المولى أن يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق وألقى الالواح يعنى

مالاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي وأخذ برأس أخيه القلب فانه أخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن أم هما من أب وأم واحد أو هما الام وأمهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني ان أوصاف البشرية استذلوني بالغلبات عند غيبتك وكادوا (٥١) يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه أن صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض بتغير صفاته كما أن النفس لا تتغير من حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الأمارية الى اللوامية والملهمة والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة الى أن للروح والقلب استعدادا قبول الجذبة الالهية التي يدخلها بالسير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون أن الله أعطاهم قوة لا يضرهم عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق

حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان قال ثني أبو اسحق عن عمارة بن عبد السلولي عن علي رضي الله عنه قال انطلق موسى وهرون وشبر وشبير فانطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال توفاه الله قالوا أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاختاروا من شئتم قال فاختاروا سبعين رجلا قال فذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال فلما انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكنني توفاني الله قالوا يا موسى لن تعصى بعد اليوم قال فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا وقال يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن رجل من بني سلول أنه سمع عليا رضي الله عنه يقول في هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان هرون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل قال فلما مات دفنه موسى قال فلما أتى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال مات فقالوا قتلته قال فاختار منهم سبعين رجلا قال فلما أتوا القبر قال موسى أقتلت أو مت قال مت قال فأصعقوا فقال موسى رب ما أقول لبني اسرائيل اذا رجعت يقولون أنت قتلتهم قال فأحياهم وجعلوا أنبياء حدثني عبد الله بن الحجاج ابن المنهال قال ثنا أبي قال ثنا الربيع بن حبيب قال سمعت أبا سعيد يعني الرقاشي وقرأ هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال كانوا أبناء ما عدا عشرين ولم يتجاوزوا الاربعين وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه وان من لم يتجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيأ وقال آخرون انما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا لأنهم كانوا من عبدته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقرأ حتى بلغ السفهاء منا ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول انما تنا ولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ممن لم يكن قال ذلك القول على أنهم لم يجامعوهم عليه فاخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل قال فلما خرجوا ودعوا أماتهم الله ثم أحياهم فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای أتهلكنا بما فعل السفهاء منا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال قال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله و يسألونه أن يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم قال ابن سعد فحدثني محمد بن كعب القرظي قال لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر و يأمروهم بالمعروف قال فأخذتهم الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عون عن سعيد بن حيان عن ابن عباس ان السبعين الذين اختارهم موسى من قومه انما أخذتهم الرجفة انهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل حدثنا ابن بشار قال ثنا

وبه يعدلون ﴾ القرا آت عذابى أصيب بفتح الياء أبو جعفر ونافع آصارهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد ۞ الوقوف لميقاتنا ج للابتداء بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب وايای ط منا ج لتصدر ان النافية مع اتحاد القائل فتنتل ج لان ما بعده مستأنف وتهدى من تشاء ط الغافرين ٥ اليك ط من أشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشأنهما مع الاتفاق فى اللفظ كل شئ ط للتبيين واختلاف الجملتين والفاء لاستئناف وعد على الخصوص يؤمنون ٥ ج لاحتمال ما بعده النصب أو الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ج لان يأمرهم يحتمل أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو يأمرهم وأن يكون نعتا أى مكتوبا بأمرا أو بدلا من مكتوبا أو مفعولا بعد مفعول أى يجدونه أمرا أو يكون التقدير الامى الذى يأمرهم فيكون كالبدل من الصلة كانت عليهم ط أنزل معه لا لأن ما بعده خبر فالذين المفلحون ٥ والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال أى استحق ملك السموات غير مشارك ويميت ط لطول الكلام والافا لفاء للجواب أى اذا كنت رسولا فآمنوا اجابة تهتدون ٥ يعدلون ٥ ۞ التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشئ اذا أخذ خيره وخياره ومن هنا سمى فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك أن صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون أصله واختار موسى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول الثانى بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبى واستغفرته ذنبى وجوز بعضهم فى الآية أن يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا أول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا أو بيانا قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يجد الاستين شيخا فأوحى الله اليه أن يختار من الشبان عشرة

محمد بن جعفر قال ثنا عون قال ثنا سعيد بن حيان عن ابن عباس بنحوه واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال بعض نحويى البصرة معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا فلما نزع من أعمل الفعل كما قال الفرزدق

ومنا الذى اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

وكما قال الآخر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وقال الراعى

اخترتك الناس اذ غنت خلائقهم * واعتل من كان يرجى عنده السول

وقال بعض نحويى الكوفة انما استجيز وقوع الفعل عليهم اذا طرحت من لانه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخيرة من القوم فاذا جازت الاضافة مكان من ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا وقد قال الشاعر * فقلت له اخترها قلوصا سمينة *

وقال الراجز * تحت التى اختار له الله الشجر * بمعنى اختار هالله من الشجر وهذا القول الثانى أولى عندى فى ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب من التى بمعنى التبعيض ومن شأن العرب ان تحذف الشئ من حشو الكلام اذا عرف موضعه وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت فهذا من ذلك ان شاء الله وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم وحركهم وأهلكهم بعد فأماتهم أو أصعقهم فسلب أفهامهم وقد ذكرنا الرواية فى غير هذا الموضع وقول من قال انها كانت صاعقة أماتتهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا اختارهم موسى لتمام الموعد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم الله حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فلما أخذتهم الرجفة قال رجف بهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا أى بعبادة من عبد العجل قالوا وكان الله انما أهلكهم لانهم كانوا ممن يعبد العجل وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقال آخرون معنى ذلك أن اهلاك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بنى اسرائيل اذا انصرفت اليهم وليس معى والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعا قام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای قد سفهوا أفتهلك من وراءنا من بنى اسرائيل بما فعل السفهاء منا أى ان هذا لهم هلاك قد اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معى رجل واحد فالذى يصدقونى به أو يأمنونى عليه بعد هذا وقال آخرون فى ذلك بما

حدثنى

واختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ماعدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين فقد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وللمفسرين خلاف فى أن هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية أم غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان أمره ربه أن يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة فى هذه الآية وابداهبون الى الثانى جعلوا القصة على ما مر فى البقرة فى تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك أن منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الأنفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج أصحاب هذا المذهب على المغايرة بأنه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم أتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضى أن تكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا انخرم التناسب عن على عليه السلام ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى فقال ما قتلنى أحد فأخذتهم الرجفة هناك قيل كانت موتا وقيل أخذتهم الرعدة حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وايای قال فى الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل أن يرى ما رأى كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكنى قبل هذا أتهلكنا جميعا يعنى نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى أهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد أراد انك لا تفعل ذلك كما تقول أتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف أى لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لكان الواجب أن يقال أتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل أو غيرها ومنه يعلم أن هذا الميقات غير ميقات طلب

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال ان موسى انما حزن على هلاك السبعين بقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وانه انما عنى بالسفهاء عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم الا الأفضل فالأفضل منهم ومحال أن يكون الافضل كان عنده من أنبرك فى عبادة العجل واتخذه دون الله الها قال فان قال قائل فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم فيقول أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ونحن من ذلك برآء قيل جائز أن يكون معنى الاهلاك قبض الارواح على غير وجه العقوبة كما قال جل ثناؤه ان امرؤ هلك يعنى مات فنقول أتميتنا بما فعل السفهاء منا وأما قوله ان هى الا فتنتك فانه يقول جل ثناؤه ما هذه الفعلة التى فعلها قومى من عبادتهم ما عبدوا دونك الا فتنة منك أصابتهم ويعنى بالفتنة الابتلاء والاختبار يقول ابتليتهم بها لتبين الذى يضل عن الحق بعبادته اياه والذى يهتدى بتركه عبادته وأضاف اضلالهم وهدايتهم الى الله اذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جل ثناؤه وبنحو ما قلنا فى الفتنة قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية ان هى الا فتنتك قال بليتك قال ثنا حبويه الرازى عن يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير الا فتنتك الا بليتك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا ابن جعفر عن الربيع بن أنس ان هى الا فتنتك قال بليتك قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ان هو الا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمن تشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هى الا فتنتك أنت فتنتهم وقوله أنت ولينا يقول أنت ناصرنا فاغفر لنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بترك عقابنا علينا وارحمنا تعطف علينا برحمتك وأنت خير الغافرين يقول خير من صفح عن جرم وستر على ذنب * القول فى تأويل قوله ﴿واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه واكتب لنا أى اجعلنا ممن كتبت له فى هذه الدنيا حسنة وهى الصالحات من الاعمال وفى الآخرة ممن كتبت له المغفرة لذنوبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة قال مغفرة وقوله انا هدنا اليك يقول انا تبنا اليك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير وقال عمران عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال تبنا اليك قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال تبنا اليك قال ثنا عبد الله بن بكر عن حاتم بن أبى مغيرة عن سماك أن ابن عباس قال فى هذه الآية انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أحسبه عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى

الرؤية ان هى الا فتنتك الضمير يعود الى الفتنة أى كما تقول ان هو الا زيد وان هى الا هند قاله الواحدى ولعله يعود الى مقدر ذهنى والمعنى أن الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاءك ومحنتك حين كلمتنى وسمعوا كلامك أو حين أسمعتهم صوت العجل تضل بها من تشاء فيفتتن وتهدى من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة فى الآية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكانه أضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام أو الضمير يعود الى الرجفة أى تضل عن الجنة بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة أو لعدم الايمان بأنها من عندك من تشاء وتهدى الى الجنة بها لأضدادها قلنا من تشاء أو المراد بالاضلال الاهلاك أى تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء أنت ولينا يفيد الحصر أى لا ولى لنا ولا ناصر الا أنت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر أن قوله ان هى الا فتنتك جراءة عظيمة فأشرك نفسه مع قومه فى طلب المغفرة والرحمة وأنت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب أوجب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة تطيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقد فسرناها فى سورة البقرة واعلم أن كونه تعالى وليا للعبد يناسبه أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه والهيته وأيضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثانى وهو قوله انا هدنا اليك قال أهل اللغة الهود التوبة أى تبنا ورجعنا وقد تم بذكر السببين عهد عز الربوبية وعهد ذل العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب المحاب الحسنة فى الدارين قال الله تعالى فى جواب موسى عذابى من حاله وصفته كلها أنى أصيب به من أشاء اذ ليس لاحد على اعتراض فى ملكى وقالت المعتزلة أى من وجب على فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى العفو عنه مصلحة لكونه مفسدة وقرأ الحسن من أساء من الاساءة ورحمتى من شأنها أنها وسعت كل شئ قالت الاشاعرة هذا من العام الذى أريد به الخاص

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اناهدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا عبد الرحمن بن الاصبهانى عن سعيد ابن جبير فى قوله اناهدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح قالا ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن الاصبهانى عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال تبنا اليك قال ثنا محمد بن يزيد عن العوام عن ابراهيم التيمى قال تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمى مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اناهدنا اليك أى انا تبنا اليك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله هدنا اليك قال تبنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اناهدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اناهدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا أبى عن أبى جعير عن الضحاك قال تبنا اليك قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال تبنا اليك وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فذكر مثله قال ثنا أبى وعبيد الله عن شريك عن جابر عن مجاهد قال تبنا اليك قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن على عليه السلام قال انما سميت اليهود لانهم قالوا هدنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس اناهدنا اليك يعنى تبنا اليك حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو قال سمعت رجلا يسأل سعيدا هدنا اليك قال انا تبنا اليك وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته

﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى هذا الذى أصبت به قومك من الرجفة عذابى أصيب به من أشاء من خلقى كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم من قومك ورحمتى وسعت كل شئ يقول ورحمتى عمت خلقى كلهم وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم مخرجه عام ومعناه خاص والمراد به ورحمتى وسعت المؤمنين بى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستشهد بالذى بعده من الكلام وهو قوله فسأكتبها للذين يتقون الآية ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو سلمة المنقرى قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال جعلها الله لهذه الامة حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال قال سفيان قال أبو بكر الهذلى فلما نزلت ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس أنا من الشئ فنزعها الله من ابليس قال فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فقال اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآية

وقال أكثر المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته وأما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فسأكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير (٥٥) ولاحي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هنالك ألم فله أعواض كثيرة واعلم أن تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فسأكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف الفعلي اما المالي وهو قوله ويؤتون الزكاة واما غيره وذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى آخره ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم أفردها بالذكر قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون أحد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر الآخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا الثالثة كونه أميا قال الزجاج معناه انه على صفة أمة العرب قال صلى الله عليه وآله انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام أي انه على هيئته يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وبيانه من وجوه الاول أنه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد أخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل

كلها قال فنزعها الله من ابليس ومن اليهود وجعلها لهذه الامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت ورحمتي وسعت كل شئ قال ابليس أنا من كل شئ قال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الآية فقالت اليهود ونحن نتقي ونؤتي الزكاة فأنزل الله الذين يتبعون الرسول النبي الامي قال نزعها الله عن ابليس وعن اليهود وجعلها لأمة محمد سأكتبها للذين يتقون من قومك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فقال ابليس أنا من ذلك الشئ فأنزل الله فسأكتبها للذين يتقون معاصي الله والذين هم بآياتنا يؤمنون فتمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا وثيقا بينا فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي فهو نبيكم كان أميا لا يكتب صلى الله عليه وسلم **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا خالد الحذاء عن أنيس بن أبي العريان عن ابن عباس في قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها فقال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى قوله الرسول النبي الامي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية وعبد الاعلى عن خالد عن أنيس بن أبي العريان قال عبد الاعلى عن أنيس بن أبي العريان وقال قال ابن عباس واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها موسى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها الى آخر الآية **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال كان الله كتب في الالواح ذكر محمد وذكر أمته وما دخر لهم عنده وما يسر عليهم في دينهم وما وسع عليهم فيما أحل لهم فقال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون يعني الشرك الآية * وقال آخرون بل ذلك على العموم في الدنيا وعلى الخصوص في الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله ورحمتي وسعت كل شئ قالا وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة وقال آخرون هي على العموم وهي التوبة ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك فقال سأل موسى هذا فقال الله عذابي أصيب به من أشاء العذاب الذي ذكر ورحمتي التوبة وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال فرحمته التوبة التي سأل موسى عليه السلام كتبها الله لنا وأما قوله فسأكتبها للذين يتقون فانه يقول فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شئ ومعنى أكتب في هذا الموضع أكتب في اللوح الذي كتب فيه التوراة الذين يتقون يقول للقوم الذين يخافون الله ويحذرون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه فيؤدون فرائضه ويجتنبون معاصيه وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه فقال بعضهم هو الشرك ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون يعني الشرك وقال آخرون بل هو المعاصي كلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسأكتبها للذين يتقون معاصي

خطبة ثم أعادها فانه لا بد أن يزيد فيها وينقص فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار منهما بأنه طالع كتب الاولين ولما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف أنه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذ الارتياب المبطلون الثالث أن تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط

مشكلا عليه ثم ان الله تعالى آتاه علوم الاولين والآخرين ومالم يصل اليه أحد من العالمين فالجمع بين هاتين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الضمير فى يجدون للذين يتبعونه من بنى اسرائيل ثم ان كان المراد أسلافهم فالوجه أن يراد

بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته فى التوراة اذ لا يمكن أن يتبعوه فى شرائعه فيما بعثه الى الخلق و يكون المراد من قوله والانجيل أنهم يجدون نعته مكتوبا عندهم فى الانجيل فمن المحال أن يجدوه فى الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بنى اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالدلائل فى زمن موسى واتبع نبى آخر الزمان فى شرائعه وفى هذا دليل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب فى التوراة والانجيل والا كان ذكر هذا الكلام من أعظم القوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعى فلا يركبه عاقل فلما أصر على ذلك دل على أن الامر فى نفسه كذلك الخامسة والسادسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى آل عمران ومجامع ذلك محصورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا و برهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل أى ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعنى الاشياء التى حكم الله تعالى بحلها وزيف بأنه يجرى مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات وهو تكرار ويمكن أن يجاب بأن المراد و يبين لهم المحللات وفائدة العدول أن يعلم أن كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل فى كل ما تستطيبه النفس و يستلذه الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل يعنى ما يحرم عليه من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل كل ما يستخبث

الله وأما الزكاة وايتاؤها فقد بينا صفتها فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد ذكر عن ابن عباس فى هذا الموضع أنه قال فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس و يؤتون الزكاة قال يطيعون الله ورسوله فكان ابن عباس تأول ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكى النفس و يطهرها من صالحات الاعمال وأما قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يقول وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدقون و يقرون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل﴾ وهذا القول ابانة من الله جل ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التى وصفها جل ثناؤه بقوله ورحمتى وسعت كل شئ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة أعنى الامى غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و بذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن ابن عباس قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال موسى عليه السلام لينبى خلقت فى أمة محمد حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن شهر بن حوشب عن نوف الحميرى قال لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه قال الله لموسى أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا وأجعل السكينة معكم فى بيوتكم وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى لقومه ان الله قد يجعل لكم الارض طهورا ومسجدا قالوا لا نريد أن نصلى الا فى الكنائس قال و يجعل السكينة معكم فى بيوتكم قالوا لا نريد الا أن تكون كما كانت فى التابوت قال و يجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهور قلوبكم و يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير قالوا لا نريد أن نقرأها الا نظرا فقال الله فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة الى قوله أولئك هم المفلحون حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن نوف البكالى قال لما انطلق موسى بوفد بنى اسرائيل كلمه الله فقال انى قد بسطت لهم الارض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة الا عند مرحاض أو قبر أو حمام وجعلت السكينة فى قلوبهم وجعلتهم يقرؤن التوراة عن ظهر ألسنتهم قال فذكر ذلك موسى لبنى اسرائيل فقالوا لا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا فاجعلها لنا فى تابوت ولا نقرأ التوراة الا نظرا ولا نصلى الا فى الكنيسة فقال الله فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة حتى بلغ أولئك هم المفلحون قال فقال موسى عليه السلام يارب اجعلنى نبيهم قال نبيهم منهم قال رب اجعلنى منهم قال لن تدركهم قال يارب أتيتك بوفد بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال نوف البكالى فاحمدوا الله الذى حفظ غيبتكم وأخذ لكم بسهمكم وجعل وفادة بنى اسرائيل لكم حدثنا محمد ابن

الطبع فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس فى صحة التوبة وكذا الاغلال التى كانت عليهم مثل لما فى شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب (٥٧) واحراق الغنائم وتحريم العروق فى اللحم

ابن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن يحيى بن أبى كثير عن نوف البكالى بنحوه الا أنه قال فانى أنزل عليكم التوراة تقرؤنها عن ظهر ألسنتكم رجالكم ونساؤكم وصبيانكم قالوا لا نصلى الا فى كنيسة ثم ذكر سائر الحديث نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فسأكتبها للذين يتقون قال هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما قيل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون تمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا بينا وثيقا فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب وقد بينا معنى الامى فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فان الهاء فى قوله يجدونه عائدة على الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم كالذى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى هذا محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنى** ابن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فنفتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا الا أن كعبا قال بلغته قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا **حدثنى** أبو كريب قال ثنا موسى ابن داود قال ثنا فليح بن سليمان عن هلال بن على قال ثنى عطاء قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فذكر نحوه الا أنه قال فى كلام كعب أعينا عموما وآذانا صموما وقلوبا غلوفا قال ثنا موسى قال ثنا عبد العزيز بن سلمة عن هلال بن على عن عطاء بن يسار عن عبد الله بنحوه وليس فيه كلام كعب **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله الذى يجدونه مكتوبا عندهم يقول يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم﴾ يقول تعالى ذكره يأمر هذا النبى الامى أتباعه بالمعروف وهو الايمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى فذلك المعروف الذى يأمرهم به وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله والانتهاء عما نهاهم الله عنه وقوله ويحل لهم الطيبات وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ويحرم عليهم الخبائث وذلك لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التى حرمها الله كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويحرم عليهم الخبائث وهو لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التى حرمها الله وأما قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فان

جعلها الله تعالى أغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم ورب ما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفى الآية دلالة على أن الاصل فى المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا أصل عظيم فى هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع أكد الايمان به بقوله فالذين آمنوا به قال ابن عباس يعنى من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال فى الكشاف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كبير واتبعوا النور الذى أنزل معه وهو القرآن أى أنزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن أو يتعلق باتبعوا أى اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما اتبعه النبى مصاحبين له فى اتباعه أولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب فى الدارين اعلم أنه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين أن من شروط نزول الرحمة لأولئك المتقين

كونهم متبعين لرسول آخر الزمان ثم أراد أن يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على أن محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية أتباع عيسى الاصفهانى زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة

وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه أنه كان يدعى عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضى القدح فى كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وأيضا يمكن وجود قوم فى طرف من أطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب أن رفع القلم عن الاصناف الثلاثة أيضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الآية وان دلت على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على أن غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى أرسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم وختم بى النبيون وردبأن مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبأن آدم بعث الى كل أولاده فى ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد أنه خاتم النبيين وحده وفى رواية أخرى وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم أن يكون كل واحد منها كذلك وأيضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانها عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقرب انتم لما أمر رسول الله بأن يقول للناس انى رسول الله اليكم أتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وأنها لا تتم الا بتقرير أصول أربعة أولها اثبات أن للعالم الها حيا عالما قادرا وأشار اليه بقوله الذى

أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم يعنى بالاصر العهد والميثاق الذى كان أخذه على بنى اسرائيل بالعمل بما فى التوراة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم قال عهدهم قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال عهدهم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن على قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن ويضع عنهم اصرهم قال العهود التى أعطوها من أنفسهم قال ثنا ابن نمير عن موسى بن قيس عن مجاهد ويضع عنهم اصرهم قال عهدهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم يقول يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التى أخذت عليهم فى التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم يقول يضع ذلك عنهم وقال بعضهم عنى بذلك أنه يضع عمن اتبع نبى الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذى كان على بنى اسرائيل فى دينهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فجاء محمد صلى الله عليه وسلم باقالة منه وتجاوز عنه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ويضع عنهم اصرهم قال البول ونحوه مما غلظ على بنى اسرائيل قال ثنا الحمانى قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال شدة العمل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم قال من اتبع محمدا ودينه من أهل الكتاب وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد فى دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين قال قال أبو هريرة لابن عباس ما علمنا فى الدين من حرج أن نزنى ونسرق قال بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويضع عنهم اصرهم قال اصرهم الذى جعله عليهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الاصر هو العهد وقد بينا ذلك بشواهده فى موضع غير هذا بما فيه الكفاية وأن معنى الكلام ويضع النبى الامى العهد الذى كان الله أخذ على بنى اسرائيل من اقامة التوراة والعمل بما فيها من الاعمال الشديدة كقطع الجلد من البول وتحريم الغنائم ونحو ذلك من الاعمال التى كانت عليهم مفروضة فنسخها حكم القرآن وأما الاغلال التى كانت عليهم فكان ابن زيد يقول بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه فى قوله والاغلال التى كانت عليهم قال الاغلال وقر أغلت أيديهم قال تلك الاغلال قال ودعاهم الى أن يؤمنوا بالنبى فيضع ذلك عنهم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره فالذين صدقوا بالنبى الامى وأقروا بنبوته وعزروه يقول وقروه وعظموه وحموه من الناس كما حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وعزروه يقول حموه ووقروه حدثنى الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنى موسى بن قيس عن مجاهد وعزروه ونصروه قال عزروه

سددوا

له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثرا أو كان له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذى نصب أو رفع على المدح أو جر بدلا أو وصفا لله وثانيها أن اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة أحدهما أولى من عبادة

الآخر وثالثها أنه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كل واحدة منها مبينة لما قبلها واذا ثبتت هذه الاصول الثلاثة ثبت أصل رابع وهو أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف أما بالاصل الاول والثانى فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولاسيما اذا كان فردا منزها (٥٩) عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهى وأما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه أجرا ممتنع وأشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الأمية لانها أجل الاوصاف وأدلها على حقيته وذلك أنه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم والتحقيق وأظهر عليه هذا القرآن الذى اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس ذلك الا بتأييد سماوى وفيض الهى ثم وصفه بقوله الذى يؤمن بالله وكلماته لان النبى صلى الله عليه وآله يجب أن يكون ممن آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله الى رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن أن يجرى عليه الصفات المذكورة ولما فى طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم أن الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم أن الكمالات اما نظرية وأشار اليها بقوله فآمنوا بالله واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه أو الاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من أقواله والثانية اشارة الى المستفادة من أفعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلابد أن يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا أن يدل دليل منفصل على أن ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجى فى لعلكم تهتدون قد مر فى نظائره لاسيما فى أول البقرة فى قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وأنه يجب على الخلق

سددوا أمره وأعانوا رسوله ونصروه وقوله ونصروه يقول وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم واتبعوا النور الذى أنزل معه يعنى القرآن والاسلام أولئك هم المفلحون يقول الذين يفعلون هذه الافعال التى وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فانقموا يعنى اليهود الا أن حسدوا نبى الله فقال الله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذى أنزل معه يريد قتادة بقوله فانقموا الا أن حسدوا نبى الله أن اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاءه به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه لانه جاء بوضع الاصر والاغلال عنهم فحملهم الحسد على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس كلهم انى رسول الله اليكم جميعا الى بعضكم دون بعض كما كان من قبلى من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالتى ليست الى بعضكم دون بعض ولكنها الى جميعكم وقوله الذى من نعت اسم الله وانما معنى الكلام قل يا أيها الناس انى رسول الله الذى له ملك السموات والارض اليكم ويعنى جل ثناؤه بقوله الذى له ملك السموات والارض الذى له سلطان السموات والارض ومافيهما وتدبيرذلك وتصريفه لا اله الا هو يقول لا ينبغى أن تكون الألوهة والعبادة الا له جل ثناؤه دون سائر الاشياء غيره من الانداد والاوثان الا لمن له سلطان كل شئ والقادر على انشاء خلق كل ماشاء واحيائه وافنائه اذا شاء اماتته فآمنوا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه قل لهم فصدقوا بآيات الله الذى هذه صفته وأقروا بوحدانيته وانه الذى له الالوهة والعبادة وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه مبعوث الى خلقه داع الى توحيده وطاعته ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ أما قوله النبى الامى فانه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينت معنى النبى فيما مضى بما أغنى عن اعادته ومعنى قوله الامى الذى يؤمن بالله يقول الذى يصدق بالله وكلماته ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وكلماته فقال بعضهم معناه وآياته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذى يؤمن بالله وكلماته يقول آياته وقال آخرون بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله الذى يؤمن بالله وكلماته قال عيسى بن مريم وحدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الذى يؤمن بالله وكلماته فهو عيسى بن مريم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته ولم يخصص الخبر جل ثناؤه عن ايمانه من كلمات الله ببعض دون بعض بل أخبرهم عن جميع الكلمات فالحق فى ذلك أن يعم القول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاءه به ظاهر كتاب الله وأما قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فاهتدوا به أيها

متابعته ذكر أن فى قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق أى يهدون الناس بكلمة الحق وبه أى بالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون وهذه الآية متى حصلت وفى أى زمان كانت اختلف المفسرون فى ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد (٦٠) الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الأمة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن كما أطلق على الواحد فى قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز أن يكونوا أقاموا على ذلك الى أن جاء المسيح فدخلوا فى دينه ويجوز أن يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدى وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على أن خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع أن خبر هذه الشريعة طار فى كل أفق وتغلغل فى كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبرائيل ذهب به صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرائيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى فآمنوا به وقالوا يارسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليه السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت ولا فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت والله أعلم ﴿التأويل﴾ واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذى اختاره الله كان مثل موسى وأنا اخترتك

الناس واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق فى اتباعكم اياه * القول فى تأويل قوله ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن قوم موسى يعنى بنى اسرائيل أمة يقول جماعة يهدون بالحق يقول يهتدون بالحق أى يستقيمون عليه ويعملون وبه يعدلون أى وبالحق يعطون ويأخذون وينصفون من أنفسهم فلا يجورون وقد قال فى صفة هذه الامة التى ذكرها الله فى الآية جماعة أقوالا نحن ذاكروما حضرنا منها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صدقة أبى الهذيل عن السدى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد (٣) حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال بلغنى أن بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ووعد الآخرة عيسى بن مريم يخرجون معه قال ابن جريج قال ابن عباس سار وا فى السرب سنة ونصفا * القول فى تأويل قوله ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما﴾ يقول تعالى ذكره فرقناهم يعنى قوم موسى من بنى اسرائيل فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى اثنتى عشرة قبيلة وقد بينا معنى الاسباط فيما مضى ومن هم واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث الاثنتى عشرة والاسباط جمع مذكر فقال بعض نحويى البصرة أراد اثنتى عشرة فرقة ثم أخبر أن الفرق أسباط ولم يجعل العدد على أسباط وكان بعضهم يستحكى على هذا التأويل ويقول لا يخرج العدد على عين الثانى ولكن الفرق قبل الاثنتى عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها ويكون الكلام وقطعناهم فرقا اثنتى عشرة أسباطا فيصح التأنيث لما تقدم وقال بعض نحويى الكوفة انما قال اثنتى عشرة بالتأنيث والسبط مذكر لان الكلام ذهب الى الامم فغلب التأنيث وان كان السبط ذكرا وهو مثل قول الشاعر

وان كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

ذهب بالبطن الى القبيلة والفصيلة فلذلك جمع البطن بالتأنيث وكان آخرون من نحويى الكوفة يقولون انما أنثت الاثنتا عشرة والسبط ذكر لذكر الامم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن الاثنتى عشرة أنثت لتأنيث القطعة ومعنى الكلام وقطعناهم قطعا اثنتى عشرة ثم ترجم عن القطع بالاسباط وغير جائز أن تكون الاسباط مفسرة عن الاثنتى عشرة وهى جمع لان التفسير فيما فوق العشر الى العشرين بالتوحيد لا بالجمع والاسباط جمع لا واحد ذلك كقولهم عندى اثنتا عشرة امرأة

---

(٣) قوله نهر من شهد كذا بالاصل وابن كثير وفى الدر نهر من سهل أى من رمل يجرى وفى روح المعانى بينكم وبينهم نهر من رمل يجرى وقال ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سندا يعول عليه الى آخر ما قال كتبه مصححه

الذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي أن قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصا بالاصطفاء بالرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب أرنى أنظر اليك فقدم عزة ربوبية وأظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فأخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلى صفة الربوبية وصعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلى الله عليه وسلم فسأكتبها يعني حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نصاب هذا المقام الزكاة الى طلابه والذين هم بأنوار شواهد الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى أن في أمته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلاثة ومعنى الأمي أنه أم الموجودات وأصل المكونات كما قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فأما اتباعه في مقام الرسالة فبأن تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة

لا يقال عندي اثنتا عشرة نسوة ففي ذلك أن الاسباط ليست بتفسير للاثنتي عشرة وان القول بذلك على ما قلنا وأما الامم فالجماعات والسبط في بني اسرائيل نحو القرن وقيل انما فرقوا أسباطا لاختلافهم في دينهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى اذ فرقنا بني اسرائيل قومه اثنتي عشرة فرقة وتيهناهم في التيه واستسقوا موسى من العطش وغور الماء أن اضرب بعصاك الحجر وقد بينا السبب الذي كان قومه استسقوه وبينا معنى الوحي بشواهده فانبجست فانصبت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينا قد علم الماء كل أناس يعني كل أناس من الاسباط الاثنتي عشرة مشربهم لا يدخل سبط في غيره في شربه وظللنا عليهم الغمام يكنهم من حر الشمس وأذاها وقد بينا معنى الغمام فيما مضى قبل وكذلك المن والسلوى وأنزلنا عليهم المن والسلوى طعاما لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيبناه لكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فأجمعوا ذلك فقالوا لن نصبر على طعام واحد فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وما ظلمونا يقول وما أدخلوا بما فعلوا من ذلك على أنفسهم ملكنا وسلطاننا بما سألتهم ما سألوا وفعلهم ما فعلوا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير والارذل بالافضل ۞ القول في تأويل قوله ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد من خطأ فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم اسكنوا هذه القرية وهي قرية بيت المقدس فكلوا منها يقول من ثمارها وحبوبها ونباتها حيث شئتم منها يقول أني شئتم منها وقولوا حطة يقول وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا نغفر لكم يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم فيعفو لكم عنها فلا يؤاخذكم بها سنزيد المحسنين منكم وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول الذي لا ينافيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول فقالوا وقد قيل لهم قولوا هذه حطة حنطة في شعيرة فبدلهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه يقول الله تعالى فأرسلنا عليهم رجزا من السماء عذابا أهلكناهم بما كانوا يغيرون ما يؤمرون به فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله وقد بينا معنى الرجز فيما مضى ۞ القول في تأويل قوله ﴿واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره واسأل يا محمد هؤلاء

الظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن أدى حقوق الرسالة في الظاهر يفتح له ببركة ذلك أحوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف وربما يؤل حاله الى أن يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال

كما قال صلى الله عليه وآله علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل وأما اتباعه فى مقام أمتيته فذلك لأخص الخواص وذلك أنه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحى أنزل فى مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم اختطف بانوار الهوية عن أنانيته الى أو أدنى وهو مقام الوحدة كما قال (٦٢) قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير فى متابعته من مقام البشرية الى أن بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة أنزل فى مقام التوحيد ثم اختطف بأنوار المتابعة عن أنانيته الى مقام الوحدة فقد حظى من مقام أمتيته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده فى مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ماسواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم أى العهد الذى بين الله وبين حبيبه أن لا يوصل أحدا الى مقام أمتيته الا أمته وأهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة وأغلال بمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته وأشار الى هذه المعانى بقوله فالذين آمنوا به وعزروه وقروه باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذى أنزل معه له ملك سموات القلوب وأرض النفوس لا مدبر فيهما غيره يحيى قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكاماته هى ما أوحى اليه ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق يعنى خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون فى الحكم بين العوام فشتان بين أمة غايتهم القصوى هى هداية الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فأجيب بلن ترانى وبين أمة أمية بلغوا بجذبات أنوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا أمة أميين وقال فى حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق فلهذا دعا موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من

اليهود وهم مجاورون عن أمر القرية التى كانت حاضرة البحر يقول كانت بحضرة البحر أى بقرب البحر وعلى شاطئه واختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم هى أيلة ذكر من قال ذلك حدثنى ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال هى قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير فى قوله واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال سمعنا أنها أيلة حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى الله فداك فقال ويلك وتعرف القرية التى كانت حاضرة البحر فقلت تلك أيلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة قال هى أيلة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هى قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال هى أيلة القرية التى كانت حاضرة البحر حدثنى الحرث قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال أيلة وقال آخرون معناه ساحل مدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة وقال آخرون هى مقنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر قال هى قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينونى وقال آخرون هى مدين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال هى قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين * والصواب من القول فى ذلك أن يقال هى قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون أيلة وجائز أن تكون مدين وجائز أن تكون مقنا لان كل ذلك حاضرة البحر ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أى والاختلاف فيه على ما وصفت ولا يوصل الى علم ما قد كان مضى مما لم نعاينه الا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك فى ذلك وقوله اذ يعدون فى السبت يعنى به أهله اذ يعتدون فى السبت أمر الله ويتجاوزونه الى ما حرمه الله عليهم يقال منه عدا فلان أمرى واعتدى اذا تجاوزه وكان اعتداؤهم فى السبت أن الله كان حرم عليهم السبت فكانوا يصطادون فيه السمك اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذى نهوا فيه عن العمل شرعا يقول شارعة ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية كشوارع الطرق كالذى حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعد عن ابن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول ظاهرة على الماء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس شرعا يقول من كل مكان وقوله ويوم لا يسبتون يقول ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت وذلك سائر الايام غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون يقول كما وصفنا لك

محمد صلى الله عليه وسلم شوقا الى لقاء ربه فافهم جدا ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب
بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث (٦٣) شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا

من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا باظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده
واخفائها عنهم فى اليوم المحلل صيده كذلك نبلوهم ونختبرهم بما كانوا يفسقون يقول بفسقهم عن
طاعة الله وخروجهم عنها واختلفت القراء فى قراءة قوله ويوم لا يسبتون فقرئ بفتح الياء من يسبتون
من قول القائل سبت فلان يسبت سبتا وسبوتا اذا عظم السبت وذكر عن الحسن البصرى أنه كان
يقرؤه ويوم لا يسبتون بضم الياء من أسبت القوم يسبتون اذا دخلوا فى السبت كما يقال أجمعنا مرت
بنا جمعة وأشهرنا مر بنا شهر وأسبتنا مر بنا سبت ونصب يوم من قوله ويوم لا يسبتون بقوله لا تأتيهم
لان معنى الكلام لا تأتيهم يوم لا يسبتون ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد اذ قالت أمة منهم جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين
فى السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه لم تعظون قوما الله مهلكهم فى الدنيا بمعصيتهم اياه وخلافهم
أمره واستحلالهم ما حرم عليهم أو معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة قال الذين كانوا ينهونهم عن
معصية الله مجيبيهم عن قولهم عظتنا اياهم معذرة الى ربكم نؤدى فرضه علينا فى الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر ولعلهم يتقون يقول ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه فينيبوا الى طاعته ويتوبوا من
معصيتهم اياه وتعديهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم فى السبت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا أعمالهم
ولعلهم يتقون أى ينزعون عما هم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله ولعلهم يتقون قال يتركون هذا العمل الذى هم عليه واختلفت القراء فى قراءة قوله قالوا
معذرة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة معذرة بالرفع على ما وصفت من معناها وقرأ
ذلك بعض أهل الكوفة معذرة نصبا بمعنى اعذارا وعظناهم وفعلنا ذلك واختلف أهل العلم
فى هذه الفرقة التى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم هل كانت من الناجية أم من الهالكة
فقال بعضهم كانت من الناجية لانها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء فى السبت
ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن
ابن عباس قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هى قرية
على شاطئ البحر بين مكة والمدينة يقال لها أيلة حرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم فكانت
الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا فى ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فكانوا
بذلك ما شاء الله ثم ان طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد
حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك
عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم
وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون وكل قد كانوا ينهون
فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة
الى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير حدثنى محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى

نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى
قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من
السماء بما كانوا يظلمون واسألهم
عن القرية التى كانت حاضرة البحر
اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم
حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم
لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون واذ قالت أمة
منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا
ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون
عن السوء وأخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك
ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب ان ربك
لسريع العقاب وانه لغفور رحيم
وقطعناهم فى الارض أمما منهم
الصالحون ومنهم دون ذلك
وبلوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم
خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا
يقولوا على الله الا الحق ودرسوا
ما فيه والدار الآخرة خير للذين
يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون
بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع
أجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم
كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا

ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ القرا آت تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب
والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم جموعا جمع التكسير أبو عمرو خطيئتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا
جمع السلامة أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذى يليق بجمع سلامة المؤنث يسبتون من الاسبات

كانت حاضرة البحر الى قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كذا
تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم يقول اذا كان يوم يسبتون تأتيهم شرعا يعنى من كل مكان ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم وانهم قالوا لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجىء مما يكفينا فيما سوى ذلك من الايام فوعظتهم
قوم مؤمنون ونهوهم وقالت طائفة من المؤمنين ان هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه وانا
مخبرهم ومعذبهم عذابا شديدا قال المؤمنون بعضهم لبعض معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ان كانوا
هلاك فلعلنا ننجو واما أن ينتهوا فيكون لنا أجرا وقد كان الله جعل على بنى اسرائيل يوما يعبدون
و يتفرغون له فيه وهو يوم الاثنين فتعدى الخبثاء من الاثنين الى السبت وقالوا هو يوم السبت
فنهاهم موسى فاختلفوا فيه فجعل عليهم السبت ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه وان رجلا
منهم ذهب ليحتطب فأخذه موسى عليه السلام فسأله هل أمرك بهذا أحد فلم يجد أحدا أمره
فرجمه أصحابه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال بعض الذين
نهوهم لبعض لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظونهم وقد وعظتموهم
فلم يطيعوكم فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن
هانئ قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال ما أدرى أنجا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا قال
فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة حدثنى المثنى قال ثنا حماد عن داود عن
عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية فذكر نحوه الا أنه قال فى حديثه فما زلت أبصره حتى عرف
أنهم قد نجوا حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى قال ثنا ابن
جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى
الله فداءك قال فقرأ واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله بما كانوا يفسقون
قال ابن عباس لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت تخاف أن نكون مثلهم فقلت أما تسمع الله يقول فلما
عتوا عما نهوا عنه فسرى عنه وكساني حلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا ابن جريج قال ثنى رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكى واذا المصحف فى
حجره فأعظمت أن أدنو منه فلم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلنى
الله فداءك فقال هؤلاء الورقات قال واذا هو فى سورة الاعراف قال تعرف أيلة قلت نعم قال
فانه كان بها حى من يهود سبقت الحيتان اليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا
بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض تنتطح ظهورها
لبطونها بافنيتهم وأبنيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم ان الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتم
عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها فى غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة
منهم بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها فى يوم السبت وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة
فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة
ذات اليسار وسكتت وقال الا يمنون الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله وقال الأيسرون
لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الا يمنون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون

زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل رئم أبو جعفر ونافع بيس على فيعل كسيد ابن عامر بيئس على فيعل
بفتح العين الاعشى والبرجمى الباقون بئيس على فعيل تأذن بالتليين الاصفهانى عن ورش والشمونى وحمزة فى الوقف تعقلون بالخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان
وسهل و يعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يسكون من الامر أبو بكر وحماد والآخرون بالتشديد ۞ الوقوف أيما ط وان اتفقت الجملتان لان أوحينا
عامل اذ استسقاه دون قطعنا فان تفريق الاسباط لم يكن فى زمان الاستسقاء الحجر ط للحذف مع اتحاد الكلام أى فضرب فانبجست
عينا ط مشربهم ط والسلوى ط ما رزقناكم ط لحذف جمل أى فقلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا ط يظلمون ○
خطيئاتكم ط المحسنين ○ يظلمون ○ البحر لا كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسألهم فانه محال لا تأتيهم ج لاحتمال تعلق
كذلك به أى يوم لا يسبتون لا تأتيهم اتيانا كاتيانهم يوم السبت والاصح أن كذلك صفة مصدر محذوف أى
نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز أيضا يفسقون ○ قوما لالان الجملة بعده صفته شديدا ط
يتقون ○ يفسقون ○ خاسئين ○ العذاب ط رحيم ○ وأما ج لاحتمال كون ما بعده
صفة أو مستأنفا دون ذلك ز للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للامم كان عطف مع
عارض يرجعون ○ سغفر لنا ج يأخذوه ط ما فيه ط يتقون
○ تعقلون ○ الصلاة ص على تقدير حذف أى لا نضيع أجرهم اذ هم المصلحون ولا نضيع
أجر المصلحين ○ وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير أى انا لا نضيع أجرهم المصلحين واقع بهم ط لحق المحذوف تتقون ○ أى

﴿التفسير﴾ انه سبحانه ختم قصة بنى اسرائيل بتعداد جمل من أحوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم أى صيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا
بعضهم من بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط أولادا لاولاد جمع سبط وأصله من السبط بت يعتلفه الابل

كان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو أن تمييز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثنى عشر سبطا وأجيب بأن كل قبيلة أسباط لاسبط فوضع أسباطا موضع قبيلة كقوله

* بين رماحى مالك ونهشل *

ولهذا أنث اثنتى عشرة وقال الزجاج المميز محذوف وأسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتى عشرة فرقة أسباطا وقال الفارسى والجوهرى أسباطا بدل من اثنتى عشرة والمميز كما قال الزجاج وقوله أمما بدل من اثنتى عشرة لان كل أسباط كانت جماعة كثيرة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقى الآية الى قوله عما كانوا يظلمون قدمر تفسيره فى البقرة وكذا بيان المتشابهات فلنذكر النوع الآخر من أحوالهم قوله تعالى واسئلهم عن القرية أى عن أهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقرير ما كانوا قد أقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلم أن لهم سابقة فى ذلك وليس كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أول منا كيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير أنه محيط بتلك القصة وفيه أنه اذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحى فيكون معجزا والاكثرون على أن تلك القرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو

أى ينتهون فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فعذرة الى ربكم فضوا على الخطيئة فقال الآيسون قد فعلتم يا أعداء الله والله لا نبايتنكم الليلة فى مدينتكم والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب وناداوا فلم يجابوا فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت اليهم فقال أى عباد الله قردة والله تعاوى لها أذناب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القرود تأتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فتقول لهم ألم ننهكم عن كذا فتقول برأسها نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها قال قلت اى جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم قد ذكروا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم قال فأمر بى فكسيت بردين غليظين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ذكر لنا أنه اذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان حتى تنتطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمر الله فى الماء فاذا كان فى غير يوم السبت بعدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم فأتاهم الشيطان فقال انما حرم عليكم أكلها يوم السبت فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فصار القوم ثلاثة أصناف أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع فى الخطيئة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله حاضرة البحر قال حرمت عليهم الحيتان يوم السبت وكانت تأتيهم يوم السبت شرعا بلاء ابتلوا به ولا تأتيهم فى غيره الا أن يطلبوها بلاء أيضا بما كانوا يفسقون فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية فقال الله لهم كونوا قردة خاسئين الا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم فقال بعضهم لبعض لم تعظون قوما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم حتى بلغ ولعلهم يتقون لعلهم يتركون ما هم عليه قال كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم وكانوا يسبتون فى يوم السبت ولا يعملون فيه شيأ فاذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرعا واذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد قال وكانوا قوما قد قرموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاء فأخذ رجل منهم حوتا فربط فى ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة ثم تركه فى الماء حتى اذا غربت الشمس من يوم الاحد اجتره بالخيط ثم شواه فوجد جاره ريح حوت فقال يا فلان انى أجد فى بيتك ريح نون فقال لا قال فتطلع فى تنوره فاذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر فقال انى أرى الله سيعذبك قال فلما لم ير عجل عذابا فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربطهما ثم اطلع جاره عليه فلما رآه لم يعجل عذابا جعلوا يصيدونه فاطلع أهل القرية عليهم فنهاهم الذين ينهون عن المنكر فكانوا فرقتين فرقة تنهاهم وتكف وفرقة تنهاهم ولا تكف فقال الذين نهوا وكفوا للذين ينهون ولا يكفون لم تعظون قوما الله مهلكهم

(٩ - ابن جرير - تاسع)

اصطيادهم فى يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال أى واسئلهم عن وقت عدوانهم قال فى الكشاف ويجوز أن يكون منصوبا بحاضرة أو بكانت بناء على أن كان الناقصة تعمل فى غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر فى وقت العدوان لانها حاضرته فى جميع الاحيان

وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون أو مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شئ دان من شئ فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اذا دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها ومجاهد ان اليهود أمروا باليوم الذى أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقى القصة مذكور فى البقرة وفيها دلالة على أن من أطاع الله تعالى خفف عليه أهوال الدنيا والآخرة ومن عصاه ابتلاه بأنواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب أن لا يكثر الحيتان فى ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر أسباب الشرور والنوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب أمة منهم جماعة من صلحاء أهل القرية الذين بالغوا فى موعظتهم حتى آيسوا الآخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مدمرهم أو معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بأن عاقبة المعصية شؤم والمنهمك فى الفساد لا يكاد يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه أو موعظتنا أو قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة أو وعظناهم معذرة الى ربكم أى اذا طولبنا باقامة النهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو أن يتقوا بعض الاتقاء فيتركوا الصيد فى السبت فلما

أو معذبهم عذابا شديدا فقال الآخرون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فقال الله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء الى قوله بما كانوا يفسقون قال الله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقال لهم أهل تلك القرية علمتم بعمل سوء من كان يريد يعتزل و يتطهر فليعتزل هؤلاء قال فاعتزل هؤلاء وهؤلاء فى مدينتهم وضربوا بينهم سورا فجعلوا فى ذلك السور أبوابا يخرج بعضهم الى بعض قال فلما كان الليل طرقهم الله بعذابه فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحدا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة الرجل وأزواجه وأولاده فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون يا فلان ألم نحذرك سطوات الله ألم نحذرك نقمات الله ونحذرك ونحذرك قال فليس الا بكاء قال وانما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك قال وأما الذين نهوا فكلهم قد نهى ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال لا أدرى أنجا القوم أو هلكوا فازلت أبصره حتى عرف أنهم نجوا وكسائى حلة حدثنى يونس قال أخبرنى أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانت تأتيهم يوم السبت فاذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شئ الى السبت فاتخذ لذلك رجل منهم خيطا ووتد فربط حوتا منها فى الماء يوم السبت حتى اذا أمسوا ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فانه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدرى لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد واريحه فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع فقالوا له وما صنعت فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها بض فغلقوها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدا اليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجبهم فتسوروا عليهم فاذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه و يتمسح به وقال آخرون بل الفرقة التى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله شرعا قال قال ابن عباس ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا اذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم ترحتى السبت المقبل فاذا جاء السبت جاءت شرعا فكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا فخرم أنفه ثم ضرب له وتدا فى الساحل وربطه وتركه فى الماء فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاه منهم أحد الا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك فى الاسواق وفعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم فى حفظنا أعمالهم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا

نسوا يعنى أهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد والظاهر أن هذا العذاب غير المسخ المتأخر فى قوله فلما عتوا تكبروا وتمردوا أو أبوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهى عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد أمر

التكوين والايجاد لا أن هنالك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذة قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا أنه بقي ههنا بحث وهو أن أهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة وأما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول أنه لو صح ذلك لكان اللائق أن يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجمع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح أنهم ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون أما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق وأما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة فعن ابن عباس أنه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه أيضا أنهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الآية بكى وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى أشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيأ وعن الحسن أنهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بأن الله سيهلكهم أو يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وأن النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء أو لعلهم كانوا أحرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله

ثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم فأصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم في محالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم فغلقوا عليهم دورهم فجعلوا يقولون ان للناس لشأنا فانظروا ما شأنهم فاطلعوا في دورهم فاذا القوم قد مسخوا في ديارهم قردة يعرفون الرجل بعينه وانه لقرد ويعرفون المرأة بعينها وانها القردة قال الله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء الآية قال ابن عباس نجا الناهون وهلك الفاعلون ولا أدري ما صنع بالساكتين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هم ثلاث فرق الفرقة التي وعظت والموعوظة التي وعظت والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وقال الكلبي هما فرقتان الفرقة التي وعظت والتي قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هي الموعوظة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لأن أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا أحب الي مما عدل به **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال قال ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ماهان الحنفي أبي صالح في قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانوا في المدينة التي على ساحل البحر وكانت الايام ستة الاحد الى الجمعة فوضعت اليهود يوم السبت وسبتوه على أنفسهم فسبته الله عليهم ولم يكن السبت قبل ذلك فوكده الله عليهم وابتلاهم فيه بالحيتان فجعلت تشرع يوم السبت فيتقون أن يصيبوا منها حتى قال رجل منهم والله ما السبت بيوم وكده الله علينا ونحن وكدناه على أنفسنا فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتا من الحيتان فسمع بذلك جاره فخاف العقوبة فهرب من منزله فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا في يوم السبت فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول في يوم السبت واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمور ويلعبون فيه بالمعازف فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم ويحكم انتهوا عما تفعلون ان الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا أفلا تعقلون ولا تعدوا في السبت فأبوا فقال خيارهم نضرب بيننا وبينهم حائطا ففعلوا وكان اذا كان ليلة السبت تأذوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف حتى اذا كانت الليلة التي مسخوا فيها سكنت أصواتهم أول الليل فقال خيارهم ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة فقال بعضهم لعل الخمر غلبتهم فناموا فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسا فقال بعضهم لبعض مالنا لا نسمع من قومكم حسا فقالوا لرجل اصعد الحائط وانظر ما شأنهم فصعد الحائط فرآهم يموج بعضهم في بعض قد مسخوا قردة فقال لقومه تعالوا فانظروا الى قومكم ما لقوا فصعدوا فجعلوا ينظرون الى الرجل فيتوسمون فيه فيقولون أي فلان أنت فلان فيومئ بيده الى صدره أي نعم بما كسبت يداي **حدثني** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أيوب

تعالى أعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان وهو الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكأنه يؤذن النفس بأنه يفعله وأجرى مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فأجيب بجواب القسم أي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على أن لهم

نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المعتدين وألحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين أدركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية أما العذاب فقيل هو أخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى أن بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنضير واذ قد أخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد أن الامر كذلك فهو اذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في أن أتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه أنهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في الارض أمما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق أو الذين هم وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وآمنوا به ومنهم دون ذلك أي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فيجوز أن يكون فيهم بعض الصلاح وان كان أدون من صلاح الاولين الا أن قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على أن المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على أنه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلي المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة والنعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على أن الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف ومدها من بعد أولئك الصلحاء خلف سوء قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثرهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من أبيه بالتسكين وخلف صدق من أبيه بالتحريك قال لبيد ذهب الذين يعاش في أكنافهم

قال تلا الحسن ذات يوم واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون فقال كان حوتا حرمه الله عليهم في يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك فكان يأتيهم في اليوم الذي حرمه الله عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد فلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب الا واقعه قال فجعلوا يهمون ويمسكون حتى اخذوه فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط أثقله خزيا في الدنيا وأشده عقوبة في الآخرة وأيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن أبي موسى عن الحسن قال جاءتهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها المخاض فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط أسوأه عقوبة في الدنيا وأشده عذابا في الآخرة وقال الحسن وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كنت جالسا في المسجد فاذا شيخ قد جاء وجلس الناس اليه فقالوا هذا من أصحاب عبد الله ابن مسعود فقال قال ابن مسعود واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية قال لما حرم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت وتأمن وتجيء فلا يستطيعون أن يمسوها وكان اذا ذهب السبت ذهبت فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس فلما أرادوا أن يعدوا في السبت اصطادوا فنهاهم قوم من صالحيهم فأبوا وكثرهم الفجار فأراد الفجار قتالهم فكان فيهم من لا يشتهون قتاله أبو أحدهم وأخوه أو قريبه فلما نهوهم وأبوا قال الصالحون انا نباينهم وانا نجعل بيننا وبينهم حائطا ففعلوا فلما فقدوا أصواتهم قالوا لو نظرتم الى اخوانكم ما فعلوا فنظروا فاذا هم قد مسخوا قردة يعرفون الكبير بكبره والصغير بصغره فجعلوا يكون اليهم وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء يعني عن معصية الله واستحلال حرمه وأخذنا الذين ظلموا يقول وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله فأحل بهم بأسه وأهلكهم بعذاب شديد بئيس بما كانوا يفسقون يخالفون أمر الله فيخرجون من طاعته الى معصيته وذلك هو الفسق ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج في قوله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء قال فلما نسوا موعظة المؤمنين اياهم الذين قالوا لم تعظون قوما حدثني محمد بن المثنى قال ثنا حرمي قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء قال ياليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه وأما قوله بعذاب بئيس فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز على مثال فعل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة بعذاب بيس على مثل فعيل من البؤس بنصب الباء وكسر الهمزة

وبقيت فى خلف بكسر اللام الاجرب والخلف الردىء من القول يقال سكت ألفا ونطق خلفا أى سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطا ورثوا الكتاب أى التوراة بقيت فى أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى أى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها (٦٩) البر والفاجر وفى الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير وتخسيس وأراد بالدنو القرب لانه عاجل أو دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أى يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وأنهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أى التوراة ومحل ألا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان للميثاق المذكور فى التوراة وهو أن لا يحرفوا الكلام عن مواضعه ولا يقبلوا الرشا أو لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق ويجوز أن يكون ألا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل ألم نقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على ألم يؤخذ لانه تقرير كأنه قيل أخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه أى أنهم ذاكرون لما أخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا والمحرمات ثم لما ذكر

ومدها وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين غير أنه كسر باء بئيس على مثال فعيل وقرأه بعض الكوفيين بئس بفتح الباء وتسكين الياء وهمزة بعدها مكسورة على مثال فعل وذلك شاذ عند أهل العربية لان فعل اذا لم يكن من ذوات الياء والواو وفالفتح فى عينه الفصيح فى كلام العرب وذلك مثل قولهم فى نظيره من السالم صيقل ونيرب وانما تكسر العين من ذلك فى ذوات الياء والواو كقولهم سيد وميت وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندى

كلاهما كان رئيسا بيئسا * يضرب فى يوم الهياج القونسا

بكسر العين من فيعل وهى الهمزة من بيئس فلعل الذى قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه بيئس نحو القراءة التى ذكرناها قبل هذه وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال فيعل مثل صيقل وروى عن بعض البصريين انه قرأه بئس بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال فعل كما قال ابن قيس الرقيات

لبنى ألتى رقية فى * خلوة من غير ما بئس

وروى عن آخر منهم أنه قرأ بئس بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب * وأولى هذه القراآت عندى بالصواب قراءة من قرأه بئيس بفتح الباء وكسر الهمزة ومدها على مثال فعيل كما قال ذو الاصبع العدوانى

حنقا على ولن ترى * لى فيهم أثرا بئيسا

لان أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد فدل ذلك على صحة ما اخترنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى رجل عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أليم وجيع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس قال شديد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس أليم شديد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بعذاب بئيس قال موجع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعذاب بئيس قال بعذاب شديد ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ يقول تعالى ذكره فلما تمردوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله ونماد وا فيه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى بعداء من الخير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه يقول لما مرد القوم على المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها أذناب تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن السدى عن أبى مالك أو سعيد بن جبير قال رأى موسى عليه

على من ترك التمسك بالتوراة أتبعها حال من تمسك أى اعتصم به فقال والذين يمسكون الآية والتشديد للتكثير وفى افراد اقامة الصلاة بالذكر مع أن تمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزيتها الصلاة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا الجبل قال أبو عبيدة أصل النتق قلع الشئ عن موضعه والرمى به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها كأنها ترمى بأولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من أصله وجعلناه فوقهم كأنه ظلة

وهى كل ما أظلك من سقف أو حائط وظنوا أنه واقع بهم علموا وتيقنوا أنه ساقط عليهم وقيل قوى فى نفوسهم أنه يقع بهم ان خالفوا روى أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم

فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنابها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز ونغض لها رأسه. خذوا على ارادة القول أى قلنا لهم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهى أو من التعريض للثواب أو المراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما أنتم عليه من الاباء ﴿التأويل﴾ القرية التى كانت حاضرة البحر هى قرية الجسد الحيوانى على شاطئ بحر البشرية وأهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحانى كصفات الروح وصنف قلبى كصفات القلب وصنف نفسانى كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعى البشرية فى سبت محارم الله فلم تنتهك الحرمة الا الصفات النفسانية اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعى فى المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون أى بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن أمر الله لانها أمارة بالسوء واذ قالت أمة منهم هى صفات القلب قالوا لصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات والشهوات أو معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانا خلقنا هكذا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فنقضى ما علينا ليعلم أنا ما تغيرنا عن أوصافنا الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون

معمر

السلام رجلا يحمل قصبا يوم السبت فضرب عنقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله واذ تأذن واذكر يا محمد اذ أذن ربك فأعلم وهو تفعل من الايذان كما قال الاعشى ميمون بن قيس

آذن اليوم جيرتى بخفوف * صرموا حبل آلف ما ألوف

يعنى بقوله أذن أعلم وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ تأذن ربك قال أمر ربك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد واذ تأذن ربك قال أمر ربك وقوله ليبعثن عليهم يعنى أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب قيل ان ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هى الجزية والذين يسومونهم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته الى يوم القيامة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهى المسكنة وأخذ الجزية منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يهود وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال بعث عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة وقال عبد الكريم الجزرى يستحب أن تبعث الانباط فى الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج وأول من وضع الخراج موسى عليه السلام فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج قال وأول من وضع الخراج موسى فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هم أهل الكتاب بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج الى يوم القيامة فهو سوء العذاب ولم يجب نبى الخراج قط الا موسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك والا النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يبعث عليهم هذا الحى من العرب فهم فى عذاب منهم الى يوم القيامة قال أخبرنا

تتصف بالمأمورية والاطمئنان فانها قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب
الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذلة الخدمة للنفس
والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب في أرض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك

معمر قال أخبرني عبد الكريم عن ابن المسيب قال يستحب أن تبعث الانباط في الجزية حدثني
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم
الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب يقول ان ربك يبعث على بني اسرائيل العرب فيسومونهم
سوء العذاب يأخذون منهم الجزية و يقتلونهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد في قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة ليبعثن على يهود ۞ القول في تأويل قوله
﴿ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد لسريع عقابه الى
من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له وانه لغفور رحيم يقول وانه لذو صفح عن ذنوب
من تاب من ذنوبه فأناب وراجع طاعته يستر عليها بعفوه عنها رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته
منها لانه يقبل التوبة و يقيل العثرة ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقطعناهم في الارض أمما منهم
الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره
وفرقنا بني اسرائيل في الارض أمما يعني جماعات شتى متفرقين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا
اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقطعناهم في الارض أمما
قال في كل أرض يدخلها قوم من اليهود حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقطعناهم في الارض أمما قال يهود وقوله منهم الصالحون يقول
من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني اسرائيل الصالحون يعني من يؤمن بالله ورسله ومنهم دون
ذلك يعني دون الصالح وانما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل
كفرهم بربهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وقوله و بلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون يقول واختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة
في الرزق وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه و يعني بالسيئات الشدة في العيش والشظف فيه
والمصائب والرزايا في الاموال لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهم وينيبوا اليها و يتوبوا
من معاصيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ يقول تعالى ذكره فخلف من بعد
هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف يعني خلف سوء يقول حدث بعدهم وخلافهم وتبدل منهم
بدل سوء يقال منه هو خلف صدق وخلف سوء وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها
وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح ومن ذلك في تسكينها في المدح قول حسان

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

وأحسب أنه اذا وجه الى الفساد مأخوذ من قولهم خلف اللبن اذا حمض من طول تركه في السقاء
حتى يفسد فكان الرجل الفاسد مشبه به وقد يجوز أن يكون منه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت
ريحه وأما في تسكين اللام في الذم فقول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقيل ان الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم النصارى ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله

في القبول وبلوناهم بالحسنات وهي
الطاعات والسيئات وهي المعاصي لعلهم
يرجعون الى الحق وذلك أن السير
الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم
ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان
وقد وصلت أو بلوناهم بالحسنات
ليرجعوا الينا بقدم الشكر
والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر
أو بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب
بها كما كان حال ابليس وبكثرة
المعاصي والندامة عليها كما كان
حال آدم فخلف من بعد الارواح
والقلوب لما سلكوا طريق الحق
ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم
النفوس الامارة بالسوء ورثوا
الكتاب وهو ما ألهم الله تعالى
الارواح والقلوب من المواعظ
والحكم والمعاني والاسرار وورثتها
النفوس وجعلوها ذريعة للعروض
الدنياوية وتحصيل المال والجاه
واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا
مثل هذه الزلات لانا واصلون
كاملون كما هو مذهب أهل الاباحة
أو سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم
يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ
تثقفنا الجبل فيه أن الانسان لو وكل
الى طبعه ونفسه لا يقبل شيأ من
الامور الدينية وانما يعان على
القبول بأمر ظاهر أو باطن وفيه
أن على رؤس أهل الطلب جبل
أمر الحق وهو أمر التحويل
فيحولهم بالقدرة الى أن يأخذوا
ما آتاهم الله تعالى بقوة منه
لا بقوتهم وارادتهم ﴿واذ أخذ ربك

من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا
انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل

عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين ﴿ القراآت ذريتهم على التوحيد حمزة وعلي وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين أبو عمرو ويلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن أبي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز ﴿ الوقوف أنفسهم ج لان التقدير وقال ألست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ط فصلا بين السؤال والجواب بلى ج لان شهدنا يصلح أن يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق أن محذوف أي فعلنا ذلك لئلا تقولوا ويصلح أن يكون شهدنا من قول الملائكة أي قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من جملة بلى ومتصلا بأن تقولوا غافلين ○ لا للعطف من بعدهم ج لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون ○ يرجعون ○ الغاوين ○ هواه ج لان قوله فمثله مبتدأ ولدخول الفاء فيه كمثل الكلب ان ج لابتداء الشرط مع أن الجملة تفسير للمثل أو تتركه يلهث ط بآياتنا ط يتفكرون ○ يظلمون ○ المهتدي ج للعطف ولان التفصيل بين الجملتين أبلغ في التنبيه الخاسرون ○ والانس ط والوصل أولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها ج لان العطف

خلف من بعدهم خلف قال النصارى * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله تعالى انما وصف أنه خلف القوم الذين قص قصصهم في الآيات التي مضت خلف سوء ردي ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى وبعد فان ما قبل ذلك خبر عن بني اسرائيل وما بعده كذلك فما بينهما بأن يكون خبرا عنهم أشبه اذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم الى غيرهم ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به فتأويل الكلام اذا فتبدل من بعدهم بدل سوء ورثوا كتاب الله تعلموه وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه يرشون في حكم الله فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الادنى يعني بالادنى الاقرب من الآجل الأبعد ويقولون اذا فعلوا ذلك ان الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيا على الله الاباطيل كما قال جل ثناؤه فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يقول وان شرع لهم ذنب حرام مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل اصرار على ذنوبهم وليسوا بأهل انابة ولا توبة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عنه عباراتهم ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن سعيد بن جبير في قوله يأخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال يعملون الذنب ثم يستغفرون الله فان عرض ذلك الذنب أخذوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال من الذنوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال يعملون بالذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال ذنب آخر يعملون به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن سعيد ابن جبير يأخذون عرض هذا الادنى قال الذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال ما أشرف لهم من شئ في اليوم من الدنيا حلال أو حرام يشتهونه أخذوه و يبتغون المغفرة فان يجدوا الغد مثله يأخذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال يتمنون المغفرة حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال لا يشرف لهم شئ من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حراما و يتمنون المغفرة و يقولون سيغفر لنا وان يجدوا عرضا مثله يأخذوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فخلف من بعدهم خلف إي والله خلف سوء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم ورثهم الله وعهد اليهم وقال الله في آية أخرى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا تمنوا على الله أمانى وغرة يغترون بها وان يأتهم عرض مثله لا يشغلهم شئ عن شئ ولا ينهاهم عن ذلك كما أشرف لهم شئ من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالا كان أو حراما حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يأخذون عرض هذا الادنى قال يأخذونه

صحيح ولكن الوقف لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم فى أول كل جملة لا يسمعون بها ط أضل ط الغافلون ٥ فادعوهم بها ص لعطف المتفقتين فى أسمائه ط يعملون ٥ يعدلون ٥ لا يعلمون ٥ ج وعطف وأملى على سنستدرجهم أحسن من جعله مستأنفا فيوقف على أملى لهم متين ٥ ۞ التفسير لما شرح قصة موسى (٧٣) على أقصى الوجوه ذكر ما يجرى مجرى تقرير

ان كان حلالا وان كان حراما وان يأتهم عرض مثله قال ان جاءهم حلال أو حرام أخذوه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم وان خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم اذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشى فى الحكم فيقول سيغفر لى فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى اسرائيل فيما صنع فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى يقول وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه وأما عرض الادنى فعرض الدنيا من المال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا يقول يأخذون ما أصابوا ويتركون ما شاؤا من حلال أو حرام ويقولون سيغفر لنا وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى قال الكتاب الذى كتبوه ويقولون سيغفر لنا لا نشرك بالله شيأ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يأتيهم المحق برشوة فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة وكان الظالم اذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة وهو الكتاب الذى كتبوه فحكموا له بما فى المثناة بالرشوة فهو فيها محق وهو فى التوراة ظالم فقال الله ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى قال يعملون بالذنوب ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم القائلين سيغفر الله لنا فعلنا هذا اذا عوتبوا على ذلك ميثاق الكتاب وهو أخذ الله العهود على بنى اسرائيل باقامة التوراة والعمل بما فيها فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم فى هذه الآية موبخا لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ألا يقولوا على الله الا الحق ولا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأن لا يكذبوا عليه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق قال فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها وأما قوله ودرسوا ما فيه فانه معطوف على قوله ورثوا الكتاب ومعناه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه ويعنى بقوله ودرسوا ما فيه قرؤا ما فيه يقول ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه فضيعوه وتركوا العمل به وخالفوا عهد الله اليهم فى ذلك كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ودرسوا ما فيه قال علموه علموا ما فى الكتاب الذى ذكر الله وقرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون والدار الآخرة خير للذين يتقون يقول جل ثناؤه وما فى الدار الآخرة وهو ما فى المعاد عند الله مما أعد لأوليائه والعاملين بما أنزل فى كتابه المحافظين على حدوده خير للذين

الحجة على جميع المكلفين وفى الآية للمفسرين قولان أحدهما ما روى مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس وأما المعتزلة وأصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بأنه تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته

وكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك و باب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال الشاعر * امتلأ الحوض وقال قطنى * وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما الكلام

فى صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه أخذ من ظهر آدم شيأ ويمكن أن يجاب بانه تعالى يعلم أن الشخص الفلانى يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذى علم دخولهم فى الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بنى آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان أولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن أخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب أن يتذكروا تلك الحالة فى هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل أن يجاب بالفرق وذلك أنا اذا كنا فى أبدان أخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها وأما أخذ هذا الميثاق فانما حصل فى أسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها أن جميع الخلق من أولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فكل واحدة من أولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما فى الجثة والمقدار وأجيب بأن البنية عندنا ليست شرطا فى الحياة والعقل فمن الجائز أن يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها أن فائدة أخذ الميثاق أن يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت أو فى الدنيا والاجماع منعقد على أنهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب وعلى أنهم أدون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر وأجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا أرادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين فى اسماع هذه الأشياء نطق فكذا ههنا ولا يبعد أن يكون لبعض الملائكة فى تمييز السعداء من الاشقياء فى وقت أخذ الميثاق نطق وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ومنها أنه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون أولئك الذر أناسيا فى كون الانسان

يتقون الله ويخافون عقابه فيراقبونه فى أمره ونهيه ويطيعونه فى ذلك كله فى دنياهم أفلا يعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الادنى على أحكامهم ويقولون سيغفر لنا أن ماعند الله فى الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس فى أحكامهم خير من هذا العرض القليل الذى يستعجلونه فى الدنيا على خلاف أمر الله والقضاء بين الناس بالجور ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين﴾ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم يمسكون بتخفيف الميم وتسكينها من أمسك يمسك وقرأه آخرون يمسكون بفتح الميم وتشديد السين من مسك يمسك ويعنى بذلك والذين يعملون بما فى كتاب الله وأقاموا الصلاة بحدودها ولم يضيعوا أوقاتها انا لا نضيع أجر المصلحين يقول تعالى ذكره فمن فعل ذلك من خلقى فانى لا أضيع أجر عمله الصالح كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذين يمسكون بالكتاب قال كتاب الله الذى جاء به موسى صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله والذين يمسكون بالكتاب من يهود أو نصارى انا لا نضيع أجر المصلحين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى اسرائيل كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة من فرائضنا وألزمناكم من أحكام كتابنا فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم فى أدائه من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه يقول ما فى كتابنا من العهود والمواثيق التى أخذناها عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون يقول كى تتقوا بكم فتخافوا عقابه بتركم العمل به اذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة يقول من العمل بالكتاب والا خر عليكم الجبل فأهلككم فقالوا بل نأخذ ما آتانا الله بقوة ثم نكثوا بعد ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة فهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة والا أرسلته عليكم حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال انى لأعلم خلق الله لأى شئ سجدت اليهود على حرف وجوههم لما رفع الجبل فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون الى الجبل مخافة أن يقع عليهم قال فكانت سجدة رضيها الله فاتخذوها سنة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة أى بجد واذكروا ما فيه لعلكم تتقون جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤسهم فقال لتأخذن أمرى أو لأرمينكم به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد واذ نتقنا الجبل قال كما تنتق الريذة قال ابن جريج كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها

مخلوقا من الماء والطين والجواب لا يجوز أن يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة أخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل أو يميتها فتحصل الحياة للانسان أربع مرات أولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيامة ويحصل له الموت ثلاث مرات بين كل حياتين واحد ولا ينافي هذا حكاية قول الكفرة ﴿٧٥﴾ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم أما قوله أن تقولوا فالتقدير وأشهدهم على أنفسهم بكذا لئلا يقولوا أو كراهة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله ألست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى أو يقولوا يعني الكفار انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل أن الله تعالى لما أخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه أشهدناعليهم كراهة أن يقولوا انما أشرك آباؤنا على سبيل التقليد لأسلافنا لأن نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد بني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شأن اليهود وكذلك قوله واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا أما قوله وكذلك أي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة أن يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها أو يرجعوا الى ما أخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد وبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو أن الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد بأخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما

بها خذوا ما آتيناكم بقوة قال يقول لتؤمنن بالتوراة ولتقبلنها أو ليقعن عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوا موسى مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى اذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربي لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من أن يسقط عليه فلذلك ليس في الارض يهودي يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الالواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الارض صغير ولا كبير تقر أعليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله نتقنا فقال بعض البصريين معنى نتقنا رفعنا واستشهد بقول العجاج

* ينتق أقتاد السليل نتقا *

وقال يعني بقوله ينتق يرفعها عن ظهره وبقول الآخر

* ونتقوا أحلامنا الاثاقلا *

وقد حكي عن قائل هذه المقالة قول آخر وهو أن أصل النتق والنتوق كل شيء قلعته من موضعه فرميت به يقال منه نتقت نتقا قال ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناتق لانها ترمي بأولادها رميا واستشهد ببيت النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * دحقت عليك بناتق مذكار

وقال آخرون منهم معناه في هذا الموضع رفعناه وقالوا نتقني السير حركني وقال قالوا ما نتق برجله لا يركض والنتق نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو فذلك النتق والنتوق ونتقتني الدابة ونتقت المرأة تنتق نتوقا كثر ولدها وقال بعض الكوفيين نتقنا الجبل علقنا الجبل فوقهم فرفعناه نتقه نتقا وامرأة منتاق كثيرة الولد قال وسمعت أخذ الحراب ونتق ما فيه اذا نثر ما فيه

﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد ربك اذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به كما حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا فقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا الآية الى ما فعل المبطلون حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا كلثوم بن جبر قال سألت سعيد بن جبير عن قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت عنها ابن عباس فقال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا وأشار بيده فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثنا ابن وكيع ويعقوب

تتذكر بالتذكير والتنبيه وربما لا تتذكر (واتل عليهم) على بني آدم أو اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك أن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه أن يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فازالوا يطلبونه (٧٦) منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال أيضا انه كان نبيا من أنبياء الله تعالى فلما دعا على موسى عليه السلام انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله أعلم حيث يجعل رسالاته وفيه أنه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمرو سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق نزلت في أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا أن يكون هو فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لقد كاد يسلم وذلك أنه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض وأحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يتزهد في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار وأتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وآله فمات هنالك طريدا وحيدا وهو قول سعيد ابن المسيب وقيل نزلت في منافقي أهل الكتاب وكانوا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي حق عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكان يحبها فقالت اجعل لي

قالا ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا اللفظ لحديث يعقوب **وحدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ربيعة بن كلثوم عن أبيه في هذا الحديث قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **حدثنا** عمرو قال ثنا عمران بن عيينة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما أهبط الله آدم أهبطه بدجنى أرض بالهند فمسح الله ظهره فاخرج منه كل نسمة هو باريها الى أن تقوم الساعة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهبط آدم حين أهبط فمسح الله ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ثم تلا واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم بخف القلم من يومئذ بما هو كائن الى يوم القيامة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضتين فقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام وقال للآخرين ادخلوا النار ولا أبالي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن حبيب عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فأخرج كل طيب في يمينه وأخرج كل خبيث في الاخرى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن علية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجنى وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى قال فيرون يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه فمسح ظهره فأخذ ذريته كهيئة الذر فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال ثنا يزيد بن هرون عن المسعودي عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه انه ربه وكتب أجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وأخذ ميثاقهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان وادا الى جنب عرفة وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال ثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من ظهره

طهره كهيئة الذر وهو فى اذى من الماء حدثنى على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة قال ثنا
أبو مسعود عن جويبر قال مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال ياجبار اذا أنت وضعت
بنى فى لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده فان ابنى مجلس ومسؤل ففعلت به الذى أمرنى فلما فرغت
قلت يرحمك الله عم يسئل ابنك قال يسئل عن الميثاق الذى أقر به فى صلب آدم عليه السلام قلت
ياأبا القاسم وما هذا الميثاق الذى أقر به فى صلب آدم قال ثنى ابن عباس أن الله مسح صلب
آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا
به شيأ فان تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى
به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الاول ومن مات صغيرا
قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة حدثنى يونس ابن عبد الاعلى
قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى السرى بن يحيى أن الحسن بن أبى الحسن حدثهم
عن الاسود بن سريع من بنى سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات
قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد
عليه ثم قال مابال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يارسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال
ان خياركم أولاد المشركين ألا انها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين
عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله ذلك فى كتابه قال واذ أخذ
ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا عبد الرحمن بن الوليد قال ثنا أحمد
ابن أبى بليسة عن سفيان عن سعيد عن الاجلح عن الضحاك وعن منصور عن مجاهد عن عبد الله
ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذرياتهم قال أخذ وامن ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت
الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن
سعيد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو فى قوله واذ أخذ ربك من بنى
آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس حدثنا ابن وكيع وابن حميد
قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذرياتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس قال ابن حميد كما يؤخذ بالمشط حدثنا ابراهيم بن
عبد الجوهرى قال ثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر عن مالك بن أنس عن زيد بن
أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن
الخطاب سئل عن هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم فقال عمر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت
هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار
وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل قال ان الله اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار
استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار حدثنا ابراهيم قال

فهادعوة قال لك منها واحدة فماذا تأمرين قالت ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه
وأرادت شيأ آخر فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة
فعيرناها الناس فادع الله أن يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب

المثل فيقال أشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فأعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وأبى مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيأ بالكلية انه انسلخ منه وقال أبو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها أى بيناها فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة وأقام على الكفر والقول الاول أولى لان الانسلاخ يدل على أن الشئ كان موجودا فيه ثم خرج منه لا على أنه لم يوجد فيه أصلا وأيضا ثبت بالاخبار أن الآية نزلت فى انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فأتبعه الشيطان أى أدركه ولحقه وصار قرينا له أو أتبعه الشيطان خطواته أو كفار الانس وغواتهم أى الشيطان جعل كفار الانس أتباعا له فكان من الغاوين فى علم الله تعالى أو فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الأبرار بها أى بتلك الآيات ولكنه أخلد الى الارض أصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه أخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل

يعنى بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدى فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما فى الدنيا من الضياع والعقار كلها أرض وسائر
ما فيها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه أنه أعرض عن التمسك بما آتاه
الله من الآيات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه أخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى

لاجرم أقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على أن الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائى معناه ولو شئنا لرفعناه باعمالنا
نحترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فأبى أن يستمر على الايمان أو المراد
لو شئنا لرفعناه بأن نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا أن ذلك ينافى التكليف فلاجرم تركناه مع اختياره وقال صاحب

الكشاف ومعناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هى تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا فى معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لان تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأذلها فى هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين ويجوز أن يكون تفسير المثل كما مر قال الليث اللهث هو أن الكلب ونحوه اذا نأله الاعياء عند شدة العدو وعند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شئ يلهث فانه يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث فى جميع أحواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعته الخسيسة فعنى الآية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث أيضا لاجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم أن التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث وأخس الحيوانات هو الكلب وأخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل أنه يورد عليهم أنواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك أنه عند ذلك تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حاله شبيهة بحال ذ

ثنا محمد بن المصفى عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشى قال ثنى زيد بن أبى أنيسة عن عبد المجيد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه
حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عمارة عن أبى محمد رجل من المدينة قال سألت عمر بن الخطاب عن قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنى فقال خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم أجلسه فمسح ظهره بيده اليمنى فأخرج ذرأ فقال ذرءذرأتهم للجنة ثم مسح ظهره بيده الاخرى وكلتا يديه يمين فقال ذرأتهم للنار يعملون فيما شئت من عمل ثم أختم لهم بأسوء أعمالهم فأدخلهم النار **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال ان الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الى أن تقوم الساعة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الى قوله قالوا بلى شهدنا قال ابن عباس ان الله لما خلق آدم مسح ظهره وأخرج ذريته كلهم كهيئة الذر فأنطقهم فتكلموا وأشهدهم على أنفسهم وجعل مع بعضهم النور وانه قال لآدم هؤلاء ذريتك آخذ عليهم الميثاق أنا ربهم لئلا يشركوا بى شيأ وعلى أرزقهم قال آدم فمن هذا الذى معه النور قال هو داود قال يا رب كم كتبت له من الاجل قال ستين سنة قال كم كتبت لى قال ألف سنة وقد كتبت لكل انسان منهم كم يعمر وكم يلبث قال يا رب زده قال هذا الكتاب موضوع فأعطه ان شئت من عمرك قال نعم وقد جف القلم عن أجل سائر بنى آدم فكتب له من أجل آدم أربعين سنة فصار أجله مائة سنة فلما عمر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت فلما رآه آدم قال ما لك قال له قد استوفيت أجلك قال له آدم انما عمرت تسعمائة وستين سنة وبقى أربعون سنة قال فلما قال ذلك للملك قال الملك قد أخبرنى بهارب قال فارجع الى ربك فاسأله فرجع الملك الى ربه فقال ما لك قال يا رب رجعت اليك لما كنت أعلم من تكرمتك اياه قال الله ارجع فأخبره انه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء أهل النار ثم أخذ عهودهم على الايمان والمعرفة له ولامره والتصديق به وبامره بنى آدم كلهم فأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا وبلغنى أنه أخرجهم على كهيئة أمثال الخردل قال ابن جريج عن مجاهد قال ان الله لما أخرجهم قال يا عباد الله أجيبوا الله والاجابة الطاعة فقالوا أطعنا اللهم أطعنا اللهم أطعنا اللهم لبيك قال فأعطاها ابراهيم عليه السلام فى المناسك لبيك اللهم لبيك قال ضرب متن آدم حين خلقه قال وقال ابن عباس خلق آدم ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر فكلمهم ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد الا وقد تكلم فقال ربى الله فقال وكل خلق خلق فهو كائن الى يوم القيامة وهى الفطرة التى فطر الناس عليها قال ابن جريج قال سعيد

لب الذى أخرج لسانه أبدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخسيسة وأيضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم
ه فهو ضال لاجل أن ذلك الضلال والخسار عادة أصلية وطبيعة ذاتية له كما أن ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل
ع المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم

ن جبير أخذ الميثاق عليهم بنعمان ونعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
لين عن الميثاق الذى أخذ عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر
ن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم
نطقهم وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم
قيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا
فاعل المبطلون قال فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم
دم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا اله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيأ وسأرسل
يكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وسأنزل عليكم كتبى قالوا شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا
غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع عليهم أباهم آدم فنظر اليهم فرأى منهم الغنى
والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لولا سويت بينهم قال فانى أحب أن أشكر قال وفيهم
الانبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج وخص الانبياء بميثاق آخر قال الله واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو الذى
يقول تعالى ذكره فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفى
ذلك قال هذا نذير من النذر الاولى يقول أخذنا ميثاقه مع النذر الاولى ومن ذلك قوله وما وجدنا
لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان فى علمه يوم أقروا به من يصدق ومن يكذب حدثنا
ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية
واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال
أخرجهم من ظهر آدم وجعل لآدم عمر ألف سنة قال فعرضوا على آدم فرأى رجلا من ذريته له
وفر فأعجبه فسأل عنه فقال هو داود قد جعل عمره ستين سنة فجعل له من عمره أربعين سنة فلما احتضر
ثم جعل يخاصمهم فى الاربعين سنة فقيل له انك أعطيتها داود قال فجعل يخاصمهم حدثنا ابن حميد
قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم
قال أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر فعرضهم على آدم باسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم
قال فعرض عليه روح داود فى نور ساطع فقال من هذا قال هذا من ذريتك نبى خليفة قال كم
عمره قال ستون سنة قال زيدوه من عمرى أربعين سنة قال والاقلام رطبة تجرى فأثبت لداود
الاربعون وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة فلما استكملها الا الاربعين سنة بعث اليه ملك
الموت فقال يا آدم أعمرت أن أقبضك قال ألم يبق من عمرى أربعون سنة قال فرجع ملك الموت
الذى به فقال ان آدم يدعى من عمره أربعين سنة قال أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والاقلام رطبة
فأثبت لداود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه
قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن عطاء واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذرياتهم قال أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه حدثنا ابن وكيع
قال ثنا ابن نمير عن نضر بن عربى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم

ودا عيا يدعوهم الى طاعة الله ثم لما
جاءهم من لا يشكون فى صدقه
ودياته كذبوه وقيل هم اليهود
قرؤا نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن
المعجز وما فيه وبشروا الناس
باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون
به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فاقصص القصص يريد قصص
المكذبين أو قصص بلعم الذى هو
نحو قصص المكذبين لعلهم
يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته
اذ سار وانحو سيرته ثم ذكر تأكيدا آخر
فى باب التحذير فقال ساء مثلا القوم
ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز
المخصوص بالذم فيصير التقدير
ساء مثلا مثل القوم أو ساء أصحاب
مثل القوم وفى ساء ضمير مبهم
يفسره المنصوب بعده وظاهر
الآية يقتضى كون المثل مذموما
فقيل كيف يتصور ذلك مع أن الله
تعالى ذكره والجواب أن الذم انما
يتوجه الى ما أفاده المثل من
تكذيبهم بآيات الله واعراضهم
عنها حتى صاروا فى ذلك بمنزلة
الكلب اللاهث أما قوله وأنفسهم
كانوا يظلمون فاما أن يكون معطوفا
على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة
بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب
بآيات الله وظلم أنفسهم واما أن
يكون كلاما منقطعا بمعنى وما
ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب
وتقديم المفعول للاختصاص كأنه
قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها

لى غيرها ثم بين أن الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدى وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان
لمهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل
الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى أن ظاهر الآية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلال بل جميع الافعال بخلق الله تعالى

والمعتزلة أولوها بأن المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدى فى الدنيا ومن يضلله عن الجنة والثواب يضلله عن طريق الجنة بعضهم التقدير من يهد الله فقبل هداه فهو المهتدى ومن يضلل بأن لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدى ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه بسوء اختياره فأخرج لهذا السبب تلك الالطاف من أن تؤثر فيه فهو الخاسر وبالعلم والداعى وبأن الاصل عدم الاضمار وبأن كل ما فى مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة فى حق جميع الكفار وبالآية بعدها وهى قوله ولقد ذرأنا الى آخره وذلك أنه بين أنه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك فى الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وأيضا العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهى الى مسبب الاسباب لاستحالة لا يقال العبد انما يسعى فى تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع فى هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهى الى جهل حصل ابتداء فتوجه الالزام قالت المعتزلة الآيات الدالة على أنه سبحانه أراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا انه قال فى معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وأيضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار أصلا لان منافع الدنيا بأسرها لا اعتداد بها فى جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملوء من أنه تعالى منعم على جميع الخلائق وأيضا مذهبكم يوجب أن لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب أن يخلقهم فى النار ابتداء لانه لا فائدة فى أن يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وأيضا الآية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا تفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرأنا لهم لكى يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب

من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه قال ثنا محمد بن عبيد عن أبى سنان عن الضحاك قال حين أذر الله خلقه لآدم قال خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال قال ابن عباس خلق الله آدم ثم أخرج ذريته من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألست بربكم قالوا بلى ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد من الخلق الا قد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشقى على نفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن طلحة عن أسباط عن السدى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول تعالى ذكره وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق ثم عرضهم على آدم عليه السلام قال ثنا عمر عن أسباط عن السدى قال أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبط من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمر قال ثنا أسباط عن السدى بنحوه وزاد فيه بعد قوله وطائفة على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلذلك ليس فى الارض أحد من ولد آدم الا وهو يعرف أن ربه الله ولا مشرك الا وهو يقول لابنه انا وجدنا آباءنا على أمة والامة الدين وانا على آثارهم مقتدون وذلك حين يقول الله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى من ظهورهم ذرياتهم قال مسح الله على صلب آدم فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون الى يوم القيامة وأخذ ميثاقهم أنه ربهم فأعطوه ذلك ولا يسأل أحد كافرا ولا غيره من ربك الا قال الله وقال الحسن مثل ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن جعفر عن أبيه عن على بن حسين أنه كان يقول ويتأول هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أقرت الارواح قبل أن تخلق أجسادها حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى الزبيدى عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة النضرى عن أبيه عن هشام بن حكيم أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابتدأ الاعمال أم قد قضى القضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم

ن تؤول الآية بأن اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا أو يقال انه جعلهم لاغراقهم فى الكفر وشدة شكائمهم
ه كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا فى بعض الامور وأجيب اجمالا بانه لا يسأل عما يفعل وتفصيلا بأن
نعمة وان قلت فهى فى نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة تجوز لا يصار اليه الا لضرورة تصحيح

فى كفيه ثم قال هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار
ميسرون لعمل أهل النار حدثنى محمد بن عوف الطائى قال ثنا حيوة ويزيد قالا ثنا بقية
عن الزبيدى عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة النضرى عن أبيه عن هشام بن حكيم
عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنى أحمد بن شبويه قال ثنا اسحق بن ابراهيم قال ثنا عمرو
ابن الحرث قال ثنا عبد الله بن مسلم عن الزبيدى قال ثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة
حدثه أن أباه حدثه أن هشام بن حكيم حدثه أنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
فذكر مثله حدثنا محمد بن عوف قال ثنى أبو صالح قال ثنا معاوية عن راشد بن سعد
عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلف
فى قوله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فقال السدى هو خبر من الله عن نفسه
وملائكته أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته اذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم ألست بربكم
قالوا بلى فتأويل الكلام على هذا التأويل واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فقال الله وملائكته شهدنا عليكم باقراركم بأن
تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى
والخبر الآخر الذى روى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وقال آخرون
ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض وقالوا معنى قوله
وأشهدهم على أنفسهم وأشهد بعضهم على بعض باقرارهم بذلك وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا
عمن قاله قبل * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان كان صحيحا ولا أعلمه صحيحا لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم واتقانهم حدثوا بهذا
الحديث عن الثورى فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى
ذكره أحمد بن أبى ظبية عنه وان لم يكن ذلك عنه صحيحا فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن
قيل بنى آدم بعضهم لبعض لانه جل ثناؤه قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
فكأنه قيل فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا فقالوا بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على
أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * القول فى تأويل قوله ﴿أو تقولوا انما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره شهدنا
عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين انا كنا لا نعلم ذلك
وكنا فى غفلة منه أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اتبعنا منهاجهم أفتهلكنا
بشرك من أشرك من آبائنا واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق ويعنى بقوله بما فعل
المبطلون بما فعل الذين أبطلوا فى دعواهم الها غير الله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض
المكيين والبصريين أن يقولوا بالياء بمعنى شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب وقرأ
ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة أن تقولوا بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود
عليهم والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وان اختلفت
ألفاظهما لان العرب تفعل ذلك فى الحكاية كما قال الله لتبيننه للناس وليبيننه وقد بينا نظائر ذلك فيما

الدلائل العقلية كالعلم والداعى
والنقلية كآيات كثيرة على أن
الكل من الله فوجب المصير الى
طرف الخبر ولا سيما فان ما قبل
هذه الآية وهو قوله من يهد الله
فهو المهتدى وما بعدها وهو قوله
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
يدل على ما قلنا وأيضا الرب أن
أولئك الكفار كانت لهم قلوب
يفهمون بها مصالح الدنيا وكذا
أعين مبصرة وآذان سامعة فالمراد
أنهم ما كانوا يفقهون ويبصرون
ويسمعون ما يرجع الى مصالح
الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل
الدين مع عدم القابلية كيف وان
الكفار بلغوا فى عداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم وفى شدة النفرة
عن قبول دينه مبلغا لا يكتنه كنهه
والعلم الضرورى حاصل بأن
حصول الحب والبغض فى القلب
ليس باختيار الانسان بل هو حالة
حاصلة فى القلب كره الانسان أو
أراد وحينئذ يثبت القول بالجبر
وروى الشيخ أحمد البيهقى فى كتاب
مناقب الشافعى أن على بن أبى
طالب عليه السلام خطب الناس
فقال وأعجب ما فى الانسان قلبه فيه
موادمن الحكمة وأضدادها فان
سنح له الرجاء أولهه الطمع وان
هاج به الطمع أهلكه الحرص وان
ملكه اليأس قتله الأسف وان
عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان
سعد بالرضا شقى بالسخط وان ناله
الخوف شغله الحزن وان أصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا أطغاه الغنى
وان عضته فاقة شغله البلاء وان أجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة
القضاء والقدر لان أعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من أحوال القلب فانها مستندة الى حالة أخرى حصلت قبلها واذا وقف

الانسان على هذه الحالة علم أنه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني أجد من نفسي أني
شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري أجبنا وقلنا هب أنك وجدت من نفسك ذلك الا أنا نقول وهل تجد
من نفسك أنك ان شئت ان تشاء شيأ شئت وان (٨٢) شئت أن لا تشاء لم تشأ ما أظنك تقول ذلك والا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية
فلا مشيئتك بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما أنت مضطر في صورة مختار والله تعالى أعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على أن محل الفقه هو القلب وأقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح أما قوله أولئك كالانعام بل هم أضل فتقريره أن الانسان يشارك سائر الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي أحوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل أضل وأدون لان الذي أعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان أخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية أن الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار أكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر أبدا الى أربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما أعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه أن الامر كذلك فان القلب اذا غفل

مضى بما أغنى عن اعادته ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة وبينا فيها ما فعلنا بالامم السالفة قبل قومك وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم وأشراكهم في عبادتي غيري كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك لينزجروا ويرتدعوا فينيبوا الى طاعتي ويتوبوا من شركهم وكفرهم فيرجعوا الى الايمان والاقرار بتوحيدي وافراد الطاعة لي وترك عبادة ما سواي ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل يا محمد على قومك نبأ الذي آتيناه آياتنا يعني خبره وقصته وكانت آيات الله للذي آتاه الله اياها فيما يقال اسم الله الاعظم وقيل النبوة واختلف أهل التأويل فيه فقال بعضهم هو رجل من بني اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله في هذه الآية واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال هو بلعم بن أبر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن أبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبي عدي قالوا ثنا شعبة عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فذكر مثله ولم يقل بن أبر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن أبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عمران ابن الحرث عن ابن عباس قال هو بلعم بن باعرا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الى فكان من الغاوين هو بلعم بن أبر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود مثله الا انه قال ابن أبر بضم الباء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانسلخ منها قال بلعام بن باعرا من بني اسرائيل حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فذكر مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول فذكر مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن وابن أبي عدي عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال في الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعام وحدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر قال

عن الذكر وأقبل على الدنيا وقع فى نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا نفع على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور فى ثلاثة مواضع آخر فى آخر بنى اسرائيل وفى أول طه وفى آخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها أسماء دالة على معانى

ثنا شعبة عن حصين قال سمعت عكرمة يقول هو بلعام حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن حصين عن مجاهد قال هو بلعم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعم وقال آخرون كان بلعم هذا من أهل اليمن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن وقال آخرون كان من الكنعانيين ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم وقال آخرون هو أمية بن أبى الصلت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سعيد بن السائب عن غضيف بن أبى سفيان عن يعقوب ونافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال فى هذه الآية الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبى الصلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى قال أنبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم قال قال عبد الله بن عمرو هو صاحبكم أمية بن أبى الصلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير قالا ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو بمثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن رجل عن عبد الله بن عمرو ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه قال هو أمية بن أبى الصلت حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت عبد الله بن عمرو قال فى هذه الآية الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو صاحبكم يعنى أمية بن أبى الصلت قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن رجل عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية بن أبى الصلت قال ثنا يزيد عن شريك عن عبد الملك عن فضالة أو ابن فضالة عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبد الملك بن عمير قال تذاكروا فى جامع دمشق هذه الآية فانسلخ منها فقال بعضهم نزلت فى بلعم بن باعوراء وقال بعضهم نزلت فى الراهب فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص فقالوا فيمن نزلت هذه قال نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبى الصلت وقال قتادة يشك فيه يقول بعضهم بلعم ويقول بعضهم أمية بن أبى الصلت واختلف أهل التأويل فى الآيات التى كان أوتيها التى قال جل ثناؤه آتيناه آياتنا فقال بعضهم كانت اسم الله الاعظم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال ان الله لما انقضت الاربعون سنة يعنى التى قال الله فيها انها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع ابن نون نبيا فدعا بنى اسرائيل فأخبرهم أنه نبى وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم وكان عالما يعلم الاسم الاعظم المكتوم فكفر وأتى الجبارين فقال لا ترهبوا بنى اسرائيل فانى اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء يعظمهن فكان ينكح أتانا له وهو

الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت فى تفسير البسملة أن أسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على أسرار حكمه فى مخلوقاته أكثر كان علمه بأسماء الله الحسنى أكثر والآن نقول ان من تقسيمات أسماء الله ما يقوله المتكلمون من أن صفات الله أنواع ما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه تعالى ومنها أن يقال ان أسماء الله اما أن يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها فى حق الله مغاير المعناها فى حق غيره واما أن لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثانى مثل يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها أن يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حى يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا ميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب أن يقال يا محيى يا ميت يا ضار يا نافع ومنها أن يقال أول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما أن يرجح على سبيل الوجوب أو على سبيل الصحة

والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثانى هو المعنى بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون أفعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع أن لا يكون حيا فظهر أن العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا فى درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين أن الاسماء الحسنى لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه

يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد فى المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف فى انه هل يطلق عليه اسم الشىء أم لا وقدمر تحقيق ذلك فى تفسير البسملة وفى الانعام فى قوله قل أى شىء أكبر شهادة قل الله أما قوله فادعوه بها ففيه دليل على أن الانسان لا يجوز أن يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد أن عرف معانيها ويكون مستحضر الامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما فى قوله عند التحريم الله أكبر يشير الى أنه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ماسواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو أكبر من هذه الاشياء وأكبر من أن يقال له اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ماليس منه يقال قد ألحد فى الدين ولحد وقال غيره من أهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر قال الواحدى الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع من العرب لاحد بمعنى ملحد والالحاد فى أسماء الله تعالى يقع على ثلاثة أوجه الاول اطلاق أسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثانى أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو أن قالوا يا جهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نحى بناء على أن النحوة مدح الثالث أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن فى بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز أن يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا فى حق الانبياء لا يجوز أن يقال ان آدم عاص أو غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم أوعد الملحدين فى أسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما أخبر أن كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار حكى أن بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وقدمر مثل هذه الآية فى قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس أن المراد فى الآية أمة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم

الذى يقول الله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها أى تنصل فانسلخ منها الى قوله ولكنه أخلد الى الارض **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا قال هو رجل يقال له بلعم وكان يعلم اسم الله الاعظم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال كان لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقال آخرون بل الآيات التى كان أوتيها كتاب من كتب الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان فى بنى اسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا وقال آخرون بل كان أوتى النبوة ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن غيره قال الحرث قال عبد العزيز يعنى عن غير نفسه عن مجاهد قال هو نبى فى بنى اسرائيل يعنى بلعم أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ماهم عليه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتى النبوة وكان مجاب الدعوة قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حجته وأدلته وهى الآيات * وقد دللنا على أن معنى الآيات الادلة والاعلام فيما مضى بما أغنى عن اعادته وجائز أن يكون الذى كان الله آتاه ذلك بلعم وجائز أن يكون أمية وكذلك الآيات ان كانت بمعنى الحجة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذى ذكره الله فى هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذى كان أوتيها بلعم وجائز أن يكون أمية لان أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وان كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبى الله عليه السلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الاعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنيا به أمية لان أمية لا تختلف الامة فى أنه لم يكن أوتى شيأ من ذلك ولا خبر بأى ذلك المراد وأى الرجلين المعنى به يوجب الحجة ولا فى العقل دلالة على أن ذلك المعنى به من أى فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحى من الله وأما قوله فانسلخ منها فانه يعنى خرج من الآيات التى كان الله آتاها اياه فتبرأ منها وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لما نزل موسى عليه السلام يعنى بالجبارين ومن معه أتاه يعنى بلعم بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه قال انى ان دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان الله آتاه آياته فتركها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فانسلخ منها قال نزع منه العلم وقوله فأتبعه الشيطان يقول فصيره لنفسه تابعا ينتهى الى أمره فى معصية الله ويخالف أمر ربه فى معصية الشيطان وطاعة الرحمن وقوله فكان من الغاوين يقول فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمر ربه

ن أيديكم مثلها وعن الربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن
لكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم أعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال
والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد أهل مكة والظاهر أنه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب

به وطاعة الشيطان ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض
واتبع هواه﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ولكنه
أخلد الى الارض يقول سكن الى الحياة الدنيا في الأرض ومال اليها وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة
واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية
على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن
أبيه أنه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار أنه كان رجلا
يقال له بلعام وكان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة قال وان موسى أقبل في بني اسرائيل يريد
الارض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا قال فأتوا بلعاما فقالوا ادع
الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أوامر ربي أو حتى أوامر قال فآمر في الدعاء عليهم فقيل
له لا تدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم قال فقال لقومه اني آمرت ربي في الدعاء عليهم واني قد
نهيت قال فأهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يأمره
بشيء قال فقال قد وامرت فلم يأمرني بشيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة
الاولى قال فأخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه واذا أراد أن يدعو أن
يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحوا من ذلك ان شاء الله قال فقالوا ما نراك
تدعو الا علينا قال ما يجري على لساني الا هكذا ولو دعوت عليه ما استجيب لي ولكن سأدلكم على
أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ان الله يبغض الزنا وانهم ان وقعوا بالزنا هلكوا ورجوت أن
يهلكهم الله فأخرجوا النساء لتستقبلهم وانهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا قال ففعلوا
وأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو
بلعام لا تمكني نفسك الا من موسى قال ووقعوا في الزنا قال وأتاها رأس سبط من أسباط بني اسرائيل
فأرادها على نفسها قال فقالت ما أنا بممكنة نفسي الا من موسى قال فقال ان من منزلتي كذا وكذا
وان من حالي كذا وكذا قال فأرسلت الى أبيها تستأمره قال فقال لها مكنيه قال ويأتيهما رجل من
بني هرون ومعه الرمح فيطعنهما قال وأيده الله بقوة فانتظمهما جميعا ورفعهما على رمحه قال فرآهما
الناس أو كما حدث قال وسلط الله عليهم الطاعون قال فمات منهم سبعون الفا قال فقال أبو المعتمر
حدثني سيار أن بلعاما ركب حمارة له حتى اذا أتى المعلولى أو قال طريقا من المعلولى جعل يضربها
لتتقدم قال وقامت عليه فقالت علام تضربني أما ترى هذا الذي بين يديك قال فاذا
الشيطان بين يديه قال فنزل فسجد له قال الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه
الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون قال فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعله قد
دخل فيه شيء من حديث غيره حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال فبلغني
حديث رجل من أهل الكتاب يحدث أن موسى سأل الله أن يطعمه وأن يجعله من أهل النار قال
فعل الله قال أنبئت أن موسى قتله بعد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن
بعض أهل أبي النضر أنه حدث أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم الى بلعم
فقالوا له يا بلعم ان هذا موسى بن عمران في بني اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها

بين خطاه وأدرج الكتاب اذا طواه شيأ بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أنهم كلما أقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من أبواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم أغفل ما يكونون وأملى لهم أطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بألفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة المراد سنستدرجهم الى الكفر مع أنه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة على أن المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا أو في الآخرة وزيف بأن هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو أراد به الخير لأماته قبل أن يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح أن لا يخلقه ابتداء أو يميته قبل التكليف فلما خلقه وألقاه في ورطة التكليف وأمهله ومكنه من المعاصي مع علمه بأن كل ذلك لا يفيده الا مزيدا استحقاق العقاب علمنا أنه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الآية ﴿التأويل﴾ واذ أخذ ربك لم يقل ربكم ليعلم أن في الآية غموضا لا يطلع

غير صلى الله عليه وسلم وغير من أنعم الله به عليه من خواص متابعيه صلى الله عليه وسلم وانه تعالى لم يكلم أحدا وهو يحييه في العدم الا بني آدم
فهم وهم غير موجودين وأجابوه وهم معدومون فجرى بالوجود ما جرى لا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا انتهى نهايتهم بأن يكون الله تعالى
سمعهم وأبصارهم وألسنتهم انما أشرك آباؤنا بأن رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين أبطلوا استعداد

الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها أى وقع فرخ همته العلية
ذكر طلب الحق ومحبته فأدركته هزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم أن المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب أن لا
مكر الله فلا يفتح على نفسه أبواب التنعم والترفه ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا وهم مظاهر القهر فاذ

بها بأن تتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم تتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بماسوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بأن لم توافق أقوالهم أفعالهم سنستدرجهم فينحطون عن مراتبهم بالتدريج والله أعلم أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا

بنى اسرائيل ويسكنها وانا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله عليه
فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا
قالوا ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارته متوجه
الى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى اسرائيل وهو جبل حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت
به فنزل عنها فضربها حتى اذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها
ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله لها فكلمت
حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردنى عن وجهى هذا أتذهب الى نبى
الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك قال فانطلق
به حتى اذا أشرفت على رأس جبل حسبان على عسكر موسى وبنى اسرائيل جعل يدعو عليهم وهو
يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى اسرائيل
قال فقال له قومه أتدرى يا بلعم ما تصنع انما تدعو علينا وتدعو لنا قال فهذا ما لا أملك هذا شئ
غلب الله عليه قال واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة فليس
الا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال جلوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى العسكر
يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم ان زنى منهم واحد كفيتموه
ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى ابنة صور رأس أحد
برجل من عظماء بنى اسرائيل وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم فقام اليها فاخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام
فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لأطأنها
فى هذا فدخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل وكان فنحاص بن العيزار
ابن هرون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا
حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فأخبر الخبر فاخذ حربته
وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما
رافعهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى
لحييه وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من مات
من بنى اسرائيل فى الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة الى أن قتله فنحاص فوجد قد مات
منهم سبعون ألفا والمقلل يقول عشرون ألفا فى ساعة من النهار فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل
فنحاص بن العيزار بن هرون من كل ذبيحة ذبحوها الفشة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على
خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحييه والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه قتل
بكر العيزار ففى بلعم بن باعور أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه
آياتنا فانسلخ منها يعنى بلعم فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون حدثنى
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال انطلق رجل من بنى اسرائيل يقال له
بلعم فاتى الجبارين فقال لا ترهبوا من بنى اسرائيل فانى اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فخر

يونس

يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم
صامتون ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون
بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو

صالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم
ينصرون ﴿ القرا آت فبأى بتليين الهمزة حيث كان الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا أبو عمرو وسهل ويعقوب
ويذرهم غير عياش والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عياش وحمزة وعلى وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان أنا الا بالمد أبو نشيط

شركا بكسر الشين وسكون الراء أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعياش الآخرون بالضم للاتباع كيدونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل والحلوانى عن هشام فى الوصل ينظرون بالياء فى الحالين يعقوب وافق سهل وعياش فى الوصل ان ولى الله بياء واحدة مشددة أبو زيد عن المفضل وشجاع وعياش اذا قرأ بالادغام الكبير ولى بثلاث ياآت رويس والبرجمى الباقون بياءين أولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة ۞ الوقوف من جنة ط مبين ○ من شئ لا لان التقدير وفى أن عسى أجلهم ط لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون ○ هادى له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادى له يعمهون ○ مرساها ط عند ربى ج لاختلاف الجملتين الاهو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ○ ماشاء الله ط من الخير ج لاحتمال أن يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال أن يفسر بالجنون الذى

يتبع يقاتل الجبارين فى الناس وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بنى اسرائيل
فكلما أراد أن يدعو على بنى اسرائيل دعا على الجبارين فقال الجبارون انك انما تدعو علينا
فيقول انما أردت بنى اسرائيل فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان فامسكها فجعل يحركها
فلا تتحرك فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ويلى منك
ولوانى أطقت الخروج لخرجت ولكن هذا الملك يحبسنى وفى بلعم يقول الله واتل عليهم نبأ الذى
آتيناه آياتنا الآية حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنى رجل سمع عكرمة يقول قالت
امرأة منهم أروني موسى فأتاها فتطيبت فمرت على رجل يشبه موسى فواقعها فأتى ابن
هرون فأخبر فأخذ سيفا فطعن به فى احليله حتى أخرجه من قبلها ثم رفعها حتى رآها
الناس فعلم أنه ليس موسى ففضل آل هرون فى القربان على آل موسى بالكتف والعضد والفخذ قال
فهو الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها يعنى بلعم واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ولو شئنا لرفعناه
بها فقال بعضهم معناه لرفعناه بعلمه بها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ولو شئنا لرفعناه بها لرفعه الله تعالى بعلمه وقال آخرون
معناه لرفعناه عنه الحال التى صار اليها من الكفر بالله بآياتنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولو شئنا لرفعناه بها
لرفعناه عنه بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شئنا
لرفعناه بها لرفعناه عنه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم
الخبر بقوله ولو شئنا لرفعناه بها أنه لو شاء رفعه بآياته التى آتاه اياها والرفع يعم معانى كثيرة منها
الرفع فى المنزلة عنده ومنها الرفع فى شرف الدنيا ومكارمها ومنها الرفع فى الذكر الجميل والثناء
الرفيع وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التى
كان آتاها اياه واذ كان ذلك جائزا فالصواب من القول فيه أن لا يخص منه شئ اذ كان لا دلالة على
خصوصه من خبر ولا عقل وأما قوله بها فان ابن زيد قال فى ذلك كالذى قلنا حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شئنا لرفعناه بها بتلك الآيات وأما قوله ولكنه أخلد الى
الارض فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض يعنى ركن الى
الارض قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض قال
نزع الى الارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد أخلد سكن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن
مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان فى بنى اسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا فأخلد الى شهوات
الارض ولذتها وأموالها لم ينتفع بما جاء به الكتاب حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط
عن السدى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه أما أخلد الى الارض فاتبع الدنيا وركن اليها
وأصل الاخلاد فى كلام العرب الابطاء والاقامة يقال منه أخلد فلان بالمكان اذا أقام به وأخلد
نفسه الى المكان اذا أتاه من مكان آخر ومنه قول زهير

نسبوه اليه فيكون ابتداء نفى يؤمنون ○ اليها ج لاجل الفاء فرت به ج لذلك الشاكرين ○ فيما آتاهما ج لابتداء التنزيه ووجه
الوصل تعجيل التنزيه يشركون ○ وهم يخلقون ○ والوصل أولى للعطف ينصرون ○ لا يتبعوكم ط صامتون ○ صادقين ○ يمشون
بها ز لان أم عاطفة مع أنها فى معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط ينظرون ○ الكتاب ط والوصل أولى

لتكون الواو عاطفة الصالحين ○ ينصرون ○ لا يسمعوا ط لا يبصرون ○ ۞ التفسير انه تعالى لما بالغ فى تهديد الملحدين المعرضين
آياته الغافلين عن التأمل فى بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال أولم يتفكروا واذا علم أن الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والح
ولها مقدمة هى تقليب الحدقة الى جهة المرئى كذلك رؤية البصيرة وهى المسماة بالعلم واليقين حالة متعينة بالوضوح والانارة
مقدمة هى تقلب حدقة القلب
الى الجوانب طلبا لذلك وهذه
الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته
وفى اللفظ محذوف والتقدير أولم
يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من
جنة وهى حالة من الجنون كالجلسة
كان جهال أهل مكة ينسبونه الى
الجنون لوجهين أحدهما أنه صلى
الله عليه وسلم كان يغشاه حالة عجيبة
عند الوحى شبيهة بالغشى يتربد
وجهه و يتغير لونه والثانى أن فعله
وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال
على الآخرة والدعاء الى الله تعالى
كان مخالفا لفعلهم وعن الحسن وقتادة
أن النبى صلى الله عليه وسلم قام ليلا
على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش
يا بنى فلان يا بنى فلان يحذرهم بأس
الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم
هذا المجنون واظب على الصياح الى
الصباح فأمرهم الله تعالى
بالتفكر والتدبر فى أمره وذلك أنه
صلى الله عليه وسلم كان
يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم
عليهم الدلائل القاطعة بألفاظ
فصيحة عجز الاولون والآخرون عن
معارضتها وكان حسن الاخلاق
طيب العشرة مرضى السيرة مواظبا
على أعمال حسنة صار بسببها قدوة
لعقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة
أن مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه
بالجنون وانما هو نذير مبين أرسله
رب العالمين لترهيب الكافرين
وترغيب المؤمنين ولما كان النظر
فى أمر النبوة مقرونا على دلائل
التوحيد قال أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض أى فى مدلولاتهما والملكوت الملك العظيم وفى انكار عدم
النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقدمر فى هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولاسيما فى
سورة البقرة عند قوله ان فى خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شئ أى مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس غير محصورة والغرض

لمن الديار غشيتها بالغرقد * كالوحى فى حجر المسيل المخلد

يعنى المقيم ومنه قول مالك بن نويرة

بأبناء حى من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وكان بعض البصريين يقول معنى قوله أخلد لزم وتقاعس وأبطأ والمخلد أيضا هو الذى يبطئ شيبه
من الرجال وهو من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعياته وأما قوله واتبع هواه كان ابن زيد
قال فى تأويله ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتبع هواه قال
كان هواه مع القوم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث﴾ يقول تعالى ذكره فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذى يلهث طردته
أو تركته ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال
بعضهم مثله به فى اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها اياه واعراضه عن مواعظ الله التى
فيها اعراض من لم يؤته الله شيأ من ذلك فقال جل ثناؤه فيه اذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى
آتاها اياه أولم يوعظ فى أنه لا يتعظ بها ولا يترك الكفر به فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهث
طرد أولم يطرد اذ كان لا يترك اللهث بحال ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال
تطرده هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج
قال قال ابن جريج قال مجاهد فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده بدا بتك ورجلك
يلهث قال مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه قال ابن جريج الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد
له ان حملت عليه يلهث أو تتركه يلهث قال مثل الذى يترك الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع
حدثنى ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور به عن معمر عن بعضهم فمثله كمثل الكلب ان تحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث فذلك هو الكافر هو ضال ان وعظته وان لم تعظه حدثنى المثنى
قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه الحكمة لم يحملها وان ترك لم يهتد لخير كالكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال آتاه الله
آياته فتركها فجعل الله مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه
الشيطان الآية هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه قال وكان الحسن
يقول هو المنافق ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال هذا مثل الكافر ميت الفؤاد وقال آخرون انما
مثله جل ثناؤه بالكلب لانه كان يلهث كما يلهث الكلب ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال
ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث
وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب وأما تحمل عليه فتشدد عليه * قال أبو جعفر وأولى التأويلين

على أن الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل ظاهر على
انية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها
ها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد في ذاته

وفي جميع اعتباراته وأن عسى هي
مخففة من الثقيلة والاصل وانه
عسى على أن الضمير للشأن وفي أن
يكون ضمير الشأن أيضا والمعنى
أولم ينظروا في أن الشأن والحديث
عسى أن يكون الشأن قد اقترب
أجلهم الموت أو القيامة واذا كان
أحد هذين الاحتمالين قائما
وجب على العاقل المسارعة الى
هذا الفكر والنظر سعيا في
تخليص النفس من هذا الخوف
الشديد والخطر العظيم أما قوله
فبأي حديث بعده يؤمنون
فتعلق بقوله عسى أن يكون كأنه
قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم
لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل
الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وبأي حديث أحق منه
يريدون أن يؤمنوا ولا دلالة في
اطلاق لفظ الحديث على القرآن
على أنه ليس بقديم لان المراد بالحديث
ما يرادف الكلام ولو سلم فانه
محمول على الالفاظ والكلمات
ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل
الله فلا سبق تفسير مثله ثم لما تكلم
في النبوة والتوحيد والقضاء
والقدر أتبعه الكلام في المعاد
فقال يسألونك عن الساعة وأيضا
لما ذكر اقتراب الاجل بين أن وقت
الساعة مكتوم عن الافهام ليصير
ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى
التوبة وأداء الفرائض ومن السائل
عن ابن عباس أنهم اليهود قالوا
يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت

نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا
متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس
لطولها كما يقال للحبشي أبو البيضاء أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق وأيان استفهام عن الزمان ويختص بالامور

ن بالصواب تأويل من قال انما هو مثل لترك العمل بآيات الله التي آتاها اياه وان معناه سواء
ا أولم يوعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك
طرد في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه وانما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته وقد علمنا أن اللهاث ليس
خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الانابة من تكذيب بآيات الله وان ذلك انما هو مثل ضربه
لهم فكان معلوما بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية كما هو لسائر المكذبين بآيات
مثل ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
مثل القوم الذين كذبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا
التي آتيناها اياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك وأما قوله فاقصص القصص فانه يقول لنبيه
صلى الله عليه وسلم فاقصص يا محمد هذا القصص الذي قصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا
وأخبار الامم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم وماحل
بهم من عقوبتنا ونزل بهم حين كذبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ومن قبلك من يهود بني
اسرائيل ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا الى طاعتنا لئلا يحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من
نظائرهم والمثلات ويتدبره اليهود من بني اسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك اذ كان نبأ الذي
جئناه آياتنا من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه الا أحبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها
منهم وفي علمك بذلك وأنت أمي لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة
قائمة لك عليهم بأنك لله رسول وانك لم تعلم ما علمت من ذلك وحالك الحال التي أنت بها الا بوحي من
السماء وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد عن سالم أبي النضر
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون يعني بني اسرائيل اذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون
عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأتك بهذا الخبر عما مضى فيهم الا نبي يأتيه خبر السماء ﴿ القول
في تأويل قوله ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ساء
مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها ويبخسونها
منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها وقيل ساء مثلا من الشر بمعنى بئس مثلا وأقيم القوم مقام المثل
وحذف المثل اذ كان الكلام مفهوما معناه كما قال جل ثناؤه ولكن البر من آمن بالله فان معناه ولكن
البر بر من آمن بالله وقد بينا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن اعادته ﴿ القول في تأويل
قوله ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره الهداية
والاضلال بيد الله والمهتدي وهو السالك سبيل الحق الراكب قصد المحجة في دينه من هداه الله لذلك
ووفقه لاصابته والضال من خذله الله فلم يوفقه لطاعته ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر يعني الهالك
وقد بينا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا
الموضع ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا لجهنم

العظام نحو أيان مرساها وأيان يوم الدين ولا يقال أيان تعت وكسر همزته لغة بني سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من أى فعلان منه وأى نفسه أويت اليه لان البعض يأوى الى الكل وأنكر أن يكون اشتقاقه من أين لانه للزمان وأين للمكان ولقلة فعال فى الاسماء وكثرة فعلان وقال الاندلسى أصله أى أوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقى أيوان فادغم بعد القلب وقيل أصله أى آن بمعنى أى نخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون بأى وردبأن آنا لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وأرست السفينة ولا أثقل من الساعة على الخلائق قل انما علمها أى علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربى قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه لتكون أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى وقت الموت لذلك لا يجليها الا يظهرها لوقتها أى للخبر عن وقتها قبل مجيئها أحد الا هو والحاصل أنه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت فى السموات والارض قال الحسن أى ثقل مجيئها على أهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى أهل الارض لان فى ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم أو ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال أو ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم أى أشكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبى انهم صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفس محمد بيده لتقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله كأنك حفى عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى عن كنه ثقل الساعة

كثيرا من الجن والانس يقال منه ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرأ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن مسلم ابن فضالة عن الحسن فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال مما خلقنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن مبارك عن الحسن فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال خلقنا لها ثنا زكريا عن عتاب بن بشير عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير قال أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم قال ثنا زكريا بن عدى وعثمان الاحول عن مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن معاوية ابن اسحق عن جليس له بالطائف عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله لما خلق لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنا مما ذرأ لجهنم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولقد ذرأنا لجهنم يقول خلقنا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا وقال جل ثناؤه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لتفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون الى بكفرهم بربهم وأما قوله لهم قلوب لا يفقهون بها فان معناه لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ولا يعتبرون بها حجج رسله فيعلموا توحيد ربهم ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها الاعراض عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر وكذلك قوله ولهم أعين لا يبصرون بها معناه ولهم أعين لا ينظرون بها الى آيات الله وأدلته فيتأملوها ويتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما تدعوهم اليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم اعمالها فى الحق بأنهم لا يبصرون بها وكذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وذلك نظير وصف الله اياهم فى موضع آخر بقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول مسكين الدارمى

أعمى اذا ما جارتى خرجت * حتى يوارى جارتى الستر
وأصم عما كان بينهما * سمعى وما بالسمع من وقر

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم ومنه قول الآخر

وعوراء اللئام صممت عنها * وانى لو أشاء بها سميع
وبادرة وزعت النفس عنها * ولو بينت من العصب الضلوع

وذلك كثير فى كلام العرب وأشعارها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله لهم قلوب لا يفقهون بها قال لا يفقهون بها شيأ من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم جعلهم كالانعام ثم جعلهم شرا من الانعام فقال بل هم أضل ثم أخبر

نهاومهابتها ولهذا خص باسم الله فى قوله قل انما علمها عند الله لان أعظم أسماء الله مهابة هو الله وأما الرب فيدل على التربية والرحمة
والهيبة والعزة وفى الحفى وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن يمعنى الباء أى كأنك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة
والضمير عائد الى قريش التى ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى أن يخبرهم بالساعة والمعنى أنك لا تكون حفيا بهم

هم الغافلون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ يعنى
ل ثناؤه بقوله أولئك كالانعام هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالانعام وهى البهائم التى لا تفقه
يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح ومالا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما
بهم الله بها اذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حجه ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى
كتابه ثم قال بل هم أضل يقول هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا عن الحق وألزم لطريق
الباطل من البهائم لان البهائم لا اختيار لها ولا تميز فتختار وتميز وانما هى مسخرة ومع ذلك تهرب
من المضار وتطلب لانفسها من الغذاء الاصلح والذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية مع ما أعطوا
من الافهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه
مضارها فالبهائم منها أسد وهى منها أضل كما وصفها به ربنا جل ثناؤه وقوله أولئك هم الغافلون
يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا يعنى سهوا عن آياتى وحجى
فلم يتدبروا برهانها والاعتبار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيدى بها الا البهائم التى قد عرفها
ربها بما قد حضرها له ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولله الاسماء الحسنى وهى كما قال ابن عباس
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها ومن أسمائه العزيز الجبار وكل أسماء الله حسن حدثنى يعقوب قال ثنا
ابن علية عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها كلها دخل الجنة وأما قوله وذروا الذين يلحدون
فى أسمائه فانه يعنى به المشركين وكان الحادهم فى أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هى عليه فسموا بها
آلهتهم وأوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذى
هو الله وسموا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذى هو العزيز وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
عن أبيه عن ابن عباس وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال الحاد الملحدين أن دعوا اللات فى أسماء
الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا الذين
يلحدون فى أسمائه قال اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله واختلف أهل
التأويل فى تأويل قوله يلحدون فقال بعضهم يكذبون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال
ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال
الالحاد التكذيب وقال آخرون معنى ذلك يشركون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد
الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة يلحدون قال يشركون وأصل الالحاد فى كلام العرب
العدول عن القصد والجور عنه والاعراض ثم يستعمل فى كل معوج غير مستقيم ولذلك قيل للحد
الذى فى القبر لحد لانه فى ناحية منه وليس فى وسطه يقال منه ألحد فلان يلحد الحادا ولحد يلحد لحدا ولحودا
وقد ذكر عن الكسائى أنه كان يفرق بين الالحاد واللحد فيقول فى الالحاد انه العدول عن القصد وفى
اللحد انه الركون الى الشئ وكان يقرأ جميع ما فى القرآن يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الا التى

مادامو ا على كفرهم ولو أخبرت
بوقتها وأمرت بالاخبار عنها لكنت
مبلغه القريب والبعيد من غير
تخصيص كسائر ما أوحى اليك
وعلى هذا القول جاز أن يكون عنها
متعلقا بيسألونك أى يسألونك
عنها كأنك حفى أى عالم بها فحذف
قوله بها لطول الكلام أولانه
معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف
وحفى فعيل من حفى فلان بالمسئلة
أى استقصى والمعنى كأنك بليغ فى
السؤال عنها لان من أكثر السؤال
علم وهذا التركيب يفيد المبالغة
ومنه احفاء الشارب وأحفى فى
المسئلة اذا ألحف وقيل المراد كأنك
حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى
أنك تكره السؤال عنها لانه من
علم الغيب الذى استأثر الله به
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه
مختص بذلك العلم أو لا يعلمون أن
القيامة حق وانما يقولون ان هى
الا حياتنا الدنيا أو لا يعلمون السبب
الذى لاجله خفيت معرفة وقتها
المعين عن الخلق ثم أمر نبيه باظهار
ذلة العبودية حتى لا ينسب اليه
نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم
بالغيب فقال قل لا أملك لنفسى
نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه أن
قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من
كان عبدا كان كذلك والقدرة
الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله
تعالى واحتجت الاشاعرة بالآية
فى مسئلة خلق الاعمال قالوا
الايمان نفع والكفر ضر فوجب أن

لحصلا الا بمشيئة الله تعالى وأجابت المعتزلة بأن المراد لا أملك لنفسى من النفع والضر الا قدر ما شاء الله أن يقدرنى عليه ويمكننى منه وظاهر
الآية وان كان عاما الا أنها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبى ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشترى
فيه ونربح وبالارض التى تريد أن تجدب فترتحل عنها الى ما قد أخصب فأنزل الله هذه الآية فالمراد بالخير فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت

من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت أعلم الغيب لكثر أن الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك فكنت أشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من بني المصطلق جاء في الطريق ريح نفرت ناقته منها فاخبر (٩٢) صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا ناقتي فقال عبد الله بن أبي لقومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقته فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت أما قوله ومامسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدبير ان أنا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة ومامن شأني أن أعلم الغيب وقوله لقوم يؤمنون اما أن يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر أو يتعلق بالوصفين جميعا الا أن المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم أن أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معاجا آ بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد بعد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيثما تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير ومامسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير أمر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة والمروي عن ابن عباس أنها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في أول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعبأ

في النحل فانه كان يقرؤها يلحدون بفتح الياء والحاء ويزعم أنه بمعنى الركون وأما سائر أهل اللغة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد واختلفوا القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين يلحدون بضم الياء وكسر الحاء من ألحد يلحد في جميع القرآن وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد يلحد والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الصواب في ذلك غير أني أختار القراءة بضم الياء على لغة من قال ألحد لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وكان ابن زيد يقول في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه انه منسوخ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال هؤلاء أهل الكفر وقد نسخه القتال ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من انه منسوخ لان قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن في قتالهم وانما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم كما قال في موضع آخر ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الآية وكقوله ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون وهو كما خرج مخرج الامر بمعنى الوعيد والتهديد ومعناه ان تمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله الى أن أحل بهم بالغوه فسوف يجزون اذا جاءهم أجل الله الذي أجله اليهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون قبل ذلك من الكفر بالله والالحاد في أسمائه وتكذيب رسوله ﴿القول في تأويل قوله ﴿وممن خلقنا أمة يهتدون بالحق وبه يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن الخلق الذين خلقنا أمة يعني جماعة يهدون يقول يهتدون بالحق وبه يعدلون يقول وبالحق يقضون وينصفون الناس كما قال ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن جريج ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال هذه أمتي قال بالحق يأخذون وبه يعطون ويقضون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذا لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴿القول في تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها ولم يتذكروا بها فنمهله بغرته ونزين له سوء عمله حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله الى نفسه محسن وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل ثم يأخذه باعماله السيئة فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعد له وذلك استدراج الله اياه وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج اليه محسن حتى يورطه مكروه وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ﴿القول في تأويل قوله ﴿وأملي لهم ان كيدي متين﴾ يقول تعالى ذكره وأؤخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ملاءة بالكسر والضم والفتح من الدهر وهي الحين ومنه قيل انتظرتك ملية لبيلغوا بمعصيتهم ربهم المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم اليه ان كيدي والكيد هو المكر وفي

متين

لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولدلكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث وذلك قوله فلما آتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعنى آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث وهذا تمام القصة وقد زيفها النقاد بوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون مالا يخلق شيأ الى آخر الآيات وفى ذلك تصريح بأن المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لكان أيشركون مالا يخلق شيأ وهو يخلق ومنها أن آدم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء أم كيف لم يعرف أن اسم ابليس كان حارثا أم كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد أن جرى عليه منه ما جرى ومنها أنه أراد بذلك اسم علم أو اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لأن أسماء الاعلام لا تفيد فى المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثانى يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك ذكر العلماء فى تأويله وجوها أحدها أن هذا مثل فكأنه تعالى يقول هو الذى خلقكم أى كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه فى الانسانية يسكن أى تلك النفس فذكر بعد ما أنث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذى يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى فلما تغشاها أى جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان فى البطن أو على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر أو على الدابة فمرت به أى استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير اذلاق وقيل فقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة أنها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما أثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا أى الزوج والزوجة الله ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه أو ولدا ذكورا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف المضاف أى ذوى شرك وهم الشركاء أيضا أو المراد أحد ثالثه اشراكا

منين يعنى قوى شديد ومنه قول الشاعر (٣)

عدلن عدول الناس واقصد يبتلى * اقاس من الهراب شد مماتن

يعنى سيرا شديدا باقيا لا ينقطع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم ويعلموا أن رسولنا الذى أرسلناه اليهم لا جنة به ولا خبل وان الذى دعاهم اليه هو الدين الصحيح القويم والحق المبين ولذا نزلت هذه الآية فيما قيل كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذا فخذا يا بنى فلان يا بنى فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تبارك وتعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ويعنى بقوله ان هو الا نذير مبين ما هو الا نذير منذركم عقاب الله على كفركم به ان لم تنيبوا الى الايمان به ويعنى بقوله مبين قد أبان لكم أيها الناس انذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله فى ملك الله وسلطانه فى السموات وفى الارض وفيما خلق جل ثناؤه من شئ فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيه ومن فعل من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا الى طاعته ويخلعوا الانداد والاوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا الى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فبأى حديث بعده يؤمنون يقول فبأى تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى آى كتابه يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الكتاب الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره ان اعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا التاركى النظر فى حجج الله والفكر فيها لاضلال الله اياهم ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبروا فأبصروا رشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا ومن أضله عن الرشاد فلا هادى له اليه ولكن الله يدعهم فى تماديهم فى كفرهم وتمردهم فى شركهم يترددون ليستوجبوا الغاية التى كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو﴾ اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله يسألونك عن الساعة فقال بعضهم عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسئلونك كأنك حفى عنها وقال آخرون بل عنى به قوم من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا

فى الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله وهم آل قصى والمعنى هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وثالثها سلمنا أن الآية وردت فى قصة آدم الا أنه لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون أى تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك أنهم كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الاصنام ويرجع فى طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره أن ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت فى حق فلان كذا وأحسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلنى بالشر والاساءة انه برىء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلنى بالشر النفى والتبعيد أو نقول لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا له على حذف المضاف أى جعلا أولادهما له شركاء وكذا فيما آتاهما أى آتى أولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين أو نوعين ذكرا وأنثى وبلفظ الجمع أخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا أن الضمير فى جعلا وفى آتاهما لآدم وحواء الا أنهما كانا عزما أن يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به فى مصالح الدنيا فأريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين أو نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم عليه عبد المنعم ومنه قول بعض العلماء أنا عبد من علمنى حرفا فلما حصل الاشراك فى لفظ العبد صار امعانا فى بذل الله تعالى أعلم ثم أقام الحجة على أن الاوثان لا تصلح للالهية فقال أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون اعتبر اللفظ أولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع

محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال حمل بن أبى قشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هى فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها فانما علمها عند ربى الى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن أبى خالد عن مخارق بن شهاب قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فأنزل الله هذه الآية وجائز أن يكون كانوا من قريش وجائز أن يكون كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أى ذلك كان فتأويل الآية اذا يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها ومعنى أيان متى فى كلام العرب ومنه قول الراجز

أيان تقضى حاجتى أيانا * أما ترى لنجحها إبانا

ومعنى قوله مرساها قيامها من قول القائل أرساها الله فهى مرساة وأرساها القوم اذا حبسوها ورست هى ترسو رسوا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها متى قيامها وقال آخرون معنى ذلك منتهاها وذلك قريب المعنى من معنى من قال معناه قيامها لان انتهاءها بلوغها وقتها وقد بينا أن أصل ذلك الحبس والوقوف ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يعنى منتهاها وأما قوله قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو فانه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها الا الله الذى يعلم الغيب وانه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو يقول علمها عند الله هو يجليها لوقتها لا يعلم ذلك الا الله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يجليها يأتى بها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد لا يجليها قال لا يأتى بها الا هو **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا يجليها لوقتها الا هو يقول لا يرسلها لوقتها الا هو

القول فى تأويل قوله ﴿ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ثقلت الساعة على أهل السموات والارض أن يعرفوا وقتها ومجيئها لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ثقلت فى السموات والارض يقول خفيت فى السموات والارض فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرب ولا نبى مرسل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن بعض أهل التأويل

بالواو والنون بناء على معتقدهم أنهم عقلاء واحتجت الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على أن غير الله لا يخلق ثم بين أن المعبود يجب أن يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا أنفسهم ينصرون ولا يدفعون عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل أن الاصنام لا تنصر من أطاعها ولا تقتص ممن عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر أنها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا علم لها بشئ من الاشياء وأنها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز أن يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله بدليل قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في أول سورة البقرة في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين كانوا اذا وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين أن تستمروا على صمتكم ثم أكد بيان أنها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بأنها عباد وأجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بأن ذلك ورد على معتقدهم أنها عقلاء وفيه أيضا نوع من الاستهزاء أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها آلهة لكم وأربابا ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في أنها آلهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل أنها لا تقدر على الاجابة ظهر أنها لا تصلح للعبودية وأنها والعباد سواء بل هم أخس وأدون بدليل قوله ألهم أرجل يمشون بها الآية وذلك أن كل ما هو من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء والآلات فاذا كان فيها قوى

ثقلت في السموات والارض قال ثقل علمها على أهل السموات وأهل الارض انهم لا يعلمون وقال آخرون معنى ذلك أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر قال قال الحسن في قوله ثقلت في السموات والارض يعني اذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الارض يقول كبرت عليهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثقلت في السموات والارض قال اذا جاءت انشقت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قال الله فذلك ثقلها **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال بعض الناس في ثقلت عظمت وقال آخرون معنى قوله في السموات والارض على السموات والارض ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثقلت في السموات والارض أي على السموات والارض * قال أبو جعفر وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثقلت الساعة في السموات والارض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها الا ان الله أخفى ذلك عن خلقه فلم يطلع عليه منهم أحدا وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وأخبر بعده أنها لا تأتي الا بغتة فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق اذ كان ما قبله وما بعده كذلك وأما قوله لا تأتيكم الا بغتة فانه يقول لا تجيء الساعة الا فجأة لا تشعرون بمجيئها كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا تأتيكم الا بغتة يقول يبغتهم قيامها تأتيهم على غفلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تأتيكم الا بغتة قضى الله أنها لا تأتيكم الا بغتة قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه * القول في تأويل قوله ﴿يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره يسألك هؤلاء القوم عن الساعة كأنك حفي عنها فقال بعضهم يسئلونك عنها كأنك حفي بهم وقالوا معنى قوله عنها التقديم وان كان مؤخرا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يسئلونك كأنك حفي عنها يقول كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم فأوحى الله اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسألونك كأنك حفي عنها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسألونك كأنك حفي عنها أي حفي بهم قال قالت قريش يا محمد أسر الينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر وهانئ بن سعيد عن حجاج عن خصيف عن مجاهد وعكرمة يسألونك كأنك حفي عنها قال حفي بهم حين يسألونك **حدثني**

محركة ومدركة كان هو أفضل ممن خلت أعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة المفضول الخسيس الدنيء
قلنا كل ما من شأنه أن يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فا
القادر القاهر من غير افتقار الى آلة وعدة (٩٦) كان أشرف ممن يفتقر في أفعاله الى الآلات فضلا عمن لا فعل لا آلته فلا يرد اعتراض

بعض أغمار المشبهة أن الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بآلهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أمر من الكيد المكر فلا تنظرون نهى عن الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله أن لا يبالي بغير الله كائنا من كان ثم لما أمره صلى الله عليه وسلم بالتبري حثه على التولي فقال ان ولي أي ناصري عليكم الله الآية وفيه أن الواجب على كل عامل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين أما الدينية الأخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة وأما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين أي من عباده أن ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك يأس المشركين أن يضره كيدهم يحكى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لأولاده شيأ فقيل له في ذلك فقال اما أن يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما أن يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن أكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم أشتغل باصلاح مهماته أقول وفي التقريب بالآية الثانية نظر لانها حكاية كلام موسى اللهم الا أن يقال التقريب في التقرير ثم أعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه نفعا

الآية قال الواحدي انما أعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كأنه قيل الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم

الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يسألونك كأنك حفي عنها قال قريب منهم ويحفى عليهم قال وقال أبو مالك كأنك حفي بهم قال قريب منهم ويحفى عليهم قال وقال أبو مالك كأنك حفي بهم فتحدثهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يسألونك كأنك حفي عنها كأنك صديق لهم وقال آخرون بل معنى ذلك كأنك قد استحفيت المسئلة عنها فعلمتها ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كأنك حفي عنها استحفيت عنها السؤال حتى علمتها **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد في قوله كأنك حفي عنها قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك يسألونك كأنك حفي عنها قال كأنك عالم بها قال ثنا حامد بن نوح عن أبي روق عن الضحاك يسألونك كأنك حفي عنها قال كأنك تعلمها حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله يسألونك كأنك حفي عنها يقول يسألونك عن الساعة كأن عندك علما منها قال انما علمها عند ربي **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن بعضهم كأنك حفي عنها كأنك عالم بها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كأنك حفي عنها قال كأنك بها عالم وقال أخفى علمها على خلقه وقرأ ان الله عنده علم الساعة حتى ختم السورة **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك كأنك حفي عنها يقول كأنك يعجبك سؤالهم اياك قل انما علمها عند الله وقوله كأنك حفي عنها يقول لطيف بها فوجه هؤلاء تأويل قوله كأنك حفي عنها الى حفي بها وقالوا تقول العرب تحفيت له في المسئلة وتحفيت عنه قالوا ولذلك قيل أتينا فلانا نسأل به بمعنى نسأل عنه * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه كأنك حفي بالمسئلة عنها فتعلمها فان قال قائل وكيف قيل حفي عنها ولم يقل حفي بها ان كان ذلك تأويل الكلام قيل ان ذلك قيل كذلك لان الحفاوة انما تكون في المسئلة وهي البشاشة للمسؤل عند المسئلة والاكثار من السؤال عنه والسؤال يوصل بعن مرة وبالباء مرة فيقال سألت عنه وسألت به فلما وضع قوله حفي موضع السؤال وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال وهو عن كما قال الشاعر

سؤال حفي عن أخيه كأنه * يذكره وسنان أو متواسن

وأما قوله قل انما علمها عند الله فان معناه قل يا محمد لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها الاعلم لي بذلك ولا يعلم به الا الله الذي يعلم غيب السموات والارض ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه الا الله بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيان مرساها لا أملك لنفسي

الى الهدى لا يسمعوا لاسماع سمع ولاسماع اجابة وتراهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئى وقيل الضمير فى قوله وان تدعوهم الى آخر الآية يعود الى المشركين المار ذكرهم فى قوله قل ادعوا والمراد أنهم بلغوا فى الجهل والحماقة الى أنك لو دعوتهم وأظهرت أنواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم الى الناس واليك ينظرون ولكنهم لشدة اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكأنهم عمى يصدقه قوله فى موضع آخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴿التأويل﴾ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض لأرباب العقول النظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب الولوج والكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شئ يعنى عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذى أبدع من غير شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم يعنى أجل فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا فبأى حديث بعده أى بعد النظر يؤمنون يسألونك عن الساعة يريد الساعة التى يظهر الله تعالى فيها آثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فيجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحياة الابدية ورفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هى الروح وخلق منها زوجها وهى القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من أصابع الرحمن فكان الروح يشم من القلب نسائم نفحات ألطاف الحق حملت حملا خفيفا فى البداية بظهور أدنى أثر من آثار الصفات البشرية فى القلب الروحانى فلما أثقلت كثرت آثار الصفات خاف الروح والقلب على أنفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا أى الروح والقلب له شركاء أى جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة

نفعا ولا ضرا يقول لا أقدر على اجتلاب نفع الى نفسى ولا دفع ضر يحل بها عنها الا ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقوينى عليه ويعيننى ولو كنت أعلم الغيب يقول لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد لاستكثرت من الخير يقول لأعددت الكثير من الخير ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الخير الذى عناه الله بقوله لاستكثرت من الخير فقال بعضهم معنى ذلك لاستكثرت من العمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا قال الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء قال لاجتنبت ما يكون من الشر واتقيته وقال آخرون معنى ذلك ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ولعرفت الغلاء من الرخص واستعددت له فى الرخص وقوله وما مسنى السوء يقول وما مسنى الضر ان أنا الا نذير وبشير يقول ما أنا الا رسول الله أرسلنى اليكم أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم وقوله لقوم يؤمنون يقول يصدقون بانى لله رسول ويقرون بحقية ما جئتهم به من عنده ﴿القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره هو الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى بالنفس الواحدة آدم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة من آدم ويعنى بقوله وجعل منها زوجها وجعل من النفس الواحدة وهو آدم زوجها حواء كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل منها زوجها حواء فجعلت من ضلع من أضلاعه ليسكن اليها ويعنى بقوله ليسكن اليها ليأوى اليها لقضاء الحاجة ولذته ويعنى بقوله فلما تغشاها فلما تدثرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها حملت حملا خفيفا وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف وذلك قوله فلما تغشاها حملت وانما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت وقوله حملت حملا خفيفا يعنى بخفة الحمل الماء الذى حملته حواء فى رحمها من آدم انه كان حملا خفيفا وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها وأما قوله فمرت به فانه يعنى استمرت بالماء قامت به وقعدت وأتمت الحمل كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى عمير عن أيوب قال سألت الحسن عن قوله حملت حملا خفيفا فمرت به قال لو كنت امرأ عربيا لعرفت ما هى انما هى فاستمرت به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به استبان حملها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله حملت حملا

وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيعون لهم نصرا أى لا تستطيع الدنيا ومن فيها للروح والقلب والنفس تقوية وتربية الا بالله ولا أنفسهم ينصرون للبقاء والدوام ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان (٩٨) تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم

بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾

* القراآت طيف بسكون الياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد أبو جعفر ونافع الآخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وأمر مدغما أبو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف

۞ الوقوف الجاهلين ○ بالله ط عليم ○ مبصرون ○ ج لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضى الوصل لبيان اختلاف حالى الفريقين لا يقصرون ○ اجتبيتها ط من ربى ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ○ ترحمون ○ من الغافلين ○ يسجدون ○

۞ التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم أرشد الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما أتى من غير كلفة واعلم أن الحقوق التى تستوفى من الناس اما أن يجوز ادخال المسامحة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب أن يدعوا الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما أن لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وأمر بالعرف وهو المعروف والعارفة كل أمر عرف أنه لا بد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر فى هذا الصلاح

خفيفا قال هى النطفة وقوله فمرت به يقول استمرت به وقال آخرون معنى ذلك فشكت فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فمرت به قال فشكت أحملت أم لا ويعنى بقوله فلما أثقلت فلما صار ما فى بطنها من الحمل الذى كان خفيفا ثقيلا ودنت ولادتها يقال منه أثقلت فلانة اذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال أتمر فلان اذا صار ذا تمر كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أثقلت كبر الولد فى بطنها قال أبو جعفر دعوا الله ربهما يقول نادى آدم وحواء ربهما وقالا يا ربنا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين واختلف أهل التأويل فى معنى الصلاح الذى أقسم آدم وحواء عليهما السلام انه ان آتاهما صالحا فى جعل حواء لنكونن من الشاكرين فقال بعضهم ذلك هو أن يكون الحمل غلاما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن فى قوله لئن آتيتنا صالحا قال غلاما وقال آخرون بل هو أن يكون المولود بشرا سويا مثلهما ولا يكون بهيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن جبير الحسمى عن أبى البخترى فى قوله لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين قال أشفقا أن يكون شيأ دون الانسان قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن زيد بن جبير عن أبى البخترى قال أشفقا أن لا يكون انسانا قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل عن أبى صالح قال لما حملت امرأة آدم فأثقلت كانا يشفقان أن يكون بهيمة فدعوا ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال أشفقا أن يكون بهيمة حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال سعيد بن جبير لما هبط آدم وحواء ألقيت الشهوة فى نفسه فأصابها فليس الا أن أصابها حملت فليس الا ان حملت تحرك فى بطنها ولدها قالت ما هذا الذى فى بطنى أرى دابة فى الارض الا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة هو بعض ذلك قالت والله ما منى شئ الا وهو يضيق عن ذلك قال فاطيعينى وسميه عبد الحرث تلدى شبهكما مثلكما قال فذكرت ذلك لآدم عليه السلام فقال هو صاحبنا الذى قد أخرجنا من الجنة فمات ثم حملت بآخر فجاءها فقال أطيعينى وسميه عبد الحرث وكان اسمه فى الملائكة الحرث والاولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة أو قتلته فانى أنا قتلت الاول قال فذكرت ذلك لآدم فكأنه لم يكرهه فسمت عبد الحرث فذلك قوله لئن آتيتنا صالحا يقول شبهنا مثلنا فلما آتاهما صالحا قال شبههما مثلهما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أثقلت كبر الولد فى بطنها جاءها ابليس فخوفها وقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو من قبلك أو ينشق بطنك فيقتلك فذلك حين دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يقول مثلنا لنكونن من الشاكرين * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء وأقسما لئن أعطاهما ما فى بطن حواء صالحا ليكونان لله من الشاكرين والصلاح قد يشمل معانى كثيرة منها الصلاح فى استواء الخلق ومنها

القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل فى ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا أمر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال وأعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبرائيل ماهذا فقال لا أدرى حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبرائيل مطابق للفظ الآية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا أعطيت من حرمك فقد أمرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه ليس فى القرآن العزيز آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية ولبعض المفسرين فى تفسير الآية طريق آخر قالوا خذ العفو أى ما أتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ماوراء ذلك فنسخت بآية الزكاة وأمر بالعرف أى باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ وأعرض عن الجاهلين أى المشركين وهذه منسوخة بآية القتال والحق أن تخصيص أخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة لا ينافى ذلك لان آخذ الزكاة مأمور بأن لا يأخذ كرائم أموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكى وأيضا لا يمتنع أن يؤمر النبى بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن بقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال أبو زيد لما نزل قوله وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ أى غرز ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده

الصلاح فى الدين والصلاح فى العقل والتدبير واذ كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى الصلاح دون بعض ولا فيه من العقل دليل وجب أن يعم كما عمه الله فيقال انهما قالا لئن آتيتنا صالحا بجميع معانى الصلاح وأما معنى قوله لنكونن من الشاكرين فانه لنكونن ممن يشكرك على ماوهبت له من الولد صالحا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما ثم اختلف أهل التأويل فى الشركاء التى جعلاها فيما أوتيا من المولود فقال بعضهم جعلا له شركاء فى الاسم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كانت حواء لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحرث فعاش لها ولد فسمته عبد الحرث وانما كان ذلك من وحى الشيطان **حدثنى** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر عن أبيه قال ثنا أبو العلاء عن سمرة بن جندب أنه حدث أن آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحرث قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحرث **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم فتعبد هم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فاتاها ابليس وآدم فقال انكما لو تسميانه بغير الذى تسميانه لعاش فولدت له رجلا فسماه عبد الحرث ففيه أنزل الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما الى آخر الآية **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى آدم هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله فمرت به فاستكت أحبلت أم لا فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما أهل تدريان ما يكون أبهيمة تكون أم لا وزين لهما الباطل انه غوى مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان انكما ان لم تسمياه بى لم يخرج سويا ومات كما مات الاولان فسميا ولدهما عبد الحرث فذلك قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لما ولد له أول ولد أتاه ابليس فقال انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك قال ابن عباس وكان اسمه فى السماء الحرث قال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فأخرجتنى من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولدا آخر فقال أطيعنى والا مات كما مات الاول فعصاه فمات فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما أشركه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن أطاعه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن لهيعة عن أخبرنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور

عن أبى زيد نزغت ما بين القوم أى أفسدت ما بينهم وأصله الازعاج بالحركة الى الشر وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته فى القلب بما يسول للانسان من المعاصى وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهى الاستخلاص عن حول الانسان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على أوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبى حتى عرف الغضب فى وجه

أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين فى عصمة الأ
لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب أن كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن أين علم أنه صلى الله
عليه وسلم قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول (١٠٠) على ترك الاولى ثم ختم الآية بقوله انه سميع عليم ليعرف أن القول اللسانى بدون

المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكأنه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع وأحضر معنى الاستعاذة فى ضميرك فانى عليم ثم بين أن حال المتقين قد تزيد على حال النبي فى باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذى هو كابتداء الوسوسة وأما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف كالخاطر وجوز بعضهم أن يكون مصدرا كالعاقبة ولكنه بلا تاء والاصح أنه اسم فاعل من طاف يطوف أو من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيف فهو اما مصدر وأى لمسة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين قال فى الكشاف وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف أى تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد واعلم أن الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد فى نفسه كونه قادرا وفى المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور أما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف أن المغضوب عليه انما أقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه تلك الحالة فى الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها حينئذ يفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وأيضا انه كم أساء فى العمل وتجاوز الله عنه وان الله أقدر عليه وانه اذا أمضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية واذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء مستأهلا

عن معمر عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا قال كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد الا مات فجاءه الشيطان فقال ان سرك أن يعيش ولدك هذا فسمه عبد الحرث ففعل قال فأشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال لهما سمياه عبد الحرث وكان من وحى الشيطان وأمره وكان شركا فى طاعته ولم يكن شركا فى عبادته **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث ففعلا وأطاعاه فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة عن سعيد بن جبير قوله أثقلت دعوا الله ربهما الى قوله فتعالى الله عما يشركون قال لما حملت حواء فى أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها ابليس قبل أن تلد فقال يا حواء ما هذا الذى فى بطنك فقالت ما أدرى فقال من أين يخرج من أنفك أو من عينك أو من أذنك قالت لا أدرى قال أرأيت ان خرج سليما أتطيعينى أنت فيما آمرك به قالت نعم قال سميه عبد الحرث وقد كان يسمى ابليس الحرث فقالت نعم ثم قالت بعد ذلك لآدم أتانى آت فى النوم فقال لى كذا وكذا فقال ان ذلك الشيطان فاحذريه فانه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ثم أتاها ابليس فأعاد عليها فقالت نعم فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمته عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال قيل له أشركت آدم قال أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ولكن حواء لما أثقلت أتاها ابليس فقال لها من أين يخرج هذا من أنفك أو من عينك أو من فيك فقتلها ثم قال أرأيت ان خرج سويا أزاد ابن فضيل لم يضرك ولم يقتلك أتطيعينى قالت نعم قال فسميه عبد الحرث ففعلت زاد جرير فانما كان شركة فى الاسم **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فولدت غلاما يعنى حواء فأتاهما ابليس فقال سموه عبدى والا قتلته قال له آدم عليه السلام قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة فأبى أن يطيعه فسماه عبد الرحمن فسلط الله عليه ابليس فقتله فحملت بآخر فلما ولدته قال لها سميه عبدى والا قتلته قال له آدم قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة فأبى فسماه صالحا فقتله فلما أن كان الثالث قال لهما فاذ غلبتم أفسموه عبد الحرث وكان اسم ابليس وانما سمى ابليس حين أبلس ففعلوا فذلك حين يقول الله جعلا له شركاء فيما آتاهما يعنى فى التسمية * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والاوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد وقالوا معنى الكلام هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها أى هذا الرجل الكافر حملت حملا خفيفا فاستمرت به فأثقلت دعوتما الله ربكما قالوا وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ثم رد الى الخبر عن الغائب كما قيل هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ذلك بشواهده فيما مضى قبل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن جعلا له شركاء فيما آتاهما قال كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن بآدم **حدثنا**

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عنى بهذا ذرية آدم من أشرك منهم
بعده يعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا
ونصروا قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فى الاسم لا فى العبادة وان المعنى بذلك آدم وحواء لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك
فان قال قائل فما أنت قائل اذ كان الامر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية وأن المعنى بها آدم
وحواء فى قوله فتعالى الله عما يشركون أهو استنكاف من الله أن يكون له فى الاسماء شريك أو فى
العبادة فان قلت فى الاسماء دل على فساده قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وان قلت
فى العبادة قيل لك أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره قيل له ان القول فى تأويل قوله فتعالى الله
عما يشركون ليس بالذى ظننت وانما القول فيه فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة
الاوثان فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما ثم استؤنف
قوله فتعالى الله عما يشركون كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدى قوله فتعالى الله عما يشركون يقول هذه فصل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب
واختلفت القراء فى قراءة قوله شركاء فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين
والكوفيين جعلا له شركا بكسر الشين بمعنى الشركة وقرأه بعض المكيين وعامة قراء
الكوفيين وبعض البصريين جعلا له شركاء بضم الشين بمعنى جمع شريك وهذه القراءة أولى
القراءتين بالصواب لان القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام فلما آتاهما
صالحا جعلا لغيره فيه شركا لان آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية ابليس ثم يجعلا لله فيه
شركا لتسميتهما اياه بعبد الله وانما كانا يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ثم سمياه
عبد الحرث فجعلا لابليس فيه شركا بالاسم فلو كانت قراءة من قرأ شركا صحيحة وجب ما قلنا أن
يكون الكلام جعلا لغيره فيه شركا وفى نزول وحى الله بقوله جعلا له ما يوضح عن أن الصحيح من
القراءة شركاء بضم الشين على ما بينت قبل فان قال قائل فان آدم وحواء انما سميا ابنهما عبد الحرث
والحرث واحد وقوله شركاء جماعة فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء وانما أشركا
واحدا قيل قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة اذا لم
تقصد واحدا بعينه ولم تسمه كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وانما كان القائل
ذلك واحدا فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة اذ لم يقصد قصده وذلك مستفيض فى كلام
العرب وأشعارها وأما قوله فتعالى الله عما يشركون فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه وتعظيم
لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج فتعالى الله عما يشركون قال هو الانكاف أنكف نفسه جل وعز
عن قول عظم نفسه وأنكفته الملائكة وما سبح له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت صدقة يحدث عن السدى قال هذا من الموصول والمفصول قوله
جعلا له شركاء فيما آتاهما فى شأن آدم وحواء ثم قال الله تبارك وتعالى فتعالى الله عما يشركون قال

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عنى بهذا ذرية آدم من أشرك منهم
بعده يعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا
ونصروا قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فى الاسم لا فى العبادة وان المعنى بذلك آدم وحواء لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك
فان قال قائل فما أنت قائل اذ كان الامر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية وأن المعنى بها آدم
وحواء فى قوله فتعالى الله عما يشركون أهو استنكاف من الله أن يكون له فى الاسماء شريك أو فى
العبادة فان قلت فى الاسماء دل على فساده قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وان قلت
فى العبادة قيل لك أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره قيل له ان القول فى تأويل قوله فتعالى الله
عما يشركون ليس بالذى ظننت وانما القول فيه فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة
الاوثان فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما ثم استؤنف
قوله فتعالى الله عما يشركون كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدى قوله فتعالى الله عما يشركون يقول هذه فصل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب
واختلفت القراء فى قراءة قوله شركاء فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين
والكوفيين جعلا له شركا بكسر الشين بمعنى الشركة وقرأه بعض المكيين وعامة قراء
الكوفيين وبعض البصريين جعلا له شركاء بضم الشين بمعنى جمع شريك وهذه القراءة أولى
القراءتين بالصواب لان القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام فلما آتاهما
صالحا جعلا لغيره فيه شركا لان آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية ابليس ثم يجعلا لله فيه
شركا لتسميتهما اياه بعبد الله وانما كانا يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ثم سمياه
عبد الحرث فجعلا لابليس فيه شركا بالاسم فلو كانت قراءة من قرأ شركا صحيحة وجب ما قلنا أن
يكون الكلام جعلا لغيره فيه شركا وفى نزول وحى الله بقوله جعلا له ما يوضح عن أن الصحيح من
القراءة شركاء بضم الشين على ما بينت قبل فان قال قائل فان آدم وحواء انما سميا ابنهما عبد الحرث
والحرث واحد وقوله شركاء جماعة فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء وانما أشركا
واحدا قيل قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة اذا لم
تقصد واحدا بعينه ولم تسمه كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وانما كان القائل
ذلك واحدا فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة اذ لم يقصد قصده وذلك مستفيض فى كلام
العرب وأشعارها وأما قوله فتعالى الله عما يشركون فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه وتعظيم
لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج فتعالى الله عما يشركون قال هو الانكاف أنكف نفسه جل وعز
عن قول عظم نفسه وأنكفته الملائكة وما سبح له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت صدقة يحدث عن السدى قال هذا من الموصول والمفصول قوله
جعلا له شركاء فيما آتاهما فى شأن آدم وحواء ثم قال الله تبارك وتعالى فتعالى الله عما يشركون قال

الجواب الخزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التى تفيد ضعف تلك الاعتقادات أما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشياطين وجمع لان المراد به الجنس
وقوله أولياؤهم الطاغوت والضمير المرفوع فى يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على
الاغواء والاضلال أو الى الشياطين فيكون الخبر جاريا على غير من هو له والمعنى واخوان الشياطين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم أى
يكونون مددا لهم فى الغى وجوز أن يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال فى
الكشاف والاول أوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا قال الواحدى عامة ما جاء فى التنزيل مما يحمد ويستحب أمددت على
أفعلت كقوله انما نمدهم به من مال وأمددناهم بفاكهة أتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجىء على
مددت قال ونمدهم فى طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الضم الاستهزاء والتهكم نحو
فبشرهم بعذاب أليم أما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن
الشئ قال ابن عباس أى لا يمسك
الغاوى عن الضلال والمغوى عن
الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم
الاقصار عن المد فانه يجب على
العاقل اذا أقبل على غى أن يمسك
عنه سريعا لا أن يتمادى فيه
وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى
الحق أولى من التمادى فى الباطل
ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم
فقال واذا لم تأتهم بآية وذلك أنهم
كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات
مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا ثم انه صلى الله عليه
وسلم ما كان يأتيهم بها فعند ذلك قالوا
لولا اجتبيتها يقال اجتبى الشئ بمعنى
اجتباه لنفسه أى جمعه وجبى اليه فاجتباه أى أخذه والمعنى هلا افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى
وكانوا ينسبونه الى السحر والمراد هلا أخذتها واقترحتها على الهك ومعبودك ان كنت صادقا فى أن الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك
وعند هذا أمر رسوله أن يذكر فى الجواب انما أتبع ما يوحى الى من ربى ولست بمقترح للآيات أو لست بمفتعل للآيات ثم بين أن عدم الاتيان بتلك

المعجزات التى اقترحوها لا يقدح فى الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة قاهرة كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الز
التعنت فقال هذا يعنى القرآن بصائر اطلاق لاسم المسبب على السبب وذلك أن فيه حججا بينة تفيد القلوب بصيرة وكشفا هدى للمستدلين
بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر (١٠٢) لاصحاب عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين
والجميع لقوم يؤمنون ولما عظم شأن
القرآن بتلك الاوصاف علم المكلفين
أدبا حسنا فى بابه فقال واذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
والانصات السكوت للاستماع قال
العلماء ظاهر الامر للوجوب
فمقتضاه أن يكون الاستماع
والسكوت واجبا وقت قراءة
القرآن فى صلاة وغير صلاة وهو
قول الحسن وأهل الظاهر وعن أبى
هريرة كانوا يتكلمون فى الصلاة
فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتى
وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم
وكم بقى وكانوا يتكلمون فى الصلاة
لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة فى
غير الصلاة أن ينصت القوم اذا
كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن
وقيل نزلت فى ترك الجهر بالقراءة
وراء الامام لما روى عن ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرأ فى الصلاة المكتوبة وقرأ
أصحابه رافعين أصواتهم فخلطوا
عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال
سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء
وعمرو بن دينار وجماعة نزلت
فى الانصات عند الخطبة يوم الجمعة
وزيف بأن اللفظ عام فكيف
يجوز قصره على قراءة القرآن فى
الخطبة أو على الخطبة نفسها بناء
على أنها قد تسمى قرآنا لاشتمالها
عليه وأجيب بأن كلمة اذا لا تفيد
العموم بدليل انه اذا قال لزوجته
اذا دخلت الدار فأنت طالق فانها
لا تطلق مرة ثانية بدخول الدار
مرة أخرى وبدليل أن الشافعى
أوجب على المأموم أن يقرأ الفاتحة وردبان المأموم انما يقرأ الفاتحة فى حال سكتة الامام كما قال أبو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة فى أيهما شئت يعنى سكتة بين التكبير الى أن يقرأ وأخرى بين القراءة الى أن يركع واعترض بان سكوت الامام واجب والاول باطل بالاجماع وعلى الثانى يجوز أن لا يسكت وحينئذ يلزم أن تحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضى الى ترك الاستماع وأيضا

عما يشركه المشركون ولم يعنهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون﴾ يقول تعالى ذكره أيشرك المشركون فى عبادة الله فيعبدون معه مالا يخلق شيأ والله يخلقها وينشئها العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال ولد لآدم وحواء ولد فسمياه عبد الله فأتاهما ابليس فقال ما سميتما يا آدم ابنكما قال وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقالا سميناه عبد الله فقال ابليس أما أن الله تارك عبده عند كما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما فسمياه عبد شمس قال فذلك قول الله تبارك وتعالى أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون ما لم تخلق شيأ حتى يكون لها عبدا انما هى مخلوقة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خدعهما خدعهما فى الجنة وخدعهما فى الارض وقيل وهم يخلقون فأخرج مكنيهم مخرج مكنى بنى آدم قال أيشركون ما فأخرج ذكرهم مالا بمن مخرج الخبر عن غير بنى آدم لان الذى كانوا يعبدون كان حجرا أو خشبا أو نحاسا أو بعض الاشياء التى يخبر عنها بما لا بمن فقيل لذلك ما ثم قيل وهم فأخرج كنايتهم مخرج كناية بنى آدم لان الخبر عنها بتعظيم المشركين اياها تطير الخبر عن تعظيم بعضهم بعضا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون﴾ يقول ذكره أيشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله مالا يخلق شيأ من خلق الله ولا يستطيع أن ينصر من ان أراد الله بهم سوأ أو أحل بهم عقوبة ولا هو قادر ان أراد به سوأ أن ينصر نفسه ولا دفع ضر عنها العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه وآلهتهم التى يعبدونها ويشركونها فى عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم بل لا تجتلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعد يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون فى عبادتهم الله غيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ يقول تعالى ذكره فى وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربهم اياه ومن صفته انكم أيها الناس ان تدعوهم الى الطريق المستقيم والامر السديد لا يتبعوكم لانها ليست تعقل شيأ فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا وتركب ما كان مستقيما سديدا وانما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم يقول جل ثناؤه فكيف يهديكم الى الرشاد من ان يدعوه الرشاد وعرفه فلم يعرفه ولم يفهم رشادا من ضلال وكان سواء دعاءه اياه الى الرشاد وسكوته لانه لا يسمع دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل ما يقال له يقول فكيف يعبد من كانت هذه صفته أم كيف يعظم جهل من اتخذ ما هذه صفته الها وانما الرب المعبود هو النافع من يعبده الضار من لم الناصر وليه الخاذل عدوه الهادى الى الرشاد من أطاعه السامع دعاء من دعاه وقيل سواء أدعوتموهم أم أنتم صامتون فعطف بقوله صامتون وهو اسم على قوله أدعوتموهم وهو فعل ولم يقل أم صمتم كما قال الشاعر

سواء عليك الفقر أم بت ليلة ۞ بأهل القباب من نمير بن عامر

وقد ينشد أم أنت بائت ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم﴾

كون ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة فى مقدار سكوت
فيلزم المحذور المذكور وأيضا الامام فى هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدى الانصات هو ترك الجهر عند
وان كان يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع أحدا وأورد عليه أن غاية توجيهه هو أن الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان

حصول الاستماع مع قراءته ممنوع فان الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولعل الانصاف أن الاستماع على تقدير الانصات المفسر ممكن أن يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا أنهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعى أنه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة فى الصلاة السرية لان الآية لا دلالة لها على هذه الحالة وفى الآية تفسير آخر وهو أن الخطاب فى الآية مع الكفار وذلك أن كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو أن النبى اذا قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وأنصتوا ليقفوا على مبانيه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله فى آخر الآية لعلكم ترحمون والترجى انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما فى قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن أن يجاب بأن الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الا الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه

﴿ عوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الاوثان
نهم على عبادتهم مالا يضرهم ولا ينفعهم من الاصنام ان الذين تدعون أيها المشركون آلهة
دون الله وتعبدونها شركا منكم وكفرا بالله عبادا أمثالكم يقول هم أملاك ربكم كما أنتم له مماليك
ن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها اياكم فليستجيبوا لدعائكم
عوتموهم فان لم يستجيبوا لكم لانها لا تسمع دعاءكم فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر لان الضر
نفع انما يكونان ممن اذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل ومن اذا شكى اليه من شئ سمع فضر
ستحق العقوبة ونفع من لا يستوجب الضر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم
هم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم
دون فلا تنظرون ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الاصنام من دونه معرفهم جهل ما هم
ه مقيمون ألأصنامكم هذه أيها القوم أرجل يمشون بها فيسعون معكم ولكم فى حوائجكم
نصرفون بها فى منافعكم أم لهم أيد يبطشون بها فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد
يقصدكم بشر ومكروه أم لهم أعين يبصرون بها فيعرفوكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه
ترونه أم لهم آذان يسمعون بها فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه يقول جل ثناؤه فان
ن آلهتكم التى تعبدونها ليس فيها شئ من هذه الآلات التى ذكرتها والمعظم من الاشياء انما يعظم
يرجى منه من المنافع التى توصل اليه بعض هذه المعانى عندكم فما وجه عبادتكم أصنامكم التى
عبدونها وهى خالية من كل هذه الاشياء التى بها يوصل الى اجتلاب النفع ودفع الضر وقوله قل
ادعوا شركاءكم ثم كيدون أنتم وهن فلا تنظرون يقول فلا تؤخرون بالكيد والمكر ولكن عجلوا بذلك
فسيجل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه وانه قد عصمه منهم ويعرف الكفرة به عجزا وثانيهم عن نصرة
ونفى أولياءهم بسوء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمشركين من عبدة الاوثان ان ولى نصيرى
ومعينى وظهيرى عليكم الله الذى نزل الكتاب على بالحق وهو الذى يتولى من صلح عمله بطاعته
وخلقه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم
ينصرون ﴾ وهذا أيضا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين بقوله تعالى قل لهم ان الله
نصيرى وظهيرى والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة لا يستطيعون
نصركم ولا هم مع عجزهم عن نصركم يقدرون على نصرة أنفسهم فأى هذين أولى بالعبادة
والحق بالالوهة أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع
نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين وان
تدعوا أيها المشركون آلهتكم الى الهدى وهو الاستقامة الى السداد لا يسمعوا يقول لا يسمعوا
دعاءكم وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وهذا خطاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول
ترى يا محمد آلهتهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ولذلك وحد ولو كان أمر النبى صلى الله عليه وسلم
خطاب المشركين لقال وترونهم ينظرون اليكم وقد روى عن السدى فى ذلك ما حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تدعوهم

أمر نبيه وأمته بتبعيته صلى الله عليه وسلم بالذكر العام قرآنا كان أو غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفى
واذكر ربك فى نفسك * وفى الآية قيود الاول تخصيصه اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على أن سبب الذكر هو التربية والانعام
الدال على الطمع والرجاء * والثانى ذكر الرب فى النفس ليكون أدخل فى الاخلاص وأبعد عن الرياء وقيل ذكره فى النفس هو أن يكون عارفا

بمعانى الاسماء التى يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر النفسانى هو الكلام النفسى الذى يثبته الاشاعرة * الثالث والرابع تضرعا وخيفة أى متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف اما خوف العقاب وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو العارفين فاذا كوشفوا بالجمال (١٠٤) عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا وأما خوف الخاتمة بل خ

الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال هؤلاء المشركون وقد يخ
قول السدى هذا أن يكون أراد بقوله هؤلاء المشركون قول الله وان تدعوهم الى الهدى لا يسـ
وقد كان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن
نجيح عن مجاهد وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ما تدعوهم الى الهدى وكأن مجاهدا
معنى الكلام الى أن معناه وترى المشركين ينظرون اليك وهم لا يبصرون فهو وجه ولكن الكلا
فى سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه قال أبو جعفر فان قال قائل فما معنى قوله وتر
ينظرون اليك وهم لا يبصرون وهل يجوز أن يكون شئ ينظر الى شئ ولا يراه قيل ان العر
تقول للشئ اذا قابل شيأ أو حاذاه هو ينظر الى كذا و يقال منزل فلان ينظر الى منزلى اذا قا
وحكى عنها اذا أتيت موضع كذا وكذا فنظر اليك الجبل فخذ يمينا أو شمالا وحدثت عن أبى عبـ
قال قال الكسائى الحائط ينظر اليك اذا كان قريبا منك حيث تراه ومنه قول الشاعر

اذا نظرت بلاد بنى تميم * بعين أو بلاد بنى صباح

يريد تقابل نبتها وعشبها وتحاذى فمعنى الكلام وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الاو
يقابلونك ويحاذونك وهم لا يبصرونك لانه لا أبصار لهم وقيل وتراهم ولم يقل وتراها لانها صو
مصورة على صور بنى آدم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله خذ العفو من أخلاق
الناس وهو الفضل وما لا يجهدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن
عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد فى قوله خذ العفو قال من أخلاق الناس
وأعمالهم بغير تحسس حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد
قوله خذ العفو قال عفو أخلاق الناس وعفو أمورهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله خذ العفو الآية قال عروة أمر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى الزبير قال ما أنزل الله هذه الآية الا فى أخلاق الناس خذ
العفو وأمر بالعرف الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن
مجاهد خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عرو
عن وهب بن كيسان عن أبى الزبير خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لآخذنه منهم ما صحبتهم
قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى الزبير قال انما أنزل الله خذ العفو من
أخلاق الناس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس أو تحسس شك أبو عاصم
وقال آخرون بل معنى ذلك خذ العفو من أموال الناس وهو الفضل قالوا وأمر بذلك قبل نزول
الزكاة فلما نزلت الزكاة نسخ ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله خذ العفو يعنى خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك
به من شئ فخذه فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات

الذكر القلبى يجب أن يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبرياءه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر النفس ويتـ
لقبول الاشراقات القدسية فيضاهى سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى عند دنو الشرف والقرب من

العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا وأما خوف الخاتمة بل خ

السابقة فانها علة الخاتمة * الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد أن يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه وانما أخر هذا عن الذكر القلبى لان الخيال يتأثر من الذكر القلبى فيوجب قوة فى النفس ولا يزال يتزايد فى ذلك الى أن يجرى الذكر على لسانه بل يسرى فى جميع أعضائه وجوارحه وأركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريئا من التعسف * السادس قوله بالغدو والآصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح أى وقته وقيل انه جمع غدوة وأما الآصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ فى الشرع من أول الليل فسمى آخر النهار أصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل لليوم الثانى وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عند ما ينقلب الحيوان من النوم الذى هو كالموت الى اليقظة التى هى كالحياة والعالم يتحول من الظلمة التى هى طبيعة عدمية الى النور الذى هو طبيعة وجودية وفى الآصال الامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب أن يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن أن يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان * السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى أن

عنايته وألطافه لا يستكبرون عن عبادته فيداومون على ذلك ويسبحونه يبرئونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الى أعمال الجوارح وفى هذا الترتيب دليل على أن الاصل فى الطاعة والعبودية أعمال القلوب ويتفرع عليه أعمال الجوارح والمقصود من الآية أن الملائكة (١٠٥) مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن

اليه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى خذ العفو أما العفو فالفضل من المال نسختها الزكاة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله خذ العفو يقول خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة وقال آخرون بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه وذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذ العفو قال أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة قال ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كل مرصد وأن يحصرهم ثم قال فان تابوا وأقاموا الصلاة الآية كلها وقرأ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم فقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة بعد ما كان أمرهم بالعفو وقرأ قول الله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ثم لم يقبل منهم بعد ذلك الا الاسلام أو القتل فنسخت هذه الآية العفو * قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معناه خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم وقال أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين فى الكلام وذلك قوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وعقبه بقوله واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم فى عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين فان قال قائل أفتوجه ذلك قيل لا دلالة عندنا على أنه منسوخ اذ كان جائزا أن يكون وان كان الله أنزله على نبيه عليه السلام فى تعريفه عشيرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين مرادا به تأديب نبى الله والمسلمين جميعا فى عشيرة الناس وأمرهم باخذ عفو أخلاقهم فيكون وان كان من أجلهم نزل تعليما من الله خلقه صفة عشيرة بعضهم بعضا لم يجب استعمال الغلظة والشدة فى بعضهم فاذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب فيكون قوله خذ العفو أمرا بأخذه مالم يجب غير العفو فاذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب اذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك فى نظائره فى غير موضع من كتبنا وأما قوله وأمر بالعرف فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم حدثنى الحسن بن الزبرقان النخعى قال ثنى حسين الجعفى عن سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه قال لما نزلت هذه الآية خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال ما أدرى حتى أسأل العالم قال ثم قال جبريل يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن رجل قال لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وقال آخرون بما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه وأمر بالعرف يقول بالمعروف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا

بواعث الشهوة والغضب ودواعى الحقد والحسد يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية أولى بأن يداوم على ذكر معبوده وينجذب ما أمكن الى العالم العقلى ومقره الاصلى ويصفى مرآة قلبه عن أصداء الهواجس وينتقش بالجلايا القدسية والمعارف الحقية والله ولى التوفيق ﴿التأويل﴾ وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين وأعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان نزغ فى طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم أرباب القلوب فان التقوى من شأن القلب كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطانى يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيذكره أنه يفسده ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعنى اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم أى لم تأت القلوب بآية من الله لتعجز النفوس عن تكذيبها قالوا أى النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قل انما أتبع الهام الحق فلا أقدر على تزكية النفوس الا بقوة الالهام الربانى فاستمعوا باذانكم الظاهرة وأنصتوا بألسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقى وذلك

قوله كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر فمن سمع القرآن من بارئه فقد سمع من الله وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر بك فى نفسك بأن تبدل أخلاقها بأخلاق الله تضرعا فى البداية وهو من باب التكليف وخيفة فى الوسط ودون الجهر من القول فى النهاية وهو مقام الفناء فان افشاء سر الربوبية كفر فى غد والازل وآصال الابد فان الذاكر

والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني أذكركم ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازي ما قال أحد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون أن الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم أفنوا أخلاقهم في أخلاقه يسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى

* ﴿سورة الانفال مدنية الا سبع آيات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلمها ١٢٣١ آياتها خمس وسبعون﴾ *

* ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *

﴿يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم﴾ القراءات مردفين بفتح الدال أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بالكسر

أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأمر بالعرف قال أما العرف فالمعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأمر بالعرف أي بالمعروف * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب مصدر في معنى المعروف يقال أوليته عرفا وعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف فاذ كان معنى العرف ذلك فمن المعروف صلة رحم من قطع واعطاء من حرم والعفو عمن ظلم وكل ما أمر الله به من الاعمال أو ندب اليه فهو من العرف ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض وأما قوله وأعرض عن الجاهلين فانه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل وذلك وان كان أمرا من الله لنبيه فانه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالاعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها ۞ القول في تأويل قوله ﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما يغضبنك من الشيطان غضب يصدنك عن الاعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ بالله يقول فاستجر بالله من نزغه انه سميع عليم يقول ان الله الذي تستعيذه من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شئ عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قال علم الله أن هذا العدو منيع ومريد وأصل النزغ الفساد يقال نزغ الشيطان بين القوم اذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض ويقال منه نزغ ينزغ ونغز ينغز ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله من خلقه فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا الى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان واختلفت القراء في قراءة قوله طيف فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة طائف على مثال فاعل وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين طيف من الشيطان واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين الطائف والطيف قال بعض البصريين الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشئ يلم بك قال ويجوز أن يكون الطيف مخففا عن طيف مثل ميت وميت وقال بعض الكوفيين الطائف

ما طاف

۞ الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ﴿ص مؤمنين ٥
يتوكلون ٥ ج لاحتمال جعل الذين مبتدأ والوصل أولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بحقيقة الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ٥ ج لما يجيء في التفسير بالحق ص لطول الكلام لكارهون ٥ لا ينظرون ٥ الكافرين ٥

المجرمون ٥ ج لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ويحق مردفين ٥ قلوبكم ج لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله
ط حكيم ٥ ۞ التفسير روى عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان
الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت القسمة جاء الشبان يطلبون نفلهم (١٠٧) وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا

تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردأ لكم فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم أحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو رجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا قفاهم الله وهزمهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أنتم بأحق به منا نحن أحدقنا برسول الله لا ينال العدو منه صلى الله عليه وسلم غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن أبي وقاص لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه فأعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض أي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال عليه فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك

ما طاف بك من وسوسة الشيطان وأما الطيف فانما هو من اللمم والمس وقال آخرون منهم الطيف اللمم والطائف كل شيء طاف بالانسان وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول الطيف الوسوسة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه طائف من الشيطان لان أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به واذا كان ذلك معناه كان معلوما اذ كان الطيف انما هو مصدر من قول القائل طاف يطيف أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان وانما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه وذلك كالغضب والوسوسة وانما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أو ليوسوس له والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان وأما الطيف فانما هو الخيال وهو مصدر من طاف يطيف ويقول لم أسمع في ذلك طاف يطيف ويتأوله بأنه بمعنى الميت وهو من الواو وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعا من العرب طاف يطيف وطفت أطيف وأنشدوا في ذلك

أني ألمّ بك الخيال يطيف * ومطافه لك ذكرة وشعوف

وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم ذلك الطائف هو الغضب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد اذا مسهم طائف قال الطيف الغضب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان قال هو الغضب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا قال هو الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله طائف من الشيطان قال الغضب وقال آخرون هو اللمة والزلة من الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الطائف اللمة من الشيطان فاذا هم مبصرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان يقول نزغ من الشيطان تذكروا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا زلوا تابوا * قال أبو جعفر وهذان التأويلان متقاربا المعنى لأن الغضب من استزلال الشيطان واللمة من الخطيئة أيضا منه وكان ذلك من طائف الشيطان واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى بل الصواب أن يعم كما عمه جل ثناؤه فيقال ان الذين اتقوا اذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض تذكروا أمر الله وانتهوا الى أمره وأما قوله فاذا هم مبصرون فانه يعني فاذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه فينتهون عما دعاهم اليه طائف الشيطان كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فاذا هم مبصرون يقول اذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان ۞ القول

الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم لهم وصلاة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أي زيادة على ما سأل والضمير في يسألونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة

الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا أن تعيين الجواب يدل على أن المراد انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بأن الآية دلت على أنها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة (١٠٨) ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء أي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ماينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن أبي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ماشذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد أن الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سألوا عن الخمس فنزلت الآية ثم أمر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول أي حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي أحد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا أنما غنمتم الآية وضعف بأن جعل أربعة أخماسها ملكا للغانمين لاينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس أو بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المؤاخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله أي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال وأصلحوا ذات بينكم أي التي هي بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال الفة ومودة وموافقة لما كانت

مد

الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما أن الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الآية بقوله ان كنتم مؤمنين أي كاملي الايمان تنبيها على أن كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال

في تأويل قوله ﴿واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ يقول تعالى ذكره واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي يعني بقوله يمدونهم يزيدونهم ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وانما هذا خبر من الله عن فريق الايمان والكفر بأن فريق الايمان وأهل تقوى الله اذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم الى التوبة والانابة الى الله مما كان منهم من زلة وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيا الى غيهم اذا ركبوا معصية من معاصي الله ولا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد اليه عن التمادي فيها والزيادة منها فهو أبدا في زيادة من ركوب الاثم والشيطان يزيده أبدا لا يقصر الا نسي عن شيء من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مذه منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون يقول هم الجن يوحون الى أوليائهم من الانس ثم لا يقصرون يقول لا يسأمون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واخوانهم يمدونهم في الغي اخوان الشياطين من المشركين يمدهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير واخوانهم من الجن يمدون اخوانهم من الانس ثم لا يقصرون يقول ثم لا يقصر الانسان قال والمد الزيادة يعني أهل الشرك يقول لا يقصر أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا لانهم لا يحجزهم الايمان قال ابن جريج قال مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون استجهالا عدو أهل الشرك قال ابن جريج ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال فهؤلاء الانس يقول الله واخوانهم يمدونهم في الغي حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثني محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال اخوان الشياطين يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم في الغي استجهالا وكان بعضهم يتأول قوله ثم لا يقصرون بعني ولا الشياطين يقصرون في مدهم اخوانهم من الغي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم * قال أبو جعفر وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب وانما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيناه لان الله وصف في الآية قبلها أهل الايمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه الى محبته عند تذكرهم عظمته ثم أتبع ذلك الخبر عن اخوان الشياطين وركوبهم معاصيه وكان الاولى وصفهم بتماديهم فيها اذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها وأما قوله يمدونهم فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض المدنيين يمدونهم بضم الياء من أمددت وقرأته عامة قراء الكوفيين والبصريين يمدونهم بفتح الياء من مددت قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا يمدونهم بفتح الياء لان الذي يمد الشياطين اخوانهم من المشركين انما هو زيادة من جنس الممدود واذا كان الذي

المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى فزعت اذ ذكره استعظاما لجلاله وحذرا من أليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر
رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم لمعصية فيقال له اتق الله فينزع واذا
عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان تكون على ثلاثة (١٠٩) أنحاء الاول بقوة الدليل وبكثرته فان كل دليل

من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لا أمددت وأما قوله يقصرون فان القراء على لغة
قال أقصرت أقصر والعرب فيه لغتان قصرت عن الشئ وأقصرت عنه ۞ القول فى تأويل
﴿واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ يقول تعالى ذكره واذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين
من الله قالوا لولا اجتبيتها يقول قالوا هلا اخترتها واصطفيتها من قول الله تعالى ولكن الله يجتبى
رسله من يشاء يعنى يختار ويصطفى وقد بينا ذلك فى مواضعه بشواهده ثم اختلف أهل
ويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه هلا افتعلتها من قبل نفسك واختلقتها بمعنى هلا
بينها اختلاقا كما تقول العرب لقد اختار فلان هذا الامر وتخيره اختلاقا ذكر من قال ذلك
نا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها
لولا أتيتنا بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها
لولا اقتضبتها قالوا تخرجها من نفسك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
فى قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا تقولتها جئت بها من عندك حدثنى
ى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول
قتضبتها وقال مرة أخرى لولا أحدثتها فأنشأتها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن
ل قال ثنا أسباط عن السدى قالوا لولا اجتبيتها يقول لولا أحدثتها حدثنا الحسن بن يحيى
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله لولا اجتبيتها قال لولا جئت بها من نفسك
آخرون معنى ذلك هلا أخذتها من ربك وتقبلتها منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول
قبلتها من الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لولا اجتبيتها
لولا تلقيتها من ربك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن
ة قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لولا اجتبيتها يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء
ال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من قال تأويله هلا أحدثتها من نفسك
قول الله قل انما أتبع ما يوحى الىّ من ربى هذا بصائر من ربكم يبين ذلك أن الله انما أمر نبيه
ه عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه انما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه اليه لا أنه يحدث
ل نفسه قولا وينشئه فيدعو الناس اليه وحكى عن الفراء أنه كان يقول اجتبيت الكلام
فته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك حدثنى بذلك الحرث قال ثنا القاسم عنه قال
سيبويه كان أبو زيد يقول انما تقول العرب ذلك للكلام يبديه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك فى نفسه
وعبيد واخترعه مثل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل انما أتبع ما يوحى الىّ من ربى هذا بصائر
كم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين
لم تأتهم بآية هلا أحدثتها من قبل نفسك ان ذلك ليس لى ولا يجوز لى فعله لان الله انما أمرنى
ما يوحى الىّ من عنده فانما أتبع ما يوحى الىّ من ربى لانى عبده والى أمره أنتهى واياه أطيع
بصائر من ربكم يقول هذا القرآن والوحى الذى أتلوه عليكم بصائر من ربكم يقول حجج عليكم

مركب لا محالة من مقدمات ولا شك فى أن النفوس مختلفة فى الاشراق والانارة والأذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات أكثر وأدوم كان علمه بالنتيجة أكمل وأتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه أتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد
الثانى بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم أن من صدق انسانا فى شيئين كان تصديقه أزيد من تصديق من صدقه فى شئ واحد فمعنى الآية أنهم كلما سمعوا آية متجددة أتوا باقرار جديد الثالث أن يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الآية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال أولئك هم المؤمنون فدل ذلك على أن كل تلك الخصال داخلة فى مسمى الايمان ويؤيده ما رواه أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة فبسبب التفاوت فى العمل يظهر التفاوت فى الايمان وان لم يكن التفاوت فى الاقرار والاعتقاد متصورا أما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر أى لا يتوكلون الا

هم وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية
له ثم لما فرغ من أعمال القلوب وهى الخشية والتسليم والتوكل شرع فى وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها أسها وسنامها وهما
والصدقة ثم عظمهم بقوله أولئك هم المؤمنون حقا وفى أولئك وفى توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى

وحقا صفة مصدر محذوف أى ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه أخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل انه منوط بما
حقا لهم درجات واعلم أن الائمة اتفقوا على أن الرجل المؤمن يجوز له أن يقول أنا مؤمن ثم اختلفوا فى أنه هل يجوز له أن يضيف اليه حـ
يستثنى فيقول ان شاء الله والاول مذهب أصحاب أبى حنيفة لما ورد فى الآية ولان الشك فى الايمان لا يجوز لان التصديق

كلاهما محقق والثانى مذهب أصحاب الشافعى وأجابوا عن الآية بأنه لا نزاع فى أن الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع فى أن القائل أنا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما أم لا وأما حديث الشك فمبنى على أن الايمان عبارة عن الاركان الثلاثة ولا ريب أن كون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة أمر مشكوك فيه والشك فى أحد أجزاء الماهية يوجب الشك فى حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظى على أنا لا نسلم أن الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب أو لعدم القطع بحسن الخاتمة أو لنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى أمنهم أنا أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بأنه من أهل الجنة حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا ويحكى عن أبى حنيفة أنه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك فقال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة أن يقول ولكن ليطمئن قلبى وفيه ما فيه ثم أخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم أى سعادات روحانية متفاوتة فى الصعود والا
ولكن استغراق كل واحد فى سعادته الخاصة يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما فى صدورهم من غل ومغفرة

وبيان لكم من ربكم واحدتها بصيرة كما قال جل ثناؤه هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
وانما ذكر هذا ووحد فى قوله هذا بصائر من ربكم لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحى
وهدى يقول وبيان يهدى المؤمنين الى الطريق المستقيم ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين فأنقذهم
به من الضلالة والهلكة لقوم يؤمنون يقول هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن بقلبه
صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفر به
على الذين لا يؤمنون به غم وحزن ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴿ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين قد
لهم هدى ورحمة اذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يقول أصغوا له
لتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا اليه لتعقلوه وتتدبروه ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه
ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه واعتباركم بعبره واستعمالكم ما بينه لكم
فرائضه فى آيه ثم اختلف أهل التأويل فى الحال التى أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن
والانصات له فقال بعضهم ذلك حال كون المصلى فى الصلاة خلف امام يأتم به وهو يسمع
الامام عليه أن يسمع لقراءته وقالوا فى ذلك أنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك
أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال كان عبد الله
كنا يسلم بعضنا على بعض فى الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا حفص بن غياث عن ابراهيم الهجرى عن
عياض عن أبى هريرة قال كانوا يتكلمون فى الصلاة فلما نزلت هذه الآية واذا قرئ
والآية الاخرى أمروا بالانصات حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن أشعث عن
قال نزلت هذه الآية فى فتى من الانصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيأ قرأه
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن داود بن أبى
عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما آن لكم
تفقهوا أما آن لكم أن تعقلوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله حدثنا
مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا الجريرى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال
عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح يتحدثان والقاص يقص فقلت ألا تستمعان الى
وتستوجبان الموعود قال فنظرا الى ثم أقبلا على حديثهما قال فأعدت فنظرا الى ثم أقبلا
حديثهما قال فأعدت الثالثة قال فنظرا الى فقالا انما ذلك فى الصلاة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال سمعت الاوزاعى قال ثنا عبد الله
عامر قال ثنى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا قال نزلت فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة حدثنا
بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم اسماعيل بن كثير عن مجاهد فى
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن
ابن مهدى عن رجل عن قتادة عن سعيد بن المسيب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

ناتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن فى بابه نقله الواحدى عن أهل
سبحانه موصوف بأنه كريم لانه محمود فى كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شئ وقال انى ألقى الىّ كتاب كريم وقال
زوج كريم وقال وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق
الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق فى معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما أخرجك يقتضى تشبيه شئ بهذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول أن المشبه محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى أن حالهم فى كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقى خلق كثير بغير شئ فنزلت قل الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفى أنفس بعضهم شئ من الكراهة الثانى أن ينتصب الكاف على أنه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله قل الانفال لله والرسول أى ثبت الحكم واستقر بأن الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك اياك الى القتال وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر أحكام الله أن القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه أقوى فى وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو أن الحكم بكونهم مؤمنين حق كما أن حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائى الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال يجادلونك فيه والبيت بيته صلى الله عليه وآله بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق أى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهة بعضهم

صلاة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مجاهد واذا قرئ
آن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا
عة قال سمعت حميدا الاعرج قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية واذا قرئ القرآن
مع له وأنصتوا قال فى الصلاة قال ثنى عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا حميد عن
مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن ليث عن مجاهد واذا قرئ
آن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد
ن جحاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد وعن ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير واذا
القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى هاشم
مجاهد فى الصلاة المكتوبة قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله قال ثنا المحاربى
والد عن جويبر عن الضحاك قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا جرير وابن فضيل عن مغيرة عن
هيم قال فى الصلاة المكتوبة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال كانوا يتكلمون فى صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت
هم فأنزل الله ما تسمعون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال
محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال كان الرجل يأتى وهم
صلاة فيسألهم كم صليتم كم بقى فأنزل الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وقال غيره كانوا
عون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فأنزل الله واذا قرئ القرآن حدثنا
وكيع قال ثنا أبو خالد والمحاربى عن أشعث عن الزهرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ
رجل يقرأ فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا أبو خالد الاحمر عن الهجرى
أبى عياض عن أبى هريرة قال كانوا يتكلمون فى الصلاة فلما نزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
أنصتوا قال هذا فى الصلاة قال ثنا أبى عن حريث عن عامر قال فى الصلاة المكتوبة حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذا قرئ القرآن فاستمعوا
وأنصتوا قال اذا قرئ فى الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على
عن ابن عباس قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له يعنى فى الصلاة المفروضة حدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى هاشم عن مجاهد قال هذا فى الصلاة فى قوله
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد أنه كره اذا مر الامام بآية
خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيأ قال السكوت قال أخبرنا الثورى عن ليث عن
مجاهد قال لا بأس اذا قرأ الرجل فى غير الصلاة أن يتكلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون قال هذا اذا قام الامام
الصلاة فاستمعوا له وأنصتوا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس
عن الزهرى قال لا يقرأ من وراء الامام فيما يجهر به من القراءة تكفيهم قراءة الامام وان لم يسمعهم
صوته ولكنهم يقرؤن فيما لم يجهر به سرا فى أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه أن يقرأ معه فيما
يجهر به سرا ولا علانية قال الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون حدثنى

ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز أن تكون الجملة بدلا أو خبرا بعد خبر روى أن عير قريش أقبلت من الشأم فيها تجارة عظيمة ومعهم
أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى
العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل (١١٢) مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل
صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها انى رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل يجمع أهل مكة وهم النفير على ما قيل فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرائل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا أى الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك

المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن ابن عباس انه كان يقول فى هذه واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة هذا فى المكتوبة وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك فانما هى نافلة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى صلاة مكتوبة وقرأ أصحابه وراءه فخلطوا عليه قال فنزل القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون فهذا فى المكتوبة وقال آخرون بل عنى بهذه الآية الامر بالانصات للامام فى الخطبة اذا قرئ القرآن فى خطبة ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق الازرق عن شريك عن سعيد بن مسروق عن مجاهد فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات للامام يوم الجمعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد وابن أبى عتبة عن العوام عن مجاهد قال فى خطبة يوم الجمعة وقال آخرون عنى بذلك الانصات فى الصلاة وفى الخطبة ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت ابراهيم بن أبى حمزة يحدث أنه سمع مجاهدا يقول فى هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة والخطبة يوم الجمعة حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن جابر عن عطاء قال وجب الصموت فى اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلى وعند الامام وهو يخطب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد واذا قرئ القرآن وجب الانصات قال وجب فى اثنتين فى الصلاة والامام يقرأ والجمعة والامام يخطب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال هشيم أخبرنا من سمع الحسن يقول فى الصلاة المكتوبة وعند الذكر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جابر عن مجاهد قال وجب الانصات فى اثنتين فى الصلاة ويوم الجمعة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن بقية بن الوليد قال سمعت ثابت بن عجلان يقول سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن حماد قال أخبرنا هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال فى الصلاة وعند الذكر حدثنا ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثنى ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح قال أوجب الانصات يوم الجمعة قول الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وفى الصلاة مثل ذلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال أمروا باستماع القرآن فى الصلاة اذا قرأ الامام وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه وفى الخطبة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قرأ الامام فأنصتوا واجماع الجميع على أن من سمع خطبة الامام ممن عليه الجمعة الاستماع والانصات لها مع تتابع الاخبار بالامر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والانصات لسامعه من قارئه الا فى هاتين الحالتين على اختلاف فى احداهما وهى حالة أن يكون خلف امام مؤتم به وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله اذا قرأ الامام فأنصتوا فالانصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واذكر ربك فى نفسك

تضرعا

رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله

تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن اذا قرئ فى صلاة أو خطبة ربك فى نفسك يقول اتعظ بما فى آى القرآن واعتبر به وتذكر معاد اليه عند سماعكه تضرعا يقول افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له وخيفة يقول وخوفا لله من أن يعاقبك على تقصير يكون منك فى الاتعاظ به والاعتبار وغفلة عما بين الله فيه من حدوده ودون الجهر من القول يقول ودعاء باللسان لله فى خفاء لا جهار يقول لكن ذكر الله عند استماعك القرآن فى دعاء ان دعوت غير جهار ولكن فى خفاء من القول كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول لا يجهر بذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول الآية قال أمروا أن يذكروه فى الصدور تضرعا وخيفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن حيان بن عمير عن عبيد بن عمير فى قوله واذكر ربك فى نفسك قال يقول الله اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى عبدى وحده ذكرته وحدى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى أحسن منهم وأكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة قال يؤمر بالتضرع فى الدعاء والاستكانة ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء وأما قوله بالغدو والآصال فانه يعنى بالبكر والعشيات وأما الآصال فجمع واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم هى جمع أصيل كما الأيمان جمع يمين والأسرار جمع سرير وقال آخرون منهم هى جمع أصل والاصل جمع أصيل وقال آخرون منهم هى جمع أصل وأصيل قال وان شئت جعلت الاصل جمعا للاصيل وان شئت جعلته واحدا قال والعرب تقول قد دنا الاصل فيجعلونه واحدا وهذا القول أولى بالصواب فى ذلك وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل لأنهما قد يجمعان على أفعال وأما الآصال فهى فيما يقال فى كلام العرب ما بين العصر الى المغرب وأما قوله ولا تكن من الغافلين فانه يقول ولا تكن من اللاهين اذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ولكن تدبر ذلك وتنهمه وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك ان أنت غفلت عن ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بالغدو والآصال قال بالبكر والعشى ولا تكن من الغافلين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معرف بن واصل السعدى قال سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس آصلنا بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله بالغدو والآصال قال الغدو آخر الفجر صلاة الصبح والآصال آخر العشى صلاة العصر قال وكل ذلك لها وقت أول الفجر وآخره وذلك مثل قوله فى سورة آل عمران واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار وقيل العشى ميل الشمس الى أن تغيب والابكار أول الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن محمد بن شريك عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس سئل عن صلاة الفجر فقال انها التى فى كتاب الله ولا يقوم عليها (١) ثم قرأ فى بيوت أذن الله أن ترفع الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سويد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة قوله بالغدو والآصال أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة أما بالغدو فصلاة الصبح والآصال العشى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ يقول تعالى ذكره لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك واذكره اذا قرئ القرآن تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول فان الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون

صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف أن يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك بنا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم ولنرجع الى التفسير قوله فى الحق أى فى تلقى النفير بعد ما تبين أى بعد اعلام النبى صلى الله عليه وسلم

(١) قوله ولا يقوم عليها كذا بالاصل ولعل الساقط الامؤمن أو نحو ذلك وحرر الرواية كتبه مصححه

عن التواضع له والتخشع وذلك هو العبادة ويسبحونه يقول ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم وله يسجدون يقول ولله يصلون وهو سجودهم فصلوا أنتم أيضا له وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من ملائكته

﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الانفال﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القول فى تأويل قوله ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الانفال التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم هى الغنائم وقالوا معنى الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التى غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هى فقل هى لله ولرسوله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن عكرمة يسئلونك عن الانفال قال الأنفال الغنائم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الانفال المغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال الغنائم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الانفال قال يعنى الغنائم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يسألونك عن الانفال الانفال الغنائم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يسألونك عن الأنفال قال الانفال الغنائم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الانفال الغنائم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء يسألونك عن الانفال قال الغنائم وقال آخرون هى أنفال السرايا ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا على بن صالح بن حى قال بلغنى فى قوله يسألونك عن الأنفال قال السرايا وقال آخرون الانفال ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عبد الملك عن عطاء فى قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال هو ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال دابة أو عبد أو متاع ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال هى ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى أن ابن عباس سئل عن الانفال فقال السلب والفرس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ويقال الانفال ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم فهى نفل لله ولرسوله حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عثمان بن أبى سليمان عن محمد بن شهاب أن رجلا قال لابن عباس ما الانفال قال الفرس والدرع والرمح حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال قال ابن جريج قال عطاء الانفال الفرس الشاذ والدرع والثوب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن ابن عباس قال كان ينفل الرجل فرس الرجل وسلبه

بأنهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا لعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة أسبابه من قلة العدد والعدد روى أنه ما كان منهم الا فارسان وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وقوله أنها لكم بدل من احدى الطائفتين وهما العير أو النفير وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أى تتمنون أن يكون لكم العير لانها الطائفة التى لاحدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله أن يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة وأسر الكفرة وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر ويقطع دابر الكافرين أى يستأصلهم والدابر الآخر يعنى أنكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف أى لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متأخرا ليفيد معنى الاختصاص أى ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم ابن محمد قال سمعت رجلا سأل ابن عباس عن الانفال فقال ابن عباس الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل الانفال التى قال الله فى كتابه ماهى قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذى ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس كان عمر رضى الله عنه اذا سئل عن شئ قال لا آمر لك ولا أنهاك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه عليه السلام الا زاجرا آمرا محللا محرما قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الانفال فقال ابن عباس كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذى ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه أو على رجليه فقال الرجل أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال يسألونك فيما شذ من المشركين الى المسلمين فى غير قتال من دابة أو عبد فهو نفل للنبى صلى الله عليه وسلم وقال آخرون النفل الخمس الذى جعله الله لاهل الخمس ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يسألونك عن الانفال قال هو الخمس قال المهاجرون لم يرفع عنا هذا الخمس لم يخرج منا فقال الله هو لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الاربعة الاخماس فنزلت يسألونك عن الانفال * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى معنى الانفال قول من قال هى زيادات يزيدها الامام بعض الجيش أو جميعهم اما من سلبه على حقوقهم من القسمة واما مما وصل اليه بالنفل أو ببعض أسبابه ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين أو صلاح أحد الفريقين وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين الى المسلمين من عبد أو فرس لان ذلك أمره الى الامام اذا لم يكن ما وصلوا اليه لغلبة وقهر يفعل ما فيه صلاح أهل الاسلام وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر وانما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب لان النفل فى كلام العرب انما هو الزيادة على الشئ يقال منه نفلتك كذا وأنفلتك اذا زدتك والانفال جمع نفل ومنه قول لبيد بن ربيعة

ان تقوى ربنا خير نفل * وبإذن الله ريثى وعجل

فاذ كان معناه ما ذكرنا فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ان كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين بتنفيل الوالى ذلك اياه فيصير حكم ذلك له كالسلب الذى يسلبه القاتل فهو منفل ما زيد من ذلك لان الزيادة وان كانت مستوجبة فى بعض الاحوال بحق فليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة وكذلك كل ما رضخ لمن لا سهم له فى الغنيمة فهو نفل لانه وان كان مغلوبا عليه فليس مما وقعت عليه القسمة فالفصل اذ كان الامر على ما وصفنا بين الغنيمة والنفل أن الغنيمة هى ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنفل هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة واذ كان ذلك معنى النفل فتأويل الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذى تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو قل لهم يا محمد هو لله ولرسوله دونكم يجعله حيث شاء واختلف فى السبب

وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل فى ذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل والبيان وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فان قيل أليس فى الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعده فى هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثانى اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل أن الاول جزئى أى أنتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثانى كلى يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التى حصل فى ضمنها اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما أخرجك ربك وقوله ليحق الحق على أن الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن أن يقال المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافى ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل وأجيب بأن اللام فى الحق ينصرف الى المعهود السابق

الذى من أجله نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى غنائم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان نفل أقواما على بلاء أبلى أقوام وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب فانزل الله هذه الآية على رسوله يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماض جائز ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود بن أبى هند يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع اليه الشبان وبقى الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله عليه الآية فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الاعلى و**حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا قال فتسارع فى ذلك شبان الرجال وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذى جعل لهم فقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا ردأ لكم وكنا تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فتنازعوا فأنزل الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد ابن عبد الله عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل قال فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوا فلما فتح عليهم قالت المشيخة كنا ردأ لكم فلو انهزمتم انحزتم الينا لا تذهبوا بالمغنم دوننا فأبى الفتيان وقالوا جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فأنزل الله يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول قال فكان ذلك خيرا لهم (١) وكذلك أيضا أطيعونى فانى أعلم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فى هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال لما كان يوم بدر قال النبى صلى الله عليه وسلم من صنع كذا فله من النفل كذا فخرج شبان الرجال فجعلوا يصنعونه فلما كان عند القسمة قال الشيوخ نحن أصحاب الرايات وقد كنا ردأ لكم فانزل الله فى ذلك قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب الزبيرى قال ثنى المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه عن سليمان بن موسى عن مكحول مولى هذيل عن أبى سلام عن أبى أمامة الباهلى عن عبادة ابن الصامت قال أنزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر يسألونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى الاسدى عن مكحول عن أبى أمامة الباهلى قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بسواء يقول على السواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين وقال آخرون انما نزلت هذه الآية لان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيأ قبل قسمتها فلم يعطه اياه اذ كان شركا بين الجيش فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا أبو الاحوص عن عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف فقلت يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله

أى فى هذه القضية فلم قلتم انه كذلك فى جميع الصور ولو كره المجرمون أى الكافرون أو المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفى موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله واذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك منا شدتك بالدعاء ربك فانه سينجز لك ما وعدك وروى أنه لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة يقول الواقع فى بلية أغثنى أى فرج عنى فاستجاب لكم انى أى بأنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها

(١) قوله وكذلك أيضا الخ كذا بالاصل ولعل قبله سقطا ولم نعثر عليه بعد المراجعة فحرر كتبه مصححه

به من المشركين فسألته اياه فقال ليس هذا لى ولا لك قال فلما وليت قلت أخاف أن يعطيه من لم يبل بلائى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى قال فقلت أخاف أن يكون نزل فى شئ قال ان السيف قد صار لى قال فأعطانيه ونزلت يسئلونك عن الانفال **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال ثنا عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال لما كان يوم بدر جئت بسيف قال فقلت يارسول الله ان الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا فهب لى هذا السيف فقال لى هذا ليس لى ولا لك فرجعت فقلت عسى أن يعطى هذا من لم يبل بلائى فجاءنى الرسول فقلت حدث فى حدث فلما انتهيت قال ياسعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فهو لك ونزلت يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا يوم بدر فاعجبنى فقلت يارسول الله هبه لى فأنزل الله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول **حدثنا** ابن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثنى معاوية وقال ابن وكيع ثنا أبو معاوية قال ثنا الشيبانى عن محمد بن عبيد الله عن سعد ابن أبى وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطرحه فى القبض فطرحته ورجعت وبى مالا يعلمه الا الله من قتل أخى وأخذ سلبى قال فما جاوزت الا قريبا حتى نزلت عليه سورة الانفال فقال اذهب فخذ سيفك ولفظ الحديث لابن المثنى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير **وحدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن محمد بن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر عن قيس بن ساعدة قال سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان السيف يدعى المرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما فى أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته فى النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ يسأله فرآه الارقم بن أبى الارقم المخزومى فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه **حدثنى** يحيى بن جعفر قال ثنا أحمد بن أبى بكر عن يحيى بن عمران عن جده عثمان بن الارقم عن عمه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ردوا ما كان من الانفال فوضع أبو أسيد الساعدى سيف ابن عائذ المرزبان فعرفه الارقم فقال هبه لى يارسول الله قال فأعطاه اياه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا قال فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه قال ضعه قال ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه أأجعل كمن لا غناء له فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث أخذته فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أخذت سيفا من المغنم فقلت يارسول الله لى هذا فنزلت يسئلونك عن الانفال **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد فى قوله يسئلونك عن الانفال قال قال سعد كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعطنى هذا السيف يارسول الله فسكت فنزلت يسئلونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين قال فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل نزلت لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شئ وقالوا معنى ذكر فى هذا الموضع من وانما معنى الكلام يسئلونك من الانفال وقالوا قد كان ابن مسعود يقرؤه

من أردفته اياه اذا أتبعته متعديا الى مفعولين أو من ردفته اذا اتبعته أى جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم أو مجعولين بعضهم تابعا لبعض أو أنفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم أو للملائكة أخرى ومعنى الثانى تابعين بعضهم للبعض أو للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم أو لغيرهم من الملائكة واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرائيل فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن أبى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبى جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينا هو يشتد فى أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ذاك من مدد السماء وعن

يسئلونك الانفال على هذا التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش قال كان أصحاب عبد الله يقرؤنها يسألونك الانفال حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال هي في قراءة ابن مسعود يسألونك الانفال ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال الانفال المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لاحد منها شئ مما أصاب سرايا المسلمين من شئ أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها قال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لي جعلتها الرسول ليس لكم فيها شئ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم أنزل الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمى في الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يسألونك عن الانفال قال نزلت في المهاجرين والانصار ممن شهد بدرا قال واختلفوا فكانوا أثلاثا قال فنزلت يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وملكه الله رسوله ففسمه كما أراه الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر فنزلت يسألونك عن الانفال قال ثنا عباد بن العوام عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال يسألونك أن تنفلهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا أيوب عن عكرمة في قوله يسألونك عن الانفال قال يسألونك الانفال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفال أن يعطيهموها فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله واذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله اياه وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش واختلفوا فيها أمنسوخة هي أم غير منسوخة فقال بعضهم هي منسوخة وقالوا نسخها قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا كانت الانفال لله وللرسول فنسختها واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يسئلونك عن الانفال قال أصاب سعد بن أبي وقاص يوم بدر سيفا فاختصم فيه وناس معه فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم منهم فقال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول الآية فكانت الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فنسخها الله بالخمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني سليم مولى أم محمد عن مجاهد في قوله يسئلونك عن الانفال قال نسختها واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن مجاهد وعكرمة أو عكرمة وعامر قالا نسخت الانفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه * وقال آخرون هي محكمة وليست منسوخة وانما معنى ذلك قل الانفال لله وهي لاشك لله مع الدنيا وما فيها والآخرة وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال بن زيد في قوله يسألونك عن الانفال فقرأ

أبي داود المازني قال تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والافلاك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا وقد أجبنا عن هذه الشبهة في تفسير سورة آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الله الا بشرى وقد مر هنالك وقد بقي علينا بيان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم وأخره في آل عمران ازدواجا بين الخطابين وعكس هنا ازدواجا بين الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة أحد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله في آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله أعلم ﴿التأويل﴾ كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فأجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال وأصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية وأطيعوا الله ورسوله بالتسليم والائتمار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما أخرجك ربك فيه أنه أخرج المؤمن الحقي عن أوصاف البشرية الى مقام العبودية

حتى بلغ ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شآ او يضعانها حيث أرادا فقالوا نعم ثم جاء بعد الاربعين واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية ولكم أربعة أخماس وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وهذا الخمس مردود على فقرائكم بصنع الله ورسوله فى ذلك الخمس ما أحبا و يضعانه حيث أحبا ثم أخبرنا الله بالذى يجب من ذلك ثم قرأ الآية لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الانفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ينفل من شاء فنفل القاتل السلب وجعل للجيش فى البداءة الربع وفى الرجعة الثلث بعد الخمس ونفل قوما بعد سهمانهم بعيرا بعيرا فى بعض المغازى فجعل الله تعالى ذكره حكم الانفال الى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين وعلى من بعده من الائمة أن يستنوا بسنته فى ذلك وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذى وصفت وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ الا بحجة يجب التسليم لها فقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ الا ما أبطل حكمه حادث حكم يخالفه ينفيه من كل معانيه أو يأتى خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر وقد ذكر عن سعيد بن المسيب أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا منه لقول الله تعالى قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال أرسل سعيد ابن المسيب غلامه الى قوم سألوه عن شئ فقال انكم أرسلتم الى تسألونى عن الانفال فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينا أن للائمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيهم بفعله فينفلوا على نحو ما كان ينفل اذا كان التنفيل صلاحا للمسلمين ﴿القول فى تأويل قوله﴾ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ﴿يقول تعالى ذكره﴾ فخافوا الله أيها القوم واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله وأصلحوا ذات بينكم فقال بعضهم هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلفوا فى الغنيمة أن يردوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال كان نبى الله ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله ثم أنزل الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أمرهم أن يرد بعضهم على بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جده وعنائه على ما رأى حتى اذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم قال أهل الضعف من الناس ذهب أهل القوة بالغنائم فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ليرد أهل القوة على أهل الضعف وقال آخرون هذا تحريج من الله على القوم ونهى لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا خالد بن يزيد وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا أبو اسرائيل عن فضيل عن مجاهد فى قول الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال حرج عليهم حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن مجاهد عن ابن عباس فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا و يصلحوا ذات بينهم قال عباد قال سفيان هذا حين اختلفوا فى الغنائم يوم بدر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل

بجذبات العناية كما أخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلى صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلى فان البقاء محبوب عند كل ذى وجود يجادلونك أى الروح والقلب فى مجيء الحق بعد ما تبين مجيئه كأنهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت وانذيعدكم الله أيها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهى النفوس واما عير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون أن غير ذات الشوكة أى أردتم أن لا تجاهدوا عدو النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك أن السير قسمان سير السالكين على أقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على أجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرائيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين أو أدنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية أن لا يكل الله

قال ثنا أسباط عن السدى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أى لا تستبوا واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث البين فقال بعض نحويى البصرة أضاف ذات الى البين وجعله ذاتا لان بعض الاشياء يوضع عليه اسم مؤنث وبعضا يذكر نحو الدار والحائط أنث الدار وذكر الحائط وقال بعضهم انما أراد بقوله ذات بينكم الحال التى للبين فقال وكذلك ذات العشاء يريد الساعة التى فيها العشاء قال ولم يضعوا مذكرا للمؤنث ولا مؤنثا لمذكر الا لمعنى * قال أبو جعفر هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التى ذكرتها له وأما قوله وأطيعوا الله ورسوله فان معناه وانتهوا أيها القوم الطالبون الانفال الى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم فقد بين لكم وجوهه وسبله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شآ ويضعانها حيث أرادا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يقول تعالى ذكره ليس المؤمن بالذى يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله اليه فى كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه ولكن المؤمن هو الذى اذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لامره وخضع لذكره خوفا منه وفرقا من عقابه واذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله فازداد بتصديقه بذلك الى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله اياهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يوقنون فى أن قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شئ من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشئ من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا يقول تصديقا وعلى ربهم يتوكلون يقول لا يرجون غيره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال فرقت قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال اذا ذكر الله عند الشئ وجل قلبه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يقول اذا ذكر الله وجل قلبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجلت قلوبهم قال فرقت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجلت قلوبهم فرقت قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال سمعت السدى يقول فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية أحسبه قال فينزع عنه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أبى الدرداء فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الوجل فى القلب كاحراق السعفة أما تجد له فى شعيرة قال بلى قال اذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله فان الدعاء يذهب بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أى بحجته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعنى استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها بألف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلى صفته القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم فى كل ما يفعل بمن يفعل والله أعلم ﴿ اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن

قلوبهم قال فرقا من الله ووجلا من الله وخوفا من الله تبارك وتعالى وأما قوله زادتهم ايمانا فقد ذكرت قول ابن عباس فيه وقال غيره فيه ما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قال خشية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قال هذا نعت أهل الايمان فأثبت نعتهم ووصفهم فأثبت صفتهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يقول تعالى ذكره الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها وينفقون مما رزقهم الله من الاموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحج وعمرة ونفقة على من تجب عليهم نفقته فيؤدون حقوقهم أولئك يقول هؤلاء الذين يفعلون هذه الافعال هم المؤمنون لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس الذين يقيمون الصلاة يقول الصلوات الخمس ومما رزقناهم ينفقون يقول زكاة أموالهم أولئك هم المؤمنون حقا يقول برئوا من الكفر ثم وصف الله النفاق وأهله فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الى قوله أولئك هم الكافرون حقا فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا وجعل الكافر كافرا حقا وهو قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك هم المؤمنون حقا قال استحقوا الايمان بحق فأحقه الله لهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله لهم درجات لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم درجات وهي مراتب رفيعة ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي فقال بعضهم هي أعمال رفيعة وفضائل قدموها في أيام حياتهم ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد لهم درجات عند ربهم قال أعمال رفيعة وقال آخرون بل ذلك مراتب في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن هشام بن جبلة عن عطية عن ابن محيريز لهم درجات عند ربهم قال الدرجات سبعون درجة كل درجة حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة وقوله ومغفرة يقول وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها ورزق كريم قيل الجنة وهو عندي ما أعد الله في الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش حدثني المثنى قال ثنا اسحق عن هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة ومغفرة قال لذنوبهم ورزق كريم قال الجنة ۞ القول في تأويل قوله ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾ اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله كما أخرجك وما الذي شبه باخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم واصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم الله ورسوله وقالوا معنى ذلك يقول الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية أي ان هذا خير لكم كما كان اخراجك من بيتك بالحق خيرا لك * وقال آخرون معنى ذلك كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم

الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ القراآت يغشاكم النعاس ابن كثير وأبو عمرو يغشيكم النعاس من باب الافعال أبو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من باب التفعيل وينزل من الانزل ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو عمر والآخرون بالتشديد يدرمي بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيي موهن من الافعال كيد بالنصب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وأبو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر ۞ الوقوف الاقدام ٥ ط لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين آمنوا ط كل بنان ط ورسوله الاول ج العقاب ٥ النار ٥ الادبار ٥ جهنم ط المصير ٥ ط قتلهم ص لعطف المتفقتين رمى ج

يكرهون القتال فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال كذلك يجادلونك في الحق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك في الحق القتال قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال كذلك أخرجك ربك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أنزل الله في خروجه يعني خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر ومجادلتهم اياه فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين يجادلونك في الحق بعد ما تبين اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي الكوفيين ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون وقال آخرون منهم معنى ذلك يسئلونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له وقال بعض نحويي البصرة يجوز أن يكون هذا الكاف في كما أخرجك على قوله أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى على ووقال آخرون منهم هي بمعنى القسم قال ومعنى الكلام والذي أخرجك ربك * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد وقال معناه كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين لان كلا الامرين قد كان أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها وجدالهم في لقاء العدو عند دنو القوم بعضهم من بعض فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه وقال مجاهد في الحق الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه هو القتال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يجادلونك في الحق قال القتال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله من بيتك فان بعضهم قال معناه من المدينة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي بزة كما أخرجك ربك من بيتك المدينة الى بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني محمد بن عباد بن جعفر في قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال من المدينة الى بدر وأما قوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون فان كراهتهم كانت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ندب اليهم المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين فقال بعضهم عنى بذلك أهل الايمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه الى بدر للقاء المشركين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء

القوم

لاحتمال أن تكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال أن تكون عاطفة على ولكن الله رمى أو على محذوف أي لتستبشروا وليبلي حسنا ط عليهم ط الكافرين ٥ الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين ٥ ﴿التفسير﴾ قال في الكشاف اذ يغشيكم اذ بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكروا أمنة مفعول لاجله ومنه صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا لمعنى تنعسون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لأمنتكم أو يغشاكم النعاس فتنعسون أمنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية أن تكون الامنة بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانا منه وجوز أن ينتصب الامنة على أنها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن اسناد الأمن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة أو على أن المراد انه أنامكم

القوم وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس فتعبوا للقتال وأمرهم بالشوكة وكره ذلك أهل الايمان فأنزل الله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر القوم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشا قد سارت اليهم وانهم انما خرجوا يريدون العير طمعا في الغنيمة فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الى قوله لكارهون أي كراهية للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم وقال آخرون عنى بذلك المشركون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال هؤلاء المشركون جادلوك في الحق كأنما يساقون الى الموت حين يدعون الى الاسلام وهم ينظرون قال وليس هذا من صفة الآخرين هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثني عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري عن عمه قال كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العير * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن اسحق من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو وكان جدالهم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا لم يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير ومما يدل على صحة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ففي ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين وان جدالهم كان في القتال كما قال مجاهد كراهية منهم له وان لا معنى لما قال ابن زيد لان الذي قبل قوله يجادلونك في الحق خبر عن أهل الايمان والذي يتلوه خبر عنهم فأن يكون خبرا عم أولى منه بأن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر وأما قوله بعد ما تبين فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل الا ما أمرك الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي بعد ما تبين أنك لا تصنع الا ما أمرك الله به وقال آخرون معناه يجادلونك في القتال بعد ما أمرت به ذكر من قال ذلك روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وأما قوله كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو من كراهتهم للقائهم اذا دعوا الى لقائهم للقتال يساقون الى الموت وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون أي كراهة للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم * القول في تأويل قوله ﴿واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم اذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني احدى الفرقتين فرقة أبي سفيان بن حرب والعير وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم وقوله أنها لكم يقول ان ما معهم غنيمة لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يقول وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة يقول ليس لها حد ولا فيها قتال أن تكون لكم يقول تودون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاؤا لمنع عيرهم الذين في لقائهم القتال والحرب وأصل الشوكة من الشوك وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن نصر وعبد الوارث بن عبد الصمد قالا ثنا عبد الصمد بن

في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت الخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشاكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقد مر فوائد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احداها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي أصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شئ مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك أن المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم أكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة

عبد الوارث قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الاموال وبقلة عددهم فخرجوا لا يريدون الا أبا سفيان والركب معه لا يرونها الا غنيمة لهم لا يظنون أن يكون كبير قتال اذا رأوهم وهي ما أنزل الله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى اذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض الى حيث أمرك الله فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لئن سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم قال فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلقانا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم غدا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أبا سفيان أقبل في عير من الشأم فيها تجارة قريش وهي اللطيمة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس فخرجوا معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فبعث عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى ابن الأريقط فأتاه بخبر القوم وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم فبعث الى أهل مكة يستعينهم فبعث رجلا من بني غفار

فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ أصحاب رسول الله الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد وأشار اليها بقوله ويثبت به أي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله ليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك أن من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم أي قواها ثبتت أقدامهم ومعنى على أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه أن يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما أوقع فيها من اليقين روى أن المطر نزل على الكافرين أيضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله ويثبت به الاقدام يدل مفهومه على أن حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت أو باذكر اني معكم الخطاب

يدعى

يدعى ضمضم بن عمرو فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش فأخبره الله بخروجهم
تخوف من الانصار أن يخذلوه و يقولوا انا عاهدنا أن نمنعك ان أرادك أحد ببلدنا فاقبل على
صحابه فاستشارهم فى طلب العير فقال له أبو بكر رضى الله عنه انى قد سلكت هذا الطريق فانا أعلم
وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فشاورهم فجعلوا
يشيرون عليه بالعير فلما أكثر المشورة تكلم سعد بن معاذ فقال يارسول الله أراك تشاور أصحابك
يشيرون عليك وتعود فتشاورهم فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوف أن تتخلف
عنك الانصار أنت رسول الله وعليك أنزل الكتاب وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر والله
لا يخلف الميعاد امض لما أمرت به فوالذى بعثك بالحق لا يتخلف عنك رجل من الانصار ثم قام
المقداد بن الاسود الكندى فقال يارسول الله انا لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول أقدم فقاتل انا معك مقاتلون ففرح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك وقال ان ربى وعدنى القوم وقد خرجوا فسيروا اليهم فساروا حدثنا بشر بن معاذ
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن
غير ذات الشوكة تكون لكم قال الطائفتان احداهما أبو سفيان بن حرب اذ أقبل بالعير من الشأم
والطائفة الاخرى أبو جهل معه نفر من قريش فكره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلقوا
العير وأراد الله ما أراد حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى
طلحة عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين قال أقبلت عير أهل مكة يريد من الشام
فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة
فساروا السير اليها لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فسبقت العير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان الله وعدهم احدى الطائفتين فكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأحضر
نفيرا فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين
وبالقوم فكره القوم مسيرهم لشوكة فى القوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى
قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير
ذات الشوكة تكون لكم قال أرادوا العير قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر
ربيع الاول فأغار كرز بن جابر الفهرى يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم فركب فى أثره فسبقه كرز بن جابر فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأقام سنته ثم ان أبا سفيان
أقبل من الشأم فى عير لقريش حتى اذا كان قريبا من بدر نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
فأوحى اليه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فنفر
النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين وهم يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم سبعون ومائتان
من الانصار وسائرهم من المهاجرين وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم فبعث الى جميع قريش وهم بمكة
فنفرت قريش وغضبت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال كان جبريل عليه السلام
ينزل فأخبره بعير قريش وهى تريد عيرها ووعده اما العير واما قريشا وذلك كان ببدر وأخذوا
العير وفلتت قريش فأخبروهم فسألوهم فأخبروهم فذلك قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم هم أهل مكة
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون
لكم الى آخر الآية خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر وهم يريدون يعترضون عير القريش قال
فخرج الشيطان فى صورة سراقة بن جعشم حتى أتى أهل مكة فاستغواهم وقال ان محمدا وأصحابه قد

للملائكة والمراد انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وقوله فثبتوا الذين آمنوا فى هذا التثبيت وجوه أحدها انه مفسر لقوله سألقى فاضربوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين وثالثها أن الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم و كانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها ازالة الرأس من الجسد وقيل أراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح أحوال الانسان التى يريد أن يقيمها من أبن بالمكان أى أقام به والمراد نفى الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد أن يضربوهم كما شاؤا لأن ما فوق العنق هو الرأس

عرضوا العير كم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس من مثلكم وانى جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد الا هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم فأخبره بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدكم العير أو القوم فكانت العير أحب الى القوم من القوم كان القتال فى الشوكة والعير ليس فيها قتال وذلك قول الله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال الشوكة القتال وغير الشوكة العير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أبى حبيب عن أبى عمران عن أبى أيوب قال أنزل الله جل وعز واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم فلما وعدنا احدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا والطائفتان غير أبى سفيان أو قريش حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران الانصارى أحسبه قال قال أبو أيوب واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قالوا الشوكة القوم وغير الشوكة العير فلما وعدنا الله احدى الطائفتين اما العير واما القوم طابت أنفسنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى يعقوب بن محمد قال ثنى غير واحد فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ان الشوكة قريش حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم هى عير أبى سفيان وذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صرف عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أى الغنيمة دون الحرب وأما قوله أنها لكم ففتحت على تكرير بعد وذلك أن قوله بعدكم الله قد عمل فى احدى الطائفتين فتأويل الكلام واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعدكم أن احدى الطائفتين لكم كما قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة قال وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فأنث ذات لانه مراد بها الطائفة ومعنى الكلام وتودون أن الطائفة التى هى غير ذات الشوكة تكون لكم دون الطائفة ذات الشوكة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويريد الله أن يحق الاسلام ويعليه بكلماته يقول بأمره اياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار وأنتم تريدون الغنيمة والمال وقوله ويقطع دابر الكافرين يقول يريد أن يجب أصل الجاحدين توحيد الله وقد بينا فيما مضى معنى دابر وأنه المتأخر وأن معنى قطعه الاتيان على الجميع منهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم هذا خبر لكم من العير حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين أى الوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ يقول تعالى ذكره ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والاصنام ويعز الاسلام وذلك هو تحقيق الحق ويبطل الباطل يقول ويبطل عبادة الآلهة والاوثان والكفر ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والاوزار من الكفار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هم المشركون وقيل ان الحق فى هذا الموضع الله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ يقول تعالى ذكره ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم فاذ من صلة يبطل ومعنى قوله تستغيثون ربكم تستجيرون

وهو أشرف الاعضاء والبنان عبارة عن أضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر الضرب اما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء آلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز فى الكشاف أن يكون قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به أى قولوا لهم قول سألقى أو يكون واردا على الاستئناف كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سألقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بأنهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم شئ يسير وقدر نزر فى جنب ما أعد الله لهم ولأمثالهم فى الآجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب أى له والكاف فى ذلك للرسول أو لكل من له أهلية الخطاب وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر

به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم فاستجاب لكم بقول فأجاب دعاءكم بأنى ممدكم بالف من الملائكة يردف بعضهم بعضا ويتلو بعضهم بعضا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار بذلك حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال ثنى سماك الحنفى قال سمعت ابن عباس يقول ثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وعدتهم ونظر الى أصحابه نيفا على ثلثمائة فاستقبل القبلة فجعل يدعو يقول اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه وأخذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فوضع رداءه عليه ثم التزمه من ورائه ثم قال كفاك يا نبى الله بأبى وأمى مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض أبدا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ربنا أنزلت على الكتاب وأمرتنى بالقتال ووعدتنى بالنصر ولا تخلف الميعاد فأتاه جبريل عليه السلام فأنزل الله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابن اسحق عن زيد بن نفيع قال كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم انصر هذه العصابة فانك ان لم تفعل لن تعبد فى الارض قال فقال أبو بكر بعض مناشدتك منجز لك ما وعدك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره فأنزل الله عليه الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اذ تستغيثون ربكم قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تستغيثون ربكم أى بدعائكم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح قال لما كان يوم بدر جعل النبى صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النشدة يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يارسول الله بعض نشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك وأما قوله أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين فقد بينا معناه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين يقول المزيد كما تقول ائت الرجل فزده كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أحمد بن بشير عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنى أبى عن سفيان عن هرون بن عنترة عن ابن عباس مثله حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ممدكم بألف من الملائكة مردفين قال وراء كل ملك ملك حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج بن أرطاة عن قابوس قال سمعت أبا طيبان يقول مردفين قال الملائكة

أو العذاب ذلكم أو النصب والتقدير عليكم ذلكم أى الزموه فذوقوه أو هو كقولك زيدا فاضربه قال فى الكشاف وأن للكافرين عطف على ذلكم فى وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أى وان للكافرين عذاب النار حق أو بالعكس أى والحكم والشأن أن للكافرين وفى ذكر الذوق اشارة الى أن عذاب الدنيا شئ قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهرى أصل الزحف هو أن يزحف الصبى على استه قبل أن يقوم شبه بزحف الصبى مشى الطائفتين تتمشى كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى تتدانى للضرب فانتصابه على الحال من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم ويجوز أن يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم

بعضهم على اثر بعض قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال مردفين قال بعضهم على أثر بعض حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله مردفين قال ممدين قال ابن جريج عن عبدالله بن كثير قال مردفين الارداف الامداد بهم حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بألف من الملائكة مردفين أى متتابعين حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى بألف من الملائكة مردفين يتبع بعضهم بعضا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مردفين قال المردفين بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بألف من الملائكة مردفين يقول متتابعين يوم بدر واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة مردفين بنصب الدال وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين مردفين وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ويقول فيما ذكر عنه هو من أردف بعضهم بعضا وأنكر هذا القول من قول أبى عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال انما الارداف أن يحمل الرجل صاحبه خلفه قال ولم يسمع هذا فى نعت الملائكة يوم بدر واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى ذلك اذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها فقال بعض البصريين والكوفيين معنى ذلك اذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال أردفته وقالوا العرب تقول أردفته وردفته بمعنى تبعته وأتبعته واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر

اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

قالوا فقال الشاعر أردفت وانما أراد ردفت جاءت بعدها لان الجوزاء تجىء بعد الثريا وقالوا معناه اذا قرئ مردفين أنه مفعول بهم كأن معناه بألف من الملائكة يردف الله بعضهم بعضا وقال آخرون معنى ذلك اذا كسرت الدال أردفت الملائكة بعضها بعضا واذا قرئ بفتحها أردف الله المسلمين بهم * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال لاجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين ففى اجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال بمعنى أردف بعض الملائكة بعضا ومسموع من العرب جئت مردفا لفلان أى جئت بعده وأما قول من قال معنى ذلك اذا قرئ مردفين بفتح الدال أن الله أردف المسلمين بهم فقول لا معنى له اذ الذكر الذى فى مردفين من الملائكة دون المؤمنين وانما معنى الكلام أن يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمى فاعله فقيل مردفين بمعنى مردف بعض الملائكة ببعض ولو كان الامر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون فى المردفين ذكر المسلمين لاذكر الملائكة وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى وهى ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبدالله بن يزيد مردفين ومردفين ومردفين مثقل على معنى مرتدفين حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنى عبدالعزيز بن عمران عن الربعى عن أبى الحويرث عن محمد ابن جبير عن على رضى الله عنه قال نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضى الله عنه ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم وأنا فيها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن

للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالتى المداناة والمساواة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون أى اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أو هو تقدمة نهى عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وفى قوله ومن يولهم يومئذ دبره أمارة عليه ثم بين أن الانهزام محرم الا فى حالتين فقال الا متحرفا للقتال هو الكر بعد الفر يخيل الى عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب أو متحيزا أى منحازا الى فئة الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من أعم الاحوال ووجه صحته مع أنه ليس فى الكلام نفى ظاهر هو أنه فى معنى النفى كأنه قيل ومن لا يقدم أولا يعطف عليهم فى حال من الاحوال الا فى حال التحرف أو التحيز ويجوز أن يكون الاستثناء تاما على أن الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ووزن متحيزا متفيعل لانه من حاز يحوز فعل به ما فعل بأيام ولو كان

به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لم يجعل الله ارداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير اليكم أيها المؤمنون مددا لكم الا بشرى لكم أى بشارة لكم تبشركم بنصر الله اياكم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم يقول ولتسكن قلوبكم بمجيئها اليكم وتوقن بنصر الله لكم وما النصر الا من عند الله يقول وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون الا أن ينصركم الله عليهم لا بشدة بأسكم وقواكم بل بنصر الله لكم لأن ذلك بيده واليه ينصر من يشاء من خلقه ان الله عزيز حكيم يقول ان الله الذى ينصركم وبيده نصر من يشاء من خلقه عزيز لا يقهره شئ ولا يغلبه غالب بل يقهر كل شئ ويغلبه لانه خلقه حكيم يقول حكيم فى تدبيره ونصره من نصر وخذلانه من خذل من خلقه لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل وروى عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول ما مد النبى صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين وذكر الثلاثة والخمسة بشرى ما مدوا بأكثر من هذه الالف الذى ذكر الله عز وجل فى الانفال وأما الثلاثة والخمسة فكانت بشرى وقد أتينا على ذلك فى سورة آل عمران بما فيه الكفاية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ يقول تعالى ذكره ولتطمئن به قلوبكم اذ يغشيكم النعاس ويعنى بقوله يغشيكم النعاس يلقى عليكم النعاس أمنة يقول أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عز وجل حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله قال النعاس فى القتال أمنة من الله عز وجل وفى الصلاة من الشيطان حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى فى قوله يغشاكم النعاس أمنة منه عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه قال قال عبد الله فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه والأمنة مصدر من قول القائل أمنت من كذا أمنة وأمانا وأمنا وكل ذلك بمعنى واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمنة منه أمانا من الله عز وجل قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمنة قال أمنا من الله حدثنى يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه قال أنزل الله عز وجل النعاس أمنة من الخوف الذى أصابهم يوم أحد فقرأ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا واختلفت القراء فى قراءة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة يغشيكم النعاس بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس من أغشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين يغشيكم بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين يغشاكم النعاس بفتح الياء ورفع النعاس بمعنى غشيهم النعاس فهو يغشاهم واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله فى آل عمران يغشى طائفة * وأولى ذلك بالصواب اذ يغشيكم على ما ذكرت من قراءة الكوفيين لاجماع جميع القراء على قراءة قوله وينزل عليكم من السماء ماء بتوجيه ذلك الى انه من فعل الله عز وجل فكذلك الواجب أن يكون كذلك يغشيكم اذ كان قوله وينزل عطفا على يغشى ليكون الكلام منسقا على نحو واحد وأما قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان ذلك مطر

متفعلا لقيل متحوزا عن ابن عمر خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف فى غيرهاتين الصورتين من أكبر الكبائر واحتج القاضى بالآية على القطع بوعيد الفساق من أهل الصلاة وأجيب بأنه مشروط بعدم العفو وعن أبى سعيد الخدرى والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان أول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من أخذ الفداء وأكثر المفسرين على أنه عام فى جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال أكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت وأسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط

أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم لانهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنبين على غير ماء فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا وكان الشيطان قد وسوس اليهم بما حزنهم به من اصباحهم مجنبين على غير ماء فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيته بذلك المطر أقدامهم لانهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة دهشاء فلبدها المطر حتى صارت الاقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم ومثل الذى قلنا تتابعت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن على رضى الله عنه قال أصابنا من الليل طش من المطر يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فلما أن طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وأبو خالد عن داود عن سعيد بن المسيب ماء ليطهركم به قال طش يوم بدر حدثنى الحسن بن يزيد قال ثنا حفص عن داود عن سعيد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبى عدى وعبد الاعلى عن داود عن الشعبى وسعيد بن المسيب قالا طش يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى وسعيد بن المسيب فى هذه الآية ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان قالا طش كان يوم بدر فثبت الله به الأقدام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الآية ذكر لنا أنهم مطروا يومئذ حتى سال الوادى ماء واقتتلوا على كثيب أعفر فلبده الله بالماء وشرب المسلمون وتوضؤا وسقوا وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال نزل النبى صلى الله عليه وسلم يعنى حين سار الى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وأمد الله نبيه بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة مجنبة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاظم ذلك فى صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى فشرب المسلمون وملؤا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة بفعل الله فى ذلك طهورا وثبت الاقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الاقدام حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر فانطلقوا قال فنزلوا على أعلى الوادى ونزل محمد صلى الله عليه وسلم

عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى أعطنى قبضة من حصباء الوادى فأعطاه فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا اشغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت اذ رميت أى وما رميت أنت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى أثبت الرمية للرسول صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه عليه السلام ونفاها عنه لان أثرها فوق حد تأثير القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصباء فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال أقبل أبى بن خلف يوم أحد الى النبى صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى من فرجة بين سابغة البيضة

في أسفله فكان الرجل من أصحاب محمد عليه السلام يجنب فلا يقدر على الماء فيصلي جنبا فألقى الشيطان في قلوبهم فقال كيف ترجون أن تظهروا عليهم وأحدكم يقوم الى الصلاة جنبا على غير وضوء قال فأرسل الله عليهم المطر فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا واشتدت لهم الارض وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم فاشتدت لهم من المطر واشتدوا عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين وكانت بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن فقال تزعمون أن فيكم نبيا وانكم أولياء الله وقد غلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين قال فأنزل الله ماء من السماء فسال كل واد فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم وذهبت وسوسة الشيطان **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ماء ليطهركم به قال المطر أنزله عليهم قبل النعاس رجز الشيطان قال وسوسته قال فأطفأ بالمطر الغبار والتبدت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به أنزله عليهم قبل النعاس طبق بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به الاقدام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به قال القطر ويذهب عنكم رجز الشيطان وساوسه أطفأ بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد رجز الشيطان وسوسته **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر وليذهب عنكم رجز الشيطان الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام ان المشركين نزلوا بالماء يوم بدر وغلبوا المسلمين عليه فأصاب المسلمين الظمأ وصلوا محدثين مجنبين فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ووسوس فيها انكم تزعمون أنكم أولياء الله وان محمدا نبي الله وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين فأمطر الله السماء حتى سال كل واد فشرب المسلمون وملؤا أسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة وثبت الله به الاقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ولا يمشي فيها الماشي الا بجهد فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الاقدام **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أي أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة فحبس المشركون أن يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المؤمنين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ليذهب عنهم شك الشيطان بتخويفه اياهم عدوهم واستجلادا لارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذي سبق اليه عدوهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء فقال اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام حتى تشتدون على الرمل وهو كهيئة الارض **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبي هند قال قال رجل عند

والدرع فطعنه بحربته فسقط أبي من فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما أعجزك انما هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين فمات أبي الى النار قبل أن يقدم مكة فأنزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه وأصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل في أثناء القصة كلام أجنبي نعم لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل وما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا أن المفسرين أجمعوا على أن معنى البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة أي الذي فعله تعالى يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض أي الغرض ذلكم وان

سعيد بن المسيب وقال مرة قرأ و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم بها فقال سعيد انما هي وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال وقال الشعبي كان ذلك طشا يوم بدر وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة أن مجاز قوله و يثبت به الاقدام و يفرغ عليهم الصبر و ينزله عليهم فيثبتون لعدوهم وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين وحسب قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا وقد بينا أقوالهم فيه وأن معناه و يثبت أقدام المؤمنين بتليبد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم وأما قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم أنصركم فثبتوا الذين آمنوا يقول قووا عزمهم وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين وقد قيل ان تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم وقيل كان ذلك معونتهم اياهم بقتال أعدائهم وقيل كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنتكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم قالوا وذلك كان وحي الله الى ملائكته وأما ابن اسحق فانه قال بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فثبتوا الذين آمنوا أي فآزروا الذين آمنوا

القول في تأويل قوله ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ يقول تعالى ذكره سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم وأملؤها فرقا حتى ينهزموا عنكم فاضربوا فوق الاعناق واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فوق الاعناق فقال بعضهم معناه فاضربوا الاعناق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية فاضربوا فوق الاعناق قال اضربوا الاعناق قال ثنا أبي عن المسعودي عن القاسم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أبعث لأعذب بعذاب الله انما بعثت لضرب الأعناق وشد الوثاق حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاضربوا فوق الاعناق يقول اضربوا الرقاب واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول رأيت نفس فلان بمعنى رأيته قالوا فكذلك قوله فاضربوا فوق الاعناق انما معناه فاضربوا الاعناق وقال آخرون بل معنى ذلك فاضربوا الرؤس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال وحدثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فاضربوا فوق الاعناق قال الرؤس واعتل قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الاعناق الرؤس قالوا وغير جائز أن تقول فوق الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا ولو جاز ذلك كان أن يقال تحت الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا وذلك خلاف المعقول من الخطاب وقلب معاني الكلام وقال آخرون معنى ذلك فاضربوا على الاعناق وقالوا على وفوق معناهما متقارب بان فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر

والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الاعناق منهم والأيدي والأرجل وقوله فوق الاعناق محتمل أن يكون مراد به الرؤس ومحتمل أن يكون مراد به فوق جلدة الاعناق فيكون معناه على الاعناق واذا احتمل ذلك صح قول من قال معناه الاعناق واذا كان الامر محتملا ما ذكرنا من التأويل لم يكن لنا أن نوجهه الى بعض معانيه دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة تدل على خصوصه فالواجب أن يقال ان الله أمر بضرب رؤس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهد وامعه بدرا وأما قوله واضربوا منهم كل بنان فان معناه واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم والبنان جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين ومن ذلك قول الشاعر

الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وأن للكافرين عذاب النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول انى قد أوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم قال السدى والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فأنزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا و بينه بالحق فنزلت وروى أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أفجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا أي عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وأسلم وان تعودوا للمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم أن يكون الخطاب في الجميع للمومنين أي ان تكفوا عن المنازعة في أمر القتال أو عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا

ألا ليتني قطعت منه بنانة * ولاقيته في البيت يقظان حاذرا

يعني بالبنانة واحدة البنان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال المفاصل قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسن عن يزيد عن عكرمة واضربوا منهم كل بنان قال الأطراف ويقال كل مفصل حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واضربوا منهم كل بنان يعني بالبنان الاطراف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واضربوا منهم كل بنان قال الاطراف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله واضربوا منهم كل بنان يعني الاطراف

القول في تأويل قوله ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ذلك بأنهم هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الاعناق وضرب كل بنان منهم جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله وعقاب لهم عليه ومعنى قوله شاقوا الله ورسوله فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما وأطاعوا أمر الشيطان ومعنى قوله ومن يشاقق الله ورسوله ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله وفارق طاعتهما فان الله شديد العقاب له وشدة عقابه له في الدنيا احلاله به ما كان يحل بأعدائه من النقم وفي الآخرة الخلود في نار جهنم وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها

القول في تأويل قوله ﴿ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ يقول تعالى ذكره هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله في الدنيا من ضرب فوق الاعناق منكم وضرب كل بنان بأيدي أوليائي المؤمنين فذوقوه عاجلا واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار ولفتح أن من قوله وأن للكافرين من الاعراب وجهان أحدهما الرفع والآخر النصب فأما الرفع فبمعنى ذلكم فذوقوه ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم كأنه قيل ذلكم الامر وهذا وأما النصب فمن وجهين أحدهما ذلكم فذوقوه واعلموا أو وأيقنوا أن للكافرين فيكون نصبه بنية فعل مضمر قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

يعني وحاملا رمحا والآخر بمعنى ذلكم فذوقوه وبأن للكافرين عذاب النار ثم حذفت الباء فنصبت

القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ يعني تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم الذين كفروا في القتال زحفا يقول متزاحفا بعضكم الى بعض والتزاحف التداني والتقارب فلا تولوهم الادبار يقول فلا تولوهم ظهوركم تنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فان الله معكم عليهم ومن يولهم يومئذ دبره يقول ومن يولهم منكم ظهره الا متحرفا للقتال يقول الا مستطردا للقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكر عليه أو متحيزا الى فئة أو الا أن يوليهم ظهره متحيزا الى فئة يقول صائرا الى حيز المؤمنين الذين يكونون به معهم اليهم لقتالهم ويرجعون به معهم اليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة قال المتحرف المتقدم من أصحابه ليرى غرته من العدو فيصيبها قال والمتحيز الفار الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكذلك من فر اليوم الى أميره أو أصحابه قال

الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك ﴿التأويل﴾ اذ يغشاكم النعاس أمنة فيه تغليب الحال الى ضده بأمر التكوين كما قال للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن أمنا على محمد وأصحابه فكان ويتنزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب اني معكم فثبتوا فيه أن التثبيت من الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا القيتم الذين كفروا اذا القيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فتقعوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا قلبا يتحرف ابتهيأ لاسباب القتال مع النفس أو راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها أو الى ولاية الشيخ أو الى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم

الضحاك وانما هذا وعيد من الله لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفروا وانما كان النبي عليه الصلاة والسلام فئتهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة أما المتحرف يقول الا مستطردا يريد العودة أو متحيزا الى فئة قال المتحيز الى الامام وجنده ان هو كر فلم يكن له بهم طاقة ولا يعذر الناس وان كروا أن يولوا عن الامام واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم هل هو خاص في أهل بدر أم هو في المؤمنين جميعا فقال قوم هو لأهل بدر خاصة لانه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه فأما اليوم فلهم الانهزام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة في قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر ولم يكن لهم أن ينحازوا ولو انحاز أحد لم ينحز الا الى قال أبو موسى يعني الى المشركين حدثنا اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره ثم ذكر نحوه الا أنه قال ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولم يكن يومئذ مسلم في الارض غيرهم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن مفضل قال ثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال نزلت في يوم بدر ومن يولهم يومئذ دبره حدثنا ابن المثنى وعلي بن مسلم الطوسي قال ابن المثنى ثنى عبد الصمد وقال علي ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن داود يعني ابن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد ومن يولهم يومئذ دبره قال يوم بدر قال أبو موسى حدثت أن في كتاب غندر هذا الحديث عن داود عن الشعبي عن أبي سعيد حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال انما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه نزلت في أهل بدر حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره أكان ذلك اليوم أم هو بعد قال وكتب الي انما كان ذلك يوم بدر حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد عن سفيان عن جويبر عن الضحاك قال انما كان الفرار يوم بدر ولم يكن لهم ملجأ يلجؤن اليه فأما اليوم فليس فرار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة ليس الفرار من الزحف من الكبائر قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الضحاك ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة قال ثنا روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال نزلت في أهل بدر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلكم يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس به حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن عون قال كتبت الى نافع ومن يولهم يومئذ دبره قال انما هذا يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة قال ثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله لمن فر يوم بدر النار قال ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين فقال ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء

نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأحاله الى نفسه فقال ولكن ولم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة وكأن يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى أن يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا أي تفتحوا أبواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته أزلا وأبدا فلا تغير له وانما التغير في أحوال الخلق فهم عند انغلاق أبواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح أبوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكالكم ونكلكم الى أنفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم لا يقوم شيء من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء مما أعد لأهل الله وخاصته يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين

حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن محمد أن عمر رضى الله عنه بلغه قتل أبى عبيد فقال لو تحيزا الى لكنت له فئة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن جرير ابن حازم قال ثنى قيس بن سعيد قال سألت عطاء بن أبى رباح عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه منسوخة بالآية التى فى الانفال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قال وليس لقوم أن يفروا من مثليهم قال ونسخت تلك الا هذه العدة

حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمان التيمى عن أبى عثمان قال لما قتل أبو عبيد جاء الخبر الى عمر فقال يا أيها الناس أنا فئتكم قال ابن المبارك عن معمر وسفيان الثورى وابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قال عمر رضى الله عنه أنا فئة كل مسلم * وقال آخرون بل هذه الآية حكمها عام فى كل من ولى الدبر عن العدو منهزما ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الشرك بالله والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * وأولى التأويلين فى هذه الآية بالصواب عندى قول من قال حكمها محكم وانها نزلت فى أهل بدر وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين وان الله حرم على المؤمنين اذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين الا لتحرف لقتال أو لتحيز الى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الاسلام وان من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير نية احدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده الا أن يتفضل عليه بعفوه وانما قلنا هى محكمة غير منسوخة لما قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله فى غير النسخ وجه الا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وأما قوله فقد باء بغضب من الله يقول فقد رجع بغضب من الله ومأواه جهنم يقول ومصيره الذى يصير اليه فى معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير يقول وبئس الموضع الذى يصير اليه ذلك المصير ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ولكن الله قتلهم وأضاف جل ثناؤه قتلهم الى نفسه ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين اذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم وعن أمره كان قتال المؤمنين اياهم ففى ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله فى أفعال خلقه صنع به وصلوا اليها وكذلك قوله لنبيه عليه السلام وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فأضاف الرمى الى نبى الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامى اذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمى به الى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله فيقال للمسلمين ما ذكرنا قد علمتم اضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين الى نفسه بعد وصفه نبيه به واضافته اليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والارسال فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله الانشاء والانجاز بالتسبيب ومن الخلق الاكتساب بالقوى فلن يقولوا فى أحدهما قولا الا ألزموا فى الآخر مثله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فلم تقتلوهم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال هذا قتلت

آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

القراآت ولا تولوا بالادغام البزى وابن فليح ﴿الوقوف تسمعون ج للآية وللعطف لا يسمعون ○ لا يعقلون ○ لاسمعهم لمعرضون ○ لما يحييكم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الظرف تحشرون ○ خاصة ج لما مر العقاب ○ تشكرون ○ تعلمون ○ فتنة لا للعطف عظيم ○ ويغفر لكم ط العظيم ○ أو يخرجوك ط

وهذا قتلت ومارميت اذ رميت قال لمحمد حين حصب الكفار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى قال رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة قال ما وقع منها شئ الا في عين رجل حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة قال لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال هذه مصارعهم ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه ونزل عليه فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فلما أقبلوا استقبلهم فشا في وجوههم فهزمهم الله عز وجل حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران قال ثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن زمعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم ابن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى الآية الى ان الله سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومارميت اذ رميت الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار فهزموا عند الحجر الثالث حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلي رضي الله عنه أعطني حصا من الارض فناوله حصى عليه تراب فرمى به وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شئ ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فذكر رمية النبي صلى الله عليه وسلم فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قول الله عز وجل ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد الا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله عز وجل في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم ولكن الله رمى أي لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمتهم وروى عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الاقوال وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري ومارميت اذ رميت قال جاء أبي

وعكر الله ط الماكرين ٥ *

(التفسير) انه سبحانه بعد ذكر نحو من قصة بدر والغنائم أدب المؤمنين أحسن تأديب فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لأن التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد أولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان وجوز أن يرجع الى الامر بالطاعة أي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعون لم يبين أنهم ماذا يسمعون الا انه يعلم من مساق الكلام في السورة أن المراد وأنتم تسمعون دعاءه الى الجهاد أو المراد وأنتم تسمعون الامر المذكور أو وأنتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه أن يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد أن يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم أكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب أي ان شر من يدب على الارض أو ان

ابن خلف الجمحى الى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال الله محيى هذا يا محمد وهو رميم وهو يفت العظم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم يميتك ثم يدخلك النار قال فلما كان يوم أحد قال والله لأقتلن محمدا اذا رأيته فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله وأما قوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فان معناه ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر باعدائهم ويغنمهم مامعهم ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك البلاء الحسن رمى الله هؤلاء المشركين ويعنى بالبلاء الحسن النعمة الحسنة الجميلة وهى ماوصفت ومافى معناه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فى قوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا أى ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم فى اظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته وقوله ان الله سميع عليم يعنى ان الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ومناشدته ربه ومسئلته اياه اهلاك عدوه وعدوكم ولقيلكم وقيل جميع خلقه عليم بذلك كله وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده وغير ذلك من الاشياء محيط به فاتقوه وأطيعوا أمره وأمر رسوله ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ذلكم هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم وأسرهم فعلنا الذى فعلنا وأن الله موهن كيد الكافرين يقول واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين يعنى مكرهم حتى يذلوا وينقادوا للحق ويهلكوا وفى فتح أن من الوجوه مافى قوله ذلكم فذوقوه وأن للكافرين وقد بينته هنالك وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله موهن فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين موهن بالتشديد من وهنت الشئ أضعفته وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين موهن من أوهنته فأنا موهنه بمعنى أضعفته والتشديد فى ذلك أعجب الى لان الله تعالى كان ينقض مايبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عقدا بعد عقد وشيأ بعد شئ وان كان الآخر وجها صحيحا ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدر ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين وتستنصروه عليه فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم والمحق على المبطل وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء قال ثنا سويد بن عمرو الكلبى عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى بذلك المشركين ان تستنصروا فقد جاءكم المدد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا قال ان تستقضوا القضاء وانه كان يقول وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ قلت للمشركين قال لا نعلم الا ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال كفار قريش فى قولهم ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه ففتح بينهم يوم بدر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن

شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا أنه ذكر فى معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثانى مذكور فى معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم أضل ومعنى عند الله أى فى حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم أى فى هؤلاء الصم البكم خيرا لأسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وروى أنهم سألوا النبى أن يحيى لهم قصى ابن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لأحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وأنهم لو أسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولأعرضوا عنه على عادتهم المستمرة * واعلم أن معلومات الله تعالى على أربعة أقسام جملة الموجودات وجملة

معمر عن الزهرى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل فقال اللهم يعنى محمدا ونفسه أينا كان أفجر لك اللهم وأقطع للرحم فأحنه اليوم قال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل بن هشام فقال اللهم أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه اليوم يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه قال الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح فضربه ابنا عفراء عوف ومعوذ وأجهز عليه ابن مسعود حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوى حليف بنى زهرة أن المستفتح يومئذ أبو جهل وانه قال حين التقى القوم أينا أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله فى ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية يقول قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كان المشركون حين خرجوا الى النبى صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وأن الله مع المؤمنين وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرهم وان أهل العير أبا سفيان وأصحابه أرسلوا الى المشركين بمكة يستنصرونهم فقال أبو جهل أينا كان خيرا عند له فانصره وهو قوله ان تستفتحوا يقول تستنصروا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستفتحوا العذاب فعذبوا يوم بدر قال وكان استفتاحهم بمكة قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال فجاءهم العذاب يوم بدر وأخبر عن يوم أحد وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية قال قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أهدى الفئتين وخير الفئتين وأفضل فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى ان أبا جهل هو الذى استفتح يوم بدر وقال اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن اسحق عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أقطعنا لرحمه وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة وكان ذلك استفتاحا منه فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية قال ثنا يحيى بن آدم عن ابراهيم بن سعد عن صالح ابن كيسان عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عبد الله ابن ثعلبة بن صعير حليف بنى زهرة قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه قال ابن اسحق فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح لقول أبى جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة قال الاستفتاح الانصاف فى الدعاء حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان وغيره قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أحب الدينين اليك دينا

المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والأولان علم بالواقع والآخران الباقيان علم بالمقدور ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه فى نفسه بعدم علم الله بوجوده وأورد على الآية أنها على صورة قياس شرطى فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا التولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشئ لانتفاء غيره فيكون التولى منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولى خير من الخيرات فأول الكلام يقتضى نفى الخير عنهم وآخره يقتضى حصول الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من أن الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهم والزام القبول والمراد بالاسماع الثانى صورة الاسماع فحسب وأيضا كلمة لو فى المقدمة الثانية هى التى تجئ للمبالغة بمعنى ان كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذا لا تعلق لاحدى الجملتين

العتيق أم دينهم الحديث فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وان الله مع المؤمنين وأما قوله وان تنتهوا فهو خير لكم فانه يقول وان تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به فهو خير لكم فى دنياكم وآخرتكم وان تعودوا نعد يقول وان تعودوا الحرب به وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين نعد أى بمثل الواقعة التى أوقعت بكم يوم بدر وقوله ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت يقول وان تعودوا نعد لهلاككم بايدى أوليائى وهزيمتكم ولن تغنى عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسبيكم وهزمكم فئتكم شيأ ولو كثرت يعنى جندهم وجماعتهم من المشركين كالم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين شيأ وان الله مع المؤمنين يقول جل ذكره وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ينصرهم عليهم أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله وان تنتهوا فهو خير لكم قال يقول لقريش وان تعودوا نعد لمثل الوقعة التى أصابتكم يوم بدر ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين أى وان كثر عددكم فى أنفسكم لن يغنى عنكم شيأ وان الله مع المؤمنين ينصرهم على من خالفهم وقد قيل ان معنى قوله وان تعودوا نعد وان تعودوا للاستفتاح نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا معنى له لان الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه اظهار دينه واعلاء كلمته من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه فلا وجه لأن يقال والامر كذلك ان تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم وان تعودوا نعد لان الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير استفتح المشركون أو لم يستفتحوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تعودوا نعد ان تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المومنين محمد وأصحابه واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله مع المؤمنين ففتحها عامة قراء أهل المدينة بمعنى ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين فعطف بأن على موضع ولو كثرت كأنه قال لكثرتها ولان الله مع المؤمنين ويكون موضع أن حينئذ نصبا على هذا القول وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها اذا فتحت على وان الله موهن كيد الكافرين وان الله مع المؤمنين عطفا بالاخرى على الاولى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وان الله بكسر الالف على الابتداء واعتلوا بانها فى قراءة عبد الله وان الله لمع المؤمنين وأولى القراءتين بالصواب قراءة من كسر ان للابتداء لتقضى الخبر قبل ذلك عما يقضى قوله وان الله مع المؤمنين ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ولا تولوا عنه يقول ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفين أمره ونهيه وأنتم تسمعون أمره اياكم ونهيه وأنتم به مؤمنون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون انكم مؤمنون ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أيها المؤمنون فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين اذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا قد

بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالآية على أن صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد أخبر أنهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال فى الكشاف لو علم الله فيهم خيرا أى انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين أدبا آخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على باب أبى بن كعب فناداه وهو فى الصلاة فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لاجرم لا تدعونى الا أجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر على أن ظاهر الامر للوجوب والاقل يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير

سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون يقول وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به لاعراضهم عنه وتركهم أن يوعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وان كانوا قد سمعوها بآذانهم بمنزلة من لم يسمعها يقول جل ثناؤه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أنتم في الاعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء اليه وأنتم تسمعونه بآذانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم ويقولون قد سمعنا وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون كمن لم يسمعها وكان ابن اسحق يقول في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون المعصية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وهم لا يسمعون قال عاصون حدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله والذي قال ابن اسحق وجه ولكن قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في سياق قصص المشركين ويتلوه الخبر عنهم بذمهم وهو قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعظوا به وينكصون عنه ان نطقوا به الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بهما أبدانهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شر الدواب عند الله قال الدواب الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج عن عكرمة قال وكانوا يقولون انا صم بكم عما يدعو اليه محمد لا نسمعه منه ولا نجيبه بتصديق فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الصم البكم الذين لا يعقلون قال الذين لا يتبعون الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وليس بالاصم في الدنيا ولا بالابكم ولكن صم القلوب وبكمها وعميها وقرأ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور واختلف فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها نفر من المشركين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس الصم البكم الذين لا يعقلون نفر من بني عبد الدار لا يتبعون الحق قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الصم البكم الذين لا يعقلون قال لا يتبعون الحق قال قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وقال آخرون عنى بها المنافقون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس وانه عنى بهذه الآية مشركو قريش لانها في سياق الخبر عنهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفي معناها فقال بعضهم عنى بها المشركون وقال معناها أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به لان الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال

واذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته ثم الاحياء لا يمكن أن يحمل على نفس الحياة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حياة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي به الحياة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن أحد العدوين سبب حياة الآخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحياة الدائمة لقوله بل أحياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحياة الطيبة كما قال فلنحيينه حياة طيبة واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من أسعده الله والشقي من أضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقائد حسبما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء

ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لقالوا ائت بقرآن غير هذا ولقالوا لولا اجتبيتها ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون قال لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك ولتولوا وهم معرضون و حدثنى به مرة أخرى فقال لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بانهم لا ينتفعون به وقال آخرون بل عنى بها المنافقون قالوا ومعناه ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم لأنفذ لهم قولهم الذى قالوه بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون فأوفوا لكم بشر مما خرجوا عليه * وأولى القولين فى تأويل ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة وان ذلك ليس من صفة المنافقين فتأويل الآية اذا ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله حجته منه ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا التولوا عن الله وعن رسوله وهم معرضون عن الايمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله وعبره وحجه معاندون للحق بعد العلم به

القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله اذا دعاكم لما يحييكم فقال بعضهم معناه استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم للايمان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أما يحييكم فهو الاسلام أحياهم بعد موتهم بعد كفرهم وقال آخرون للحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لما يحييكم قال الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذا دعاكم لما يحييكم قال الحق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال للحق وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى ما فى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال هو هذا القرآن فيه الحياة والعصمة فى الدنيا والآخرة وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى الحرب وجهاد العدو ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم أى للحرب الذى أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق وذلك أن ذلك اذا كان معناه كان داخلا فيه الامر باجابتهم لقتال العدو والجهاد والاجابة اذا دعاكم الى حكم القرآن وفى الاجابة الى كل ذلك حياة المجيب أما فى الدنيا فيقال الذكر الجميل وذلك له فيه حياة وأما فى الآخرة فحياة الابد فى الجنان والخلود فيها وأما قول من قال معناه الاسلام فقول لا معنى له لان الله قد وصفهم بالايمان بقوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول اذا دعاك الى الاسلام والايمان وبعد ففيما حدثنا

جميع الاسباب اليه ثم ختم الآية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم أنهم مع كونهم مجبورين خلقوا مثابين معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وأمر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وأنه تعالى أمر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لانه عليهم فاذا لا يمكن حمل الآية على ما قاله أهل الجبر فتأويلها ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه أى وان الشأن أو الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت أو انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية للشئ باسم محله فكأنه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل أو المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون فى قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالأمن خوفا وبالخوف أمنا وبالذكر

أحمد بن المقدام العجلى قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى وهو يصلى فدعاه أى أبى فالتفت اليه أبى ولم يجبه ثم ان أبيا خفف الصلاة ثم انصرف الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أى رسول الله قال وعليك ما منعك اذ دعوتك أن تجيبنى قال يارسول الله كنت أصلى قال أفلم تجد فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى يارسول الله لا أعود **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى وهو قائم يصلى فصرخ به فلم يجبه ثم جاء فقال يا أبى ما منعك أن تجيبنى اذ دعوتك ألبس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أبى لا جرم يارسول الله لا تدعونى الا أجبت وان كنت أصلى ما يبين عن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما فيه حياتهم باجابتهم اليه من الحق بعد اسلامهم لان أبيا لا شك انه كان مسلما فى الوقت الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا فى هذين الخبرين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه يحول بين الكافر والايمان وبين المؤمن والكفر ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه قال بين الكافر أن يؤمن وبين المؤمن أن يكفر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرازق قال ثنا الثورى عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى عن سعيد بن جبير بنحوه **حدثنى** أبو زائدة زكريا بن أبى زائدة قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير مثله **حدثنى** أبو السائب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن المنهال عن سعيد ابن جبير يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه يحول بين الكافر والايمان وطاعة الله قال ثنا حفص عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان وعبد العزيز ابن أبى رواد عن الضحاك فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وطاعته وبين المؤمن ومعصيته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى روق عن الضحاك بن مزاحم بنحوه قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال يحول بين المرء وبين أن يكفر وبين الكافر وبين أن يؤمن **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن الضحاك ابن مزاحم يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وبين طاعة الله وبين المؤمن ومعصية الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا ابن أبى رواد عن الضحاك بنحوه وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فذكر نحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا المعتمر ابن سليمان قال سمعت عبد العزيز بن أبى رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن ومعصيته **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين المؤمن وبين الكفر

تسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وأنتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التى عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على أنه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وأن قربه من عبده أشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين أظهرهم وقوله لا تصيبن اما أن يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهى كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت قلت لا تطرحنك وعلى هذا من فى منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان أصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية أو لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما أن يكون نهيا بعد أمر ومن

ويحول بين الكافر وبين الايمان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته ويحول بين المؤمن وبين معصيته حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان قال ثنا أبي عن ابن أبجر وداد عن الضحاك يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته وبين المؤمن وبين معصيته قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه يحول بين المؤمن والمعاصي وبين الكافر والايمان قال ثنا عبيدة عن اسمعيل عن أبي صالح يحول بين المرء وقلبه قال يحول بينه وبين المعاصي * وقال آخرون بل معنى ذلك يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المرء وعقله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يحول بين المرء وقلبه قال هي يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله عن جميد عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال اذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيرا وقال آخرون معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على ايمان أو كفر الا باذنه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا باذنه * وقال آخرون معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شئ أظهره أو أسره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة في قوله يحول بين المرء وقلبه قال هي كقوله أقرب اليه من حبل الوريد * وأولى الاقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال ان ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيأ من ايمان أو كفر أو أن يعي به شيأ أو أن يفهم الا باذنه ومشيئته وذلك أن الحول بين الشئ والشئ انما هو الحجز بينهما واذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شئ أن يدركه أو يفهمه لم يكن للعبد الى ادراك ما قد منع الله قلبه ادراكه سبيل واذا كان ذلك معناه دخل في ذلك قول من قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان وقول من قال يحول بينه وبين عقله وقول من قال يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا باذنه لان الله عز وجل اذا حال بين عبد وقلبه لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه مما منع ادراكه به على ما بينت غير أنه ينبغي أن يقال ان الله عم بقوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيأ دون شئ والكلام محتمل كل هذه المعاني فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له وأما قوله وأنه اليه تحشرون فان معناه واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه أن الله الذي يقدر على قلوبكم وهو أملك بها منكم اليه مصيركم ومرجعكم في القيامة فيوفيكم جزاء أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته فاتقوه وراقبوه فيما

للبيان كانه قيل احذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كأن الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول أي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما رأينا أنا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روى أن الزبير كان يسامر النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي اني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الآية بقوله واعلموا أن الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ أنتم وانتصابه على انه مفعول به أي وقت أنتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض أرض مكة قبل الهجرة تخافون أن يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم أعداء

أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه وأن لا تستجيبوا لرسوله اذا دعاكم لما يحييكم فيوجب ذلك سخطه وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون اليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله اتقوا أيها المؤمنون فتنة يقول اختبارا من الله يختبركم و بلاء يبتليكم لا تصيبن هذه الفتنة التى حذرتكموها الذين ظلموا وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله اما أجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية أو يأتوا ما أثما يستحقون بذلك منه عقوبة وقيل ان هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين عنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن ابراهيم قال ثنا الحسن بن أبى جعفر قال ثنا داود بن أبى هند عن الحسن فى قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال نزلت فى على وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال قتادة قال الزبير بن العوام لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ثم خصتنا فى اصابتنا خاصة حدثنى المثنى قال ثنا زيد بن عوف أبو ربيعة قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن أن الزبير بن العوام قال نزلت هذه الآية واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وما ظننا أهلها ونحن عنينا بها قال ثنا قيصة عن سفيان عن الصلت بن دينار عن ابن صهبان قال سمعت الزبير بن العوام يقول قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هذه نزلت فى أهل بدر خاصة وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن السدى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب قال أصحاب الجمل حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هى أيضا لكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الفتنة الضلالة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن القاسم قال قال عبد الله ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة ان الله يقول انما أموالكم وأولادكم فتنة فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال قال الزبير لقد خوفنا بها يعنى قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * واختلف أهل العربية فى تأويل ذلك فقال بعض نحويى البصرة اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا قوله لا تصيبن ليس بجواب ولكنه نهى بعد أمر ولو كان جوابا ما دخلت النون وقال بعض نحويى الكوفة قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا أمرهم ثم نهاهم ومنكم ظرف من الجزاء وان كان نهيا قال ومثله قوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان أمرهم ثم نهاهم وفيه تأويل الجزاء وكان معنى الكلام عنده اتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم وأما قوله واعلموا أن الله شديد العقاب فانه تحذير من الله ووعيد لمن واقع الفتنة التى حذرها اياها بقوله واتقوا فتنة يقول اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه وخالف أمره فأثم به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض

لكم فاواكم الى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامدادكم بالملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون أى ينقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والآلاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم أن تشتغلوا بالمنازعة فى الانفال ثم منعهم من الخيانة فى الامانة يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة بن مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ماترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه انه أى ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة يقول أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون واستجيبوا له اذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره وان أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة فان الله يهونه عليكم بطاعتكم اياه ويعجل لكم منه ما تحبون كما فعل بكم اذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم ويناونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم فآواكم يقول فجعل لكم مأوى تأوون اليه منهم وأيدكم بنصره يقول وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر ورزقكم من الطيبات يقول وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا لعلكم تشكرون يقول لكي تشكروا على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم واختلف أهل التأويل في الناس الذين عنوا بقوله أن يتخطفكم الناس فقال بعضهم كفار قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس قال يعني بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها وموالها قبل الهجرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي أو قتادة أو كلاهما واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون انها نزلت في يوم بدر كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس فآواهم الله وأيدهم بنصره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه وقال آخرون بل عنى به غير قريش ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال سمعت وهب بن منبه يقول في قوله عز وجل تخافون أن يتخطفكم الناس قال فارس قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول وقرأ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس والناس اذ ذاك فارس والروم قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض قال كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا وأعراه جلودا وأبينه ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردي في النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الارض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى بذلك مشركو قريش لان المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم لانهم كانوا أدنى الكفار منهم اليهم وأشدهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين وأما قوله فآواكم فانه يعني آواكم المدينة وكذلك قوله وأيدكم بنصره بالانصار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فآواكم قال الى الانصار بالمدينة وأيدكم بنصره وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيدهم بنصره يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات يعني المدينة

القول في تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله وخيانتهم الله ورسوله كانت باظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه

لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم شيأ فيفشونه ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله أن يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم اليها حكاه الاصم قال القاضي والاقرب أنها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانه للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل أن يراد بالامانة كل ما تعبد به وكأن معنى الآية ايجاب أداء التكاليف بأسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا اخلال ومعنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء

وسلم والمؤمنين الايمان فى الظاهر والنصيحة وهو يستسر الكفر والغش لهم فى الباطن يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما يخفى عنهم من خبرهم وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية وفى السبب الذى نزلت فيه فقال بعضهم نزلت فى منافق كتب الى أبى سفيان يطلعه على سر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا شبابة ابن سوار قال ثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء بن أبى رباح فحدثنى قال ثنى جابر بن عبد الله أن أباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أباسفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أباسفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين الى أبى سفيان ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وقال آخرون بل نزلت فى أبى لبابة الذى كان من أمره وأمر بنى قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن الزهرى قوله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم قال نزلت فى أبى لبابة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى حلقه انه الذبح قال الزهرى فقال أبو لبابة لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك قال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالى قال يجزيك الثلث أن تصدق به حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد قال سمعت عبد الله بن أبى قتادة يقول نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فى أبى لبابة وقال آخرون بل نزلت فى شأن عثمان رضى الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يونس بن الحرث الطائفى قال ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفى عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية فى قتل عثمان رضى الله عنه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته وجائز أن تكون نزلت فى أبى لبابة وجائز أن تكون نزلت فى غيره ولا خبر عندنا بأى ذلك كان يجب التسليم له بصحته فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول قال نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تخونوا الله والرسول الآية قال كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين واختلفوا فى تأويل قوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فقال بعضهم لا تخونوا الله والرسول فان ذلك خيانة لاماناتكم وهلاك لها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم فانهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون أى لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم فعلى هذا التأويل قوله وتخونوا أماناتكم فى موضع نصب على الظرف كما قال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

التمام فاذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان الشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراق سمى كربا لانه يكرب من الدلو أى يقرب منه واشتار العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل أن يكون جزما داخلا فى حكم النهى وان يكون نصبا باضمار أن كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به وأماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله أو تعلمون أنكم تخونون يعنى أن الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعى الى الخيانة هو محبة الاموال والاولاد ولعل ما فرط من أبى لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة أى أنها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم أو العذاب أو هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده فى ذلك الباب وان الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضى

ويروى وتأتى مثله وقال آخرون معناه لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم يقول لاتخونوا يعنى لا تنقصوها فعلى هذا التأويل لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم واختلف أهل التأويل فى معنى الامانة التى ذكرها الله فى قوله وتخونوا أماناتكم فقال بعضهم هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال التى أمن الله عليها العباد يعنى الفريضة يقول ولاتخونوا يعنى لاتنقصوها حدثنا على بن داود قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله يقول بترك فرائضه والرسول يقول بترك سننه وارتكاب معصيته قال وقال مرة أخرى لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال ثم ذكر نحو حديث المثنى وقال آخرون معنى الامانات ههنا الدين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخونوا أماناتكم دينكم وأنتم تعلمون قال قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الايمان وقرأ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الآية قال هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا أظهروا الايمان وأسروا الكفر فتأويل الكلام اذا يا أيها الذين آمنوا لاتنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه لاتنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمها لكم وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التى قد ثبتت لله عليكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التى خولكموها الله وأولادكم التى وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها والانتهاء الى أمره ونهيه فيها وان الله عنده أجر عظيم يقول واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم فى أموالكم وأولادكم التى اختبركم بها فى الدنيا وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه فى معادكم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المسعودى عن القاسم عن عبد الرحمن عن ابن مسعود فى قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة قال فتنه الاختبار اختبارهم وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ان تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره اياكم عليهم واعطائكم الظفر بهم ويكفر عنكم سيآتكم يقول ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه ويغفر لكم يقول ويغطيها فيسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها والله ذو الفضل العظيم يقول والله الذى يفعل ذلك بكم له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله وان فعله جزاء منه لعبده على طاعته اياه لانه الموفق عبده لطاعته التى اكتسبها حتى استحق من ربه الجزاء الذى وعده عليها وقد اختلف أهل التأويل فى العبارة

السعادات الروحانية الباقية ويمكن
تمسك بالآية فى بيان أن الاشتغال
فاضل لكونه مفضيا الى الاجر
عظيم عند الله هو أفضل من
اشتغال بالنكاح لادائه الى الفتنة
رغب فى التقوى التى توجب
اعراض عن محبة الاموال والاولاد
التهالك فى شأنهم فقال يا أيها
وعن آمنوا ان تتقوا الله فى
الذين ارتكاب الكبائر والاصرار على
الصغائر يجعل لكم فرقانا فارقا
بينكم بين الكفار فى الاحوال
بالاختصاص بالمعرفة
الباطنة
والهداية وانشراح الصدر وازالة
الغل والحسد والمكر وسائر
الاخلاق الذميمة والاوصاف
السبعية والبهيمية وفى الاحوال
الظاهرة باعلاء الكلمة ولاظهار
على أهل الاديان كلهم وفى أحوال
الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع
الدائمة والتعظيم من الله والملائكة
ويكفر عنكم سيئاتكم يترعليكم
فى الدنيا صغائركم فرطت
منكم ويغفر لكم كبائركم
والله ذو الفضل العظيم وعد بشئ
وفى به أحسن الايفاء ومن عظيم
فضله أنه يتفضل بذاته من غير
واسطة وبدون التماس عوض وكل
متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد
أن يخلق الله فيه داعية التفضل

وبعد أن يمكن المتفضل عليه من
الانتفاع بذلك وبعد أن يكون
قد تصور فيه ثوابا أو ثناء أو حمله على
ذلك رقة طبع أو عصبية والا فلا
فضل في الحقيقة الا الله سبحانه فلهذا
وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين
نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ أنتم
قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك
دفع كيد المشركين عنه حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من
مكرهم وفيما أتاح له من حسن
العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم
فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم
من المفسرين ذكروا أن قريشا
اجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال أنا شيخ من نجد سمعت أنا من تهامة
دخلت من مكة فسمعت باجتماعكم
فأردت أن أحضركم ولن تعدموا
مني رأيا ونصحا فقالوا هذا من نجد
لا بأس عليكم به فقال أبو البختري
من بني عبد الدار رأيي أن تحبسوه في
بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير
كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها
وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس
بئس الرأي رأيا يأتيكم من يقاتلكم من
قومه ويخلصه من أيديكم فقال
هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على
جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا

عن تأويل قوله يجعل لكم فرقانا فقال بعضهم مخرجا وقال بعضهم نجاة وقال بعضهم فصلا وكل ذلك متقارب المعنى وان اختلفت العبارات عنها وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ذكر من قال معناه المخرج حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فرقانا قال مخرجا في الدنيا والآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فرقانا قال الفرقان المخرج حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فرقانا يقول مخرجا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ثنا زائدة عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك فرقانا قال مخرجا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيدا يقول سمعت الضحاك يقول فرقانا مخرجا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جميد عن زهير عن جابر عن عكرمة قال الفرقان المخرج ذكر من قال معناه النجاة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن عكرمة ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن رجل عن عكرمة ومجاهد في قوله يجعل لكم فرقانا قال عكرمة المخرج وقال مجاهد النجاة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم نجاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يجعل لكم فرقانا أي نجاة ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال فرقان يفرق في قلوبهم بين الحق والباطل حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي فصلا بين الحق والباطل يظهر به حقكم ويخفى به باطل من خالفكم والفرقان في كلام العرب مصدر من قولهم فرقت بين الشيء والشيء أفرق بينهما فرقا وفرقانا ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه عليه واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا من مشركي قومك كي يثبتوك واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ليثبتوك فقال بعضهم معناه ليقيدوك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك يعني ليوثقوك قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليثبتوك ليوثقوك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية يقول ليشدوك وثاقا وأرادوا بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم قالا قالوا أوثقوه بالوثاق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ليثبتوك قال الاثبات هو الحبس والوثاق وقال آخرون بل معناه الحبس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عن قوله

قوله ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا الخ كذا بالاصل والظاهر أنه سقط السند قبل يا أيها الخ فحرره كتبه مصححه

ليثبتوك

يثبتوك قال يسجنوك وقالها عبد الله بن كثير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
أو اسجنوه وقال آخرون بل معناه ليسحروك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن اسمعيل البصري
المعروف بالوساوسي قال ثنا عبد المجيد بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير بن
عبد المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتمر بك قومك قال يريدون
أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني فقال من أخبرك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص
به خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي خيرا فنزلت واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول لما ائتمروا بالنبي صلى الله
عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال نعم قال فاخبره
بمن أخبرك قال ربي قال نعم الرب ربك استوص به خيرا قال أنا أستوصي به أو هو يستوصي
به وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه كما حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال
ثنا أبي قال ثنا محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال وحدثني
المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح الكلبي عن زاذن مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا
فدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من
أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح قالوا أجل ادخل
فدخل معهم فقال انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يؤاتيكم في أموركم بأمره قال ففال
قائل احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير
والنابغة انما هو كأحدهم قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه
وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين اليكم
حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا قال ففال أبو جهل
والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره قالوا وما هو قال نأخذ من كل قبيلة
من أوساطها شابا نهدا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فاذا فعلوا تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها فانهم
اذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي القول ما قال
فيما لا أرى غيره قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له قال فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل
عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو
يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون
حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وكان يسمى ذلك
اليوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي حدثنا بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
معمر عن قتادة ومقسم في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قالا تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة فقال
بعضهم اذا أصبح فأوثقوه بالوثاق وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فلما أصبحوا رأوا

يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس
الرأي يفد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن
تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل
واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا
يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
واسترحنا فقال الشيخ صدق
هذا الفتى هو أجودكم رأيا
فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين
على قتله فأخبر جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأمره أن
لا يبيت في مضجعه وأذن الله له عند
الهجرة فأمر عليا عليه السلام فنام
في مضجعه وقال له اتشح ببردي فانه
لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا
مترصدين فلما أصبحوا ثاروا والى
مضجعه فأبصروا عليا فهتوا وخيب
الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم
ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس
ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر
على الحركة وهو اشارة الى رأي أبي
البختري وقوله أو يقتلوك اشارة
الى رأي أبي جهل وقوله أو يخرجوك
أي من مكة اشارة الى رأي هشام
وأنكر القاضي حديث ابليس
في القصة وتصويره نفسه
بصورة الانس قال لان ذلك التغيير
ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار
على المكر وان كان من فعل ابليس

فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ماحكى عن القاضى وذهب عليه أن هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر أسباب الشرور والآثام وقد أجبنا عن أمثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر فى سورة آل عمران والحاصل أنهم احتالوا فى ابطال أمر محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فان قيل لا خير فى مكرهم فكيف قال والله أنه خير الماكرين وأجيب بأن المراد أقوى الماكرين أو المراد أنه لو قدر فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره أكثر أو المراد أنه فى نفسه خير

﴿ التأويل ﴾ ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق يسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لابد أن يكون أبكم فلذلك خصهما بالذكر الذين لا يعقلون أنهم اذا خلقوا فلا جرم يؤل حالهم من أن يكونوا خير البرية الى أن يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب بالحجة من العبد الاجابة كما يطلب العبد للحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى

علىا رضى الله عنه فرد الله مكرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنى أبى عن عكرمة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار أمر على بن أبى طالب فنام فى مضجعه فبات المشركون يحرسونه فاذا رأوه نائما حسبوا أنه النبى صلى الله عليه وسلم فتركوه فلما أصبحوا ثاروا اليه وهم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هم بعلى فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى قال فركبوا الصعب والذلول فى طلبه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرنى عثمان الجزرى أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوه على رضى الله عنه رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابه فمكث فيه ثلاثا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين قال اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون فى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت الانصار وفرقوا أن يتعالى أمره اذا وجد ملجأ ألجأ اليه فجاء ابليس فى صورة رجل من أهل نجد فدخل معهم فى دار الندوة فلما أنكروه قالوا من أنت فوالله ما كل قومنا أعلمناه مجلسنا هذا قال أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم وأشير عليكم فاستحيوا فخلوا عنه فقال بعضهم خذوا محمدا اذا اضطجع على فراشه فاجعلوه فى بيت تتربصون به ريب المنون والريب هو الموت والمنون هو الدهر قال ابليس بئسما قلت تجعلونه فى بيت فيأتى أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم قتال قالوا صدق الشيخ قال أخرجوه من قريتكم قال ابليس بئسما قلت تخرجونه من قريتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتى قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخيل والرجال قالوا صدق الشيخ قال أبو جهل وكان أولاهم بطاعة ابليس بل نعمد الى كل بطن من بطون قريش فنخرج منهم رجلا فنعطيهم السلاح فيشدون على محمد جميعا فيضربونه ضربة رجل واحد فلا يستطيع عبد المطلب أن يقتلوا قريشا فليس لهم الا الدية قال ابليس صدق وهذا الفتى هو أجودكم رأيا فقاموا على ذلك وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فنام على الفراش وجعلوا عليه العيون فلما كان فى بعض الليل انطلق هو وأبو بكر الى الغار ونام على بن أبى طالب على الفراش فذلك حين يقول الله ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك والاثبات هو الحبس والوثاق وهو قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يقول يهلكهم فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة لقيه عمر فقال له ما فعل القوم وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وكذلك كان يصنع بالامم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخروا بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليثبتوك أو يقتلوك قال كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعلوا ذلك بمحمد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه

ن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم
كروابه وهو بمكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك الى آخر الآية قال اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتلوا
ذا الرجل فقال بعضهم لا يقتله رجل الا قتل به قالوا خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديدا قالوا
لا يدعكم أهل بيته قالوا أخرجوه قالوا اذا يستغوى الناس عليكم قال وابليس معهم في صورة
جل من أهل نجد واجتمع رأيهم أنه اذا جاء يطوف البيت ويستلم أن يجتمعوا عليه فيعموه ويقتلوه
له لا يدرى أهله من قتله فيرضون بالعقل فنقتله ونستريح ونعقله فلما أن جاء يطوف بالبيت
جتمعوا عليه فعموه فأتى أبو بكر فقيل له ذا لك فأتى فلم يجد مدخلا فلما أن لم يجد مدخلا قال أتقتلون
جلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال ثم فرجها الله عنه فلما أن كان الليل أتاه
جبريل عليه السلام فقال من أصحابك فقال فلان وفلان وفلان فقال لا نحن أعلم بهم منك يا محمد
ونا موس ليل (٣) قال وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم
قدم أحدهم الى جبريل فكحله ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله ثم قدم آخر
نقر فوق رأسه بعصا نقرة ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل فقال كفيته يا نبي الله ثم أتى بآخر
نقر في ركبته فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته ثم أتى بآخر فسقاه مذقة فقال ما صورته
جبريل قال كفيته يا نبي الله وأتى بالخامس فلما غدا من بيته مر بنبال فتعلق مشقص بردائه فالتوى
قطع الاكحل من رجله وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمي وأما الذي سقي مذقة فأصبح وقد
سقي بطنه وأما الذي نقر فوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة قرحة عظيمة أخذته في رأسه وأما
الذي طعن في ركبته فأصبح وقد أقعد فذلك قول الله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك
ويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فكرت لهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
قال هذه مكية قال ابن جريج قال مجاهد هذه مكية فتأويل الكلام اذ اوحى ربك يا محمد نعمتي عندك
كثرى بمن حاول المكر بك من مشركي قومك بإثباتك أو قتلك أو اخراجك من وطنك حتى
استنقذتك منهم وأهلكتهم فامض لامري في حرب من حاربك من المشركين وتولى عن اجابة
ما أرسلتك به من الدين القيم ولا يرعبنك كثرة عددهم فان ربك خير الماكرين بمن كفر به وعبد
غيره وخالف أمره ونهيه وقد بينا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع (القول
في تأويل قوله (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير
الاولين) يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح
الله صدره لفهمه قالوا جهلا منهم وعنادا للحق وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم لو نشاء لقلنا مثل
هذا الذي تلى علينا ان هذا الا أساطير الاولين يعني أنهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم
الا أساطير الاولين والاساطير جمع أسطور وهو جمع الجمع لان واحد الأسطر سطر ثم يجمع السطر
سطرا وسطور ثم يجمع الاسطر أساطير وأساطر وقد كان بعض أهل العربية يقول واحد الاساطير
اسطورة وانما عنى المشركون بقولهم ان هذا الا أساطير الاولين ان هذا القرآن الذي تتلوه علينا
يا محمد الا ما سطره الاولون وكتبوه من أخبار الامم كأنهم أضافوه الى انه أخذ عن بني آدم وانه لم يوجه
انه اليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا

للفناء في الله والاستجابة للرسول
بالمتابعة لما يحييكم يفنيكم عنكم
ويبقيكم به واعلموا أن الله يحول
بسطوات أنوار جماله وجلاله بين مرآة
قلبه وظلمة أوصاف قالبه وانه
اليه تحشرون بالفناء عنكم والبقاء
به واتقوا أيها الواصلون فتنة ابتلاء
النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية
لا تصيب النفوس الظالمة فقط بل
تصيب ظلمتها الارواح النورانية
والقلوب الربانية فتجتذبها من
حظائر القدس ورياض الانس الى
حضائض صفات الانس واعلموا
أن الله شديد العقاب يعاقب الواصلين
بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات
الى ماسواه واذكروا اذ أنتم أيها
الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد
لكم الصفات والاخلاق الروحانية
مستضعفون من غلبات صفات
النفس لا عوازالتربية بألبان آداب
الطريقة ولانعدام جريان أحكام
الشريعة عليكم الى أوان البلوغ
تخافون أن تسلبكم النفوس
وصفاتها والشيطان وأعوانه
فآواكم الى حظائر القدس وأيدكم
بالواردات الربانية ورزقكم
المواهب الطاهرة من لوث الحدوث
يا أيها الذين آمنوا يعني الارواح
والقلوب المنورة بنور الايمان
المستعدة بسعادات العرفان

(٣) قوله هو نا موسى الخ ليل كذا
بالاصل وحرره كتبه مصححه

مثل هذا قال كان النضر بن الحرث يختلف تاجرا الى فارس فيمر بالعباد وهم يقرؤن الانجيل ويركعون ويسجدون بفناء مكة فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد فقال النضر قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا الذى سمع من العباد فنزلت واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قال فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة وقص قولهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بنى عبد الدار يختلف الى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم فلما قدم مكة سمع كلام النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن فقال قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين يقول أساجيع أهل الحيرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبة بن أبى معيط وطعيمة بن عدى والنضر بن الحرث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذى أردت وفيه أنزلت هذه الآية واذا تتلى عليهم آياتنا الآية حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن عدى ٣ والنضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط قال فلما أمر بقتل النضر قال المقداد ابن الاسود أسيرى يا رسول الله قال انه كان يقول فى كتاب الله وفى رسوله ما كان يقول قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك وكان المقداد أسر النضر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد أيضا ما حل بمن قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم اذ مكرت لهم فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر وهذه الآية أيضا ذكر أنها نزلت فى النضر بن الحرث ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء قال نزلت فى النضر بن الحرث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة من بنى عبد الدار قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال هو النضر بن الحرث بن كلدة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال قال رجل من بنى عبد الدار يقال له النضر بن كلدة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقال لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قال عطاء لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال فقال يعنى النضر بن الحرث اللهم ان كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

لا تخونوا الله فيما آتاكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا أماناتكم التى هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وأنتم تعلمون أنكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى فتنة يختبركم الله بها لتمييز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق يا أيها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفض عليكم من سجال جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفانى ويغفر لكم يستركم بأنوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك أيها الروح فى أسفل سافلين الطبيعة أو يعدموك بانعدام آثارك أو أو يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال أهل الصلاح البتة ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم

٣ قال ابن كثير ذكر المطعم بدل طعيمة غلط لان المطعم لم يكن حيا يوم بدر اه كتبه مصححه

أو ائتنا بعذاب أليم قال الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال قال ذلك سفهة هذه الامة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الامة وجهلتها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أى ما جاء به محمد فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم أى ببعض ما عذبت به الامم قبلنا واختلف أهل العربية فى وجه دخول هو فى الكلام فقال بعض البصريين نصب الحق لان هو والله أعلم حولت زائدة فى الكلام صلة توكيد كزيادة ما ولا تزاد الا فى كل فعل لا يستغنى عن خبر وليس هو بصفة لهذا لانك لو قلت رأيت هذا هو لم يكن كلاما ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ولكنها تكون من صفة المضمرة نحو قوله ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا لأنك تقول وجدته هو وايا ى فتكون هو صفة وقد تكون فى هذا المعنى أيضا غير صفة ولكنها تكون زائدة كما كان فى الاول وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم فيرفع ما بعدها ان كان ما بعدها ظاهرا أو مضمرا فى لغة بنى تميم يقولون فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا كما تقول كانوا آباؤهم الظالمون جعلوا هذا المضمر نحو هو وهما وأنت زائدا فى هذا المكان ولم تجعل مواضع الصفة لانه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله ولم يحتج الى هذا فى الموضع الذى لا يكون له خبر وكان بعض الكوفيين يقول لم تدخل هو التى هى عماد فى الكلام الا لمعنى صحيح وقال كأنه قال زيد قائم فقلت أنت بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والالف واللام لمعهود الفعل التى هى صلة فى الكلام مخالفة لمعنى هو لان دخولها وخروجها واحد فى الكلام وليست كذلك هو وأما التى تدخل صلة فى الكلام لتوكيد شبيه بقولهم وجدته نفسه تقول ذلك وليست بصفة كالظريف والعاقل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أى وأنت مقيم بين أظهرهم قال وأنزلت هذه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة قال ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذب الكفار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فأنزل الله عليه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال فخرج النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعنى بمكة فلما خرجوا أنزل الله عليه ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه قال فاذن الله له فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى من بها من المسلمين ومالهم ألا يعذبهم الله يعنى مكة وفيها الكفار حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قول الله وما كان الله ليعذبهم يعنى أهل مكة

ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ القرآت بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب ۞ الوقوف مثل هذا الا أن الابتداء بان هذا الا أساطير الاولين قبيح الاولين ○ أليم ○ وأنت فيهم ط يستغفرون ○ وما كانوا أولياءه ط لا يعلمون ○ وتصدية ط تكفرون ○ عن سبيل الله ط يغلبون ○ ط لان ما بعده مبتدأ يحشرون ○ لا تتعلق اللام فى جهنم ط الخاسرون ○ سلف ط لابتداء الشرط مع العطف

وما كان الله معذبهم وفيهم المؤمنون يستغفرون يغفر لمن فيهم من المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسماعيل الرازى وأبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن ابن أبزى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال بقية من بقى من المسلمين منهم فلما خرجوا قال ومالهم ألا يعذبهم الله قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبى مالك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال أهل مكة وأخبرنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون من أهل مكة ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قال المشركون من أهل مكة قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرن يقول الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة حتى أخرجك والذين آمنوا معك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لم يعذب قرية حتى يخرج النبى منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المؤمنين ثم عاد الى المشركين فقال وما لهم ألا يعذبهم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال يعنى أهل مكة وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد حتى أخرجك من بينهم وما كان الله معذبهم وهؤلاء المشركون يقولون يا رب غفرانك وما أشبه ذلك من معانى الاستغفار بالقول قالوا وقوله ومالهم ألا يعذبهم الله فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبى زميل عن ابن عباس ان المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون لبيك لا شريك لك لبيك فيقول النبى صلى الله عليه وسلم قد قد فيقولون لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فقال ابن عباس كان فيهم أمانان نبى الله والاستغفار قال فذهب النبى صلى الله عليه وسلم وبقى الاستغفار ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون قال فهذا عذاب الآخرة قال وذاك عذاب الدنيا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا قالت قريش بعضها لبعض محمد أكرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى قوله لا يعلمون حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانوا يقولون يعنى المشركين والله ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى بقولهم وان كانوا يستغفرون كما قال وهم يصدون عن المسجد الحرام من آمن بالله وعبده أى أنت ومن تبعك حدثنا الحسن ابن الصباح البزار قال ثنا أبو بردة عن أبى موسى قال انه كان فيكم أمانان قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو دائر فيكم الى يوم القيامة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز

قال

الاولين ٥ كله ط بصير ٥ مولاكم ط النصير ٥ ﴿ التفسير لما حكى مكرهم فى ذات محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم فى دينه روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى أحاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن أمثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى عن النضر أو عن أبى جهل على ما فى الصحيحين أن أحدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا أسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب أى ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بأمر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وعن معاوية أنه قال لرجل

قال ثنا يونس بن أبي اسحق عن عامر أبي الخطاب الثوري قال سمعت أبا العلاء يقول كان لامة محمد صلى الله عليه وسلم أمنتان فذهبت احداهما وبقيت الاخرى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية * وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون أن لو استغفروا قالوا ولم يكونوا يستغفرون فقال جل ثناؤه اذ لم يكونوا يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ان القوم لم يكونوا يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا وكان بعض أهل العلم يقول هما أمانان أنزلهما الله فأما أحدهما فمضى نبي الله وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم الاستغفار والتوبة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال الله لرسوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ولو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يقول لو استغفروا لم أعذبهم وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وهم يسلمون قالوا واستغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال سألوا العذاب فقال لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون في الاسلام حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنت فيهم قال بين أظهرهم وقوله وهم يستغفرون قال يسلمون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يسلمون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا محمد بن عبيد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال دخولهم في الاسلام وقال آخرون بل معنى ذلك وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار ثم قال ومالهم ألا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر بالسيف وقال آخرون بل معناه وما كان الله معذبهم وهم يصلون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد في قول الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يصلون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت

من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتأكيد النفي دلالة على أن تعذيبهم بعذاب الاستئصال والنبي بين أظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشأن النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم أي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا أن المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل أهل المحلة فلانا وانما قتله واحد منهم أو اثنان وقيل وصفوا بصفة أولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله أن فيهم من يؤل أمره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الآية دلالة على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم أمانان نبي الله والاستغفار

فيهم يعنى أهل مكة يقول لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى يؤمنون ويصلون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يصلون وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون قالوا ثم نسخ ذلك بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فى الانفال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فنسختها الآية التى تليها ومالهم ألا يعذبهم الله الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوتلوا بمكة وأصابهم فيها الجوع والحصر * وأولى هذه الاقوال عندى فى ذلك بالصواب قول من قال تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لانى لا أهلك قرية وفيها نبيها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه فهم للعذاب مستحقون كما يقال ما كنت لأحسن اليك وأنت تسىء الىّ يراد بذلك لا أحسن اليك اذا أسأت الىّ ولو أسأت الىّ لم أحسن اليك ولكن أحسن اليك لانك لا تسىء الىّ وكذلك ذلك ثم قيل ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام بمعنى وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان القوم أعنى مشركى مكة كانوا استعجلوا العذاب فقالوا اللهم ان كان ما جاء به محمد هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله لنبيه ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذبهم لو استغفروا وكيف لا أعذبهم بعد اخراجك منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام فأعلمه جل ثناؤه ان الذين استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل وأعلمهم حال نزوله بهم وذلك بعد اخراجه اياه من بين أظهرهم ولا وجه لا يعادهم العذاب فى الآخرة وهم مستعجلوه فى العاجل ولا شك أنهم فى الآخرة الى العذاب صائرون بل فى تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول فى ذلك ما قلنا وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى أنه عنى به المؤمنين وهو فى سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضى وعلى أن ذلك به عنوا ولا خلاف فى تأويله من أهله موجود وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال ذلك منسوخ بقوله ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية لان قوله جل ثناؤه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون خبر والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ وانما يكون النسخ للامر والنهى واختلف أهل العربية فى وجه دخول أن فى قوله ومالهم ألا يعذبهم الله فقال بعض نحويى البصرة هى زائدة ههنا وقد عملت كما عملت لا وهى زائدة وجاء فى الشعر

لولم تكن غطفان لاذنوب لها * (١) الى لام ذو أحسابها عمرا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال لم تدخل أن الا لمعنى صحيح لان معنى ومالهم ما يمنعهم من أن يعذبوا قال فدخلت أن لهذا المعنى وأخرج بلا ليعلم أنه بمعنى الجحد لان المنع جحد قال ولا فى البيت صحيح معناها لان الجحد اذا وقع عليه جحد صار خبرا وقال ألا ترى الى قولك ما زيد ليس قائما فقد أوجبت القيام قال وكذلك لا فى هذا البيت ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومالهؤلاء

أما النبى فقد مضى وأما الاستغفار فهو باق الى يوم القيامة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال ومالهم ألا يعذبهم الله وأى شئ لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة قيل لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون أى كيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد عن ابن عباس أن هذا العذاب عذاب لآخرة والذى نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا أولياءه ان أولياؤه لا المتقون من المسلمين وليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن أكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض أسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من

(١) قوله الى لام وروى اذن للام كما فى الاشمونى وغيره كتبه مصححه

لمشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ولم يكونوا أولياء الله ان أولياؤه يقول
ا أولياء الله الا المتقون يعنى الذين يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ولكن أكثرهم
لا يعلمون يقول ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون بل يحسبون أنهم أولياء
ه وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد
ن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون هم أصحاب رسول
ه صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح
ن مجاهد فى قول الله ان أولياؤه الا المتقون من كانوا وحيث كانوا حدثنى المثنى قال ثنا
وحذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
ن ابن اسحق وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون الذين يخرجون منه ويقيمون الصلاة عنده
ى أنت يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ القول فى تأويل
وله ﴿وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ يقول
عالى ذكره وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذين يصلون لله فيه
ويعبدونه ولم يكونوا لله أولياء بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون فى المسجد
لحرام وما كان صلاتهم عند البيت يعنى بيت الله العتيق الا مكاء وهو الصفير يقال منه مكا يمكو مكوا
ومكاء وقد قيل ان المكو أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما فى فيه ثم يصفر ويقال منه مكت است
ابنة مكاء اذا انفخت بالريح ويقال انه لا يمكو الا است مكشوفة ولذلك قيل للاست المكوة سميت
ذلك ومن ذلك قول عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الأعلم

وقول الطرماح فنحا لأولاها بطعنة محفظ * تمكو جوانبها من الانهار

يعنى تصوت وأما التصدية فانها التصفيق يقال منه صدى يصدى تصدية وصفق وصفح بمعنى
واحد وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى
عن موسى بن قيس عن حجر بن عنبس الا مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق
حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن سعد قال
ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية يقول كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء يعنى التصفير وتصدية يقول التصفيق
حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال التصفيق والصفير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن قرة
بن خالد عن عطية عن ابن عمر قال المكاء التصفيق والتصدية الصفير قال وأمال ابن عمر خده الى
الجانب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن قرة بن خالد عن عطية عن ابن عمر
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء والتصدية الصفير والتصفيق حدثنى
المثنى قال ثنا القاسم قال سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرة بن خالد عن عطية العوفى عن ابن
عمر قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن
عطية عن ابن عمر فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء الصفير والتصدية
التصفيق وقال قرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر وأمال خده وصفق بيديه حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن

الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل فيكون فى الاصل معتل اللام أو من صدّيصدّ مضاعفا أى صاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كالتقضى فى التقضض وأنكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوّبه الازهرى وأبو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو أن يجعل بعض أصابع اليمين وبعض أصابع الشمال فى الفم ثم يصفر به وقيل تصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلاة بناء على معتقدهم وفيه أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له كقول العرب ما لفلان عيب الا السخاء أى من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف والصلاة عند المسجد الحرام يستهزؤن به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلاة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفائى صلتى أى أقام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على

ابن عوف يقول فى قول الله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بكر فجمع لى جعفر كفا
ثم نفخ فيهما صفيرا كما قال له أبو سلمة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال ثنا أبو أحمد قال
ثنا سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال تصفيق
وتصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر مثله حدثنا ابن
وكيع قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت
قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج
لعباده فأمروا بالثياب حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال
كانت قريش يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف يستهزؤن به يصفرون به ويصفقون
فنزلت وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان
عن منصور عن مجاهد الا مكاء قال كانوا ينفخون فى أيديهم والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا مكاء وتصدية قال المكاء
ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته
حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله
الا أنه لم يقل صلاته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
قال المكاء ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق قال نفر من بنى عبد الدار كانوا
يخلطون بذلك كله على محمد صلاته حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة عن
ابن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال من بين الاصابع
قال أحمد سقط على حرف وما أراه الا الخذف والنفخ والصفير منها وأرانى سعيد بن جبير حيث كانوا
يكون من ناحية أبى قبيس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن سليمان قال أخبرنا طلحة بن
عمرو عن سعيد بن جبير فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء كانوا
يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها فذلك المكاء قال وأرانى سعيد بن جبير المكان الذى كانوا
يكون فيه نحو أبى قبيس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة
عن جعفر بن ربيعة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن فى قوله مكاء وتصدية قال المكاء النفخ وأشار بكفه
قبل فيه والتصدية التصفيق حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال
المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن
جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان صلاتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية قال كنا نحدث أن المكاء التصفيق بالايدى والتصدية صياح كانوا
يعارضون به القرآن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكاء وتصدية
قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا
أسباط عن السدى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والمكاء الصفير على نحو طير أبيض
يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية التصفيق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء صفير كان أهل الجاهلية
يعلنون به قال وقال فى المكاء أيضا صفير فى أيديهم ولعب وقد قيل فى التصدية انها الصد عن بيت
الله الحرام وذلك قول لا وجه له لان التصدية مصدر من قول القائل صديت تصدية وأما الصد فلا
يقال منه صديت انما يقال منه صددت فان شددت منها الدال على معنى تكرير الفعل قيل صددت

سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر أو عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وأفعالكم التى لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح أحوال هؤلاء الكفار فى الطاعات البدنية أتبعها شرح أحوالهم فى الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية قال مقاتل والكلبى نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وأبو البخترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبى بن خلف وزمعة بن أسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس ابن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن أبزى نزلت فى أبى سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وأنفق عليهم أربعين أوقية من فضة والاوقية اثنان وأربعون مثقالا قاله فى الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما أصيب قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان

صدية الا أن يكون صاحب هذا القول وجه التصدية الى أنه من صددت ثم قلبت احدى داليه ياء
كما يقال تظنيت من ظننت وكما قال الراجز * تقضى البازى اذا البازى كسر * يعنى تقضض
بازى فقلب احدى ضاديه ياء فيكون ذلك وجها يوجه اليه ذكر من قال ماذكرنا فى تأويل التصدية
حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية صدهم عن بيت الله الحرام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق
ابن سليمان قال أخبرنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وتصدية قال التصدية صدهم الناس
عن البيت الحرام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتصدية قال التصدية
عن سبيل الله وصدهم عن الصلاة وعن دين الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال ما كان صلاتهم التى يزعمون أنها يدرأ بها عنهم
الا مكاء وتصدية وذلك مالا يرضى الله ولا يحب ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به وأما قوله فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فانه يعنى العذاب الذى وعدهم به بالسيف يوم بدر يقول للمشركين
الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية حين أتاهم بما
استعجلوه من العذاب ذوقوا أى اطعموا وليس بذوق بفم ولكنه ذوق بالحس ووجود طعم ألمه بالقلوب
يقول لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة
نبيكم صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أى ما أوقع الله بهم يوم بدر من
القتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون قال هؤلاء أهل بدر يوم عذبهم الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال
ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعنى
أهل بدر عذبهم الله يوم بدر بالقتل والاسر ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين كفروا ينفقون
أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى
جهنم يحشرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم فيعطونها
أمثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ليصدوا
المؤمنين بالله ورسوله عن الايمان بالله ورسوله فسينفقون أموالهم فى ذلك ثم تكون نفقتهم تلك
عليهم حسرة يقول تصير ندامة عليهم لان أموالهم تذهب ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون
فيه من اطفاء نور الله واعلاء كلمة الكفر على كلمة الله لان الله معلى كلمته وجاعل كلمة الكفر
السفلى ثم يغلبهم المؤمنون ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله الى جهنم فيعذبون فيها فأعظم
بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحى فخرب ماله وذهب باطلا فى غير درك نفع ورجع
مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا وأما الهالك فقتل وسلب وعجل به الى نار الله يخلد فيها نعوذ بالله من
غضبه وكان الذى تولى النفقة التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله ان الذين كفروا
ينفقون أموالهم الآية والذين كفروا الى جهنم يحشرون قال نزلت فى أبى سفيان بن حرب
استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من بنى كنانة فقاتل بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم الذين
يقول فيهم كعب بن مالك

وجئنا الى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نظنه * ثلاث مئين ان كثرن فأربع

ابن أمية فى رجال من قريش أصيب
اباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا
أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى
تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش
ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم
فأعينونا بهذا المال الذى أفلت على
حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا
لمن أصيب منا فأنزل الله تعالى
الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل
الله أن غرضهم فى الانفاق كان
هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل
الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم أخبر
عن الغيب على وجه الاعجاز فقال
فسينفقونها أى سيقع منهم هذا
الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما
وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر
وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين
سجالا لقوله كتب الله لأغلبن أنا
ورسلى ومعنى ثم فى الجملتين اما
التراخى فى الزمان لما بين الانفاق
المذكور وبين ظهور دولة الاسلام
من الامتداد واما التراخى فى الرتبة
لما بين بذل المال وعدم حصول
المقصود من المباينة ثم قال والذين
كفروا أى الكافرون منهم ولم يقل
ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان
منهم من أسلم وحسن اسلامه فذكر
ان الذين بقوا على الكفر لا يكون
حشرهم الا الى جهنم دون من أسلم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمى عن جعفر عن ابن أبزى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أبى سفيان استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب قال أخبرنا أبى عن خطاب ابن عثمان العصفرى عن الحكم بن عتيبة ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أبى سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب وكانت الاوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال لما قدم أبو سفيان بالعير الى مكة أنشد الناس ودعاهم الى القتال حتى غزانى الله من العام المقبل وكانت بدر فى رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان وكانت أحد فى شوال يوم السبت لاحدى عشرة خلت منه فى العام الرابع حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال الله فيما كان المشركون ومنهم أبو سفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمدا بهم ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة يقول ندامة يوم القيامة وويلا ثم يغلبون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية حتى قوله أولئك هم الخاسرون قال فى نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أحد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله ابن ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا عن أصيب منا ففعلوا قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الى قوله والذين كفروا الى جهنم يحشرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الى قوله يحشرون يعنى النفر الذين مشوا الى أبى سفيان والى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سعيد ابن أبى أيوب عن عطاء بن دينار فى قول الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية نزلت فى أبى سفيان بن حرب وقال بعضهم عنى بذلك المشركون من أهل بدر ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال هم أهل بدر * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قلنا وهو أن يقال ان الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركى قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لم يخبرنا بأى أولئك عنى غير أنه عم بالخبر الذين كفروا وجائز أن يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر وجائز أن يكون عنى الفريقين واذا كان ذلك كذلك فالصواب فى ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ليميز الله

منهم ثم بين الغاية والغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث أى الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشئ يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض أولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال أى ليميز المال الخبيث الذى أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المال الطيب الذى أنفقه المهاجرون والانصار فى نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه فى جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وعلى هذا فاللام فى قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قاله فى الكشاف ولا يبعد عندى أن يتعلق بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية أرشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل

الخبيث

الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره ليحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم وينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله الى جهنم ليفرق بينهم وهم أهل الخبث كما قال وسماهم الخبيث وبين المؤمنين بالله وبرسوله وهم الطيبون كما سماهم جل ثناؤه فيزجل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الايمان به وبرسوله جناته وأنزل أهل الكفر ناره وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليميز الله الخبيث من الطيب فيز أهل السعادة من أهل الشقاوة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم ذكر المشركين وما يصنع بهم يوم القيامة فقال ليميز الله الخبيث من الطيب يقول يميز المؤمن من الكافر فيجعل الخبيث بعضه على بعض ويعني جل ثناؤه بقوله فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض فيركمه جميعا يقول فيجعلهم ركاما وهو أن يجمع بعضهم الى بعض حتى يكثروا كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما أي مجتمعا كثيفا وكما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيركمه جميعا قال فيجمعه جميعا بعضه على بعض وقوله فيجعله في جهنم يقول فيجعل الخبيث جميعا في جهنم فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله ليميز الله الخبيث ثم قال أولئك هم الخاسرون فجمع ولم يقل ذلك هو الخاسر فرده الى أول الخبر ويعني بأولئك الذين كفروا وتأويله هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون ويعني بقوله الخاسرون الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم وذلك أنهم شروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة وتعجلوا بانفاقهم اياها فيما أنفقوا من قتال نبي الله والمؤمنين به الخزي والذل ﴿القول في تأويل قوله﴿قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين كفروا من مشركي قومك ان ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا الى الايمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل ايمانهم وانابتهم الى طاعة الله وطاعة رسوله بايمانهم وتوبتهم وان يعودوا يقول وان يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر فقد مضت سنتي في الاولين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية اذ طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحهم من احلال عاجل النقم بهم فأحل بهؤلاء ان عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحللت بهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فقد مضت سنة الاولين في قريش يوم بدر وغيرها من الامم قبل ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقد مضت سنة الاولين قال في قريش وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال في قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين أي من قتل منهم يوم بدر حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان يعودوا لقتالك فقد مضت سنة الاولين من أهل بدر ﴿القول في تأويل قوله﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وان يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر وأنا

للذين كفروا أي قل لأجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان تعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فاهلكوا أو غلبوا كقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم أصحاب أبي حنيفة بالآية على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب أبو حنيفة الى أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في أن الزنديق هل تقبل توبته أم لا والصحيح أنها مقبولة لشمول الآية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم أمر بقتالهم ان أصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الآية وقد مر

عائد عثلها فمن حاربكم منهم فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد الا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الارض وهو الفتنة و يكون الدين كله لله يقول وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال الفتنة الشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يقول قاتلوهم حتى لا يكون شرك و يكون الدين كله لله حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل النبى صلى الله عليه وسلم واليها دعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون شرك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون بلاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله أى لا يفتن مؤمن عن دينه و يكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك و يخلع ما دونه من الأنداد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون كفر و يكون الدين كله لله لا يكون مع دينكم كفر حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كتب اليه يسأله عن أشياء فكتب اليه عروة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك كتبت الى تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وسأخبرك به ولا حول ولا قوة الا بالله كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبى ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا وعرفنا وجهه فى الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا عليها و بعثنا عليها وانه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه لم ينفر وامنه أول ما دعاهم اليه وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه الا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ثم ائتمرت رؤسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم واخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجر القريش يتجرون فيها ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبى صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث ذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم انه فشا الاسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت الفتنة الاولى هى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخى عنهم ودخل فى الاسلام من دخل منهم تحدث بهذا الاسترخاء عنهم فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وانهم لا يفتنون فرجعوا الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون و يكثرون وانه أسلم من الانصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة

تفسيره فى سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله فى قوله و يكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع أهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر وأسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب أراد فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم ومتولى أموركم يحفظكم و يدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته ﴿التأويل﴾ قالوا قد سمعنا وما سمعوا فى الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعواهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر لتعلم أن من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا به و بأنواره وأسراره وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لأنه رحمة للعالمين والرحمة تنافى العذاب ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم يعنى أكثر المتقين

الاسلام وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت ذلك قريش تواصرت على أن يفتنوهم و يشدوا عليهم فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة فكانت ثنتين فتنة أخرجت من خرج منهم الى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم فى الخروج اليها وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة ثم انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا رؤس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا الى المدينة وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو وهى التى أنزل الله فيها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير أنه كتب الى الوليد أما بعد فانك كتبت الىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وعندى من ذلك علم بكل ما كتبت تسألنى عنه وسأخبرك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله فذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن الاعمش عن مجاهد وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال يساف ونائلة صنمان كانا يعبدان وأما قوله فان انتهوا فان انتهوا عناه فان انتهوا عن الفتنة وهى الشرك بالله وصاروا الى الدين الحق معكم فان الله بما يعملون بصير يقول فان الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول فى دين الاسلام لانه يبصركم و يبصر أعمالكم والاشياء كلها متجلية له لا تغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين وقد قال بعضهم معنى ذلك فان انتهوا عن القتال والذى قلنا فى ذلك أولى بالصواب لان المشركين وان انتهوا عن القتال فانه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ يقول تعالى ذكره وان أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم اليه أيها المؤمنون من الايمان بالله ورسوله وترك قتالكم على كفرهم فأبوا الا الاصرار على الكفر وقتالكم فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم عليهم وناصركم نعم المولى هو لكم يقول نعم المعين لكم ولاوليائه ونعم النصير وهو الناصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان تولوا عن أمرك الى ما هم عليه من كفرهم فان الله هو مولاكم الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير

﴿تم الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى و يليه الجزء العاشر
أوله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واعلموا انما غنمتم﴾

أولا يعلمون أنهم ليأوه لان الولى قد لا يعرف أنه ولى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم كذلك دأب كفار النفوس ينفقون أموال الاستعداد الفطرى فى غير طلب الله وانما تصرفها فى استيفاء اللذات والشهوات فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولاجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة والنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التى لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بانخداع النفوس فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فيلقى الجميع فى جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب أى ستروا النور الروحانى بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم بستر الله تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس حتى لا تكون آفة مانعة عن الوصول و يكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى أعلم

م

mo
2993-1-10

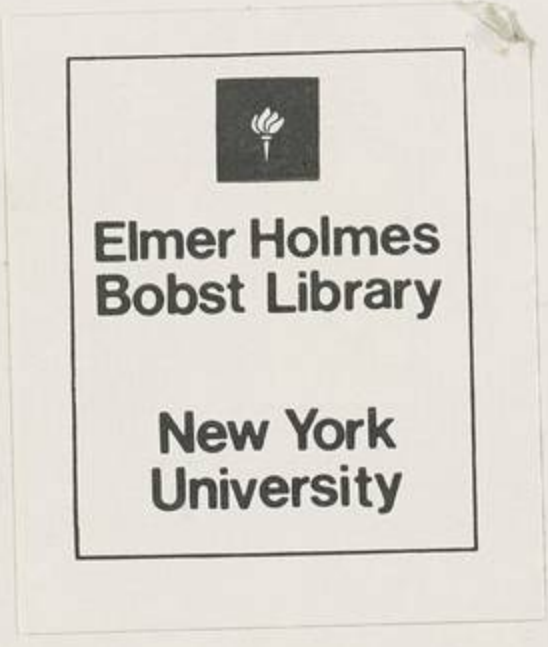
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University